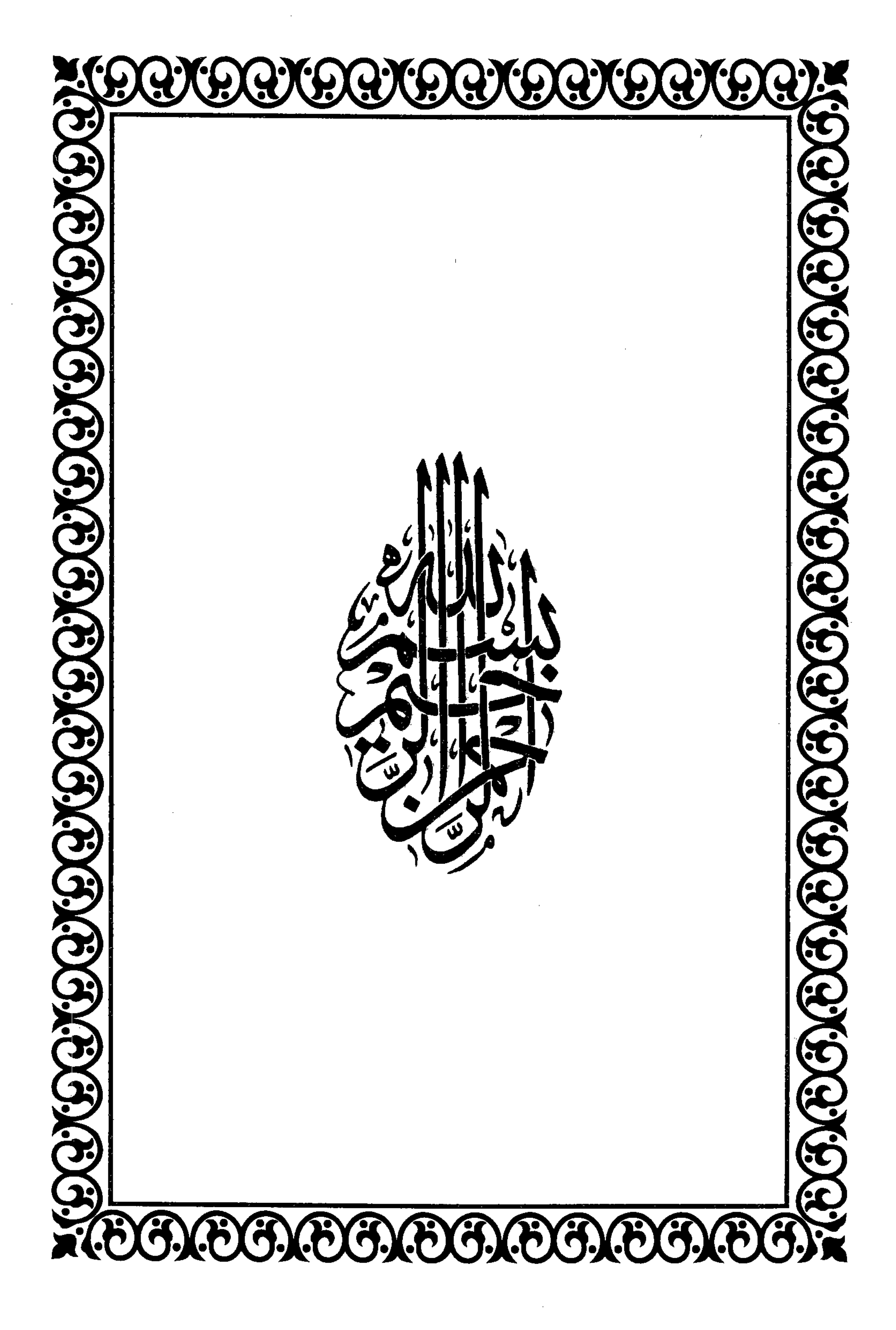
من مطبوعات
مكتبة إمام الدعوة العلمية
بمكة المكرمة
(١)

كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة

إعداد
عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس
إمام وخطيب المسجد الحرام

السفر الأول

وقف لله تعالى
طبع على نفقة محسن كريم
أجزل الله مثوبته وغفر له ولوالديه ولجميع المسلمين


بسم الله الرحمن الرحيم

كوكبة
الخطب المنيفة
من منبر
الكعبة الشريفة

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

السديس ، عبد الرحمن بن عبد العزيز

كوكبة الخطب المنيفة من منبر الكعبة الشريفة ــ مكة المكرمة

٧٥٢ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم .

ردمك ٨ـ٠٣٠ـ٣٩ـ٩٩٦٠

١ ــ خطبة الجمعة   ٢ ــ الوعظ والإرشاد   أ ــ العنوان

ديوي ٢١٣   ٢٢/٢٨٢٨

الطبعة الأولى

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

مكتبة إمام الدعوة العلمية

مكة المكرمة - حي العوالي - هاتف : ٥٢٧٥٥٩١ فاكس/ ٥٢٧٥٦١١

ص.ب ١٣٦١٢/ البريد الالكتروني / imamdw@ayna.com

المقـــدّمة

إِنَّ الحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِيْنُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلـهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ، أَحْكَمَ كِتَابَهُ، وَجَلَّىٰ بِالحَقِّ خِطَابَهُ، سُبْحَانَهُ فَتَّقَ[1] أَلْسِنَةَ أَهْلِ الإِسْلاَمِ بِالبَيَانِ وَالخَطَابَةِ، فَكَانَ مِنْهُمْ نَمَاذِجُ مِمَّنْ فَرَى[2] الخَيْرَ وَأَصَابَهُ، فَبَلَغَ مِنَ الفَضْلِ أَوْجَهُ[3] وَنِصَابَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُاللهِ وَرَسُولُهُ أَفْضَلُ مَنْ صَعِدَ المَنَابِرَ، وَأَبْلَغُ مَنْ صَدَعَ بِالخُطَبِ الزَّوَاجِرِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ كَانُوا قِمَمًا تُقْتَفَىٰ فِي الدَّعْوَةِ وَالخَطَابَةِ بِالأَصَائِلِ وَالهَوَاجِرِ[4]، وَمَنْ سَارَ عَلَىٰ نَهْجِهِمْ، وَسَلَكَ سَبِيْلَهُمْ، وَتَرَسَّمَ خُطَاهُمْ، مَا ذَكَرَ اللهَ ذَاكِرٌ، وَمَا تَاجَرَ مَعَ اللهِ مُتَاجِرٌ، وَزَجَرَ عَنِ الرَّدَىٰ زَاجِرٌ، وَسَلَّمَ تَسْلِيْمًا كَثِيْرًا.

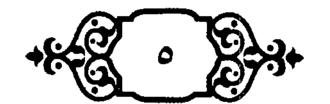
---

(١) يقال: رجل فَتِيقُ اللسانِ: فَصِيحه حَدِيده. «اللسان» (فتق).

(٢) يقال: فرىٰ يفري: إذا عمل العمل فأجاد. «اللسان» (فرى).

(٣) الأَوْج: العلوُّ، ضد الهبوط. «القاموس» (أوج).

(٤) الأصائل: جمع أصيل، وهو وقت العَشِيِّ، والهواجر: جمع هاجرة، وهي وقت نصف النهار عند اشتداد الحر. «اللسان» (أصل) (هجر).



أمّا بعد:

فَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ المِنَنِ وَالآلاَءِ مِنْ رَبِّ العِبَادِ ـ مَعَ نِعْمَةِ الخَلْقِ وَالإِيْجَادِ، وَالإِعْدَادِ وَالإِمْدَادِ ـ بَلْ أَعْظَمُهَا عَلَى الإِطْلاَقِ: مَا هَدَانَا اللهُ سُبْحَانَهُ إِلَيْهِ مِنْ هَـٰذَا الدِّينِ القَوِيمِ، وَالصِّرَاطِ المُسْتَقِيْمِ؛ فـ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَـٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ﴾ [الأعراف: ٤٣].

وَإِنَّ مِنْ أَهَمِّ مُمَيِّزَاتِ هَـٰذَا الدِّيْنِ «الكَمَالَ وَالشُّمُولَ»؛ فَلَمْ يَتْرُكْ جَانِبًا مِنْ جَوَانِبِ الحَيَاةِ إِلاَّ تَوَلاَّهُ بِالعِنَايَةِ وَ الرِّعَايَةِ وَالاهْتِمَامِ؛ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣].

وَمِنْ ذَلِكَ: مَا اخْتَصَّتْ بِهِ هَـٰذه الأُمَّةُ مِنَ الشَّعَائِرِ وَالمَشَاعِرِ(١)، وَالفَضْلِ وَالفَضَائِلِ؛ كَاخْتِصَاصِهَا بِهَـٰذَا اليَوْمِ العَظِيْمِ «يَوْمِ الجُمُعَةِ»، وَمَا امْتَازَ بِهِ هَـٰذَا اليَوْمُ المُبَارَكُ مِنْ هَـٰذِهِ الشَّعِيْرَةِ الإِسْلاَمِيَّةِ العَظِيْمَةِ، وَهِيَ: «الخُطْبَةِ».

وَمِمَّا لاَ رَيْبَ فِيْهِ: أَنَّ لِلْخَطَابَةِ فِي شَرِيعَتِنَا الغَرَّاءِ مَقَامًا سَامِيًا، وَمَنْزِلَةً عَظِيمَةً؛ وَذَلِكَ لِمَا تُمَثِّلُهُ مِنْ تَحْقِيْقٍ لِلاضْطِلاَعِ بِمُهِمَّةِ الدَّعْوَةِ إِلَى

---

(١) الشعائر: متعبَّداتُ اللهِ التي أشعرها الله، أي: جعلها أعلامًا لنا، الواحد: شعيرة، والمشاعر: جمع مَشْعَر، وهو المَعْلَمُ للعبادةِ والموضع. «اللسان» (شعر).

اللهِ ـ تبارَكَ وتعالَىٰ ـ قالَ سُبْحانَهُ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت].

أخِي القَارِئَ الكَرِيم، كُنْتُ أَوَدُّ أَنْ أُصَدِّرَ هَٰذِهِ «الكَوْكَبَةَ»[(١)] بِمُقَدِّمَةٍ فَضْفَاضَةٍ عَنْ هَٰذَا المَوْضُوعِ المُهِمِّ «الخَطَابَةِ»، تَكُونُ تَوْضِيحًا وَبَسْطًا لِمَضَامِينِهَا؛ تَعْرِيفًا وتَارِيخًا، وآدَابًا وَمَنْهَجًا، وَحِكَمًا وَأَحْكَامًا، ولِمَا عَلَىٰ فَارِسِهَا إِعْدَادًا وَتَكْوِينًا، وَنَحْوِ ذٰلِكَ؛ إِتْمَامًا لِلْفَائِدَةِ، وَإِجْرَاءً لِلْعَائِدَةِ الزَّائِدَةِ، لِلْمُطَّلِعِ عَلَىٰ هَٰذِهِ الكَوْكَبَةِ المُبَارَكَةِ؛ حَتَّىٰ لاَ يَكُونَ مُنْبَتًّا عَنْ هَٰذَا الفَنِّ وَصُوَاهُ[(٢)]، مَعَ سُؤَالِي اللهَ تَوْفِيقَهُ وَعَوْنَهُ وَرِضَاهُ.

لَكِنِّي رَأَيْتُ أَنَّ كُلَّ مَنْ يَتَصَدَّىٰ لِهَٰذَا الأَمْرِ المُهِمِّ، وَيَتَسَنَّمُ ذِرْوَتَهُ[(٣)]، وَيَمْتَطِي صَهْوَتَهُ[(٤)]: لَيْسَ يَعْزُبُ عَنْهُ شَيْءٌ[(٥)] مِنْ ذٰلِكَ، وَمَظَانُّ هَٰذَا المَوْضُوعِ فِي المُتَنَاوَلِ ـ بِحَمْدِ اللهِ ـ سَوَاءٌ مِنْ كُتُبِ التَّفْسِيرِ، وَالحَدِيثِ، وَالفِقْهِ، أَمْ مِنَ المَصَادِرِ الخَاصَّةِ بِهَٰذَا المَوْضُوعِ؛ كَكِتَابِ

---

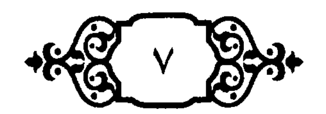
(١) الكوكبة: الجماعة أو المجموعة. «اللسان» (كوكب)، و«القاموس» (ككب)، و«الهادي إلى لغة العرب» (كوكب).

(٢) الصُّوَىٰ: أعلام من حجارة منصوبة في المفازة المجهولة يستدل بها على الطريق. «النهاية» (صوي).

(٣) أي: يعلو إلى قمته. «اللسان» (سنم).

(٤) صهوة كل شيء: أعلاه. «اللسان» (صهو).

(٥) يقال: عَزَبَ عنه هذا الأمرُ يَعْزُبُ، أي: غاب. «اللسان» (عزب).



«أَدَبِ الخَطِيبِ» لابْنِ العَطَّارِ الدِّمَشْقِيِّ (ت: ٧٢٤هـ) عَصْرِيِّ شَيْخِ الإِسْلَامِ ابنِ تَيْمِيَّةَ ـ رَحِمَهُمَا اللهُ ـ وَغَيْرِهِ، والَّذِي أَبَانَ فِيهِ عَنْ كَثِيْرٍ مِنَ المَسَائِلِ المُهِمَّةِ، وَالَّتِي يَتَطَلَّعُ إِلَيْهَا الخَطِيْبُ، وَيَجِدُ بُغْيَتَهُ وَطَلِبَتَهُ فِيهَا.

وَمَعَ كُلِّ هَـٰذَا: فَـ«مَا لاَ يُدْرَكُ كُلُّهُ لاَ يُتْرَكُ كُلُّهُ»[١]، وَ«يَكْفِي مِنَ القِلاَدَةِ مَاأَحَاطَ بِالعُنُقِ»[٢]؛ فَلَنْ أُسْلِمَ القَارِيءَ اللَّبِيْبَ، وَأَحْرِمَ المُتَشَوِّفَ النَّجِيْبَ، مِنْ رَشْفَةٍ مِنْ رَحِيْقِ هَـٰذَا الفَنِّ، وَتَضَمُّخٍ[٣] بعبَقِهِ وَشَذَاهُ، وَعَبٍّ يَسِيرٍ مِنْ نَمِيرِهِ وَسَلْسَبِيلِهِ[٤]، تَكُونُ إِضَاءَةً مُتَوَّجَةً بِأَبْهَى الحُلَلِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ عَلَلاً بَعْدَ نَهَلٍ[٥]، سَائِلاً اللهَ سُبْحَانَهُ التَّوْفِيقَ وَالوِقَايَةَ مِنَ الزَّلَلِ.

أَخِي الخَطِيْبَ المُبَارَكَ، لِصِيَاغَةِ تَعْرِيفٍ مُنَاسِبٍ لِلْخُطْبَةِ[١] فِي الاصْطِلاَحِ، أُوْرِدُ تَعْرِيفًا أَرْجُو أَنْ يَكُونَ جَامِعًا مَانِعًا، وَهُوَ أَنَّ الخُطْبَةَ: «كَلاَمٌ مُنْتَخَبٌ مُخْتَارٌ، مُتَّصِفٌ بِحُسْنِ الرَّصْفِ، وَجَوْدَةِ السَّبْكِ، وَقُوَّةِ

---

(١) هذا من أمثال العرب. انظر: «خزانة الأدب» (٨/ ٤٠١).

(٢) مَثَلٌ يُضْرَبُ في وجوب الاكتفاء من الشيء بما تَتِمُّ به الحاجة، ويرويه بعضهم: «حَسْبُكَ من القلادة ما أحاط بالعنق». انظر: «تمثال الأمثال» (٢/ ٥٩٥).

(٣) تضمَّخ بالطِّيب وغيره تضمُّخًا: تلطَّخ به وأكثَرَ منه. «اللسان» (ضمخ).

(٤) يقال: ماء نمير، أي: ناجع في الرِّيِّ. وماءٌ سلسبيلٌ، أي: عذب سهل الدخول في الحلق. «اللسان» (نمر) (سلسل).

(٥) النَّهَل: الشَّرْبَة الأولى، والْعَلَلُ: الشربة الثانية، يقال: عَلَلٌ بعد نَهَلٍ، أي: شُرْبٌ بعد شُرْبٍ. «اللسان» (نهل) (علل).

(٦) وانظر لتعريف «الخُطبة» لغةً: «اللسان»، و «تاج العروس» مادة (خطب).



التَّأْثِيرِ؛ لِدَعْوَةِ النَّاسِ إِلَى الخَيْرِ، وَثَنْيِهِمْ عَنْ ضِدِّهِ؛ وَفْقَ أَحْكَامِ الإِسْلَامِ وَمَقَاصِدِهِ؛ لِتَحْقِيقِ سَعَادَتِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ».

وَإِنَّ المُسْتَقْرِئَ لِتَارِيخِ الخَطَابَةِ عِنْدَ العَرَبِ ـ أَرْبَابِ الفَصَاحَةِ وَالبَلَاغَةِ وَالبَيَانِ ـ يَجِدُ أَنَّهَا تُمَثِّلُ قِمَّةً مِنْ قِمَمِ الإِبْدَاعِ، وَذِرْوَةَ الإِفْهَامِ وَالإِقْنَاعِ، ولِسَانَ الصَّدِّ وَالدِّفَاعِ، بِهَا يُنَافِحُونَ ويُفَاخِرُونَ، وَبِهَا يُقَارِعُونَ وَيُضَارِعُونَ، يَسْتَقْبِلُونَ بِهَا الوُفُودَ، وَيُبْرِمُونَ مِنْ خِلَالِهَا العُقُودَ، ويُمْضُونَ المَوَاثِيقَ وَالعُهُودَ، بِهَا تَهَانِيْهِمْ وَتَعَازِيهِمْ، وَإِبَّانَ[1] النَّوَائِبِ[2] وَالمُلِمَّاتِ[3] يَقِفُ الخَطِيبُ حَاضًّا عَلَى التَّجَلُّدِ وَالثَّبَاتِ.

وَكَانَتْ هَذِهِ المُهِمَّةُ لَا تُنَاطُ[4] إِلاَّ بِالمِقْوَالِ مِنَ الوُجَهَاءِ وَالأَشْرَافِ، الَّذِيْنَ تَحَلَّوْا بِالحِكْمَةِ وَرَجَاحَةِ العَقْلِ وَحُسْنِ الأَوْصَافِ.

وَكُلُّ ذَلِكَ دَلِيْلٌ عَلَى مَكَانَةِ الخَطَابَةِ عِنْدَهُمْ، وَمَا احْتَلَّتْهُ مِنْ مَكَانَةٍ سَامِيَةٍ، تَسَنَّمَهَا الخَطِيْبُ المِصْقَعُ[5]، وَالمُفَوَّهُ المِدْفَعُ، وَلَا تَسْأَلْ عَنْ أَبْنَاءِ بَجْدَتِهَا[6]، مِنْهُمْ: أَكْثَمُ بنُ صَيْفِيٍّ، وَقُسُّ بْنُ سَاعِدَةَ، وسَحْبَانُ

---

(١) إِبَّانُ الشيء: حِينُهُ. «القاموس» (أبن).

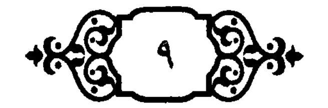
(٢) النوائب: جمع نائبة، وهي: المصيبة. «اللسان» (نوب).

(٣) الملمَّات: جمع ملمَّة، وهي: النازلةُ الشديدة من نوازل الدهر. «اللسان» (لمم).

(٤) أي: لا تُعَلَّقُ. «اللسان» (نوط).

(٥) الخطيبُ المِصْقَع، أي: البليغُ الماهر في خُطْبته. «اللسان» (صقع).

(٦) يقال للعالم بالشيء الخبير بالأمور: «هُو ابنُ بَجْدَتِها» بتثليث الباء، وكذلك: «هُو ابنُ بَجْدَتِهِ»، وهما من الأمثال. انظر: «جمهرة الأمثال» (١/ ٣٨)، و«اللسان» (بجد).



وَائِلٍ، وَأَضْرَابُهُمْ.

وَلَمَّا جَاءَ الإِسْلَامُ، وَسَطَعَتْ شَمْسُهُ، وَتَلأْلأَتْ أَنْوَارُهُ ـ عَلاَ شَأْنُ الخَطَابَةِ، وَأَضْحَىٰ أَمْرُهَا فِي مِرَّةٍ[١]؛ كَيْفَ لاَ، وَقَدْ أُوْتِيَ المُصْطَفَىٰ ﷺ جَوَامِعَ الكَلِمَ، وَتَحَدَّىٰ بِبَلاَغَةِ القُرْآنِ العَرَبَ وَالعَجَمَ؛ فَهُوَ أَفْصَحُ مَنْ نَطَقَ بِالضَّادِ، وَمَنْ مَلأَتْ خُطَبُهُ بِبَرَاعَتِهَا السُّهُولَ وَالوِهَادَ[٢]، وَلاَ غَرْوَ؛ فَلَهَا مِنَ الوَحْيِ وَحُجَجِهِ مَعِيْنٌ لاَ يَنْضُبُ، وَمَدَدٌ لا يَنْفَدُ؛ حَتَّىٰ غَدَتْ مِشْعَلاً لِنَشْرِ الدَّعْوَةِ الإِسْلاَمِيَّةِ، وَالمِلَّةِ المُصْطَفَوِيَّةِ.

وَحِيْنَ يَقِفُ الخَطِيبُ مُذَكِّرًا وَمُحَذِّرًا، مُبَشِّرًا وَمُنْذِرًا، مُرَغِّبًا وَمُرَهِّبًا، يَحُضُّ عَلَى الجِهَادِ وَالنِّزَالِ، وَمُبَاشَرَةِ السِّهَامِ وَالحِمَامِ[٣]، تَنْطَلِقُ الجُيُوشُ إِلَىٰ سَاحَاتِ الوَغَىٰ بِالسَّمْهَرِيِّ وَالرِّمَاحِ، دُونَ ضِنَّةٍ[٤] أَوْ جُنَاحٍ[٥]، فَتَنْهَزِمُ الفُلُولُ[٦]، وَيَأْذَنُ طُغْيَانُ الأَكَاسِرَةِ بِالأُفُولِ[٧]، فَيَبْسُطُ الإِسْلاَمُ سُلْطَانَهُ، وَيُظْهِرُ بُرْهَانَهُ، وَيُعْلِىٰ بُنْيَانَهُ، وَيُوَطِّدُ صَرْحَهُ وَأَرْكَانَهُ، وَمَا ذَٰلِكَ

---

(١) أي: في قوة وإحكام. «القاموس» (مرر).

(٢) الوِهَاد: جمع وَهْدَة، وهي الأرضُ المنخفضة. «القاموس» (وهد).

(٣) الحِمَام ـ بكسر الحاء ـ: الموت. «النهاية» (حمم).

(٤) الضِّنَّةُ: البخل والإمساك. «اللسان» (ضنن).

(٥) الْجُنَاحُ: الجِنَاية والجُرْمُ. «اللسان» (جنح).

(٦) الفلول: جمع فَلٍّ، تقول: قومٌ فَلٌّ، أي: منهزمون. «القاموس» (فلل).

(٧) الأفول: الغروب والمغيب. «اللسان» (أفل).



إلاَّ مِنْ أَثَرِ الخُطْبَةِ الخَلُوبِ، الآسِرَةِ لِلْقُلُوبِ.

وَامْتَدَّ فُسْطَاطُ الخَطَابَةِ، فَصَارَتْ قُرْبَةً وَعِبَادَةً؛ حَتَّىٰ أَسْفَرَتْ شَمْسُ الإِسْلَامِ عَنْ خُطَبَاءَ مُفْلِقِينَ[1]، كَبَّلُوا الأَسْمَاعَ، وَذَاعَ صِيتُهُمْ فِي أَقْصَى الأَصْقَاعِ، نَشَرُوا السِّحْرَ الحَلَالَ[2]؛ فَصَارَ كَالعَذْبِ الزُّلَالِ، تَقَدَّمَ تِلْكَ الصَّفْوَةَ المُبَارَكَةَ، وَالمَنْظُومَةَ المُتَأَلِّقَةَ: أَفْصَحُ العَرَبِ، وأَبْلَغُ مَنْ تَكَلَّمَ وَخَطَبَ، الحَبِيبُ المُصْطَفَىٰ، وَالرَّسُولُ المُجْتَبَىٰ، عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ فَقَدْ طُبِعَ عَلَىٰ رَائِقِ الكَلَامِ، وَبَدِيْعِ اللَّفْظِ وَالنِّظَامِ، بِنَثْرٍ مُحْكَمِ السَّبْكِ، بَدِيْعِ النَّسْجِ، تَنْهَالُ المَعَانِي عَلَىٰ فُؤَادِهِ انْهِيَالاً، وَتَنْثَالُ المُفْرَدَاتُ عَلَى لِسَانِهِ انْثِيَالاً، دُونَ تَكَلُّفٍ، أَوْ تَعَسُّفٍ؛ فَحَدِيثُهُ ﷺ - بِأَبِي هُوَ وَأُمِّي! - عَذْبٌ مُصَفًّى، وَشَهْدٌ مُوَفًّى، وَلَا عَجَبَ؛ فَهُوَ القَائِلُ: «**إِنَّ مِنَ البَيَانِ لَسِحْرًا**»[3].

وَحَدِيثُهُ السِّحْرُ الحَلَالُ لَوَ انَّهُ ... لَمْ يَجْنِ قَتْلَ المُسْلِمِ المُتَحَرِّزِ[4]

تَلَاهُ فِي سُلَّمِ المَجْدِ البَيَانِيِّ، وقِمَّةِ الهَرَمِ الخَطَابِيِّ؛ خُلَفَاؤُهُ الرَّاشِدُونَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ - وَلَا تَسْأَلْ بَعْدَ ذٰلِكَ؛ فَـ«كُلُّ

---

(١) «مفلقين»: جمع مُفْلِقٍ، وهو الحاذق بالشيء الماهر به. «اللسان» (فلق).

(٢) وهو الكلام الفصيح الذي يَأْسِرُ سامعيه من عُمْقِ بيانه.

(٣) رواه أحمد (٢/ ١٦)، والبخاري (٥١٤٦)؛ من حديث ابن عمر، رضي الله عنهما.

(٤) البيت لعلي بن العباس الشهير بابن الرومي، انظر: ديوانه (٢/ ١٨٣)، و«الآداب الشرعية» لابن مفلح (٢/ ١٩٣)، (٣/ ٢٦١).



الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الفَرَا»[١] ؛ وَغَيْرُهُمْ مِن الصَّحْبِ الكِرَامِ مِمَّنْ لَهُ الخَطَابَةُ دَانَتْ، وَالأَلْفَاظُ طُوِّعَتْ وَلاَنَتْ.

وَمَعَ دُلُوفِ[٢] الخَطَابَةِ لِلْعَصْرَيْنِ الأُمَوِيِّ وَ العَبَّاسِيِّ، كَانَ لِزَامًا أَنْ تَرْتَقِيَ الخَطَابَةُ رُقِيًّا فَنِّيًّا جَلِيًّا، وَتَسْتَحْكِمَ أُصُولُهَا؛ حَيْثُ ظَهَرَتِ الفِرَقُ وَالأَهْوَاءُ، وَذَرَّ[٣] قَرْنُ الفِتَنِ، وَأُثِيرَ النَّقْعُ[٤]؛ فَانْبَرَىٰ كُلٌّ فِي الحِجَاجِ ـ بَلْ وَاللَّجَاجِ ـ لإِثْبَاتِ دَعْوَاهُ، وَالمُنَافَحَةِ[٥] عَنْ رَأْيِهِ وَهَوَاهُ، فَاصِمًا[٦] بِالخَطَابَةِ عُرَىٰ الائْتِلاَفِ، مُذْكِيًا أُوَارَ الفُرْقَةِ وَالخِلاَفِ[٧]، غَامِسًا يَدَهُ فِي السُّدَّةِ، دَاقًّا عِطْرَ مَنْشِم بَيْنَ الأَحِبَّةِ[٨].

وَهَكَذَا مَضَتِ الخَطَابَةُ فِي عَصْرِ السَّلَفِ تَشُقُّ طَرِيقَهَا فِي سَلاَسِلَ ذَهَبِيَّةٍ؛ حَيْثُ حَفِظَتْ لَهَا دَوَاوِيْنُهَا وَفْرًا مِنَ الخُطَبِ البَلِيْغَةِ، سَطَّرَتْ

---

(١) هذا مما يضرب مثلا، ويقال في الواحد الذي يقوم مقام كثيرين؛ لعظمه. انظر: «مجمع الأمثال» (٢/ ١٣٦).

(٢) دلوف: أي: مقاربة. «اللسان» (دلف).

(٣) أي: طلع وظهر. «القاموس» (ذرر).

(٤) أُثِيرَ، أي: أهيج، والنقع: الغبار، والمراد: غبار الفتن، يعني: أُوقِظَتِ الفتنُ، وَأَطَلَّتْ برأسها. انظر: «اللسان» (ثور) (نقع).

(٥) نافح منافحةً، أي: دافع وكافح. «النهاية» (نفح).

(٦) فاصمًا: اسم فاعل من «فَصَمَ الشيء»: إذا شَقَّهُ وَصَدَعَهُ. «النهاية» (فصم).

(٧) أي: مُشْعِلاً نارها، وملقيًا عليها ما يزداد به سعيرها. «اللسان» (ذكو) (أور).

(٨) تقول العرب في أمثالها: «دَقُّوا بينهم عِطْرَ منشِم» يضربونه للشيء المكروه. انظر: «مجمع الأمثال» (١/ ٣٨١).



مَجْدًا زَاهِيًا، وَشَرَفًا أَثِيلاً[1]؛ حَتَّىٰ إِذَا مَا انْحَصَرَ جِهَادُ اللِّسَانِ وَالسِّنَانِ، وَضَعُفَ سُلْطَانُ اللُّغَةِ وَالبَيَانِ، وَانْتَشَرَتِ العُجْمَةُ، وَفَشَا اللَّحْنُ ـ وَهَتْ عَزَمَاتُ الخَطَابَةِ، وَرَجَعَتِ القَهْقَرَىٰ؛ فَذَوَتْ زَهْرَتُهَا[2]، وَعرَّدَ بِذٰلِكَ نَجْمُهَا[3]، إِلاَّ لِمَامًا[4].

وَمَعَ حُلُولِ العَصْرِ الحَاضِرِ، وَانْتِشَارِ العُلُومِ وَالمَعَارِفِ فِي البَوَادِي وَالحَواضِرِ: أَصْبَحْنَا نَعِيشُ نَهْضَةً مَعْرِفِيَّةً مُذْهِلَةً، وَثَوْرَةً مَعْلُومَاتِيَّةً مُدْهِشَةً؛ مِمَّا أَفْرَزَ فُيُوضًا مِنَ الأَفْكَارِ وَالقَرَائِحِ، وَسُيُولاً مِن العُلُومِ وَالمَعَارِفِ، حَتَّى انْبَجَسَتْ أَنْوَاعٌ شَتَّىٰ مِنَ الخُطَبِ، وَتَعَدَّدَتْ إِلى اجْتِمَاعِيَّةٍ، وَعِلْمِيَّةٍ، وَسِيَاسِيَّةٍ، وأَدَبِيَّةٍ، وَقَضَائِيَّةٍ، وَثَقَافِيَّةٍ. . . إلخ، غَيْرَ أَنَّ لِلْخُطْبَةِ الشَّرْعِيَّةِ قِيْمَتَهَا السَّامِقَةَ، وَمَكَانَتَهَا اللاَّئِقَةَ؛ فَلَمْ تَقِفْ هَـٰذِهِ الأَنْوَاعُ أَمَامَهَا عَائِقَةً.

وَإِذَا كَانَ عَصْرُنَا هَـٰذا هُوَ عَصْرَ الإِعْلاَم بِشَتَّىٰ قَنَوَاتِهِ وَتِقَانَاتِهِ، وَسَائِرِ شَبَكَاتِهِ وَفَضَائِيَّاتِهِ، وَكُلُّهَا لاَ طَلِبَةَ لَهَا إِلاَّ الإِنْسَانُ، بَلْ وَلاَ هَدَفَ لَهَا إِلاَّ المُسْلِمُ وَالإِسْلاَمُ، وَهِيَ ـ وَالحَقُّ يُقَالُ ـ قَدْ تَكُونُ بِهِ أَفْتَكَ مِنَ

(١) يقال: شَرَفٌ أثيل، ومجد أثيل، أي: أصيلٌ قديم. «اللسان» (أثل).
(٢) ذَوَتْ زَهْرَتُهَا، أي: ذَبُلَتْ وضعفت. «اللسان» (ذوي).
(٣) عَرَّدَ النجمُ، أي: مال للغروب بعدما تكبَّد السماء، والمراد: غاب لمعانها، واختفى بريقها. انظر: «اللسان» و«القاموس» (عرد).
(٤) أي: إلاَّ غبًّا يسيرًا. «القاموس» (لمم).



العَدُوِّ المَاكِرِ، وَأَضْرَى[1] بِهِ مِنَ الوَحْشِ الكَاسِرِ.

وَالَّذِينَ يَقِفُونَ وَرَاءَهَا بِأَصَابِعِهِمُ الخَفِيَّةِ سَاقُوا الأُمَّةَ إِلَىٰ بُؤَرٍ مِنَ الانْحِطَاطِ، وَمَبَاءَاتٍ[2] مِنَ الانْحِرَافِ وَالفَسَادِ؛ حِيْنَ حَاوَلُوا تَمْزِيْقَ الوَشَائِجِ الإِيمَانِيَّةِ، وَطَمْسَ الهُوِيَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ، وَخَلْخَلَةَ البُنَى التَّحْتِيَّةِ، وَتَبْدِيدَ الأَوَاصِرِ الاجْتِمَاعِيَّةِ، وَتهَالَكُوا فِي سَبِيلِ ذَٰلِكَ كُلَّ مَهْلَكٍ، وَمَا لَهُمْ مِنْ مَطِيَّةٍ مَأْفُونَةٍ[3] إِلاَّ التَّقَدُّمِيَّةَ المَزْعُومَةَ، وَالمَدَنِيَّةَ المُزَيَّفَةَ، أَوْ دَعْوَى الحِوَارِ الحَضَارِيِّ، وَالعَوْلَمَةِ بِأَخَرَةٍ[4]، وَمَجَالُ القَوْلِ فِي ذَٰلِكَ وَاسِعٌ، وَلَٰكِنَّ الصَّدْرَ يَضِيقُ بِالحَوَابِسِ، وَاللهُ المُسْتَعَانُ!.

يُسَاقُ هَٰذَا القَوْلُ ـ يَارَعَاكُمُ اللهُ ـ لِيَعْلَمَ الخَطِيبُ جَلَلَ مُهِمَّتِهِ، وَعَظِيْمَ مَسْئُولِيَّتِهِ، حِيَالَ هَٰذَا الوَاقِعِ المُزْرِي، وَفِي خِضَمِّ هَٰذِهِ الظُّرُوفِ الحَنَادِسِ، وَالأَحْوَالِ الحَوَالِكِ؛ حَيْثُ لاَ يَكَادُ الغَيُورُ يَرَىٰ إِلاَّ وَمِيْضًا مِنْ نُورٍ، لاَ يَهْتَدِي بِهِ السَّارِي، وَلاَ يَلْمَحُهُ إِلاَّ مَنْ فَتَحَ عَلَيْهِ البَارِي، وَعَبْرَ هَٰذِهِ الأَمْوَاجِ المُتَلَاطِمَةِ، وَالأَجْوَاءِ الصَّاخِبَةِ: لاَ يَكَادُ يُسْمَعُ إِلاَّ صَوْتٌ أُسْبُوعِيٌّ

(١) أضرى به، أي: أشد ضراوة عليه. «القاموس» (ضري).
(٢) مباءات، أي: منازل ومواضع، واحدتها: مباءة. «اللسان» و«القاموس» (بوء).
(٣) مطية مأفونة، أي: حجة يركنون إليها، يعجبك ظاهرها ولا خير فيها، أي: أنها شبهة. انظر: «اللسان» (أفن).
(٤) يُقال: جاء أَخَرَةً وبأَخَرَةٍ ـ وقد تضم الهمزة فيهما ـ أي: جاء آخر كل شيء. «القاموس» (أخر).



يَعْلُو بِالحَقِّ، ذٰلِكُمْ هُوَ صَوْتُ «خَطِيبِ الجُمُعَةِ»!

أَيُّهَا القُرَّاءُ الأَكَارِمُ، إِنَّ جَوْهَرَ الخُطْبَةِ وَقِيمَتَهَا يَنْبَثِقُ مِنْ مَكَانَةِ الكَلِمَةِ فِي هَـٰذَا الدِّينِ، وَعِظَمِ مَنْزِلَتِهَا، وَبُعْدِ مَغْزَاهَا، وَعَظِيمِ مَرْمَاهَا؛ فَالكَلَامُ البَدِيعُ، وَالأُسْلُوبُ الرَّفِيعُ، وَاللَّفْظُ العَاطِرُ، وَالمَعْنَى الآسِرُ، وَالتَّرْكِيبُ الجَذَّابُ، وَالقَوْلُ المُنْسَابُ ـ يَأْخُذُ بِالأَلْبَابِ، وَيُؤَدِّي الأَثَرَ العُجَابَ؛ حَيْثُ يَهُزُّ القُلُوبَ هَزًّا، وَيَأْسِرُ الضَّمَائِرَ أَسْرًا؛ لِرَوْعَةِ مَوْرِدِهِ، وَصَفَاءِ مَصْدَرِهِ، ولله! كَمْ خُلِّدَتْ كَلِمَاتٌ عَلَىٰ مَرِّ الدُّهُورِ، وَكَرِّ العُصُورِ! وَكَمْ أُلْفِيَتِ الكَلِمَةُ فِي ضَعْفٍ وَفُتُورٍ؛ حَيْثُ لَمْ تُحَقِّقْ مَرْمَاهَا النَّبِيلَ، وَعَمَلَهَا الجَلِيْلَ، بَعْدَ إِزْهَارِهَا وَازْدِهَارِهَا!.

وَهُنَا يَأْتِي وَاجِبُ الخَطِيبِ فِي حُسْنِ الإِعْدَادِ، وَرَوْعَةِ الإِيْجَادِ، وَعَبَقِ الإِمْدَادِ، مُتَوِّجًا ذٰلِكَ بِحُسْنِ النِّيَّةِ، وَسَلَامَةِ الطَّوِيَّةِ؛ فَـ«الأُمُورُ بِمَقَاصِدِهَا»[1]، وَالنِّيَّةُ أَسَاسُ الصَّلَاحِ، وَعُنْوَانُ الفَلَاحِ، وَضَمَانَةُ النَّجَاحِ، بَعِيدًا عَنْ لُوْثَاتِ[2] الرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ، وَحُبِّ الظُّهُورِ و الجَرْيِ وَرَاءَ الشُّهْرَةِ، وَالسَّعْيِ وَرَاءَ التِفَافِ الجَمَاهِيرِ، فَإِذَا بَنَى الخَطِيبُ عَمَلَهُ

---

(١) هذه قاعدة من أهم القواعد الفقهية وأعمها، وهي من القواعد الخمس الكلية. انظر تفصيل القول عنها في: «الأشباه والنظائر» لابن نُجَيْمٍ (ص٢)، و«الأشباه والنظائر» للسيوطي (ص٨).

(٢) اللُّوثات: جمع لُوثة، وهي الحماقة وقلة العقل. «اللسان» (لوث).



عَلَىٰ صَرْحِ الإِخْلَاصِ، وُفِّقَ ـ بِإِذْنِ اللهِ ـ وَكُتِبَ لَهُ القَبُولُ وَالتَّأْثِيرُ.

ثُمَّ إِذَا أَرَادَ اخْتِيَارَ المَوْضُوعِ، فَلَا رَيْبَ أَنَّ المَوْضُوعَاتِ تَتَزَاحَمُ، وَالقَضَايَا تَنْهَمِرُ، وَرُبَّمَا حَصَلَ لِلْخَطِيبِ الاِحْتِيَارُ فِي كَيْفِيَّةِ الاِخْتِيَارِ، غَيْرَ أَنَّ المَوْضُوعَاتِ لَهَا أَوْلَوِيَّاتٌ، وَالخَطِيبُ المُوَفَّقُ مَنْ يُرَاعِي الأَهَمِّيَّاتِ فَالمُهِمَّاتِ، مُرَكِّزًا عَلَى التَّأْصِيلِ العَقَدِيِّ، وَالزَّادِ الإِيمَانِيِّ، بِمَا يَصِلُ العِبَادَ بِخَالِقِهِمْ فِي أُمُورِ عَقِيدَتِهِمْ، وَعِبَادَاتِهِمْ، وَمُعَامَلَاتِهِمْ، وَأَخْلَاقِهِمْ، وَسُلُوكِهِمْ، غَيْرَ مُنْبَتٍّ عَنْ قَضَايَا الأُمَّةِ الكُبْرَىٰ، مُذَكِّرًا بِأَحْوَالِ إِخْوَانِهِ فِي العَقِيدَةِ، عَامِدًا إِلَىٰ الاِنْحِرَافَاتِ المُتَفَشِّيَةِ فِي المُجْتَمَعِ؛ لِيَتَنَاوَلَهَا بِمِبْضَعِ[1] الإِصْلَاحِ.

فَمِنَ المُتَقَرِّرِ: أَنَّ الخَطِيبَ كَالطَّبِيبِ؛ يُشَخِّصُ أَدْوَاءَ المُجْتَمَعِ وَعِلَلَهُ، وَيَصِفُ الدَّوَاءَ النَّاجِعَ لَهَا بِحِكْمَةٍ وَاقْتِدَارٍ؛ وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِأَنَّهُ يَتَحَلَّىٰ بِقَلْبٍ نَابِضٍ، وَضَمِيرٍ حَيٍّ، وَفِكْرٍ نَيِّرٍ، وَإِحْسَاسٍ مُرْهَفٍ، وَلَا غَرْوَ أَنْ تَكُونَ خُطْبَتُهُ حِينَذَاكَ حَدِيثَ الأُسْبُوعِ كُلِّهِ، وَنَبْضَ المُجْتَمَعِ بِكَافَّةِ فِئَاتِهِ، وَالخَطِيبُ الحَاذِقُ المُتَأَلِّقُ: هُوَ ذٰلِكَ الرَّجُلُ الَّذِي يَعْرِفُ قَدْرَهُ وَمَكَانَتَهُ، وَيُقَدِّرُ مَسْئُولِيَّتَهُ وَأَمَانَتَهُ، يَعِيشُ أَحْوَالَ النَّاسِ، وَيَشْعُرُ شُعُورَهُمْ، فَيُشَاطِرُهُمْ آمَالَهُمْ وَآلَامَهُمْ، فَلَا يَعِيشُ فِي وَادٍ وَالمُجْتَمَعُ فِي وَادٍ آخَرَ، بَلْ يَعْرِضُ القَضَايَا الحَيَّةَ، وَالمَوْضُوعَاتِ المُهِمَّةَ، يَتَحَرَّىٰ حُسْنَ اخْتِيَارِ المَوْضُوعَاتِ، وَيُنَوِّعُ فِي طَرْحِهَا، وَيَبْتَكِرُ فِي عَرْضِهَا؛

---

(١) المِبْضَع: المِشْرَط، وهو ما يُبْضَعُ به العِرْقُ والأديم. «اللسان» (بضع).



بَعِيدًا عَنِ الرُّتُوبِ[1] وَالتَّكْرَارِ مَا أَمْكَنَ.

وَبَعْدَ أَنْ يُعَيِّنَ المَوْضُوعَ، وَيُنْشِيءَ المَادَّةَ، وَيُجِيدَ التَّحْضِيرَ، فِي هِمَّةٍ عَالِيَةٍ، وَنَفْسٍ زَاكِيَةٍ، وَرُوحٍ مُشْرِقَةٍ، وَنَشَاطٍ مُتَجَدِّدٍ؛ بِحَيْثُ يَعِيشُ مَوْضُوعَهُ، وَيَتَفَاعَلُ مَعَهُ؛ لِيَتَحَقَّقَ النَّفْعُ مِنْهُ ـ بِإِذْنِ اللهِ ـ: عَلَيْهِ أَنْ يُتْقِنَ فَنَّ الإِلْقَاءِ، وَجَمَالَ الأَدَاءِ، وَجَوْدَةَ الأُسْلُوبِ، وَانْتِقَاءَ الأَلْفَاظِ الوَاضِحَةِ، مُقَسِّمًا خُطْبَتَهُ إِلَىٰ مُقَدِّمَةٍ مُوَشَّحَةٍ بِحَمْدِ اللهِ، وَتَعْظِيمِهِ، وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ؛ فَالخُطْبَةُ الَّتِي لا تُسْتَفْتَحُ بِالتَّحْمِيدِ، وَلاَ تُبْتَدَأُ بِالتَّمْجِيْدِ ـ فَهِيَ بَتْرَاءُ[2]، وَالَّتِي تُعَرَّىٰ مِنَ النُّصُوصِ وَالآثَارِ، وَلاَ تُزَيَّنُ بِالصَّلاَةِ وَالسَّلاَمِ عَلَى المُصْطَفَى المُخْتَارِ ـ فَهِيَ شَوْهَاءُ[3].

ثُمَّ لِيُحْسِنِ الخَطِيبُ المَدْخَلَ لِلْمَوْضُوعِ، وَمَا يُعْرَفُ عِنْدَ أَهْلِ الاِخْتِصَاصِ: بِبَرَاعَةِ الاِسْتِهْلاَلِ[4]، فَمَوْضِعُهُ مِنَ الخُطْبَةِ كَمَوْضِعِ الإِعْجَامِ مِنَ الكِتَابِ، فَالمُعْجَمُ تَحْدِجُهُ[5] العُيُونُ، وَتَمِيلُ إِلَيْهِ النُّفُوسُ؛ كَذَلِكُمُ المُقَدِّمَةُ إِذَا كَانَتْ جَزْلَةَ العِبَارَاتِ، شَيِّقَةَ الأَلْفَاظِ وَالكَلِمَاتِ،

---

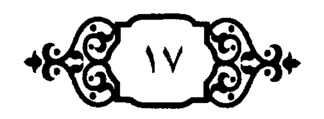
(١) يقال: رَتَبَ الشيءُ يَرْتُبُ رتوبًا: إذا ثَبَتَ ولم يتحرَّك، وعيشٌ راتبٌ: ثابت دائمٌ. «اللسان» (رتب).

(٢) البتراء: أي: التي انقطع من الخير أثرها. «اللسان» (بتر).

(٣) الشوهاء، أي: القبيحة، أو المشئومة التي لا خير فيها. انظر: «اللسان» (شوه).

(٤) انظر: «الإيضاح» للخطيب القزويني (٤٣٩-٤٤٢).

(٥) حدَجه ببصره يَحْدِجُهُ: إذَا أَحَدَّ النَّظَر إليه. «اللسان» (حدج).



فَائِقَةَ التَّحْبِيرِ، مُتَأَنِّقَةَ التَّعْبِيرِ، تَصْدُرُ عَنْ مَعَانٍ سَامِيَةٍ، وَتَرَاكِيبَ عَالِيَةٍ؛ حِينَذَاكَ: سَيَنْجَفِلُ إِلَيْهَا المُسْتَمِعُونَ[(١)]، وَيَنْخَزِلُ إِلَيْهَا السَّامِعُونَ[(٢)]؛ لأَنَّهُمْ وَجَدُوا عِنْدَ هَـٰذَا الخطِيبِ ضَالَّتَهُمْ؛ فَتَحْيَا نُفُوسُهُمْ، وَتَزْكُو ضَمَائِرُهُمْ[(٣)]، يَنْتَقِلُونَ مَعَهُ فِي رِيَاضٍ زَاهِرَةٍ، وَحَدَائِقَ غَنَّاءٍ، تُجَدِّدُ الصَّفَاءَ، وَتَبْعَثُ الهَنَاءَ، وَفِي هَـٰذَا يُعَبِّرُ دَهَاقِنَةُ[(٤)] هَـٰذَا الفَنِّ، فَيَقُولُونَ نَظْمًا:

وَيَنْبَغِي لِصَاحِبِ الكَلَامِ ... تَأَنُّقٌ فِي البَدْءِ وَالخِتَامِ

ثُمَّ بَعْدَ المُقَدِّمَةِ: تَتَفَجَّرُ قَرِيحَةُ الخَطِيبِ بِمَوْضُوعِهِ، وَتَتَجَلَّىٰ مَلَكَتُهُ فِي إِعْدَادِهِ، رَاسِمًا مَلَامِحَهُ، مُرَتِّبًا عَنَاصِرَهُ؛ لِيَخْرُجَ فِي حُلَّةٍ قَشِيبَةٍ[(٥)]، مُتَمَاسِكَ الفِقْرَاتِ، مُتَرَابِطَ المُفْرَدَاتِ وَالتَّرْكِيبَاتِ، عَامِدًا إِلَى الوُضُوحِ وَالإِيضَاحِ، بَعِيدًا عَنِ الإِغْلَاقِ وَالابْتِجَاحِ[(٦)]؛ لِتَكُونَ المَعَانِي جَهِيرَةً، خَالِيَةً مِنَ الرَّمْزِ، وعُسْرِ الفَهْمِ، يُعَزِّزُهَا جُمَلٌ تَدَفَّقَتْ فِي سَلَامَةٍ وَرِقَّةٍ؛

(١) سينجفل إليها المستمعون، أي: سيذهبون مسرعين نحوها. «اللسان» (جفل).
(٢) أي: ينقطعون إليها؛ تقول: خزلته فانخزل، أي: قطعته فانقطع. «النهاية» و«اللسان» (خزل).
(٣) تزكو ضمائرهم، أي: تَصْلُحُ وَتَطْهر. «تاج العروس» (زكو).
(٤) الدَّهَاقِنَة: جمع دِهْقَان، وهو: القوي على التصرف. «اللسان» (دهقن).
(٥) قشيبة، أي: جديدة. «اللسان» (قشب).
(٦) ابتَجَحَ ابتجاحًا، أي: افتخر وتباهى. «تاج العروس» (بجح)، والمراد: أن يبتعد عن الإغلاق في العبارة، فضلاً عن الفخر به والتباهي.



لِتُضْحِيَ الشَّهْدَ التِّرْيَاقَ عَلَىٰ قَلْبِ المُتَلَقِّي، وَالغَيْثَ الرَّقْرَاقَ فِي نَفْسِ السَّامِـعِ؛ فَتَشُدَّ الأَذْهَانَ بِحُسْنِ العَرْضِ، وَتَهُزَّ الوِجْدَانَ بِجَمِيلِ اللَّفْظِ.

وَلَا بَأْسَ بِالسَّجْعِ مَا لَمْ يَكُنْ مُتَكَلَّفًا؛ فَتَشْرَئِبُّ أَعْنَاقُ المُسْتَمِعِينَ[1] إِلَىٰ ذٰلِكَ الخَطِيبِ المُلْهَمِ، وَتَتَطَلَّعُ إِلَيْهِ هِمَمُهُمْ، وَيَنْتَظِرُونَ رُؤْيَةَ مُحَيَّاهُ كُلَّ أُسْبُوعٍ. وَوَاللهِ! كَمْ فَعَلَتِ الخُطَبُ البَلِيغَةُ فِي قُلُوبٍ فَأَحْيَتْهَا، وَفِي نُفُوسٍ فَزَكَّتْهَا! لأَنَّ وَقْعَ الكَلِمِ الطَّيِّبِ عَلَى النُّفُوسِ أَخَّاذٌ مُبْهِرٌ؛ فَلْتَحْرِصْ أَخِي الخَطِيبَ ـ يَارَعَاكَ اللهُ ـ عَلَى النَّفْعِ وَالتَّأْثِيرِ بِأَنْصَعِ العِبَارَاتِ، وَأَوْجَزِ الكَلِمَاتِ، دُونَ إِمْلَالٍ وَلاَ إِثْقَالٍ؛ وَقَدْ قَالَ الحَبِيبُ المُصْطَفَىٰ ﷺ: **«إِنَّ طُولَ صَلاَةِ الرَّجُلِ، وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ ـ مَئِنَّةٌ[2] مِنْ فِقْهِهِ»**[3]؛ غَيْرَ أَنَّ ذٰلِكَ أَمْرٌ نِسْبِيٌّ، وَضَابِطُهُ نَهْجُ السُّنَّةِ، مَعَ تَحْقِيقِ المَصْلَحَةِ الشَّرْعِيَّةِ، وَهُوَ مَا يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الأَزْمِنَةِ وَالأَمْكِنَةِ، وَالأَحْوَالِ وَالأَشْخَاصِ.

---

(١) تشرئبُّ الأعناقُ إلى الشيء، أي: تمتدُّ وترتفع؛ لتنظر إليه، ويقال لكل رافع رأسه: مشرئبّ. «اللسان» (شرب).

(٢) قال في «القاموس» مادة (مأن): «والمَئِنَّةُ في الحديث: العَلاَمَة، أو مَفْعِلَةٌ من «إنَّ»؛ كـ«مَعْسَاة» من «عَسَىٰ» أي: مَخْلَقَةٌ وَمَجْدَرَةٌ أن يقال فيه: إنه كذا وكذا»، وفي «النهاية» لابن الأثير: «أي: إنَّ ذٰلك مما يُعْرَفُ به فقه الرجل». «النهاية في غريب الحديث والأثر» (مأن).

(٣) رواه أحمد (٤/ ٢٦٣)، ومسلم (٨٦٩)؛ من حديث عمار بن ياسر، رضي الله عنهما.



وَقَدْ قَالَ بَعْضُ النُّظَّامُ، فِي الْكَلامِ التَّمَامِ:

إِنْ طَالَ لَمْ يُمْلَلْ وَإِنْ أَوْجَزْتَهُ   وَدَّ المُحَدَّثُ أَنَّهُ لَمْ يُوجِزِ![1]

وَخَيْرُ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ فَقَدْ كَانَ نَهْجُهُ فِي الخُطْبَةِ أَكْمَلَ نَهْجٍ وَأَتَمَّهُ وَأَوْفَاهُ؛ يَقُولُ ابنُ القَيِّمِ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ فِي ذٰلِكَ: «كَانَ إِذَا خَطَبَ، احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ، وَعَلَا صَوْتُهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ، حَتَّىٰ كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ؛ يَقُولُ: صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ... يَحْمَدُ اللهَ، وَيُثْنِي عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ... وَكَانَ يَقُولُ فِي خُطْبَتِهِ ـ بَعْدَ التَّحْمِيدِ، وَالثَّنَاءِ، وَالتَّشَهُّدِ ـ: «أَمَّا بَعْدُ».

وَكَانَ يَقْصُرُ الخُطْبَةَ، وَيُطِيلُ الصَّلاةَ، وَيُكْثِرُ الذِّكْرَ، وَيَقْصِدُ الكَلِمَاتِ الجَوَامِعَ... وَكَانَ يُعَلِّمُ أَصْحَابَهُ فِي خُطْبَتِهِ قَوَاعِدَ الإِسْلَامِ وَشَرَائِعَهُ، وَيَأْمُرُهُمْ وَيَنْهَاهُمْ فِي خُطْبَتِهِ إِذَا عَرَضَ لَهُ أَمْرٌ أَوْ نَهْيٌ... وَكَانَ يَأْمُرُهُمْ بِمُقْتَضَى الحَالِ فِي خُطْبَتِهِ؛ فَإِذَا رَأَىٰ مِنْهُمْ ذَا فَاقَةٍ وَحَاجَةٍ، أَمَرَهُمْ بِالصَّدَقَةِ، وَحَضَّهُمْ عَلَيْهَا...» إِلَىٰ آخرِ كَلَامِهِ، رَحِمَهُ اللهُ[2].

وَلْتَجْتَهِدْ ـ أَخِي الخَطِيبَ المُوَفَّقَ ـ بِأَنْ تَكُونَ مُتَّسِمًا بِصَلَاحِ القُدْوَةِ، وَحُسْنِ الأُسْوَةِ؛ فَاحْذَرْ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ عُنِيَ بِقَوْلِ الأَوَّلِ:

---

(١) البيت لعلي بن العباس، الشهير بابن الرومي. انظر: «ديوانه» (٢/ ١٨٣)، و«الآداب الشرعية» لابن مفلح (٢/ ١٩٣)، (٣/ ٢٦١).

(٢) انظر: «زاد المعاد» (١/ ٤٢٥ـ٤٢٨).



وَغَيرُ تَقِيٍّ يَأْمُرُ النَّاسَ بِالتُّقَىٰ   طَبِيبٌ يُدَاوِي النَّاسَ وَهْوَ سَقِيمُ![1]

أَوْ بِقَوْلِ أَبِي الأَسْوَدِ الدُّؤَلِيِّ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ:

لاَ تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِيَ مِثْلَهُ   عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ![2]

وَأَبْلَغُ مِنْ ذَلِكَ: قَوْلُ الْحَقِّ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [البقرة]، وَقَوْلُهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الصف].

ولْتُطَهِّرْ هَذَا المَكَانَ المُبَارَكَ مِنْ كُلِّ مَا يُسِيءُ وَلاَ يَسُرُّ، وَلاَ يَنْفَعُ بَلْ يَضُرُّ، فَالمِنْبَرُ لَهُ سَمْتُهُ الإِسْلاَمِيُّ، وَقَدْرُهُ الشَّرْعِيُّ؛ فَحَذَارِ أَنْ يُسْتَدْرَجَ لِغَرَضٍ شَخْصِيٍّ، أَوْ لِثَأْرٍ نَفْسِيٍّ، أَوْ لِهَدَفٍ دُنْيَوِيٍّ، أَوْ لِتَجْرِيحِ ضِدَّ أَحَدٍ، وَقَدْ كَانَ ﷺ يَسِيرُ عَلَىٰ نَهْجِ: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ؟!»[3]؛ فَهِيَ سَنَنٌ لاَحِبٌ[4]؛ وَهَدْيٌ وَاجِبٌ، وَكَوْكَبٌ ثَاقِبٌ، فِي سَمَاءِ الخَطَابَةِ الشَّرْعِيَّةِ، وَ«فِي التَّلْمِيحِ مَا يُغْنِي عَنِ التَّصْرِيحِ»[5]، وَ«فِي الإِشَارَةِ مَا يَكْفِي عَنْ كَثِيرِ

---

(١) البيت ذكره ابن رجب في «لطائف المعارف» (ص٥٣، ١٥٦).

(٢) البيت من قصيدة له مشهورة. انظرها في «خزانة الأدب» (٨/ ٥٦٧).

(٣) جاء ذلك في أحاديث كثيرة، منها ما رواه البخاري (٧٥٠)، ومسلم (١٤٠١).

(٤) السَّنَنُ اللاحبُ: الطريق الواضح المنقاد الذي لا ينقطع. «اللسان» (لحب).

(٥) هذا من أمثالهم. انظر: «موسوعة أمثال العرب» (٤/ ٤٧٤)، وهو فيها بلفظ: «في التعريض مندوحة عن التصريح»، وهما بمعنًى.



العِبَارَةِ»، وَمُصَارَحَةُ النَّاسِ بِالأَخْطَاءِ، وَمُهَاجَمَتُهُمْ بِالآرَاءِ، قَدْ تُسَبِّبُ النُّفُورَ وَالإِبْطَاءَ؛ فَالحِكْمَةُ فِي الأُسْلُوبِ غَيْرِ المُبَاشِرِ، وَتَصْحِيحِ المُخَالَفَةِ بِعَرْضٍ هَادِيءٍ هَادِفٍ، دُونَ تَوَتُّرٍ وَلاَ انْفِعَالٍ، وَقَدْ قَالَ ﷺ: «**مَن يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الخَيْرَ كُلَّهُ**»[1].

وَقَدْ سَمَّى اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ الخُطْبَةَ ذِكْرًا؛ فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[الجمعة: ٩]، وَشَتَّانَ بَيْنَ الذِّكْرِ وَسُوءِ الذِّكْرِ!

وَإِنَّكَ لَتَعْجَبُ مِمَّنْ أَغْفَلُوا ذٰلِكَ؛ فَجَعَلُوا المَنَابِرَ مَطَايَا لِكُلِّ كَلاَمٍ، بِدُونِ زِمَامٍ وَلاَ خِطَامٍ! وَكَمْ كَانَ لِهَـٰذِهِ الأَسَالِيبِ مِنْ دَوْرٍ فِي تَرَاجُعِ أَدَاءِ المِنْبَرِ لِمُهِمَّتِهِ السَّامِيَةِ؛ فَاللهُ المُسْتَعَانُ!

كَمَا يَنْبَغِي لِلْخَطِيبِ أَنْ يُرَاعِيَ أَحْكَامَ الخُطْبَةِ الفِقْهِيَّةَ، وَيَحْذَرَ مِنَ الشُّذُوذِ فِي المَسَائِلِ العِلْمِيَّةِ، مُحَدِّثًا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ حَتَّىٰ لاَ يُكَذَّبَ اللهُ وَرَسُولُهُ؛ كَمَا فِي الأَثَرِ عَنْ عَلِيٍّ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ[2] فِي نَأْيٍ عَنْ مَسَالِكِ الإِثَارَةِ وَالتَّهْوِيشِ[3] عَلَى العَامَّةِ، وَفِي أَثَرِ ابنِ مَسْعُودٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ: «**مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لاَ تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ، إِلاَّ كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةً**»[4]،

---

(١) رواه أحمد (٤/ ٣٦٢)، ومسلم (٢٥٩٢)، وأبوداود (٤٨٠٩)؛ من حديث جرير بن عبدالله، رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (١٢٧).

(٣) التَّهويش هو التخليط. انظر: «اللسان» و«القاموس» مادة (شوش) و(هوش).

(٤) رواه مسلم في مقدِّمة صحيحه (١/ ١١).

مُجْتَهِدًا فِي تَطْبِيقِ السُّنَّةِ، مُحَاذِرًا البِدْعَةَ، مُتَّسِمًا بِعُمْقِ النَّظَرِ، وَبُعْدِ الأُفُقِ فِيمَا فِيهِ سَعَةٌ وَمَنْدُوحَةٌ، لاَ يُبَادِرُ إِلَىٰ إِصْدَارِ الأَحْكَامِ عَلَى النَّاسِ جُزَافًا، يَصُونُ لِسَانَهُ، وَيَحْفَظُ أَعْرَاضَ إِخْوَانِهِ؛ فَلاَ يَرْمِي أَحَدَهُمْ بِالتَّبْدِيعِ وَالتَّفْسِيقِ؛ بِمُجَرَّدِ الخِلاَفِ فِي مَسْأَلَةٍ عِلْمِيَّةٍ، أَوْ فُرُوعٍ فِقْهِيَّةٍ، أَو وَسَائِلَ اجْتِهَادِيَّةٍ؛ جَاعِلاً مِنْ مَقَاصِدِ الشَّرِيعَةِ، وَقَوَاعِدِ الفِقْهِ، نِبْرَاسًا يَسِيرُ عَلَيْهِ، وَيَدْعُو إِلَيْهِ؛ حَرِيصًا عَلَىٰ تَأْلِيفِ القُلُوبِ، وَجَمْعِ الكَلِمَةِ، وَوَحْدَةِ الصَّفِّ؛ حَتَّىٰ لاَ يَكُونَ سَبَبًا فِي خَرْقِ النَّسِيجِ الوَحْدَوِيِّ المُتَمَيِّزِ لِلْمُجْتَمَعِ الإِسْلاَمِيِّ.

وَمِمَّا لاَرَيْبَ فِيهِ: أَنَّ الفُهُومَ تَخْتَلِفُ، وَ العُقُولَ تَتَبَايَنُ، وَالقَرَائِحَ تَتَجَارَىٰ، وَالأَفْكَارَ تَتَبَارَىٰ، وَقَدِيمًا قَالَ النَّاسُ: «لِكُلِّ إِمَامٍ خُطْبَةٌ».

وَقَدْ أَحْسَنَ مَنْ قَالَ:

لقَدْ عَلِمَ الحَيُّ اليَمَانُونَ أَنَّنِي ... إِذَا قُلْتُ أَمَّا بَعْدُ أَنِّي خَطِيبُهَا[1]

فَاللهَ اللهَ فِي تَحْقِيقِ الخَطِيبِ صِفَاتِهِ الاِكْتِسَابِيَّةَ، مَعَ تَنْمِيَةِ مَلَكَاتِهِ الجِبِلِّيَّةِ، وَمَوَاهِبِهِ الخِلْقِيَّةِ؛ فَإِنَّهَا لاَ تَتَفَتَّقُ إِلاَّ بِالمُيُولِ وَالإِرْشَادِ، وَالتَّنْمِيَةِ وَالإِرْفَادِ، يُتَرْجِمُهَا لِسَانٌ مُبِينٌ، وَقَوْلٌ مَكِينٌ، وَعَقْلٌ مَتِينٌ، وَنَفْسٌ طَمُوحَةٌ، وَهِمَّةٌ لاَ تَخْبُو، وَعَزِيْمَةٌ لاَ تَنْبُو[2]؛ يَجُوزَانِ بِصَاحِبِهِمَا

---

(١) البيت لسحبان وائل، ويروى بفتح همزة «أنَّ» وكسرها في قوله: «أنى خطيبها»، انظر: «خزانة الأدب» (١٠/ ٣٦٩، ٣٧٢)، (١١/ ٣٧).

(٢) أي: لا تَكِلُّ؛ يقال: نبا السيفُ يَنْبُو نَبْوًا: كَلَّ. «اللسان» (نبو).

الجَوْزَاءَ، وَيَبْلُغَانِ بِهِ الثُّرَيَّا فِي السَّمَاءِ! وَكَمْ مِنْ خَطِيبٍ مَغْمُورٍ بَزَّ أَقْرَانَهُ لَمَّا عَبَّ مِنَ التَّحْصِيلِ عَبًّا.

وَالخَطَابَةُ لَنْ تُعْطِيكَ القِيَادَ، حَتَّىٰ تَأْخُذَ مِنْكَ النَّصَبَ وَالسُّهَادَ، ذَاكَ لِمَنْ رَامَ خُطَبًا بَرَّاقَةً، لِنُفُوسٍ إِلَيْهَا تَوَّاقَةٍ، فَبُورِكَ فِي خَطِيبٍ نَمَّىٰ قُدُرَاتِهِ، وَعَضَدَ مَلَكَاتِهِ، تَحْصِيلاً وَتَأْصِيلاً، عَبْرَ الاطِّلَاعِ؛ حَتَّىٰ يَتَوَفَّرَ عَلَىٰ خُطَبٍ مُشْرِقَةِ الدِّيبَاجَةِ، سَلِسَةِ المَعَانِي، جَزْلَةِ الأُسْلُوبِ.

وَأَهَمُّ زَادٍ فِي ذَٰلِكَ: زَادُ القُرْآنِ وَتَفْسِيرِه، وَالسُّنَّةِ وَعُلُومِهَا، وَاللُّغَةِ وَبَلَاغَتِهَا، فَفِيهَا مَا يَنْقَعُ الغُلَّةَ[١]، وَيَكْفِي النَّهْمَةَ، وَيَذْرَبُ[٢] بِهِ اللِّسَانُ، وَيَقْوَى بِهِ الجَنَانُ؛ فَإِنَّهَا إِذَا تَدَرَّبَتْ ذَلِقَتْ[٣]، وَإِذَا سَكَنَتْ خَارَتْ.

وَقُصَارَىٰ القَوْلِ فِي ذَٰلِكَ: أَن يَسِيحَ الخَطِيبُ بِنَظَرِهِ، وَيَجُولَ بِفِكْرِهِ، فِي شَتَّى العُلُومِ الَّتِي تُسْنِدُهُ، وَيَتَخَيَّرَ أَهَمَّ مَا أُلِّفَ فِيهَا مُرَكِّزًا عَلَىٰ ما سَطَّرَتْهُ يَرَاعُ[٤] أَئِمَّةِ السَّلَفِ، وَكِبَارِ المُحَقِّقِينَ، وَلْيَكُنْ لَهُ مُطَالَعَاتٌ فِي تَحْقِيقَاتِ شَيْخِ الإِسْلَامِ ابنِ تَيْمِيَّةَ، وَتِلْمِيذِهِ العَلَّامَةِ ابنِ القَيِّمِ، وَأَئِمَّةِ الدَّعْوَةِ، رَحِمَهُمُ اللهُ جَمِيعًا!

---

(١) الغُلَّة: شدة العطش، وَيَنْقَعُ الغُلَّة، أي: يُذْهِبُهَا ويسكِّنها. «اللسان» (غلل) (نقع).

(٢) يقال: ذَربَ فلانٌ، أي: فَصُحَ لسانُهُ بعد حَصَرٍ، فهو ذَرِبٌ. «اللسان» (ذرب).

(٣) ذَلِقَتِ الألسنةُ: صارت فصيحة طلقة. انظر: «اللسان» (ذلق).

(٤) اليَرَاع: الأقلام، واحدتها: يَرَاعَة. «تاج العروس» (يرع).



وَلَا يَتَفَوَّقُ العَمَلُ وَلاَ يَزْكُو إِلاَّ إِذَا كَانَ لَحْمَتُهُ وَسَدَاهُ النَّهَلَ مِنْ مَعِينِ السَّلَفِ الصَّالِحِ ـ رَحِمَهُمُ اللهُ ـ وَالخَطِيبُ الَّذِي لَمْ يَتَوَشَّحْ بِذٰلِكَ، سَيَفْتَقِدُ كَثِيرًا مِنْ وَضَاءَةِ الْمَنْهَجِ، وَشَفَافِيَةِ الرُّؤْيَةِ.

فَللهِ دَرُّ الخَطِيبِ الَّذِي قَدَّرَ مَنْزِلَتَهُ، وَاحْتَرَمَ مُسْتَمِعِيهِ! تَجِدُهُ مَأْسُورًا بِمَا يَدْعُو إِلَيْهِ، مَأْخُوذًا بِمَا يَتَحَدَّثُ عَنْهُ، الخُطْبَةُ بِرُوحِهِ امْتَزَجَتْ، وَمِنْ صَمِيمِ قَلْبِهِ تَصَعَّدَتْ وَانْزَلَجَتْ[1]؛ وَسَاعَتَئِذٍ: سَيُسِيلُ بِكَلِمَاتِهِ صَوْبًا مِنَ العَبَرَاتِ، وَسَيُفَجِّرُ بِعِبَارَاتِهِ سِيبًا[2] مِنَ الحُرُقَاتِ، يَهُزُّ بِالمَوَاعِظِ قُلُوبَ الغَافِلِينَ فَتَتَّئِدُ[3]، وَيَدُكُّ بِالزَّوَاجِرِ فَرَائِصَ[4] المُعْرِضِينَ فَتَرْتَعِدُ، يَقُصُّ خَبَرًا، وَيَسْتَخْرِجُ عِبَرًا، وَيَتْرُكُ أَثَرًا، مُقْتَفِيًا أَثَرَ النُّبُوَّةِ، وَ«**العُلَمَاءُ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ**»[5].

وَلْيَجْتَهِدْ فِي انْتِشَالِ غَرْقَى اللُّوْثَاتِ العَقَدِيَّةِ، وَصَرْعَى المُخَالَفَاتِ

---

(١) تصعَّدت وانزلجت، أي: صعدت وخرجت من صميم قلبه إلى فيه مسرعةً. «اللسان» (زلج).

(٢) السِّيب ـ بكسر السين ـ: مجرى الماء، وجمعه: سيوب. «اللسان» (سيب)، والمعنى: سيفجّر بِعِبَارَاتِهِ سيلاً متدفِّقًا من الحُرُقَات.

(٣) تَتَّئِدُ، أي: تتمهَّل وتتأنَّى. «اللسان» (وأد).

(٤) الفرائص: جمع فَرِيصَةٍ، وهي اللحمة بين الجَنْبِ والكتف، وفي الإنسان فريصتان ترتعدان عند الفزع. «اللسان» (فرص).

(٥) جزء من حديث رواه أبوداود (٣٦٤١، ٣٦٤٢)، والترمذي (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣)، وابن عبدالبر في «جامع بيان العلم» (١٦٩)؛ من حديث أبي الدرداء، رضي الله عنه.

الاِجْتِمَاعِيَّةِ، وَالأَخْلاَقِيَّةِ، فَيَسْمُو بِأَفْعَالِهِمْ إِلَىٰ رِحَابِ الطَّاعَةِ، وَدَوْحَةِ الإِيْمَانِ.

وَلْيُعِفَّ لِسَانَهُ عَنْ عِلْمٍ لاَ يُحْسِنُهُ، وَفَنٍّ لاَ يُتْقِنُهُ، وَقَضَايَا لاَ يُحْسِنُ الخَوْضَ فِيهَا، وَلاَ يَمُنَّ وَلاَ يَضِنَّ[1]؛ فَمَا جَاءَ المُصَلُّونَ إِلَى المَسْجِدِ إِلاَّ حُبًّا فِي الخَيْرِ، وَرَغْبَةً فِي الثَّوَابِ، فَلْيُرَاقِبِ اللهَ فِيهِمْ، وَلْيَبْتَغِ رِضَاهُ سُبْحَانَهُ؛ وَإِلاَّ فَـ«رِضَا النَّاسِ غَايَةٌ لاَ تُدْرَكُ»[2]؛ لَـٰكِنَّهَا لاَ تُتْرَكُ؛ وَضَابِطُهَا: قَوْلُهُ ﷺ: «**مَنْ أَرْضَى اللهَ بِسَخَطِ النَّاسِ، كَفَاهُ اللهُ النَّاسَ، وَمَنْ أَسْخَطَ اللهَ بِرِضَا النَّاسِ، وَكَلَهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ**»[3].

تِلْكَ هِيَ أَهَمُّ الوَصَايَا الَّتِي يَنْبَغِي الأَخْذُ بِهَا، وَإِنِّي لأُقْسِمُ بِاللهِ، غَيْرَ حَانِثٍ - إِنْ شَاءَ اللهُ - أَنَّهُ لَوِ الْتَزَمَهَا خُطَبَاءُ العَصْرِ، لأَصْبَحَ الحَالُ أَفْضَلَ مِنَ الوَاقِعِ، وَالمُسْتَقْبَلُ خَيْرًا مِنَ الحَاضِرِ، وَمَعَ كَثْرَةِ الصَّوَارِفِ، وَوَسَائِلِ التَّعْلِيمِ، وَقَنَوَاتِ التَّوْجِيهِ - فَإِنَّ لِلْمِنْبَرِ مَكَانَتَهُ وَخُصُوصِيَّتَهُ، وَأَثَرَهُ البَلِيغَ فِي الدَّعْوَةِ وَالتَّوْجِيهِ، وَإِنَّهُ مَهْمَا بَلَغَتْ تِلْكَ الوَسَائِلُ المُخَالِفَةُ مِنْ مُحَارَبَةٍ

---

(١) لا يَمُنُّ، أي: لا يَمُنُّ بما قال ويعتدُّ به، ولا يَضِنُّ، أي: لا يبخل فيكتم عن الناس الحق. «اللسان» (منن) (ضنن).

(٢) هذا من أمثال العرب، وهو من بليغ كلام أَكْثَمَ بْنِ صَيْفِيٍّ. انظر: «مجمع الأمثال» (١/ ٣٠١).

(٣) رواه عبد بن حميد (١٥٢٤)، والترمذي (٢٤١٤)، وابن حبان (٢٧٦، ٢٧٧)؛ من حديث عائشة، رضي الله عنها.



لِلْفَضَائِلِ، وَنَشْرٍ لِلرَّذَائِلِ، ومُجَاهَرَةٍ بالفَضَائِحِ، وَإِعْلانٍ لِلْقَبَائِحِ - فَسَيَظَلُّ لِمِنْبَرِ الجُمُعَةِ كَلِمَتُهُ المَشْهُوْدَةُ، وَقَوْلَتُهُ الفَاصِلَةُ، وَلَيْسَ هُنَاكَ مِنْ مِنْبَرٍ دَعَوِيٍّ يُوْجِبُ عَلَى النَّاسِ أَنْ يُنْصِتُوا فَلاَ يَلْغَوْا، إِلاَّ هُوَ، وَذَلِكَ - لَعَمْرُ الحَقِّ! - غَايَةُ التَّشْرِيفِ، مَعَ غَايَةِ التَّكْلِيفِ، وَإِذَا كَانَ هَـٰذَا هُوَ الشَّأْن فِي أَيِّ مِنْبَرٍ، فَمَا بَالُكُمْ بِأَعْظَمِ مِنْبَرٍ إِسْلاَمِيٍّ؟! فَاللَّهُمَّ، سَدِّدْ وَأَعِنْ، يَا كَرِيمُ!!

كَمَا لاَ يَفُوتُ تَنْبِيهُ السَّامِعِ لِلْخُطْبَةِ إِلَى مُرَاعَاةِ آدَابِ التَّلَقِّي، وَحَمْلِهِ الكَلاَمَ عَلَىٰ أَحْسَنِ الْمَحَامِلِ، وَأَخْذِهِ مَأْخَذَ الْمُسْتَفِيدِ؛ فَالْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ، وَلْيَحْذَرْ مِنْ إِعْمَالِ هَوَاهُ، وَالخَوْضِ فِي قَصْدِ الخَطِيبِ، وَتَحْمِيلِ كَلاَمِهِ مَا لاَ يَحْتَمِلُ، وَهَـٰذَا وَاجِبُ المُسْلِمِ فِي مَنْهَجِ التَّلَقِّي وَالتَّحْصِيلِ، وَهَـٰكَذَا سَارَ السَّلَفُ الصَّالِحُ، رَحِمَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ.

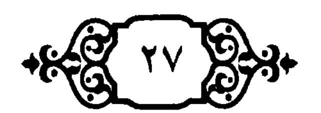
وَللهِ دَرُّ الْعَلاَّمَةِ ابْنِ القَيِّمِ - رَحِمَهُ اللهُ - حَيْثُ يَقُولُ:

إِنَّ الْبِدَارَ بِرَدِّ شَيْءٍ لَمْ تُحِطْ ... عِلْمًا بِهِ سَبَبٌ إِلَى الْحِرْمَانِ[1]

أَخِيْ القَارِئَ الفَاضِل، يَطِيبُ لِي إِتْحَافُكَ بِهَـٰذِهِ المَجْمُوعَةِ البِكْرِ مِنَ الخُطَبِ الَّتِي يَسَّرَ اللهُ إِعْدَادَهَا وَإِلْقَاءَهَا - وَلَهُ الحَمْدُ وَالفَضْلُ وَالمِنَّةُ - مِنْ مِنْبَرِ الكَعْبَةِ الشَّرِيفَةِ، أَزُفُّهَا إِلَيْكَ زَفَّ العَرُوسِ، تَرْفُلُ فِي حُلَّةٍ بَهِيَّةٍ لِمُحِبِّهَا، الَّذِي طَالَمَا تَشَوَّفَ إِلَى طَلْعَتِهَا، وَتَعَجَّلَ وَقْتَ البِنَاءِ بِهَا؛

---

(١) النونية (ص٣٠٥).



لِتَجِدَ فِيهَا خُلاصَةً خَطَابِيَّةً لِرِحْلَةٍ قَارَبَتْ رُبُعَ قَرْنٍ فِي اعْتِلاءِ المَنَابِرِ، كَانَ أَكْبَرُهَا وَأَكْثَرُهَا - بَلْ أَجَلُّهَا وَأَفْضَلُهَا - مِنْبَرَ الكَعْبَةِ الشَّرِيفَةِ، زَادَهَا اللهُ تَشْرِيفًا وَتَكْرِيمًا!

وَبِهَٰذِهِ المُنَاسَبَةِ: فَإِنِّي أَلْهَجُ بِالشُّكْرِ وَالثَّنَاءِ عَلَى اللهِ - جَلَّ وَعلاَ - أَوَّلاً وَآخِرًا، وَبَاطِنًا وَظَاهِرًا؛ فَلَوْلاَ تَوْفِيقُهُ، لَمَا تَحَقَّقَ هَٰذَا العَمَلُ المُبَارَكُ، ثُمَّ الشُّكْرُ مَوْصُولٌ، وَالدُّعَاءُ مَبْذُولٌ، لِمَنْ كَانَ سَبَبًا فِي إِبْرَازِ هَٰذِهِ الكَوْكَبَةِ؛ فَيَعْلَمُ اللهُ وَحْدَهُ: أَنَّهَا مَا رَأَتِ النُّورَ إِلاَّ بَعْدَ إِلْحَاحِ وَطَلَبٍ، وَحِرْصٍ وَجُهْدٍ، وَمتَابَعَةٍ مِنْ مُحِبِّينَ كُثُرٍ - أَحَبَّهُمُ اللهُ، وَجَزَاهُمْ عَنِّي خَيْرًا! - وَكَمْ هِيَ الرَّغَبَاتُ الَّتِي تَلَقَّيْتُهَا مِنْ وُلاَةِ أَمْرٍ، وَعُلَمَاءَ، وَخُطَبَاءَ، وَأَحِبَّةٍ مِنْ دَاخِلِ هَٰذِهِ البِلاَدِ المُبَارَكَةِ، وَخَارِجِهَا، كُلُّهَا تَسْتَحِثُّنِي لإِخْرَاجِهَا؛ مِمَّا يَجْعَلُنِي أَتَمَثَّلُ بِقَوْلِ الأَوَّلِ:

أُعِيذُهَا نَظَرَاتٍ مِنْكَ صَادِقَةً … أَنْ تَحْسَبَ الشَّحْمَ فِيمَنْ شَحْمُهُ وَرَمُ!(١)

ولاَ أَنْسَىٰ - عَلَىٰ سَبِيلِ الخُصُوصِ - لِسَمَاحَةِ العَلاَّمَةِ المُفْتِي الوَالِدِ شَيْخِنَا الشَّيْخِ عَبْدِالعَزِيزِ بنِ عَبْدِاللهِ بنِ بَازٍ - رَحِمَهُ اللهُ رَحْمَةَ الأَبْرَارِ - مَا كَانَ يَخُصُّنِي بِهِ مِنْ إِلْحَاحٍ فِي إِخْرَاجِهَا؛ فَقَلَّ أَنْ أَرَاهُ إِلاَّ وَيَسْأَلُنِي عَنْ ظُهُورِهَا، وَيَسْتَحِثُّنِي الاِسْتِعْجَالَ فِي ذٰلِكَ، وَقَدْ كَانَ وَعَدَ - رَحِمَهُ اللهُ - بِتَقْدِيمٍ لَهَا؛ فَجَزَاهُ اللهُ عَنِّي خَيْرَ الجَزَاءِ؛ لِمَا لَقِيتُهُ مِنْهُ مِنْ تَأْيِيدٍ وَتَشْجِيعٍ، وَكَمْ هِيَ المُهَاتَفَاتُ الَّتِي كَانَ يَخُصُّنِي بِهَا - بَعْدَ أَنْ يَسْمَعَ خُطْبَةً - وَيَدْعُو

---

(١) البيت لأبي الطيب المتنبِّي، انظر: «ديوانه» (٢/ ١٢٠)، والبيت من أشعار الأمثال.

وَيُثْنِي وَيُوَجِّهُ، جَمَعَنَا اللهُ بِهِ فِي دَارِ كَرَامَتِهِ!.

وَلِخَلَفِهِ المُبَارَكِ سَمَاحَةِ شَيْخِنَا العَلاَّمَةِ الشَّيْخِ عَبْدِالعزيزِ بنِ عَبْدِاللهِ آلِ الشَّيْخِ ـ حَفِظَهُ اللهُ ـ مِنِّي: جَزِيلُ الشُّكْرِ وَالدُّعَاءِ عَلَىٰ تَشْجِيعِهِ، وَحَثِّهِ عَلَىٰ إِصْدَارِ هَـٰذِهِ المَجْمُوعَةِ، أَجْزَلَ اللهُ مَثُوبَتَهُ، وَبَارَكَ فِي عُمُرِهِ وَعَمَلِهِ!

وَلِلْعَلاَّمَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بنِ صَالِحِ العُثَيْمِيْنِ ـ رَحِمَهُ اللهُ رَحْمَةً وَاسِعَةً ـ دُعَاءٌ صَادِقٌ، وَثَنَاءٌ خَالِصٌ؛ فَلَقَدْ كَانَ يَتَخَوَّلُنِي بِالتَّشْجِيعِ وَالتَّأْيِيدِ فِي هَـٰذَا المَجَالِ.

وَلِسَائِرِ عُلَمَائِنَا وَمشَايِخِنَا وَأَحِبَّتِنَا فِي اللهِ ـ الَّذِينَ شَجَّعُوا وَأَسْهَمُوا وَأَعَانُوا ـ كُلُّ شُكْرٍ وَتَقْدِيرٍ؛ رَاجِيًا أَنْ يَكُونَ هَـٰذَا العَمَلُ خَالِصًا لِوَجْهِ اللهِ تَعَالَىٰ، مُحَقِّقًا شَيْئًا مِنْ طُمُوحَاتِهِمْ، حَائِزًا عَلَىٰ حُسْنِ ظَنِّهِمْ، وَلَنْ أَعْدَمَ مِنْهُمْ ـ بِإِذْنِ اللهِ ـ دَعْوَةً صَالِحَةً، أَوْ نَصِيحَةً صَادِقَةً.

وَهَأَنَذَا أُقَدِّمُ لَكَ ـ أَخِي المُحِبَّ ـ السِّفْرَ الأَوَّلَ مِنْ مَجْمُوعَةِ هَـٰذِهِ الخُطَبِ، وَسَمَّيْتُهَا: «كَوْكَبَةَ الخُطَبِ المُنِيْفَةِ، مِنْ مِنْبَرِ الكَعْبَةِ الشَّرِيْفَةِ».

وسَيَلِيهَا أَسْفَارٌ تَتْرَىٰ ـ إِنْ شَاءَ اللهُ ـ بَذَلْتُ فِيهَا جُهْدًا لاَ أَدَّعِي كَمَالَهُ، بَلْ هُوَ جُهْدُ مُقِلٍّ، وَبِضَاعَةٌ مُزْجَاةٌ؛ فَلْيَجُدْ عَلَيْهَا المُحِبُّ الصَّادِقُ النَّصُوحُ بِتَكْمِيلٍ، أَوْ تَوْجِيهٍ، أَوْ تَسْدِيدٍ، وَلاَ أَدَّعِي أَنَّنِي أَصَبْتُ وَوَفَّيْتُ، وَوُفِّقْتُ وَكَمَّلْتُ، لَـٰكِنِّي ـ وَالحَمْدُ للهِ ـ بَذَلْتُ وَاجْتَهَدتُّ، حَتَّىٰ إِنَّنِي ـ أَحْيَانًا ـ لاَ أَنَامُ لَيْلَةَ الجُمُعَةِ إِلاَّ قَلِيلاً يُسَاوِرُنِي فِيهَا البَحْثُ، وَقَدْ أَرْجِعُ



فِي مَوْضُوعٍ وَاحِدٍ إِلَىٰ قُرَابَةِ عِشْرِينَ مَصْدَرًا وَمَرْجِعًا أَوْ يَزِيْدُونَ.

أَقُولُ ذَٰلِكَ، مَعَ سُؤَالِي اللهَ الإِخْلَاصَ وَالتَّوْفِيقَ؛ فَإِنْ أَصَبْتُ فَمِنَ اللهِ، وَإِنْ أَخْطَأْتُ فَمِنْ نَفْسِي وَمِنَ الشَّيْطَانِ، وَاللهُ مِنْهُ بَرِيءٌ وَرَسُولُهُ، وَأَسْتَغْفِرُ اللهُ الوَاحِدَ المَنَّانَ.

وَلَا أَقُولُ: إِنَّ عَمَلِي مُنْبَتٌّ عَنْ عَمَلِ مَنْ سَبَقَنِي فِي هَـٰذَا المَجَالِ، أَوْ أَدَّعِي أَنَّنِي قَدْ أَتَيْتُ بِمَا لَمْ يَأْتِ بِهِ السَّابِقُونَ، لَا! بَلْ أَنَا المُسْتَفِيدُ مِمَّا كَتَبَهُ عُلَمَاؤُنَا الأَجِلَّاءُ، وَخُطَبَاؤُنَا الفُضَلَاءُ، سَوَاءٌ مِنْ أَصْحَابِ الفَضِيلَةِ زُمَلَاءِ المِنْبَرِ، أَئِمَّةِ الحَرَمَيْنِ الشَّرِيْفَيْنِ - رَحِمَ اللهُ مُتَوَفَّاهُمْ، وَوَفَّقَ وَسَدَّدَ أَحْيَاءَهُمْ - أَمْ مِنْ غَيْرِهِمْ، جَزَى اللهُ الجَمِيعَ خَيْرًا.

وَلَقَدِ اجْتَهَدتُّ فِي إِخْرَاجِ هَـٰذِهِ الكَوْكَبَةِ عَلَىٰ مُقْتَضَيَاتِ البَحْثِ العِلْمِيِّ؛ فَعَزَوْتُ الآيَاتِ، وَخَرَّجْتُ الأَحَادِيثَ، مَعَ التِزَامِي بِالصَّحِيحِ قَدْرَ الطَّاقَةِ، وَعَزَوْتُ الآثَارَ، وَوَضَّحْتُ الغَرِيبَ، وَنَحْوَ ذَٰلِكَ؛ حَتَّىٰ تَكُونَ مُتَكَامِلَةً - بِإِذْنِ اللهِ - وَسَلَكْتُ فِيهَا مَسْلَكَ التَّرْتِيبِ وَالتَّقْسِيمِ إِلَى اثْنَيْ عَشَرَ قِسْمًا عَلَى النَّحْوِ الآتِي:

١- القُرْآنُ الكَرِيمُ.
٢- العِلْمُ وَالعُلَمَاءُ.
٣- العَقِيْدَةُ.
٤- السُّنَّةُ وَالسِّيرَةُ.
٥- العِبَادَاتُ.
٦- المُعَامَلَاتُ.



٧ـ الأَخْلاَقُ وَالسُّلُوكُ .　　　　٨ـ القَضَايَا الاِجْتِمَاعِيَّةُ .

٩ـ مآسِي المُسْلِمِينَ وَقَضَايَاهُمْ .　　　　١٠ـ الرَّقَائِقُ .

١١ـ مَوْضُوعَاتٌ مُتَنَوِّعَةٌ .　　　　١٢ـ خُطَبُ المُنَاسَبَاتِ .

وَتَحْتَ كُلِّ قِسْمٍ عَدَدٌ مِنَ الخُطَبِ المُنَاسِبَةِ كَمًّا وَكَيْفًا ؛ وَهَكَذَا لِيَكُوْنَ الكِتَابُ مُبَوَّبًا وَمُقَسَّمًا بِشَكْلٍ يُقَرِّبُ المَوْضُوعَ لِلْمُطَّلِعِ الكَرِيْمِ ، وَيُسَهِّلُ تَنَاوُلَهُ لَهُ ، وَيُحَقِّقُ مَزِيْدَ الاِنْتِفَاعِ بِهِ ؛ بِإِذْنِ اللهِ .

وَقَبْلَ أَنْ أَضَعَ القَلَمَ ، أَتَوَجَّهُ بِالشُّكْرِ لِمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ ـ بَعْدَ اللهِ سُبْحَانَهُ ـ فِي طَبْعِ وَنَشْرِ هَـٰذِهِ المَجْمُوعَةِ المُبَارَكَةِ ، وَقْفًا للهِ تَعَالَىٰ ؛ وَمَا يُبَاعُ مِنْهَا فَبِثَمَنٍ مَيْسُوْرٍ ، يُصْرَفُ رَيْعُهُ فِي الأَعْمَالِ الخَيْرِيَّةِ ؛ لِيَعُمَّ الاِنْتِفَاعُ بِهَا ، فَجَزَى اللهُ هَـٰذَا المُحْسِنَ الكَرِيْمَ خَيْرَ الجَزَاءِ ؛ عَلَىٰ نِيَّتِهِ الصَّالِحَةِ ، وَعَمَلِهِ المُبَارَكِ الدَّءُوبِ ، وَللهِ دَرُّهُ ! وَبُورِكَتْ أَعْمَالُهُ وَجُهُودُهُ ؛ فَكَمْ طَوَّقَ جِيدَ أَهْلِ الخَيْرِ وَالفَضْلِ بِإِحْسَانِهِ ! وَكَمْ أَسَرَ قُلُوبَهُمْ بِمَعْرُوفِهِ ! وَكَمْ نَفَعَ اللهُ بِجُهْدِهِ وَعَمَلِهِ ! كُلُّ ذٰلِكَ بِصَمْتٍ وَإِخْلاَصٍ ، وَابْتِغَاءٍ لِمَا عِنْدَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ؛ فَأَجْزَلَ اللهُ مَثُوبَتَهُ ، وَضَاعَفَ أُجُورَهُ ، وَبَارَكَ فِي عُمُرِهِ وَعَمَلِهِ ، وَزَادَهُ خَيْرًا وَهُدًى وَتَوْفِيقًا ، وَغَفَرَ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ ، وَأَخْلَفَ عَلَيْهِ خَيْرًا فِي الأُولَىٰ وَالعُقْبَىٰ ، وَلاَ عَدِمْنَا أَمْثَالَهُ فِي مُجْتَمَعَاتِنَا وَأُمَّتِنَا ! !

كَمَا أَشْكُرُ مَكْتَبَةَ إِمَامِ الدَّعْوَةِ العِلْمِيَّةَ بِمَكَّةَ المُكَرَّمَةِ رَغْبَتَهَا فِي



تَوْزِيعِ هَـٰذِهِ المَجْمُوعَةِ؛ ابْتِغَاءَ ثَوابِ اللهِ؛ فَلِلْعَامِلِينَ فِيهَا شُكْرِي وَتَقْدِيرِي.

هَـٰذَا؛ وَأُذَكِّرُ بِقَوْلِ الأَوَّلِ:

وَإِنْ تَجِدْ عَيْبًا فَسُدَّ الخَلَلاَ ... فَجَلَّ مَنْ لاَ عَيْبَ فِيهِ وَعَلاَ[1]

وَمِنْ بَدِيعِ كَلَامِ العَلَّامَةِ ابنِ القَيِّمِ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ قَوْلُهُ: «فَيَا أَيُّهَا النَّاظِرُ فِيهِ، لَكَ غُنْمُهُ، وَعَلَىٰ مُؤَلِّفِهِ غُرْمُهُ، وَلَكَ صَفْوُهُ، وَعَلَيْهِ كَدَرُهُ، وَهَـٰذِهِ بِضَاعَتُهُ المُزْجَاةُ تُعْرَضُ عَلَيْكَ، وَبَنَاتُ أَفْكَارِهِ[2] تُزَفُّ إِلَيْكَ؛ فَإِنْ صَادَفَتْ كُفْئًا كَرِيمًا، لَمْ تَعْدَمْ مِنْهُ إِمْسَاكًا بِمَعْرُوفٍ، أَوْ تَسْرِيحًا بِإِحْسَانٍ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَهُ، فَاللهُ المُسْتَعَانُ، وَعَلَيْهِ التُّكْلَانُ، وَقَدْ رَضِيَ مِنْ مَهْرِهَا بِدَعْوَةٍ خَالِصَةٍ إِنْ وَافَقَتْ قَبُولاً وَاسْتِحْسَانًا، وَبِرَدٍّ جَمِيلٍ إِنْ كَانَ حَظُّهَا احْتِقَارًا وَاسْتِهْجَانًا، وَالمُنْصِفُ يَهَبُ خَطَأَ المُخْطِىءِ لِإِصَابَاتِهِ، وَسَيِّئَاتِهِ لِحَسَنَاتِهِ؛ فَهَـٰذِهِ سُنَّةُ اللهِ فِي عِبَادِهِ جَزَاءً وَثَوَابًا، وَمَن ذَا الَّذِي يَكُونُ قَوْلُهُ كُلُّهُ سَدِيدًا وَعَمَلُهُ كُلُّهُ صَوَابًا؟! وَهَلْ ذٰلِكَ إِلاَّ المَعْصُومُ الَّذِي لاَ يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى، وَنُطْقُهُ وَحْيٌ يُوحَى؟!» اهـ[3].

---

(١) البيت لأبي القاسم الحريري صاحب «المقامات»، في خاتمة منظومته «ملحة الإعراب»، انظر: (ص٥٨).

(٢) بنات الأفكار: هي ما يفكِّر فيه الإنسان من أمور؛ فبنات أفكار الإنسان هي آراؤه وأفكاره، وفي أمثالهم ما يسمَّى بالمكنَّى والمُبَنَّى، ومنها قولهم: «هذا من بنات أفكاره». انظر: «موسوعة أمثال العرب» (١/ ٢٧ـ٣٠) (٦/ ٦٠٨).

(٣) من مقدمة «حادي الأرواح» (ص٣٣، ٣٤)، و«روضة المحبِّين» (ص١٤).



جَعَلَهُ اللهُ مِنَ العِلْمِ النَّافِعِ، وَالصَّدَقَةِ الجَارِيَةِ الَّتِي يَصِلُ بِرُّهَا وَذُخْرُهَا وَثَوَابُهَا لِمُعِدِّهَا وَطَابِعِهَا وَنَاشِرِهَا وَمَنْ أَعَانَ عَلَيْهَا، فِي الدُّنْيَا وَالبَرْزَخِ وَالآخِرَةِ، كَمَا أَسْأَلُهُ تَعَالَىٰ أَنْ يُوَفِّقَ الجَمِيعَ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ، وَأَنْ يَرْزُقَنَا الإِخْلَاصَ فِي القَوْلِ وَالعَمَلِ، وَأَنْ يُعِينَ إِخْوَانَنَا الخُطَبَاءَ عَلَىٰ مُهِمَّتِهِمُ الجَلِيلَةِ، وَيَأْخُذَ بِأَيْدِيهِمْ إِلَى النُّهُوضِ بِمَنَابِرِ الأُمَّةِ إِلَىٰ خَيْرِ حَالٍ وَأَفْضَلِ مَآلٍ، وَأَنْ يُوَفِّقَ وُلَاةَ أَمْرِنَا وَوُلَاةَ أَمْرِ المُسْلِمِينَ إِلَىٰ مَا فِيهِ صَلَاحُ البِلَادِ وَالعِبَادِ، وَأَنْ يَمُنَّ عَلَى الجَمِيعِ بِصَلَاحِ النَّوَايَا، وَحُسْنِ الأَحْوَالِ، وَأَنْ يَجْعَلَنَا مِنَ الدُّعَاةِ إِلَيْهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ، وَيَأْخُذَ بِأَيْدِينَا إِلَىٰ مَوَاطِنِ التَّوْفِيقِ، وَمَعَالِي السُّؤْدَدِ، وَأَنْ يَجْزِيَ عَنَّا - بِالخَيْرِ، وَحُسْنِ الجَزَاءِ - وَالِدِينَا، وَمَشَايِخَنَا، وَعُلَمَاءَنَا، وَكُلَّ مَنْ لَهُ حَقٌّ عَلَيْنَا، وَسَائِرَ مَنْ أَحَبَّنَا فِي اللهِ؛ إِنَّهُ خَيْرُ مَسْئُولٍ، وَأَكْرَمُ مَأْمُولٍ.

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.







القسم الأول

القرآن الكريم



الخطبة الأولى

الحَمْدُ لله ﴿ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ﴾ [الفرقان]، أَحْمَدُهُ تعَالىٰ وَأَشْكُرُهُ، جعَلَ القُرْآنَ ﴿ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ۝٨٩ ﴾[النحل]، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ، أَنْزَلَ كِتابَهُ هِدَايَةً لِلعَالَمِيْنَ، وَرَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِيْنَ، وَشِفَاءً لِمَا فِي صُدُورِ النَّاسِ أَجْمَعِيْنَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِيْ كَانَ خُلُقُهُ القُرْآنَ؛ يُحِلُّ حَلاَلَهُ، وَيُحَرِّمُ حَرَامَهُ، وَيَعْمَلُ بِمُحْكَمِهِ، وَيُؤْمِنُ بِمُتَشَابِهِهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِيْنَ سَارُوا علىٰ نَهْجِهِ، واقْتَفَوا أَثَرَهُ، وَتَمَسَّكُوا بِهَدْيِهِ؛ فَعَزُّوا وَسَادُوا، وَمَلَكُوا وَقادُوا، وَمَنْ تَبِعَ هَدْيَهُمْ، وَلَزِمَ سُنَّتَهُمْ إِلىٰ يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أمَّا بعد:

فَيَا إِخْوَةَ الإِسْلَامِ، يَا أُمَّةَ القُرْآنِ، اتَّقُوا اللهَ تَعَالىٰ حَقَّ تَقْوَاهُ.

عِبَادَ اللهِ، ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ خَيْرَ كِتَابٍ، لِخَيْرِ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ؛

يَهْدِيْهِمْ لأَقْوَمِ سَبِيْلٍ، وَأَهْدَىٰ طَرِيْقٍ، وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلى النُّورِ بِإِذْنِ اللهِ، هُوَ المَلاَذُ عِنْدَ الفِتَنِ، وَهُوَ المُنْقِذُ عِنْدَ المَصَائِبِ والمِحَنِ، فِيْهِ ـ يَاعِبَادَ اللهِ ـ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ، وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ؛ هُوَ الفَصْلُ لَيْسَ بِالهَزْلِ، مَنْ تَرَكَهُ مِنْ جَبَّارٍ، قَصَمَهُ اللهُ، وَمَنِ ابْتَغَى الهُدَىٰ مِنْ غَيْرِهِ، أَضَلَّهُ اللهُ، وَمَنِ الْتَمَسَ العِزَّ بِغَيْرِهِ، أَذَلَّهُ اللهُ، وَمَنْ طَلَبَ النَّصْرَ بِدُونِ التَّحَاكُمِ إِلَيْهِ، أَرْدَاهُ اللهُ؛ هُوَ حَبْلُ اللهِ المَتِيْنُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ المُسْتَقِيْمُ، لاَ يَزِيْغُ فَيُسْتَعْتَبَ، وَلاَ يَعْوَجُّ فَيُقَوَّمَ، لاَ تَزِيْغُ بِهِ الأَهْوَاءُ، وَلاَ تَلْتَبِسُ بِهِ الأَلْسُنُ، وَلاَيَخْلَقُ عَنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلاَيَشْبَعُ مِنْهُ العُلَمَاءُ، وَلاَ تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ، مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هُدِيَ إِلىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيْمٍ، تَكَفَّلَ اللهُ لِمَنْ قَرَأَهُ وَعَمِلَ بِمَا فِيْهِ: أَلاَّ يَضِلَّ فِي الدُّنْيَا، وَلاَ يَشْقَىٰ فِي الآخِرَةِ؛ كَمَا وَرَدَ ذٰلِكَ فِي الأَثَرِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ[1] وَمَنْ تَرَكَهُ وَهَجَرَهُ وَأَعْرَضَ عنْهُ، خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ، ذٰلِكَ هُوَ الخُسْرَانُ المُبِيْنُ؛ قَالَ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ

(١) رواه ابن أبي شيبة (١٣ / ٣٧١، ٣٧٢)، والطبري في «تفسيره» (٨/ ٤٦٩)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٨١).

كَذَٰلِكَ أَتَتۡكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَنۡ أَسۡرَفَ وَلَمۡ يُؤۡمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦۚ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبۡقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾﴾ [طه].

وَقَالَ ﷺ فِي خُطْبَتِهِ عَامَ حَجَّةِ الوَدَاعِ: «**قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ - إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ - كِتَابَ اللهِ**»(١).

وَقَدِ امْتَنَّ اللهُ عَلَىٰ عِبَادِهِ بِإِنْزَالِ هَـٰذَا الكِتَابِ العَظِيْمِ؛ قَالَ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾[يونس]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾[النحل]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾﴾[المائدة].

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴿١٧٥﴾﴾[النساء]، وَقَالَ عَزَّ شَأْنُهُ: ﴿إِنَّ

---

(١) رواه مسلم (١٢١٨)، وأبوداود (١٩٠٥)، وابن ماجه (٣٠٧٤)؛ من حديث جابر ابن عبدالله؛ رضي الله عنه.

﴿هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾[الإسراء]، وَقَالَ تَعَالىٰ وَتَقَدَّسَ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء]، وَقَالَ تَبَارَكَ اسْمُهُ: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ﴾[فصلت: ٤٤].

وَالآيَاتُ فِي هَٰذَا كَثِيْرَةٌ جِدًّا، وَمَعْلُومَةٌ لِكُلِّ مَنْ قَرَأَ كِتَابَ اللهِ بِتَدَبُّرٍ وَحُضُورِ قَلْبٍ؛ كَمَا هِيَ سُنَّةُ أُولٰئِكَ الأَبْرَارِ، مِنَ السَّلَفِ الصَّالِحِ الأَخْيَارِ ـ رَحِمَهُمُ اللهُ، وَرَضِيَ عَنْهُمْ ـ الَّذِيْنَ كَانُوا إِذَا تَعَلَّمُوا مِنْهُ عَشْرَ آيَاتٍ، لَمْ يَتَجَاوَزُوهَا، حَتَّىٰ يَعْلَمُوا مَعْنَاهَا، وَيَعْمَلُوا بِمُقْتَضَاهَا؛ فَتَعَلَّمُوا العِلْمَ وَالعَمَلَ مَعًا؛ كَمَا وَرَدَ ذٰلِكَ عَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ مَسْعُوْدٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ[1] أُوْلَـٰئِكَ الَّذِيْنَ يَتَلَقَّوْنَ أَوَامِرَهُ وَنَوَاهِيَهُ؛ فَيُسَارِعُونَ إِلى امْتِثَالِهَا دُونَ تَرَدُّدٍ أَوْ تَسَاهُلٍ، أُوْلَـٰئِكَ الصَّفْوَةُ الَّذِيْنَ تَلَقَّوُا القُرْآنَ وَقَرَءُوْهُ، عَقِيْدَةً مِنْهُمْ: أَنَّهُ خِطَابُ اللهِ سُبْحَانَهُ لَهِمْ، يُكَلِّمُهُمْ بِهِ عَلىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ؛ وَلِهَـٰذَا حَمَلُوا رَايَةَ القُرْآنِ قَوْلاً وَعَمَلاً؛ فَأَرْهَبُوا أَعْدَاءَ اللهِ، وَنَشَرُوا العَدْلَ وَالسَّلاَمَ فِي أَرْضِ اللهِ، وَ«**أَخْرَجُوا النَّاسَ مِنْ عِبَادَةِ العِبَادِ، إِلىٰ عِبَادَةِ رَبِّ العِبَادِ، وَمِنْ ضِيقِ الدُّنْيَا، إِلَىٰ سَعَةِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمِنْ جَوْرِ الأَدْيَانِ إِلَىٰ**

(١) انظر: «مسند أحمد» (٥/ ٤١٠)، و«تفسير الطبري» (١/ ٦٠).



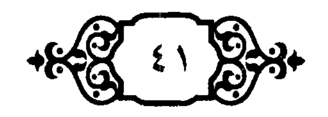
عَدْلِ الإِسْلَامِ»[1]؛ فَحَقَّقُوا الخَيْرَ وَالسَّعَادَةَ لِلْبَشَرِيَّةِ كُلِّهَا.

إِخْوَةَ الإِسْلَامِ، وَإِنَّنَا اليَوْمَ لَفِيْ زَمَنٍ كَثُرَتْ فِيْهِ الفِتَنُ، وَتَلَاطَمَتْ فِيْهِ أَمْوَاجُ المِحَنِ، وَاسْتَحْكَمَتْ فِيْهِ الشَّهْوَاتُ، وَكَثُرَتِ الشُّبُهَاتُ، وَتَعَدَّدَتِ المُشْكِلَاتُ وَالتَّحَدِّيَاتُ، وَكَثُرَ دُعَاةُ البِدَعِ وَالمُنْكَرَاتِ، وَإِنَّهُ لَاخَلَاصَ مِنْ هَـٰذَا كُلِّهِ، وَلاَ شَدَّ لأَزْرٍ، وَلاَ رُسُوخَ لِقَدَمٍ، وَلاَ أُنْسَ لِنَفْسٍ، وَلاَ تَسْلِيَةَ لِرُوحٍ، وَلاَ تَحْقِيْقَ لِوَعْدٍ، وَلاَ أَمْنَ مِنْ عِقَابٍ، وَلاَ ثُبُوتَ لِمُعْتَقَدٍ، وَلاَ بَقَاءَ لِذِكْرٍ وَأَثَرٍ طَيِّبٍ: إِلاَّ بِأَنْ يَتَّجِهَ المُسْلِمُونَ جَمِيْعًا ـ حُكَّامًا وَمَحْكُومِيْنَ، شُعُوبًا وَدُوَلاً، شَبَابًا وَشِيْبًا، رِجَالاً وَنِسَاءً، عُلَمَاءَ وَعَامَّةً ـ اتِّجَاهًا صَحِيْحًا، بِكَامِلِ أَحَاسِيْسِهِمْ وَمَشَاعِرِهِمْ، بِقُلُوبِهِمْ وَقَوَالِبِهِمْ، إِلىٰ كِتَابِ اللهِ؛ تِلَاوَةً وَتَدَبُّرًا، وَتَعَلُّمًا وَتَعْلِيْمًا، وَعَمَلاً وَتَطْبِيْقًا؛ فَهُوَ المَعِيْنُ العَذْبُ الَّذِيْ لاَ يَنْضُبُ مُطْلَقًا، وَلاَ يَأْسُنُ أَبَدًا، وَالكَنْزُ الوَافِرُ الَّذِيْ لاَيَزِيْدُهُ الإِنْفَاقُ إِلاَّ جِدَّةً وَكَثْرَةً، وَلاَ تَكْرَارُ التِّلَاوَةِ إِلاَّ حَلَاوَةً وَطَلَاوَةً؛ بَيْدَ أَنَّهُ لاَ تُمْنَحُ كُنُوزُهُ إِلاَّ لِمَنْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ بِقَلْبِهِ، وَأَلْقَىٰ إِلَيْهِ سَمْعَهُ وَهُوَ شَهِيدٌ.

مَعْشَرَ المُسْلِمِيْنَ، إِنَّنَا فِي هَـٰذَا العَصْرِ قَدْ أَعْرَضَ كَثِيْرٌ مِنَ النَّاسِ

---

(١) وهذا من قول الصحابي الجليل ربعي بن عامر ـ رضي الله عنه ـ لرستم أمير الفرس، قبل وقعة القادسية. انظر: «البداية والنهاية» (٩/ ٦٢٢).



عنِ القُرْآنِ، وَنَأَوْا عَنْهُ، فَمَنْ تَأَمَّلَ حَيَاةَ كَثِيْرٍ مِنْهُمْ، وَجَدَ أَنَّهَا لاَ تَمُتُّ إِلَى القُرْآنِ بِصِلَةٍ ـ وَالعِيَاذُ بِاللهِ! ـ فَمَا أَكْثَرَ المُخَالَفَاتِ المَوْجُودَةَ، وَمَا أَعْظَمَ الوَاجِبَاتِ المَفْقُودَةَ!!

عِبَادَاللهِ، سُبْحَانَ اللهِ، أَيْنَ المُسْلِمُونَ اليَوْمَ مِنْ هَـٰذَا القُرْآنِ العَظِيْمِ؟! أَيْنَ شَبَابُ الأُمَّةِ مِنْ هَـٰذَا الكِتَابِ الكَرِيْمِ؟! لَقَدِ اسْتَبْدَلَ كَثِيْرٌ مِنْهُمُ الَّذِيْ هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ! أَيْنَ النِّسَاءُ مِنْ تَعَالِيْمِ القُرْآنِ الَّتِيْ تَحُثُّ على الحِجَابِ، وَلُزُومِ الحَيَاءِ، وَلُزُومِ الحِشْمَةِ، وَتُحَذِّرُ مِنَ التَّبَرُّجِ وَالسُّفُورِ وَالاِخْتِلاَطِ؟! بَلْ أَيْنَ تَحْكِيمُ القُرْآنِ في جَوَانِبِ الحَيَاةِ كُلِّهَا؟!

الوَاقِعُ وَالحَقِيْقَةُ ـ يَا عِبَادَاللهِ ـ أَنَّهُ صَدَقَ في هَـٰؤُلاَءِ وَأُولَـٰئِكَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ۝٣٠﴾ [الفرقان].

وَهَجْرُ القُرْآنِ ـ كَمَا قَالَ العَلاَّمَةُ ابنُ القَيِّمِ، رَحِمَهُ اللهُ ـ: «يَشْمَلُ هَجْرَ سَمَاعِهِ وَالإِيْمَانِ بِهِ، وَهَجْرَ الوُقُوفِ عِنْدَ حَلاَلِهِ وَحَرَامِهِ وَإِنْ قَرَأَهُ وَآمَنَ بِهِ، وهَجْرَ تَحْكِيْمِهِ وَالتَّحَاكُمِ إِلَيْهِ فِي أُصُولِ الدِّينِ وَفُرُوعِهِ، وَهَجْرَ تَفَهُّمِهِ وَمَعْرِفَةِ مَا أَرَادَ اللهُ مِنْهُ، وَهَجْرَ الاِسْتِشْفَاءِ بِهِ مِنْ جَمِيْعِ أَمْرَاضِ القُلُوبِ»[1].

وَكُلُّ أَنْوَاعِ الهَجْرِ هَـٰذِهِ مُتَحَقِّقَةٌ ـ وَيَا لَلأَسَفِ! ـ في واقعِ النَّاسِ اليَوْمَ.

---

(١) «الفوائد» لابن القيم (ص٨٢).



إِنَّ الَّذِيْنَ يَقْرَءُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيُصِرُّونَ علىٰ مُخَالَفَتِهِ - بَلْ قَدْ يَزِيدُوْنَ فِي دِيْنِ اللهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ؛ مِنَ البِدَعِ وَالمُحْدَثَاتِ - لَيْسُوا بِمُؤْمِنِيْنَ بِهِ عَلَى الحَقِيْقَةِ، وَإِنْ زَعَمُوا ذٰلِكَ أَلْفَ مَرَّةٍ، وَإِنْ قَرَءُوْهُ فِيْ أَعْمَارِهِمْ كُلِّهَا! أَيْنَ الَّذِيْنَ امْتَطَوْا صَهْوَةَ التَّعَامُلِ بِالمُحَرَّمَاتِ، وَتَلَطَّخُوا بِارْتِكَابِ الفَوَاحِشِ وَالمُنْكَرَاتِ؛ كالزِّنَى، وَالرِّبَا، وَقَتْلِ النَّفْسِ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَالسَّرِقَةِ، والغِشِّ، والظُّلْمِ، والكَذِبِ، والغِيْبَةِ، والنَّمِيْمَةِ، وَسَاقِطِ القَوْلِ وَالعَمَلِ، وَغَيْرِهَا مِنَ المُحَرَّمَاتِ؛ أَيْنَ هُمْ مِنَ الإِيْمَانِ بِالقُرْآنِ؟! أَيْنَ الَّذِيْنَ يَتْرُكُونَ الوَاجِبَاتِ، وَيَتَسَاهَلُونَ في المَأْمُورَاتِ؛ كَالصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَبِرِّ الوَالِدَيْنِ، وَصِلَةِ الأَرْحَامِ، وَالإِحْسَانِ إِلَى المَسَاكِيْنِ؛ أَيْنَ هُمْ مِنَ الإِيْمَانِ بِالقُرْآنِ؟!

إِنَّ هٰؤُلَاءِ الَّذِيْنَ يَسْمَعُونَ القُرْآنَ أَوْ يَقْرَءُونَهُ، وَيُعْرِضُونَ عَنْ تَطْبِيْقِهِ، لَهُمْ نَصِيْبٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالىٰ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾[طه].

وَبُؤْسًا لَهُمْ حَيْثُ تَشَبَّهُوا بِمَنْ قَالَ اللهُ فِيْهِمْ: ﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ [النساء: ٤٦]!.

فَإِلَىٰ القُرْآنِ، إلى القُرْآنِ - يَا عِبَادَ اللهِ - نَنْهَلُ مِنْ مَعِيْنِهِ، وَنَرْتَوِي مِنْ نَمِيْرِهِ؛ لِنُحَقِّقَ سَعَادَةَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ؛ ﴿۞أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾[الحديد: ١٦]، أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ

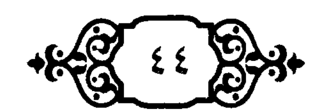


الرَّجِيْمِ : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٠ ﴾ [الإسراء].

اللَّهُمَّ اجْعَلِ القُرْآنَ رَبِيْعَ قُلُوبِنَا، وَنُورَ صُدُورِنَا، وَجِلَاءَ أَحْزَانِنَا، وَذَهَابَ هُمُومِنَا وَغُمُومِنَا، يَا رَبَّ العَالَمِيْنَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ أَهْلِ القُرْآنِ الَّذِيْنَ هُمْ أَهْلُكَ وَخَاصَّتُكَ، يَاذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ أَلْبِسْنَا بِهِ الحُلَلَ، وَأَسْكِنَّا بِهِ الظُّلَلَ، وَزِدْنَا بِهِ مِن النِّعَمِ، وَارْفَعْ عَنَّا بِهِ النِّقَمَ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ.

أَقُولُ قَوْلِي هَٰذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِيْ وَلَكُمْ وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ، فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيْمُ.



الخطبة الثانية

﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ۝١ قَيِّمٗا لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا شَدِيدٗا مِّن لَّدُنۡهُ وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا حَسَنٗا ۝٢ ﴾ [الكهف]، أَحْمَدُهُ وَأَشْكُرُهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَإِلَـهَ إِلاَّاللهُ وَحْدَهُ لاَشَرِيْكَ لَهُ، نَزَّلَ الفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِيْنَ نَذِيْرًا، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُهُ الَّذِيْ كَانَ خُلُقُهُ القُرْآنَ، بَعَثَهُ اللهُ هَادِيًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيْرًا، وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيْرًا، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِيْنَ كَانُوا لاَ يَتَجَاوَزُونَ عَشْرَ آيَاتٍ حَتَّىٰ يَعْلَمُوا مَا فِيْهَا مِنَ العِلْمِ وَالعَمَلِ[1]، وَسَلَّمَ تَسْلِيْمًا كَثِيْرًا.

أمّا بعد:

فَاتَّقُوا اللهَ ـ عِبَادَ اللهِ ـ وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ الحَدِيْثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ.

عِبَادَ اللهِ، إِنَّ الرِّفْعَةَ وَالقِيَادَةَ، وَالكَرَامَةَ وَالرِّيَادَةَ، وَالعِزَّةَ وَالسِّيَادَةَ، فِيْ هَـٰذِهِ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ـ إِنَّمَا هِيَ لِحَمَلَةِ كِتَابِ اللهِ العَامِلِيْنَ بِهِ؛ وَهَـٰذَا مَا دَلَّ عَلَيْهِ كِتَابُ اللهِ وَسُنَّةُ رَسُولِهِ ﷺ؛ أَخْرَجَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ ـ

---

(١) إشارة إلى أثر ابن مسعود، رضي الله عنه، وقد تقدم تخريجه (ص٤٠).

رَحِمَهُ اللهُ ـ عَنْ عُمرَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَـٰذَا الكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ**»(١)، وَأَخْرَجَ البُخَارِيُّ، عَنْ عُثْمَانَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ**»(٢)، وَعَنِ ابْنِ عُمرَ ـ رَضِي اللهَ عَنهُمَا ـ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لاَ حَسَدَ إِلاَّ فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ القُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالاً فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ**»(٣).

وَقَدْ جَاءَتِ السُّنَّةُ المُطَهَّرَةُ مُنَوِّهَةً بِمَا لِحَمَلَةِ كِتَابِ اللهِ مِنَ الأَجْرِ وَالمَكَانَةِ، فِي الآخِرَةِ وَالأُولَىٰ؛ فَعَنْ أَبِيْ أُمَامَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**اقْرَءُوا القُرْآنَ؛ فَإِنَّهُ يَأْتِيْ يَوْمَ القِيَامَة شَفِيْعًا لِأَصْحَابِهِ**»(٤)، وَعَنْ عَائِشَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنها ـ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**المَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الكِرَامِ البرَرَةِ، وَالَّذِيْ يَقْرَأُ القُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيْهِ، وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ، لَهُ أَجْرَانِ**»(٥)، وَعَنِ ابنِ مَسْعُودٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ، فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، والحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لاَ أَقُولُ «الٓمٓ» حَرْفٌ، وَلَـٰكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلاَمٌ**

(١) «صحيح مسلم» (٨١٧).

(٢) «صحيح البخاري» (٥٠٢٧).

(٣) رواه البخاري (٧٥٢٩)، ومسلم (٨١٥).

(٤) رواه أحمد (٥/ ٢٤٩)، ومسلم (٨٠٤).

(٥) رواه البخاري (٤٩٣٧)، ومسلم (٧٩٨)، والترمذي (٢٩٠٤).



حَرْفٌ، وَمِيْمٌ حَرْفٌ»[1]، وَعنْ عَبْدِالله بن عَمْرِو بْنِ العَاصِ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «**يُقَالُ لِصَاحِبِ القُرْآنِ: اقْرَأْ وَارْتَقِ ورَتِّلْ كمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا؛ فَإنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا**»[2].

فَيَالَهُ ـ أَيُّهَا المُسْلِمُونَ ـ مِنْ فَضْلٍ عَظِيْمٍ، وَثَوَابٍ كَبِيْرٍ، لاَ يَغْفُلُ عَنْهُ إلاَّ غَافِلٌ!! تِلْكَ ـ واللهِ ـ هِيَ الغِبْطَةُ الحَقِيْقِيَّةُ؛ فَلَيْسَتِ الغِبْطَةُ وَالسَّعَادَةُ بِحُطَامِ الدُّنْيَا الزَّائِلِ، وَلاَ بِالمُفَاخَرَةِ بِالمَرَاكِبِ، وَلاَ بِالمَطَاعِمِ وَالمشَارِبِ، وَالمَسَاكِنِ وَالمَرَاتِبِ.

فَاتَّقُوا اللهَ ـ عِبَادَ اللهِ ـ وَخُذُوا بِكِتَابِ رَبِّكُمْ، وَإلى القُرْآنِ ـ يَا أُمَّةَ الإسْلاَمِ ـ خُذُوا مِنْهُ مِنْهَاجًا لِحَيَاتِكُمْ فِي جَمِيْعِ شُئُونِكُمْ، وَبِهَذَا تَسْتَرِدُّونَ مَجْدَكُمُ التَّلِيْدَ، وَعِزَّكُمُ العتِيْدَ، وَقُدْسَكُمُ الفَقِيْدَ، ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾[إبراهيم: ٢٠، وفاطر: ١٧]، ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾[محمد].

أَلاَ وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا ـ رَحِمَكُمُ اللهُ ـ علىٰ خَيْرِ نَبِيٍّ أَنْزَلَ عَلَيْهِ خَيْرَ كِتَابِهِ، نَبِيِّكُمُ المُصْطَفَى الأَوَّابِ؛ كَمَا أَمَرَكُمْ بِذٰلِكَ العَزِيْزُ الوَهَّابُ؛ فَقَالَ تَعَالىٰ قَوْلاً كَرِيْمًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾[الأحزاب].

---

(١) رواه الترمذي (٢٩١٠)، والحاكم (١/ ٥٥٥، ٥٦٦).

(٢) رواه أحمد (٢/ ١٩٢)، وأبوداود (١٤٦٤)، والترمذي (٢٩١٤).

الخطبة الأولى

الحَمْدُ للهِ الَّذِيْ أَنْزَلَ كِتَابَهُ الكَرِيْمَ هُدًى لِلْمُتَّقِيْنَ، وَعِبْرَةً لِلْمُعْتَبِرِيْنَ، وَرَحْمَةً وَمَوْعِظَةً لِلْمُؤْمِنِيْنَ، وَنِبْرَاسًا لِلْمُهْتَدِيْنَ، وَشِفَاءً لِمَا فِي صُدُورِ العَالَمِيْنَ، أَحْمَدُهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ آلَائِهِ، وَأَشْكُرُهُ عَلَىٰ نَعْمَائِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لَهُ، أَحْيَا بِكِتَابِهِ القُلُوبَ، وَزَكَّىٰ بِهِ النُّفُوسَ، هَدَىٰ بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ، وَبَصَّرَ بِهِ مِنَ الغَوَايَةِ، وَذَكَّرَ بِهِ مِنَ الغَفْلَةِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، الَّذِيْ كَانَ خُلُقُهُ القُرْآنَ؛ فَصَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ، الَّذِيْنَ كَانُوا لَا يَتَجَاوَزُونَ عَشْرَ آيَاتٍ حَتَّىٰ يَعْلَمُوا مَا فِيْهَا مِنَ العِلْمِ وَالعَمَلِ[1]، وَرَضِيَ اللهُ عَنْ جُنْدِهِ وَحِزْبِهِ، وَمَنْ تَرَسَّمَ خُطَاهُ وَسَارَ عَلَىٰ نَهْجِهِ، مَا تَعَاقَبَ الجَدِيْدَانِ، وَتَتَابَعَ النَّيِّرَانِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيْمًا كَثِيْرًا.

أَمَّا بَعْدُ:

فَيَا أَيُّهَا المُسْلِمُونَ، اتَّقُوا اللهَ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ـ وَاشْكُرُوهُ عَلَىٰ مَا

---

(١) كما جاء في أثر ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ وقد سبق تخريجه (ص٤٠).

هَدَاكُمْ لِلإِسْلَامِ، وَجَعَلَكُمْ مِنْ أُمَّةِ القُرْآنِ، المُعْجِزَةِ البَاهِرَةِ، وَالآيَةِ الظَّاهِرَةِ، كِتَابِ الهُدَىٰ، وَسِرِّ السَّعَادَةِ وَالقِيَادَةِ، وَلِوَاءِ الرِّيَادَةِ والسِّيَادَةِ، وَإِمَامِ الخَيْرِ والحَقِّ وَالفَضِيْلَةِ، وَدُسْتُورِ العَدْلِ وَالأَمَانِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ؛ ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢﴾ [فصلت].

أُمَّةَ القُرْآنِ، إِنَّ سَعَادةَ البَشَرِيَّةِ، وَعِزَّ الإِنْسَانِيَّةِ، وَصَلَاحَ البِلَادِ والعِبَادِ - مَرْهُونٌ بِاتِّبَاعِ هَـٰذَا الكِتَابِ؛ فَإِنْ كَانَ لِلأُمَّةِ قَائِدًا وَإِمَامًا، نُصْبَ الأَعْيُنِ، وَبَيْنَ الأَيْدِيْ، حَصَلَتْ لَهَا سَعَادَةُ الدَّارَيْنِ، وَنَجَاةُ الحَيَاتَيْنِ، وَإِنْ كَانَ خَلْفَ الظُّهُورِ - وَالعِيَاذُ بِاللهِ! - عَمَّ الذُّلُّ وَالشَّقَاءُ فِي الأُوْلَىٰ وَالأُخْرَىٰ، لَوْ وَقَفَتِ الأُمَّةُ تَحْتَ رَايَةِ القُرْآنِ، وَتَفَيَّأَتْ ظِلَالَ دَوْحَةِ الفُرْقَانِ، لَسَمَتْ سَمَاءَ المَجْدِ، وَتَبَوَّأَتْ مَكَانَةَ العِزَّةِ وَالشَّرَفِ والقُوَّةِ، وَلَوْ أَنَّهَا حَافَظَتْ عَلَيْهِ، وَعَمِلَتْ بِمَا فِيْهِ، أَضَاءَتْ لَهَا المَسَالِكُ، وَتَفَتَّحَتْ لَهَا المَدَارِكُ، وَلَوْ تَدَبَّرَ المُسْلِمُونَ كِتَابَ اللهِ، وَوَقَفُوا عِنْدَ آيَاتِهِ، فَأَحَلُّوا حَلَالَهُ، وحَرَّمُوا حَرَامَهُ، لَحَقَّقُوا السَّعَادَةَ عَاجِلاً وَآجِلاً.

إِخْوَتِي فِي اللهِ، يَقُولُ اللهُ سُبْحَانَهُ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٢٩﴾ [ص]، وَأَنْكَرَ المَوْلَىٰ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - عَلَى الَّذِيْنَ أَعْرَضُوا عَنْ كِتَابِهِ، فَلَا يَتَّعِظُونَ وَلاَ يَتَدَبَّرُونَ؛ اسْتَمِعُوا إِلَىٰ قَوْلِهِ تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ۝٢٤﴾



[محمد]؛ وَلِذٰلِكَ كَانَتْ سُنَّةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَثْرَةَ مَوْعِظَةِ النَّاسِ بِهـٰذَا القُرْآنِ، بَلْ كَانَ ـ عَلَيْهِ صَلَوَاتُ رَبِّيْ وَسَلامُهُ ـ يَخْطُبُ النَّاسَ بِهِ؛ كَمَا أَخْرَجَ الإِمَامُ أَحْمَدُ، وَمُسْلِمٌ، وَأَبُودَاوُدَ، وَغَيْرُهُمْ، عَنْ أُمِّ هِشَامٍ بِنْتِ حَارِثَةَ بْنِ النُّعْمَانِ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ـ قَالَتْ: «**مَا أَخَذْتُ** ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾ **إلاَّ عَنْ لِسَانِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ يَقْرَؤُهَا كُلَّ يَوْمِ جُمُعَةٍ عَلى المِنْبَرِ إِذَا خَطَبَ النَّاسَ**»(١).

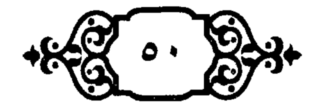
يَاإِخْوَةَ الإِسْلَامِ، وَيَاأَهْلَ القُرْآنِ، مَا أَجْمَلَ أَنْ نَعِيْشَ لَحَظَاتٍ فِي ظِلَالِ هَـٰذِهِ السُّورَةِ، نَتَدَبَّرُ آيَاتِهَا، وَنَتَأَمَّلُ عِظَاتِهَا، وَنَقِفُ عِنْدَ عَجَائِبِهَا؛ إِحْيَاءً لِهَـٰذِهِ السُّنَّةِ الَّتِي انْدَثَرَتْ أَوْ كَادَتْ، فَلَم يَكُنْ ـ عَلَيهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ ـ لِيَخْطُبَ النَّاسَ بِهَا، وَيُرَكِّزَ عَلَيْهَا في مَجَامِعِهِمْ، وَيَقْرَأَهَا في الفَجْرِ، والجُمَعِ، وَالأَعْيَادِ، إِلاَّ لِمَالَهَا مِنَ الشَّأْنِ والمَكَانَةِ؛ إِنَّهَا سُورَةٌ عَظِيْمَةٌ رَهِيْبَةٌ، شَدِيْدَةُ الوَقْعِ بِأُسْلُوبِهَا وحَقَائِقِهَا، تَأْخُذُ بِمَجَامِعِ القُلوبِ، تَهُزُّ النُّفُوسَ هَزًّا، وَتُثِيْرُ فِيْهَا الخَوْفَ مِنَ اللهِ، وَتُوْقِظُهَا مِنَ الغَفْلَةِ.

فَعَسَىٰ أَنْ نُلْقِيَ نَظَرَاتٍ، تَصْحَبُهَا عَبَرَاتٌ، مِنْ قَضَايَا هَـٰذِه السُّورَةِ العَظِيْمَةِ، وَصُورِهَا المُتَعَدِّدَةِ؛ فِي الحَيَاةِ وَالاِحْتِضَارِ، وَالمَمَاتِ والبَعْثِ، وَالحَشْرِ وَغَيْرِهَا؛ ﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٨﴾ [ق].

أَيُّهَا المُسْلِمُونَ، لَقَدِ ابْتَدَأَ اللهُ هَـٰذِهِ السُورَةَ بِالإِنْكَارِ عَلى

---

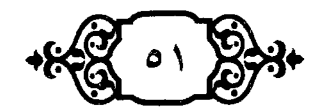
(١) رواه أحمد (٦/ ٤٣٥)، ومسلم (٨٧٣)، وأبو داود (١١٠٢).



المُكَذِّبِيْنَ، المُنْكِرِيْنَ لِرِسَالَةِ مُحَمَّدٍ ـ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ـ الجَاحِدِيْنَ لِلْبَعْثِ وَالحِسَابِ؛ بِقَوْلِهِمْ: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ ۝٣﴾ [ق].

فَبَيَّنَ اللهُ سُبْحَانَهُ أَنَّهُمْ لَمَّا كَذَّبُوا بِالحَقِّ، الْتَبَسَ عَلَيْهِمُ الأَمْرُ، ﴿فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ۝٥﴾ [ق]؛ قَدِ اخْتَلَفَتْ عَلَيْهِمُ الحَقَائِقُ، وَعُمِّيَتْ عَلَيْهِمُ السُّبُلُ، وَهَـٰكَذَا كُلُّ مَنْ حَادَ عَنِ الحَقِّ تَتَقَاذَفُهُ الأَهْوَاءُ، وَتُمَزِّقُهُ الحَيْرَةُ، وَتُقْلِقُهُ الشُّكُوكُ، لَقَدْ جَاءَ صَدْرُ هَـٰذِهِ السُّورَةِ لِيُعَالِجَ قَضِيَّةً عَقَدِيَّةً مُهِمَّةً، أَلاَ وَهِيَ: «**قَضِيَّةُ البَعْثِ وَإِنْكَارِ الكُفَّارِ لَهُ**»، بِأُسْلُوبٍ يُذِيْبُ القُلُوبَ وَيُرَقِّقُهَا، وَيُقِيْمُ الحُجَّةَ عَلى المُعَانِدِيْنَ، وَيَلْفِتُ أَنْظَارَهُمْ إِلىٰ بَدِيْعِ خَلْقِ اللهِ فِي الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ، وَالجِبَالِ وَالمَطَرِ وَالنَّبَاتِ؛ ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَـٰهَا وَزَيَّنَّـٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٨ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَـٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّـٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ۝٩ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَـٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝١٠ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ۝١١﴾ [ق].

ثُمَّ يَأْتِي السِّيَاقُ بِعَرْضِ صَفْحَةٍ أُخْرَىٰ تُذَكِّرُ القُلُوبَ بِمَصَارِعِ الغَابِرِيْنَ، وَأَحْوالِ المُكَذِّبِيْنَ السَّابِقِيْنَ، الَّذِيْنَ حَقَّ عَلَيْهِمْ وَعِيْدُ اللهِ بِعَذَابِهِ وَنَكَالِهِ بِهِمْ؛ ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَـٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ۝١٢﴾ . . . إِلىٰ قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ۝١٤﴾[ق].



وَتَمْضِي السُّورَةُ مُسْتَطْرِدَةً مَعَ قَضِيَّةِ البَعْثِ، مُذَكِّرَةً الإِنْسَانَ بِخَلْقِ اللهِ لَهُ، وَعِلْمِهِ بِهِ، وَقُرْبِهِ مِنْهُ، وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ يَعْلَمُ وَسَاوِسَ النَّفْسِ، وَخَلَجَاتِ الضَّمِيرِ(١)، فَضْلاً عَنِ الظَّاهِرِ المُبِيْنِ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾﴾[ق]، وَتَلْفِتُ الأَنْظَارَ إِلَىٰ رَقَابَةِ اللهِ ـ جَلَّ وَعَلاَ ـ عَلَىٰ خَلْقِهِ، وَأَنَّهُ مُطَّلِعٌ عَلَىٰ أَعْمَالِهِمْ، وَقَدْ أَوْكَلَ بِكُلِّ إِنْسَانٍ مَلَكَيْنِ يَتَلَقَّيَانِ أَقْوَالَهُ وَأَعْمَالَهُ، فَكُلُّ لَفْظَةٍ وَكَلِمَةٍ مُدَوَّنَةٌ عَلَيْهِ؛ ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق].

ثُمَّ تَأْتِي المَشَاهِدُ المُرْعِبَةُ بِأُسْلُوبٍ رَهِيْبٍ مُخِيْفٍ يَرُجُّ الأَفْئِدَةَ رَجًّا، مُبْتَدِئًا بِمَشْهَدِ المَوْتِ وَسَكَرَاتِهِ، ثُمَّ مَشْهَدِ الحِسَابِ وَعَرْضِ الصُّحُفِ، ثُمَّ مَشْهَدِ جَهَنَّمَ ـ أَعَاذَنَا اللهُ مِنْهَا! ـ فَاغِرَةً فَاهَا تَتَلَمَّظُ، كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيْهَا وَقُودُهَا مِنَ النَّاسِ، تَقُولُ: ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾ [ق]، نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ سَخَطِهِ وَعَذَابِهِ، وَأَلِيْمِ عِقَابِهِ! وَبِجَانِبِ ذَٰلِكَ مَشْهَدُ الجَنَّةِ وَنَعِيْمِهَا، جَعَلَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْ أَهْلِهَا!.

﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ﴾ [ق: ١٩]، إِنَّهَا سَكْرَةُ فِرَاقِ الأَهْلِ وَالمَالِ وَالمَنْصِبِ، ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾ وَتَهْرُبُ، وَلَـٰكِنْ لاَ مَفَرَّ مِنَ المَوْتِ وَلاَمَهْرَبَ، وَمِنْ سَكْرَةِ المَوْتِ إِلَىٰ وَهْلَةِ الحَشْرِ وَهَوْلِ

(١) خَلَجَاتُ الضمير: وساوسُهُ وما يَجِيشُ به. انظر: «اللسان» (خلج).



الحِسَابِ، ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ ﴿٢١﴾ ﴾[ق]، وَفِي هَـٰذَا المَوْقِفِ العَصِيْبِ يُقَالُ لَهُ: ﴿ لَّقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ ﴿٢٢﴾ ﴾ [ق].

وَيَكْشِفُ السِّيَاقُ عَنْ جَانِبٍ أَشَدَّ وَأَعْظَمَ: ﴿ يَوۡمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ وَتَقُولُ هَلۡ مِن مَّزِيدٖ ﴿٣٠﴾ ﴾[ق]، اللهُ أَكْبَرُ! يُحْضِرُ المَلائِكَةُ ﴿ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٖ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٖ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ [ق]؛ فَيُقْذَفُونَ مَعَ كَثْرَتِهِمْ فِيْ جَهَنَّمَ تِبَاعًا، فَتُفَتِّتُهُمْ رُكَامًا، ثُمَّ تُنَادَىٰ جَهَنَّمُ: ﴿ هَلِ ٱمۡتَلَأۡتِ ﴾ [ق: ٣٠] وَاكْتَفَيْتِ؟! وَلَـٰكِنَّهَا تُجِيْبُ جَوَابًا يُرَوِّعُ القُلُوبَ وَيَهُزُّ النُّفُوسَ: ﴿ هَلۡ مِن مَّزِيدٖ ﴿٣٠﴾ ﴾؟! فَيَا لَهُ مِنْ هَوْلٍ شَدِيْدٍ، وَرُعْبٍ أَكِيْدٍ، يَبْعَثُ أَهْلَ القُلُوبِ الحَيَّةِ عَلَى الأَخْذِ بِأَسْبَابِ الوِقَايَةِ مِنْهَا.

وَيُقَابِلُ هَٰذَا المَشْهَدَ المُرْعِبَ مَشْهَدُ الجَنَّةِ تُقَرَّبُ مِنَ المُتَّقِيْنَ: ﴿ وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ غَيۡرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٖ ﴿٣٢﴾ مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٖۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ ﴿٣٥﴾ ﴾[ق].

ثُمَّ تُخْتَمُ السُّورَةُ بِتَأْكِيْدِ القَضَايَا السَّابِقَةِ، وَلَـٰكِنْ بِأُسْلُوبٍ جَدِيْدٍ؛ لِيَكُونَ أَكْثَرَ وَقْعًا، وَأَشَدَّ تَرْكِيْزًا، فِيْهِ لَمَسَاتُ التَّأْرِيْخِ، وَمَصَارِعُ الهَالِكِيْنَ، وَفِيْهِ الإِشَارَةُ لِبَعْضِ الحَقَائِقِ الكَوْنِيَّةِ، وَفِيْهِ التَّذْكِيْرُ بِحَقِيْقَةِ البَعْثِ وَالنُّشُورِ،



﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ [ق].

وَبَعْدُ ـ يَا أُمَّةَ القُرْآنِ ـ هَـٰذِهِ وَقَفَاتٌ سَرِيْعَةٌ، وَنَظَرَاتٌ خَاطِفَةٌ، فِيْ سُورَةٍ مِنْ أَعْظَمِ سُوَرِ القُرْآنِ، فَأَيْنَ القُلُوبُ الَّتِيْ تَعِي كَلَامَ اللهِ، وَتَتَدَبَّرُ آيَاتِهِ؟! أَيْنَ: ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا ﴾ [الأنفال: ٢]؟! العَجَبُ كُلُّ العَجَبِ أَنْ تَكُونَ القُلُوبُ ـ وَهِيَ مُضَغٌ مِنْ لَحْمٍ وَدَمٍ ـ أَقْسَىٰ مِنَ الجِبَالِ الرَّوَاسِيْ، والحِجَارَةِ القَاسِيَةِ! أَلَمْ يَقُلِ اللهُ سُبْحَانَهُ: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَـٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ [الحشر: ٢١]؟! فَمَا بَالُ القُلُوبِ ـ يَا عِبَادَ اللهِ ـ لاَ تَلِيْنُ وَلاَ تَخْشَعُ عِنْدَ سَمَاعِ آيَاتِ كِتَابِ اللهِ؟!

إِنَّهَا دَعْوَةٌ إِلى المُسْلِمِيْنَ جَمِيْعًا ـ وَلاَ سِيَّمَا حَمَلَةُ كِتَابِ اللهِ ـ أَنْ يَتَدَبَّرُوا كِتَابَ اللهِ، وَأَنْ يَسْتَلْهِمُوا مَا فِيْهِ مِنَ العِبَرِ وَالعِظَاتِ، وَأَنْ يَقِفُوا عِنْدَ عَجَائِبِهِ؛ فَتَتَحَرَّكَ بِهِ قُلُوبُهُمْ، يَجِبُ أَنْ تُرَبَّى الأَجْيَالُ وَتُنَشَّأَ الأُسَرُ عَلَىٰ هَـٰذَا المَنْهَجِ السَّلِيْمِ؛ تَأَسِّيًا بِسَلَفِ هَـٰذِهِ الأُمَّةِ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ـ بِإِخْلَاصٍ وَاحْتِسَابٍ، دُونَ تَصَنُّعٍ وَتَزَلُّفٍ وَاحْتِرَافٍ، وَلْيَتَّقِ اللهَ مَنْ هَضَمَ حَقَّ كِتَابِ اللهِ؛ فَسَاوَاهُ بِغَيْرِهِ، وَلَاكَهُ بِلِسَانِهِ، هَذًّا وَهَذْرَمَةً(١)، دُونَ تَدَبُّرٍ وَتَفَكُّرٍ.

يَقُولُ الصَّحَابِيُّ الجَلِيْلُ عَبْدُاللهِ بْنُ مَسْعُودٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ: «لاَ

---

(١) الهَذْرَمَة: السرعة في الكلام والتخليطُ فيه. «النهاية» (هذرم).



تَهُذُّوا القُرْآنَ هَذَّ الشِّعْرِ[1]، وَلاَ تَنْثُرُوهُ نَثْرَ الدَّقَلِ[2]، وقِفُوا عِنْدَ عَجَائِبِهِ، وَحَرِّكُوا بِهِ القُلُوبَ، وَلاَ يَكُنْ هَمُّ أَحَدِكُمْ آخِرَ السُّوْرَةِ»[3].

يَاإِخْوَةَ الإِسْلَامِ، أَعِيْدُوا لِكِتَابِ اللهِ حَقَّهُ، لَقَدْ كَانَ بَعْضُ السَّلَفِ يَقُومُ اللَّيْلَ كُلَّهُ بِآيَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ، يُكَرِّرُهَا وَيَبْكِيْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ حَتَّى الصَّبَاحِ![4] فَأَيْنَ نَحْنُ مِنْ هَـٰذَا المَنْهَجِ السَّدِيْدِ؟! أَمَّا الشَّارِدُونَ عَنِ القُرْآنِ الغَافِلُونَ عَنْهُ، فَلْيَتَّقُوا اللهَ، وَلْيَعُودُوا إِلَيْهِ؛ لِيَرْتَوُوا مِن نَمِيرِهِ، وَيَنْهَلُوا مِن مَعِيْنِهِ؛ فَهُو عِلاَجُ أَمْرَاضِ القُلُوبِ، وَجِلاَءُ صَدَئِهَا، بِإِذْنِ اللهِ.

وَلَابُدَّ مِنَ التَّذكِيْرِ بِمَا لِهَـٰذَا الكِتَابِ مِنْ مَكَانَةٍ، وَمَا يَجِبُ عَلَى الطُّلَّابِ وَالمُدَرِّسِيْنَ، وَأَوْلِيَاءِ الأُمُورِ مِنْ مَسْئُولِيَّةٍ تُجَاهَ كِتَابِ اللهِ، تِلَاوَةً وَتَدَبُّرًا، وَتَطْبِيْقًا وتَرْبِيَةً؛ لِيَعْمَلَ الجَمِيْعُ قَدْرَ جُهْدِهِمْ عَلَىٰ أَنْ يَكُونَ لِكِتَابِ اللهِ النَّصِيْبُ الأَكْبَرُ، والحَظُّ الأَوْفَرُ مِنَ الأَوْقَاتِ، فَفِيْ ذٰلِكَ الفَضْلُ العَظِيْمُ، وَالخَيْرُ العَمِيْمُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

---

(١) أي: لا تَهُذُّوا القرآن هَذًّا؛ فتسرعوا فيه كما تسرعون في قراءة الشعر! والهَذُّ: سرعة القطع. «النهاية» (هذذ).

(٢) الدَّقَلُ: رديء التَّمْرِ وَيَابِسُهُ، وما ليس له اسْمٌ خَاصٌّ، فتراه ليبسه ورداءته لا يجتمع، ويكون منثورًا. «النهاية» (دقل).

(٣) رواه ابن أبي شيبة (٢/ ٥٢١)، والبيهقي في «الشعب» (٢٠٤١، ٢٠٤٢)، والبغوي في «تفسيره» (٨/ ٢٥١).

(٤) انظر: «فضائل القرآن» لأبي عبيد (ص١٤٤)، و«التبيان» للنووي (ص١١٢).



اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ أَهْلِ القُرْآنِ الَّذِيْنَ هُمْ أَهْلُكَ وَخَاصَّتُكَ، اللَّهُمَّ ذَكِّرْنَا مِنْهُ مَا نُسِّيْنَا، وَعَلِّمْنَا مِنْهُ مَا جَهِلْنَا، وَارْزُقْنَا تِلَاوَتَهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ عَلَى الوَجْهِ الَّذِي يُرْضِيْكَ عَنَّا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي القُرْآنِ العَظِيْمِ، وَانْفَعْنَا بِمَا فِيْهِ مِنَ الآيَاتِ وَالذِّكْرِ الحَكِيْمِ.

أَقُولُ قَوْلِيْ هَـٰذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِيْ وَلَكُمْ وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ، فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيْمُ.

الخطبة الثانية

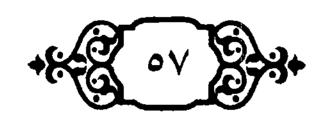
الحَمْدُ لله الوَلِيِّ الحَمِيْدِ، أَحْمَدُهُ تَعَالىٰ وَأَشْكُرُهُ وَأَسْأَلُهُ مِنْ فَضْلِهِ المَزِيْدَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ، المُبْدِئُ المُعِيْدُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ أَشْرَفُ الأَنْبِيَاءِ، وَأَفْضَلُ الرُّسُلِ وَخُلاَصَةُ العَبِيدِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِيْنَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلىٰ يَوْمِ الدِّيْنِ.

أمّا بعد:

فَاتَّقُوا اللَّهَ ـ عِبَادَ اللهِ ـ ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾ [البقرة].

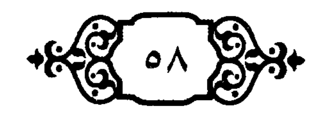
أَيُّهَا الإِخْوَةُ فِي اللهِ، وَوَقْفَةٌ أَخِيْرَةٌ مَعَ خَوَاتِيْمِ هَـٰذِه السُّورَةِ العَظِيْمَةِ؛ حَيْثُ تُمَثِّلُ الخَاتِمَةُ إِيْجَازًا لِمَوْضُوعَاتِ السُّورَةِ وَقَضَايَاهَا؛ مِنَ البَعْثِ، وَالنُّشُورِ، وَمَرَاحِلِ الخَلْقِ، وَمَصِيْرِ الخَلِيْقَةِ، وَأَهْوَالِ القِيَامَةِ، وَالحَضِّ عَلَى الصَّبْرِ فِي تَبْلِيْغِ هَـٰذَا الدِّيْنِ، كُلُّ ذٰلِكَ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ.

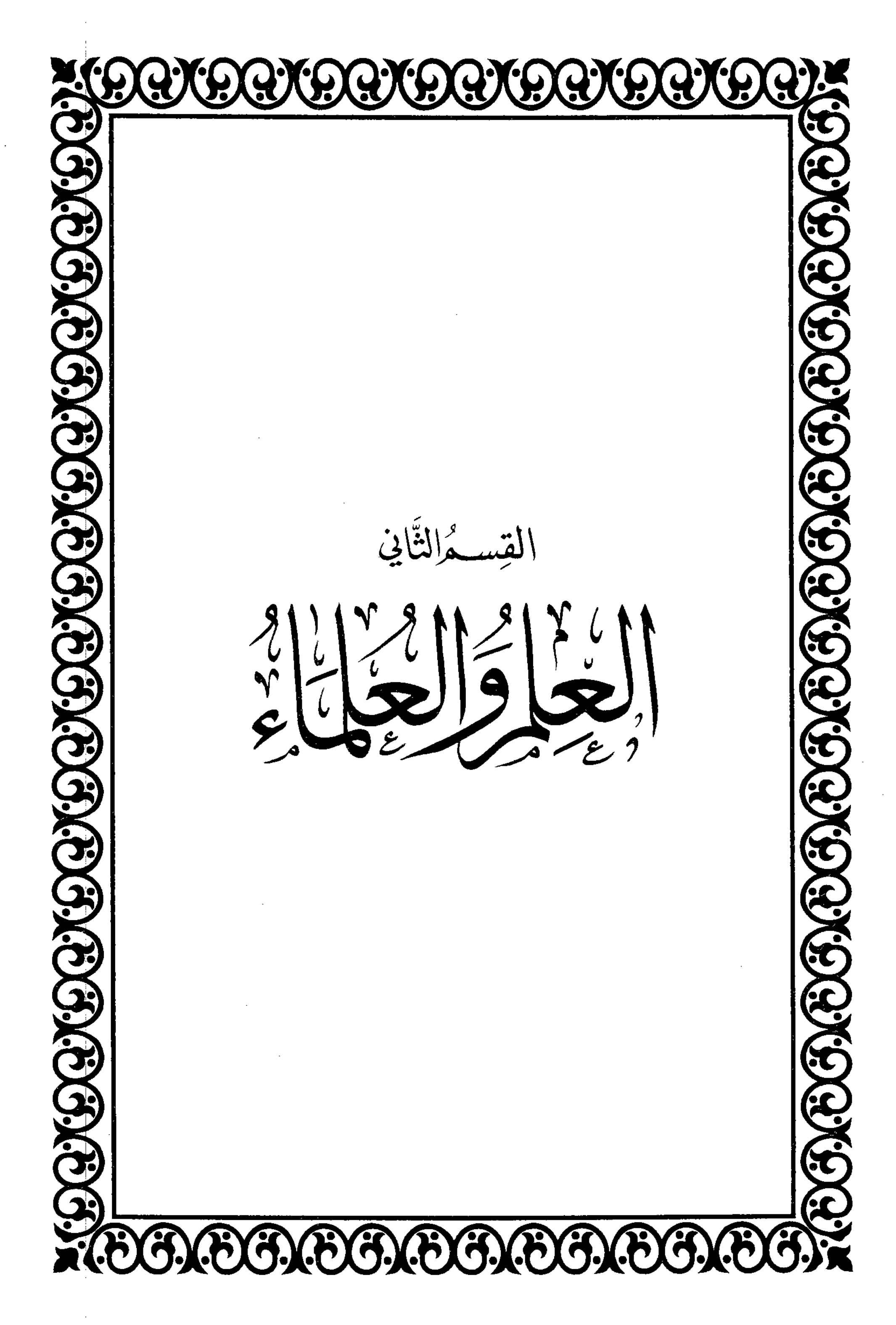
وَتَأْتِي خَاتِمَةُ الخِتَامِ: ﴿ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾ ﴾ [ق]؛ لِتُؤَكِّدَ أَنَّ التَّذْكِيْرَ وَالذِّكْرَىٰ ـ لِمَنْ يَخَافُ الوَعِيْدَ فِي الأُخْرَىٰ ـ يَتَلَخَّصُ فِي هَـٰذَا القُرْآنِ المَجِيْدِ، وَهِيَ دَعْوَةٌ لِلنَّاسِ عُمُومًا، وَلِلدُّعَاةِ خُصُوصًا: أَنْ



يَكُونَ مِحْوَرُ دَعْوَتِهِمْ مُرْتَكِزًا عَلَى هَـٰذَا القُرْآنِ العَظِيْمِ، وَرَبْطِ النَّاسِ بِهِ عَلَىٰ كُلِّ الأَحْوَالِ وَفِي كُلِّ مَجَالٍ؛ فَفِيْهِ سَعَادَةُ الدُّنْيَا وَالآخِرَة.

هَـٰذا؛ وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا ـ رَحِمَكُمُ اللهُ ـ عَلَىٰ خَيْرِ رَسُولٍ أُنْزِلَ عَلَيْهِ خَيْرُ كِتَابٍ، كَمَا أَمَرَكُمْ بِذٰلِكَ اللَّطِيْفُ الوَهَّابُ، فَقَالَ تَعَالَىٰ قَوْلاً كَرِيْمًا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾[الأحزاب].





القِسمُ الثَّاني

العِلمُ والعُلماءُ



الخطبة الأولى

إِنَّ الحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ، ونَسْتَعِيْنُهُ، ونَسْتَهْدِيهِ، ونَسْتَغْفِرُهُ، ونَتُوبُ إِلَيْهِ، وَنَعُوْذُ بِهِ من شُرُوْرِ أَنْفُسِنَا، وَسَيِّئَاتِ أَعمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ، رَفَعَ شَأْنَ العِلْمِ، وأَعْلَىٰ قَدْرَ أَهْلِهِ، وأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ صَلَّى اللهُ وسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وعَلَىٰ آلِه وَصَحْبِهِ والتَّابِعِيْنَ، الَّذِيْنَ كَانُوا بِعِلْمِهِم وَعَمَلِهِم مَنَارًا للسَّالِكِيْنَ، وَقُدْوَةً للعَامِلِيْنَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّيْنِ.

أَمَّا بعد:

فَيَا أَيُّهَا ٱلْمُسْلِمُونَ، اتَّقُوا اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ فَتَقْوَى اللهِ سُبْحَانَهُ سَبَبٌ مُوَصِّلٌ للعِلْمِ الَّذِي هُوَ سُلَّمُ النَّجَاةِ، بِإِذْنِ اللهِ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩]، أَيْ: عِلْمًا تُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الحَقَائِقِ، وَتَفْصِلُونَ بِهِ بَيْنَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ[١].

---

(١) انظر: «مفتاح دار السعادة» (١/ ٥١٩)، و«تيسير الكريم الرحمن» للعلامة السعدي (١/ ٢٤٣ تفسير سورة البقرة، آية: ٢٨٢).

عِبَادَ ٱللَّهِ، إِنَّهُ مِمَّا لاَ شَكَّ فِيْهِ: أَنَّ العِلْمَ شَرَفٌ، وَنُوْرٌ، وَفَضِيْلَةٌ، وأَنَّ الجَهْلَ شَرٌّ، وبَلاَءٌ، وَرَذِيْلَةٌ، وأَنَّ العِلْمَ النَّافِعَ مَصْدَرُ الفَضَائِلِ وَيَنْبُوعُهَا، وأَنَّ الجَهْلَ مَكْمَنُ الرَّذَائِلِ وبُؤْرَتُهَا، وأَنَّ العِلْمَ أَعْذَبُ المَوَارِدِ، ومَجْمَعُ الشَّوَارِدِ، وأَنَّهُ بالعِلْمِ النَّافِعِ يَتَحَقَّقُ للأَفْرَادِ والمُجْتَمَعَاتِ، بِنَاءُ الأَمْجَادِ وتَشْيِيدُ الحَضَارَاتِ؛ كَمَا أَنَّهُ بالجَهْلِ تَتَزَعْزَعُ الأَرْكَانُ، وَيَتَصَدَّعُ عَامِرُ البُنْيَانِ، وَيَحُلُّ الدَّمَارُ بِبَنِي الإِنْسَانِ؛ لِذٰلِكَ كُلِّهِ، وَلِمَا لِلْعِلْمِ مِنْ شَرَفِ المَكَانَةِ، وَعَظِيْمِ المَنْزِلَةِ، جَاءَ دِيْنُنَا الإِسْلاَمِيُّ الحَنِيْفُ بالحَثِّ عَلَى العِلْمِ، والتَّرْغِيْبِ فِيْهِ، والتَّشْجِيْعِ عَلَىٰ سُلُوْكِ سَبِيْلِهِ، وأَنَّ سُلُوْكَ سَبِيْلِ العِلْمِ النَّافِعِ طَرِيْقٌ إِلَىٰ دُخُوْلِ الجَنَّةِ، بِإِذْنِ اللهِ.

صَحَّ عَنْ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيْقًا يَلْتَمِسُ فِيْهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيْقًا إِلَى الجَنَّةِ**»[1].

كَمَا كَانَ الأَمْرُ بِالقِرَاءَةِ أَوَّلَ صَيْحَةٍ مُجَلْجِلَةٍ[2] أَطْلَقَهَا الإِسْلاَمُ؛ تَنْوِيْهًا بِقِيْمَةِ العِلْمِ، وَسُمُوًّا بِقَدْرِهِ، وَتَكْوِيْنًا لِقَاعِدَةِ البِنَاءِ المَعْنَوِيِّ فِي الأُمَّةِ، وَتَشْيِيدًا لِصَرْحِ حَضَارَتِهَا، وَسِرِّ ازْدِهَارِهَا، وَنُمُوِّ كِيَانِهَا،

---

(١) رواه مسلم (٢٦٩٩)؛ من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

(٢) صيحةٌ مُجَلْجِلَةٌ، أي: بعيدةُ الصوت جَهِيرَةٌ. «اللسان» و«القاموس» (جلل).



أَلاَ وَهُوَ: العِلْمُ بِكِتَابِ اللهِ، وَسُنَّةِ رَسُوْلِهِ ﷺ، والعِلْمُ بِكُلِّ مَا تَحْتَاجُهُ الأمَّةُ الإسْلاَمِيَّةُ فِي مَسِيْرَتِهَا؛ لِتُوَاكِبَ بِحَضَارَتِهَا عَصْرَهَا الَّذِي تَعِيْشُهُ، مَعَ تَمَسُّكِهَا بِأُصُوْلِ عَقِيْدَتِهَا، وَتَعَالِيْمِ دِيْنِهَا.

أُمَّةَ ٱلإِسْلَامِ، كَمْ فِي كِتَابِ اللهِ مِنَ الآيَاتِ الكَرِيْمَةِ فِي هَٰذَا المَوْضُوْعِ المُهِمِّ، أَلَمْ تَقْرَءُوا قَوْلَهُ سُبْحانَهُ: ﴿۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ﴾ [الرعد: ١٩]، وَقَوْلَهُ جَلَّ وعَلاَ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ١١٤﴾ [طه]، وَقَوْلَهُ سَبْحانَهُ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨]، وَقَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]، وَقَوْلَهُ جَلَّ وعَلاَ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١]؟!

كَذَلِكُم كَانَ رَسُوْلُكُم ﷺ ـ وَهُوَ المُعَلِّمُ الأَوَّلُ ـ قُدْوَةً حَسَنَةً فِي هَٰذَا المَجَالِ؛ فَجَاءَ فِي سُنَّتِهِ القَوْلِيَّةِ والعَمَلِيَّةِ مَا يُبَيِّنُ المَقَامَ الأَسْمَىٰ فِي هَٰذَا الأَمْرِ العَظِيْمِ.

أَمَّا سَلَفُنَا الصَّالِحُ ـ رَحِمَهُمُ اللهُ ـ فَقَدْ سَطَّرُوا أَنْصَعَ الصَّفَحَاتِ، وَضَرَبُوا أَرْوَعَ الأَمْثِلَةِ فِي الحِرْصِ عَلَى العِلْمِ، وَقَطَعُوا الفَيَافِيَ والقِفَارَ للرِّحْلَةِ في طَلَبِهِ؛ حَتَّىٰ خَلَّفَ ذٰلِك الجُهْدُ حَضَارَةً عِلْمِيَّةً مُتَنَوِّعَةً، لَمْ يَشْهَدِ التَّأْرِيْخُ لَهَا مَثِيْلاً، وَتَبَوَّأَتِ المَكْتَبَةُ الإسْلاَمِيَّةُ فِي



شَتَّى العُلُوْمِ والفُنُوْنِ أَوْجَ مَكَانَتِهَا، وَمَا ذٰلِكَ إلاَّ بِتَوْفِيْقِ اللهِ سُبْحَانَهُ، ثُمَّ بالإخْلَاصِ فِي طَلَبِ العِلْمِ، حَيْثُ لَمْ تُدَنِّسْهُ الأَطْمَاعُ الدُّنْيَوِيَّةُ، والمَطَامِحُ المَادِّيَّةُ، ثُمَّ بالمَنْهَجِ السَّلِيْمِ، والجِدِّ، وَالمُثَابَرَةِ، مِمَّا يَتَطَلَّبُ مِنْ طُلَّابِ العِلْمِ اليَوْمَ التَّأَسِّيَ والاقْتِدَاءَ.

أُمَّةَ العِلْمِ وَالإِيْمَانِ، إِنَّ أَعْظَمَ بَلِيَّةٍ بُلِيَ بِها كَثِيْرٌ مِنَ المُسْلِمِيْنَ اليَوْمَ: الجَهْلُ بِدِيْنِ اللهِ؛ فَهُوَ سَبَبُ كُلِّ مُشْكِلَةٍ، وَطَرِيْقُ كُلِّ مُعْضِلَةٍ، صَاحِبُهُ إِذَا عَاشَ فَهُوَ غَيْرُ مَعْدُوْدٍ، وَإِذَا مَاتَ فَهُوَ غَيْرُ مَفْقُوْدٍ، وَمَا عُبِدَ غَيْرُ اللهِ، وَمَا تَعَبَّدَ كَثِيْرٌ مِنَ النَّاسِ بِغَيْرِ شَرْعِ اللهِ ـ مِنَ الطَّرَائِقِ والأَهْوَاءِ ـ إِلاَّ نَتِيْجَةَ الجَهْلِ بِجَوْهَرِ الإِسْلَامِ، وأُصُوْلِهِ السَّامِيَةِ.

وَبِالجُمْلَةِ: فَكُلُّ شَرٍّ وَبَلَاءٍ، وفَسَادٍ ودَاءٍ، في عَقِيْدَةِ الأُمَّةِ وَعِبَادَاتِهَا، وَتَصَوُّرَاتِهَا وأَفْكَارِهَا، وَسُلُوْكِهَا وأَخْلَاقِهَا ـ فالجَهْلُ مَصْدَرُهُ، والعِيُّ[1] مَوْرِدُهُ، وَمَنْ أَحَبَّ نَجَاتَهُ، فَطَرِيْقُ العِلْمِ سُلَّمُ الوُصُوْلِ لذٰلِكَ، بِإِذْنِ اللهِ.

وَأَوْلَىٰ عِلْمٍ نُرِيْدُهُ: العِلْمُ بِكِتَابِ اللهِ؛ تِلَاوَةً وَحِفْظًا، وَتَدَبُّرًا وَتَفْسِيْرًا، ثم العِلْمُ بِسُنَّةِ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ؛ رِوَايَةً وَدِرَايَةً، وَتَطْبِيْقًا، والعِنَايَةُ بالفِقْهِ فِي دِيْنِ اللهِ؛ فِي العَقِيْدَةِ، والعِبَادَاتِ، والمُعَامَلَاتِ،

(١) العِيُّ: الجهل. «النهاية» (عيي).

وَنَحْوِهَا؛ لِيَكُوْنَ المُسْلِمُ عَلَىٰ بَصِيْرَةٍ مِنْ أَمْرِهِ، كَذٰلِكَ العِلْمُ بِلُغَةِ القُرْآنِ الكَرِيْمِ، اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ الفُصْحَى، الَّتي زَهِدَ فِيْهَا كَثِيْرٌ مِنَ النَّاسِ، وَزَاحَمُوْهَا بِغَيْرِهَا مِنَ اللُّغَاتِ، وَلاَ تَزَالُ تَلْقَىٰ حَرْبًا لاَ هَوَادَةَ فِيْهَا؛ فِي أَسَالِيْبِهَا وَتَرَاكِيْبِهَا، وَشِعْرِهَا وَنَثْرِهَا، مِنْ بَعْضِ الحَاقِدِيْن عَلَيْهَا؛ لٰكِنَّ اللهَ حَافِظُهَا مَا حَفِظَ دِيْنَهُ وَكِتَابَهُ.

هَٰذَا، وإِنَّ المُسْلِمِيْنَ اليَوْمَ لَفِي أَمَسِّ الحَاجَةِ إِلَىٰ أَنْ يَتَكَوَّنَ مِنْهُم أَجْيَالٌ مُلِمَّةٌ بالعُلُوْمِ المُهِمَّةِ الَّتي يَحْتَاجُهَا المُسْلِمُوْنَ؛ كَعِلْمِ الطِّبِّ، والهَنْدَسَةِ، والاِقْتِصَادِ، وَسِوَاهَا مِن فُرُوْضِ الكِفَايَةِ؛ لِيَتَسَنَّىٰ لَهُم خِدْمَةُ دِيْنِهِمْ، وَالاِسْتِغْنَاءُ عَن غَيْرِهِمْ.

وَمِمَّا يَجْدُرُ التَّنْوِيْهُ بِشَأْنِهِ: ضَرُوْرَةُ تَعَلُّمِ طَائِفَةٍ من المُسْلِمِيْنِ العُلُوْمَ العَسْكَرِيَّةَ، والآلاَتِ الحَرْبِيَّةَ؛ لِيَتَمَكَّنُوا مِن مُوَاكَبَةِ العَصْرِ الَّذي يَعِيْشُوْنَهُ، وَلِيَتَسَنَّىٰ لَهُمُ الدِّفَاعُ عَن مُقَدَّسَاتِهِم، وحُرُمَاتِهِم، وَعَقِيْدَتِهِم، كَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُوْنَ مِن بَيْنِ المُسْلِمِيْنَ مَنْ يُعنَىٰ بالعُلُوْمِ المِهْنِيَّةِ، والأَعْمَالِ الفَنِّيَّةِ؛ لِيُكَمِّلَ المُسْلِمُوْنَ أَنْفُسَهُم مِنْ كُلِّ عِلْمٍ فِيْه نَفْعُهُم، وصَلاَحُ أَحْوَالِهِم.

وَإِنَّمَا المُهِمُّ فِي كُلِّ عِلْمٍ: إِخْلاَصُ العَمَلِ فِيْهِ لله، وتَسْخِيْرُهُ لِخِدْمَةِ الدِّيْنِ والعَقِيْدَةِ، والدَّعْوَةُ إِلَى الإِسْلاَمِ من خِلاَلِهِ.



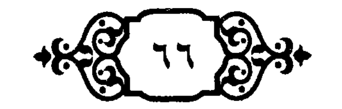
فَلَعَلَّ أَبْنَاءَ المُسْلِمِيْنَ الَّذِيْنَ يَسْتَعِدُّوْنَ هَـٰذِهِ الأَيَّامَ لِبِدَايَةِ عَامٍ دِرَاسِيٍّ جَدِيْدٍ، لَعَلَّهُم أَنْ يَعُوا هَـٰذِهِ القَضَايَا المُهِمَّةَ فِي هَـٰذِهِ الرِّسَالَةِ الجَلِيْلَةِ.

فَيَا أَبْنَاءَ الإِسْلَامِ، وَيَا طَلَبَةَ العِلْمِ، يَا مَنْ شَرَّفَكُمُ اللهُ بالنَّهَلِ مِنْ مِيْرَاثِ النُّبُوَّةِ، اتَّقُوا اللهَ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ في طَلَبِكُم، واعْتَنُوا بالعِلْمِ الشَّرْعِيِّ، واسْلُكُوا مَنْهَجَهُ الصَّحِيْحَ، واطْلُبُوْهُ مِنْ أَهْلِهِ المَوثُوْقِيْنَ.

وَأَنْتُم ـ أَيُّهَا المُدَرِّسُوْنَ ـ يَا مَنْ حَمَلْتُم أَمَانَةَ التَّعْلِيْمِ والتَّرْبِيَةِ لِفِلْذَاتِ أَكْبَادِ المُسْلِمِيْنَ! اتَّقُوا اللهَ فِيْهِم، واعْلَمُوا أَنَّكُم مَسْئُولُوْنَ عَنْهُم أَمَامَ اللهِ؛ فَكُونُوا قُدْوَةً لَهُم وَخَيْرَ مَثَلٍ يُحْتَذَىٰ في الخُلُقِ والاسْتِقَامَةِ، واعْتَنُوا بِتَرْبِيَتِهِم تَرْبِيَةً إِسْلَامِيَّةً صَحِيْحَةً؛ لِتَسِيْرَ العَمَلِيَّةُ التَّعْلِيْمِيَّةُ والتَّرْبَوِيَّةُ بِخُطًا سَلِيْمَةٍ، فأَنْتُم مُرَبُّوْنَ، قَبْلَ أَنْ تَكُوْنُوا مُلَقِّنِيْنَ.

أَمَّا مَنْ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِم بِالعِلْمِ وَالمَعْرِفَةِ، مِنَ العُلَمَاءِ وَرَثَةِ الأَنْبِيَاءِ: فَإِنَّ وَاجِبَهُم عَظِيْمٌ في البَلَاغِ والبَيَانِ، وَتَعْلِيْمِ المُسْلِمِيْنَ أُمُوْرَ دِيْنِهِم، وَإِعَادَةِ مَكَانَةِ العِلْمِ الشَّرْعِيِّ، وَإِحَيَاءِ حِلَقِ الذِّكْرِ فِي المَسَاجِدِ، وَدُوْرِ العِلْمِ؛ كَيْلَا يَقَعُوا تَحْتَ طَائِلَةِ الكِتْمَانِ المُحَرَّمِ.

وَنِدَاءٌ إِلَىٰ مَنِ اؤْتُمِنُوا عَلَىٰ إِعْدَادِ الخُطَطِ، وَرَسْمِ مَنَاهِجِ التَّعْلِيْمِ لأَبْنَاءِ المُسْلِمِيْنَ وَبَنَاتِهِم: أَنْ يَتَّقُوا اللهَ فِيْهِم، وَيُشْبِعُوا نَهَمَهُم مِنَ العُلُوْمِ الشَّرْعِيَّةِ، وَيَجْعَلُوا مَنَاهِجَهُم مَبْنِيَّةً عَلَى الكِتَابِ والسُّنَّةِ، وَيُقْصُوا كُلَّ



مَا يَتَنَافَىٰ مَعَ دِيْنِنَا، ومُثُلِنَا، وَمَبَادِئِنَا؛ لِتَتَحَوَّلَ المَدَارِسُ، والمَعَاهِدُ، والجَامِعَاتُ إِلَىٰ صُرُوْحِ خَيْرٍ وَهُدًى، وَمَيَادِيْنِ تَوْجِيْهٍ وتَرْبِيَةٍ.

وَدَعْوَةٌ إِلَىٰ أَوْلِيَاءِ أُمُورِ الطَّلَبَةِ وَالطَّالِبَاتِ: أَنْ يَعُوا دَوْرَهُمُ الكَبِيْرَ فِي مُتَابَعَةِ أَبْنَائِهِم، وتَفَقُّدِ أَحْوَالِهِم، وإِيْجادِ العَلاَقَةِ الوَطِيْدَةِ[1] بَيْنَ الأُسْرَةِ والمَدْرَسَةِ؛ لِيَتِمَّ التَّعَاوُنُ البَنَّاءُ المُثْمِرُ؛ عِلْمًا وَعَمَلاً، وَتَوْجِيْهًا وتَرْبِيَةً.

هَٰذِهِ - أَيُّهَا المُسْلِمُوْنَ - إِشَارَاتٌ يَسِيْرَةٌ، في مُهِمَّةٍ عَظِيْمَةٍ، أَرْجُو أَنْ يَكُوْنَ طَرْحُهَا بِمُنَاسَبَةِ بَدْءِ العَامِ الدِّرَاسِيِّ الجَدِيْدِ حَافِزًا لِلهِمَمِ، وأَنْ يَعِيَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا دَوْرَهُ؛ لِيَتِمَّ لِمُجْتَمَعَاتِنَا المُسْلِمَةِ مَا تَصْبُو إِلَيْه من عِزَّةٍ وَمَنَعَةٍ، وَنُصْرَةٍ ومَجْدٍ وَقُوَّةٍ.

واللهَ نَسْأَلُ أَنْ يَرْزُقَ الجَمِيْعَ العِلْمَ النَّافِعَ وَالعَمَلَ الصَّالِحَ؛ إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيْمٌ؛ أَقُوْلُ قَوْلِي هَٰذَا، وأَسْتَغْفِرُ الله لِي وَلَكُم وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ، فاسْتَغْفِرُوْهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُوْرُ الرَّحِيْمُ.

---

(١) وَطَدَ الشيءَ يَطِدُهُ، فالشيءُ موطودٌ وَوَطِيدٌ: أثبتَهُ وثقَّله. «اللسان» (وطد).



الخطبة الثانية

الحَمْدُ للهِ الَّذِي عَلَّم بالقَلَمِ، عَلَّمَ الإنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَـهَ إلاَّ اللهُ الأعَزُّ الأكْرَمُ، وأَشْهَدُ أَنْ نبيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ الدَّاعِي إِلَى السَّبِيْلِ الأقْوَمِ، صَلَّى اللهُ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آله وصَحْبِهِ وسَلَّمَ.

أمّا بعد:

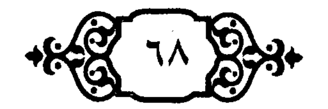
فَاتَّقُوا اللهَ - عِبَادَ اللهِ - واعْرِفُوا للعِلْمِ قَدْرَهُ، واجْتَهِدُوا مَا اسْتَطَعْتُم تَفَقُّهًا في دِيْنِكم؛ فَـ«**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّيْنِ**»[1]، وَاسْأَلُوا أَهْل العِلْمِ عَمَّا أَشْكَلَ عَلَيْكُم، واعْمُرُوا أَوْقَاتَكُم بالعِلْمِ النَّافِعِ، فَلَيْسَ العِلْمُ مَحْدُوْدًا بِسِنٍّ مُعَيَّنَةٍ، ولاَ مُقَيَّدًا بِمَرْحَلَةٍ مَحْدُوْدَةٍ، وَلاَ مُنْتَهِيًا بِنَيْلِ شَهَادَةٍ عَالِيَةٍ.

وَاعْلَمُوا: أَنَّكُم فِي زَمَانٍ لاَ مَخْرَجَ لَكُمْ مِنْ فِتَنِهِ إلاَّ بالتَّسَلُّحِ بالعِلْمِ النَّافِعِ، وإِذَا كَانَ العَالَمُ - بِحَمْدِ اللهِ وَفَضْلِهِ - يَشْهَدُ إِقْبَالاً وَصَحْوَةً، فَيَنْبَغِي أَنْ يُتَوَّجَ هَـٰذَا بالعِلْمِ النَّافِعِ؛ لِيُرْسِيَ قَوَاعِدَهُ، ويَضْبِطَ مَسَالِكَهُ، وَيَعْصِمَهُ مِنَ الانْحِرَافِ، بِإِذْنِ الله.

كَذَلِكُم: يَجِبُ عَلَى القَائِمِيْنَ بالدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ، وأَعْمَالِ الحِسْبَةِ:

---

(١) حديث رواه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧)؛ من حديث معاوية، رضي الله عنه.



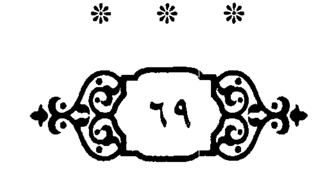
أَنْ يَكُوْنُوا عَلَىٰ عِلْمٍ بِمَا يَدْعُوْنَ إِلَيْهِ، وَطَرِيْقَةِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ، بالحِكْمَةِ والمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ؛ حَتَّىٰ لاَ تَحْصُلَ مُجَاوَزَةٌ لِلحِكْمَةِ، أَوْ وُقُوْعٌ في المَضَرَّةِ، النَّاتِجَانِ ـ غَالِبًا ـ عَنْ قِلَّةِ البِضَاعَةِ في العِلْمِ.

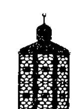
هَـٰذَا؛ وإِنَّ مِنَ الظَّوَاهِرِ الخَطِيْرَةِ فِي هَـٰذَا المَجَالِ: «**ظَاهِرَةَ التَّعَالُم**»، وَادِّعَاءِ بَعْضِ النَّاسِ العِلْمَ وَهُم لَيْسُوا كَذٰلِك، بَلْ لَيْسُوا مِنْ أَنْصَافِ المُتَعَلِّمِيْنَ، فَيَنْشَأُ عِنْدَهُمْ مِنَ الجُرْأَةِ عَلَى اللهِ وَعَلَىٰ رَسُوْلِهِ ﷺ، ومِنْ إِصْدَارِ الفَتَاوَىٰ، والنَّيْلِ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ المُعْتَبَرِيْنَ، مَا يُسَبِّبُ خَطَرًا كَبِيْرًا عَلَى المُجْتَمَعَاتِ.

فَاتَّقُوا اللهَ ـ عِبَادَ اللهِ ـ وَتَعَلَّمُوا مَا يَنْفَعُكُم، وأَتْبِعُوا العِلْمَ بالعَمَلِ والدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ، كُلُّ ذٰلِكَ بِخُطًا مُتَوَازِنَةٍ، لاَ إِفْرَاطَ فِيْهَا وَلاَ تَفْرِيْطَ، وَبِذٰلِكَ يَحْصُلُ النَّفْعُ العَظِيْمُ، والخَيْرُ العَمِيْمُ، بِإِذْنِ اللهِ.

هَـٰذَا؛ وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا ـ رَحِمَكُمُ اللهُ ـ عَلَىٰ مُعَلِّمِ النَّاسِ الخَيْرَ، النَّبِيِّ المُجْتَبَىٰ، والرَّسُوْلِ المُصْطَفَىٰ؛ كَمَا أَمَرَكُم بِذٰلِكَ رَبُّكُم جَلَّ وعَلا؛ فَقَالَ عَزَّ مِن قَائِلٍ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب].

* * *





الخطبة الأولى

الحَمْدُ للهِ فَالِقِ الإصْبَاحِ، وفَارِقِ أَهْلِ البَغْيِ مِنْ أَهْلِ الصَّلاَحِ، المُنَزَّهِ فِي عَظِيْمِ عَلْيَائِهِ عن مُشَابَهَةِ الأَرْوَاحِ، وَمُشَاكَلَةِ الأَشْبَاحِ، وأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَـٰه إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ، شَهَادَةً زَاكِيَةَ الأَرْبَاحِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُوْلُهُ، أَرْسَلَهُ والحُرُمَاتُ تُسْتَبَاحُ، وَحِزْبُ الكُفْرِ قَدْ عَمَّ الفِجَاجَ والبِطَاحَ؛ فَلَمْ يَزَلْ ﷺ يُرْشِدُ إِلَى الحَقِّ بالحُجَجِ الوِضَاحِ، وَسَمْهَرِيَّةِ(1) الرِّمَاحِ؛ حَتَّىٰ ظَهَرَ دِيْنُ اللهِ وَسَرَىٰ في الآفَاقِ سَرَيَانَ الرِّيَاحِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَأَزْوَاجِهِ وَمُحِبِّيْهِ مَا أَزَالَ الظُّلَمَ الحَنَادِسَ(2) ضَوْءُ الصَّبَاحِ، صَلاَةً نَحُوْزُ بِهَا أَعْلَىٰ مَرَاتِبِ الفَلاَحِ، وأَسْمَىٰ دَرَجَاتِ النَّجَاحِ، وَنَتَخَلَّصُ بِهَا من دَرَكَاتِ الإِثْمِ والجُنَاحِ، وَسَلَّم تَسْلِيْمًا كَثِيْرًا.

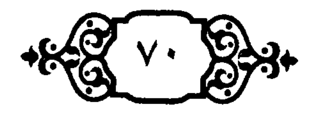
أمّا بعد:

فَيَا عِبَادَ اللهِ، اتَّقُوا الله رَبَّكُم وَأَطِيْعُوْهُ، وَرَاقِبُوْهُ وَلاَ تَعْصُوْهُ، اتَّقُوْهُ

---

(1) السَّمْهرِيَّة: القناة الصُّلبة. «اللسان» (سَمْهر).

(2) الحَنَادِسُ: جمع حِنْدِس، وهي: الظُّلْمة. «اللسان» (حندس).



جَلَّ وَعَلا حَقَّ التَّقْوَىٰ؛ فَلَيْسَ لَكُمْ بِغَيْرِ التَّقْوَىٰ حَبْلٌ يَقْوَىٰ، وَلاَ أَمَلٌ يَبْقَىٰ.

أَيُّهَا المُسْلِمُونَ، مِن أَعْظَمِ مَقَاصِدِ شَرِيْعَتِنَا الغَرَّاءِ، حِفْظُهَا لِدِيْنِ المُكَلَّفِيْنَ، وَذٰلِكَ مِن جِهَتَيْنِ ـ كَمَا يَقُوْلُ الإِمَامُ أَبُوإِسْحَاقَ الشَّاطِبِيُّ ـ رَحِمَهُ الله ـ: «جِهَةٌ وُجُودِيَّةٌ: تَكْفُلُ إِيْجَادَهُ وَتَكْوِيْنَهُ، وَجِهَةٌ عَدَمِيَّةٌ: تَكْفُلُ حِفْظَهُ وَصِيَانَتَهُ»[1].

وَمِنَ المُسَلَّمِ لَدَىٰ أَهْلِ الإِيْمَانِ الحَقِّ، أَنَّ مَصْدَرَ تَلَقِّي المُسْلِمِ لِدِيْنِهِ: عَقِيْدَةً، وَعِبَادَةً، وَمُعَامَلَةً، وَسُلُوْكًا؛ تَحْلِيْلاً، وَتَحْرِيْمًا؛ تَحَاكُمًا، وَتَحْكِيْمًا، إِنَّمَا هُوَ: كِتَابُ الله، وَسُنَّةُ رَسُوْلِهِ ﷺ؛ فَكَمَا أَنَّ لله وَحْدَهُ الخَلْقَ والتَّدْبِيْرَ، فَلَهُ ـ جَلَّ وَعَلاَ ـ الأَمْرُ والنَّهْيُ؛ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف].

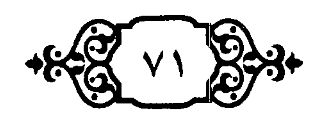
وَقَدْ حَذَّرَ سُبْحَانَهُ مِنَ التَّلَقِّيْ عَنْ غَيْرِ هَـٰذَا المَصْدَرِ الثَّرِّ[2]؛ فَقَالَ تَعَالَىٰ وَتَقَدَّسَ: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ﴾ [الشورى: ٢١].

إِخْوَةَ الإِسْلَامِ، كَمْ تَرْتَعِدُ الفَرَائِصُ، وَتَوْجَلُ القُلُوْبُ، وَتَرَىٰ قَسَمَاتِ الاِسْتِنْكَارِ في الوُجُوْهِ؛ إِذَا حُذِّرَ المُسْلِمُوْنَ منَ الشِّرْكِ والقَتْلِ،

---

(١) «الموافقات» للشاطبي (٢/ ١٨) بتصرف يسير.

(٢) الثر: الغزير. «اللسان» (ثرر).



والرِّبَا والزِّنَىٰ، وَنَحْوِهَا منَ الكَبَائِرِ؛ لأَنَّهَا مَعَانٍ لاَ تَتَهَلَّلُ لَهَا سُبُحَاتُ الوُجُوْهِ[1]؛ إِذْ هِيَ ذُنُوْبٌ تَوَعَّدَ اللهُ عَلَيْهَا وَعِيْدًا شَدِيْدًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَلِمَا لَهَا مِنَ الآثَارِ الخَطِيْرَةِ في تَقْوِيْضِ حَيَاةِ الأُمَّةِ، وَإِيْرَادِهَا مَوَارِدَ العَطَبِ والهَلاَكِ، ولاَ غَرْوَ؛ فَالمَعَاصِي وَسَائِلُ هَدْمٍ وتَدْمِيْرٍ، لَـٰكِنَّهَا أَنْوَاعٌ وَدَرَكَاتٌ.

إِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ -يَا عِبَادَ اللهِ- فَهَلْ تَعْلَمُوْنَ مَا هُوَ أَخْطَرُ مِنْ ذٰلِكَ كُلِّهِ؛ بَلْ مَا هُوَ أَصْلٌ للشِّرْكِ والكُفْرَانِ، وَأَسَاسٌ للبِدَعِ والعِصْيَانِ؛ مَا هُوَ أَغْلَظُ وَأَنْكَىٰ مِنْهَا وَمِنْ جَمِيْعِ الفَوَاحِشِ وَالآثَامِ، والجَرَائِمِ والبَغْيِ والعُدْوَانِ؟! إِنَّهُ أَصْلُ الجَرَائِمِ عَلَى الإِطْلاَقِ، ذٰلِكُم هُو: «**القَوْلُ عَلَى اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ**».

يَقُوْلُ سُبْحَانَهُ: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأعراف].

فَانْظُرُوا -يَا رَعَاكُمُ اللهُ- كَيْفَ قَرَنَ اللهُ سُبْحَانَهُ القَوْلَ عَلَيْهِ بِلاَ عِلْمٍ، بالشِّرْكِ بِهِ والبَغْيِ، وَالإِثْمِ وَالفَوَاحِشِ؟! بَلْ لَقَدْ جَاءَتْ هَـٰذِهِ المُحَرَّمَاتُ الأَرْبَعُ مُرَتَّبَةً عَلَىٰ حَسَبِ مَرَاتِبِ الشِّدَّةِ فِيْهَا عَلَىٰ سَبِيْلِ التَّعَلِّي، فَأَهْوَنُهَا أَوَّلُهَا، وَأَخْطَرُهَا آخِرُهَا، وَلاَ عَجَبَ؛ فَمَا الشِّرْكُ بالله إلاَّ ضَرْبٌ مِنَ القَوْلِ عَلَى الله بِغَيْرِ عِلْمٍ.

---

(١) سُبُحَاتُ الوجوه: أضواؤه ومحاسنه، جمع: سُبْحة. «النهاية» (سبح).

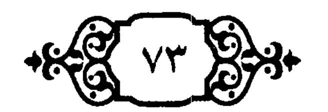


قَالَ الحَافِظُ ابنُ كَثِيْرٍ ـ رَحِمَهُ الله ـ عِنْدَ هَـٰذِهِ الآيةِ : ﴿ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ : «أي : مِنَ الافْتِرَاءِ والكَذِبِ ؛ مِنْ دَعْوَىٰ أَنَّ لَهُ وَلَدًا وَنَحْوِ ذٰلِك ، مِمَّا لاَ عِلْمَ لَكُمْ بِهِ»[1] .

إِخْوَةَ الإِيْمَانِ، إِنَّ التَّحْلِيْلَ والتَّحْرِيْمَ حَقٌّ للهِ وَحْدَهُ؛ فَالحَلاَلُ مَا أَحَلَّهُ اللهُ، والحَرَامُ مَا حَرَّمَهُ الله، وَلَقَدْ أَنْكَرَ سُبْحَانَهُ عَلَىٰ أَقْوَامٍ جَعَلُوا مَصْدَرَ التَّحْلِيْلِ والتَّحْرِيْمِ مِن قِبَلِ أَهْوَائِهِم ؛ فَقَالَ عَزَّ مِن قَائِلٍ : ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾ [النّحل]، وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [يونس] .

وَإِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الجِنَايَاتِ أَنْ يَتَصَدَّرَ المَرْءُ للخَوْضِ فِي دِيْنِ اللهِ تَحْرِيْمًا وَتَحْلِيْلاً ، مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ وَلاَ بَصِيْرَةٍ ، وَهَـٰذَا ـ مَعَ كَوْنِهِ جِنَايَةً عُظْمَىٰ ـ فَفِيْهِ سُوْءُ أَدَبٍ مَعَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ، حَيْثُ يَتَقَدَّمُ بَيْنَ يَدَيْهِ ؛ فَيَقُوْلُ فِي دِيْنِهِ وَشَرِيْعَتِهِ مَا لاَ يَعْلَمُ ، وَتِلْكَ ـ واللهِ ـ أَمَارَةُ ضَعْفِ الإِيْمَانِ ، وَقِلَّةِ

(١) «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (٣/ ٤٠٩) .



الدِّيَانَةِ، بَلْ وَنَقْصِ العَقْلِ والمُرُوْءَةِ.

إِخْوَةَ العَقِيْدَةِ، لَقَدْ رَسَمَ النَّبِيُّ ﷺ وَمَنْ بَعْدِهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ - رَحِمَهُمُ اللهُ - المَسْلَكَ الوَضَّاءَ فِي هَـٰذِهِ القَضِيَّةِ الخَطِيْرَةِ، دِيَانَةً وَوَرَعًا وَتَثَبُّتًا:

فَهَـٰذَا أَعْلَمُ الأُمَّةِ وَإِمَامُهَا ﷺ يُسْأَلُ عَمَّا لَمْ يَنْزِلْ عَلَيْهِ فِيْهِ وَحْيٌ، فَيَنْتَظِرُ حَتَّىٰ يَنْزِلَ عَلَيْهِ الوَحْيُ، وَآيَاتُ ﴿ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ ﴾ فِي الكِتَابِ العَزِيْزِ غَيْرُ قَلِيْلَةٍ.

وَهَـٰكَذَا كَانَ الأَجِلَّاءُ مِنْ صَحَابَةِ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ:

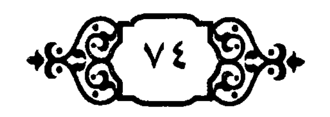
فَهَـٰذَا أَبُوبَكْرٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - يَقُوْلُ: «**أَيُّ سَمَاءٍ تُظِلُّنِي، وَأَيُّ أَرْضٍ تُقِلُّنِي؛ إِنْ أَنَا قُلْتُ فِي كِتَابِ اللهِ مَا لَا أَعْلَمُ؟!**»[1]، وَهَا هُوَ عُمَرُ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - تَنْزِلُ بِهِ الحَادِثَةُ، فَيَجْمَعُ لَهَا أَكَابِرَ الصَّحَابَةِ، وَيَسْتَشِيْرُهُم فِيْهَا؛ قَالَ ابنُ سِيْرِيْنَ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ -: «**لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ بعد النَّبِيِّ أَهْيَبَ لِمَا لَا يَعْلَمُ مِنْ أَبِي بَكْرٍ، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ أَهْيَبَ لِمَا لَا يَعْلَمُ مِنْ عُمَرَ**»[2].

وَقَالَ ابنُ مَسْعُوْدٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -: «**إِنَّ الَّذِي يُفْتِي النَّاسَ فِي كُلِّ**

---

(١) رواه أبوعبيد في «فضائل القرآن» (ص٣٧٥)، والطبري في «تفسيره» (١/ ٥٨)، وابن عبدالبر في «جامع بيان العلم» (١٥٦١).

(٢) رواه ابن عبدالبر في «جامع بيان العلم» (١٥٥٥)، وانظر: «صحيح مسلم» (١٧٠٦)، و«تاريخ الطبري» (٣/ ٤٨٠، ٤٨١)، (٤/ ٥٧).



مَا يَسْأَلُوْنَهُ لَمَجْنُوْنٌ»[1].

وَقَالَ أَيْضًا: «مَنْ سُئِلَ مِنكُمْ عَنْ عِلْمٍ هُوَ عِنْدَهُ، فَلْيَقُلْ بِهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ، فَلْيَقُل: اللهُ أَعْلَمُ؛ فَإِنَّ مِنَ العِلْمِ أَنْ تَقُوْلَ لِمَا لاَ تَعْلَمُ: اللهُ أَعْلَمُ»[2].

وَرَحِمَ اللهُ الإِمَامَ الشَّعْبِيَّ حِيْنَمَا سُئِلَ عَنْ مَسْأَلَةٍ، فَقَالَ: لاَ أَدْرِي، فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ: إِنَّا نَسْتَحْيِي لَكَ مِنْ كَثْرَةِ مَا تُسْأَلُ فَتَقُوْل: لاَ أَدْرِي، فَقَالَ: «لَكِنَّ المَلاَئِكَةَ لَمْ تَسْتَحْيِ حِينَ قَالَتْ: ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ [البقرة: ٣٢]»[3].

وَكَانَ عَطَاءُ بنُ أَبِي رَبَاحٍ يَقُوْلُ: «(لاَ أَدْرِي) نِصْفُ العِلْمِ»[4].

وَقَالَ بَعْضُهُم: «إِذَا أَخْطَأَ العَالِمُ (لاَ أَدْرِي)، فَقَدْ أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ»[5].

وَفِي تَدَافُعِ الفَتْوَىٰ، وَذَمِّ المُسَارَعَةِ إِلَيْهَا يَقُوْلُ عَبْدُالرَّحْمَـٰنِ بنُ أَبِي لَيْلَىٰ ـ رَحِمَهُ الله ـ: «أَدْرَكْتُ عِشْرِيْنَ وَمِائَةً مِنْ أَصْحَابِ رَسُوْلِ الله ﷺ، فَمَا كَانَ مِنْهُم مُحَدِّثٌ إِلاَّ وَدَّ أَنَّ أَخَاهُ كَفَاهُ الحَدِيْثَ، وَلاَ مُفْتٍ إِلاَّ وَدَّ أَنَّ

---

(١) رواه الدارمي (١٧٦)، وابن عبدالبر في «جامع بيان العلم» (٢٢٠٦).
(٢) رواه أحمد (١ / ٤٣١)، والبخاري (٤٨٠٩)، ومسلم (٢٧٩٨).
(٣) رواه الخطيب في «الفقيه والمتفقه» (١١٢٣).
(٤) أورده الذهبي في «سير أعلام النُّبلاء» (٥/ ٨٥).
(٥) انظر: «أخلاق العلماء» للآجُرِّيِّ (ص١١٥)، و«جامع بيان العلم» (١٥٨٠)، و«الفقيه والمتفقه» (١١١٢، ١١١٣).



أَخَاهُ كَفَاهُ الفُتْيَا»[1].

وَهَـٰذَا إِمَامُ دَارِ الهِجْرَةِ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ يَقْدَمُ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ مَسَافَةٍ بَعِيْدَةٍ، فَيَعْرِضُ عَلَيْهِ أَرْبَعِيْنَ مَسْأَلَةً، فَيُجِيْبُ عَنْ أَرْبَعٍ مِنْهَا، وَيَقُوْلُ في سِتٍّ وَثَلَاثِيْنَ: اللهُ أَعْلَمُ، فَيَقُوْلُ لَهُ الرَّجُلُ: أَنْتَ مَالِكُ بنُ أَنَسٍ، إِلَيْكَ تُضْرَبُ أَكْبَادُ الإِبِلِ، وَإِلَيْكَ الرِّحْلَةُ مِنْ كُلِّ بَلَدٍ، وَتَقُوْلُ: اللهُ أَعْلَم؟! مَاذَا أَقُوْلُ لأَهْلِ بَلَدِي إِذَا رَجَعْتُ إِلَيْهِم؟ قَالَ: تَقُوْلُ لَهُم: **«إِنَّ مَالِكًا يَقُوْلُ: اللهُ أَعْلَمُ!»**[2].

وَكَانَ الإِمَامُ أَحْمَدُ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ كَثِيْرًا مَا يُسْأَلُ، فَيَتَوَقَّفُ، أَوْ يَقُوْلُ: لَا أَدْرِي، أَوْ نَحْوَ ذَٰلِكَ[3].

وَقَالَ سُحْنُونُ بنُ سَعِيْدٍ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: **«أَجْرَأُ النَّاسِ عَلَى الفُتْيَا أَقَلُّهُمْ عِلْمًا؛ يَكُوْنُ عِنْدَ الرَّجُلِ البَابُ الوَاحِدُ مِنَ العِلْمِ، يَظُنُّ أَنَّ الحَقَّ كُلَّهُ فِيْهِ!»**[4].

وَقَالَ بِشْرٌ الحَافِيْ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: **«مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُسْأَلَ، فَلَيْسَ بِأَهْلٍ أَنْ يُسْأَلَ»**[5].

---

(١) رواه الدارمي (١٣٧)، وابن عبدالبر في «جامع بيان العلم» (٢١٩٩).

(٢) انظر: «التمهيد» (١/ ٧٣)، و«ترتيب المدارك» للقاضي عياض (١/ ٨١).

(٣) رواه الخطيب في «الفقيه والمتفقه» (١١٢٦).

(٤) رواه ابن عبدالبر في «جامع بيان العلم» (٢٢١١).

(٥) رواه الخطيب في «الفقيه والمتفقه» (١٠٨٤).

وَقَالَ الخَطِيْبُ البَغْدَادِيُّ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «**قلَّ مَنْ حَرَصَ عَلَى الفَتْوَىٰ، وَسَابَقَ إِلَيْهَا، وَثَابرَ عَلَيْهَا ـ إِلاَّ قَلَّ تَوْفِيْقُهُ، وَاضْطَرَبَ فِي أَمْرِهِ، وَإِذَا كَانَ كَارِهًا لِذٰلِكَ، غَيْرَ مُخْتَارٍ لَهُ، وَمَا وَجَدَ مَنْدُوحَةً**[1] **عَنْهُ، وَقَدَرَ أَنْ يُحِيْلَ بِالأَمْرِ فِيْهِ عَلَىٰ غَيْرِهِ ـ كَانَتِ المَعُونَةُ لَهُ مِنَ اللهِ أَكْثَرَ، والصَّلاَحُ فِي فَتَاوِيهِ وَجَوَابِهِ أَغْلَبَ**»[2].

مَعَاشِرَ المُسْلِمِيْنَ، إِذَا كَانَ هَـٰؤُلاَءِ الأَئِمَّةُ ـ مَعَ جَلاَلَةِ قَدْرِهِمْ، وَعَظِيْمِ مَكَانَتِهِمْ ـ يَسْلُكُونَ مَسَالِكَ التَّوَرُّعِ وَالتَّثَبُّتِ، فَكَيْفَ هِيَ الحَالُ الآنَ؟! اللهُ المُسْتَعَانُ!

وَعنْ مَالِكٍ قَالَ: «أَخْبَرَنِي رَجُلٌ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَىٰ رَبِيْعَةَ، فَوَجَدَهُ يَبْكِي، فَقَالَ: مَا يُبْكِيْكَ؟ أَمُصِيْبَةٌ دَخَلَتْ عَلَيْكَ؟! وَارْتَاعَ لِبُكَائِهِ، فَقَالَ: لاَ، وَلَـٰكِنِ اسْتُفْتِيَ مَنْ لاَ عِلْمَ لَهُ، وَظَهَرَ فِي الإِسْلاَمِ أَمْرٌ عَظِيْمٌ!»، قَالَ رَبِيْعَةُ: «**وَلَبَعْضُ مَنْ يُفْتِي هَـٰهُنَا أَحَقُّ بِالحَبْسِ مِنَ السُّرَّاقِ**».

قَالَ بَعْضَ العُلَمَاءِ: «**فَكَيْفَ لَوْ رَأَىٰ رَبِيْعَةُ زَمَانَنَا؟!**»[3].

قُلْتُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَىٰ هَـٰذَا العَالِمُ عَصْرَنَا؟!

---

(١) مندوحة، أي: سعة وفسحة. «النهاية» و«اللسان» (ندح).

(٢) «الفقيه والمتفقه» (٢/ ٣٥٠).

(٣) انظر: «أدب الفتوى» لابن الصلاح (ص ٣٥).

وفِي الصَّحِيْحِ، مِنْ حَدِيْثِ عَبْدِ الله بن عَمْرِو بنِ العَاصِ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لاَ يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ، وَلٰكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَىٰ إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا، اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالاً، فَسُئِلُوا، فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ؛ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**»[1].

وَكَمْ رَأَىٰ الغَيُورُ نُزَلاَءَ فِي حَلاَئِبِ العِلْمِ وَالمَعْرِفَةِ، وَهُمْ لَيْسُوا مِنْهُمَا فِي شَيْءٍ؟! دَيْدَنُهُمُ الجُرْأَةُ عَلَى الفَتْوَىٰ، والتَّجَاسُرُ عَلَى التَّحْلِيلِ والتَّحْرِيْمِ[2]، يَتَكَلَّمُونَ بِمَا لاَ يَعْلَمُونَ، وَيُجْمِلُونَ وَلا يُفَصِّلُونَ، وَيَهْرِفُوْنَ[3] وَيُسَفْسِطُونَ[4]، وَهُمْ مِنْ أَجْهَلِ النَّاسِ فِي أَحْكَامِ الشَّرِيْعَةِ، إِذَا سَمِعْتَ أَحَدَهُمْ يَتَكَلَّمُ، فَكَأَنَّمَا يَنْزِلُ عَلَيْهِ وَحْيٌ؛ مِنْ جَزْمِهِ فِيْمَا يَقُولُ وَعَدَمِ تَوَرُّعِهِ، وَلَرُبَّمَا نَسَبَ مَا يَرَاهُ إِلَى الإِسْلاَمِ، تَرَىٰ أَحَدَهُمْ يُجِيْبُ فِي عَظِيْمِ المَسَائِلِ، مِمَّا لَوْ عُرِضَ عَلَىٰ عُمَرَ، لَجَمَعَ لَهُ أَهْلَ بَدْرٍ، وَكَمْ يَتَمَلَّكُكَ العَجَبُ وَأَنْتَ تَسْمَعُ عِبَارَاتِ التَّعْظِيْمِ لِذَوَاتِهِمْ، والتَّعَالِي فِي نُفُوسِهِمْ، قَامُوسُهُمْ: رَأْيُنَا كَذَا، تَرْجِيْحُنَا، اخْتِيَارُنَا، والَّذِيْ نَرَاهُ، وَنَحْنُ، وَهَلُمَّ جَرًّا.

---

(١) رواه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣).

(٢) أي: الجراءة في الإقدام عليهما. «اللسان» (جسر).

(٣) يَهْرِفُونَ، أي: يمدحون بلا خبرة، ومنه المثل: «لا تَهْرِف، بما لا تعْرِف» أي: لا تمدح قبل التجربة. انظر: «النهاية» و«اللسان» (هرف).

(٤) يُسَفْسِطُون: أي: يستعملون السفسطة في كلامهم، والسَّفْسَطة: قياسٌ مُرَكَّب من الوَهْمِيَّات، والغرض منه تغليط الخصم وإسكاته. «التعريفات» (ص١٨١).



يَقُولُونَ هَـٰذَا عِنْدَنَا غَيْرُ جَائِزٍ وَمَنْ أَنْتُمْ حَتَّىٰ يَكُونَ لَكُمْ عِنْدُ؟!

وَمَا عَلِمَ هَؤُلَاءِ أَنَّ الجُرْأَةَ عَلَى الفَتْوَىٰ جُرْأَةٌ عَلى النَّارِ، وَأَنَّ التَّجَاسُرَ عَلَيْهَا اقْتِحَامٌ لِجَرَاثِيمِهَا، والعِيَاذُ بِاللهِ! بَلْ لَقَدْ وَصَلَ الحَالُ بِبَعْضِ العَوَامِّ إِلَىٰ أَنْ يُفْتِيَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَأَصْبَحَ الحَدِيثُ فِي عُلُومِ الشَّرِيْعَةِ بِضَاعَةَ كُلِّ مُتَعَالِمٍ مَأْفُونٍ[1]، حَتَّىٰ سَامُوا بَاعَةَ البُقُولِ عَدَدًا، وَتَكَلَّمَ بَعْضُ الرُّوَيْبِضَةِ[2]، وَاسْتَطَالُوا عَلَىٰ مَنَازِلِ العُلَمَاءِ، وَمَقَامَاتِ العُظَمَاءِ والفُقَهَاءِ، وَعَمَدُوا إِلَىٰ أُمُورٍ مِنَ الثَّوَابِتِ والمَبَادِىءِ، وَجَعَلُوهَا عُرْضَةً للتَّغْيِيرِ والتَّبْدِيْلِ، بِدَعْوَىٰ تَغَيُّرِ الفَتْوَىٰ بِتَغَيُّرِ الزَّمَانِ، وَوُجِدَ مَنْ يَتَـنَصَّلُ[3] مِنَ الفَتْوَىٰ بِأُمُورٍ جَاءَ تَحْرِيْمُهَا مِمَّا عُلِمَ مِن الدِّيْنِ بِالضَّرُورَةِ، وَكَثُرَ التَّحَايُلُ عَلَى الشَّرِيْعَةِ.

وَطَالَبَ بَعْضُ مُثَقَّفِي العَصْرِ بالتَّرْخِيْصِ؛ لِيَتَفَلَّتَ مِنَ الأَحْكَامِ؛ فَطَالَبَ بَعْضُهُمْ بِإِعَادَةِ النَّظَرِ فِي حُرْمَةِ الرِّبَا، أَوْ بَعْضِ صُوَرِهِ، وَآخَرُونَ بِالتَّجَاسُرِ عَلَىٰ حِجَابِ المَرْأَةِ المُسْلِمَةِ، وَهكَذَا فِي سَيْلٍ مِنَ التَّلَاعُبِ بِأُمُورِ الشَّرِيْعةِ، وَعَمَدَتْ بَعْضُ وَسَائِلِ الإِعْلَامِ، وَقَنَوَاتِهِ المَسْمُوعَةِ والمَقْرُوءَةِ

---

(١) رَجُلٌ أَفِينٌ، ومأفون، أي: ناقصُ العقل. «اللسان» (أفن).
(٢) الرُّوَيْبِضَة: تصغير الرَّابضة، وهو العاجز الذي ربض عن معالي الأمور، وقعد عن طلبها، وزيادة التاء للمبالغة. «النِّهاية» (ربض).
(٣) تنصَّل فلانٌ من كذا، أي: تبرأ منه. «اللسان» (نصل).



والمَرْئِيَّةِ، إِلىٰ إِثَارةِ قضايا كُلِّيَّةٍ مِنَ الدِّيْنِ مع بَعْضِ المُتَعَالِمِيْنَ مِمَّنْ:

يَمُـــدُّونَ لِلإفْتَـاءِ بَـاعًـا قَصِـيْرَةً وَأَكْثَرُهُمْ عِنْدَ الفَتَاوَىٰ يُكَذْلِكُ(١)

فَالوَيْلُ لِكُلِّ مَنِ ارْتَقَىٰ هَـٰذَا المُرْتَقَى الصَّعْبَ، فَأَضَلَّ فِئَامًا مِنَ الأُمَّةِ، مِمَّنْ سَيَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ وَأَوْزَارًا مَع أَوْزَارِهِمْ، ﴿وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [العنكبوت].

وَإِنَّ الوَاجِبَ ـ حِمَايَةً لِبَيْضَةِ الإِسْلَامِ، وَدِفَاعًا عَنْ أَحْكَامِهِ وَتَشْرِيْعَاتِهِ ـ أَنْ يُحْجَرَ علىٰ كُلِّ مُتكلِّمٍ في الشَّرِيْعَةِ ـ تَحْلِيْلًا وَتَحْرِيْمًا ـ وَهُوَ لاَ يُحْسِنُ؛ فَالحَجْرُ(٢) لاسْتِصْلَاحِ الأَدْيَانِ أَوْلىٰ مِنَ الحَجْرِ لِاسْتِصْلَاحِ الأَمْوَالِ وَالأَبْدَانِ، وَالغَيْرَةُ عَلَى الشَّرِيْعَةِ مِن المَكَارِمِ؛ وَهِيَ أَوْلىٰ مِنَ الغَيْرَةِ عَلى المَحَارِمِ، وَوَاللهِ إِنَّهُ لَيَحْرُمُ عَلَىٰ مَنْ لاَ يَهْتَدِيْ لِدَلاَلَةِ القُرْآنِ، وَلاَ يَعْرِفُ السُّنَّةَ وَالآثَارَ، أَنْ يَتَسَنَّمَ سُدَّةَ العِلْمِ، وَيَتَصَدَّرَ فِي مَجَالِ الإِفْتَاءِ، وَقَدْ قِيْلَ لِسُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ فِي ذٰلِكَ؟ فَقَالَ: «**إِذَا كَثُرَ المَلاَّحُونَ**(٣)، **غَرِقَتِ السَّفِيْنَةُ**»(٤).

وَلْيَعْلَمْ هَؤُلَاءِ أَنَّهُمْ بِكَلاَمِهِمْ فِي الشَّرِيْعَةِ إِنَّما يُوَقِّعُونَ عنْ رَبِّ

---

(١) البيت ذكره ابن القيم في «إعلام الموقعين»، ويُكَذْلِكُ، أي: يقول: كذلك قال فلان؛ بدون دليل من كتابٍ أو سنة. انظر: «إعلام الموقعين» (٤/ ٢٠٨).

(٢) الحَجْر: المنع من التصرُّف. «النهاية» (حجر).

(٣) الملاَّحون: جمع مَلَّاح، وهو السَّفَّان الذي يوجِّه السفينة. «تاج العروس» (ملح).

(٤) «المحدث الفاصل بين الراوي والواعي» (ص ٥٦٠).



العَالَمِيْنَ سُبْحَانَهُ، وَأَنَّ الفَتَاوَىٰ نَارٌ تَضْطَرِمُ، وَكَمْ تَسْمَعُ مِنْ فَتَاوَىٰ لاَ زِمَامَ لَهَا وَلاَ خِطَامَ، تُبْنَىٰ عَلى التَّجَرِّي لاَ عَلى التَحَرِّي[1]، لاَ تَقُومُ عَلىٰ قَدَمِ الحَقِّ، فَتُعْنِتُ الخَلْقَ، وَتُشْجِيْ الحَلْقَ[2]، وَحُقَّ لِهَـٰؤُلاَءِ أَنْ تَسْلَمَ الأُمَّةُ مِنْ لأْوَائِهِمْ[3]، وَتَحْذَرَ مِنْ غُلَوَائِهِمْ[4].

وَإِنْ رَغِمَتْ أُنُوفٌ مِنْ أُنَاسٍ ... فَقُلْ يَا رَبِّ لاَ تُرْغِمْ سِوَاهَا[5]

رَوَى ابْنُ سِيْرِيْنَ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ أَنَّ عُمَرَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ لأَبِي مَسْعودٍ الْبَدْرِيِّ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ: «**أُنْبِئْتُ أَنَّكَ تُفْتِي، وَلَسْتَ بِأَمِيْرٍ؛ فَوَلِّ حَارَّهَا، مَنْ تَوَلَّىٰ قَارَّهَا[6]**»[7].

قَالَ الإِمَامُ الذَّهَبِيُّ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ فِي «السِّيَرِ»: «وَهَـٰذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ لِلإِمَامِ أَنْ يَمْنَعَ مَنْ يُفْتِيْ بِلاَ إِذْنٍ»[8].

---

(١) أي: أن أصحابها من المتجرِّئين على الحق، لا من المتحرِّين له.
(٢) أشجاه الشيْءُ: أغصَّه، وأشجاه العَظْمُ: إذا عَرَضَ في حلقه. «اللسان» (شجو).
(٣) اللأْوَاء: المشقة والشدة. «اللسان» (لأي).
(٤) الغُلَوَاء بالضم، وفتح اللام: الغلوّ. «اللسان» (غلو).
(٥) البيت ذكره ابن القيم في «إعلام الموقعين» (٤/ ٢٠٨).
(٦) من أمثالهم: «وَلِّ حَارَّها من تولَّى قارَّها»؛ يضربونه في وضع الشيء موضعه الذي يستحقه، وأراد عمر ـ رضي الله عنه ـ هنا: ولِّ شرها من تولَّى خيرها. انظر: «النهاية» و«اللسان» (قرر)، و«مجمع الأمثال» (٢/ ٣٦٩).
(٧) رواه الدارمي (١٧٥)، وابن عبدالبر في «جامع بيان العلم» (٢٠٦٤).
(٨) «سير أعلام النبلاء» (٢/ ٤٩٥).



وَذَكَرَ الخَطِيْبُ البَغْدَادِيُّ، بِسَنَدِهِ، عَنْ حَمَّادِ بنِ زَيْدٍ ـ رَحِمَهُمَا اللهُ ـ «أَنَّهُ سَمِعَ مُنَادِيًا فِي المَدِيْنَةِ يُنَادِيْ: أَنْ لاَ يُفْتِيْ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ سِوَىٰ مَالِكٍ»[1].

وَلِذَا فَإِنَّ الوَاجِبَ أَنْ يَقُومَ بِهَـٰذَا العَمَلِ المُؤَهَّلُونَ دُونَ المُتَعَالِمِينَ، وَالأُصَلاَءُ دُونَ الدُّخَلاَءِ؛ حِفْظًا لِدِيْنِ الأُمَّةِ، وَتَوْحِيْدًا لِكَلِمَتِهَا، وَضَبْطًا لِمَسَالِكِهَا وَمَنَاهِجِهَا؛ لِتَكُونَ مَبْنِيَّةً عَلى الكِتَابِ والسُّنَّةِ؛ بِفَهْمِ سَلَفِ الأُمَّةِ ـ رَحِمَهُمُ اللهُ ـ وَبِذٰلِكَ تَسْلَمُ الأُمَّةُ مِنْ غَوَائِلِ[2] المِحَنِ، وَبَوَاعِثِ الفِتَنِ، وَتُوجَدُ العَوَاصِمُ ـ بِإِذْنِ اللهِ ـ مِنْ قَوَاصِمِ الجَرِيْمَةِ الشَّنِيْعَةِ، وَهِيَ القَوْلُ عَلَى اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ.

واللهُ المَسْئُولُ أَنْ يَعْصِمَنَا مِنَ الزَّلَلِ، وَيَحْفَظَنَا مِنَ الشَّرِّ والخَطَلِ، وَأَنْ يَرْزُقَنَا نَافِعَ العِلْمِ وَصَالِحَ العَمَلِ، فَهَـٰذَا هُوَ عَظِيْمُ الرَّجَاءِ وَكَبِيْرُ الأَمَلِ.

بَارَكَ اللهُ لِيْ وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ، وَنَفَعَنِي اللهُ وَإِيَّاكُمْ بِمَا فِيْهِ مِن الهُدَىٰ وَالبَيَانِ، وَثَبَّتَنَا وَإِيَّاكُمْ عَلى الحَقِّ وَالإِيْمَانِ، وَرَزَقَنَا اتِّبَاعَ سُنَّةِ المُصْطَفَىٰ مِنْ وَلَدِ عَدْنَانَ.

أَقُولُ قَوْلِي هَـٰذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِيْ وَلَكُمْ وَلِجَمِيعِ المُسْلِمِيْنَ، مِنْ كُلِّ ضُرُوبِ الذُّنُوبِ والعِصْيَانِ، فَاسْتَغْفِرُوهُ، وَتُوبُوا إِلَيْهِ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيْمُ.

---

(١) «تاريخ بغداد» (١٠/ ٤٣٦).
(٢) الغوائل: جمع غائلة، وهي الداهية. «اللسان» (غول).



الخطبة الثانية

الحَمْدُ للهِ العَلِيِّ الكَبِيْرِ، العَلِيْمِ القَدِيْرِ، المُتَفَرِّدِ بِالخَلْقِ وَالأَمْرِ والتَّدْبِيْرِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰـهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ، نِعْمَ المَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيْرُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ البَشِيْرُ النَّذِيرُ، والسِّرَاجُ المُنِيْرُ، هُوَ لِلأَنْبِيَاءِ لَبِنَةُ خِتَامِهِمْ، وَلِلرُّسُلِ مِسْكُ تَمَامِهِمْ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحَابَتِهِ النُّجَبَا، والتَّابِعِيْنَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ وَسَارَ عَلَىٰ نَهْجِهِمْ وَاقْتَفَىٰ.

أمّا بعد:

فَاتَّقُوا اللهَ ـ عِبَادَ اللهِ ـ ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١]، وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ الحَدِيْثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ.

عِبَادَ اللهِ، إِذَا التُمِسَتْ أَسْبَابُ هَـٰذِهِ القَضِيَّةِ، وَهِيَ: القَوْلُ عَلَى اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَإِنَّ أَهَمَّهَا: ضَعْفُ الوَازِعِ، وَقِلَّةُ الرَّدَاعِ، والتَّقْصِيْرُ فِي التَّقْوَىٰ وَالإِيْمَانِ، والوُقُوعُ فِي مُخَالَفَةِ الوَاحِدِ الدَّيَّانِ، وَعَدَمُ المَنْهَجِ الصَّحِيْحِ فِي التَّلَقِّيْ والتَّحْصِيْلِ؛ إِضَافَةً إِلَىٰ دَاءِ الشُّهْرَةِ وَحُبِّ الظُّهُورِ، وَاسْتِشْرَاءِ التَّعَالُمِ المَذْمُومِ، وَقُعُودِ الأَكْفَاءِ عَنِ البَلاَغِ والبَيَانِ، وَلاَ يَمْنَعَنَّ بَعْضَ



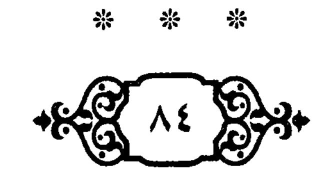
المُؤَهَّلِيْنَ وَرَعٌ كَاذِبٌ، وَتَثَبُّتٌ بَارِدٌ، مِنْ تَبْلِيْغِ مَا يَعْلَمُ مِنْ دِيْنِ اللهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ فَلاَ تَنَافِيَ بَيْنَ التَّثَبُّتِ مِمَّا لاَ يُعْلَمُ، وَتَبْلِيْغِ مَا يُعْلَمُ.

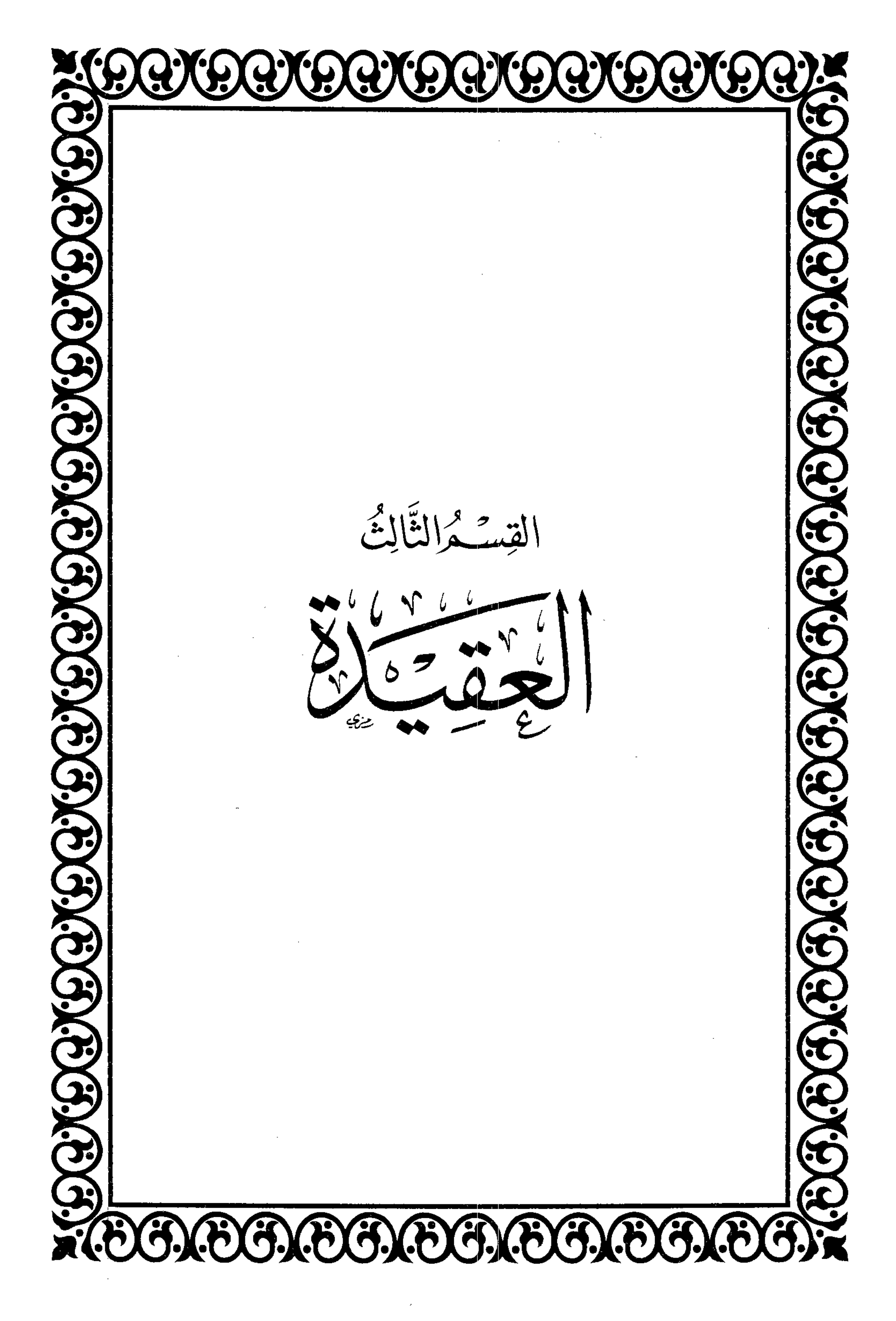
وَعِلاَجُ هَٰذَا الدَّاءِ: بِتَقْوِيَةِ الإِيْمَانِ، والخَوْفِ مِنَ اللهِ فِي النُّفُوسِ، والسَّيْرِ عَلَى المَنْهَجِ الصَّحِيْحِ فِي التَّعَلُّمِ، وَالأَخْذِ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ، والرَّدِّ إِلَيْهِمْ للْبَيَانِ وَالإِيْضَاحِ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾[النساء: ٨٣]، لاَسِيَّمَا فِي المُعْضِلاَتِ.

وَمِنْ صُوَرِ العِلاَجِ: القِرَاءَةُ فِي سِيَرِ الأَسْلاَفِ، والتَّحَلِّيْ بِأَدَبِ الخِلاَفِ، وَالتَّوَاضُعُ الجَمُّ، وَالوَرَعُ الصَّادِقُ، وَقَبْلَ ذَٰلِكَ وَبَعْدَهُ: إِخْلاَصُ النِّيَّةِ لله، وَسُؤَالُهُ التَّوْفِيْقَ والتَّسْدِيْدَ، سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا؛ إِنَّكَ أَنْتَ العَلِيْمُ الحَكِيْمُ.

هَـٰذَا؛ وَاعْلَمُوا ـ رَحِمَكُمُ اللهُ ـ أَنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيْكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَأَحَقِّهَا بِشَفَاعَةِ نَبِيِّكُمْ ﷺ: كَثْرَةَ صَلاَتِكُمْ وَسَلاَمِكُمْ عَلَيْهِ؛ كَمَا أَمَرَكُمْ بِذَٰلِكَ رَبُّكُمْ؛ فَقَال تَعَالَىٰ قَوْلاً كَرِيْمًا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾[الأحزاب].

* * *





القسم الثالث

العقيدة

الخطبة الأولى

الحَمْدُ لله الَّذي مَنَّ علَيْنا بِصِحَّةِ الاعْتِقَادِ، وَطَهَّرَ قُلُوبَنَا من أَدْرَانِ الشِّرْكِ والوثَنِيَّةِ والإلْحَادِ، وَأَنْقَذَنَا مِنْ دركَاتِ الجَاهِلِيَّةِ والشَّرِّ والفَسَادِ، أَحْمَدُهُ تَعَالىٰ وَأَشْكُرُهُ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ وَأَسْتَغْفِرُهُ، جَلَّ عَنِ الأَنْدَادِ، وَتنَزَّهَ عَنِ الصَّاحِبَةِ والأَوْلاَدِ، وَتعَالىٰ عَنْ مُشَابَهَةِ العِبَادِ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ، شَهَادَةَ مَنْ عَلِمَ مَعْنَاهَا، وَعَمِلَ بِمُقْتَضَاهَا، وَحَقَّقَ المُرَادَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُاللهِ وَرَسُولُهُ، إِمَامُ المُوَحِّدِيْنَ، وَخَاتَمُ الأَنْبِيَاءِ والمُرسَلِيْنَ، والهَادِيْ إِلَىٰ سَبِيْلِ الحَقِّ والرَّشَادِ، والشَّافِعُ المُشَفَّعُ يَوْمَ المَعَادِ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عليْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وصَحْبِهِ الأَمْجَادِ، والتَّابِعِيْنَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَىٰ يَومِ التَّنَادِ.

أمّا بعد:

فَيَا أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا اللهَ رَبَّكُمْ واعْبُدُوهُ، وَأَطِيْعُوهُ ـ تَعَالَىٰ ـ وَوَحِّدُوهُ؛ فَلاَ إِلـهَ غَيْرُهُ، وَلاَ رَبَّ لَكُمْ سِوَاهُ، وَلاَ مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلاَّ إِيَّاهُ، إِنْ أَرَدتُّمْ دُخُولَ الجِنَانِ، وَرُمْتُمْ رِضَا الرَّحْمَـٰنِ، وَطَلَبْتُمُ السَّلاَمَةَ مِنَ النِّيرَانِ ـ فَعَلَيْكُمْ بِتَوْحِيْدِ المَلِكِ الدَّيَّانِ، وَسَلاَمَةِ العَقِيْدَةِ مِنَ الأَدْرَانِ، وَتَحْقِيْقِ العُبُودِيَّةِ والإِيْمَانِ.

خرَّجَ الإمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيْحِهِ مِنْ حَدِيْثِ جَابِرٍ ـ رَضِي اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**مَنَ لَقِيَ الله لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ، دَخَلَ النَّارَ**»[1].

عِبَادَ اللهِ، القَضِيَّةُ الأُمُّ الَّتِيْ يَجِبُ أَنْ يَهْتَمَّ بِهَا الدُّعَاةُ والعُلَمَاءُ، والمُصْلِحُونَ والخُطَبَاءُ، هِيَ: القَضِيَّةُ الَّتِيْ عُنِيَ بِهَا المُرْسَلُونَ والأَنْبِيَاءُ، إِنَّهَا قَضِيَّةُ القَضَايَا بِاتِّفَاقٍ، وَأَهَمُّ القَضَايَا علَى الإِطْلاَقِ، إِنَّهَا أَسَاسُ المِلَّةِ، وَأَصْلُ الدِّيْنِ، وَقَاعِدَةُ الإِسْلاَمِ، مِنْ أَجْلِهَا أُرْسِلَتِ الرُّسُلُ، ومِنْ أَجْلِهَا أُنْزِلَتِ الكُتُبُ، وَجُرِّدَتِ السُّيُوفُ، مِنْ أَجْلِهَا حَصَلَ الوَلاَءُ والبَرَاءُ، وَالمَنْعُ والعَطَاءُ، وَالحُبُّ والعَدَاءُ، وانْقَسَمَ النَّاسُ إِلىٰ فَرِيْقَيْنِ: فَرِيْقٍ فِي الجَنَّةِ، وَهُمُ المُؤْمِنُونَ المُوحِّدُونَ، وَفَرِيْقٍ في السَّعِيْرِ، وَهُمُ الكُفَّارُ والمُشْرِكُونَ، تِلْكُم ـ أَيُّهَا المُوحِّدُونَ ـ «قَضِيَّةُ العَقِيْدَةِ» باللهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ، بِرُبُوبِيَّتِهِ، وأُلُوهِيَّتِهِ، وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ.

أَيُّهَا المُوَحِّدُونَ، يَاحَمَلَةَ العَقِيْدَةِ، وَيَاحُرَّاسَ المِلَّةِ، تُدْرِكُونَ ـ يَا رَعَاكُمُ اللهُ ـ نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ بِهَـٰذِهِ العَقِيْدَةِ الصَّافِيَةِ مِنْ لُوثَاتِ الشِّرْكِ والوَثَنِيَّةِ[2]، والمُنَزَّهَةِ عَنْ أَدْرَانِ الضَّلاَلِ والجَاهِلِيَّةِ، حِيْنَمَا تُمْعِنُوْنَ النَّظَرَ، وَتَقْرَءُونَ التَّارِيْخَ، وَتَتَأَمَّلُونَ فِي أَحْوَالِ النَّاسِ قَبْلَ مَبْعَثِ الرَّحْمَةِ

---

(١) «صحيح مسلم» (٩٣).

(٢) أي: حماقات الشرك والوثنية، جمع لُوثة، وهي الحماقة. «القاموس» (لوث).



المُهْدَاةِ نَبِيِّنَا وَحَبِيْبِنَا مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ اللهِ، عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ.

يَاأَهْلَ العَقِيْدَةِ، وَيَاحَمَلَةَ التَّوْحِيْدِ، كَمَا تُدْرِكُونَ ـ أيْضًا ـ نِعْمَةَ اللهِ بِهَـٰذِهِ العَقِيْدَةِ الصَّحِيْحَةِ، وَأَنْتُمْ تَعِيْشُونَ في هَـٰذَا الزَّمَنِ، زَمَنِ الفِتَنِ والانْفِتَاحِ؛ حَيْثُ تَوَافَدَتْ مَنَاهِجُ واتِّجَاهَاتٌ، وَنَشَأَتْ أَفْكَارٌ وَجَمَاعَاتٌ، وَتَبَايَنَتِ المَوَاقِفُ والمَذَاهِبُ، وَتَعَدَّدَتِ الفِرَقُ وَالمشَارِبُ، وَأَقْبَلَتْ كَسَيْلٍ جَارِفٍ، وَاشْرَأَبَّتِ الفِتَنُ بِأَعْنَاقِهَا، وَتَوافَدَتْ بِلاَ زِمَامٍ وَلاَ خِطَامٍ، حَتَّىٰ أَلِفَهَا كَثِيْرٌ مِنَ النَّاسِ، وَهِيَ مُخَالِفَةٌ لِمَا عَلَيْهِ سَلَفُ هَـٰذِهِ الأُمَّةِ ـ رَحِمَهُمُ اللهُ ـ اتَّخَذَتِ الإِسْلاَمَ شِعَارًا لَها دُونَ أَنْ تَبْنِيَهُ علَىٰ قَوَاعِدِ العَقِيْدَةِ الصَّحِيْحَةِ.

وَنَادَتْ طَوَائِفُ بِالإِسْلَامِ تَحْتَ مِظَلاَّتٍ سِيَاسِيَّةٍ، فَانْخَدَعَ بِهَا كَثِيْرٌ مِنَ النَّاسِ لإِشْبَاعِهَا عَنَاصِرَ مُعَيَّنَةً في النُّفُوسِ، وَاعْتَنَتْ فِئَامٌ بِقَضَايَا فِكْرِيَّةٍ وَوَاقِعِيَّةٍ، فَلَقِيَتْ قَبُولاً وَرَوَاجًا، وَأَقْوَامٌ في قَضَايَا زُهْدِيَّةٍ وَوَعْظِيَّةٍ، دُونَ عِنَايَةٍ بِتَأْصِيلاَتٍ عَقَدِيَّةٍ وَعِلْمِيَّةٍ، وَوَصَلَ اليَأْسُ إِلَىٰ بَعْضِ النَّاسِ؛ فَاتَّخَذُوا العُنْفَ طَرِيْقًا وَمَنْهَجًا، والتَّكْفِيْرَ مَطِيَّةً وَمَسْلَكًا، وَلاَ تَسْأَلْ عَنْ أَحْوالِ الطُّرُقِيَّةِ المُنحَرِفَةِ، والمُبْتَدِعَةِ الجَاهِلَةِ.

أَفَلَيْسَ حَقًّا علَىٰ أَهْلِ التَّوْحِيْدِ أَنْ يَتَفَطَّنُوا، فَلاَ يَقَعُوا في رِبْقَةِ[(١)] أَفْكَارٍ ضَالَّةٍ، ولاَ فِي شِرَاكِ عَقَائِدَ مُلَوَّثَةٍ تَلَطَّخَتْ بِأَوْضَارِ الضَّلاَلَةِ[(٢)]،

---

(١) الرِّبْقَة: عُرْوَةٌ في حبل تجعل في عُنُقِ البهيمة أو يدها تمسكها. «اللسان» (ربق).

(٢) أي: بأدران الضلالة وأوساخها، جمع: وَضَر. «اللسان» (وضر).



وَكَرَعَتْ[1] في مِيَاهِ الخُرَافَةِ؛ حَتَّىٰ لاَ يَنْطَفِىءَ نُورُ إِيْمَانِهِمْ، وَتَذْبُلَ زَهْرَةُ تَوْحِيْدِهِم؟![2]

إِخْوَةَ العَقِيْدَةِ، لَقَدْ أَقْبَلَتِ الفِتَنُ وَتَتَايَعَتْ[3]، وَتَعَدَّدَتْ وَتَكَاثَرَتْ، وَأَشَدُّهَا فَتْكًا وَأَعْظَمُهَا ضَرَرًا: فِتَنُ القُلُوبِ بِالشُّبُهَاتِ المُضِلَّةِ عَنِ الحَقِّ، وَفِتَنُ العُقُولِ وَالأَفْهَامِ المُنْتَشِرَةُ بَيْنَ الخَلْقِ، فَصَدَّتْ كَثِيْرِيْنَ عَنْ تَحْقِيْقِ تَوْحِيْدِهِم لله، فَتَجِدُ طَوَائِفَ مِنَ النَّاسِ ظَنُّوا التَّوْحِيْدَ لله يَعْنِيْ: أَنْ لاَ خَالِقَ إِلاَّ اللهُ، وَلاَ رَازِقَ إِلاَّ اللهُ ـ فَحَسْبُ ـ وَكَأَنَّ أَهْلَ الجَاهِلِيَّةِ الأُوْلَىٰ يَقُولُونَ بِتَعَدُّدِ الخَالِقِيْنَ، والرَّازِقِيْنَ!.

وَإِذَا تَدَبَّرْتَ أَحْوَالَ أُوْلَئِكَ، وَجَدتَّ خُضُوعَهُمْ عِنْدَ القُبُورِ وَأَبْنِيَتِهَا، وَعِنْدَ الأَضْرِحَةِ وَقِبَابِهَا، أَعْظَمَ مِنْ خُضُوعِهِمْ لله ـ عِيَاذًا بِالله! ـ يَسْأَلُونَهَا رَفْعَ الدَّرَجَاتِ، وَدَفْعَ الكُرُبَاتِ، وَقَضَاءَ الحَاجَاتِ، وَشِفَاءَ المَرْضَىٰ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّهَا تُبَلِّغُهُمْ أَسْمَى المَطَالِبِ، وَأَرْفَعَ المَرَاتِبِ، وَتُحَقِّقُ لَهُم قَضَاءَ المَآرِبِ، وبَذْلَ المَوَاهِبِ، وَالأَمْنَ مِنَ المَعَاطِبِ، وَكَأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قَدْ أَغْلَقَ أَبْوَابَهُ دُونَ حَاجَاتِ خَلْقِهِ؛ تَعَالَىٰ اللهُ عَمَّا يَقُولُونَ

---

(١) يقال: كَرَعَ في الماء يَكْرَعُ كُرُوعًا: تناوله بفيه. «اللسان» (كرع).

(٢) يقال: ذَبَلَ النباتُ والإنسان، يَذْبُلُ: دَقَّ بعد الرِّيِّ؛ فهو ذابلٌ؛ وكذلك ذَبُلَ، بالضم. «اللسان» (ذبل)، وتذبل زهرة توحيدهم: كناية عن ضعف توحيدهم.

(٣) تَتَايَعَتْ، أي: أسرعت في الشر. «القاموس» (تيع).



وَيَفْعَلُونَ عُلُوًّا كَبِيْرًا!

إِخْوَةَ الإِيْمَانِ، حِيْنَ يَضْعُفُ التَّوْحِيْدُ تُحِبُّ القُلُوبُ التَّعْظِيْمَ والتَّمْجِيْدَ، فَلاَ تَجِدُ سَلْوَتَهَا إلاَّ عِنْدَ تَقْبِيْلِ الأَيْدِيْ وَالأَرْجُلِ، والانْحِنَاءِ وَالتَّمَسُّحِ بِالثِّيَابِ، وَالطُّرُقُ قَدِيْمَةٌ سَابِلَةٌ[1]، وَرُوَّادُهَا كَثِيْرٌ، وَدُعَاتُهَا جَمٌّ غَفِيْرٌ، وَاللهُ المُسْتَعَانُ.

أُمَّةَ الإِسْلَامِ: التَّوْحِيدُ حَقُّ الله عَلى العَبِيْدِ؛ قَالَ ابنُ القَيِّمِ ـ عَلَيْهِ رَحْمَةُ اللهِ ـ:

حَـقُّ الإِلَـٰـهِ عِبَـادَةٌ بِـالأَمْـرِ لاَ ... بِهَوَى النُّفُوسِ فَذَاكَ لِلشَّيْطَانِ
مِـنْ غَيْـرِ إِشْـرَاكٍ بِـهِ شَيْئًـا هُمَـا ... سَبَبَا النَّجَاةِ فَحَبَّذَا السَّبَبَانِ[2]

* * *

لَمْ يَنْجُ مِنْ غَضَبِ الإلٰهِ وَنَارِهِ ... إِلاَّ الَّـذِيْ قَـامَـتْ بِـهِ الأَصْـلاَنِ
والنَّـاسُ بَعْـدُ فَمُشْـرِكٌ بِـإِلَـٰهِـهِ ... أَوْ ذُو ابْتِدَاعٍ أَوْ لَهُ الوَصْفَانِ[3]

* * *

فَلِوَاحِدٍ كُنْ وَاحِدًا فِي وَاحِدٍ ... أَعْنِيْ سَبِيْلَ الحَقِّ وَالإِيْمَانِ[4]

---

(١) طريق سابلة: مسلوكة. «اللسان» (سبل).
(٢) «النونية» (٢٥٠).
(٣) «النونية» (٣٥).
(٤) «النونية» (٢١٩).



أُمَّةَ التَّوْحِيْدِ، وتَعْظُمُ العِنَايَةُ بِقَضِيَّةِ التَّوْحِيْدِ حِينَمَا يَجْهَلُ كَثِيْرٌ مِنَ النَّاسِ مَفْهُومَهُ، وَيُخْطِئُونَ فِي تَطْبِيْقِهِ؛ فَالتَّوحِيْدُ لَيْسَ مُجَرَّدَ المَعْرِفَةِ[1]، وَلَيْسَ مَقْصُوراً عَلى التَّصْدِيْقِ بِالقُلوبِ فَحَسْبُ[2]، أَيْنَ التَّوْحِيْدُ عِنْدَ مَنْ يَعْتَقِدُ أَنَّ لِهَـٰذَا الكَوْنِ مُصَرِّفًا، ولِهَـٰذَا العَالَمِ مُدَبِّرًا غيْرَ الله تعَالىٰ؟! حَتَّىٰ شِرْكُ الرُّبُوبِيَّةِ وُجِدَ في عَصْرِ العَجَائِبِ مَنْ يَقَعُ فِيْهِ، وَيَدْعُو إِلَيْهِ! أَمَّا الشِّرْكُ في عِبَادَةِ اللهِ، فَحَدِّثْ ولاَ حَرَجَ! وَأَجِلِ النَّظَرَ يَمْنَةً وَيَسْرَةً، تَرَ العَجَبَ العُجَابَ.

وَتِلْكَ قَضِيَّةٌ يَجِبُ أَنْ يُعْنَىٰ بِهَا عَوَامُّ النَّاسِ فَضْلاً عَنْ خَوَاصِّهِمْ، أَيْنَ نَصِيْبُ العَقِيْدَةِ مِنْ مَنَاهِجِ الدَّعْوَةِ المَوْجُودَةِ في السَّاحَةِ؟! إِنَّ الغَيُورَ لَيَنْظُرُ إِلَى العَالَمِ مِنْ حَوْلِهِ وَيَتَسَاءَلُ: كَمْ يَبْذُلُ أَهْلُ الحَقِّ لِنُصْرَةِ الحَقِّ الَّذِيْ مَعَهُمْ؟! إِنَّ الصِّرَاعَاتِ العَالَمِيَّةَ تَنْطَلِقُ مِنْ مُنْطَلَقَاتٍ عَقَدِيَّةٍ:

فَهَؤُلَاءِ اليَهُودُ في فِلَسْطِيْنَ وَغَيْرِهَا يَعْمَلُونَ لِلقَضَاءِ علَىٰ أُمَّةِ الإِسْلَامِ، وَإِقَامَةِ دَوْلَةِ تَوْرَاتِهِمُ المُحَرَّفَةِ، وَتَلْمُودِهِمُ المَزْعُومِ.

وَهَؤُلَاءِ الصَّلِيْبِيُّونَ يَعْمَلُونَ لِخِدْمَةِ أَنَاجِيْلِهِمُ البَاطِلَةِ، وَمَا أَعْمَالُهُمْ في يُوغُسْلَافْيَا، وَفي القَارَّةِ الإِفْرِيْقِيَّةِ إِلاَّ دَلِيْلٌ عَلى الإِمْعَانِ والكَيْدِ للإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ.

---

(١) كما يقوله الجهم بن صفوان، ومن اتبعه. انظر: «شرح العقيدة الطحاوية» (ص٤٦٠ ـ٤٦٢، ٧٩٦).

(٢) كما يقوله أبومنصور الماتريدي ومن تابعه. انظر: «شرح العقيدة الطحاوية» (ص٤٥٩ـ٤٦٢).



وَهٰؤُلَاءِ الْوَثَنِيُّوْنَ في كَشْمِيْرَ، وَفِيْ بِلَادِ الهِنْدِ وَغَيْرِهَا، يَعْمَلُونَ لِخِدْمَةِ وَثَنِيَّتِهِمْ، وآلِهَتِهِمُ المَزْعُومَةِ، **وَهٰؤُلَاءِ القُبُوْرِيُّوْنَ**. . . وَهٰـؤُلَاءِ وَهٰـؤُلَاءِ.

ثُمَّ يُعِيْدُ الغَيُورُ الطَّرْفَ ثَانِيَةً إِلَىٰ أَوْضَاعِ أُمَّتِهِ الإِسْلَامِيَّةِ؛ فَيَرَى العَجَبَ العُجَابَ مِنَ التَّفَرُّقِ المَقِيْتِ، والعَقِيْدَةُ وَاحِدَةٌ!.

لِمَاذَا لَا تَجْتَمِعُ الأُمَّةُ الإِسْلَامِيَّةُ علىٰ مَنْهَجِ سَلَفِهَا الصَّالِحِ، وَتَطَّرِحُ الأَهْوَاءَ والطُّرُقَ المُخَالِفَةَ لَهَا؟! أَهُوَ التَّعَصُّبُ لِلأَشْخَاصِ والبِقَاعِ، أَمْ مَاذَا؟! يَجِبُ أَلاَّ تُؤَثِّرَ علَيْنَا هَـٰذِهِ المُؤَثِّرَاتُ، وأَلاَّ نَنْطَلِقَ مِنْ هَـٰذِهِ النَّظَرَاتِ؛ فالعِبْرَةُ بِصِحَّةِ العَقِيْدَةِ مَهْمَا اخْتَلَفَتِ الأَجْنَاسُ والأَلْوَانُ، وَتَبَايَنَتِ القَبَائِلُ وَالبُلْدَانُ، يَنْبَغِي التَّدْقِيْقُ فِي كُلِّ مَا يُشَاعُ وَيُذَاعُ، فالحَقُّ ظَاهِرٌ، وَالعِبْرَةُ بِالحَقَائِقِ والمُسَمَّيَاتِ، لاَ بِالأَسْمَاءِ والشَّكْلِيَّاتِ، يَجِبُ التَّرْكِيْزُ علَىٰ تَوْحِيْدِ العِبَادَةِ، وَتَوْحِيْدِ الأَسْمَاءِ والصِّفَاتِ، وَنَحْنُ نَرَىٰ حَرْبًا عَقَدِيَّةً شَعْوَاءَ لاَ هَوَادَةَ فِيْهَا، وَفِيْ المُقَابِلِ نَجِدُ مِنْ بَعْضِ أَبْنَاءِ العَقِيْدَةِ تَمَيُّعًا وانْهِزَامِيَّةً، وَذُلاًّ وَتَبَعِيَّةً.

يَجِبُ أَنْ تُؤْخَذَ العَقِيْدَةُ كُلِّيَّةً مِنْ مَنْهَجِ السَّلَفِ الصَّالِحِ، رَحِمَهُمُ اللهُ.

وَلَقَدْ ضَلَّ أَقْوَامٌ فِي بَعْضِ أَبْوَابِ العَقِيدَةِ: فَأُنَاسٌ في تَوْحِيْدِ العِبَادَةِ، وَآخَرُونَ في بَابِ الأَسْمَاءِ والصِّفَاتِ، وَفِئَةٌ في بَابِ البَيْعَةِ والإِمَامَةِ، والسَّمْعِ والطَّاعَةِ لِوُلَاةِ أَمْرِ المُسْلِمِيْنَ، وَفِئَامٌ[1] رَأَوْا أَنَّ الكَلَامَ في العَقِيْدَةِ

---

(١) الفئام: الجماعة من الناس. «القاموس» (فأم).

وَالتَّرْكِيْزَ عَلَيْها يُفَرِّقُ الكَلِمَةَ، ويُبَعْثِرُ الصَّفَّ، وَيُضْعِفُ الوَحْدَةَ، وَتِلْكَ مُغَالَطَةٌ مَكْشُوفَةٌ، فَهَلِ الذِي يَدْعُو إِلَى الأَصْلِ الأَصِيْلِ، وَيُحَارِبُ كُلَّ مُعْتَقَدٍ وَمَشْرَبٍ دَخِيْلٍ، هُوَ الَّذِيْ يُشْهِرُ سِلاَحَ الفُرْقَةِ، أَوْ أَهْلُ الأَهْوَاءِ ﴿ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا﴾ [الأنعام: ١٥٩].

وَتفَرَّقُوا شِيَعًا فَكُلُّ قَبِيْلَةٍ فِيْها أَمِيْرُ المُؤْمِنِيْنَ وَمِنْبَرُ

فَالعَقِيْدَةُ تُجَمِّعُ، وَالأَهْوَاءُ تُفَرِّقُ، وَالعَقِيْدَةُ تُوَحِّدُ، وَالمَشَارِبُ تُشَتِّتُ.

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَضِيقُ صَدْرُهُ، وَتَشْمَئِزُّ نَفْسُهُ! حِيْنَمَا تُذْكَرُ هَـٰذِهِ القَضِيَّةُ، ويَقُولُ: إِنَّ الشِّرْكَ رُفِعَ عَنْ هَـٰذِهِ الأُمَّةِ، وَيَرَىٰ أَنَّ الاِهْتِمَامَ بِقَضَايَا أُخْرَىٰ أَوْلَىٰ مِنْ هَـٰذِهِ القَضِيَّةِ، وَتِلْكَ شِنْشِنَةٌ[(١)] مَعْرُوفَةٌ، وَيُخْشَىٰ أَنْ يُشْبِهَ قَولُ هَـٰذَا مَنْ قَالَ اللهُ فِيهِمْ: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ﴾ [الزمر: ٤٥].

مَعَاشِرَ المُسْلِمِيْنَ، إِنَّ التَّرْكِيْزَ عَلىٰ هَـٰذَا الأَمْرِ هُو ـ واللهِ ـ عَيْنُ المَحَبَّةِ والشَّفَقَةِ علَى المُسْلِمِيْنَ، في أَنْ يَسِيْرُوا على الجَادَّةِ وَيَفُوزُوا بالجَنَّةِ، لاَ تَعصُّبًا وَلاَ إِقْلِيْمِيَّةً، فالحَقُّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ، وَنَحْنُ فِي وَقْتِ التَّحْقِيْقِ والتَّدْقِيْقِ؛ فَلاَ يَنْفَعُ التَّغَاضِي والتَّلْفِيْقُ.

إِنَّ حَقًّا علىٰ أَهْلِ العَقِيْدَةِ الصَّحِيْحَةِ أَنْ يَبْذُلُوا قُصَارَىٰ جُهُودِهِمْ

---

(١) الشِّنْشِنَة: الطبيعة والسجية. «اللسان» (شنن).



للدَّعْوَةِ إِلَيْهَا، وَالتَّمَسُّكِ بِهَا، وَتَنْشِئَةِ الأَجْيَالِ عَلَيْهَا.

فَيَا أَيُّهَا ٱلْمُسْلِمُونَ، أَقْبِلُوا علىٰ عَقِيْدَتِكُمْ تَعلُّمًا وَتَعْلِيمًا، وَدَعْوَةً وَتَطْبِيْقًا، خُذُوهَا مِنَ العُلَمَاءِ الرَّبَّانِيِّيْنَ، وَلاَ تَقْبَلُوا فِيهِمْ قَدْحَ المُضِلِّيْنَ، واعْلَمُوا أَنَّ أَشَدَّ أَعْدَائِنَا نُفُوذًا: مَنْ حَالَ دُونَنَا وَدُونَ عَقِيْدَتِنَا؛ مَصْدَرِ عِزِّنَا وَنَصْرِنَا وَقُوَّتِنَا، واصْبِرُوا علىٰ مَا يُبَثُّ مِنَ الشَّائِعَاتِ ضِدَّكُمْ؛ فَهِيَ ـ وَاللهِ ـ أَوْهَىٰ مِنْ بَيْتِ العَنْكَبُوتِ.

وَيَامَنْ شَطَّ بِهِ ٱلْمَزَارُ عنْ تَوْحِيْدِ الوَاحِدِ القَهَّارِ، وَعَنْ سُنَّةِ النَّبِيِّ المُخْتَارِ! أَقْبِلْ أَقْبِلْ؛ فَالتَّوْحِيْدُ يَسَعُ الجَمِيعَ، وَالسُّنَّةُ يَدْخُلُ فِيْهَا كُلُّ مَنْ أَحَبَّ المُصْطَفَىٰ ﷺ، وَاتَّبَعَ هُـدَاهُ، وَحذَارِ مِنَ الهَوَىٰ وَأَهْلِ الهَوَىٰ، فَهُمْ دُعَاةُ النَّارِ، والعِيَاذُ بِاللهِ!.

أُمَّةَ ٱلْإِسْلَامِ، إِنَّ عَلَيْنَا أَنْ تَتَضَافَرَ جُهُودُنَا لِخِدْمَةِ عَقِيْدَتِنَا؛ فَكُلُّ أَبٍ وَأُمٍّ مُطَالَبٌ بِأَنْ يُنَشِّىءَ جِيْلاً مُوَحِّدًا سَلِيْمًا مِنَ المُؤَثِّرَاتِ الشِّرْكِيَّةِ، وَالمُمَارَسَاتِ البِدْعِيَّةِ، وَيُلَقِّنَهُ مُنْذُ نُعُومَةِ أَظْفَارِهِ تَوْحِيْدَ اللهِ، وَيَصِلَهُ بِخَالِقِهِ، وَيُعَلِّمَهُ أَنَّهُ المُسْتَحِقُّ للعِبَادَةِ وَحْدَهُ دُونَ سِوَاهُ، وَعَلى الأُمِّ أَنْ تُرْضِعَ وَلِيْدَهَا العَقِيْدَةَ وَالإِيْمَانَ، مَعَ اللَّبَنِ والحَنَانِ.

وَعَلَىٰ ٱلْمُدَرِّسِيْنَ، أَنْ يَتَّقُوا اللهَ في نَشْءِ المُسْلِمِيْنَ؛ فَيُرَبُّوهُمْ على العَقِيْدَةِ الصَّحِيْحَةِ، يَجِبُ أَنْ تَكُونَ مَدَارِسُ المُسْلِمِيْنَ قِلَاعَ إِيْمَانٍ



وَحُصُونَ عَقِيْدَةٍ.

وَعَلَى المَسْئُولِيْنَ عَنْ إِعْدَادِ المَنَاهِجِ، ووَضْعِ الخُطَطِ وَالبَرَامِجِ: أنْ يَتَّقُوا اللهَ في أَبْنَاءِ المُسْلِمِيْنَ؛ فَلا يُزَاحِمُوا العقِيْدَةَ بِغَيْرِهَا مِنَ المَنَاهِجِ، وَلْيَرْبِطُوا العُلُومَ الأُخْرَىٰ بِهَـٰذَا الأَصْلِ الأَصِيْلِ، وَيَمْنَعُوا كُلَّ مَا يُخَالِفُهُ حَتَّىٰ لاَ تَقَعَ الأُمَّةُ فِي ازْدِوَاجِيَّةٍ مَمْقُوتَةٍ، وَيُصَابَ النَّشْءُ بِاضْطِرَابٍ وَتَنَاقُضٍ، بِذٰلِكَ تَتَصَدَّى الأُمَّةُ للحَرْبِ الشَّعْوَاءِ، والهُجُومِ المَاكِرِ، وَالتَّحَدِّي السَّافِرِ، ضِدَّ عَقِيْدَتِهَا وَتَوْحِيْدِهَا.

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ: ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ۝٥٤﴾ [النور].

واللهُ المَسْئُولُ أَنْ يُوفِّقَ الجَمِيْعَ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ، وأَنْ يُثَبِّتَنَا وَإِيَّاكُمْ بِالقَوْلِ الثَّابِتِ في الحَيَاةِ الدُّنْيَا وفي الآخِرَةِ، وَأَنْ يَرْزُقَنَا التَّمَسُّكَ بِتَوْحِيْدِهِ، عَلَيْهِ نَحْيَا وَعَلَيْهِ نَمُوتُ، وعَلَيْهِ نُبْعَثُ يَوْمَ الدِّيْنِ، وَأَنْ يُعِيْذَنَا والمُسْلِمِيْنَ مِنْ مُضِلَّاتِ الفِتَنِ، مَاظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ.

أَقُولُ قَوْلِي هَـٰذا، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِي ولَكُمْ وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ، فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.



الخطبة الثانية

الحَمْدُ لله الوَاحِدِ القَهَّارِ، أَحْمَدُهُ تَعَالىٰ وَأَشْكُرُهُ، يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَـهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيْكَ لَهُ العَزِيْزُ الغفَّارُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا وَحَبِيْبَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ المُصْطَفى المُخْتَارُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ الأَخْيَارِ، وَصَحْبِهِ الأَبْرَارِ، المُهَاجِرِيْنَ مِنْهُمْ وَالأَنصَارِ، والتَّابِعِيْنَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ، مَا تَعَاقَبَ اللَّيْلُ وَالنَّهارُ، وَسَلَّمَ تَسْلِيْمًا كَثِيْرًا.

أمَّا بعد:

فإِنَّ أَصْدَقَ الحَدِيْثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ.

عِبَادَ اللهِ، يَكْفِيْ أَصْحَابَ العَقِيْدَةِ شَرَفًا اقْتِفَاؤُهُمْ أَثَرَ النَّبِيِّ ﷺ، وَتِلْكَ مَنْقَبَةٌ[1] لَوْ عَقَلَهَا المُتَحَذْلِقُونَ[2] بِدَعْوَى المَحَبَّةِ، لَعَلِمُوا أَنَّهُمْ في مَنْأًى عَنْ صِدْقِ هَـٰذِهِ الدَّعْوَىٰ.

أَيُّهَا الإِخْوَةُ المُوَحِّدُونَ، إِنَّ قَضِيَّةَ التَّوْحِيْدِ قَضِيَّةٌ يَنْبَغِيْ أَن يَشْتَغِلَ بِهَا كُلُّ مُسْلِمٍ؛ فَيَذُودَ عَنْهَا وَيُجَاهِدَ، وَيَقْرَأَ وَيَتَعَلَّمَ، وَيَعْمَلَ وَيَدْعُوَ

---

(١) المَنْقَبَةُ: ضِدُّ المَثْلَبَةِ، وهي المَفْخَرَةُ والفِعْلُ الكريم. «تاج العروس» (نقب).
(٢) المُتَحَذْلِقُ: المتكيِّس، وقيل: هو الذي يريد أن يزداد على قدره. «اللسان» (حذلق).



وَيُطَبَّقَ، وَإِنَّ عَلى الدُّعَاةِ إِلى اللهِ أَنْ يَهْتَمُّوا بِهَا، ويَعْتَنُوا بِهَا غَايَةَ العِنَايَةِ، وَأَنْ يَدْعُوا النَّاسَ إِلَيْهَا؛ كَيْلاَ يُشْغَلَ العَامَّةُ وَالشَّبَابُ إِلاَّ بِقَضَايَا تَعْنِيهِمْ.

واعْلَمُوا أَنَّهُ ـ وَإِنْ جَازَ الخِلاَفُ في فُرُوعِ المسَائِلِ الفِقْهِيَّةِ ـ فَإِنَّ العَقِيْدَةَ أَسْمَىٰ أَنْ يَسُوغَ فِيْها خِلاَفٌ؛ فالوَاجِبُ الاجْتِمَاعُ عَلىٰ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ القُرُونُ الثَّلاَثَةُ المُفَضَّلَةُ، وَسَارَ عَلَيْهِ سَلَفُ هَـٰذِهِ الأُمَّةِ.

وَغَيْرُ خَافٍ عَلَيْكُمْ أَنَّ هَٰذِهِ البِلَادَ ـ بِحَمْدِ اللهِ ـ قَدِ احْتَضَنَتْ وَاعْتَنَقَتِ الدَّعْوَةَ السَّلَفِيَّةَ الصَّحِيْحَةَ: قِيَادَةً وَشعْبًا، واجْتَمَعَتْ عَلَيْهَا: حُكُومَةً وَعُلَمَاءَ وَعَامَّةً، وَذٰلِكَ مِنْ نُصْرَةِ اللهِ لِدِيْنِهِ؛ بِتَوْفِيقِ الله.

فَاتَّقُوا اللهَ ـ عِبَادَ اللهِ ـ وَوَحِّدُوا رَبَّكُمْ، والْتَزِمُوا عَقِيْدَتَكُمْ وَنَهْجَ سَلَفِكُمْ، وَخُذُوا العَقِيدَةَ مِن أَهْلِهَا الرَّاسِخِيْنَ في العِلْمِ؛ تَسْلَمْ حَيَاتُكُمْ، وَتَسْعَدُوا في دُنْيَاكُمْ وَأُخْرَاكُمْ.

هَـٰذَا؛ وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا ـ رَحِمَكُمُ اللهُ ـ عَلَىٰ مَنْ حَقَّقَ التَّوْحِيْدَ، وسَدَّ ذَرَائِعَ الشِّرْكِ وَأَبْطَلَ التَّنْدِيْدَ، نَبِيِّنَا مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِاللهِ؛ كَمَا أَمَرَكُمُ اللهُ بِالصَّلاَةِ وَالسَّلاَم عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب].

* * *

الخطبة الأولى

الحَمْدُ للهِ الَّذِيْ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ، وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيْكٌ في المُلْكِ، وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيْرًا؛ أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ وَأَشْكُرُهُ، أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ صُنْعًا وَتَدْبِيْرًا، وَأَسْتَعِيْنُهُ، وأَسْتَهْدِيْهِ، وَأَسْتَغْفِرُهُ، وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيْرًا.

وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَٰهَ إِلاَّ اللهُ وحَدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ، لَمْ يَزَلْ عَلِيًّا كَبِيْرًا، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، خَيْرُ البَرِيَّةِ، وَمُجَدِّدُ الحَنِيْفِيَّةِ، وَرَافِعُ لِوَاءِ الوَحْدَانِيَّةِ، وَمُحَطِّمُ كِيَانِ الوَثَنِيَّةِ، أَرْسَلَهُ إِلَى الثَّقَلَيْنِ هَادِيًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيْرًا، وَدَاعِيًا إِلى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيْرًا، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَزْوَاجِهِ الَّذِيْنَ أَذْهَبَ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وَطَهَّرَهُمْ تَطْهِيْرًا، وَأَصْحَابِهِ وأَتْبَاعِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيْمًا كَثِيْرًا.

أمّا بعد:

فَيَا أَيُّهَا ٱلمُسْلِمُونَ، عَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللهِ ـ جَلَّ وَعَلا ـ فَإِنَّهَا خَيْرُ ذُخْرٍ يُدَّخَرُ، وَرَاقِبُوهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ في كُلِّ أُمُورِكُمْ، مَا بَطَنَ مِنْهَا وَمَا ظَهَرَ.

عِبَادَ اللهِ، الكُلُّ يُدْرِكُ حَاجَةَ النَّاسِ إِلَى المَاءِ والغِذَاءِ، والشَّمْسِ

والهَوَاءِ، والكِسَاءِ والدَّوَاءِ، وَلَكِنْ يَاعِبَادَ الله: أتَدْرُونَ مَا هُوَ الأَهَمُّ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ؟ ذَلِكُمْ هُوَ مَا لاَ غِنَىٰ للنَّاسِ عَنْهُ أَبَدًا، فَلاَ تَسْتَقِيمُ أُمُورُهُمْ، وَلاَ تَصْلُحُ أَحْوَالُهُمْ إلاَّ بِهِ، الضَّرُورَةُ إِلَيْهِ فَوْقَ كُلِّ ضَرُورَةٍ، والحَاجَةُ إِلَيْهِ أَعْظَمُ مِنْ كُلِّ حَاجَةٍ، إنَّهُ الغِذَاءُ والكِسَاءُ، والدَّوَاءُ الحَقِيْقِيُّ؛ بِحَيْثُ إنْ فَقَدَهُ النَّاسُ، خَسِرُوا دُنْيَاهُمْ وَأُخْرَاهُمْ ـ والعِيَاذُ بِاللهِ ـ ذَلِكُمْ هُوَ الإِيْمَانُ والعَقِيْدَةُ عِلْمًا وَعَمَلاً، وَسُلُوكًا وَمِنْهَاجَ حَيَاةٍ.

وَإِنَّهُ لَمِنْ فَضْلِ اللهِ عَلَىٰ هَـٰذِهِ الأُمَّةِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ: أنْ هَدَاهَا للدِّيْنِ الحَقِّ، فَاجْتَبَىٰ لَهَا مِنَ العقَائِدِ أَصَحَّهَا وَأَنْقَاهَا، وَمِنَ المَنَاهِجِ أَكْمَلَهَا وَأَسْمَاهَا، وَمِنَ العِبَادَاتِ أَيْسَرَهَا وَأَصْفَاهَا، وَمِنَ الأَخْلاَقِ أَشْرَفَهَا وَأَزْكَاهَا.

نَعَمْ أَيُّهَا المُسْلِمُونَ، يَاحَمَلَةَ العَقِيدَةِ، وَحُرَّاسَ المِلَّةِ، إنَّ أَهَمَّ خَصَائِصِ هَـٰذِهِ الأُمَّةِ: أَنَّهَا أُمَّةُ عَقِيْدَةٍ؛ فَهِيَ السِّرُّ الأَكْبَرُ في قُوَّةِ شَخْصِيَّتِهَا، وَبِنَاءِ حَضَارَتِهَا، وَالإِكْسِيْرُ الأَعْظَمُ فِي أَمْجَادِهَا، وَتعَاقُبِ انْتِصَارَاتِهَا.

وَإِنَّهُ عَلَىٰ مَرِّ العُصُوْرِ، وَكَرِّ الدُّهُورِ، تَبْقَىٰ قَضَايَا العقِيْدَةِ، وَيَجِبُ أَنْ تَبْقَىٰ هِيَ الأَصْلَ والأَهمَّ، والقَاعِدَةَ والأَسَاسَ لِكُلِّ اهْتِمَامَاتِ المُسْلِمِ؛ عِلْمًا وَعَملاً وَدَعْوَةً، لاَسِيَّمَا في الأَعْصَارِ المُتَأَخِّرَةِ؛ حَيْثُ كَثُرَتِ المُغْرِيَاتُ والمُتَغَيِّرَاتُ، وَعَمَّتِ الشَّهَوَاتُ والشُّبُهَاتُ، وَعَظُمَتِ الهَجَمَاتُ والتَّحَدِّيَاتُ، واشْتَدَّتِ الكُرُوبُ والأَزَمَاتُ.



لِأَجْلِ ذَٰلِكَ كُلِّهِ كَانَ لاَبُدَّ مِنَ التَّسَلُّحِ بِسِلاَحِ العَقِيْدَةِ، فَلَيْسَ عَلَىٰ وَجْهِ الأَرْضِ قُوَّةٌ تُضَاهِي قُوَّتَهَا ـ أَوْ حَتَّىٰ تُقَارِبهَا ـ في ضَمَانِ اسْتِقَامَةِ الأَفْرَادِ، واسْتِقْرَارِ المُجْتَمَعَاتِ؛ إِنَّهَا صِمَامُ الأَمَانِ، وَطَوْقُ النَّجَاةِ، وَإِنَّ الحَيَاةَ بِدُونِ عَقِيْدَةٍ ضَيَاعٌ وَفَوْضَىٰ، فَرَاغٌ فِي النَّفْسِ، وَخَوَاءٌ فِي الرُّوحِ، وَإِزْرَاءٌ بِالعَقْلِ، وَإِسْفَافٌ[1] فِي شَتَّىٰ نَوَاحِي الحَيَاةِ، وَإِغْرَاقٌ فِي لُجَجِ الأَوْهَامِ وَالأَبَاطِيْلِ، ثُمَّ نِهَايَةٌ بَائِسَةٌ، وَخَاتِمَةٌ سَيِّئَةٌ، يَعْقُبُهَا شَقَاءٌ أَبَدِيٌّ، وَعَذَابٌ سَرْمَدِيٌّ، عِيَاذًا بِاللهِ مِنْ غَضَبِهِ، وَأَلِيْمِ عِقَابِهِ!.

أُمَّةَ الإِسْلَامِ: مَا أَحْوَجَنَا إِلى الجِيْلِ المُتَسَلِّحِ بِالعَقِيْدَةِ، يَعِيْشُونَ بِهَا وَلَهَا، هِيَ نِبْرَاسُهُمْ في العِلْمِ والعَمَلِ، وَمِيْزَانُهُمْ فِي الوَلاَءِ والبَرَاءِ، وَشِعَارُهُمْ في الغَضَبِ والرِّضَا، وَدُسْتُورُهُمْ في التَّرْبِيَةِ والإِصْلاَحِ، يَنْفُونَ عَنْهَا تَحْرِيْفَ الغَالِيْنَ، وَانْتِحَالَ المُبْطِلِيْنَ، وَتأوِيْلَ الجَاهِلِيْنَ، وَإِنَّ مَسْئُولِيَّةَ الأَبَوَيْنِ والأُسْرَةِ، ودُوْرِ العِلْمِ، وَقَنَوَاتِ التَّوْجِيْهِ، وَرُوَّادِ التَّرْبِيَةِ والدَّعْوَةِ والإِصْلاَحِ في ذٰلِكَ ـ لَكَبِيْرَةٌ، وَإِنَّ أَمَانَتَهُمْ لَعَظِيْمَةٌ، يَجِبُ أَنْ تَبْرُزَ في مَيْدَانِ البِنَاءِ لِكُلِّ مَا هُوَ حَقٌّ وَخَيْرٌ، والتَّقْوِيْضِ لِكُلِّ مَا هُوَ بَاطِلٌ وَشَرٌّ.

وَإِنَّ أَوَّلَ لَبِنَةٍ في مَجَالِ الدَّعْوَةِ والإِصْلاَحِ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ مُنْصَبَّةً عَلَى العَقِيْدَةِ، تَنْقِيَةً وَتَقْوِيَةً، تَخْلِيَةً وَتَصْفِيَةً، وَإِنَّ أَخْطَرَ قَضِيَّةٍ يَجِبُ أَنْ

---

(١) الإسفاف: طَلَبُ الأمور الدنيئة؛ وفِعْلُهُ: أَسَفَّ. «القاموس» (سفف).



يُبَادرَ لَهَا بِالعِلاَجِ هِيَ: قَضِيَّةُ الإِشْرَاكِ والوَثَنِيَّةِ، بِكُلِّ مَظَاهِرِهَا وَصُورِهَا؛ فَكَمَا أَنَّ التَّوْحِيدَ آكَدُ الفَرَائِضِ، وَأَوْجَبُ الوَاجِبَاتِ؛ فالشِّرْكُ أَكْبَرُ الكَبَائِرِ، وَأَعْظَمُ المُحَرَّمَاتِ، أَجْمَعَتِ الشَّرَائِعُ، وَاتَّفَقَتْ دَعَوَاتُ الأَنْبِيَاءِ والرُّسُلِ: عَلَىٰ إِنْكَارِهِ وَالتَّحْذِيرِ مِنْهُ؛ قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[النساء: ٤٨، ١١٦].

إِخْوَةَ الإِيْمَانِ، إِنَّ ارْتِبَاطَ المُسْلِمِ بِعَقِيْدَتِهِ وَثِيْقٌ، واتِّصَالَهُ بِهَا مُحْكَمٌ دَقِيْقٌ، يَتَجَلَّىٰ ذٰلِكَ فِي كُلِّ حَالٍ مِنْ أَحْوَالِهِ، وَأَمْرٍ مِنْ أُمُورِهِ، فِي سَرَّائِهِ وَضَرَّائِهِ، فِي شِدَّتِهِ وَرَخَائِهِ، فِي عِبَادَاتِهِ وَمُعَامَلاَتِهِ، بَلْ حَيَاتُهُ كُلُّهَا وَمَمَاتُهُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ لاَ شَرِيْكَ لَهُ، إِنْ سَأَلَ سَأَلَ اللهَ، وَإِنْ صَلَّىٰ وَحَجَّ وَنَذَرَ وَذَبَحَ فَلِلَّهِ، إِنِ اسْتَعَانَ أَوِ اسْتَغَاثَ فَبِاللهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ؛ لاَ مُعَوَّلَ فِي قَضَاءِ الحَاجَاتِ، وَتَفْرِيجِ الكُرُبَاتِ، وَتَحْقِيْقِ المَنَافِعِ، وَدَفْعِ المَضَارِّ - إِلاَّ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ.

تِلْكَ هِيَ عَقِيْدَةُ المُسْلِمِ: تَصْدِيْقٌ بِالقَلْبِ وَالجَنَانِ، وَنُطْقٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالجَوَارِحِ وَالأَرْكَانِ؛ فَهِيَ: لَيْسَتْ عُلُومًا كَلاَمِيَّةً مُنْفَصِمَةً عَنِ الحَيَاةِ اليَوْمِيَّةِ، ولاَ مَوْجَاتٍ عَاطِفِيَّةً، وَتَصْدِيْقَاتٍ وِجْدَانِيَّةً فَحَسْبُ، وَإِنَّمَا هِيَ: قُوَّةٌ رُوْحِيَّةٌ، عِلْمِيَّةٌ وَعَمَلِيَّةٌ، وَتَطْبِيْقٌ وَاقِعِيٌّ، وَتَفَاعُلٌ حَيَوِيٌّ، تَتَطَلَّعُ بِصَاحِبِهَا إِلَى المُثُلِ العُلْيَا، وَتَسْمُو بِهِ إِلى الآفَاقِ العُظْمَىٰ.

إِخْوَةَ الإِيْمَانِ، لاَبُدَّ مِنَ الاسْتِيْقَانِ أَنَّ الحَيَاةَ الطَّيِّبَةَ الآمِنَةَ، والعِيْشَةَ



السَّعِيْدَةَ الرَّاضِيةَ، لاَ تَحْصُلُ إلاَّ بِالإيْمَانِ، والعَمَلِ الصَّالِحِ؛ قَالَ عزَّوجَلَّ: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾[النحل]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام]، وَمَا يَحْصُلُ مِنْ بَلاَءٍ وَخَوْفٍ وَرُعْبٍ، وَإِخْلاَلٍ بِأَمْنِ الأُمَّةِ وَأَفْرَادِهَا؛ إِنَّمَا مَرَدُّهُ إِلَىٰ ضَعْفِ الإِيمَانِ أَوْ فِقْدَانِهِ، وَتِلْكَ سُنَّةُ اللهِ؛ ﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [فاطر].

أَيُّهَا المُسْلِمُونَ، إِنَّ الأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ هِيَ: زَادُ العَبْدِ وَحَصِيْلَتُهُ الَّتِيْ يَخْرُجُ بِهَا مِنْ هَـٰذِهِ الدُّنْيَا، وَعَلَيْهَا يَتَرَتَّبُ مَصِيْرُهُ فِي الآخِرَةِ؛ أَخْرَجَ البُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ، عَنْ أَنَسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَتْبَعُ المَيِّتَ ثَلاَثَةٌ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ، وَيَبْقَىٰ مَعَهُ وَاحِدٌ: يَتْبَعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ، وَيَبْقَىٰ عَمَلُهُ**»(١)؛ يَرْجِعُ الأَهْلُ وَالأَقْرَبُونَ، وَالأَصحَابُ وَالبَنُونَ، وَتَعُودُ الأَمْوَالُ الطَّائِلَةُ، وَالقُصُورُ الشَّامِخَةُ، والمَرَاكِبُ الفَارِهَةُ، وَالمَنَاظِرُ الفَاخِرَةُ ـ وَقَدْ تَكُونُ حَسْرَةً وَنَدَامَةً عَلَىٰ أَصْحَابِهَا ـ وَيَبْقَىٰ معَ العَبْدِ فِي الحُفْرَةِ الضَّيِّقَةِ وَاحِدٌ لاَ شَيْءَ غَيْرُهُ، **ذَٰلِكَ هُوَالعَمَلُ الصَّالِحُ**!.

---

(١) رواه البخاري (٦٥١٤)، ومسلم (٢٩٦٠).



فالعَمَلُ - يَاعِبَادَاللهِ - هُوَ صَاحِبُ الإِنْسَانِ فِي قَبْرِهِ؛ يُنَعَّمُ بِهِ إِنْ كَانَ صَالِحًا، وَيُعَذَّبُ بِهِ إِنْ كَانَ غَيْرَ ذٰلِكَ؛ فَقَدْ وَرَدَ فِي الحَدِيْثِ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ **أَنَّ العَمَلَ الصَّالِحَ يَأْتِيْ صَاحِبَهُ فِي القَبْرِ بِصُورَةِ رَجُلٍ حَسَنِ الوَجْهِ، حَسَنِ الثِّيَابِ، طَيِّبِ الرِّيْحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِيْ يَسُرُّكَ، فَيَقُولُ المَيِّتُ: مَنْ أَنْتَ؟! فَوَجْهُكَ الَّذِيْ يَأْتِيْ بِالخَيْرِ! فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، وَأَمَّا العَمَلُ السَّيِّءُ، فَيَأْتِيْ صَاحِبَهُ فِي القَبْرِ بِصُورَةِ رَجُلٍ قَبِيْحِ الوَجْهِ، قَبِيْحِ الثِّيَابِ، مُنْتِنِ الرِّيْحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِيْ يَسُوءُكَ، هٰذَا يَوْمُكَ الَّذِيْ كُنْتَ تُوْعَدُ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟! فَوَجْهُكَ الَّذِي يَجِيْءُ بِالشَّرِّ! فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الخَبِيْثُ**[1].

فَأَيْنَ النَّاسُ اليَوْمَ مِنْ هٰذِهِ العِبَرِ؟! وَإِنَّ المُتَأَمِّلَ فِي وَاقِعِ كَثِيْرٍ مِنَ المُسْلِمِيْنَ يَعُودُ جَرِيْحَ الفُؤَادِ، حَزِيْنَ النَّفْسِ؛ لِمَا يَرَىٰ مِنْ تَفَاقُمِ الأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ، وَانْتِشَارِهَا فِي مُجْتَمَعَاتِ المُسْلِمِيْنَ، فَهٰذِهِ ضُرُوبُ الإِشْرَاكِ بِاللهِ، والبِدَعِ فِي الدِّيْنِ، وَهٰذِهِ كَبَائِرُ الذُّنُوبِ والمَعَاصِيْ تُجْتَرَحُ مِمَّنْ يَنْتَسِبُونَ إِلَى الإِسْلَامِ؛ هٰذَا القَتْلُ، والزِّنَىٰ، والرِّبَا، والسَّرِقَاتُ، والظُّلْمُ، والمُسْكِرَاتُ، وَالمُخَدِّرَاتُ، وَإِضَاعَةُ الجُمَعِ والجَمَاعَاتِ، والعُكُوفُ عَلَى المُلْهِيَاتِ والمُغْرِيَاتِ، وَهٰذَا التَّبَرُّجُ والسُّفُورُ، وَقِلَّةُ الحَيَاءِ، وَإِبْدَاءُ

(١) سيأتي مطولاً (ص ٥٦٢ ـ ٥٦٥).



الزِّيْنَةِ والاِخْتِلَاطُ، مَوْجُودٌ بَيْنَ المُسْلِمِيْنَ والمُسْلِمَاتِ.

فَاتَّقُوا اللَّهَ - يا أُمَّةَ الإِسْلَامِ - وَاعْمَلُوا صَالِحًا؛ فَقَدْ نَدَبَكُمْ رَبُّكُمْ - تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ - إِلَى العَمَلِ الصَّالِحِ بِأَسَالِيْبَ مُتَعَدِّدَةٍ:

فَتَارَةً: بِالأَمْرِ الصَّرِيْحِ.

وَأُخْرَىٰ: بِذِكْرِ مَصِيْرِ أَهْلِهِ فِي الآخِرَةِ، وَحَالِهِمْ فِي الدُّنْيَا.

وَتَارَةً: بِتَعْلِيْقِ الجَزَاءِ بِهِ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الصَّافات].

وَتَارَةً: يُخْبِرُنَا سُبْحَانَهُ بِاطِّلَاعِهِ عَلَىٰ أَعْمَالِنَا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [المؤمنون].

وَأُخْرَىٰ: يُخْبِرُنَا بِأَنَّهُ وَكَّلَ بِنَا حَفَظَةً يَكْتُبُونَ أَعْمَالَنَا.

وَتَارَةً: يُخْبِرُنَا أَنَّنَا قَادِمُونَ عَلَيْهِ؛ فَنَجِدُ مَا عَمِلْنَاهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَنَرَاهُ وَنَقْرَؤُهُ؛ ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ ﴾ [الإسراء].

وَتَارَةً: يُخْبِرُنَا أَنَّ عَمَلَ الإِنْسَانِ لَهُ أَوْ عَلَيْهِ؛ ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ ﴾ [فصلت: ٤٦]... إِلَىٰ غَيْرِ ذَٰلِكَ مِنَ الأَسَالِيْبِ المُتَنَاثِرَةِ فِي القُرْآنِ المَجِيْدِ، وَهِيَ جَلِيَّةٌ لِمَنْ تَدَبَّرَ كِتَابَ اللهِ.

فَعَلَيْكُمْ - عِبَادَ اللهِ - بِالتَّزَوُّدِ مِنَ الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، مَا دُمْتُمْ فِي زَمَنِ الفُسْحَةِ والإِمْهَالِ، وَاحْذَرُوا مَا يُعَوِّقُكُمْ عَنِ الأَعْمَالِ النَّافِعَةِ؛ كَالنَّفْسِ



الأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ، وَالشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ، وَأَعْوَانِهِ مِنَ الجِنِّ والإِنْسِ، وَأَهْوَائِهِمْ وَشُبُهَاتِهِمْ وَأَمَانِيِّهِمْ، والدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ وَشَهَوَاتِهَا، وَتُوبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ تَوْبَةً نَصُوحًا، وَدَاوِمُوا عَلَى الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالإِعْرَاضَ بَعْدَ الإِقْبَالِ، والغَفْلَةَ بَعْدَ الطَّاعَةِ، ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الحشر].

اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنا في القُرْآنِ العَظِيْمِ، وَانْفَعْنَا بِمَا فِيْهِ مِنَ الآيَاتِ والذِّكْرِ الحَكِيْمِ، وَأَجِرْنَا ـ يَا مَوْلَانَا ـ مِنَ العَذَابِ الأَلِيْمِ، وَثَبِّتْنَا عَلَى الصِّرَاطِ المُسْتَقِيْمِ، أَقُولُ قَوْلِيْ هَـٰذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِيْ وَلَكُمْ وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ، فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ يَغْفِرْ لَكُم، وَتُوبُوا إِلَيْهِ؛ يَتُبْ عَلَيْكُم، إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيْمُ.

الخطبة الثانية

الحَمْدُ للهِ حَمْدًا كَثِيْرًا طَيِّبًا مُبارَكًا فِيْهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَىٰ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلـٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيْمًا كَثِيْرًا.

أمّا بعد:

فَيَاعِبَادَ اللهِ، ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[آل عمران].

إِخْوَةَ الإِسْلَامِ، إِنَّ مِنْ نِعَمِ اللهِ عَلَيْكُمْ أَنْ وَالَىٰ أَوْقَاتَ الفَضَائِلِ، وَمَواسِمَ الخَيْرِ وَالرَّحْمَةِ؛ لِتكُونَ فُرْصَةً للطَّائِعِيْنَ؛ لِيَتَزَوَّدُوا مِنَ الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَفُرْصَةً لِلْمُذْنِبِيْنَ؛ لِيَتُوبُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ، وَيَثُوبُوا إِلَىٰ رُشْدِهِمْ، وَيَصْقُلُوا الإِيْمَانَ فِي نُفُوسِهِمْ؛ فَإِنَّهُ لَمَّا انْقَضَىٰ شَهْرُ رَمَضَانَ المُبَارَكُ، دَخَلَتْ أَشْهُرُ الحَجِّ إِلَىٰ بَيْتِ اللهِ الحَرَامِ، ذٰلِكَ الرُّكْنُ العظِيْمُ مِنْ أَرْكَانِ الدِّيْنِ، مَنْ أَتَىٰ بِهِ عَلَى الوَجْهِ الشَّرْعِيِّ، رَجَعَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ، فالحَمْدُ للهِ الَّذِيْ هَيَّأَ لِعِبَادِهِ هـٰذَا الفَضْلَ العَظِيْمَ؛ ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾[يونس]؛ فَالسَّعِيْدُ ـ يَا عِبَادَ اللهِ ـ مَنْ وُفِّقَ لاِغْتِنَامِهَا بِطَاعَةِ اللهِ، والشَّقِيُّ مَنْ ضَيَّعَهَا بِالغَفْلَةِ وَالإِعْرَاضِ عَنِ اللهِ.

أَلاَ وَصَلُّوا وَسلِّمُوا عَلى الرَّسُولِ المُجْتَبَىٰ، وَالحَبِيْبِ المُصْطَفَىٰ؛ كَمَا أَمَرَكُمْ بِذٰلِكَ رَبُّكُمْ، فِيْ قَوْلِهِ جلَّ وَعَلاَّ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب].



الخطبة الأولى

الحَمْدُ لله الَّذي هَدَانَا لِلإسلاَم، وَمَنَّ عَلَيْنَا بِبِعْثَةِ خَيْرِ الأَنَام، أَحْمَدُهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ نِعَمِهِ العِظَام، وَأشكُرُهُ علَىٰ آلاَئِهِ الجِسَام، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلـٰهَ إلاَّ اللهُ المَلِكُ القُدُّوسُ السَّلاَمُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ القُدْوَةُ الإمَامُ، بَعَثَهُ اللهُ بِالهُدَىٰ وَدِيْنِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ على الدِّيْنِ كُلِّهِ، أَرْسَلَهُ عَلَىٰ حِيْنِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ بَشِيْرًا وَنَذِيْرًا، وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيْرًا، فَبَلَّغَ الرِّسَالَةَ، وَأَدَّى الأَمَانَةَ، وَنَصَحَ الأُمَّةَ، وَكَشَفَ بِإِذْنِ رَبِّهِ الغُمَّةَ، فَتَحَ اللهُ بِهِ قُلُوبًا غُلْفًا، وَآذَانًا صُمًّا، وَأَعْيُنًا عُمْيًا، فَصَلَوَاتُ اللهِ وَسَلاَمُهُ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ الأَبْرَارِ، وَصَحْبِهِ الأَخْيَارِ، والتَّابِعِيْنَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ، مَا تَعَاقَبَ اللَّيْلُ وَالنَّهارُ.

أما بعد:

فَاتَّقُوا اللَّهَ -عِبَادَاللهِ- وَاشْكُرُوهُ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ لِلإِسْلاَمِ.

إِخْوَةَ الإِيْمَانِ، مَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَىٰ عِبَادِهِ بِنِعْمَةٍ هِيَ أَعْظَمُ مِنْ نِعْمَةِ الإِسْلاَمِ، وَمَا مَنَّ عَلَيْهِمْ بِمِنَّةٍ هِيَ أَكْبَرُ مِنْ بِعْثَةِ خَيْرِ الأَنَامِ، عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلاَةِ والسَّلاَمِ؛ ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ

﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران].

إِنَّهَا المِنَّةُ العُظْمَىٰ، والنِّعْمَةُ الكُبْرَىٰ، تَتَجَلَّىٰ آثَارُهَا عِنْدَ مَعْرِفَةِ أَحْوَالِ النَّاسِ قَبْلَهَا؛ حَيْثُ كَانُوا كَمَا وَصَفَ اللهُ سُبْحَانَهُ ﴿لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾؛ بِهَٰذِهِ الصِّيْغَةِ الْمُؤَكَّدَةِ الْمُطْلَقَةِ؛ لِيُؤَكِّدَ عَلَىٰ ضَلاَلِهِمُ الْمُطْلَقِ، وَأَنَّهُمْ بَلَغُوا فِيهِ الْمُنْتَهَىٰ: ضَلاَلٌ في الاِعْتِقَادِ والمَفَاهِيْمِ، والتَّوَجُّهِ والمَقَاصِدِ، وَالأَهْدَافِ والغَايَاتِ، ضَلاَلٌ في العَادَاتِ والأَعْرَافِ، والسُّلُوكِ والأَخْلاَقِ، وَالأَحْوالِ وَالأَوْضَاعِ، ضَلاَلٌ فِي كُلِّ التَّصَوُّرَاتِ، وَجَمِيْعِ النَّوَاحِيْ وَالمَجَالاَتِ، ضَلاَلَةٌ عَمْيَاءُ، وَجَاهِلِيَّةٌ جَهْلاَءُ!.

وَمَا أَجْمَعَ مَا وَصَفَ بِهِ جَعْفَرُ بنُ أَبِيْ طَالِبٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ حَالَهُمْ قَبْلَ الإِسْلاَمِ ـ وَهُوَ يَتَحَدَّثُ عَنْ وَصْفِ المُهَاجِرِيْنَ أَمَامَ النَّجَاشِيِّ مَلِكِ الحَبَشَةِ؛ حَيْثُ قَالَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ: «**أَيُّهَا المَلِكُ؛ كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ؛ نَعْبُدُ الأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ المَيْتَةَ، وَنَأْتِيْ الفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الجِوَارَ، يَأْكُلُ القَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيْفَ، فَكُنَّا عَلَىٰ ذَٰلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللهُ إِلَيْنَا رَسُولاً نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ، وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ، فَدَعَانَا إِلَى اللهِ؛ لِنُوَحِّدَهُ وَنَعْبُدَهُ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَحْنُ نَعْبُدُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الحِجَارَةِ وَالأَوْثَانِ**»(١).

---

(١) رواه ابن إسحاق في «السيرة» (١٩٥، ١٩٦)، ومن طريقه ابن هشام (١/ ٣٣٤ـ ٣٣٨)، وأحمد (١/ ٢٠٢).

نَعَمْ -أَيُّهَا المُسْلِمُونَ- لَقَدِ انْغَمَسَتِ الأُمَّةُ فِي الوَثَنِيَّةِ بِأَبْشَعِ أَشْكَالِهَا، وَتَلَطَّخَتْ بِلُوْثَاتِ الجَاهِلِيَّةِ بِأَوْسَعِ مَدْلُولاَتِهَا؛ أَوْثَانٌ وَأَصْنَامٌ، خَيَالاَتٌ وَأَوْهَامٌ، خُزَعْبِلاَتٌ[1] وَإِجرَامٌ، كَهَانَةٌ وَتَنْجِيمٌ وَاسْتِقسَامٌ بِالأَزْلاَمِ[2]، تَشَاؤُمٌ وَتَطَيُّرٌ بِالشُّهُورِ وَالأَيَّامِ، سِحْرٌ وَشَعْوَذَةٌ، وَمَا إِلَىٰ ذٰلِكَ مِنْ ضُرُوبِ الغَيِّ وَالإِيْهَامِ، فَضْلاً عَنِ الحُرُوبِ الطَّاحِنَةِ لأَتْفَهِ الأَسْبَابِ، والظُّلْمِ وَالبَغْيِ وَالعُدْوَانِ.

فَجَاءَ الإِسْلاَمُ، وَأَنْقَذَ اللهُ بِهِ هَـٰذِهِ الأُمَّةَ مِنْ حَضِيْضِ الغَبْرَاءِ إِلَىٰ ذُرَا العَلْيَاءِ، وانْتَشَلَهَا مِنْ عِبَادَةِ العِبَادِ إِلَىٰ عِبَادَةِ رَبِّ العِبَادِ، وَمِنْ ضِيْقِ الدُّنْيَا إِلَىٰ سَعَتِهَا، وَمِنْ جَوْرِ الأَدْيَانِ إِلَىٰ عَدْلِ الإِسْلامِ، وَحَوَّلَهُمْ مِنْ رُعَاةِ الإِبِلِ وَالغَنَمِ، إِلَىٰ قَادَةِ شُعُوبٍ وَسَاسَةِ أُمَمٍ؛ لِيَقُودُوا زِمَامَ هَـٰذِهِ الأُمَّةِ إِلَىٰ بَرِّ الأَمَانِ، وَشَاطِىءِ السَّلاَمِ، إِلَىٰ ظِلاَلِ هَـٰذَا الدِّيْنِ الكَامِلِ الشَّامِلِ، الَّذِيْ يَرْبُطُ الخَلْقَ بِخَالِقِهِمْ جَلَّ وَعَلاَ، مَالِكِ النَّفْعِ والضُّرِّ، والحَيَاةِ والمَوْتِ، وَالخَلْقِ والنُّشُورِ، وَالرِّزْقِ والشِّفَاءِ، عَالِمِ الغَيْبِ والشَّهَادَةِ، المَالِكِ المُتصَرِّفِ فِي الكَوْنِ وَحْدَهُ، فَمَا شَاءَ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ!.

أُمَّةَ العَقِيْدَةِ، لَقَدْ رَبَّى الإِسْلاَمُ أَتْبَاعَهُ عَلَىٰ سَلاَمَةِ التَّوْحِيْدِ وَصِحَّةِ العَقِيْدَةِ، وَقُوَّةِ اليَقِيْنِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَى اللهِ وَحْدَهُ، وَابْتَعَدَ بِهِمْ عَنِ الأَوْهَامِ

---

(١) الخُزَعْبلات: جمع خُزَعْبِل، وهو: الباطل. «اللسان» (خزعل).

(٢) الأزلام: هي السهام التي كان أهل الجاهلية يستقسمون بها، واحدها: زُلَمٌ وَزَلَمٌ. «اللسان» (زلم).



والظُّنُونِ والخَيَالاَتِ، الَّتِيْ تَعْبَثُ بِعُقُولِهِمْ، وَتُلَوِّثُ أَفْكَارَهُمْ، وَتَجْعَلُهُمْ يَتَصَوَّرُونَ الأُمُورَ عَلَىٰ خِلاَفِ حَقَائِقِهَا، وَنَهَىٰ عَنْ كُلِّ مَا يَخْدِشُ سَلاَمَةَ التَّوْحِيْدِ لله وَصِحَّةَ العَقِيْدَةِ؛ منَ التَّشَاؤُمِ والتَّطَيُّرِ: بِالشُّهُورِ وَالأَيَّامِ، والحَيَوَانَاتِ وَالطُّيُورِ، وَأَصْحَابِ العَاهَاتِ وَنَحْوِ ذٰلِكَ، وَحَارَبَ الذَّهَابَ إِلَى الدَّجَّالِيْنَ وَالمُشَعْوِذِيْنَ، والسَّحَرَةِ والمُنَجِّمِيْنَ، وَتَصْدِيْقَ الكَهَنَةِ والعَرَّافِيْنَ، وَأَدْعِيَاءِ عِلْمِ الغَيْبِ وَالرَّمَّالِيْنَ، وَنَحْوِهِم مِنَ الدَّجَاجِلَةِ الكَذَّابِيْنَ؛ لِخَطَرِهِمْ عَلَى الدِّينِ وَالعَقِيْدَةِ، وَالأَخْلاَقِ والسُّلُوكِ، واسْتِتْبَابِ أَمْنِ المُجْتَمَعِ، وَلِتَلاعُبِهِمْ بِعُقُولِ النَّاسِ، وابْتِزَازِ[1] أَمْوَالِهِمْ، وَأَبْطَلَ كُلَّ مَسَالِكِ الجَاهِلِيَّةِ، واعْتِقَادَاتِهَا البَاطِلَةِ، وَتَرَكَ النَّاسَ عَلَىٰ دِيْنِ الطُّهْرِ والصَّفَاءِ، والخَيْرِ والنَّقَاءِ.

أُمَّةَ الإِسْلَامِ، إِنَّ التَّوَكُّلَ عَلَى اللهِ وَحْدَهُ، وَتَفْوِيْضَ الأُمُورِ إِلَيْهِ دُونَ غَيْرِهِ، وَاعْتِقَادَ أَنَّهُ مَالِكُ النَّفْعِ والضُّرِّ دُونَ سِوَاهُ، والبُعْدَ عَنِ التَّطَيُّرِ والتَّشَاؤُمِ ـ أُمُورٌ يَجِبُ عَلَى المُسْلِمِ أَنْ يَعْتَقِدَهَا دِيْنًا للهِ الوَاحِدِ الأَحَدِ، لاَ يَشْرَكُهُ فِيْهَا أَحَدٌ مِنَ الخَلْقِ: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [التوبة]، ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ

(١) الابتزاز: السَّلبُ والانتزاع. «اللسان» (برز).



هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦۚ قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الزمر]، ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۚ﴾ [يونس: ١٠٧]، ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ [النمل: ٦٥].

وَفِي الوَصِيَّةِ العَظِيمَةِ مِنَ المُصْطَفَىٰ ﷺ لِعَبْدِ اللهِ بنِ عَبَّاسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ قَوْلُهُ: «واعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ، لَمْ يَضُرُّوكَ إلاَّ بِشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ»(١).

أَبَعْدَ هَٰذَا ـ أَيُّهَا الإِخْوَةُ فِي اللهِ ـ يَبْقَىٰ مُسْتَمْسَكٌ لأُولَٰئِكَ الجَهَلَةِ، وَمُتَعَلَّقٌ لِلْمُتَخَبِّطِينَ فِي فَهْمِ العَقِيْدَةِ؟! أَيُّ دِينٍ؛ بَلْ أَيُّ عَقْلٍ! عِنْدَ مَنْ يُحَادُّ اللهَ فِي عِلْمِهِ، وَفِي قُدْرَتِهِ وَتَصَرُّفِهِ؟! تَعَالَى اللهُ عَمَّا يَفْعَلُ هَـٰؤُلاَءِ عُلُوًّا كَبِيْرًا!.

بَلْ أَيُّ إِيْمَانٍ وَفَهْمٍ وَمُسْكَةٍ(٢) عَقْلٍ عِنْدَ مَنْ يَذْهَبُ إِلَىٰ أُولَٰئِكَ الأَفَّاكِينَ، وَيُصَدِّقُ هَـٰؤُلاَءِ المُضِلِّيْنَ؟! لَقَدْ كَانَ أَهْلُ الجَاهِلِيَّةِ يَكُفُّونَ عَنِ القِتَالِ فِي الأَشْهُرِ الحُرُمِ، فَإِذَا حَلَّ شَهْرُ صَفَرٍ، كَثُرَ القِتَالُ وانْتُهِكَتِ الحُرُمَاتُ؛ فَيَتَشَاءَمُونَ مِنْ هَـٰذَا الشَّهْرِ، وَيَعُدُّونَهُ شَهْرَ المَآتِمِ وَالأَحْزَانِ، وَهَـٰذَا ـ وَإِنْ كَانَ لَيْسَ غَرِيْبًا عَلَىٰ عُبَّادِ الأَوْثَانِ ـ فَإِنَّ الغَرَابَةَ كُلَّ الغَرَابَةِ أَنْ

---

(١) رواه أحمد (١/ ٢٩٣)، والترمذي (٢٥١٦)، والحاكم (٣/ ٥٤١، ٥٤٢).
(٢) مُسْكَة ـ بِالضَّمِّ ـ أي: بَقِيَّةٌ. «اللِّسان» (مسك).

يَسْتَمِرَّ هَـٰذَا الأَمْرُ عِنْدَ أَدْعِيَاءِ الإِيْمَانِ، بَعْدَ أَنْ أَبْطَلَهُ الإِسْلَامُ.

عَجِيْبٌ ـ يَا أُمَّةَ العَقِيْدَةِ ـ، وَغَرِيْبٌ يَا أَهلَ الشَّرِيْعَةِ، وَيَا أَرْبَابَ العُقُولِ وَالأَفْهَام: أَنْ تَعْبَثَ الخَيالاَتُ وَالأَوْهَامُ بِبَعْضِ أَبْنَاءِ الإِسْلَامِ!! فَمَاذَا تُغْنِيْ الشُّهُورُ وَالأَيَّامُ، مِنْ يَوْمِ الأَرْبِعَاءِ وَشَهْرِ صَفَرٍ؟! وَمَا ذَنْبُ الحَيَوَانَاتِ وَالطُّيُورِ مِنَ الغُرَابِ والبُومِ؟! وَمَاذَا تَمْلِكُ الزُّهَرَةُ وَزُحَلُ؟! وَلَكِنَّهَا أَوْهَامُ الجَاهِلِيْنَ، وَأَسَاطِيْرُ الأَوَّلِيْنَ، وَأَلاَعِيْبُ الشَّيَاطِيْنِ!

فَأَفِيْقُوا ـ أَيُّهَا المُسْلِمُونَ ـ مِنَ الغَفْلَةِ عَنْ هَـٰذِهِ القَضَايَا المُهِمَّةِ، وَقَوُّوا يَقِيْنَكُمْ بِاللهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ وَحَقِّقُوا التَّوَكُّلَ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ، وَاحْذَرُوا التَّطَيُّرَ وَالتَّشَاؤُمَ؛ فَإِنَّ البُعْدَ عَنْ ذٰلِكَ سَبَبُ دُخُولِ الجَنَّةِ؛ كَمَا وَرَدَ فِي الصَّحِيْحَيْنِ، عَنْهُ ﷺ، فِي حَدِيْثِ السَّبْعِيْنَ أَلْفًا الَّذِيْنَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلاَ عَذَابٍ، وَهُمْ: «**الَّذِيْنَ لاَ يَسْتَرْقُوْنَ وَلاَ يتطَيَّرُونَ، وَلاَ يَكْتَوُونَ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**»[1]، وَفِي الصَّحِيْحَيْنِ ـ أَيْضًا ـ عَنْهُ ﷺ مِنْ حَدِيْثِ أَبِيْ هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ ﷺ: «**لاَ عَدْوَىٰ، وَلاَ طِيَرَةَ، وَلاَ هَامَةَ[2]، وَلاَ صَفَرَ[3]**»[4].

---

(١) رواه البخاري (٥٧٠٥)، ومسلم (٢٢٠)؛ من حديث ابن عباس، رضي الله عنهما.

(٢) الهَامَة: الرأس، واسم طائر، وهو المراد في الحديث، وذلك أنهم كانوا يتشاءمون بها. «النهاية» (هوم).

(٣) الصَّفَر: كانت العرب تَزْعُمُ أن في البطن حيةً يقال لها: الصَّفَر، تصيب الإنسان إذا جاع وتؤذيه، وأنها تُعْدِي، فأبطل الإسلام ذلك. وقيل: أراد به النسيء الذي كانوا يفعلون في الجاهلية، وهو تأخير المحرَّم إلى صَفَر، ويجعلون صفرًا هو الشهر الحرام، فأبطله الإسلام. «النهاية» (صفر).

(٤) «صحيح البخاري» (٥٧٥٧)، و«صحيح مسلم» (٢٢٢٠).



أُمَّةَ ٱلإِسْلَامِ، إِنَّنَا حِيْنَمَا نُذَكِّرُ بِهَـٰذِهِ الأُمُورِ، فَإِنَّ ذٰلِكَ يَأْتِيْ مِنْ مُنْطَلَقِ الحِرْصِ عَلَىٰ صَفَاءِ العَقِيْدَةِ، والنُّصْحِ للهِ وَلِعِبَادِهِ، وَمَا لِهَـٰذِهِ الأُمُورِ مِنَ انْتِشَارٍ وَرَوَاجٍ فِيْ بَعْضِ المُجْتَمَعَاتِ، وَيُخْشَىٰ أَنْ يَنْخَدِعَ بِهَا بَعْضُ ضِعَافِ الإِيْمَانِ.

وَمَعَ أَنَّنَا فِي عَصْرِ رُقِيِّ العِلْمِ وَنُمُوِّ وَسَائِلِ الإِدْرَاكِ والفَهْمِ، إِلاَّ أَنَّهُ لاَ تَزَالُ مِثْلُ هَـٰذِهِ الأَوْهَامِ مَوْجُودَةً فِي بَعْضِ الأَوْسَاطِ وَالمُجْتَمَعاتِ؛ مِمَّا يُجَسِّدُ المَسْئُولِيَّةَ عَلَىٰ حَمَلَةِ الشَّرِيْعَةِ وَطَلَبَةِ العِلْمِ، فِي انْتِشَالِ النَّاسِ الغَارِقِيْنَ فِي لُجَجِ هَـٰذِهِ الأَوْهَامِ البَاطِلَةِ إِلَىٰ بَرِّ الإِيْمَانِ وَالأَمَانِ، وَشَاطِىءِ الخَيْرِ والعَقِيْدَةِ والسَّلَامِ.

بَارَكَ اللهُ لِيْ وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيْمِ، وَنَفَعَنِيْ وَإِيَّاكُمْ بِهَدْيِ سَيِّدِ المُرْسَلِيْنَ، وَثَبَّتَنَا وَإِيَّاكُمْ عَلى الصِّرَاطِ المُسْتَقِيْمِ، وَأَجَارَنَا - بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ وَرَحْمَتِهِ - مِنَ العَذَابِ الأَلِيْمِ.

أَقُولُ قَوْلِيْ هَـٰذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهُ لِيْ وَلَكُمْ وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ، فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.



الخطبة الثانية

الحَمْدُ للهِ، مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ، وَمَنْ لاَذَ بِحِمَاهُ حَفِظَهُ وَوَقَاهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلـهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ وَالاَهُ، وَمَنْ سَارَ عَلَىٰ نَهْجِهِ وَاهْتَدَىٰ بِهُدَاهُ.

أمّا بعد:

فَاتَّقُوا اللهَ ـ عِبَادَ اللهِ ـ وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ الحَدِيْثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ.

عِبَادَ اللهِ، قَدْ بَانَ لَكُمْ بِحَمْدِ اللهِ: أَنَّ مَا يَعْتَقِدُهُ بَعْضُ العَامَّةِ فِي شَهْرِ صَفَرٍ مِنَ التَّشَاؤُمِ وَالتَّطَيُّرِ، أَمْرٌ مُخَالِفٌ لِلإِسْلاَمِ، وَقَدْ أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ مِنْ حَدِيْثِ أَنَسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«لاَ عَدْوَىٰ وَلاَ طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الفَأْلُ» قَالُوا: وَمَا الفَأْلُ؟ قَالَ: «كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ»**(١).

وَلأَبِيْ دَاودَ، وَالبَيْهَقِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَال: ذُكِرَتِ الطِّيَرَةُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: **«أَحْسَنُهَا الْفَأْلُ، وَلاَ تَرُدُّ مُسْلِمًا، فَإِذَا رَأَىٰ أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ، فَلْيَقُلِ: اللَّهُمَّ لاَ يَأْتِي بِالحَسَنَاتِ إِلاَّ أَنْتَ، وَلاَ يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلاَّ أَنْتَ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِكَ»**(٢).

---

(١) رواه البخاري (٥٧٧٦)، ومسلم (٢٢٢٤).

(٢) راوه أبوداود (٣٩١٩)، والبيهقي (٨/ ١٣٩)، وانظر: «الإصابة» (٤/ ٤٠٤، ٤٠٥).



وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ مَرْفُوعًا: «**الطِّيَرَةُ شِرْكٌ**»، وَمَا مِنَّا إِلاَّ [أي: إلاَّ وَقَدْ وَقَعَ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ مِنْ ذٰلِكَ]، وَلَـٰكِنَّ اللهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ(1).

وَعَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عَمْرٍو ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ مِنْ حَاجَةٍ، فَقَدْ أَشْرَكَ**»، **قَالُوا: يَارَسُولَ الله، ما كَفَّارَةُ ذٰلِكَ؟ قَالَ: «أَنْ يَقُولَ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ لاَ خَيْرَ إلاَّ خَيْرُكَ، وَلاَ طَيْرَ إِلاَّ طَيْرُكَ، وَلاَ إِلـٰهَ غَيْرُكَ**»(2).

فَاتَّقُوا اللهَ ـ عِبَادَ اللهِ ـ وَاعْرِفُوا مِنَّةَ اللهِ عَلَيْكُمْ بِهَـٰذَا الدِّيْنِ، وَحَقِّقُوهُ قَوْلاً وَعَمَلاً وَاعْتِقَادًا.

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلِّمُوا ـ رَحِمَكُمُ اللهُ ـ عَلَىٰ مَنْ حَمَىٰ جَنَابَ التَّوْحِيْدِ، وَسَدَّ ذَرَائِعَ الشِّرْكِ وَطُرُقَهُ ـ النَّبِيِّ المُصْطَفَىٰ، والرَّسُولِ المُجْتَبَىٰ ـ كَمَا أَمَرَكُمْ بِذٰلِكَ رَبُّكُمْ ـ جَلَّ وَعَلا ـ فَقَالَ جَلَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب]، وَقَدْ قَالَ ﷺ ـ فِيمَا أَخْرَجَهُ الإِمَامُ مُسْلِمٌ ـ مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ: «**مَنْ صَلَّىٰ عَلَيَّ وَاحِدَةً، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَشْرًا**»(3).

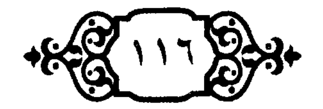
* * *

---

(1) رواه الطيالسي (٣٥٤)، وأحمد (١ / ٣٨٩)، وأبوداود (٣٩١٠)، والترمذي (١٦١٤)، وانظر: «فتح الباري» (١٠/ ٢١٣).

(2) رواه ابن وهب في «الجامع» (٦٥٨)، وأحمد (٢/ ٢٢٠).

(3) «صحيح مسلم» (٤٠٨).



الخطبة الأولى

الحَمْدُ للهِ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَهْدِيْهِ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَتُوبُ إِلَيْهِ، وَنُثْنِي عَلَيْهِ الخَيْرَ كُلَّهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِيْنِ، وَنَزَغَاتِ المُضِلِّيْنَ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ، إِلَـهُ الأَوَّلِيْنَ وَالآخِرِيْنَ، وَقَيُّومُ السَّمَوَاتِ وَالأَرَضِيْنَ، لاَ إِلَـهَ غَيْرُهُ وَلاَ رَبَّ سِوَاهُ، وَلاَ نَعْبُدُ إِلاَّ إِيَّاهُ، مَنِ اتَّقَاهُ وَقَاهُ، وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ، وَمَنْ سَأَلَهُ أَعْطَاهُ، وَمَنْ لاَذَ بِهِ حَمَاهُ، وَمَنْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ قَبِلَهُ وَرَعَاهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَمُصْطَفَاهُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ وَالاَهُ، وَمَنِ اقْتَفَىٰ أَثَرَهُ وَاهْتَدَىٰ بِهُدَاهُ، وَسَلَّمَ تَسْلِيْمًا كَثِيْرًا.

أمَّا بعد:

فَيَا أَيُّهَا ٱلْمُسْلِمُونَ، تَقْوَى الإِلَـهِ ـ جَلَّ في عُلاَهُ ـ سِرُّ النَّجَاحِ، وَطَرِيْقُ الفَلاَحِ، وَيَنْبُوعُ الصَّلاَحِ، إِنْ رُمْتُمْ سَعَادَةً وَصَلاَحًا، وَطَلَبْتُمْ هِدَايَةً وَفَلاَحًا، وَقَصَدتُّمْ خَيْرًا وَنَجَاحًا؛ فَعَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللهِ، الْزَمُوهَا مَسَاءً وَصَبَاحًا، وَتَحَلَّوْا بِهَا غُدُوًّا وَرَوَاحًا.

عِبَادَ اللهِ، صَفَاءُ العَقِيْدَةِ وَنَقَاءُ التَّوْحِيْدِ، وَسَلاَمَةُ المِلَّةِ وَإِبْطَالُ التَّنْدِيْدِ، فَرِيْضَةُ اللهِ سُبْحَانَهُ عَلَىٰ جَمِيْعِ العَبِيْدِ؛ بِهَا أَنْزَلَ كُتُبَهُ، وَبِهَا أَرْسَلَ رُسُلَهُ؛ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء]، فَمَنْ إِلَيْهِ المَفْزَعُ فِي الشَّدَائِدِ والمُلِمَّاتِ إِلاَّ اللهُ؟! وَمَنْ إِلَيْهِ المَلْجَأُ عِنْدَ حُلُولِ الآفَاتِ والكُرُبَاتِ إِلاَّ اللهُ؟! وَمَن إِلَيْهِ الفِرَارُ فِي السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ، والشِّدَّةِ والرَّخَاءِ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ؟! ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾﴾ [الذاريات].

هُوَ سُبْحَانَهُ دَافِعُ الضُّرِّ وَمَالِكُ النَّفْعِ، المُتَفَرِّدُ بِالمُلْكِ والقَهْرِ والعَطَاءِ والمَنْعِ، لَهُ الأَمْرُ كُلُّهُ، وَلَهُ الخَلْقُ كُلُّهُ، وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ الأَمْرُ كُلُّهُ، بِيَدِهِ وَحْدَهُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ؛ قَضَاؤُهُ نَافِذٌ، وَقَدَرُهُ كَائِنٌ، لاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَىٰ، وَلاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعَ، وَلاَ رَادَّ لِمَا قَضَىٰ، وَلاَ وَاصِلَ لِمَا قَطَعَ، هُوَ سُبْحَانَهُ المُؤَمَّلُ وَحْدَهُ لِكَشْفِ كُلِّ بَلاَءٍ، وَدَفْعِ كُلِّ بَأْسَاءٍ؛ فَلاَ المَلاَئِكَةُ ولاَ الأَنْبِيَاءُ، وَلاَ الصَّالِحُونَ وَلاَ الأَوْلِيَاءُ، فَضْلاً عَنْ غَيْرِهِمْ مِنَ الأَدْعِيَاءِ - لاَ يَمْلِكُونَ لأَحَدِهِمْ ضَرًّا وَلاَ نَفْعًا، ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾﴾ [الفرقان]، ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الزمر]، ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [فاطر].



عِبَادَ اللهِ، إذَا كَانَ صَفْوَةُ خَلْقِ اللهِ، وَأَفْضَلُ عِبَادِ اللهِ ـ عَلَيْهِ صَلَوَاتُ اللهِ ـ يُخَاطِبُهُ اللهُ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨﴾[الأعراف]، وَنهَاهُ سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٦ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ١٠٧﴾ [يونس].

إِذَا كَانَ ذٰلِكَ فِي حَقِّهِ ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ ـ فَغَيْرُهُ أَوْلَىٰ وَأَحْرَىٰ أَنْ يَحْذَرَ مِنْ ذٰلِكَ، مُرَاعِيًا تَوْحِيْدَ رَبِّهِ، مُسْلِمًا أَمْرَهُ إِلَيْهِ، مُعْتَقِدًا أَنَّ مَا سِوَاهُ مِنَ المَعْبُودَاتِ بَاطِلٌ؛ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ﴾[لقمان: ٣٠].

وَقَدْ كَانَ شَيْخُ الإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ يَقُولُ مُنَاجِيًا رَبَّهُ:

يَا مَنْ أَلُوذُ بِهِ فِيْمَا أُؤَمِّلُهُ ... وَمَنْ أَعُوذُ بِهِ مِمَّا أُحَاذِرُهُ

لَا يَجْبُرُ النَّاسُ عَظْمًا أَنْتَ كَاسِرُهُ ... وَلَا يَهِيضُونَ[1] عَظْمًا أَنْتَ جَابِرُهُ[2]

---

(١) هَاضَ العَظْمَ، يَهِيْضُهُ هَيْضًا؛ فانهاضَ: كَسَرَهُ بَعْدَ الجُبُورِ، أَوْ بَعْدَ مَا كَادَ يَنْجَبِرُ. انظر: «اللسان» (هيض).

(٢) البيتان لأبي الطَّيب المتنبي، انظر: «ديوانه» (ص٣٨، ٣٩)، و«البداية والنهاية» (١٥/ ٢٧٨)، و«مدارج السالكين» (١/ ١٨٧).

ذٰلِكُمْ - يَاحَمَلَةَ العَقِيْدَةِ، وَيَاحُرَّاسَ المِلَّةِ - هُوَ التَّوحِيْدُ الخَالِصُ الَّذِيْ يَجِبُ أَنْ يَلْتَزِمَهُ المُسْلِمُونَ، وَيَسِيرُوا عَلَيْهِ دُونَ التِفَاتٍ إِلَىٰ غَيْرِهِ؛ تَأَسِّيًا بِرُسُلِ اللهِ، عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ:

هَـٰذَا الخَلِيْلُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - يُعْلِنُ التَّوحِيْدَ فِي مُحَاوَرَتِهِ قَوْمَهُ: ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (٧٢) أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ (٧٣) قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ (٧٤) قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥) أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ (٧٧) الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (٨١) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (٨٢) رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (٨٣)﴾ [الشعراء].

أُمَّةَ التَّوْحِيْدِ، بِهَـٰذَا المَنْهَجِ السَّوِيِّ، وَعَلَىٰ هَـٰذَا الإِيْمَانِ القَوِيِّ: رَبَّى الإِسْلَامُ أَتْبَاعَهُ، وَعَلَى التَّعَلُّقِ بِهِ وَحْدَهُ: أَمَرَ الفَرْدَ والجَمَاعَةَ، وَسَمَا بِعقُولِهِمْ، وَحَفِظَ فِطَرَهُمْ، وَصَانَ قُلُوبَهُمْ وَأَفْكَارَهُمْ أَنْ تَتَعلَّقَ بِغَيْرِهِ؛ فَابْتَعَدَ بِالأُمَّةِ عَنِ الظُّنُونِ والخَيَالَاتِ، وَالأَوْهَامِ والخُرَافَاتِ، الَّتِيْ تَعْبَثُ بِالعُقُولِ وَتُفْسِدُ القُلُوبَ، وَقَطَعَ الطَّرِيْقَ وسَدَّ الذَّرَائِعَ أَمَامَ كُلِّ دَعِيٍّ دَجَّالٍ، وَمُفْتَرٍ كَذَّابٍ، يَزْعُمُ أَنَّ أَحَدًا مِنْ دُونِ اللهِ يَسْتَطِيْعُ أَنْ يَتَصَرَّفَ فِيْ هَـٰذَا الكَوْنِ، أَوْ يَتَحَكَّمَ فِي هَـٰذَا الوُجُودِ، تَعَالَى اللهُ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيْرًا!



وَمَنْ قَالَ بِهَـٰذَا، أَوِ اعْتَقَدَ صِحَّتَهُ، فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ المَيْنَ[1]، وَضَلَّ عَنْ مَوْرِدِ الصَّوَابِ، وَحَادَّ اللهَ فِي رُبُوبِيَّتِهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ، وَكَذَا مَنِ اعْتَقَدَ قُدْرَةَ تَصَرُّفِ الأَرْوَاحِ والأَضْرِحَةِ ـ والجَانِّ والمَشَاهِدِ، والنُّجُوم والطَّوَالِعِ، والسَّحَرَةِ والعَرَّافِيْنَ، وَالكَهَنَةِ والمُنَجِّمِيْنَ، والدَّجَاجِلَةِ والمُشَعْوِذِيْنَ، أَوْ حَتَّى الأَوْلِيَاءِ والصَّالِحِيْنَ ـ فِي شَيْءٍ مِنْ أُمُورِ الخَلِيْقَةِ، أَوْ أَنَّهُمْ يَسْتَطِيْعُونَ جَلْبَ شَيْءٍ مِنَ السَّعْدِ والنَّحْسِ، أَوْ يَمْلِكُونَ شَيْئًا مِنَ الضُّرِّ وَالنَّفْعِ، وَاللهُ ـ عَزَّ وجَلَّ ـ يَقُولُ: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢].

أَمَا نُفَكِّرُ يَا عِبَادَ اللهِ؟! أَيْنَ عُقُولُنَا؟! مَاذَا رَانَ عَلَى القُلُوبِ؟! مَاذَا أَصَابَ العُقُولَ؟! مَا هَـٰذَا الجُنُوحُ والذُّهُولُ؟! أَيُّ فَائِدَةٍ تَحْصُلُ مِنْ خُيُوطٍ تُرْبَطُ؟! وَأَيُّ نَفْعٍ يُرْجَىٰ مِنْ خَرَزٍ تُجْمَعُ، أَوْ حِلَقٍ تُوضَعُ فِي الأَيْدِي وَالأَرْجُلِ؟! وَمَاذَا تُغْنِيْ الأَحْرَازُ[2] والحُجُبُ؟! وَمَاذَا تَنْفَعُ التَّمَائِمُ[3]، وَالتَّعَاوِيْذُ[4]، والحُرُوفُ[5]، والطَّلَاسِمُ؟! كُلُّ ذٰلِكَ جَهْلٌ وَضَلَالٌ،

---

(١) المَيْنُ: الكذب. «اللسان» (مين).

(٢) الأَحْرَازُ: جمع حِرْزٍ، وهو: العُوذَةُ. «اللسان» و«تاج العروس» (حرز).

(٣) التمائم: جمع تميمة، والتميمة: عُوذة تعلق على الإنسان. «اللسان» (تمم).

(٤) التعاويذ، هي: التي تُكْتَبُ وتعلَّق على الإنسانِ من العِيْنِ والفزع والجنونِ. «اللسان» (عوذ).

(٥) هو اعتقاد أن للحرف طبائع وخاصِّيَّةً يفعلها بنفسه، أو بمشاركة غيره من الحروف على أوضاع معينة. «اللسان» (المقدمة).



وَشَرٌّ وَفَسَادٌ، وَانْحِرَافٌ فِي القُلُوبِ والفِطَرِ، واسْتِخْفَافٌ بِكَرَامَةِ العَقْلِ، وَسُمُوِّ التَّفْكِيْرِ.

رَوَى الإِمَامُ أَحْمَدُ، وَغَيْرُهُ، عَنْ عُقْبَةَ بنِ عَامِرٍ، مَرْفُوعًا: «**مَنْ تَعَلَّقَ تَمِيْمَةً فَلاَ أَتَمَّ اللهُ لَهُ، وَمَنْ تَعَلَّقَ وَدَعَةً فَلاَوَدَعَ اللهُ لَهُ**»[1]، وَفِي رِوَايَةٍ: «**مَنْ عَلَّقَ تَمِيْمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ**»[2]، وَلِلإِمَامِ أَحْمَدَ، وَابْنِ مَاجَهْ، عَنْ عِمْرَانَ ابنِ حُصَيْنٍ؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَىٰ رَجُلاً فِي يَدِهِ حَلْقَةٌ مِنْ صُفْرٍ[3]، فَقَالَ: «**مَا هَـٰذِهِ الحَلْقَةُ؟**» قَالَ: هَـٰذِهِ مِنَ الوَاهِنَةِ ـ وَهُوَ مَرَضٌ مَعْرُوفٌ عِنْدَهُمْ ـ فَقَالَ: «**انْزِعْهَا؛ فَإِنَّهَا لاَ تَزِيْدُكَ إِلاَّ وَهْنًا**»، وَزَادَ الإِمَامُ أَحْمَدُ: «**فَإِنَّكَ لَوْ مِتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ، مَا أَفْلَحْتَ أَبَدًا**»[4].

وَمِنْ ذَٰلِكَ ـ يَا أُمَّةَ العَقِيْدَةِ ـ: تَصْدِيْقُ أَدْعِيَاءِ عِلْمِ الغَيْبِ، وَإِتْيَانُ الكَهَنَةِ والعَرَّافِيْنَ، وَالرَّمَّالِيْنَ وَالمُنَجِّمِيْنَ، والمُشَعْوِذِيْنَ والدَّجَّالِيْنَ، الَّذِيْنَ يَزْعُمُونَ الإِخْبَارَ عَنِ الغَيْبِيَّاتِ زُورًا وبُهْتَانًا، وَكَذِبًا وَادِّعَاءً؛ فَهَـٰذَا كُلُّهُ ضَلالٌ وَباطِلٌ، وَدَاءٌ خَطِيْرٌ، وَشَرٌّ مُسْتَطِيْرٌ، فَعِلْمُ الغَيْبِ مِمَّا اسْتَأْثَرَ اللهُ بِهِ وَحْدَهُ؛ قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥].

---

(١) رواه أحمد (٤/ ١٥٤)، والحاكم (٤/ ٢١٦).
(٢) رواه أحمد (٤/ ١٥٦)، والحاكم (٤/ ٢١٩).
(٣) الصُّفْر: النُّحَاس الجيد. «اللسان» (صفر).
(٤) رواه أحمد (٤/ ٤٤٥)، وابن ماجه (٣٥٣١).

لعَمْرُكَ مَا تَدْرِي الطَّوَارِقُ بِالحَصَىٰ وَلاَ زَاجِرَاتُ الطَّيْرِ مَا اللهُ صَانِعُ[1]

أَخْرَجَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ، عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ؛ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ أَتَىٰ عَرَّافًا[2]، فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً»[3].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «مَنْ أَتَىٰ عَرَّافًا، أَوْ كَاهِنًا[4]، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ ـ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ»[5].

إِخْوَةَ الإِيْمَانِ، وَفِي تَعَاطِيْ السِّحْرِ وَالتَّعَامُلِ بِهِ: جَمْعٌ بَيْنَ الكُفْرِ وَالإِضْرَارِ بِالنَّاسِ؛ لِمَا قَدْ يَتَوَهَّمُهُ الجَهَلَةُ والدَّهْمَاءُ[6]، وَمَرْضَى القُلُوبِ وَضِعَافُ الإِيْمَانِ وَالعُقُولِ، مِنْ قُدْرَةِ السَّاحِرِ عَلَىٰ مَا يُرِيْدُ، وَخَسِىءَ عَدُوُّ اللهِ؛ يَقُولُ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ . . . إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا

---

(١) البيت لِلَبِيدِ بن ربيعة العامري. انظر: «ديوانه» (ص٩٠)، و«اللسان» (طرق).

(٢) العرّاف: المنجِّم، أو الحازي الذي يدَّعي علم الغيب، وقد استأثر الله به. «النهاية» (عرف).

(٣) «صحيح مسلم» (٢٢٣٠).

(٤) الكاهن: الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان، ويدعي معرفة الأسرار. «النهاية» (كهن).

(٥) رواه أحمد (٢/ ٤٢٩)، وأبوداود (٣٩٠٤)، والترمذي (١٣٥)، وابن ماجه (٦٣٩)، والحاكم (١/ ٨).

(٦) الدَّهْمَاءُ: جماعة الناسِ وكثرتهم. «اللسان» و«تاج العروس» (دهم).



يَنفَعُهُمْۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ [البقرة].

مَعَاشِرَ المُسْلِمِيْنَ، السِّحْرُ إِحَدَى المُوبِقَاتِ، وَمِنْ أَعْظَمِ المُهْلِكَاتِ، حَذَّرَ اللهَ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ مِنْهُ، وَحَذَّرَ المُصْطَفَىٰ أُمَّتَهُ مِنَ الوُقُوعِ فِيْهِ؛ كَمَا فِي حَدِيْثِ أَبِيْ هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ فِي الصَّحِيْحَيْنِ: «**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ**»(١)، وَذَكَرَ مِنْهَا السِّحْرَ، وَالسَّاحِرُ دَعِيٌّ كَذَّابٌ، وَلَوْ طَارَ فِي الهَوَاءِ، وَمَشَىٰ عَلَى المَاءِ، وَلَبَّسَ عَلَى الجَهَلَةِ والدَّهْمَاءِ، وَزَعَمَ تَحْضِيْرَ الأَرْوَاحِ، وَالتَّنْوِيْمَ «بالمَغْنَاطِيْسِ»، وَلَبَّسَ عَلَى العُيُونِ بِحَمْلِ الأَشْيَاءِ الثَّقِيْلَةِ، وَمَا إِلَىٰ ذٰلِكَ.

السَّحَرَةُ وَالمُشَعْوِذُونَ خَطَرٌ عَلَى الأُمَّةِ، مُكَذِّبُونَ للهِ وَرَسُولِهِ، مُسْتَهْزِئُونَ بِعقُولِ النَّاسِ، مُبْتَزُّونَ لأَمْوَالِهِمْ، مُغَرِّرُونَ بِضُعَفَاءِ الأَحْلَامِ(٢)، مُلَبِّسُونَ عَلَى السُّفَهَاءِ وَالعَوَامِّ، جَدِيْرُوْنَ بِالرَّدْعِ والعِقَابِ وَشِدَّةِ الإِيْلَامِ؛ حَتَّىٰ لاَ يَعُمَّ ضَرَرُهُمْ، وَيَسْتَشْرِيَ خَطَرُهُمْ؛ رَوَى التِّرْمِذِيُّ، عَنْ جُنْدُبٍ: «**حَدُّ السَّاحِرِ ضَرْبَةٌ بِالسَّيْفِ**»(٣)، وَمَا ذَاكَ إِلاَّ لِعَظِيْمِ خَطَرِهِ،

---

(١) «صحيح البخاري» (٢٧٦٦)، و«صحيح مسلم» (٨٩).

(٢) الأحلام: العقول، جمع حِلْم. «القاموس» (حلم).

(٣) رواه الترمذي (١٤٦٠)، والحاكم (٤/ ٣٦٠).



وَكَبِيْرِ فِتْنَتِهِ وَضَرَرِهِ.

أُمَّةَ الإِسْلَامِ، إِنَّهُ لَمِنَ الغَرِيْبِ حَقًّا أَنْ تَنْتَشِرَ هَـٰذِهِ الأَبَاطِيْلُ فِي كَثِيْرٍ مِنَ البِلَادِ، وَيَتَعَاطَاهَا بَعْضُ أَهْلِ الإِسْلَامِ، الَّذِيْنَ ضَعُفَ يَقِيْنُهُمْ وَإِيْمَانُهُمْ، وَإِنَّهُ لَمِنَ العَارِ عَلَىٰ أَهْلِ العَقِيْدَةِ أَنْ تَنْتَشِرَ هَـٰذِهِ اللُّوْثَاتُ المُحَرَّمَةُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ، وَيَقِلَّ فِيْهَا النَّكِيْرُ، وَكَأَنَّ الأَمْرَ يَسِيْرٌ غَيْرُ عَسِيْرٍ، وَهُوَ خَدْشٌ فِي العَقِيْدَةِ، وَشَرْخٌ فِي صَمِيْمِ الإِيْمَانِ، أَفَيَلِيْقُ بِأَهْلِ الإِسْلَامِ: أَنْ يَخْلُدُوا لِلخَيَالَاتِ وَالأَوْهَامِ، أَوْ يَتَسَاهَلُوا بِهَـٰذِهِ الأُمُورِ العِظَامِ، وَيَقْبَلُوا دُخُولَ النَّقْصِ فِي عَقِيْدَتِهِمُ الَّتِيْ هِيَ أَغْلَىٰ وَأَعْلَىٰ مُقَوِّمَاتِ عِزِّهِمْ وَنَصْرِهِمْ وَسَعَادَتِهِمْ؟! لَقَدْ حَاوَلَ الأَعْدَاءُ أَنْ يَصْرِفُوا كَثِيْرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ جَوْهَرِ الدِّيْنِ، وَعَنْ صَفَاءِ العَقِيْدَةِ، وَأَنْ يَشْغَلُوهُمْ بِهَـٰذِهِ التَّوَافِهِ؛ حَتَّىٰ يَتَمَكَّنُوا مِنْ تَفْرِيْقِ كَلِمَتِهِمْ، وَإِبْعَادِهِمْ عَنْ نَقَاءِ دِيْنِهِمْ؛ لِتَسْهُلَ السَّيْطَرَةُ عَلَيْهِمْ.

فَكُونُوا عَلَىٰ حَذَرٍ ـ يَا عِبَادَ اللهِ ـ عَلِّقُوا آمَالَكُمْ بِاللهِ، رَبُّوا أَوْلَادَكُمْ عَلَى العَقِيْدَةِ، نَشِّئُوا أُسَرَكُمْ عَلَى الإِيْمَانِ، حَصِّنُوهَا بِالذِّكْرِ وَالقُرْآنِ، إِنَّ المَرْحَلَةَ الخَطِرَةَ الَّتِيْ تَمُرُّ بِهَا الأُمَّةُ تَسْتَوْجِبُ الجِدَّ فِي تَصْحِيْحِ المَسَارِ، عَلَىٰ نَهْجِ النَّبِيِّ المُخْتَارِ ـ عَلَيْهِ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ ـ أَمَّا الثَّوَاءُ[1] فِي حَيَاةِ التَّسَمِّي وَالادِّعَاءِ، دُونَ صِدْقٍ فِي العَقِيْدَةِ وَالانْتِمَاءِ ـ فَهَـٰذَا لَا يَزِيْدُ الأُمُورَ إِلَّا

---

(١) الثَّوَاء: طول المقام. «اللسان» (ثوي).



تَعْقِيْدًا، ولا يَزِيدُ البَاطِلَ إلاَّ رَوَاجًا وَتَوْطِيْدًا، وَلٰكِنَّ اللهَ حَافِظٌ دِيْنَهُ، وَمُعْلٍ كَلِمَتَهُ، وَنَاصِرٌ أَوْلِيَاءَهُ، وَلَوْ كَرِهَ المُشْرِكُونَ، وَمَهْمَا عَمِلَ الأَفَّاكُونَ[1] والمُنْحَرِفُونَ.

نَسْأَلُ اللهَ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَىٰ، وَصِفَاتِهِ العُلاَ، أَنْ يَجْعَلَنَا هُدَاةً مُهْتَدِيْنَ، غَيْرَ ضَالِّيْنَ وَلاَ مُضِلِّيْنَ، عَلَى الإِيْمَانِ نَحْيَا، وَعَلَى العَقِيْدَةِ الصَّحِيْحَةِ نَمُوتُ، وَعَلَيْهَا نُبْعَثُ يَوْمَ الدِّيْنِ.

أَقُولُ قَوْلِيْ هَـٰذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِيْ وَلَكُمْ وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ، فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيْمُ.

---

(١) الأفَّاكون: الكذَّابون. «القاموس» (أفك).



الخطبة الثانية

الحَمْدُ للهِ الَّذِيْ خَلَقَنَا وَهَدَانَا، وَرَزَقَنَا وَاجْتَبَانَا، وَاخْتَارَنَا وَاصْطَفَانَا، وَمِنْ كُلِّ مَا سَأَلْنَاهُ مَنَحَنَا وَأَعْطَانَا، فَضْلاً مِنْهُ وَنِعْمَةً وَامْتِنَانًا، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلـٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ، أَنْزَلَ عَلَيْنَا قُرْآنًا، هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيَانًا، وَمَحَجَّةً وَفُرْقَانًا، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَقْوَى الأُمَّةِ إِيْمَانًا، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، الَّذِيْنَ كَانُوا بِنِعْمَةِ اللهِ إِخْوَانًا، وَعَلَى الخَيْرِ أَعْوَانًا، وَعَلىٰ مَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ، وَاقْتَفىٰ أَثَرَهُمْ بِإِيْمَانٍ.

أمّا بعد:

فَاتَّقُوا اللهَ - عِبَادَ اللهِ - وَعَلِّقُوا آمَالَكُمْ وَكَشْفَ آلاَمِكُمْ بِهِ وَحْدَهُ، وَفَوِّضُوا أُمُورَكُمْ كُلَّهَا إِلَيْهِ، وَثِقُوا بِتَوْفِيْقِهِ وَتَأْيِيْدِهِ وَتَوَكَّلُوا عَلَيْهِ، وَاعْلَمُوا - رَحِمَكُمُ اللهُ - أَنَّهُ مَا تَفَشَّتْ أَعْمَالُ الشَّعْوَذَةِ فِي أُمَّةٍ إِلاَّ أَهْلَكَتْهَا، وَلاَ فِي مُجْتَمَعَاتٍ إِلاَّ دَحَرَتْهَا، وَلَمْ تَكُنْ هَـٰذِهِ الأُمُورُ لِتَحْصُلَ إِلاَّ لَمَّا ضَعُفَ وَلاَءُ كَثِيْرٍ مِنَ النَّاسِ لِدِيْنِهِمْ وَعَقِيْدَتِهِمْ، وَأَسْلَمُوا قِيَادَهُمْ وَزِمَامَهُمْ لأَعْوَانِ الشَّيَاطِيْنِ، يَلْعَبُونَ بِهِمْ كَيْفَمَا يَشَاءُونَ، دُونَ رَوِيَّةٍ وَلاَ تَفْكِيْرٍ، مَعَ الانْسِيَاقِ وَرَاءَ الوَهْمِ وَالهَوىٰ وَالظُّنُونِ.

إِنَّهُ لَوْ كَانَتِ القُلُوبُ قَوِيَّةَ الإِيْمَانِ، مُتَرَبِّيَةً عَلَى القُرْآنِ، بَعِيْدَةً عَنِ



المَلاَهِيْ والشَّهوَاتِ والعِصْيَانِ ـ مَا كَانَتْ هَـٰذِهِ الأُمُورُ رَائِجَةً، وبِضَاعَةً نَافِقَةً، وَأَرْضًا خِصْبَةً، يُعَشِّشُونَ فِيْهَا وَيُفَرِّخُونَ، وَإِذَا كَانَ الابْتِلاَءُ سُنَّةً، والبَشَرُ عُرْضَةً لِلأَمْرَاضِ وَالأَسْقَامِ ـ فَإِنَّ التَّدَاوِيَ المَشْرُوعَ أَمْرٌ مَطْلُوبٌ، وَلاَ يُنَافِيْ التَّوَكُّلَ عَلى اللهِ، سَوَاءٌ أَكَانَ التَّدَاوِيْ بِالرُّقَى المَشْرُوعَةِ عِنْدَ أَهْلِ الإِيْمَانِ والتَّقْوَىٰ والصَّلاَحِ، ذَوِيْ الاِعْتِقَادِ الصَّحِيْحِ وَالمَنْهَجِ السَّلِيْمِ، أَمْ بِغَيْرِ ذٰلِكَ مِنْ أَلوَانِ الطِّبِّ الحَدِيْثِ الَّذِيْ لاَ يَتَنَافىٰ مَعَ الشَّرْعِ الحَنِيْفِ، وَقَدْ أَخْبَرَ اللهُ عَنِ القُرْآنِ بِأَنَّهُ هُدًى وَشِفَاءٌ مِنْ كُلِّ مَرَضٍ وَدَاءٍ؛ فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ ـ ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ۝١٢٢﴾ [النساء] ـ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت: ٤٤]؛ لَـٰكِنْ لاَبُدَّ مِنَ التَّأَكُّدِ مِنْ أَهْلِيَّةِ المُدَاوِيْ؛ دِيْنًا وَاسْتِقَامَةً، وَصِدْقًا وَأَمَانَةً.

وَعَلَيْكُمْ ـ رَحِمَكُمُ اللهُ ـ بِتَحْصِيْنِ أَنْفُسِكُمْ وَأَوْلاَدِكُمْ بِالرُّقَى المَشْرُوعَةِ، وَالأَوْرَادِ المَأْثُورَةِ؛ فَهِيَ حِصْنٌ حَصِيْنٌ، وَحِرْزٌ أَمِيْنٌ، بِإِذْنِ الحَيِّ القَيُّومِ، دَاوِمُوا عَلَى أَوْرَادِ الصَّبَاحِ وَالمَسَاءِ، وَأَدْعِيَةِ الدُّخُوْلِ والخُرُوجِ، وَالنَّومِ وَالاسْتِيْقَاظِ، أَكْثِرُوا مِنْ قِرَاءَةِ فَاتِحَةِ الكِتَابِ، وَآيَةِ الكُرْسِيِّ، وَخَوَاتِيْمِ سُوْرَةِ البَقَرَةِ، وَسُورَةِ الإِخْلاَصِ، والمُعَوِّذَتَيْنِ؛ فَإِنَّهَا تَكْفِيْ صَاحِبَهَا ـ بِإِذْنِ اللهِ ـ مِنْ كُلِّ بَلاَءٍ وَدَاءٍ.

وَهَاكُمْ ـ عِبَادَاللهِ ـ وَصْفَةً طِبِّيَّةً نَبوِيَّةً، هِيَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَمَانٌ؛ عَنْ



عَبْدِاللهِ بن خُبَيْبٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**قُلْ: قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ، وَالمُعَوِّذَتَيْنِ، حِيْنَ تُمْسِيْ، وَحِيْنَ تُصْبِحُ، ثَلاَثَ مَرَّاتٍ ـ تَكْفِيْكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ**»(١).

وَعَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ فِي صَبَاحِ كُلِّ يَوْمٍ، وَمَسَاءِ كُلِّ لَيْلَةٍ: بِاسْمِ اللهِ الَّذِيْ لاَ يَضُرُّ معَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ السَّمِيْعُ العَلِيْمُ، ثَلاَثَ مَرَّاتٍ؛ فَيَضُرَّهُ شَيْءٌ**»(٢).

هَـٰذَا؛ وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا ـ رَحِمَكُمُ اللهُ ـ عَلَىٰ خَيْرِ الوَرَىٰ؛ كَمَا أَمَرَكُمْ بِذٰلِكَ رَبُّكُم جَلَّ وَعَلا؛ فقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب].

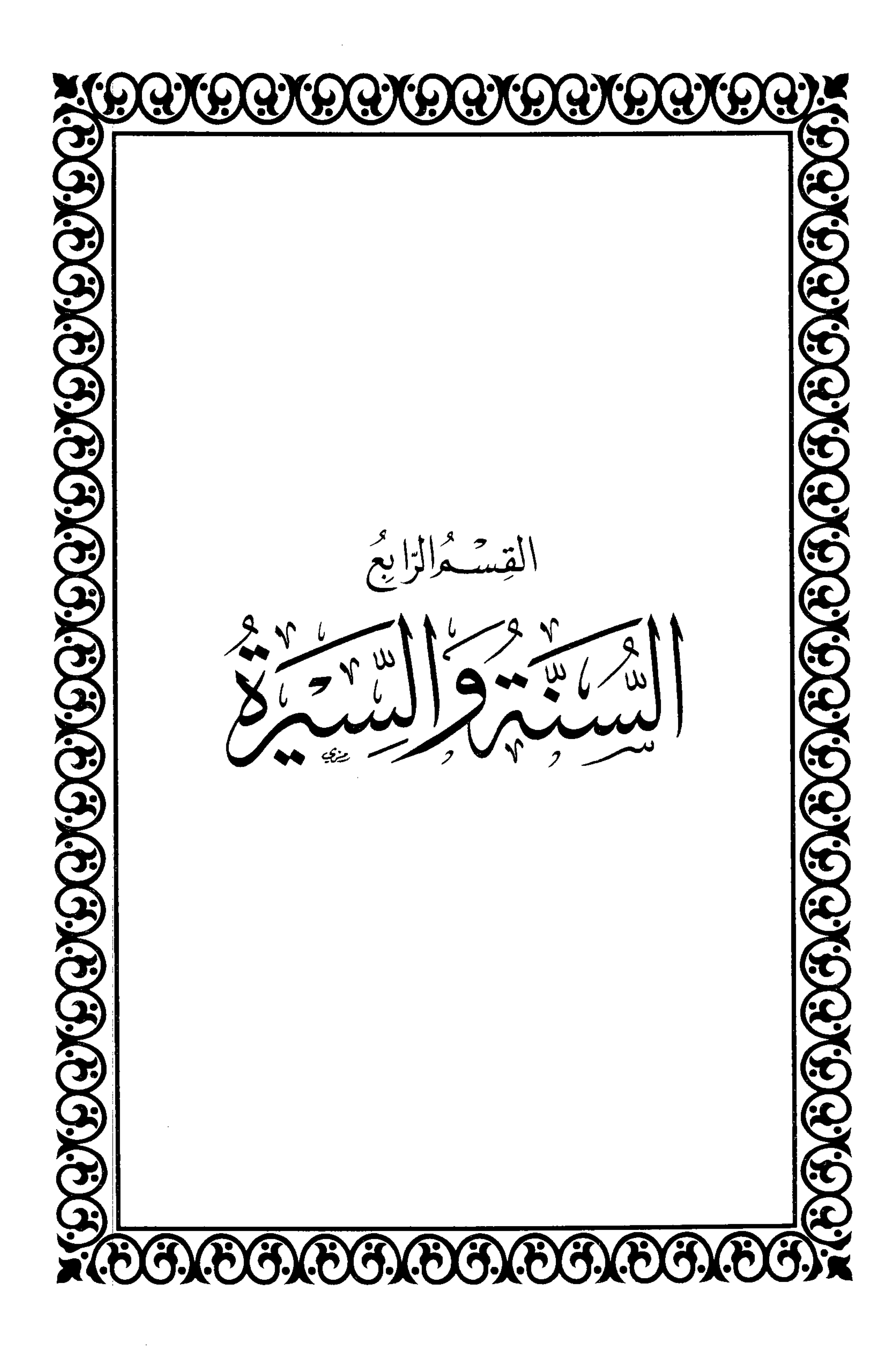
* * *

(١) رواه أحمد (٥/ ٣١٢)، وأبوداود (٥٠٨٢)، والترمذي (٣٥٧٥).

(٢) رواه أحمد (١/ ٦٢، ٦٦، ٧٢)، وأبوداود (٥٠٨٨)، والترمذي (٣٣٨٨).







القسم الرابع

السنة والسيرة

الخطبة الأولى

الحَمْدُ للهِ، أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدَىٰ وَدِيْنِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّيْنِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ المُشْرِكُونَ، أَحْمَدُهُ تَعَالَىٰ حَمْدًا يَتقَرَّبُ بِهِ المُؤْمِنُونَ المُوَحِّدُونَ، وَأَشْكُرُهُ سُبْحَانَهُ شُكْرًا يَلْهَجُ بِهِ المُتَّقُونَ المُتَّبِعُونَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ، سُبْحَانَهُ وَتعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ وَالأَفَّاكُونَ؛ شَهَادَةً تَنْفَعُ قَائِلَهَا يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ هَادِيًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيْرًا، وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيْرًا، فَبَلَّغَ الرِّسَالَةَ، وَأَدَّى الأَمَانَةَ، ونَصَحَ الأُمَّةَ، وَجَاهَدَ فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ؛ فَتَحَ اللهُ بِهِ قُلُوبًا غُلْفًا، وَأَعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا صُمًّا؛ هَدَىٰ بِهِ مِنَ الضَّلاَلَةِ، وَبَصَّرَ بِهِ مِنَ الغَوَايَةِ، شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ، وَأَعْلَىٰ ذِكْرَهُ، وَرَفَعَ قَدْرَهُ، وَوَضَعَ وِزْرَهُ، وَجَعَلَ الذِّلَّةَ والصَّغَارَ عَلَىٰ مَنْ خَالَفَ أَمْرَهُ، أَكْمَلَ بِهِ الدِّيْنَ، وأَتَمَّ بِهِ النِّعْمَةَ، تَرَكَنَا عَلَى المَحَجَّةِ البَيْضَاءِ، لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لاَ يَزِيْغُ عَنْهَا إِلاَّ هَالِكٌ، الحَقُّ مَا جَاءَ بِهِ، والدِّيْنُ مَا شَرَعَهُ؛ فَنَشْهَدُ اللهَ الَّذِي لاَ إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ عَلَىٰ مَحَبَّتِهِ ﷺ مَحَبَّةً تَفُوقُ مَحَبَّةَ النَّفْسِ وَالوَلَدِ والوَالِدِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِيْنَ، صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلاَمُهُ عَلَيْهِ

وَعلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ تَمَسَّكَ بِسُنَّتِهِ وَسَارَ عَلَىٰ طَرِيْقَتِهِ، والتَّابِعِيْنَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّيْنِ.

أمّا بعد:

فَإِنَّهُ حِيْنَمَا تَكْثُرُ الفِتَنُ فِي الأُمَّةِ، وَتَدْلَهِمُّ الخُطُوبُ وَالمِحَنُ[1] فِي المُجْتَمَعَاتِ، وَتُخَيِّمُ عَلَىٰ سَمَائِهَا الصَّافِيَةِ سُحُبُ المُخَالَفَاتِ، فَيَلْتَبِسُ الحَقُّ بِالبَاطِلِ، وَتَخْفَىٰ مَعَالِمُ السُّنَنِ عَلَىٰ كَثِيْرٍ مِنَ النَّاسِ، وَيَخْتَلِطُ الهُدَىٰ بِالضَّلالِ؛ فَإِنَّ تَقْوَى اللهِ سُبْحَانَهُ تُنِيْرُ طَرِيْقَ الهِدَايَةِ، وَيُبَدِّدُ نُورُهَا ظُلُمَاتِ الجَهْلِ وَالغَوَايَةِ، وَمَنْ رُزِقَ التَّقْوَىٰ، وُفِّقَ لِلفُرْقَانِ بَيْنَ أَوْلِيَاءِ الرَّحْمَنِ وَأَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ؛ قَالَ تعالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الأنفال].

مَنْ وَهَبَهُ اللهُ التَّقْوَىٰ، فَقَدْ وَهَبَهُ نُورًا يَمْشِيْ بِهِ عَلَىٰ دَرْبِ النَّجَاةِ فِي سَلامَةٍ مِنَ المُؤَثِّرَاتِ العَقَدِيَّةِ وَالمَنْهَجِيَّةِ، وَفِيْ بُعْدٍ عَنِ اللُّوْثَاتِ المُعَكِّرَةِ لِصَفْوِ اتِّبَاعِهِ وَمَسْلَكِهِ؛ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الحديد].

---

(١) تدلهمّ، أي: تَكْثُفُ وَتَشْتَدُّ، والخطوب: جمع خَطْب، وهو الأمر الشديد تقع فيه المخاطبة، والمحن: جمع مِحْنَة، وهي البلاءُ والشدَّة. انظر: «اللسان» (دلهم) (خطب)، و«تاج العروس» (محن).



أَلَامَا أَحْوَجَ الْأُمَّةَ اليَوْمَ إِلَىٰ أَنْ تُغْمَرَ قُلُوبُ أَبْنَائِهَا بِتَقْوَى اللهِ جَلَّ وعَلاَ؛ لِيَتَحَقَّقَ لَهَا وَعْدُ اللهِ سُبْحانَهُ: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦﴾ [الروم].

إِخْوَةَ الإِسْلَامِ، عِزُّ الأُمَّةِ وَسَعَادَتُهَا، وَصَلَاحُهَا وَهِدَايَتُهَا، وَسَلَامَتُهَا وَسِيَادَتُهَا، وَفَلَاحُهَا وَرِيَادَتُهَا، كُلُّ ذٰلِكَ مَرْهُونٌ بِتَمَسُّكِهَا بِكِتَابِ رَبِّهَا وَسُنَّةِ نَبِيِّهَا ﷺ، وَشَوَاهِدُ هَـٰذَا جَلِيَّةٌ فِي نُصُوصِ الشَّرْعِ وَحَوَادِثِ التَّأْرِيخِ؛ فَيَوْمَ أَنْ كَانَتِ الأُمَّةُ مُتَمَسِّكَةً بِإِسْلَامِهَا الحَقِّ، مُهْتَدِيَةً بِنُورِ الوَحْيَيْنِ، مُقْتَفِيَةً آثَارَ النُّبُوَّةِ ـ دَانَتْ لَهَا المَشَارِقُ وَالمَغَارِبُ، واجْتَمَعَتْ كَلِمَتُهَا، وَرَفْرَفَتْ رَايَتُهَا، وَتَوَحَّدَتْ صُفُوفُهَا، وَلَمْ تَجِدِ البِدَعُ وَالأَهْوَاءُ طَرِيْقًا إِلَىٰ مُجْتَمَعَاتِهَا.

إِخْوَةَ الإِيْمَانِ، وَتَمُرُّ القُرُونُ، وَتَمْضِيْ الأَعْصَارُ والسِّنُونَ، وَتُبْتَلَىٰ هَـٰذِهِ الأُمَّةُ بِالفُرْقَةِ وَالاِخْتِلَافِ، فِي أُمُورِ دِيْنِهَا.

وَفِي غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِ الحَقِّ، وَذُهُولٍ مِنْ حُرَّاسِ المِلَّةِ، وَانْشِغَالٍ مِنْ أَبْنَاءِ السُّنَّةِ: تَسَرَّبَتْ إِلَىٰ صُفُوفِ الأُمَّةِ أَلْوَانٌ مِنَ العَقَائِدِ المُنْحَرِفَةِ، وَتَسَلَّلَتْ عَبْرَ الحُصُونِ صُنُوفٌ مِنَ الطُّرُقِ الفَاسِدَةِ، الَّتِيْ هَوَّشَتْ عَلَى الأُمَّةِ[1] فِي أَعَزِّ مَا تَمْلِكُ: فِي عَقِيْدَتِهَا، وَاتِّبَاعِهَا، وَحُبِّهَا لِرَسُولِهَا ﷺ؛ فَفَرَّقَتِ الأُمَّةَ شِيَعًا وَأَحْزَابًا، وَتَجَاذَبَتِ النَّاسَ الأَهْوَاءُ والاخْتِلَافَاتُ، وَتَعَدَّدَتِ المَذَاهِبُ

---

(١) أي: خلّطت عليها. «تاج العروس» (شوش).



والرَّايَاتُ، وَتَشَعَّبَتِ المَسَالِكُ والغَايَاتُ، وَعَمَّتِ الفِتَنُ وَالابْتِلاَءَاتُ، فَضَرَبَتِ الأُمَّةُ فِي تِيْهِ السُّبُلِ عُقُودًا مِنَ الزَّمَنِ، وَغَرِقَتْ فِي لُجَجِ الاِخْتِلاَفَاتِ قُرُونًا مِنَ الدَّهْرِ، وَضَعُفَ وَلاَءُ أَهْلِهَا لِعَقِيْدَتِهِمْ، وَأُشْرِبُوا في قُلُوبِهِمْ حُبَّ التَّبَعِيَّةِ لأَعْدَائِهِمْ.

وَيَزْدَادُ الأَمْرُ خُطُورَةً فِي هَذَا العَصْرِ؛ حَيْثُ الفِتَنُ المُشْتَدَّةُ، والمِحَنُ المُتَلاَحِقَةُ، وَالاِبْتِلاَءَاتُ المُتَدَاعِيَةُ، والرَّايَاتُ المُتَدَاخِلَةُ، والسُّبُلُ المُتَشَابِكَةُ، فِي وَقْتٍ رُفِعَتْ فِيْهِ رَايَاتُ الهُجُومِ عَلَىٰ دِيْنِ الأُمَّةِ وَمُعْتَقَدِهَا، وَثَارَتْ فِيْهِ بَرَاكِيْنُ الدَّعْوَةِ إِلى الضَّلاَلَةِ، وَهَبَّتْ فِيْهِ أَعَاصِيْرُ تَحْسِيْنِ الغَوَايَةِ، وَتَفَجَّرَتْ زَوَابِعُ لِلنَّيْلِ مِنْ سُنَّةِ الحَبِيْبِ المُصْطَفَىٰ ﷺ؛ فَرَمَتْهَا عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ؛ مِمَّا يُجَسِّدُ المَسْئُولِيَّةَ أَمَامَ حُمَاةِ السُّنَّةِ، وَحُرَّاسِ المِلَّةِ؛ لِيَهُبُّوا مِنْ رَقْدَتِهِمْ، وَيُفِيْقُوا مِنْ سُبَاتِهِمْ، وَيَكُفُّوا عَنِ انْشِغَالِهِمْ بِأُمُورٍ جُزْئِيَّةٍ، وَيَذُبُّوا عَنْ سُنَّةِ حَبِيْبِهِمْ ﷺ؛ فَيَتَعَلَّمُوهَا وَيَعْمَلُوا بِهَا، وَيُعَلِّمُوهَا وَيَدْعُوا إِلَيْهَا عَلَىٰ بَصِيْرَةٍ، وَيُجَاهِدُوا فِي سَبِيْلِ بَيَانِهَا، وَيَصْبِرُوا عَلَىٰ مَا يُصِيْبُهُمْ مِنَ الأَذَىٰ فِي سَبِيْلِ ذٰلِكَ، وَيُنَافِحُوا عَنْهَا، وَيُبَيِّنُوا كُلَّ مَايُخَالِفُهَا؛ فَيَكْشِفُوا زَيْفَهُ، وَيُوَضِّحُوا عَوَارَهُ؛ حَتَّىٰ يَكُونَ النَّاسُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ فِي أُمُورِهِمْ، وَذٰلِكَ ـ لَعَمْرُ الحَقِّ ـ مِنْ أَعْظَمِ مَا يُتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللهِ.



يَقُولُ الإِمَامُ يَحْيَى بنُ يَحْيَى النَّيْسَابُورِيُّ، شَيْخُ البُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ ـ رَحِمَهُمُ الله ـ: «**الذَّبُّ عَنِ السُّنَّةِ أَفْضَلُ مِنَ الجِهَادِ**»[1]، وَيَقُولُ أَبُو عُبَيْدٍ القَاسِمُ بنُ سَلَّامٍ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «**المُتَّبِعُ للسُّنَّةِ كَالقَابِضِ عَلَى الجَمْرِ، وَهُوَ اليَوْمَ عِنْدِيْ أَفْضَلُ مِنَ الضَّرْبِ بِالسُّيُوفِ فِي سَبِيْلِ اللهِ**»[2].

فَيَا حَمَلَةَ السُّنَّةِ، إِنَّهُ نَظَرًا لِلْوَهَنِ[3] الَّذِيْ أَصَابَ كَثِيْرًا مِنَ المُجْتَمَعَاتِ، وَلِمَا حَصَلَ لِجُمْلَةٍ مِنَ التَّصَوُّرَاتِ الإِسْلَامِيَّةِ مِنَ انْحِرَافٍ وَغَبَشٍ في أذهَانِ فِئَامٍ مِنَ النَّاسِ؛ حَتَّى اخْتَلَطَتْ عَلَيْهِمُ الأَوْرَاقُ، وانْقَلَبَتْ عِنْدَهُمُ المَوَازِيْنُ، وَاخْتَلَّتِ المَقَايِيْسُ، وَانْتَكَسَتِ المعَايِيْرُ؛ فَأَصْبَحَ المَعْرُوفُ مُنْكَرًا، والمُنْكَرُ مَعْرُوفًا، وَالسُّنَّةُ بِدْعَةً، والبِدْعَةُ سُنَّةً ـ إِلاَّ مَنْ رَحِمَ اللهُ ـ بَاتَ مِنَ الضَّرُورِيِّ أَنْ يَتَحَرَّكَ أَبْنَاءُ الإِسْلَامِ، أَصْحَابُ المَنْهَجِ الحَقِّ، أَهْلُ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ، أَتْبَاعُ سَلَفِ هَـٰذِهِ الأُمَّةِ، بِتَجْلِيَةِ الأُمُورِ دُونَ مُوَارَبَةٍ[4]، وَكَشْفِ الحَقَائِقِ دُونَ مُجَامَلَةٍ، وَبَيَانِ مَا هُوَ دَخِيْلٌ مِمَّا هُوَ أَصِيْلٌ، وَمَا هُوَ حَقٌّ جِدٌّ مِمَّا هُوَ بَاطِلٌ هَزِيْلٌ، وَالتَّرْكِيْزِ عَلَىٰ أُمُورِ العَقِيْدَةِ وَالسُّنَّةِ وَالاِتِّبَاعِ، وَإِبْطَالِ كُلِّ مَا يُخَالِفُهَا مِنَ المَقُولَاتِ والشُّبُهَاتِ،

---

(١) ذكره الذهبي في «سير أعلام النُّبلاء» (١٠/ ٥١٨).

(٢) أورده الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٢/ ٤١٠)، والذهبي في «سير أعلام النُّبلاء» (١٠/ ٤٩٩).

(٣) الوهن ـ بسكون الهاء وفتحها ـ: الضعف. «اللسان» (وهن).

(٤) المُوَارَبَة: المداهاة والمخاتلة. «اللسان» (ورب).



وَفَضْحِ كُلِّ مَا يُعَارِضُهَا مِنَ المَنَاهِجِ وَالشِّعَارَاتِ، وَكَشْفِ اللِّثَامِ عَنْ وُجُوهِ أَعْدَائِهَا، سَوَاءٌ أَكَانُوا أَفْرَادًا أَمْ جَمَاعَاتٍ أَمْ كِيَانَاتٍ، فَالحَقُّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ.

وَإِلَىٰ مَتَىٰ تَظَلُّ الأُمَّةُ تَائِهَةً حَيْرَىٰ، لاَ تُمَيِّزُ العَدُوَّ مِنَ الصَّدِيْقِ؟! أَيْنَ الجُهُودُ المُكَثَّفَةُ فِي خِدْمَةِ السُّنَّةِ والدِّفَاعِ عَنْهَا؟! أَيْنَ دَوْرُ العُلَمَاءِ فِي تَوْضِيْحِ السُّنَّةِ لِلْعَامَّةِ، وَرَصْدِهِمْ لِلْمُخَالَفَاتِ عِنْدَ تَطْبِيْقِهَا، وَبَيَانِهَا لِلنَّشْءِ حَتَّىٰ لاَ يَحْصُلَ إِفْرَاطٌ وَلاَ تَفْرِيْطٌ؟!

أَيْنَ العِنَايَةُ بِالسُّنَّةِ فِي مَنَاهِجِ الدَّعْوَةِ وَجُهُودِ الدُّعَاةِ؟! هَلْ تَغْلِبُ القَضَايَا الفِكْرِيَّةُ والثَّقَافِيَّةُ والعَصْرِيَّةُ عَلَىٰ جَوَانِبِ التَّأْصِيْلِ والمَنْهَجِيَّةِ؟! أَيْنَ الاِسْتِزَادَةُ مِنَ العُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ، لاَسِيَّمَا عُلُومُ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ، فِي مَجَالِ الرِّوَايَةِ والدِّرَايَةِ، والتَّطْبِيْقِ وَالسُّلُوكِ؟! مَا مَدَىٰ الاهْتِمَامِ بِالسُّنَّةِ فِي مَنَاهِجِ التَّعْلِيْمِ؟! حَيْثُ مِنَ الضَّرُورِيِّ أَنْ يُشْبَعَ نَهَمُ الطُّلَّابِ بِأَهَمِّ العُلُومِ وَأَوْلاَهَا، بَدَلَ أَنْ تُزَاحَمَ بِعلُومٍ أُخْرَىٰ!!

أَيْنَ العِنَايَةُ بِالسُّنَّةِ عَبْرَ وَسَائِلِ الإِعْلاَمِ فِي بِلاَدِ الإِسْلاَمِ، وَلَوْ عَلَىٰ أَقَلِّ تَقْدِيْرٍ بِكَفِّ كُلِّ مَا يُخَالِفُهَا؟! أَيْنَ تَطْبِيْقُ السُّنَّةِ في البَيْتِ وَالأُسْرَةِ، والشَّارِعِ وَالمُجْتَمَعِ؟! مَاذَا جَنَتِ الأُمَّةُ لَمَّا أَهْمَلَتْ ـ أَوْ كَادَتْ ـ أُمُورَ السُّنَّةِ المُحَمَّدِيَّةِ، عَلَىٰ صَاحِبِهَا أَفْضَلُ الصَّلاَةِ وَأَزْكَى التَّحِيَّةِ؟! لَقَدِ اكْتَفَتْ بِالمَظَاهِرِ عَنِ الحَقَائِقِ، وَالدَّعَاوَىٰ والزُّعُومِ عَنِ التَّطْبِيْقِ الجَادِّ وَالتَّمَسُّكِ



الحَقِّ، وَجَعَلَتْ بَعْضَ أَيَّامِهَا وَلَيَالِيْهَا أَوْقَاتًا لِمَعْرِفَةِ السُّنَّةِ وَإِحْيَائِهَا وَحُبِّ صَاحِبِهَا - بِأَبِي هُوَ وَأُمِّي ﷺ! - نَعَم؛ اكْتَفَتْ بِالحَدِيْثِ حَوْلَهَا لَيْلَةً مِنَ العَامِ، وَالوُقُوفِ تُجَاهَ عِبرِهَا يَوْمًا فِي السَّنَةِ، ثُمَّ لاَ تَسْأَلْ عَمَّا يَحْدُثُ بَعْدَ ذٰلِكَ! إِلَى اللهِ المُشْتَكَىٰ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ، وَهُوَ المُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا نَرَىٰ وَنَسْمَعُ!!

إِنَّ الأَمْرَ أَجَلُّ وَأَعْظَمُ مِنْ مِثْلِ هَـٰذِهِ التَّصَرُّفَاتِ، الَّتِيْ لاَ تُوَافِقُ شَرْعًا صَحِيْحًا، وَلاَ عَقْلاً صَرِيْحًا، وَيَتَمَلَّكُكَ العَجَبُ عِنْدَمَا تُلَبَّسُ هَـٰذِهِ الأُمُورُ لِبَاسَ الدِّيْنِ والقُرْبَةِ، وَمَا هَـٰذَا إِلاَّ لِغُرْبَةِ الدِّيْنِ وَعِظَمِ الكُرْبَةِ؛ ﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ﴾ [الأنعام: ٧٠].

أُمَّةَ ٱلإِسْلَامِ، إِنَّ حَقًّا عَلَيْنَا جَمِيْعًا أَنْ نَهْتَمَّ غَايَةَ الاهْتِمَامِ بِإِحْيَاءِ السُّنَنِ، وَأَنْ يَتَعَاوَنَ المُسْلِمُونَ عَلَىٰ ذٰلِكَ جَمِيْعًا، أَوَلَيْسَ الكُلُّ يُرِيْدُ سُلُوكَ طَرِيْقِ الجَنَّةِ؟! وَهَلْ لَهَا طَرِيْقٌ غَيْرُ طَرِيْقِ المُصْطَفَىٰ ﷺ وَصَحَابَتِهِ، وَسَلَفِ هَـٰذِهِ الأُمَّةِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُم - وَالقُرُونِ المُفَضَّلَةِ؟!

فَيَامَنْ يُرِيْدُ نَجَاتَهُ، السُّنَّةَ السُّنَّةَ!! وَالاتِّبَاعَ الاتِّبَاعَ!! إِيَّاكَ وَالاغْتِرَارَ بِمَا عَلَيْهِ الجَمُّ الغَفِيْرُ؛ فَالحَقُّ لَيْسَ بِالكَثْرَةِ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [الأنعام: ١١٦] وَإِنَّمَا بِالبُرْهَانِ وَالحُجَّةِ!

وَإِنَّ عَلَىٰ حَمَلَةِ السُّنَّةِ: أَنْ يُوَحِّدُوا كَلِمَتَهُمْ، وَيَجْمَعُوا قُلُوبَهُمْ، وَيَحْذَرُوا



مِنْ فَتْحِ ثَغَرَاتٍ دَاخِلِيَّةٍ، وَتَغْلِيْبِ خِلاَفَاتٍ جَانِبِيَّةٍ، إِنَّ التَّعَصُّبَ لِلشِّعَارَاتِ وَالجَمَاعَاتِ، وَالنَّظَرَاتِ الحِزْبِيَّةِ الضَّيِّقَةِ، لَيْسَ مِنْ دِيْنِ اللهِ فِي شَيْءٍ، فَالْحَقُّ لَيْسَ حِكْرًا عَلَىٰ فَرْدٍ دُونَ آخَرَ، وَلاَ جَمَاعَةٍ دُونَ أُخْرَىٰ، مَا دَامَ الكُلُّ عَلَى المَنْهَجِ النَّبَوِيِّ ـ لاَ سِيَّمَا فِي المَجَالِ العَقَدِيِّ ـ وَالخَطَأُ وَارِدٌ، والنُّصْحُ مَشْرُوعٌ، والتَّسْفِيْهُ وَالأَذَىٰ بَيْنَ الإِخْوَةِ مَمْنُوعٌ. والمُجَاهَرَةُ بِالرُّدُودِ، وَالاِنْشِغَالُ بِهَا بَيْنَ أَصْحَابِ المَنْهَجِ الوَاحِدِ ـ يُتِيْحُ الفُرْصَةَ لِلأَعْدَاءِ لإِحْكَامِ الوَقِيْعَةِ بَيْنَ الأَحِبَّةِ؛ فَالحَذَرَ الحَذَرَ!!

أَلاَ مَا أَحوجَ حَمَلَةَ السُّنَّةِ إِلَىٰ تَنْسِيْقِ جُهُودِهِمْ، والتَّلاَحُمِ مَعَ وُلاَتِهِمْ وَعُلَمَائِهِمْ؛ لِدَرْءِ الأَخْطَارِ المُحْدِقَةِ بِهِمْ[1].

فَيَا أُمَّةَ الإِسْلَامِ، وَيَا حَملَةَ السُّنَّةِ، وَيَا أَحبابَ المُصْطَفَىٰ ﷺ، أَمَا آنَ لَنَا أَنْ نَتَنَبَّهَ لِلأَخْطَارِ المُحِيْطَةِ بِنَا، وَالَّتِيْ تُهَدِّدُنَا فِي دِيْنِنَا وَدُنْيَانَا؟! أَمَا آنَ لَنَا أَنْ نَتَخَلَّىٰ عَنِ المَعَارِكِ الوَهْمِيَّةِ، وَالخِلاَفَاتِ الجَانِبِيَّةِ، وَنَبْذُلَ طَاقَاتِنَا، وَنَصْرِفَ جُهُودَنَا؛ دِفَاعًا عَنِ السُّنَّةِ وَنَشْرًا لَهَا، وَنَتَلاَحَمَ مَعَ وُلاَتِنَا وَعُلَمَائِنَا؛ لِلسَّيْرِ جَمِيْعًا فِي طَرِيْقِ الخَيْرِ وَالرَّشَادِ؟!

فَمَنْ يَقُومُ بِذَلِكَ يَا أُمَّةَ الإِسْلَامِ؟! مَنْ لِلسُّنَّةِ المُطَهَّرَةِ؛ يَقُومُ بِهَا، وَيَدْعُو إِلَيْهَا، وَيُؤَلِّفُ القُلُوبَ حَوْلَهَا، وَيُجَاهِدُ فِي سَبِيْلِهَا، وَيَذُبُّ

(١) الْمُحدِقَةُ بهم، أي: الْمُحِيطَةُ بهم. «تاج العروس» (حدق).



عَنْهَا ـ بَعْدَ اللهِ ـ إِلاَّ أَنْتُمْ أَيُّهَا المُسْلِمُونَ؟! فَكُونُوا كَمَا أَرَادَ اللهُ لَكُمْ؛ يُنْجِزْ لَكُمْ مَا وَعَدَكُمْ؛ فَمِنْهُ وَحْدَهُ التَّوْفِيْقُ وَالسَّدَادُ.

نَفَعَنِيْ اللهُ وَإِيَّاكُمْ بِهَدْيِ كِتَابِهِ، وَبِسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ، أَقُولُ قَوْلِيْ هَـٰذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيْمَ الجَلِيْلَ لِيْ وَلَكُمْ وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ، فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيْمُ.

الخطبة الثانية

الحَمْدُ للهِ الَّذِيْ أَبَانَ الطَّرِيْقَ، وَأَوْضَحَ المَحَجَّةَ، وَأَرْسَلَ رُسُلَهُ مُبَشِّرِيْنَ وَمُنْذِرِيْنَ؛ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلـٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا وَحَبِيْبَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، كَسَاهُ مِنْ حُلَلِ النُّبُوَّةِ مَا زَادَهُ مَهَابَةً وَبَهْجَةً، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ؛ الَّذِيْنَ فَدَوْهُ بِكُلِّ نَفْسٍ وَمُهْجَةٍ[1]، وَالتَّابِعِيْنَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّيْنِ.

أمَّا بعد:

فَاتَّقُوا اللهَ ـ عِبَادَ اللهِ ـ وَتَمَسَّكُوا بِسُنَّةِ رَسُولِكُمْ ﷺ، وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ الحَدِيْثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ.

عِبَادَ اللهِ، إِنَّ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ بِعِبَادِهِ أَنْ يُقَيِّضَ لِكِتَابِهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ ـ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ ـ رِجَالاً أَكْفَاءً، يَنْفُونَ عَنْ دِيْنِ اللهِ تَحْرِيْفَ الغَالِيْنَ، وَانْتِحَالَ المُبْطِلِيْنَ، وَتَأْوِيْلَ الجَاهِلِيْنَ؛ فَـ«**لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ هَـٰذِهِ الأُمَّةِ**

---

(١) المُهْجَة: الرُّوح؛ يقال: خَرَجَتْ مُهْجَتُهُ. «تاج العروس» (مهج).



عَلَى الحَقِّ ظَاهِرِيْنَ، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، وَلاَ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّىٰ يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ»؛ كَمَا فِي الحَدِيْثِ فِي «الصَّحِيْحَيْنِ»، عَنْهُ ـ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ ـ[1].

وَإِنَّهُ عَلَىٰ مَـرِّ العُصُورِ، وَتَعَاقُبِ الأَجْيَالِ، لاَ تَزَالُ سُنَّةُ المُصْطَفَىٰ ﷺ وَاضِحَةَ المَعَالِمِ، مَرْفُوعَةَ الرَّايَةِ، يُهَيِّءُ اللهُ لَهَا أَئِمَّةَ الهُدَىٰ؛ لِيَكُونُوا شُمُوسًا سَاطِعَةً، تُضِيءُ الطَّرِيْقَ لِكُلِّ مَنْ أَرَادَ الخَيْرَ وَالهِدَايَةَ، فَمَا عَلَى المُسْلِمِ إِلاَّ أَنْ يَسْلُكَ طَرِيْقَ الحَقِّ، وَيَذَرَ التَّعَصُّبَ جَانِبًا، وَيَسْأَلَ أَهْلَ العِلْمِ عَمَّا أَشْكَلَ عَلَيْهِ[2].

وَإِنَّ الأُمَّةَ اليَوْمَ بِحَاجَةٍ أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ زَمَانٍ مَضَىٰ إِلَىٰ الاتِّحَادِ عَلَىٰ مَنْهَجِ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ حَتَّىٰ تُصَبَّ الجُهُودُ فِي مُحَصِّلَةٍ وَاحِدَةٍ نَحْوَ الهَدَفِ السَّامِي الَّذِيْ يَسْعَىٰ إِلَيْهِ كُلُّ مُسْلِمٍ؛ لِقِيَادَةِ سَفِيْنَةِ الأُمَّةِ إِلَىٰ بَرِّ الأَمَانِ، وَشَاطِىءِ الإِيْمَانِ، بَعِيْدًا عَنْ كُلِّ مَا يُعَكِّرُ طَرِيْقَ وُصُولِهَا، وَإِنَّ كُلَّ مُسْلِمٍ عَلَىٰ ثَغْرٍ مِنْ ثُغُورِ الإِسْلاَمِ فِي خِدْمَةِ دِيْنِهِ وَعَقِيْدَتِهِ، وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ؛ بِحَسَبِ مَكَانِهِ وَمَسْئُوْلِيَّتِهِ.

فَأَرُوا اللهَ ـ أَيُّهَا المُسْلِمُونَ ـ مِنْ أَنْفُسِكُمْ خَيْرًا، وَسِيْرُوا بِخُطًا مُتَوَازِنَةٍ، يُتَوِّجُهَا العِلْمُ الشَّرْعِيُّ، الَّذِيْ مِنْ خِلاَلِهِ يُبْنَى الوَعْيُ الوَاقِعِيُّ؛ لِتَأْخُذَ هَـٰذِهِ

---

(١) «صحيح البخاري» (٣٦٤١)، و«صحيح مسلم» (١٠٣٧/ ١٧٤) «كتاب الإمارة»، من حديث معاوية ـ رضي الله عنه ـ وغيره.

(٢) أَشْكَلَ عليه: الْتبَسَ عليه، ولا يصح بناؤه للمفعول في هذا المعنى؛ فلا يُقَال: أُشْكِلَ عليه. انظر: «القاموس» (شكل).

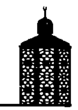


الأُمَّةُ دَوْرَهَا القِيَادِيَّ والرِّيَادِيَّ مِنْ جَدِيْدٍ فِي مُقَدِّمَةِ الرَّكْبِ، وَلِتَقُودَ البَشَرِيَّةَ مَرَّةً أُخْرَىٰ إِلَىٰ مَوَاطِنِ العِزِّ وَالشَّرَفِ، وَمَا ذٰلِكَ عَلَى اللهِ بِعَزِيْزٍ!

هَـٰذَا؛ وَصَلُّوا وسَلِّمُوا ـ رَحِمَكُمُ اللهُ ـ عَلَى الحَبِيْبِ المُصْطَفَىٰ، صَلُّوا عَلَيْهِ صَلاَةَ مُتَّبِعٍ لَهُ، مُحِبٍّ لَهُ، مُقْتَفٍ آثَارَهُ، مُتَمَسِّكٍ بِسُنَّتِهِ؛ كَمَا أَمَرَكُمْ بِذٰلِكَ رَبُّكُمْ ـ جَلَّ وَعَلاَ ـ فَقَالَ تَعَالَىٰ قَوْلاً كَرِيْمًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب].







الخطبة الأولى

الحَمْدُ للهِ الَّذِيْ أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدَىٰ وَدِيْنِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ على الدِّيْنِ كُلِّهِ، وَكَفَىٰ بِاللهِ شَهِيْدًا، أَحْمَدُهُ تَعَالَىٰ وَأَشْكُرُهُ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ وَأَسْتَغْفِرُهُ، وَأُثْنِيْ عَلَيْهِ الخَيْرَ كُلَّهُ، تَعْظِيْمًا لِشَأْنِهِ وَتَمْجِيْدًا.

وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ، إِيْمَانًا بِهِ وَتَوْحِيدًا، وَكُفْرًا بِمَا سِوَاهُ وَتَنْدِيْدًا[1]، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَصَفِيُّهُ وَحَبِيْبُهُ، أَرْسَلَهُ هَادِيًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيْرًا، وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيْرًا، أَيَّدَهُ بِالمُعْجِزَاتِ البَاهِرَةِ، وَالآيَاتِ الظَّاهِرَةِ، وَاخْتَصَّهُ بِالحُجَّةِ القَاهِرَةِ، والمِلَّةِ الطَّاهِرَةِ؛ تَرَكَنا عَلَى المَحَجَّةِ البَيْضَاءِ، لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لاَ يَزِيْغُ عَنْها إِلاَّ هَالِكٌ، فَصلَّى اللهُ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، وَمَنِ اسْتَنَّ بِسُنَّتِهِ، وَاقْتَفَىٰ أَثَرَهُ، صَلاَةً مُتَتَابِعَةً عَدِيْدَةً، وَبَرَكَاتٍ مُتَعَاقِبَةً مَدِيدَةً، وَسَلَّمَ تَسْلِيْمًا مَزِيْدًا.

أما بعد:

فَيَا أَيُّهَا الإِخْوَةُ المُسْلِمُونَ، اتَّقُوا اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، اتَّقُوهُ؛

(١) التنديد: التشهير وإظهار العيوب، ندَّد به: شَهَّر به وصرَّح بعيوبه. «اللسان» (ندد).



تَفُوزُوا وَتُفْلِحُوا، وَاتَّبِعُوا سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ ﷺ؛ تَسْعَدُوا وَتَهْتَدُوا، وَاقْتَفُوا أَثَرَهُ، وَبِنَهْجِهِ اقْتَدُوا، وَبِسِيرَتِهِ اعْمَلُوا؛ تُوَفَّقُوا وَتُنْصَرُوا.

أَيُّهَا الإِخْوَةُ فِي اللهِ، يَا أَحْبَابَ رَسُولِ اللهِ ـ عَلَيْهِ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ ـ السِّيرَةُ العَطِرَةُ؛ سِيرَةُ خَيْرِ البَرِيَّةِ، عَلَيْهِ مِنَ اللهِ أَفْضَلُ صَلَاةٍ وَأَزْكَىٰ تَحِيَّةٍ، بِمَا فِيهَا مِنْ شَمَائِلَ نَبَوِيَّةٍ[1]، وَمُعْجِزَاتٍ مُحَمَّدِيَّةٍ، وَوَقَائِعَ مُصْطَفَوِيَّةٍ، كُلُّهَا مَعِينٌ ثَرٌّ، وَيَنْبُوعٌ صَافٍ مُتَدَفِّقٌ، يَرْتَوِي مِنْ نَمِيرِهِ كُلُّ مَنْ أَرَادَ السَّلَامَةَ مِنْ لُوْثَاتِ الوَثَنِيَّةِ، وَالنَّجَاةَ مِنْ أَكْدَارِ الجَاهِلِيَّةِ، بَلْ هِيَ الشَّمْسُ السَّاطِعَةُ، والسَّنَا المُشْرِقُ، والمِشْعَلُ الوَضَّاءُ، والنُّورُ المُتَأَلِّقُ، الَّذِي يُبَدِّدُ ظُلُمَاتِ الانْحِرَافَاتِ العَقَدِيَّةِ وَالسُّلُوكِيَّةِ، والاجْتِمَاعِيَّةِ وَسِوَاهَا.

أَيُّهَا المُسْلِمُونَ، إِنَّ حَاجَةَ الأُمَّةِ إِلَىٰ مَعْرِفَةِ سِيرَةِ الحَبِيبِ المُصْطَفَىٰ ﷺ، وَالاقْتِبَاسِ مِنْ مِشْكَاةِ النُّبُوَّةِ، فَوْقَ كُلِّ حَاجَةٍ، بَلْ إِنَّ ضَرُورَتَهَا إِلَىٰ ذَاكَ فَوْقَ كُلِّ ضَرُورَةٍ؛ فَكُلُّ مَنْ يَرْجُو اللهَ وَاليَوْمَ الآخِرَ، يَجْعَلُ الرَّسُولَ ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ ـ قُدْوَتَهُ، والمُصْطَفَىٰ ﷺ أُسْوَتَهُ؛ كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ [الأحزاب].

وَأَهْلُ الإِيمَانِ الحَقِّ يَسْتَمِدُّونَ مِنَ الهَدْيِ النَّبَوِيِّ كُلَّ أُمُورِهِمْ؛ فَلَا

(١) أي: أخلاق نبوية، جمع شِمَالٍ، وهو الخُلُق. «تاج العروس» (شمل).



تَسْتَوِي الأُمُورُ وَتَسْتَقِيْمُ السَّبِيْلُ إِلاَّ بِذٰلِكَ؛ فَبِهَدْيِه ـ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ ـ يَهْتَدُونَ، وَعَلىٰ ضَوْءِ سُنَّتِهِ يَسِيْرُونَ، وَمِنْ مَعِيْنِ نُبُوَّتِهِ يَرْتَوُونَ، وَلأَعْلاَمِ هِدَايَتِهِ يَحْمِلُونَ، وَتَحْتَ لِوَائِهَا يَنْضَوُونَ[1]، أَسْقَطُوا الرَّايَاتِ المَشْبُوهَةَ، وَدَحَضُوا الشِّعَارَاتِ الزَّائِفَةَ، وَلَمْ يُبْقُوا إِلاَّ شِعَارَ التَّوحِيْدِ والمُتَابَعَةِ، عَلَيْهِ يَحْيَوْنَ، وَعَلَيْهِ يَمُوتُونَ، وَفِي سَبِيْلِهِ يُجَاهِدُونَ، وَعَلَيْهِ يَلْقَوْنَ اللهَ رَبَّ العَالَمِيْنَ.

إِخْوَةَ الإِيْمَانِ، وَلَمْ تَكُنْ حَاجَةُ الأُمَّةِ فِي عَصْرٍ مَا إِلَىٰ مَعْرِفَةِ السِّيْرَةِ العَطِرَةِ ـ مَعْرِفَةَ اهْتِدَاءٍ وَاقْتِدَاءٍ ـ أَشَدَّ إِلَيْهَا مِنْ هَـٰذَا العَصْرِ، الَّذِيْ تَقَاذَفَتْ فِيْهِ الأُمَّةَ أَمْوَاجُ المِحَنِ، وَتَشَابَكَتْ فِيْه حَلَقَاتُ الفِتَنِ، وَغَلَبَتْ فِيْهِ الأَهْوَاءُ، وَاسْتَحْكَمَتِ المَزَاعِمُ وَالآرَاءُ، وَوَاجَهَتْ فِيْهِ الأُمَّةُ أَلْوَانًا مِنَ التَّصَدِّي السَّافِرِ، والتَّحَدِّيْ المَاكِرِ، وَالتَّآمُرِ الرَّهِيْبِ مِنْ قِبَلِ أَعْدَاءِ الإِسْلاَمِ عَلَى اخْتِلاَفِ مِلَلِهِمْ وَنِحَلِهِمْ، يَتَوَلَّىٰ كِبْرَ ذٰلِكَ مَنْ لَعَنَهُمُ اللهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِمْ، وَجَعَلَ مِنْهُمُ القِرَدَةَ وَالخَنَازِيْرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ، مِنَ اليَهُودِ والصَّهَايِنَةِ، وَمَنْ وَالاَهُمْ مِنْ دُعَاةُ التَّثْلِيْثِ وَعَبَدَةِ الصَّلِيْبِ، وَمَنْ آزرَهُمْ مِنَ المَفْتُونِينَ بِهِمُ، المُتَأَثِّرِينَ بِصَدِيْدِ أَفْكَارِهِمْ وَقَيْحِ ثَقَافَاتِهِمْ، مِنْ أَهْلِ العَلْمَنَةِ، وَدُعَاةِ التَّغْرِيْبِ.

وَيَزْدَادُ الأَسَىٰ حِيْنَ يَجْهَلُ كَثِيْرٌ مِنْ أَهْلِ الإِسْلاَمِ حَقَائِقَ دِيْنِهِمْ، وَجَوهَرَ عَقِيْدَتِهِمْ، وَيَسِيْرُونَ مَعَ التَّيَّارَاتِ الجَارِفَةِ دُونَ تَمْحِيْصٍ وَتَحْقِيْقٍ،

---

(١) ينضوون: ينضمُّون. «القاموس» (ضوي).



أَوْ يَجْمُدُونَ عَلَىٰ مَوْرُوثَاتٍ مُبْتَدَعَةٍ، دُونَ تَجْلِيَةٍ وَلاَ تَدْقِيْقٍ، وَحِيْنَمَا يُضْرَبُ المَثَلُ فِي ذٰلِكَ عَلَىٰ نَظْرَةِ كَثِيْرٍ مِنْ أَهْلِ الإِسْلاَمِ للسِّيْرَةِ المُبَارَكَةِ، فَإِنَّكَ وَاجِدٌ العَجَبَ العُجَابَ: فَفِئَاتٌ تَغْلُو فِي الجَنَابِ المُحَمَّدِيِّ، وَتَرْفَعُهُ إِلى المَقَامِ الإِلـٰهِيِّ، وَفِئَاتٌ تَجْفُو وَتُعْرِضُ، وَمِنَ النَّاسِ مَنْ نَظَرُوا إِلَى السِّيْرَةِ النَّبَوِيَّةِ عَلَىٰ أَنَّهَا قِصَصٌ تُتْلَىٰ، وَفُصُولٌ تُسْرَدُ، دُونَ مُتَابَعَةٍ أَوِ اقْتِدَاءٍ؛ فَلاَ تُحَرِّكُ قُلُوبًا، وَلاَ تَسْتَثِيْرُ هِمَمًا، وَلاَتَشْحَذُ عَزَائِمَ.

وَأَبُو القَاسِمِ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِاللهِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ الهَاشِمِيُّ القُرَشِيُّ ـ فِدَاهُ أَبِيْ وَأُمِّي ـ فَوْقَ كَوْنِهِ عَظِيْمًا مِنْ عُظَمَاءِ التَّأْرِيْخِ، فَإِنَّ شَرَفَ النُّبُوَّةِ، وَسُمُوَّ الرِّسالَةِ هُمَا اللَّذَانِ يُحتِّمَانِ لَهُ المَحَبَّةَ وَالاتِّبَاعَ، وَإِنَّ ارْتِبَاطَنَا بِرَسُولِنَا وَحَبِيْبِنَا ﷺ وَسِيْرَتِهِ العَطِرَةِ، لَيْسَ ارْتِبَاطَ أَوْقَاتٍ وَمُنَاسَبَاتٍ، وَلاَ حَدِيْثَ مُعْجِزاتٍ وَذِكْرَيَاتٍ؛ بَلْ إِنَّهُ ارْتِبَاطٌ وَثِيْقٌ فِي كُلِّ الظُّرُوفِ وَجَمِيْعِ الشُّئُونِ إِلى المَمَاتِ، وَشَخْصِيَّتُهُ ﷺ لَيْسَتْ شَخْصِيَّةً مَغْمُورَةً، وَلاَ فِي جَنَبَاتِ التَّأْرِيخِ مَطْمُورَةً[1]، تَبْرُزُ حِيْنًا وَتُطْوَىٰ حِيْنًا، حَاشَاهُ ـ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ ـ بَل إِنَّ ذِكْرَهُ يَمْلأُ الآفَاقَ، والشَّهَادَةَ بِرِسَالَتِهِ تُدَوِّي عَبْرَ المَآذِنِ والمَنَابِرِ، وَتَنْطَلِقُ عَبْرَ الحَنَاجِرِ والمَنَائِرِ[2].

وَالمُسْلِمُ الَّذِيْ لاَ يَعِيْشُ حُبُّ الرَّسُولِ ﷺ فِي قَلْبِهِ، وَلاَ تَتْبَعُهُ بَصِيْرَتُهُ

---

(١) مَطْمُورَة، أي: مدفونة، والطَّمْر: الدَّفْن. «تاج العروس» (طمر).

(٢) المنائر: جمع مَنَارة، وهي المِئْذَنة. «القاموس» (نور).

فِي عَمَلِهِ وَتَفْكِيْرِهِ، فِي كُلِّ لَحْظَةٍ مِنَ لَحَظَاتِهِ ـ لاَيُغْنِي عَنْهُ أَبَدًا التَّغَنِّي بِسِيْرَتِهِ، وَلاَ صِيَاغَةُ النُّعُوتِ فِي مَدَائِحِهِ، وَلَيْسَ هُنَاكَ أَغْلَىٰ وَأَعْلَىٰ مِنْ مَدْحِ رَبِّهِ جَلَّ وَعَلا لَهُ، وَثَنَائِهِ عَلَيْهِ؛ أَمَا رَفَعَ ذِكْرَهُ، وَأَعْلَىٰ قَدْرَهُ، وَشَرَحَ صَدْرَهُ؟! صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلاَمُهُ عَلَيْهِ!.

وَمَاجَنَحَ طَوَائِفُ مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ إِلَىٰ مِثْلِ هَـٰذَا اللَّوْنِ مِنَ الإِفْصَاحِ عَنْ تَعَلُّقِهِمْ بِنَبِيِّهِمْ، إِلاَّ لَمَّا أَعْيَاهُمْ عِبْءُ الْعَمَلِ، وَتَرَكَتْ نُفُوسُهُمُ الْعَزَمَاتِ، وَاسْتَسْلَمَتْ لِلتَّوَانِي وَالْكَسَلِ، فَالْجُهْدُ الَّذِيْ يَتَطَلَّبُ الْعَزَائِمَ هُوَ الاِسْتِمْسَاكُ وَالاِقْتِدَاءُ، فَبَدَلاً مِنَ التَّغَنِّي وَالتَّرَنُّمِ يَنْهَضُ الْمُسْلِمُ الْجَادُّ إِلَىٰ تَقْوِيْمِ نَفْسِهِ، وَإِصْلاَحِ شَأْنِهِ؛ حَتَّىٰ يُحَقِّقَ الاِقْتِدَاءَ بِرَسُولِهِ ﷺ، وَحَتَّىٰ يُتَرْجِمَ تِلْكَ الدَّعَاوَىٰ إِلَىٰ وَاقِعٍ عَمَلِيٍّ فِي كُلِّ شُئُونِهِ: فِي مَعَاشِهِ وَمَعَادِهِ، فِي حَرْبِهِ وَسِلْمِهِ، فِي مَنْشَطِهِ وَمَكْرَهِهِ، فِي عِلْمِهِ وَعَمَلِهِ، فِي عِبَادَاتِهِ وَمُعَامَلاَتِهِ.

وَإِنَّ تَحْوِيْلَ الإِسْلاَمِ إِلىٰ هَزٍّ لِلرُّءُوسِ، وَتَضْخِيْمٍ لِلْعَمَائِمِ، وَإِطَالَةٍ لِلسُّبَحِ، يُصَاحِبُ ذٰلِكَ تَمْتَمَاتٌ[1] وَهَمْهَمَاتٌ[2]، وَتَعَلُّقٌ بِأَذْكَارٍ وَتَسَابِيْحَ، مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ، وَتَمَسُّكٌ بِقَصَائِدَ وَتَوَاشِيْحَ[3]: لَشَيْءٌ عَجِيْبٌ

---

(١) التَّمْتَمَاتُ: جَمْعُ تَمْتَمَةٍ، وَهِيَ: رَدُّ الكَلاَمِ إِلى التَّاءِ والمِيْمِ، وَقِيل: هُوَ أَنْ يُعَجِّلَ بِكَلاَمِهِ؛ فَلاَ يَكَادُ يُفْهِمُكَ. انظر: «اللسان» (تمم).

(٢) الهَمْهَمَاتُ: جَمْعُ هَمْهَمَةٍ، وَهِيَ: الكَلاَمُ الخَفِيُّ. انظر: «اللسان» (همم).

(٣) التَّوَاشيح: جمع توشيح، وهو اسمٌ لنوع من الشعر استحدثه الأندلسيون، وهو فنٌّ عجيب. «تاج العروس» (وشح).



يَحَارُ العَقْلُ فِي قَبُولِهِ!.

وَالأَدْهَىٰ مِنْ ذَلِكَ: أَنْ تُجْعَلَ هَـٰذِهِ الأُمُورُ مَعَايِيْرَ لِصِدْقِ المَحَبَّةِ وَعَدَمِهَا، وَمَقَايِيْسَ يُرْمَىٰ كُلُّ مَنْ تَرَكَهَا، وَاسْتَبَانَ عَوارَهَا، بِتَنَقُّصِهِ لِلْحَبِيْبِ المُصْطَفَىٰ ﷺ، وَتِلْكَ كَمَا قِيلَ:

شِنْشِنَـةٌ أَعْرِفُـهَا مِنْ أَخْـزَمِ[1]

فَحُبُّ رَسُولِنَا ﷺ مَغْرُوسٌ فِي شَغَافِ قُلُوبِنَا[2]، وَلاَ يَغِيْظُ حُبُّهُ إِلاَّ قَلْبَ كُلِّ مُنَافِقٍ جَحُودٍ.

وَمِنَ المُؤْسِفِ: أَنَّ أَعْدَاءَ المِلَّةِ تَمَكَّنُوا ـ فِي غَفْلَةٍ مِنَ المُصْلِحِيْنَ ـ أَنْ يُصَدِّعُوا بِنَاءَهُ، وَيَنْقُضُوا أَرْكَانَهُ، فَكَيْفَ ـ يَا أَحْبَابَ رَسُولِ الله عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ ـ يُتْرَكُ مِيْرَاثُ النُّبُوَّةِ نَهْبًا لِلْعَوَادِيْ؟! وَكَيْفَ يَقَعُ التَّبْدِيْلُ

---

(١) هَـٰذَا البَيت لأبي أخزم الطائي، وقيل: لعقيل بن علفة المُرِّيّ، وهو مع بيت قبله:

إِنَّ بَنِـيَّ زَمَّلُـونِي بالـدَّمِ
شِنْشِنَةٌ أَعْرِفُهَا مِنْ أَخْزَمِ

والشنشنة: العادة والسجية. والبيت من أبيات الأمثال يضرب للرجل يشبه أباه، وكذا يضرب لقرب الشَّبَهِ في الخُلُق. انظر: «النهاية» (شنشن)، و«مجمع الأمثال» (١/ ٣٦١)، (٢/ ٣١٣).

والمراد: أن المبتدعة أشبه وأولى بتنقُّصهم للرسول ﷺ من أهل السُّنَّة، وأن أهل السُّنَّة بَرَاءٌ ممَّا رُمُوا به من التنقُّص منه ﷺ. انظر هذه الفرية والجواب عنها في «نونية ابن القيم» بشرح ابن عيسى (٢/ ٣٤٥ـ٣٦٨).

(٢) شَغَاف القلب: غِلافه، وهو جِلْدَةٌ دون القلب كالحجاب. انظر: «روضة المحبين» لابن القيم (ص٢٥)، و«تاج العروس» (شغف).



والتَّغْيِيْرُ فِي دِيْنِ اللهِ في غَفْلَةٍ وَسُكُونٍ؟! وَكَيْفَ يُمَهِّدُ للجَاهِلِيَّةِ الأُوْلَىٰ أَنْ تَعُودَ مِنْ جَدِيْدٍ؟! أَلاَ فَلْيَفْقَهِ المُسْلِمُونَ سِيْرَةَ رَسُولِهِمْ ﷺ فِقْهًا مُؤَصَّلاً بِالدَّلِيْلِ وَالبُرْهَانِ، قَبْلَ أَنْ تَأْخُذَ بِهِمُ السُّبُلُ المُلْتَوِيَةُ، فَتُطَوِّحَ بِهِمْ بَعِيْدًا عَنِ الجَادَّةِ، ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف]!.

أُمَّةَ الإِسْلَامِ، لَقَدْ جَرَّبَتِ الأُمَّةُ هَـٰذِهِ المَظَاهِرَ بَعْدَ انْحِسَارِ القُرُونِ الثَّلَاثَةِ، فَلَمْ تُجْدِ شَيْئًا، لَمْ تُعِدْ عِزَّةً، وَلَمْ تُورِثْ مَنَعَةً، وَلَمْ تُرجِعْ مُقَدَّسَاتٍ.

وَإِذَا كَانَتِ الأُمَّةُ فِي هَـٰذِهِ الظُّرُوفِ الحَرِجَةِ الَّتِيْ تَمُرُّ بِهَا تَتَحَدَّثُ عَنْ مُعْجزَاتِ المُصْطَفَىٰ ﷺ، فَكَيْفَ يَطِيْبُ الحَدِيْثُ، وَكَيْفَ يَحْلُو الكَلَامُ، وَمُقَدَّسَاتُ المُسْلِمِيْنَ يَعِيْثُ فِيْهَا أَعْدَاءُ الإِسْلَامِ مِنَ اليَهُودِ الأَخْبَاثِ؟! وَهَا هُمْ يُصَعِّدُونَ عُدْوَانَهُمْ، ويَزِيْدُونَ فِي إِذْكَاءِ نَارِ الفِتْنَةِ[1]؛ تَحَدِّيًا لِمَشَاعِرِ المُسْلِمِينَ.

كَيْفَ يَجْمُلُ الحَدِيْثُ عَنِ المُعْجزَاتِ وَالذِّكْرَيَاتِ، وَأَعْدَاءُ المُسْلِمِيْنَ مِنَ الصِّرْبِ المُعْتَدِيْنَ يُصِرُّونَ عَلَىٰ صَلَفِهِمْ[2] وَعُدْوَانِهِمْ، ضِدَّ إِخْوَانِنَا وَحُرُمَاتِنَا وَأَعْرَاضِنَا فِي جُمْهُورِيَّةِ البُوسْنَةِ والهِرْسِكِ؟!

كَيْفَ يَحْلُو الكَلَامُ والهِنْدُوسُ الوَثَنِيُّونَ يُمْعِنُونَ فِي حِقْدِهِمُ السَّافِرِ عَلَىٰ مَسَاجِدِنَا وَمَشَاعِرِنَا فِي القَارَّةِ الهِنْدِيَّةِ؟!

---

(١) إذكاء النار: إيقادها وإشعالها. «القاموس» (ذكو).

(٢) الصَّلَفُ: مجاوزة القدر. «تاج العروس» (صلف).



كَيْفَ؟! وَكَيْفَ؟! وَقَضَايَانَا الإِسْلاَمِيَّةُ مُعَلَّقَةٌ، وَأَوْضَاعُ المُسْلِمِيْنَ مُتَرَدِّيَةٌ - إِلاَّ مَنْ رَحِمَ اللهُ - وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ؟!

إِخْوَةَ العَقِيْدَةِ، أُمَّةَ الإِسْلَامِ، إِنَّنَا بِحَاجَةٍ إِلَىٰ تَجْدِيْدِ المَسَارِ، وَتَصْحِيْحِ المَوَاقِفِ، والوُقُوفِ طَوِيْلاً لِلمُحَاسَبَةِ والمُرَاجَعَةِ، نُرِيْدُ مِنْ مُطَالَعَةِ السِّيْرَةِ مَا يَزِيْدُ الإِيْمَانَ وَيُزَكِّي السَّرِيْرَةَ، وَيَعْلُو بِالأَخْلَاقِ وَيُقَوِّمُ المَسِيْرَةَ!

يُخْطِئُ كَثِيْرُونَ حِيْنَمَا يَنْظُرُونَ إِلَى المُصْطَفَىٰ ﷺ وَسِيْرَتِهِ، كَمَا يَنْظُرُ الآخَرُونَ إِلَىٰ عُظَمَائِهِمْ فِي نَوَاحٍ مُعَيَّنَةٍ مَحْدُودَةٍ بِعِلْمٍ أَوْ حُنْكَةٍ[1] أَوْ عَبْقَرِيَّةٍ؛ فَرَسُولُنَا ﷺ قَدْ جَمَعَ نَوَاحِيَ العَظَمَةِ الإِنْسَانِيَّةِ كُلَّهَا فِي ذَاتِهِ وَشَمَائِلِهِ وَجَمِيْعِ أَحْوالِهِ، لَكِنَّهُ مَعَ ذَٰلِكَ لَيْسَ رَبًّا فَيُقْصَدَ، وَلاَ إِلـٰهًا فَيُعْبَدَ، وَإِنَّمَا هُوَ نَبِيٌّ يُطَاعُ وَيُتَّبَعُ، هُوَ مِنَّةُ اللهِ عَلَىٰ هَـٰذِهِ الأُمَّةِ؛ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿**لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ**...﴾ [آل عمران: ١٦٤].

إِنَّ مِنَ المُؤْسِفِ حَقاً: أَنَّ بَعْضَ أَهْلِ الإِسْلَامِ لَمْ يَقْدُرُوا رَسُولَهُمْ - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ - حَقَّ قَدْرِهِ، حَتَّىٰ وَهُمْ يَتَوَجَّهُونَ إِلَيْهِ بِالحُبِّ والتَّعْظِيْمِ؛ ذَٰلِكَ أَنَّهُ حُبٌّ سَلْبِيٌّ، لاَ صَدَىٰ لَهُ فِي وَاقِعِ الحَيَاةِ، وَلاَ أَثَرَ لَهُ فِي السُّلُوكِ والامْتِثَالِ؛ تَأَمَّلْ هَدْيَهُ - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ - بِأَبِيْ هُوَ وَأُمِّي! - فِي مَجَالِ الأَخْلاَقِ، تَجِدْهُ مِثَالَ الكَمَالِ فِي رِقَّةِ القَلْبِ، وَسَمَاحَةِ اليَدِ،

---

(١) الحُنْكَةُ: التجربةُ والبَصَرُ بالأمور. «تاج العروس» (حنك).



وَكَفِّ الأَذَىٰ، وَبَذْلِ النَّدَىٰ[1]، وَعِفَّةِ النَّفْسِ، واسْتِقَامَةِ السِّيْرَةِ، كَانَ ـ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ ـ دَائِمَ البِشْرِ، سَهْلَ الطَّبْعِ، لَيِّنَ الجَانِبِ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلاَ غَلِيْظٍ، وَلاَ صَخَّابٍ فِي الأَسْوَاقِ.

يَقُولُ أَنَسٌ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ: «**مَا مَسِسْتُ بِيَدِي دِيْبَاجًا[2] وَلاَ حَرِيْرًا أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلاَ شَمِمْتُ رَائِحَةً كَانَتْ أَطْيَبَ مِنْ رَائِحَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ**»[3]، وَلَقَدْ «**خَدَمْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَشْرَ سِنِيْنَ، فَمَا قَالَ لِيْ أُفٍّ قَطُّ، وَمَا قَالَ لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ: لِمَ صَنَعْتَهُ؟! وَلاَ لِشَيْءٍ تَرَكْتُهُ: لِمَ تَرَكْتَهُ؟**»[4].

وَيَقُولُ عَبْدُاللهِ بنُ الحَارِثِ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ: «**مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ تَبَسُّمًا مِن رَسُولِ اللهِ ﷺ**»[5].

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ أَنَسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: «**كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيْظُ الحَاشِيَةِ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ، فَجَذَبَهُ جَذْبَةً شَدِيْدَةً، حَتَّىٰ نَظَرْتُ إِلىٰ صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ ﷺ، قَدْ أَثَّرَتْ بِهِ حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَذْبَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِيْ عِنْدَكَ،**

---

(١) النَّدَى: السَّخَاءُ وَالكَرَمُ. «تاج العروس» (ندي).

(٢) الدِّيبَاج: هو الثياب المتَّخذة من الإبريسم (الحرير). «النهاية» (دبج).

(٣) رواه أحمد (٣/ ٢٢٧)، والبخاري (٣٥٦١)، ومسلم (٢٣٣٠).

(٤) رواه البخاري (٦٠٣٨)، ومسلم (٢٣٠٩)، والترمذي (٢٠١٥).

(٥) رواه أحمد (٤/ ١٩٠)، والترمذي (٣٦٤١).



فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ ﷺ، فَضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ»[1].

تِلْكَ ـ لَعَمْرُ الحَقِّ! ـ عَرَاقَةُ الخِلَالِ، وَكَرِيْمُ الشَّمَائِلِ، فَهَلْ مَنْ يَتَغَنَّوْنَ اليَوْمَ بِسِيْرَتِهِ يَقْتَفُونَ أَثَرَهُ؟!

يَقُولُ عبدُاللهِ بنُ رَوَاحَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ:

وَفِيْنَا رَسُولُ اللهِ يَتْلُو كِتَابَهُ ... إِذَا انْشَقَّ مَعْرُوْفٌ مِنَ الفَجْرِ سَاطِعُ

أَرَانَا الهُدَىٰ بَعْدَ العَمَىٰ فَقُلُوبُنَا ... بِهِ مُوْقِنَاتٌ أَنَّ مَا قَالَ وَاقِعُ

يَبِيْتُ يُجَافِي جَنْبَهُ عَنْ فِرَاشِهِ ... إِذَا اسْتَثْقَلَتْ بِالمُشْرِكِيْنَ المَضَاجِعُ[2]

وَانْظُر إِلَىٰ صَفْحَةٍ أُخْرَىٰ مِنْ صَفَحَاتِ شَمَائِلِهِ فِي الحَرْبِ والقُوَّةِ؛ فَقَدْ كَانَ ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ ـ شُجَاعًا لاَ يَعْرِفُ الخَوْفَ، مِقْدَامًا لاَ يَعْرِفُ التَّرَدُّدَ؛ يَقُولُ أنس ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَشْجَعَ النَّاسِ، وَلَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ المَدِيْنَةِ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَانْطَلَقَ نَاسٌ قِبَلَ الصَّوْتِ، فَتَلَقَّاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَاجِعًا وَقَدْ سَبَقَهُمْ إِلَى الصَّوتِ، وَهُوَ عَلَىٰ فَرَسٍ لأَبِيْ طَلْحَةَ عُرْيٍ، فِي عُنُقِهِ السَّيْفُ، وَهُوَ يَقُولُ: «**لَمْ تُرَاعُوا! لَمْ تُرَاعُوا!**[3]»[4].

---

(١) «صحيح البخاري» (٣١٤٩)، و«صحيح مسلم» (١٠٥٧).
(٢) انظر: «صحيح البخاري» (١١٥٥).
(٣) لَمْ تُرَاعُوا، أي: لا فَزَعَ عَليكم ولا رَوْعَ، فاسْكُنُوا واهدءوا. «اللسان» (روع).
(٤) رواه البخاري (٢٩٠٨)، ومسلم (٢٣٠٧).

وَقَالَ عَلِيٌّ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ: «كُنَّا إِذَا حَمِيَ البَأْسُ، وَلَقِيَ القَوْمُ القَوْمَ ـ اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَمَا يَكُونُ أَحَدٌ أَقْرَبَ إِلَى العَدُوِّ مِنْهُ ﷺ»(١).

وَهَكَذَا فِي مُعَامَلاَتِهِ لأَصْحَابِهِ، وَأَهْلِ بَيْتِهِ وَزَوْجَاتِهِ، وَسِيَاسَةِ الدَّوْلَةِ الإِسْلاَمِيَّةِ، وَفِي عِبَادَتِهِ لِرَبِّهِ، وَفِي نَفَقَتِهِ وَبَذْلِهِ، وَحِرْصِهِ عَلَىٰ أَدَاءِ رِسَالَتِهِ، وَتَبْلِيغِ دَعْوَةِ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

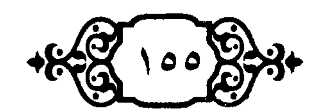
فَهَلْ تُدْرِكُ الأُمَّةُ الإِسْلاَمِيَّةُ اليَوْمَ الطَّرِيقَةَ المُثْلَىٰ لإِحْيَاءِ وَقَائِعِ السِّيْرَةِ إِحيَاءً عَمَلِيًّا حَقِيْقِيًّا، لاَ صُوْرِيًّا شَكْلِيًّا؟!

إِنَّ حَقًّا عَلَىٰ أَهْلِ الإِسْلاَمِ ـ وَهُمُ المُؤْتَمَنُونَ عَلَىٰ مِيْرَاثِ النُّبُوَّةِ ـ أَنْ تَصْقُلَهُمُ الوَقَائِعُ، وَتُرَبِّيَهُمُ التَّجَارِبُ؛ إِذْ لاَ تَزَالُ الفِتَنُ وَالخُطُوبُ مُدْلَهِمَّةً عَلَى هَـٰذِهِ الأُمَّةِ.

وَلَكِنْ مَعَ مَآسِي المُسْلِمِيْنَ المُتَكَاثِرَةِ، وَجِرَاحَاتِهَا المُتَوَافِرَةِ؛ فَإِنَّ هَـٰذِهِ الأُمَّةَ أُمَّةٌ ثَرِيَّةٌ بِعَطَاءَاتِهَا، وَالخَيْرُ فِيْهَا مُسْتَمِرٌّ إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ، فَفِي خِضَمِّ المُعَانَاةِ مَعَ أَعْدَاءِ الإِسْلاَمِ تَبْرُزُ فُلُولُ التَّفَاؤُلِ، وَتَظْهَرُ بَوَارِقُ الآمَالِ، تُجَسِّدُهَا صَحَوَاتٌ عَالَمِيَّةٌ، وَانْتِفَاضَاتٌ إِسْلاَمِيَّةٌ، وَتَوَجُّهَاتٌ خَيْرِيَّةٌ، تَنْشُدُ الإِسْلاَمَ بِأُصُولِهِ الصَّحِيْحَةِ وَحَقَائِقِهِ النَّاصِعَةِ.

---

(١) رواه أحمد (١/ ١٥٦)، والبغوي في «الأنوار، في شمائل النبي المختار» (٣٥٦)، وابن عساكر في «تاريخه» (٤/ ١٣).



وَلَقَدْ ثبَتَ لِذَوِيْ البَصَائِرِ أَنَّ رَفْعَ رَايَةِ الجِهَادِ فِي سَبِيْلِ الله، وَإِعْلاَنَ التَّضْحِيَةِ، والاِسْتِشْهادَ فِي سَبِيْلِ نُصْرَةِ الحَقِّ - هُوَ الطَّرِيْقُ الأَوْحَدُ لإِعْلاَءِ كَلِمَةِ اللهِ، وَإِعْزَازِ أَهْلِ هَـٰذَا الدِّيْنِ، وَأَنَّ النِّزَاعَ معَ الأَعْدَاءِ المُتَكَاثِرِيْنَ - لاَ كَثَّرَهُمُ اللهُ - نِزَاعُ عَقِيْدَةٍ وَهُوِيَّةٍ وَمَصِيْرٍ، وَأَنَّ المُقدَّسَاتِ لَنْ تُحَرَّرَ بِرَايَاتٍ إِقْلِيْمِيَّةٍ مَحْدُودَةٍ، وَلاَ شِعَارَاتٍ طَائِفِيَّةٍ ضَيِّقَةٍ، وَإِنَّمَا بِشِعَارِ الإِسْلامِ، وَالإِسْلاَمِ وَحْدَهُ، والجِهَادِ وَالاِسْتِشْهَادِ فِي سَبِيْلِهِ؛ ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾[يوسف].

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾[التوبة].

أَقُولُ قَوْلِي هَـٰذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِيْ وَلَكُمْ وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ، فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيْمُ.

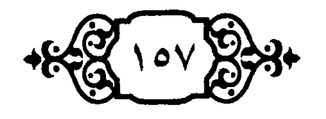
الخطبة الثانية

الحَمْدُ للهِ الَّذِيْ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مَنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إِلى المَسْجِدِ الأَقْصَىٰ، وَأَقْصَىٰ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَاسْتَعْصَىٰ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلـٰهَ إِلاَّ اللهُ، أَحَاطَ عِلْمًا بِأَعْمَالِ عِبَادِهِ وَأَحْصَىٰ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، أَمَرَ أُمَّتَهُ بِالتَّمَسُّكِ بِسُنَّتِهِ وَأَوْصَىٰ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ حَرَصَ عَلَى اقْتِفَاءِ سِيْرَتِهِ وَاجْتَهَدَ فِي التَّمَسُّكِ بِسُنَّتِهِ وَاسْتَوْصَىٰ.

أمّا بعد:

فَاتَّقُوا اللهَ ـ عِبَادَ اللهِ ـ وَرَوُّوا قُلُوبَكُمْ وَأَرْوَاحَكُمْ مِنْ سِيْرَةِ نَبِيِّكُمْ ﷺ، وَتَدَبَّرُوا مُعْجِزَاتِهِ العَظِيمَةَ، وَمَا فِيْهَا مِنْ حِكَمٍ وَأَسْرَارٍ بَدِيْعَةٍ، وَارْبِطُوا أَنْفُسَكُمْ وَنَشْأَكُمْ وَأُسَرَكُمْ بِهَا رَبْطًا مُحْكَمًا وَثِيْقًا، يَسْمُو عَنِ التَّخْصِيْصِ في أَوْقَاتٍ، والتَّعْيِيْنِ فِي مُنَاسَبَاتٍ، وَاعْلَمُوا ـ رَحِمَكُمُ اللهُ ـ أَنَّ المُنَاسَبَاتِ الشَّرْعِيَّةَ، والوَقَائِعَ النَّبَوِيَّةَ، فِي تَأْرِيْخِنَا الوَضَّاءِ، يَنْبَغِيْ أَنْ يَكُونَ لَهَا تَأْثِيْرٌ فِي إِصْلَاحِ المَنْهَجِ، وَإِحْكَامِ المَسِيْرَةِ والبِنَاءِ.

فِي تَأْرِيْخِنَا الإِسْلَامِيِّ المَجِيْدِ مُنَاسَبَاتٌ عِظَامٌ، وَأَحْدَاثٌ جِسَامٌ،



القُلُوبُ بِهَا مُفْعَمَةٌ[1] ، والصُّدُورُ لَهَا مُبْتَهِجَةٌ مُنْشَرِحَةٌ، لَٰكِنْ لَيْسَ مِنْ مَنْهَجِ السَّلَفِ الصَّالِحِ إِحْيَاءُ هَٰذِهِ الذِّكْرَيَاتِ، والاِحْتِفَالُ بِهَٰذِهِ المُنَاسَبَاتِ، والخَيْرُ كُلُّ الخَيْرِ فِي الوُقُوفِ حَيْثُ وَقَفَ السَّلَفُ، رَحِمَهُمُ اللهُ.

هَٰذَا؛ وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَىٰ صَاحِبِ الحَوْضِ المَوْرُودِ، وَاللِّوَاءِ المَعْقُودِ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَهْلِ الوَفَاءِ بِالعُهُودِ؛ كَمَا أَمَرَكُم بِذَٰلِكَ المَولَى الغَفُورُ الوَدُودُ؛ فَقَالَ تَعَالَىٰ قَوْلاً كَرِيْمًا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب].

* * *

(١) مُفْعَمَة: ممتلئة. «اللسان» (فعم).



الخطبة الأولى

الحَمْدُ للهِ الَّذِيْ أَكْمَلَ لَنَا الدِّيْنَ؛ فَلَيْسَ لأَحَدٍ أَنْ يَزِيْدَ فِيْهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ، أَحْمَدُهُ تَعَالَىٰ وَأَشْكُرُهُ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ وَأَسْتَغْفِرُهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلـٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ، شَرَعَ وَيَسَّرَ، وَحَكَمَ وَدَبَّرَ، وَنَهَىٰ وَأَمَرَ، وَأَنْعَمَ عَلَيْنَا بِنِعَمٍ لاَ تُحْصَرُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، هُوَ بَشَرٌ كَالبَشَرِ، بَعَثَهُ اللهُ رَحْمَةً للعَالَمِيْنَ، أَرْسَلَهُ لِيُطَاعَ وَيُتَّبَعَ، لاَ لِتُخَالَفَ سُنَّتُهُ وَيُزَادَ فِيْهَا وَيُبْتَدَعَ، فَلاَ يَسْتَقِيمُ إِيْمَانُ عَبْدٍ بِهِ حَتَّىٰ يُطِيْعَهُ فِيْمَا أَمَرَ، وَيُصَدِّقَهُ فِيْمَا أَخْبَرَ، وَيَجْتَنِبَ مَا عَنْهُ نَهَىٰ وَزَجَرَ، مِنَ المَعَاصِيْ وَالبِدَعِ الجَالِبَةِ للخَطَرِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِيْنَ الْتَزَمُوا سُنَّتَهُ وَوَقَفُوا عِنْدَ هَدْيِهِ، مَا اتَّصَلَتْ عَيْنٌ بِنَظَرٍ، وَأُذُنٌ بِخَبَرٍ، وَسَلَّمَ تَسْلِيْمًا كَثِيْرًا.

أمّا بعد:

فَاتَّقُوا اللهَ تَعَالَىٰ، وَاشْكُرُوهُ عَلَىٰ مَا مَنَّ بِهِ عَلَيْكُمْ؛ إِذْ بَعَثَ فِيْكُمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِهِ، وَيُزَكِّيْكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الكِتَابَ والحِكْمَةَ؛ فَحَقِّقُوا هَـٰذِهِ النِّعْمَةَ بِاتِّبَاعِ سُنَّةِ رَسُولِكُمْ ﷺ، وَالوُقُوفِ عِنْدَ هَدْيِهِ وَشَرِيْعَتِهِ، وَالبُعْدِ عَمَّا أَحْدَثَهُ أَهْلُ الأَهْوَاءِ مِنَ البِدَعِ الَّتِي مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ.

إِخْوَةَ الإِسْلَامِ فِي كُلِّ مَكَانٍ، لَقَدْ جَاءَ الأَمْرُ بِطَاعَةِ الرَّسُولِ ﷺ، وَلُزُومِ سُنَّتِهِ فِي آيَاتٍ كَثِيْرَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ، وَأَحَادِيْثَ شَرِيْفَةٍ مِن سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكُلُّهَا نُصُوصٌ صَرِيْحَةٌ فِي وُجُوبِ طَاعَتِهِ، وَاتِّبَاعِ سُنَّتِهِ، والتَّسْلِيْمِ لَهُ دُونَ اعْتِرَاضٍ، وَعَدَمِ الخُرُوجِ عَنْ أَوَامِرِهِ وَزَوَاجِرِهِ بِأَيِّ حَالٍ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ مُحَذِّرًا مَنْ يُخَالِفُ أَمْرَهُ ـ عَلَيهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ ـ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور].

كَمَا زَخَرَتْ سُنَّةُ المُصْطَفَىٰ ﷺ بِمَا يَدُلُّ عَلَىٰ وُجُوبِ طَاعَةِ الرَّسُولِ ﷺ، وَاتِّبَاعِ السُّنَّةِ، والتَّحْذِيْرِ مِنَ البِدَعِ فِي الدِّيْنِ؛ أَخْرَجَ الإِمَامُ أَحْمَدُ، وَأَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَابْنُ حِبَّانَ، عَنِ العِرْبَاضِ بنِ سَارِيَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنكُمْ، فَسَيَرَى اخْتِلاَفًا كَثِيْرًا؛ فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِيْ وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِيْنَ المَهْدِيِّيْنَ؛ فَتَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ**»(١).

(١) «المسند» (٤/ ١٢٦)، و«سنن أبي داود» (٤٦٠٧)، و«جامع الترمذي» (٢٦٧٦)، و«صحيح ابن حبان» (٥).



فَتَجَلَّىٰ لِكُلِّ مُسْلِمٍ ـ مِنْ هَـٰذِهِ النُّصُوصِ، وَالآيَاتِ الكَرِيْمَةِ الَّتِيْ يَقْصُرُ المَقَامُ عَنْ ذِكْرِهَا كُلِّهَا ـ: أَنَّ المُسْلِمَ مَأْمُورٌ بِالاتِّبَاعِ، وَمَنْهِيٌّ عَنِ الابْتِدَاعِ، وَإِحْدَاثِ الأُمُورِ المُخَالِفَةِ للدِّيْنِ؛ فَعَنْ عَائِشَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ـ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَـٰذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ، فَهُوَ رَدٌّ**» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ[1]، وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا، فَهُوَ رَدٌّ**»[2] أَيْ: مَرْدُودٌ عَلَيْهِ، غَيْرُ مَقْبُولٍ.

وَلِلسَّلَفِ الصَّالِحِ ـ رَحِمَهُمُ اللهُ ـ فِي هَـٰذَا المَجَالِ مِنَ الأَقْوَالِ وَالأَفْعَالِ مَا يُوضِّحُ الاتِّجَاهَ العَامَّ لِلْقُرُونِ الخَيِّرَةِ، وَيُقَدِّمُ لِلْمُسْلِمِيْنَ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ المَثَلَ الأَعْلَى، الَّذِيْ يَنْبَغِيْ عَلَيْهِمْ أَنْ يَسْتَلْهِمُوا مِنْهُ سَبِيْلَ النَّجَاةِ:

يَقُولُ عَبْدُاللهِ بْنُ مَسْعُودٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ: «**اتَّبِعُوا وَلاَ تَبْتَدِعُوا؛ فَقَدْ كُفِيْتُمْ**»[3].

وَيَقُولُ ابنُ عَبَّاسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ: «**مَا يَأْتِي عَلَى النَّاسِ مِنْ عَامٍ إِلاَّ أَحْدَثُوا فِيْهِ بِدْعَةً، وَأَمَاتُوا فِيْهِ سُنَّةً، حَتَّىٰ تَحْيَا البِدَعُ، وَتَمُوتَ السُّنَنُ**»[4].

---

(١) «صحيح البخاري» (٢٦٩٧)، و«صحيح مسلم» (١٧١٨).

(٢) «صحيح مسلم» (١٧١٨).

(٣) رواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١/ ٨٦)، وابن وضاح في «كتاب فيه ما جاء في البدع» (ص ٤٢).

(٤) رواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١/ ٩٢)، وابن وضاح في «كتاب فيه ما جاء في البدع» (ص ٨٧).



وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ: «كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ، وَإِنْ رَآهَا النَّاسُ حَسَنَةً»(١).

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِالعَزِيْزِ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ قَالَ: «سَنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَوُلاَةُ الأَمْرِ بَعْدَهُ سُنَنًا؛ مَنْ عَمِلَ بِهَا، فَهُوَ مُهْتَدٍ، وَمَنِ اسْتَنْصَرَ بِهَا، فَهُوَ مَنْصُورٌ، وَمَنْ خَالَفَهَا وَاتَّبَعَ غَيْرَ سَبِيْلِ المُؤْمِنِيْنَ، وَلاَّهُ اللهُ مَا تَوَلَّىٰ وَأَصْلاَهُ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيْرًا»(٢).

وَقَالَ الإِمَامُ مَالِكٌ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «لَنْ يَصْلُحَ آخِرُ هَـٰذِهِ الأُمَّةِ إِلاَّ بِمَا صَلُحَ بِهِ أَوَّلُهَا»(٣).

وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: «الطُّرُقُ كُلُّهَا مَسْدُودَةٌ عَلَى الخَلْقِ، إِلاَّ عَلَىٰ مَنِ اقْتَفَىٰ أَثَرَ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ»(٤).

إِخْوَةَ العَقِيْدَةِ وَالإِيْمَانِ، وَالْيَوْمَ لَمَّا اسْتَحْكَمَتْ غُرْبَةُ الدِّيْنِ، وَقَلَّ

---

(١) رواه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١/ ٩٢)، وابن بطة في «الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية» (١/ ٣٣٩).

(٢) رواه الآجري في كتاب «الشريعة» (١/ ٤٠٨)، وابن بطة في «الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية» (١/ ٣٥٢).

(٣) انظر: «منهاج السنة» لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢/ ٤٤٤).

(٤) رواه الخطيب في «الفقيه والمتفقه» (١/ ٣٨٩) بإسنادٍ صحيحٍ، وأبونعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٢٥٧)؛ عن الجنيد. وانظر: «الاعتصام» (١/ ١٦٠).



أَعْوانُهُ وأَنْصارُهُ، وَكَثُرَ لِدادُهُ[1] وأَعْدَاؤُهُ، وَضَعُفَ إِيْمَانُ أَهْلِهِ، وَاشْتَغَلُوا عَنْهُ بِغَيْرِهِ، وَكَثُرَ دُعَاةُ السُّوءِ، وَأَرْبَابُ البِدَعِ والخُرَافَةِ: لَمَّا حَصَلَ ذٰلِكَ، تَغَيَّرَتِ الأَحْوَالُ؛ فَعَادَ المَعْرُوفُ مُنْكَرًا، والمُنْكَرُ معْرُوفًا، والسُّنَّةُ بِدْعَةً، وَالبِدْعَةُ سُنَّةً، وَانْتَشَرَتِ البِدَعُ بَيْنَ كَثِيْرٍ مِنَ النَّاسِ، وَسَرَتْ فِي قُلُوبِهِمْ وَعُقُولِهِمْ كَمَا تَسْرِي الدِّمَاءُ فِي أَبْدَانِهِمْ، وَلاَ حَولَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ!

أُمَّةَ الإِسْلَامِ، **وَمِنَ البِدَعِ المُحْدَثَةِ فِي دِيْنِ اللهِ**، الَّتِي كَثُرَ انْتِشارُهَا وَرَوَاجُهَا اليَوْمَ - بَلْ وَضَرَبَتْ أَطْنَابَهَا[2] فِي أَقْطَارٍ كَثِيْرَةٍ جِدًّا مِنَ العَالَمِ الإِسْلَامِيِّ، وَاسْتَحْكَمَتْ فِي قُلُوبِ كَثِيْرٍ مِنَ النَّاسِ، وعَادَتْ عِنْدَهُمْ مِنَ المَعْرُوفِ الَّذِي لاَ مِرْيَةَ فِيْهِ - **مَا يُفْعَلُ فِي شَهْرِ رَبِيْعٍ الأَوَّلِ** مِنَ الاِحْتِفَالاَتِ وَالاِجْتِمَاعَاتِ الَّتِي مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ، وَيُسَمِّيْهَا أَصْحَابُهَا: احْتِفَالاَتٍ بِذِكْرَىٰ مَوْلِدِ الرَّسُولِ الأَعْظَمِ ﷺ!! بَلْ وَصَلَ الأَمْرُ بِبَعْضِهِمْ: أَنْ يُخَصِّصُوا هَـٰذَا الشَّهْرَ لِشَدِّ الرِّحَالِ إِلَىٰ مَكَّةَ والمَدِيْنَةِ؛ قُرْبًا مِنَ مَوَاطِنِ المُصْطَفَىٰ ﷺ - بِزَعْمِهِمْ - وَهَـٰذَا عَمَلٌ لاَ بُرْهَانَ لَهُ، وَتَخْصِيْصٌ لاَ دَلِيْلَ عَلَيْهِ؛ ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾﴾ [البقرة].

---

(١) اللِّدَاد واللُّدُّ: جمع أَلَدّ، وهو الشديد الخصومة الجَدِلُ؛ ومنه: ﴿وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾﴾ [مريم]. «اللسان» (لدد).

(٢) الأطناب: جمع طُنُبٍ، وهو ما يشد به البيت. «اللسان» و«تاج العروس» (طنب)، وضربت البدع أطنابها، أي: استقرّت وثبت أمرها.



فَتَخْصِيصُ لَيَالِيْ هَـٰذَا الشَّهْرِ أَوْ بَعْضِهَا بِالاِحْتِفَالاَتِ لاَ يَجُوزُ شَرْعًا؛ لأَدِلَّةٍ كَثِيْرَةٍ:

الأَوَّلُ: أَنَّ ذٰلِكَ مِنَ البِدَعِ المُحْدَثَةِ فِي الدِّيْنِ؛ لأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ لَمْ يَفْعَلْهُ، وَلا خُلَفَاؤُهُ الرَّاشِدُونَ، وَلاَ غَيْرُهُمْ مِنَ الصَّحَابَةِ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ـ وَلاَ التَّابِعُونَ لَهُمْ بِإِحسَانٍ فِي القُرُونَ المُفَضَّلَةِ، وَهُمْ أَعْلَمُ النَّاسِ بِالسُّنَّةِ، وَأَكْمَلُ حُبًّا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَمُتَابَعَةً لِشَرْعِهِ، مِمَّنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ؛ فَيَسَعُنَا مَا وَسِعَهُمْ، وَلَو كَانَ خَيْرًا لَسَبَقُونَا إِلَيْهِ.

الثَّانِي: مَا ثَبَتَ مِنَ الآيَاتِ وَالأَحَادِيْثِ فِي كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ، الَّتِي تُوجِبُ طَاعَةَ الرَّسُولِ ـ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ ـ وَالوُقُوفَ عِنْدَ سُنَّتِهِ، وَتُحَذِّرُ مِنَ الاِبْتِدَاعِ فِي الدِّيْنِ[١].

الثَّالِثُ: أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ أَكْمَلَ لَنَا الدِّينَ، وَرَسُولَهُ ﷺ بَلَّغَ البَلاَغَ المُبِيْنَ، وَإِحْدَاثُ مِثْلِ هَـٰذِهِ المَوالِدِ يُفْهَمُ مِنْهُ أَنَّ اللهَ لَمْ يُكْمِلِ الدِّيْنَ، وأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ لَمْ يُبَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِن رَبِّهِ، حَتَّىٰ جَاءَ هَـؤُلاَءِ المُتَأَخِّرُونَ بَعْدَ القُرُونِ المُفَضَّلَةِ؛ فَأَحْدَثُوا فِي شَرْعِ اللهِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ؛ زَاعِمِيْنَ أَنَّ ذٰلِكَ مِمَّا يُقَرِّبُهُمْ إِلى اللهِ، وَكَفَىٰ بِهَـٰذَا اعْتِرَاضًا عَلَى اللهِ سُبْحَانَهُ، وَتَنَقُّصًا لِشَرْعِهِ، وَقَدْحًا فِي تَبْلِيْغِ رَسُولِهِ، عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ!

---

(١) وقد مرت بك طائفة منها، انظر: (ص١٦٠، ١٦١).



الرَّابِعُ: أنَّ إِقَامَةَ مِثْلِ هَـٰذِهِ الاِحْتِفَالاَتِ خُرُوجٌ عَنْ جَادَّةِ الصَّوَابِ، وَتَشَبُّهٌ بِالكُفَّارِ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ فِي أَعْيَادِهِمْ؛ وَقَدْ نُهِيْنَا عَنِ التَّشَبُّهِ بِهِمْ(١).

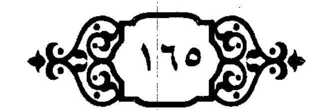
الخَامِسُ: أَنَّ العِبَادَاتِ تَوْقِيْفِيَّةٌ؛ لَيْسَ لأَحَدٍ أَنْ يَشْرَعَ فِيْهَا، وَإِنَّمَا يُشْرَعُ مِنْهَا مَا شَرَعَ اللهُ وَرَسُولُهُ؛ قَالَ تَعَالىٰ: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورىٰ: ٢١].

السَّادِسُ: أَنَّ قَوَاعِدَ الشَّرِيْعَةِ وَمَقَاصِدَ الدِّيْنِ، تَرُدُّ مِثْلَ هَـٰذِهِ الاِحْتِفَالاَتِ؛ **فَمِنَ القَوَاعِدِ المُقَرَّرَةِ فِي الشَّرِيْعَةِ**: «**رَدُّ مَا تَنَازَعَ النَّاسُ فِيْهِ إِلَى الكِتَابِ والسُّنَّةِ**»، وَقَدْ رَدَدْنَا مِثْلَ ذٰلِكَ إِلَيْهَا؛ فَوَجَدْنَا فِيْهَا التَّحْذِيْرَ عَنْ مِثْلِ ذٰلِكَ، وَكَذٰلِكَ **قَاعِدَةُ**: «**سَدِّ الذَّرَائِعِ**» وَ«**إِزَالَةِ الضَّرَرِ**» وَأَكْبَرُ الضَّرَرِ: الضَّرَرُ فِي الدِّيْنِ، أَضِفْ إِلىٰ ذٰلِكَ مَا يَجْرِيْ فِيْهَا مِنَ المُنْكَرَاتِ الَّتِيْ أَعْظَمُهَا: الشِّرْكُ الأَكْبَرُ بِاللهِ؛ مِنْ دُعَاءِ الرَّسُولِ ﷺ، وَطَلَبِ الحَاجَاتِ، وَتَفْرِيْجِ الكُرُبَاتِ مِنْهُ، وَإِنْشَادِ القَصَائِدِ الشِّرْكِيَّةِ بِمَدْحِهِ وَالغُلُوِّ فِيْهِ، كَمَا يَحْصُلُ فِيْهَا الاِخْتِلاَطُ، وَالإِسْرَافُ وَتَبْذِيْرُ الأَمْوَالِ، وَرَفْعُ الأَصْوَاتِ بِلَغْوِ القَوْلِ وَسَاقِطِ المَقَالِ. هَـٰذَا مَعَ أَنَّ الشَّهَرَ الَّذِيْ وُلِدَ فِيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ هُوَ بِعَيْنِهِ الَّذِيْ تُوُفِّيَ فِيْهِ، فَلَيْسَ الفَرَحُ بِأَوْلَىٰ مِنَ الحُزْنِ فِيْهِ!

وَتَخْصِيْصُ لَيْلَةٍ مِنْ لَيَالِيْ هَـٰذَا الشَّهْرِ بِالاِحْتِفَالاَتِ خَلْطٌ وَهَوًى؛

---

(١) لمزيد من التفصيل في التشبه وأحكامه انظر: «اقتضاء الصراط المستقيم»؛ لشيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله.



لِتَضَارُبِ أَقْوَالِ المُؤَرِّخِيْنَ فِي تَحْدِيْدِ يَوْمِ مِيْلَادِهِ ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ ـ وَمَنْ حَدَّدَ لَيْلَةً بِعَيْنِهَا لِلاحْتِفَالِ، فَعَلَيْهِ الدَّلِيْلُ، وَلَيْسَ ثَمَّةَ دَلِيلٌ، وَلِعُلَمَاءِ الإِسْلَامِ المَعْرُوفِيْنَ بِاتِّبَاعِ السُّنَّةِ ـ قَدِيْمًا وَحَدِيْثًا ـ مُؤَلَّفَاتٌ وَأَقْوَالٌ كَثِيْرَةٌ فِي إِنْكَارِ هَـٰذِهِ الاحْتِفَالَاتِ.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «أَمَّا اتِّخَاذُ مَوْسِمٍ غَيْرِ المَوَاسِمِ الشَّرْعِيَّةِ؛ كَبَعْضِ لَيَالِيْ شَهْرِ رَبِيْعٍ الأَوَّلِ، الَّتِي يُقَالُ: إِنَّهَا لَيْلَةُ المَوْلِدِ ـ فَهِيَ مِنَ البِدَعِ الَّتِي لَمْ يَسْتَحِبَّهَا السَّلَفُ الصَّالِحُ، وَلَمْ يَفْعَلُوهَا»[1]، وَقَالَ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «إِنَّ هَـٰذَا [أَي: اتِّخَاذَ المَوْلِدِ عِيْدًا] لَمْ يَفْعَلْهُ السَّلَفُ، مَعَ قِيَامِ المُقْتَضِي لَهُ، وَعَدَمِ المَانِعِ مِنْه[2]، وَلَوْ كَانَ هَـٰذَا خَيْرًا مَحْضًا، أَوْ رَاجِحًا، لَكَانَ السَّلَفُ أَحَقَّ بِهِ مِنَّا؛ فَإِنَّهُمْ كَانُوا أَشَدَّ مَحَبَّةً لِرَسُولِ اللهِ ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ ـ وَتَعْظِيْمًا لَهُ مِنَّا، وَهُمْ عَلَى الخَيْرِ أَحْرَصُ»[3]، وَقَالَ: «فَأَمَّا الاجْتِمَاعُ فِي عَمَلِ المَوْلِدِ عَلَىٰ غِنَاءٍ وَرَقْصٍ وَنَحْوِ ذٰلِكَ، وَاتِّخَاذُهُ عِبَادَةً: فَلَا يَرْتَابُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ وَالإِيْمَانِ فِي أَنَّ هَـٰذَا مِنَ المُنْكَرَاتِ الَّتِي يُنْهَىٰ عَنْهَا، وَلَا يَسْتَحِبُّ ذٰلِكَ إِلَّا جَاهِلٌ أَوْ زِنْدِيْقٌ»[4].

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٥/ ٢٩٨).

(٢) انظر تفصيل القول في البدعة وضوابطها، وأنواعها وحكم كل نوع ـ في «الاعتصام» للشاطبي.

(٣) «اقتضاء الصراط المستقيم» (ص٣٣٣).

(٤) انظر «رسائل في حكم الاحتفال بالمولد» (١/ ٣٤).



وَخَشْيَةَ الإِطَالَةِ أَحْجَمْتُ عَنْ ذِكرِ أَقْوالٍ كَثِيْرَةٍ للسَّلَفِ، تَنْهَىٰ عَنْ هَـٰذِهِ الاِحْتِفَالاَتِ، وَتُحَذِّرُ مِنْها.

إِخْوَةَ الإِسْلَامِ، بَقِيَ أَنْ تَعْلَمُوا أَنَّ الَّذِيْنَ يَحْتَفِلُونَ بِهَـٰذِهِ الأُمُورِ البِدْعِيَّةِ هُمْ ثَلاثَةُ أَصْنَافٍ:

الأَوَّلُ: جَهلَةٌ مُقَلِّدُونَ، لِسَانُ حَالِهِمْ يَقُولُ: رَأَيْنا النَّاسَ يَفْعَلُونَ شَيْئًا فَفَعَلْنَاهُ، وَكَفَىٰ بِهَـٰذَا ضَلالاً؛ وَقَدْ قَالَ اللهُ فِيْهِمْ وَفِي أَمْثَالِهِمْ: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الزخرف].

الثَّانِي: مُرْتَزِقَةٌ أَكَّالُونَ، يُرِيْدُونَ إِشْبَاعَ شَهَوَاتِهِمْ مِنْ وَرَاءِ هَـٰذِهِ الاِحْتِفَالاَتِ؛ بِالأَكْلِ والشُّرْبِ، وَاللَّهْوِ واللَّعِبِ، وَالاِجْتِمَاعِ البَاطِلِ.

الثَّالِثُ: دُعَاةُ سُوءٍ وَضَلَالٍ مُغْرِضُونَ، يُرِيْدُونَ الدَّسَّ عَلَى الإِسْلَامِ، وَصَرْفَ النَّاسِ عَنِ السُّنَنِ، وَإِشْغَالَهُمْ بِالبِدَعِ والخُرَافَاتِ.

فَاتَّقُوا اللهَ - يَا أُمَّةَ الإِسْلَامِ - إِلَىٰ مَتَى التَّخَبُّطُ فِي مِثْلِ هَـٰذِهِ التُّرَّهَاتِ[1]، وَفِيْ مِثْلِ هَـٰذِهِ الضَّلاَلاَتِ؟! إِلَىٰ مَتَى الإِحْدَاثُ فِي دِيْنِ اللهِ والتَّغْيِيْرُ؟! أَيْنَ الغَيْرَةُ عَلَىٰ عَقِيْدَةِ التَّوْحِيْدِ؟! أَيْنَ الرَّغْبَةُ فِي التَّمَسُّكِ بِسُنَّةِ المُصْطَفَىٰ ﷺ؟! إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ؛ «**إِنَّ الإِسْلاَمَ بَدَأَ غَرِيْبًا، وَسَيَعُودُ غَرِيْبًا كَمَا**

---

(١) التُّرَّهَاتُ: الأباطيل، والأمور الخالية من النفع. «تاج العروس» (تره).



بَدَأَ! فَطُوبَىٰ لِلْغُرَبَاءِ!»[1]! وَاللهُ المُسْتَعَانُ، وَإِلَيْهِ المُشْتَكَىٰ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ العَلِيِّ العَظِيْمِ!

اللَّهُمَّ أَصْلِحْ أَحوَالَ المُسْلِمِيْنَ، وَارْزُقْنَا السَّيْرَ عَلَىٰ سُنَّةِ سَيِّدِ المُرْسَلِيْنَ، وَجَنِّبْنَا المَعَاصِيَ والبِدَعَ فِي الدِّيْنِ، يَا رَبَّ العَالَمِيْنَ.

أَقُولُ قَوْلِي هَـٰذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِيْ وَلَكُمْ وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ، فَاسْتَغْفِرُوهُ! إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيْمُ.

---

(١) رواه مسلم (١٤٥)، وأبويعلى (٦١٩)؛ من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

الخطبة الثانية

الحَمْدُ للهِ الَّذِيْ أَمَرَنَا بِالاتِّبَاعِ، وَنَهَانَا عَنِ الابْتِدَاعِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰـهَ إِلاَّ اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَمَنْ تَمَسَّكَ بِسُنَّتِهِ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّيْنِ.

أمّا بعد:

أَيُّهَا المُسْلِمُونَ، اتَّقُوا اللهَ تَعَالَىٰ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الحَقَّ يُعْرَفُ بِالأَدِلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ، لاَ بِفِعْلِ النَّاسِ؛ فَلاَ تَغْتَرُّوا بِكَثْرَةِ مَنْ يُحْدِثُ البِدَعَ وَالاِحْتِفَالاَتِ؛ قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ **وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ** ﴾ [الأنعام: ١١٦]، وَقَدْ زَيَّنَ الشَّيْطَانُ لأَرْبَابِ هَـٰذِهِ البِدَعِ شُبُهَاتٍ يَتَبَجَّحُونَ بِهَا؛ لِيُلَبِّسُوا عَلَى العَامَّةِ وَقَلِيْلِي العِلْمِ، وَهِيَ فِي الحَقِيْقَةِ أَوْهَامٌ كَنَسْجِ العَنْكَبُوتِ؛ لِمُخَالَفَتِهَا النُّصُوصَ الصَّرِيْحَةَ مِنَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَمَنْهَجَ سَلَفِ الأُمَّةِ.

فَمِنْ شُبُهَاتِهِمْ: زَعْمُهُمْ أَنَّ فِعْلَهُمْ هَـٰذَا تَعْبِيْرٌ عَنِ الحُبِّ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَالفَرْحَةِ بِذِكْرَىٰ مَوْلِدِهِ، وَأَنَّ مَنْ لَمْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ فَلاَ يُحِبُّ رَسُولَ اللهِ ـ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ـ. **وَتِلْكَ حُجَّةٌ وَاهِيَةٌ**، إِنْ يَتَّبِعُ قَائِلُوهَا إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ؛ فَحُبُّ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِنَّمَا هُوَ بِاتِّبَاعِ شَرْعِهِ، وَلُزُومِ سُنَّتِهِ، لاَ بِالاِحْتِفَالاَتِ البِدْعِيَّةِ المُنْكَرَةِ؛ قَالَ جَلَّ فِي عُلاَه: ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ**



﴿تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]

وَمِنْ شُبُهَاتِهِمْ: قَوْلُهُمْ: «إِنَّ هَـٰذِهِ الاحْتِفَالاَتِ بِدْعَةٌ حَسَنَةٌ»؛ **وَذٰلِكَ قَوْلٌ بَاطِلٌ**؛ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ؛ كَمَا ثَبَتَ عَنِ الْمُصْطَفَىٰ ﷺ[(١)]، وَمِنْ أَيْنَ لَهُمْ مِنْ كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ أَنَّ فِي الإِسْلاَمِ بِدْعَةً حَسَنَةً؟!

وَمِنْ شُبُهَاتِهِمْ: دَعْوَاهُمْ أَنَّ النَّاسَ تَعَارَفُوا عَلَيْهَا، وَأَصْبَحُوا يَفْعَلُونَهَا، مِنْ غَيْرِ نَكِيرٍ، **وَيُرَدُّ عَلَىٰ ذَٰلِكَ**: بِأَنَّا لَمْ نُتَعَبَّدْ بِأَفْعَالِ النَّاسِ وَعَادَاتِهِمُ الْمُخَالِفَةِ لِلدِّيْنِ؛ وَإِنَّمَا تُعُبِّدْنَا بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ الدَّلِيْلُ مِنْ كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ.

وَمِنَ الْعَجَائِبِ وَالْغَرَائِبِ: أَنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ زَيَّنَ هَـٰذِهِ الْمُنْكَرَاتِ لأَصْحَابِهَا، وَأَغْوَىٰ قُلُوبَهُمْ؛ فَجَعَلَهُمْ يَنْشَطُونَ وَيَجْتَهِدُونَ فِي حُضُورِ هَـٰذِهِ الاحْتِفَالاَتِ، وَيَتَعَصَّبُونَ لَهَا، وَيُدَافِعُونَ عَنْهَا، وَيَتَهَجَّمُونَ عَلَىٰ مَنْ أَنْكَرَهَا، وَرُبَّمَا تَرَكُوا كَثِيْرًا مِنَ الْوَاجِبَاتِ الشَّرْعِيَّةِ، وَلاَ يَرْفَعُونَ لِذٰلِكَ رَأْسًا، وَلاَ شَكَّ أَنَّ ذٰلِكَ مِنْ قِلَّةِ الْبَصِيْرَةِ فِي الدِّيْنِ، وَمِنَ الْجَهْلِ الْمُبِيْنِ.

وَمِنْ ذَٰلِكَ: أَنَّ بَعْضَهُمْ يَظُنُّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَحْضُرُ بِدَعَهُمْ؛ وَلِهَـٰذَا يَقُومُونَ لَهُ مُحَيِّيْنَ وَمُرَحِّبِيْنَ؛ **وَهَـٰذَا مِنْ أَبْطَلِ الْبَاطِلِ**، وَأَقْبَحِ الْجَهْلِ، وَالْعِيَاذُ بِاللهِ.

---

(١) فيما رواه أحمد (٣/ ٣١٠ـ٣١١)، ومسلم (٨٦٧)، من حديث جابر بن عبدالله، رضي الله عنهما.



أيُّهَا المُسْلِمُونَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، بِهَٰذِهِ الأَدِلَّةِ النَّاصِعَةِ، وَهَٰذِهِ الرُّدُودِ الوَاضِحَةِ، يَتَجَلَّىٰ لَنا تَهَافُتُ هَٰذِهِ البِدْعَةِ وَدَحْضُهَا وَتَفْنِيْدُهَا، ويَتَبَيَّنُ لِمنْ لَهُ أَدْنَىٰ بَصِيْرَةٍ وَإِنْصَافٍ وَاتِّبَاعٍ لِلْحَقِّ: أَنَّهَا مِنَ الخَطَأِ فِي دِيْنِ اللهِ، وَأَنَّهَا مِنَ الأُمُورِ المُبْتَدَعَةِ، وَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ أَنْ نُنَادِيَ المُسْلِمِيْنَ مِنْ هَٰذِهِ البُقْعَةِ المُبَارَكَةِ - بَرَاءَةً لِلذِّمَّةِ، وَإِبْلاغًا لِلأُمَّةِ - أَنْ يَتَّقُوا اللهَ فِي أَنْفُسِهِمْ، وَأَنْ يَتْرُكُوا مِثْلَ هَٰذِهِ الأَفْعَالِ، إِنَّنَا نُنَادِيْهِمْ نِدَاءَ العَطْفِ وَالإِشْفَاقِ، والخَوْفِ عَلَيْهِمْ مِن عَذَابِ اللهِ، يَوْمَ يَقِفُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَيَبُوءُوْنَ بِأَثْقَالِهِمْ وَأَثْقَالٍ مَعَ أَثْقَالِهِمْ.

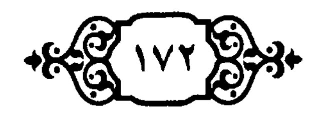
إِنَّنَا نُنَادِيْ مِنْ هَذَا المَكَانِ الَّذِيْ انْتَشَرَتْ مِنْهُ كَلِمَةُ الحَقِّ، وَدَوَّتْ فِي أَرْجَاءِ العَالَمِ الإِسْلاَمِيِّ، نُنَادِيْ بِنِدَاءِ العَقْلِ وَالإِشْفَاقِ، لِتَرْكِ التَّعَصُّبِ، ولِلْبَحْثِ عَنِ الحَقِيْقَةِ، وَاتِّبَاعِ مَا دَلَّ عَلَيْهِ الدَّلِيْلُ مِنْ كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، نُنَادِيْ بِهَجْرِ هَٰذِهِ البِدَعِ؛ فَهِيَ لاَ تَزِيْدُ أَصْحَابَهَا مِنَ اللهِ إِلاَّ بُعْدًا، وَلاَ مِنْ رَسُولِهِ وَسُنَّتِهِ إِلاَّ صُدُودًا، وَأَنْ يَسْتَمْسِكُوا بِسُنَّةِ نَبِيِّهِمْ، فَلَطَالَمَا شُوِّهَ الإِسْلاَمُ النَّاصِعُ بِهَٰذِه الاحْتِفَالاَتِ البَاطِلَةِ، وَأَمْثَالِهَا مِنَ البِدْعِيَّاتِ الَّتِي حَرَّفَتْ كَمَالَ الإِسْلاَمِ، وَشَوَّهَتْ جَمَالَهُ وَجَوْهَرَهُ؛ إِنَّهُ نِدَاءٌ مِلْؤُهُ التَّجَرُّدُ عَنِ التَّعَصُّبِ والهَوَىٰ، والدَّعْوَةُ إِلَى الحَقِّ؛ قَالَ تعالَىٰ: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾﴾ [البقرة]، ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى

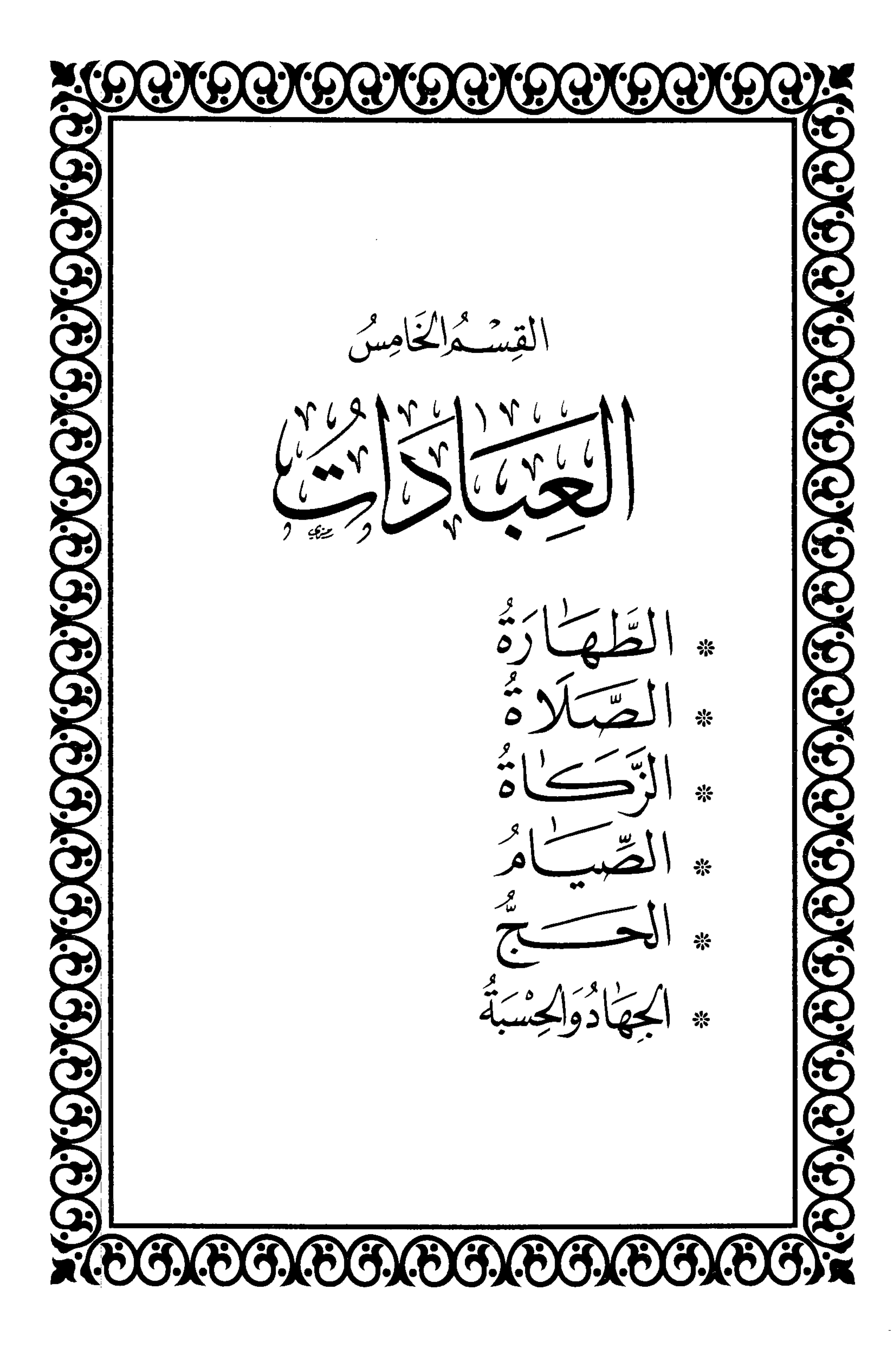


مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص].

هَـٰذَا؛ وَقَدْ نَدَبَكُمْ رَبُّكُمْ للصَّلاَةِ والسَّلاَم عَلَى النَّبيِّ المُجْتَبَىٰ، وَالرَّسُولِ المُصْطَفَىٰ ـ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ ـ فَقَالَ جَلَّ وَعلا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب].

* * *





القِسمُ الخامِسُ

العِبَادَاتُ

* الطَّهارَةُ
* الصَّلاةُ
* الزَّكاةُ
* الصِّيامُ
* الحجُّ
* الجِهادُ والحِسْبَةُ



الخطبة الأولى

إِنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَهْدِيْهِ، وَنَتُوبُ إِلَيْهِ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنُثْنِي عَلَيْهِ الخَيْرَ كُلَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، يُحِبُّ التَّوَّابِيْنَ ويُحِبُّ المُتَطَهِّرِيْنَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُهُ، سَيِّدُ الأَوَّلِيْنَ وَالآخِرِيْنَ، وأَشْرَفُ الأَنْبِيَاءِ والمُرْسَلِيْنَ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ الطَّيِّبِيْنَ الطَّاهِرِيْنَ، وَصَحْبِهِ الغُرِّ المَيَامِيْنِ، وَالتَّابِعِيْنَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلىٰ يَومِ الدِّيْنِ.

أما بعد:

فَيَا أَيُّهَا ٱلْمُسْلِمُونَ، اتَّقُوا اللهَ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ـ حَقَّ التَّقْوَىٰ.

عِبَادَ ٱللهِ، يَا مَنْ شَرَّفَكُمُ اللهُ بِالإِسْلاَمِ، اشْكُرُوا اللهَ عَلَىٰ هَـٰذِهِ النِّعْمَةِ الكُبْرَىٰ؛ فَإِنَّ دِيْنَكُمْ دِيْنُ الكَمَالِ والشُّمُولِ، وَلَمْ يَتْرُكْ خَيْرًا لِلعِبَادِ وصَلاَحًا لَهُمْ فِي أُمُورِ المَعَاشِ أَوِ المَعَادِ، إِلاَّ أَمَرَ بِهِ، وَحَثَّ عَلَيْهِ، وَلاَ شَرًّا أَوْ ضَرَرًا يَعُودُ عَلَيْهِمْ فِي دُنْيَاهُمْ، أَوْ فِي عُقُولِهِمْ وَأَجْسَادِهِمْ، إِلاَّ حَذَّرَ مِنْهُ، وَنَهَىٰ عَنْهُ، وَلَقَدْ كَانَ رَفْعُ الحَرَجِ وَالعَنَاءِ، والأَمْرُ بِالطُّهْرِ والنَّقَاءِ، مِنَ

القَوَاعِدِ[1] والمَعَالِمِ الَّتِيْ جَاءَتْ بِهَا شَرِيْعَةُ الإِسْلَامِ، قَال تَعالَىٰ: ﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٦ ﴾ [المائدة].

وَقَدْ جَاءَتْ هَـٰذِهِ الحِكَمُ وَالقَوَاعِدُ وَالأَسْرَارُ فِي خِتَامِ آيَةِ الأَمْرِ بِالوُضُوءِ، فِي سُورَةِ المَائِدَةِ؛ تَنْبِيهًا لِمَا لِهَـٰذَا الحُكْمِ العَظِيْمِ مِن آثَارٍ فِي حَيَاةِ المُسْلِمِ.

إِخْوَةَ الإِيْمَانِ، لَقَدْ عُنِيَ الإِسْلَامُ بِالطَّهَارَةِ المَعْنَوِيَّةِ، والطَّهَارَةِ الحِسِّيَّةِ، وَاهْتَمَّ بِنَظَافَةِ البَاطِنِ والظَّاهِرِ، وَقَدْ قَسَّمَ أَهْلُ العِلْمِ الطَّهَارَةَ إِلَىٰ أَرْبَعِ مَرَاتِبَ:

أَوَّلُهَا: طَهَارَةُ الظَّاهِرِ مِنَ الأَحْدَاثِ وَالأَنْجَاسِ وَالفَضَلَاتِ، وَقَدْ جَعَلَ الإِسْلَامُ هَـٰذِهِ المَرْتَبَةَ جُزْءًا مِنْ حَيَاةِ المُسْلِمِ، وَطَابَعًا لاَ غِنَىٰ لَهُ عَنْهُ، وَعَمَلاً لاَ يَنْفَكُّ مِنْهُ فِي اليَوْمِ واللَّيْلَةِ، وَالوُضُوءُ الشَّرْعِيُّ ذِرْوَةُ سَنَامِ هَـٰذِهِ المَرْتَبَةِ، وَفِيْهِ مِنَ الأَجْرِ العَظِيْمِ، والثَّوَابِ الجَزِيْلِ، أَضْعَافُ مَا لَهُ مِن الآثَارِ الحَسَنَةِ عَلَىٰ نَظَافَةِ المُسْلِمِ؛ فَقَدْ جَعَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ سَبَبًا لِمَحْوِ الخَطِيَّاتِ، وَرِفْعةِ الدَّرَجاتِ؛ كَمَا فِي «صَحِيْحِ مُسْلِمٍ»، مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَلا أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَا**

---

(١) انظر شرح القاعدة الفقهية: «المشقة تجلب التيسير» في: «الأشباه والنظائر» للسيوطي (ص٧٦).



يَمْحُو اللهُ بِهِ الخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِه الدَّرَجَاتِ؟!» قَالُوا: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ! قَالَ: «**إِسْبَاغُ الوُضُوءِ عَلى المَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الخُطَا إِلى المَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلاَةِ بَعْدَ الصَّلاَةِ، فَذٰلِكُمُ الرِّبَاطُ!**»[1].

وَعَنْ عُثْمَانَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ تَوَضَّأَ، فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ، خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ حَتَّىٰ تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِهِ**»[2].

اللهُ أَكْبَرُ! يَا لَسَعَةِ فَضْلِ اللهِ، وَإِكْثَارِهِ طُرُقَ الخَيْرِ لِعِبَادِهِ! وَلٰكِنْ أَيْنَ المُتَّبِعُونَ المُحْتَسِبُونَ الَّذِيْنَ يَقُومُونَ بِهٰذَا العَمَلِ؛ إِخْلاَصًا للهِ، وَرَغْبَةً فِيْمَا عِنْدَهُ، وَاتِّبَاعًا لِسُنَّةِ نَبِيِّهِ وَمُصْطَفَاهُ؟!

كَيْفَ وَقَدْ زَيَّنَ الشَّيْطَانُ ـ أَعَاذَنَا اللهُ مِنْهُ! ـ لِبَعْضِ النَّاسِ الزِّيَادَةَ فِي الوُضُوءِ، فَيُدْخِلُهُمْ حَيِّزَ الوَهْمِ وَالوَسْوَسَةِ، وَقَدْ يَجُرُّ بَعْضًا مِنْهُمْ إِلى التَّقْصِيْرِ فِي الطَّهَارَةِ؛ كَعَدَمِ التَّنَزُّهِ مِنَ البَوْلِ وَالخَارِجِ، وَعَدَمِ غَسْلِ الأَعْضَاءِ كَامِلَةً، أَوْ مَا يَفْعَلُهُ بَعْضُ الجُهَّالِ مِنَ التَّيَمُّمِ مَعَ وُجُودِ المَاءِ، أَوْ إِمْكَانِ الحُصُولِ عَلَيْهِ.

وَمِنْ عِنَايَةِ الإِسْلاَمِ بِالوُضُوءِ: أَنْ جَعَلَهُ مُرْتَبِطًا بِأَهَمِّ أَرْكَانِ الإِسْلاَمِ بَعْدَ الشَّهَادَتَيْنِ، وَهِيَ: الصَّلاَةُ؛ فَهُوَ شَرْطٌ لِصِحَّتِهَا، وَمِفْتَاحٌ وَمُقَدِّمَةٌ لَهَا.

وَمِنْ مَظَاهِرِ عِنَايَةِ الإِسْلاَمِ بِطَهَارَةِ الظَّاهِرِ: إِيْجَابُهُ الاغْتِسَالَ عِنْدَ

---

(١) «صحيح مسلم» (٢٥١).

(٢) «صحيح مسلم» (٢٤٥).



حُدُوثِ مُوْجِبَاتِهِ؛ كَالجَنَابَةِ، وَالحَيْضِ والنِّفَاسِ بِالنِّسْبَةِ لِلْمَرْأَةِ؛ كَمَا شَرَعَ الإِسْلَامُ الاغْتِسَالَ في حَالاَتٍ أُخَرَ؛ كَالجُمَعِ والأَعْيَادِ، وَالإِحْرَامِ وحُضُورِ الاِجْتِمَاعَاتِ العَامَّةِ.

وَمِنْ ذَٰلِكَ: حَثُّهُ عَلى التَّطَيُّبِ والسِّوَاكِ والخِتَانِ، وأَخْذِ الزِّيْنَةِ عَنْدَ حُضُورِ المَسَاجِدِ والصَّلَاةِ؛ قَال تعَالَىٰ: ﴿ ۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ [الأعراف: ٣١]، قَالَ أَهلُ العِلْمِ: أَيْ: عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ.

وَمِنْ ذَٰلِكَ أَيْضًا: خِصَالُ الفِطْرَةِ الَّتِيْ أفْصَحَ عَنْهَا حَدِيْثُ المُصْطَفىٰ ﷺ؛ فَعَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - عِنْدَ مُسْلِمٍ وَغيرِهِ؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قالَ: **«عَشْرٌ مِنَ الفِطْرَةِ: قَصُّ الشَّارِبِ، وَإِعْفَاءُ اللِّحْيَةِ، وَالسِّوَاكُ، وَاسْتِنْشَاقُ المَاءِ، وَقَصُّ الأَظْفَارِ، وَغَسْلُ البَرَاجِمِ[1]، وَنَتْفُ الإِبْطِ، وَحَلْقُ العَانَةِ، وَانْتِقَاصُ المَاءِ - يَعْنِيْ الاِسْتِنْجَاءَ - وَقَالَ أَحَدُ رُوَاتِهِ: وَنَسِيتُ العَاشِرَةَ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ الْمَضْمَضَةَ»**[2].

إِخْوَةَ الإِسْلَامِ، كَمَا حَرَصَ دِيْنُكُمُ الحَنِيْفُ فِي هَـٰذَا الجَانِبِ عَلَىٰ مَا يَتَّصِلُ بِحَيَاةِ النَّاسِ وَمَجَامِعِهِمُ اتِّصَالاً مُبَاشِرًا؛ كَمَا نَهَى الإِسْلَامُ عَنِ التَّبَوُّلِ فِي المِيَاهِ الرَّاكِدَةِ، وَالبَرَازِ فِي الطُّرُقِ والظِّلِّ وَمَوَارِدِ النَّاسِ.

---

(١) البراجم: هي العُقَدُ التي في ظهور الأصابع، يجتمع فيها الوسخ، واحدتها: بُرْجُمَة. «النهاية» (برجم).

(٢) رواه أحمد (٦/ ١٣٧)، ومسلم (٢٦١)، وأبوداود (٥٣)، والترمذي (٢٧٥٧).



كَذٰلِكَ أَمَرَ الإِسْلاَمُ بِنَظَافَةِ البُيُوتِ والطُّرُقِ، والطَّعَامِ والشَّرَابِ واللِّبَاسِ، والمَرافِقِ العَامَّةِ، وَجَعَلَ إِمَاطَةَ الأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيْقِ شُعْبَةً مِنْ شُعَبِ الإِيْمَانِ، وَأَخْبَرَ المُصْطَفَىٰ ﷺ أَنَّ اللهَ جَمِيْلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ، وَقَدْ أَمَرَ اللهُ نَبِيَّهُ ﷺ بالتَّطَهُّرِ؛ فَقالَ: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾ [المدثر]؛ كَمَا مَدَحَ سُبْحَانَهُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ۝١٠٨﴾ [التوبة].

المَرْتَبَةُ الثَّانِيَةُ مِنْ مَرَاتِبِ الطَّهَارَةِ: طَهَارَةُ الجَوارِحِ مِنَ الذُّنُوبِ وَالآثَامِ.

الثَّالِثَةُ: طَهَارَةُ القَلْبِ مِنَ الأَخْلاَقِ المَذْمُومَةِ، والرَّذائِلِ المَمْقُوتَةِ.

الرَّابِعَةُ: تَطْهِيرُ السَّرِيْرَةِ عَمَّا سِوَى اللهِ سُبْحَانَهُ وَتعَالىٰ: صِحَّةً فِي الاِعْتِقَادِ، وَإِخْلاَصًا في الأَعْمَالِ.

وَهَـٰذِهِ المَرَاتِبُ الثَّلاَثُ الأَخِيرَةُ تَضَمَّنَتْهَا الطَّهَارَةُ المَعْنَوِيَّةُ، وَهِيَ: طَهَارَةُ البَاطِنِ، الَّتِي هِيَ القَاعِدَةُ وَالأَسَاسُ؛ فَلا خَيْرَ فِي حُسْنِ ظَاهِرٍ مَعَ فَسَادِ بَاطِنٍ، وَكَمْ مِنْ جَمِيْلِ المَنْظَرِ خَبِيْثُ المَخْبَرِ، والعِيَاذُ بِاللهِ!.

أُمَّةَ الطُّهْرِ وَالنَّظَافَةِ، إِنَّ النَّظَافَةَ الحَقِيْقِيَّةَ: نَظَافَةُ العَقِيْدَةِ مِنْ كُلِّ مَا يَشُوبُهَا مِنْ ضُرُوبِ الشِّرْكِ بِاللهِ، وَالتَّعَلُّقِ بِغَيْرِهِ؛ وَذٰلِكَ يَتَطَلَّبُ: الإِخْلاَصَ للهِ، وَتَجْرِيْدَ المُتَابَعةِ لِرَسُولِهِ ﷺ، وَنَبْذَ كُلِّ مَا يُخَالِفُ العَقِيْدَةَ الصَّحِيْحَةَ مِنْ أَوْهَامٍ أَوْ ضَلاَلاَتٍ؛ كَمَا أَنَّهَا تَتَطَلَّبُ نَظَافَةَ الفِكْرِ وَصِيَانَتَهُ



مِنَ الأَفْكَارِ المُلَوَّثَةِ، والتَّصَوُّرَاتِ الفَاسِدَةِ المُنَاهِضَةِ لِلإِسْلَامِ.

وَهِيَ تَعْنِيْ ـ كَذٰلِكَ ـ طَهَارَةَ القَلْبِ وَنَظَافَتَهُ مِنَ الغِلِّ والحِقْدِ والشَّحْنَاءِ، والحَسَدِ والبَغْضَاءِ، والنِّفَاقِ وَالرِّيَاءِ، والغُرُورِ والكِبْرِيَاءِ، وَطَهَارَةَ اللِّسَانِ مِنَ الكَذِبِ والزُّورِ، وَالغِيْبَةِ والنَّمِيْمَةِ والبُهْتَانِ؛ كَمَا أَنَّهَا تَعْنِيْ نَظَافَةَ الخُلُقِ والسُّلُوكِ مِنْ كُلِّ مَا يُعَكِّرُ صَفْوَ الأُخُوَّةِ، وَيَكُونُ سَبَبًا فِي التَّقَاطُعِ وَالجَفَاءِ.

وَهِيَ تَشْمَلُ ـ كَذٰلِكَ ـ نَظَافَةَ المُعَامَلَاتِ مِنَ الحِيَلِ المَمْنُوعَةِ، والمَكَاسِبِ المُحَرَّمَةِ الَّتِيْ تَأْتِيْ عَنْ طَرِيْقِ الظُّلْمِ والغِشِّ، والرِّبَا والرِّشْوَةِ، والتَّزْوِيْرِ وَسِوَاهَا.

كَمَا أَنَّهَا مُتَضَمِّنَةٌ نَظَافَةَ الجَوَارِحِ؛ كالسَّمْعِ والبَصَرِ وَنَحْوِهَا مِنَ النَّظَرِ والسَّمَاعِ المُحَرَّمِ.

وَبَعْدُ ـ إِخْوَةَ الإِسْلَامِ ـ فَقَدْ عَرَفْنَا «النَّظَافَةَ» الَّتِي جَاءَ بِهَا الشَّرْعُ بِمَفْهُومِهَا الوَاسِعِ؛ فَهِيَ لَيْسَتْ فِي جَانِبٍ ضَيِّقٍ يُعْنَىٰ بِالشَّكْلِ والمَظْهَرِ عَلَىٰ حِسَابِ الجَوْهَرِ والمَخْبَرِ.

كَمَا أَنَّهَا لَيْسَتْ كَلِمَاتٍ تُقَالُ، وَلَا أَيَّامًا تُقَامُ، بَلْ هِي والمَظْهَرُ مُلَازِمَان للمُسْلِمِ، لَا تَنْفَكُّ عَنْهُ بِحَالٍ، فَمَا أَحْرَىٰ ذٰلِكَ أَنْ يَزِيْدَنَا تَمَسُّكًا بِدِيْنِنَا، وَوَعْيًا أَعْمَقَ فِي حِكَمِهِ وَأَحْكَامِهِ.

إِنَّ دِيْنًا هٰذِهِ تَعَالِيْمُهُ يَنْبَغِيْ لأَتْبَاعِهِ أَنْ يَكُونُوا حَرِيْصِيْنَ على النَّظَافَةِ



بِكُلِّ أَبْعَادِهَا؛ لِيَكُونُوا أَقْوَى الأُمَمِ عَقِيْدَةً وَإِيْمَانًا، وَأَسْلَمَهُمْ فِكْرًا وَعِلْمًا، وَأَصْلَحَهُمْ قُلُوبًا وَأَعْمالاً، وَأَصَحَّهُمْ أَجْسَادًا وأَبْدانًا، وَأَحْسَنَهُمْ هَيْئَةً وَمَظْهَرًا؛ لِيَجْمَعُوا بَيْنَ صَلَاحِ البَاطِنِ والظَّاهِرِ، وَحُسْنِ المَنْظَرِ وَالمَخْبَرِ؛ وَعِنْدَ ذٰلِكَ: تَحْصُلُ لَهُمُ القُوَّةُ المَادِّيَّةُ والمَعْنَوِيَّةُ؛ حَيْثُ يَقْوَى الإِيْمَانُ والعِلْمُ، وَيَحْسُنُ الخُلُقُ والمُعَامَلَةُ، وتَصِحُّ الأَبْدَانُ والعُقُولُ؛ فَيَكُونُ لَهُمْ مِنَ الشَّوْكَةِ والهَيْبَةِ والقُوَّةِ مَا يُرْهِبُ أَعْدَاءَهُمْ، بِإِذْنِ اللهِ.

وَقَدْ سَبَقَ الإِسْلَامُ فِي ذٰلِكَ النُّظُمَ البَشَرِيَّةَ كُلَّهَا فِي طَهَارَةِ الأَبْدَانِ والمُجْتَمَعَاتِ، والحِفَاظِ عَلى الصِّحَّةِ للأَفْرادِ والبِيْئَاتِ، وَأَثْبَتَ الطِّبُّ الحَدِيْثُ صِدْقَ مَا جَاءَ بِه الإِسْلَامُ ـ وَللهِ الفَضْلُ والمِنَّةُ! ـ مِمَّا يَجْعَلُ حَضَارَةَ الإِسْلَامِ وَمَدَنِيَّتَهُ لاَ تُوازِيْهَا حَضَارَةٌ مُدَّعَاةٌ، أَوْ مَدَنِيَّةٌ مَزْعُومَةٌ، كَانَ مِنَ انْقِلَابِ المَوَازِيْنِ عِنْدَ أَفْرَادِهَا التَّنَافُسُ فِي القَذَارَةِ وَالأَوْسَاخِ، والتَّسَابُقُ إِلَىٰ أَعْمالٍ تَنْفِرُ مِنْهَا الطِّبَاعُ السَّلِيْمَةُ، وَالأَذْوَاقُ المُسْتَقِيْمَةُ، مِمَّا يُخَالِفُ فِطْرَةَ اللهِ السَّوِيَّةَ، وَتَعَالِيْمَ دِيْنِهِ المَرْضِيَّةَ.

فَاتَّقُوا اللَّهَ ـ عِبَادَ اللَّهِ ـ وَتَمَسَّكُوا بِدِيْنِكُمْ، واحْذَرُوا الاغْتِرَارَ بِأَعْدَائِكُمْ، وَاعْمَلُوا عَلَىٰ تَحْقِيْقِ النَّظَافَةِ المَعْنَوِيَّةِ والحِسِّيَّةِ، فِي أَنْفُسِكُمْ وَأُسَرِكُمْ وَمُجْتَمَعِكُمْ، واللهُ المَسْؤُوْلُ أَنْ يُصْلِحَ قُلُوبَنَا وَأَعْمَالَنَا؛ إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيْمٌ.

أَقُولُ قَوْلِيْ هَـٰذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِيْ وَلَكُمْ وَلِجَمِيعِ المُسْلِمِيْنَ، فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيْمُ.



الخطبة الثانية

الحَمْدُ للهِ عَلىٰ إِحْسَانِهِ، والشُّكْرُ لَهُ عَلىٰ تَوْفِيْقِهِ وَامْتِنَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰـهَ إِلاَّ اللهُ وَحدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ سُبْحَانَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، الدَّاعِي إِلىٰ رِضْوَانِهِ وَغُفْرَانِهِ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَإِخْوَانِهِ، وَالتَّابِعِيْنَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلىٰ يَوْمِ الدِّيْنِ.

أمّا بعد:

فَاتَّقُوا اللَّهَ -عِبَادَ اللهِ- وَتَحَلَّوْا بِنَظَافَةِ البَوَاطِنِ والظَّوَاهِرِ، وَتَعَاوَنُوا عَلىٰ تَحْقِيْقِ ذٰلِكَ فِي أَنْفُسِكُمْ وَمُجْتَمَعِكُمْ؛ فَالمُجْتَمَعُ النَّظِيْفُ عُنْوَانُ نَظَافَةِ أَفْرَادِهِ، وَقَدْ قَرَّرَ الشَّرْعُ الحَنِيْفُ إِزَالَةَ الأَذىٰ والضَّرَرِ أَيًّا كَانَ[1]، وَيَنْبَغِي أَنْ تَتَسَانَدَ الجُهُودُ، وَتَتَكَاتَفَ الأَعْمَالُ، فِي إِحْيَاءِ وَإِذْكَاءِ رُوحِ الطَّهَارَةِ وَالنَّظَافَةِ بينَ المُسْلِمِيْنَ، وَهٰذِهِ مَسْؤُوْلِيَّةُ الجَمِيْعِ، وَكُلٌّ عَلَىٰ حَسَبِ قُدْرَتِهِ وَمَسْؤُولِيَّتِهِ.

وَلَيْسَتِ المَسْؤُولِيَّةُ مَقْصُورَةً عَلىٰ أُنَاسٍ أَوْ جِهَاتٍ فَحَسْبُ، بَلِ الوَاجِبُ أَنْ يَبْذُلَ كُلُّ مُسْلِمٍ مَا يَسْتَطِيْعُهُ لاِنْتِشَارِ وَسَائِلِ الحِفَاظِ عَلىٰ مُجْتَمَعِهِمْ؛

---

(١) انظر في تقرير الشرع لقاعدة: «الضرر يزال»: «الأشباه والنظائر» للسيوطي (ص٨٣).



كَيْ يَغْدُوَ سَلِيْمًا بعِيْدًا عَنِ الأَضْرَارِ، وَلا نَنْسَىٰ دَوْرَ الآبَاءِ وَالأُمَّهَاتِ فِي تَرْبِيَةِ أَبْنائِهِمْ عَلىٰ ذٰلِكَ، وَوَاجِبَ المُدَرِّسِ فِي غَرْسِ هَـٰذِهِ الخِصَالِ الكَرِيْمَةِ فِي نُفُوسِ تَلامِيْذِهِ، وَكَذٰلِكَ دَوْرُ حَمَلَةِ الأَقْلامِ، وأَصْحَابِ التَّوْجِيْهِ، وَرِجَالِ الإِعْلامِ؛ فَالجَمِيْعُ لَهُم دَوْرٌ كَبِيرٌ فِي نَشْرِ النَّظَافَةِ الشَّرْعِيَّةِ؛ نَظَافَةِ القَلْبِ والفِكْرِ، والخُلُقِ والسُّلُوكِ والهَيْئَةِ، والمُجْتَمَعِ وَالبِيْئَةِ.

وَلْيَكُنْ كُلُّ مُسْلِمٍ عَيْنًا سَاهِرَةً فِي تَحْقِيْقِ النَّظَافَةِ لِمُجْتَمَعِهِ، وَمَنْعِ العَابِثِيْنَ والسُّفَهَاءِ مِنَ التَّعَرُّضِ بِسُوءٍ لِلْمَرَافِقِ العَامَّةِ وَمَصَالِحِ المُسْلِمِيْنَ؛ لِيَعُودَ لِهَـٰذِهِ الفَضِيْلَةِ أَثَرُهَا الإِيجَابِيُّ عَلَى الأَفْرَادِ والمُجْتَمَعَاتِ.

هَـٰذَا؛ وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا ـ رَحِمَكُمُ اللهُ ـ عَلى الهَادِي البَشِيْرِ، والسِّرَاجِ المُنِيْرِ، كَمَا أَمَرَكُمْ بِذٰلِكَ العَلِيْمُ الخَبِيْرُ، فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾[الأحزاب].

* * *



الخطبة الأولى

الحَمْدُ للهِ جَعَلَ الصَّلَاةَ عِمَادَ الدِّيْنِ، وَعِصَامَ اليَقِيْنِ، وَشَأْمَةَ[1] القُرُباتِ، وَغُرَّةَ الطَّاعَاتِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰـهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَمُصْطَفَاهُ وخَلِيْلُهُ، أَفضَلُ البَرِيَّةِ، وسَيِّدُ البَشَرِيَّةِ، القَائِلُ فِيْمَا صَحَّ عَنْهُ: «**وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِيْ فِي الصَّلَاةِ**»[2]، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وبَارِكْ عَلى الرَّحْمَةِ المُهْدَاةِ، والنِّعْمَةِ المُسْدَاةِ، نَبِيِّنَا مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، وَعَلىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَمَنْ دَعَا بِدَعْوتِهِ واهْتَدَىٰ بِهُدَاهُ.

أمّا بعد:

فَيَا أَيُّهَا الإِخْوَةُ فِي اللهِ، أَقُولُ ـ بَعْدَ الوَصِيَّةِ بِتَقْوى اللهِ ـ: إِنَّ الإِنْسَانَ فِي خِضَمِّ مَشَاغِلِ الحَيَاةِ المَادِّيَّةِ، وَمَا تُورِّثُهُ النَّفْسُ البَشَرِيَّةُ مِنْ مُشْكِلَاتٍ نَفْسِيَّةٍ، وتَوتُّرَاتٍ عَصَبِيَّةٍ ـ يَحْتَاجُ حَاجةً مُلِحَّةً إِلىٰ مَا يُنَفِّسُ عَنْ مَشَاعِرِهِ،

---

(١) الشأمة: الخال في الجسد، معروفة. «النهاية» (شأم)، والمراد: أن الصلاة أظهر الطاعات، كما أن الشأمة أظهر شيء في الجسد.

(٢) رواه أحمد (٣/ ١٢٨)، والنسائي (٧/ ٦١، ٦٢)؛ من حديث أنس، رضي الله عنه.

وَيُفَرِّجُ مِنْ لأْوَائِهِ وَمَصَائِبِهِ، وَيَبْعَثُ فِي نَفْسِهِ الطُّمَأْنِيْنَةَ القَلْبِيَّةَ، وَالرَّاحَةَ النَّفْسِيَّةَ، بعِيْدًا عَنِ العُقَدِ والقَلَقِ والاكْتِئَابِ، وَهَيْهَاتَ أَنْ يَجِدَ الإِنْسَانُ ذٰلِكَ إلاَّ في ظِلِّ الإِسْلاَمِ وَعِبَادَاتِهِ العَظِيْمَةِ الَّتِي تُمَثِّلُ دَوَاءً رُوحِيًّا نَاجِعًا لاَ نَظِيْرَ لَهُ فِي الأَدْوِيَةِ المَادِّيَّةِ.

أَلاَ وإِنَّ أَعْظَمَ العِبَادَاتِ أَثَرًا فِي ذٰلِكَ: الصَّلاَةُ بِنَوْعَيْهَا: فَرَائِضَ، وَنَوَافِلَ؛ يَقُولُ اللهُ سُبْحانَهُ: ﴿ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: ١٥٣]، وَيَقُولُ جَلَّ وَعَلاَ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وَيَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ لِبِلاَلٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ: «**قُمْ يَا بِلاَلُ فَأَرِحْنَا بِالصَّلاَةِ**»[1]، وَكَانَ ـ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ ـ «**إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ، صَلَّىٰ**»[2].

وَمَا ذَاكَ ـ يَا عِبَادَ اللهِ ـ إلاَّ لأَنَّ الصَّلاَةَ صِلَةٌ بَيْنَ العَبْدِ وَرَبِّهِ، وَأَنَّ لِلقِيَامِ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ ـ عَزَّ وجَلَّ ـ في الصَّلاَةِ أَثَرًا عَظِيْمًا في إِصْلاَحِ النَّفْسِ الإِنْسَانِيَّةِ؛ بَلْ وَكَافَّةِ المُجْتَمَعاتِ البَشَرِيَّةِ.

وَلٰكِنْ ـ يَا عِبَادَ اللهِ ـ مَا هِيَ الصَّلاَةُ الَّتِيْ تُحْكِمُ الصِّلاَتِ بَيْنَ المَخْلُوقِ وخَالِقِهِ؟ مَا هِيَ الصَّلاَةُ الَّتِيْ تُحَقِّقُ الأَثَرَ البَالِغَ فِي نَفْسِ المُصَلِّي؛ فَتَنْهَاهُ عَنِ الفَحْشَاءِ والمُنكَرِ، وَتُعِيْنُهُ عَلَىٰ أُمُورِ دِيْنِهِ ودُنْيَاهُ؛ عَمَلاً بِالوَاجِبَاتِ

---

(١) رواه أحمد (٥/ ٣٧١)، وأبوداود (٤٩٨٦)؛ من حديث رجل من الأنصار، رضي الله عنه.

(٢) رواه أحمد (٥/ ٣٨٨)، وأبوداود (١٣١٩)؛ من حديث حذيفة، رضي الله عنه.

والمُبَاحَاتِ، وَبُعْدًا عَنِ المُحرَّمَاتِ وَالمَكْرُوهَاتِ؟ أَهِيَ الصَّلاَةُ جَسَدًا بِلاَ رُوحٍ، وَقَالَبًا بِدُونِ قَلْبٍ، حَرَكَاتٍ بِدُونِ خُشُوعٍ، عَادَةً لا عِبَادَةً، صُورَةً لاَ حَقِيْقَةً، أَلْفَاظًا وَمَبَانِيَ لاَ مَقَاصِدَ وَمَعَانِيَ؟ لاَ وَكَلاَّ! وَلَكِنَّهَا الصَّلاَةُ الشَّرْعِيَّةُ النَّبَوِيَّةُ، المُقَامَةُ عَلَىٰ ضَوْءِ مَعالِمِ القُرْآنِ العَزِيْزِ، وَمِنْهَاجِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ، عَلَىٰ صَاحِبِهَا أَفْضَلُ صَلاَةٍ وَأَزْكَىٰ تَحِيَّةٍ.

إِنَّ الصَّلاَةَ الَّتِيْ يَنْشُدُهَا الإِسْلاَمُ هِيَ الَّتِي تُمَثِّلُ المِعْرَاجَ الرُّوحِيَّ للمُؤْمِنِ، حَيْثُ تَعْرُجُ بِهِ رُوحُهُ كُلَّمَا قَامَ للهِ مُصَلِّيًا، فِي فَرِيْضَةٍ أَوْ نَافِلَةٍ، مُنْتَقِلَةً بِهِ مِنْ عالَمِ المَادَّةِ إِلَىٰ عَالَمِ السُّمُوِّ والصَّفَاءِ، والطُّهْرِ والنَّقَاءِ، وَفِيْ ذٰلِكَ مَصْدَرُ السَّعَادَةِ والسُّرُورِ، وَمَبْعَثُ الطُّمَأْنِيْنَةِ والحُبُورِ.

إِخْوَةَ الإِسْلاَمِ، لاَيَخْفَىٰ عَلىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ ـ بِحَمْدِ اللهِ ـ مَكَانَةُ الصَّلاَةِ فِي دِيْنِ اللهِ، وَمَنْزِلَتُهَا فِي شَرْعِ اللهِ؛ فَهِيَ عَمُودُ الإِسْلاَمِ، والفَاصِلُ بَيْنَ الكُفْرِ وَالإِيْمَانِ، وَمَنْزِلَتُهَا فِي الإِسْلاَمِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الجَسَدِ، فَكَمَا أَنَّهُ لاَ حَيَاةَ لِمَنْ لاَ رَأْسَ لَهُ؛ فَلاَ دِيْنَ لِمَنْ لاَ صَلاَةَ لَهُ ـ وَالعِيَاذُ بِاللهِ ـ وَنُصُوصُ الشَّرْعِ فِي ذٰلِكَ مُتَضَافِرَةٌ ـ بِحَمْدِ اللهِ ـ وَإِذَا كَانَ الأَمْرُ بِهَـٰذِهِ الأَهَمِّيَّةِ والخُطُورَةِ، فَإِنَّ الَّذِيْ يَحُزُّ في النَّفْسِ وَيُؤْلِمُ القَلْبَ: أَنَّهُ لاَ يَزَالُ فِي عِدَادِ المُنْتَسِبِيْنَ إِلَى الإِسْلاَمِ مَنْ لاَ يَرْفَعُ رَأْسًا بِهَا! فَمَا بَالُ أَقْوامٍ يَعِيْشُونَ بَيْنَ ظَهْرَانَي المُسْلِمِيْنَ، قَدْ خَفَّ مِيْزَانُ الصَّلاَةِ عِنْدَهُمْ، وَطَاشَ مِعْيَارُهَا؟! بَلْ لَرُبَّمَا تعَدَّى الأَمْرُ إِلىٰ مَا هُوَ أَفْظَعُ منْ ذٰلِكَ، وَلاَحَوْلَ وَلاَقُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ!.



فَهَلْ يَنْتَهِيْ أُوْلـٰئِكَ قَبْلَ أَنْ يَحِلَّ بِهِمْ سَخَطُ اللهِ، أَوْ يُحِيْطَ بِهِمْ عَذَابُ اللهِ، وَتُعَاجِلَهُمُ المَنِيَّةُ، وَهُمْ عَلَىٰ هَـٰذِه الحَالِ الرَّدِيَّةِ؟!

أَيُّهَا الإِخْوَةُ المُصَلُّونَ، لِتَهْنِكُمُ الصَّلاَةُ، وَيَا بُشْرَىٰ لَكُمْ بِمَا شَرَحَ اللهُ صُدُورَكُمْ لِهَـٰذِهِ الفَرِيْضَةِ العَظِيْمَةِ! وَهَنِيْئًا لَكُمْ ثَوَابُ اللهِ وَفَضْلُهُ العَاجِلُ وَالآجِلُ؛ لِقِيَامِكُمْ بِهَـٰذَا الوَاجِبِ الشَّرْعِيِّ العَظِيْمِ.

وَلَـٰكِنْ -يَا أَيُّهَا المُصَلُّونَ- لِتَعْلَمُوا أَنَّ لِلصَّلاَةِ المَقْبُولَةِ شُرُوطًا وَأَرْكَانًا، وَوَاجِبَاتٍ وَآدَابًا، لاَبُدَّ مِنَ القِيَامِ بِهَا؛ كَمَا أَنَّ هُنَاكَ مَسَائِلَ مُهِمَّةً، وَأَخْطَاءً شَائِعَةً فِي هَـٰذِهِ الفَرِيْضَةِ، يَحْتَاجُ المُصَلُّونَ إِلَىٰ مَعْرِفَتِهَا لِيُطَبِّقُوهَا، وَقَدْ وَرَدَ فِي «مُسْنَدِ أَحمَدَ» -رَحِمَهُ اللهُ-: أَنَّ «**أَسْوَأَ النَّاسِ سَرِقَةً الَّذِيْ يَسْرِقُ مِنْ صَلاَتِهِ**»[1]؛ وَذٰلِكَ بِعَدَمِ تَمَامِ رُكُوعِهَا وَسُجُودِهَا وَخُشُوعِهَا؛ كَمَا وَرَدَ **أَنَّ المُصَلِّيَ يَنْصَرِفُ مِنْ صَلاتِهِ وَمَا كُتِبَ لَهُ إِلاَّ رُبُعُهَا أَوْ خُمُسُهَا، حَتَّىٰ بَلَغَ عُشْرَهَا**[2]، وَهَـٰذَا يَدْعُو المُسْلِمَ المُصَلِّيَ إِلَىٰ أَنْ يَتَنَبَّهَ لِشَأْنِ صَلاَتِهِ؛ حَتَّىٰ لاَ يَخْسَرَ الثَّوَابَ، وَيَبُوءَ بِالعِقَابِ.

وَهَـٰذِهِ أُمُورٌ مُوجَزَةٌ، يَحْسُنُ التَّنْبِيْهُ عَلَيْهَا فِي هَـٰذَا المَوْضُوعِ المُهِمِّ:

أَوَّلُهَا: الطَّهَارَةُ بَاطِنًا وَظَاهِرًا؛ فَالطَّهَارَةُ شَرْطٌ عَظِيْمٌ لِلصَّلاَةِ، وَلاَ

---

(١) «المسند» (٥/ ٣١٠)؛ من حديث أبي قتادة، رضي الله عنه.

(٢) رواه أحمد (٤/ ٣٢١)، وأبوداود (٧٩٦)؛ من حديث عمّار، رضي الله عنه.

تُقْبَلُ الصَّلاَةُ إلاَّ بِهَا؛ فَوَاجِبُ المُصَلِّي أَنْ يَتَعَاهَدَ أَمْرَ طَهَارَتِهِ وَوُضُوئِهِ، فَلاَ يَتَسَاهَلُ فِي ذٰلِكَ، كَمَا لاَ يَزِيْدُ إِلىٰ حَدِّ الوَسْوَسَةِ، وَمِمَّا يُؤْسَفُ لَهُ فِي ذٰلِكَ: أَنَّ بَعْضَ الْعَامَّةِ لاَ يُعْنَىٰ بِالوُضُوءِ وَالطَّهَارَةِ، بَلْ إِنَّ بَعْضَهُمْ يَتَيَمَّمُ مَعَ قُرْبِ المَاءِ، أَوْ إِمْكَانِ الوُصُولِ إِلَيْهِ، وَهٰذَا تَفْرِيْطٌ ظَاهِرٌ!.

الثَّانِي: اسْتِقْبَالُ القِبْلَةِ؛ وَهُوَ كَذٰلِكَ شَرْطٌ مُهِمٌّ مِنْ شُرُوطِ الصَّلاَةِ، وَمَنْ كَانَ فِي المَسْجِدِ الْحَرَامِ، لَزِمَهُ أَنْ يَتَوَجَّهَ إِلىٰ عَيْنِ الكَعْبَةِ، وَبَعْضُ المُصَلِّيْنَ ـ هَدَاهُمُ اللهُ ـ يَجْهَلُ ذٰلِكَ، أَوْ يَتَسَاهَلُ فِيْهِ.

الأَمْرُ الثَّالِثُ: سَتْرُ العَوْرَةِ؛ وَهُوَ كَذٰلِكَ مِنَ الشُّرُوطِ المُهِمَّةِ، وَمَا يَفْعَلُهُ بَعْضُ المُصَلِّيْنَ مِنَ التَّقْصِيرِ فِيْ هٰذَا الأَمْرِ؛ بِلُبْسِ الثِّيَابِ الشَّفَّافَةِ، أَوِ السَّرَاوِيْلِ القَصِيْرَةِ، الَّتِيْ يُرَىٰ مِنْ خِلاَلِهَا لَوْنُ البَشَرَةِ، وَتُمَيِّزُ صِفَتَهَا ـ أَمْرٌ يَنْبَغِيْ التَّنَبُّهُ لَهُ.

وَالمَرْأَةُ فِي الصَّلاَةِ: عَلَيْهَا أَنْ تَسْتُرَ جَمِيْعَ بَدَنِهَا، سِوَىٰ وَجْهِهَا، إِلاَّ أَنْ تَكُونَ بَيْنَ رِجَالٍ مِنْ غَيْرِ مَحَارِمِهَا، أَوْ تَكُوْنَ فِيْ المَسْجِدِ الَّذِي هُوَ مَظِنَّةُ رُؤْيَةِ الرِّجَالِ لَهَا، فَيَجِبُ عَلَيْهَا ـ وَالحَالَةُ هٰذِهِ ـ أَنْ تَسْتُرَ وَجْهَهَا، وَتَأْتِيَ مُتَبَذِّلَةً[1] مُحْتَشِمَةً غَيْرَ مُتَبَرِّجَةٍ وَلاَ مُتَطَيِّبَةٍ؛ لِتَرْجِعَ مَأْجُورَةً غَيْرَ مَأْزُوْرَةٍ.

---

(١) مُتَبَذِّلَة: التَّبَذُّلُ: تَرْكُ التَّزَيُّنِ والتَّهَيُّؤِ بِالهَيْئَةِ الحَسَنَةِ الجَمِيلَةِ، عَلىٰ وَجْهِ التَّوَاضُعِ. «اللسان» (بذل).

الأَمْرُ الرَّابِعُ: العِنَايَةُ بِتَسْوِيَةِ الصُّفُوفِ؛ فَقَدْ ثَبَتَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يُسَوِّيْ الصُّفُوفَ بِنَفْسِهِ؛ كَما وَرَدَ التَّشْدِيْدُ علىٰ مَنْ لَمْ يَهْتَمَّ بِذٰلِكَ؛ يَقُولُ ـ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلاَمُ ـ فِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «**عِبَادَ الله، لَتُسَوُّنَّ صُفوفَكُمْ أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللهُ بيْنَ وُجُوْهِكُمْ**»[1]، وَهَـٰذِهِ مَسْئُولِيَّةٌ يَنْبَغِيْ أَنْ يَتَعَاوَنَ عَلَيْها الإِمَامُ والمَأْمُومُ، بِالحَثِّ وَالتَّوَاصِيْ، وَلٰكِنْ يُحْذَرُ الإِيْذَاءُ، وَيُدْفَعُ العَنَتُ؛ وَهـٰذَا مِنْ فِقْهِ المُصَلِّي وَحِكْمَتِهِ.

الأَمْرُ الخَامِسُ: لُبُّ الصَّلاَةِ وَرُوحُهَا؛ أَلاَ وَهُوَ الخُشُوعُ فِيْها؛ يَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾[المؤمنون]؛ فَأَيْنَ الخُشُوعُ عِنْدَ أُوْلـٰئِكَ المُتكَاسِلِيْنَ عَنْهَا المُسْتَثْقِلِيْنَ لَهَا، الَّذِيْنَ يَتَضَايَقُونَ وَيَتَبَرَّمُونَ وَيَـوَدُّونَ الرَّاحَةَ مِنْهَا؟! وَأَيْنَ الخُشُوعُ عِنْدَ أُوْلَـئِكَ المُتَشَاغِلِيْنَ فِيْهَا؟! صَلاَتُهُمْ عَبَثٌ وَحَرَكَةٌ، التِفَاتٌ وَتَمَايُلٌ، نَقْرٌ وَعَجَلَةٌ، قُلُوبُهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ تَهِيمُ، وَعُقُولُهُمْ فِي كُلِّ مَكَانٍ تَسْرَحُ، فَصَلاَةٌ كَهـٰذِهِ خِدَاجٌ[2] غَيْرُ تَمَامٍ.

فَوَاجِبُ المُصَلِّي: أَنْ يُلاَزِمَ الخُشُوعَ وَحُضُورَ القَلْبِ، وَأَنْ يَأْخُذَ بِالأَسْبَابِ الَّتِيْ تُعِيْنُهُ عَلَىٰ ذٰلِكَ، وَيَحْذَرَ الصَّوارِفَ عَنْهُ.

---

(١) رواه البخاري (٧١٧)، ومسلم (٤٣٦)؛ من حديث النعمان بن بشير، رضي الله عنهما.

(٢) خِدَاجٌ، أَيْ: نُقْصَانٌ. «اللسان» «خدج».



وَالطُّمَأْنِينَةُ - أَيُّهَا المُصَلُّونَ - رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الصَّلَاةِ، لَا تَصِحُّ صَلَاةٌ إِلَّا بِهِ، وَقَدِ ابْتُلِيَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ - لِضَعْفِ الإِيمَانِ، وَقِلَّةِ الفِقْهِ، وَتَمَكُّنِ الدُّنْيَا فِي النُّفُوسِ - بِالتَّسَاهُلِ فِيهِ - وَالعِيَاذُ بِاللهِ! - وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِلْمُسِيءِ فِي صَلَاتِهِ - لِسُرْعَتِهِ وَعَدَمِ طُمَأْنِينَتِهِ -: «**ارْجِعْ فَصَلِّ؛ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ**»[(١)].

الأَمْرُ السَّادِسُ - الَّذِي يَنْبَغِي التَّنَبُّهُ لَهُ -: وُجُوبُ مُتَابَعَةِ الإِمَامِ؛ يَقُولُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ -: «**إِنَّمَا جُعِلَ الإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ**»[(٢)]؛ فَلَا يَجُوزُ التَّقَدُّمُ عَلَيْهِ وَمُسَابَقَتُهُ، بَلْ إِنَّ ذٰلِكَ قَدْ يَكُونُ سَبَبًا فِي رَدِّ الصَّلَاةِ وَبُطْلَانِهَا، وَقَدْ وَرَدَ الوَعِيدُ الشَّدِيدُ عَلَىٰ مَنْ هَـٰذِهِ حَالُهُ؛ يَقُولُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ - فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ المُتَّفَقِ عَلَيْهِ: «**أَمَا يَخْشَى أَحَدُكُمْ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ قَبْلَ الإِمَامِ أَنْ يُحَوِّلَ اللهُ رَأْسَهُ رَأْسَ حِمَارٍ، أَوْ يَجْعَلَ اللهُ صُورَتَهُ صُورَةَ حِمَارٍ؟!**»[(٣)]؛ قَالَ الإِمَامُ أَحْمَدُ - رَحِمَهُ اللهُ -: «**لَيْسَ لِمَنْ سَبَقَ الإِمَامَ صَلَاةٌ**»[(٤)].

وَأَمْرٌ هَـٰذِهِ خُطُورَتُهُ، وَتِلْكَ عُقُوبَتُهُ: يَنْبَغِي لِلْمُصَلِّي أَنْ يَتَنَبَّهَ لَهُ جَيِّدًا،

---

(١) رواه البخاري (٧٩٣)، ومسلم (٣٩٧)؛ من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٦٨٨)، ومسلم (٤١٢)؛ من حديث عائشة، رضي الله عنها.

(٣) رواه البخاري (٦٩١)، ومسلم (٤٢٧).

(٤) انظر: «المغني» لابن قدامة (٢/ ٢٠٩).



وَلا يَسْتَهْوِيَهُ الشَّيْطَانُ ـ أَعَاذَنَا اللهُ مِنْهُ ـ الَّذِيْ يُرِيْدُ أَنْ يُفسِدَ عَلَى المُصَلِّيْنَ صَلاَتَهُمْ، وَحَالُ كَثِيْرٍ مِنَ المَأْمُومِيْنَ فِي هَـٰذَا الأَمْرِ يُؤْلِمُ وَيُؤْسِفُ، فَاللهُ المُسْتَعَانُ!.

فَلْنَتَّقِ اللهَ ـ يَا عِبَادَ اللهِ ـ فِي أُمُورِنَا عَامَّةً، وَفِي صَلاَتِنَا خَاصَّةً؛ فَإِنَّ حَظَّ المَرْءِ مِنَ الإِسْلاَمِ عَلَىٰ قَدْرِ حَظِّهِ مِنَ الصَّلاَةِ، وَلْنُفَكِّرْ فِيْ حَالِنَا: مَاذَا جَنَيْنَا جَرَّاءَ التَّهَاوُنِ بِشَعَائِرِ الإِسْلاَمِ كُلِّهَا، وَلاَ سِيَّمَا الصَّلاَةُ؟! إِنَّ أُمَّةً لاَ يَقِفُ أَفْرَادُهَا بَيْنَ يَدَي اللهِ فِي الصَّلاَةِ؛ لِطَلَبِ الفَضْلِ والخَيْرِ مِنْهُ ـ لَجَدِيْرَةٌ أَلاَّ تَقِفَ ثَابِتَةً فِي مَوَاقِفِ الخَيْرِ وَالوَحْدَةِ، والنَّصْرِ وَالقُوَّةِ؛ لأَنَّ هَـٰذِهِ كُلَّهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ وَحْدَهُ، فَإِذَا أَصْلَحْنَا مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ اللهِ، أَصْلَحَ اللهُ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ النَّاسِ.

وَإِنَّ مَرَدَّ تَرَدِّيْ كَثِيْرٍ مِنَ الأَوْضَاعِ، فِي شَتَّى البِقَاعِ؛ لِتَرَدِّيْ أَبْنَائِهَا فِي أَوْدِيَةِ المُخَالَفَاتِ، وَعَدَمِ القِيَامِ بِمَا هُوَ مِنْ أَوْجَبِ الوَاجِبَاتِ، أَلاَ وَهُوَ إِقَامَةُ الصَّلاَةِ.

واللهُ المَسْئُوْلُ أَنْ يُصْلِحَ أَحْوَالَ المُسْلِمِيْنَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَيَرْزُقَهُمُ الفِقْهَ فِي دِيْنِهِ، وَالبَصِيْرَةَ فِيْهِ، وَأَنْ يَجْعَلَهُمْ مُحَافِظِيْنَ عَلَىٰ شَعَائِرِ دِيْنِهِمْ، مُعَظِّمِيْنَ لَهَا، قَائِمِيْنَ بِعَمُودِهَا عَلَىٰ خَيْرِ وَجْهٍ؛ إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ.

أَقُولُ قَوْلِي هَـٰذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِيْ وَلَكُمْ وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ، فَاسْتَغْفِرُوْهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.



الخطبة الثانية

الحَمْدُ للهِ وَحْدَهُ، وَأَشْهَدُ أنْ لاَ إِلـٰهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ.

أمّا بعد:

فَاتَّقُوا اللهَ - عِبَادَ اللهِ - اِحْرِصُوا عَلىٰ إِقَامَةِ صَلاتِكُمْ؛ فَإِنَّهَا نُورٌ لَكُمْ فِي الأَرْضِ، وَذُخْرٌ لَكُمْ فِي السَّمَاءِ، وَإِنَّ المُتَأَمِّلَ فِي آيَاتِ التَّنْزِيْلِ لَيَجِدُ أَنَّ الأَمْرَ بِالصَّلاَةِ يَأْتِيْ دَائِمًا بِأُسْلُوبِ الإِقَامَةِ، وَفِي ذٰلِكَ زِيَادَةُ مَعَانٍ عَلَىٰ مُجَرَّدِ الأَدَاءِ؛ لأَنَّ الإِقَامَةَ تَعْنِيْ الإِتْمَامَ وَالعِنَايَةَ[1].

وَإِنَّ مَسْؤُولِيَّةَ المُصَلِّيْنَ لَعَظِيْمَةٌ بِالنِّسْبَةِ لأَنْفُسِهِمْ؛ تعَاهُدًا لَهَا، وَعِنَايَةً بهَا، وَبِالنِّسْبَةِ لِغَيْرِهِمْ مِنْ مَعَارِفَ وَأَقَارِبَ، وَأَبْنَاءٍ وَجِيْرَانٍ؛ مِنْ حَيْثُ أَمْرُهُمْ وَنُصْحُهُمْ فِي هَـٰذَا المَوْضُوعِ العَظِيْمِ، وَعَلىٰ أَئِمَّةِ المَسَاجِدِ دَوْرٌ كَبِيْرٌ؛ لأَنَّهُمْ يَضْطَلِعُونَ بِمُهِمَّةٍ كُبْرَىٰ؛ فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَقُومُوا بِهَا؛ عِنَايَةً بِالصَّلاَةِ، وَتَفْقِيْهًا بِأَحْكَامِهَا وحِكَمِهَا، عَلىٰ حَسَبِ قَوْلِ المُصْطَفَىٰ ﷺ: «**صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي**»[2]، وَلاَبُدَّ مِنْ تَحْقِيْقِ التَّعَاوُنِ بَيْنَ الأَئِمَّةِ وَالمَأْمُومِيْنَ، وَذٰلِكَ بِقِيَامِ كُلٍّ بِرِسَالَتِهِ؛ لِتَتَحَقَّقَ

---

(١) انظر: «اللسان» و«القاموس» (قوم).

(٢) رواه البخاري (٦٣١)؛ من حديث مالك بن الحويرث، رضي الله عنه.



النَّتَائِجُ المَرْجُوَّةُ بِإِذْنِ اللهِ.

بَقِيَ مَلْحَظٌ مُهِمٌّ فِي هَٰذَا المَوْضُوعِ: وَهُوَ أَنَّ المَسَائِلَ الَّتِيْ فِيْهَا سَعَةٌ، وَقَدْ وَقَعَ الخِلاَفُ فِيْهَا بَيْنَ الأَئِمَّةِ، لاَ سِيَّمَا فِي أُمُورِ السُّنَنِ والمُسْتَحَبَّاتِ، لاَ يَنْبَغِيْ ـ أَبَدًا ـ أَنْ تكُونَ مَحَلَّ شِقَاقٍ وَنِزَاعٍ وَتَنَافُرٍ بَيْنَ المُسْلِميْنَ؛ كَمَا لاَ يَلِيْقُ التَّشْدِيْدُ وَالإِنْكَارُ فِيْهَا، وَلا يُنَافِيْ ذٰلِكَ الحِرْصَ عَلى السُّنَّةِ.

فَاتَّقُوا اللّٰهَ ـ عِبَادَ اللهِ ـ وَتَفَقَّهُوا فِي أَحْكَامِ دِيْنِكُمْ.

وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا ـ رَحِمَكُمُ اللهُ ـ عَلَىٰ خَيْرِ مَنْ قَامَ بِالصَّلاَةِ، صَاحِبِ المَقَامِ المَحْمُودِ، والحَوْضِ المَوْرُودِ؛ كَما أَمرَكُمُ اللهُ بِالصَّلاَةِ والسَّلاَم عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب].





الخطبة الأولى

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ، جَعَلَ الخُشُوعَ فِي الصَّلَاةِ سِمَةً مِنْ سِمَاتِ المُؤْمِنِيْنَ، وَطَرِيْقًا للْوُصُولِ إِلىٰ مَرَاتِبِ المُفْلِحِيْنَ، أَحْمَدُهُ تَعَالىٰ وَأَشْكُرُهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلـٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ إِمَامُ المُتَّقِيْنَ، وَأَشْرَفُ الخَاضِعِيْنَ والخَاشِعِيْنَ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِاللهِ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَزْوَاجِهِ والتَّابِعِيْنَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ.

أمّا بعد:

فَيَا أَيُّهَا ٱلْمُسْلِمُونَ، اتَّقُوا اللهَ رَبَّ العَالَمِيْنَ، وَكُونُوا بِدِيْنِكُمْ مُسْتَمْسِكِيْنَ، وَعَلىٰ عَمُودِهِ مُحَافِظِيْنَ، وَفِيْهِ خَاشِعِيْنَ خَاضِعِيْنَ؛ تَسْلُكُوا سَبِيْلَ المُفْلِحِيْنَ، وَهـٰذَا ـ وَٱيْمُ اللهِ! ـ غَايَةُ العَامِلِيْنَ.

عِبَادَ ٱللهِ، إِنَّهُ نَتِيْجَةً لاِرْتِمَاءِ كَثِيْرٍ مِنَ النَّاسِ فِي أَحْضَانِ الدُّنْيَا، والتَّنَافُسِ فِي جَمْعِ حُطَامِهَا، وَانْشِغَالِ القُلُوبِ والهِمَمِ بِهَا، وَنِسْيَانِ

الدَّارِ الحَقِيْقِيَّةِ، وَالغَفْلَةِ عَنِ العَمَلِ لَها؛ فِي هَـٰذِهِ الدَّوَّامَةِ تَنَاسَىٰ بَعْضُ النَّاسِ خَالِقَهُمْ وَرَازِقَهُمْ؛ فَلَمْ يُبَالُوا بِشَرْعِهِ، وَلَمْ يَكْتَرِثُوا لِدِيْنِهِ، وَصَدَقَ فِيْهِمْ قَوْلُ الحَقِّ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ـ: ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ ﴾ [مريم].

وَصِنْفٌ آخَرُ مِنَ النَّاسِ؛ يُؤَدِّيْ الصَّلاَةَ، ولَـٰكِنْ مَع الوُقُوعِ فِي الخَلَلِ، والاِسْتِمْرَارِ في الزَّلَلِ؛ يُصَلُّونَ وَلَـٰكِنْ لاَ تُرَىٰ آثَارُ الصَّلاَةِ عَلَيْهِمْ، لاَ يَتَأَدَّبُونَ بِآدَابِهَا، وَلا يَلْتَزِمُونَ بِأَرْكَانِهَا وَوَاجِبَاتِهَا، صَلاَتُهُمْ صُورِيَّةٌ عَادِيَّةٌ؛ لِإِخْلاَلِهِمْ بِلُبِّهَا وَرُوحِهَا وَخُشُوعِهَا، يُصَلُّونَ أَشْبَاحًا بِلاَ أَرْوَاحٍ، وَقَوَالِبَ بِلاَ قُلُوبٍ، وَحَرَكَاتٍ بِلاَ مَشَاعِرَ وَأَحَاسِيْسَ، صَلاَتُهُمْ مَرْتَعٌ لِلْوَسَاوِسِ والهَوَاجِسِ، يَدْخُلُ الشَّيْطَانُ عَلَىٰ أَحَدِهِمْ وَهُوَ فِي صَلاَتِهِ، فَيَصُولُ وَيَجُولُ بِفِكْرِهِ فِي مَجَالاَتِ الدُّنْيَا؛ يَتَحَرَّكُ وَيَتَشَاغَلُ، وَيَسْتَطِيْلُ وَيَتَثَاقَلُ، وَيَلْتَفِتُ بِقَلْبِهِ وَبَصَرِهِ إِلَىٰ حَيْثُ يُرِيْدُ، فَيَنْفَتِلُ عَنْ صَلاَتِهِ[1]، وَلَمْ يَعْقِلْ مِنْهَا إِلاَّ قَلِيْلاً، بَلْ لعَلَّ بَعْضَهُمْ لاَ يَعْقِلُ مِنْهَا شَيْئًا.

ثُمَّ لاَ تَسْأَلْ عَنِ الأَحْوَالِ، وَسَيِّءِ الأَعْمَالِ بَعْدَ الصَّلاَةِ: فُحْشٌ فِي القَوْلِ، وَإِسَاءَةٌ فِي الفِعْلِ، وَأَكْلٌ لِلْحَرَامِ، وَتَعَسُّفٌ فِي الأَخْلاَقِ[2]، وَإِصْرَارٌ عَلَى المَعَاصِيْ، **وَرُبَّمَا تَسَاءَلَ بَعْضُهُمْ؛** أَلَمْ يَقُلِ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ:

---

(١) انْفَتَلَ عن صلاته، أي: انصَرَفَ عنها. «أساس البلاغة» (فتل).

(٢) أي: تخبُّطٌ فيها على غير هداية مِنْ شَرْعٍ أو عقل. انظر: «أساس البلاغة» (عسف).



﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، فَأَيْنَ نَحْنُ مِنْ هَـٰذِهِ الآيَةِ، فَنَحْنُ نُؤَدِّيْ الصَّلاَةَ، وَلَـٰكِنْ لاَ أَثَرَ لَهَا في حَيَاتِنَا، وَلا ثَمَرَةَ لَهَا فِي وَاقِعِنَا، وَتَغْيِيْرِ أَحْوَالِنَا، وَتَحَسُّنِ مَنَاهِجِنَا وَتَصَوُّرَاتِنَا، وَصَلاَحِ سَائِرِ جَوانِبِ حَيَاتِنَا؟!

وَهُنَا أَقُولُ: إِنَّ السَّبَبَ فِي ذٰلِكَ كُلِّهِ: هُوَ إِخْلاَلُنَا بِرُوحِ الصَّلاَةِ وَلُبِّهَا، أَلاَ وَهُوَ الخُشُوعُ فِيْهَا، فَمَا مَكَانَةُ الخُشُوعِ فِي الصَّلاَةِ؟ وَمَا مَعْنَاهُ؟ وَمَا الأَسْبَابُ الجَالِبَةُ لَهُ، وَالآثَارُ المُتَرَتِّبَةُ عَلَيْهِ؟ هَـٰذَا مَا سَنَتَطَرَّقُ إِلَيْهِ ـ بِحَوْلِ اللهِ ـ بَعْدَ أَنْ تَفَاقَمَ الأَمْرُ، وَعَمَّ التَّقْصِيْرُ فِي ذٰلِكَ، حَتَّىٰ أَصْبَحَ ظَاهِرَةً خَطِيْرَةً تَسْتَحِقُّ الاهْتِمَامَ والمُعَالَجَةَ، عَلَىٰ ضَوْءِ الكِتَابِ والسُّنَّةِ.

إِخْوَةَ الإِسْلَامِ، لَقَدْ مَدَحَ اللهُ المُؤْمِنِيْنَ، وَأَثْنَىٰ عَلَيهِمْ، وَوَصَفَهُمْ بِالخُشُوعِ لَهُ فِي أَجَلِّ عِبَادَاتِهِمْ، وَرَتَّبَ عَلىٰ ذٰلِكَ الفَوْزَ والفَلاَحَ؛ فَقَالَ ـ جَلَّ وَعَلاَ ـ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ [المؤمنون]؛ قَالَ الحَافِظُ ابْنُ كَثِيْرٍ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «أَيْ: قَدْ فَازُوا وَسَعِدُوا وَحَصَلُوا عَلَى الفَلاَحِ»(١)، وَقَالَ ابْنُ رَجَبٍ: «وَأَصْلُ الخُشُوعِ: هُوَ لِيْنُ القَلْبِ ورِقَّتُهُ، وَسُكُونُهُ وَخُضُوعُهُ، وَانْكِسَارُهُ وحُرْقَتُهُ؛ فَإِذَا خَشَعَ القَلْبُ، تَبِعَهُ خُشُوعُ جَمِيْعِ الجَوَارِحِ؛ لأَنَّهَا تَابِعَةٌ لَهُ»، وَقَدْ رَأَىٰ بَعْضُ السَّلَفِ

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٥/ ٤٦١).



رَجُلاً يَعْبَثُ بِيَدِهِ فِي الصَّلاَةِ، فَقَالَ: «**لَوْ خَشَعَ قَلْبُ هَـٰذَا، لَخَشَعَتْ جَوَارِحُهُ!**»[1]؛ رُوِيَ ذٰلِكَ عَنْ حُذَيْفَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ وَسَعِيْدِ بنِ المُسَيِّبِ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ وَيُرْوَىٰ مَرْفُوعًا؛ لَـٰكِنْ بِإِسْنَادٍ لاَ يَصِحُّ[2].

وَفِي مَعْنَى الخُشُوعِ فِي الصَّلَاةِ أَيْضًا: قَالَ عَلِيُّ بنُ أَبِي طَالِبٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ: «**هُوَ الخُشُوعُ فِي القَلْبِ، وَأَنْ تُلِيْنَ لِلْمَرْءِ المُسْلِمِ كَنَفَكَ، وَأَلاَّ تَلْتَفِتَ فِي صَلاَتِكَ يَمِيْنًا وَلاَ شِمالاً**»، وَعَنِ ابْنِ عبَّاسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ [المؤمنون]، قَالَ: «**خَائِفُونَ سَاكِنُونَ**»، وَعَنِ الحَسَنِ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ قَالَ: «**كَانَ خُشُوعُهُمْ فِي قُلُوبِهِمْ؛ فَغَضُّوا بِذٰلِكَ أَبْصَارَهُمْ، وَخَفَضُوا الجَنَاحَ**»، وَقَالَ ابْنُ سِيْرِيْنَ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «**كَانُوا يَقُولُونَ: لاَ يُجَاوِزُ بَصَرُهُ مُصَلاَّه**»[3].

هَـٰذَا هُوَ مَنْهَجُ السَّلَفِ ـ رَحِمَهُمُ اللهُ ـ الَّذِيْنَ كَانَتْ قُلُوبُهُمْ تَسْتَشْعِرُ رَهْبَةَ الوُقُوفِ في الصَّلاَةِ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ، فَتَسْكُنُ وَتَخْشَعُ؛ فَيَسْرِيْ الخُشُوعُ مِنْهَا إِلى الجَوَارِحِ والمَلاَمِحِ وَالحَرَكَاتِ، وَيَغْشَىٰ أَرْوَاحَهُمْ جَلاَلُ اللهِ وَعَظَمَتُهُ، وَهُمْ يَقِفُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَتَخْتَفِيْ مِنْ أَذْهَانِهِمْ جَمِيْعُ الشَّوَاغِلِ عِنْدَمَا يَشْتَغِلُونَ بِمُنَاجَاةِ الجَبَّارِ جَلَّ جَلاَلُهُ، وَيَتَوَارَىٰ عَنْ حِسِّهِمْ فِي تِلْكَ

---

(١) انظر: «الدر المنثور في التفسير بالمأثور» للسيوطي (٥/ ٤).
(٢) «الخشوع في الصلاة» لابن رجب الحنبلي (ص ١٧).
(٣) «تفسير الطبري» (٩/ ١٩٧، ١٩٨).



الحَالَةِ كُلُّ مَا حَوْلَهُمْ، فَيَتَطَهَّرُ وِجْدَانُهُمْ مِنْ كُلِّ دَنَسٍ، وَيَنْفُضُونَ عَنْهُمْ كُلَّ شَائِبَةٍ؛ وَعِنْدَئِذٍ تتَضَاءَلُ المَادِّيَّاتُ، وَتَتَلَاشَىٰ جَمِيْعُ المُغْرِيَاتِ؛ وَحِيْنَئِذٍ تكُونُ الصَّلَاةُ رَاحَةً قَلْبِيَّةً، وَطُمَأْنِيْنَةً نَفْسِيَّةً، وَقُرَّةَ عَيْنٍ حَقِيْقِيَّةً؛ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الحَدِيْثِ الَّذِيْ رَوَاهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ، والنَّسَائِيُّ، عَنْ أَنَسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ: «**وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِيْ فِيْ الصَّلَاةِ**»(١).

وَفِي «المُسْنَدِ»؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**قُمْ يَا بِلَالُ فَأَرِحْنَا بِالصَّلَاةِ**»(٢).

اللهُ أَكْبَرُ! إِنَّهَا الرَّاحَةُ الدَّائِمَةُ لِلنُّفُوسِ المُطْمَئِنَّةِ؛ لِكَيْ تَشْعُرَ مِنْ خِلَالِ أَدَائِهَا أَنَّهَا تُنَاجِيْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَنَّ المُصَلِّيَ حِيْنَمَا يُكَبِّرُ وَيَرْفَعُ يَدَيْهِ إِنَّمَا يُعَظِّمُ اللهَ، وَإِذَا وَضَعَ اليُمْنَىٰ عَلى اليُسْرَىٰ فَهُوَ ذُلٌّ بَيْنَ يَدَيْ مَوْلَاهُ، وَقَدْ سُئِلَ الإِمَامُ أَحْمَدُ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ عَنِ المُرَادِ بِذٰلِكَ؟ فَقَالَ: «**هُوَ ذُلٌّ بَيْنَ يَدَيْ عَزِيْزٍ**»(٣)، وَإِذَا رَكَعَ، فَهُوَ: إِقْرَارٌ بِعَظَمَةِ اللهِ، وَإِذَا سَجَدَ، فَهُوَ: تَوَاضُعٌ أَمَامَ عُلُوِّ اللهِ، تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وَهَكَذَا يَكُونُ المُسْلِمُ فِي صَلَاتِهِ، يُوَثِّقُ الصِّلَةَ بِاللهِ؛ لِيَفُوزَ بِوَعْدِ اللهِ الَّذِيْ لَا يُخْلِفُ المِيْعَادَ؛ أَخْرَجَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ، وَغَيْرُهُ، عَنْ عُثْمَانَ

---

(١) تقدم تخريجه (ص ١٨٤).

(٢) تقدم تخريجه (ص١٨٥).

(٣) انظر: «طبقات الحنابلة» (١/ ٢١٣).



ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَا مِن امْرِئٍ مُسْلِم تَحْضُرُهُ صَلاَةٌ مَكْتُوبَةٌ، فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا، وَخُشُوعَهَا، وَرُكُوعَهَا، إِلاَّ كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ، مَا لَمْ تُؤْتَ كَبِيْرَةٌ؛ وَذٰلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ**»[1].

أَيُّهَا الإِخْوَةُ المُصَلُّونَ، إِنَّ المُصَلِّيَ حَقًّا هُو الَّذِيْ يُقِيْمُ الصَّلاَةَ كَامِلَةَ الفَرَائِضِ وَالأَرْكَانِ، مُسْتوْفِيَةَ الشُّرُوطِ والوَاجِبَاتِ وَالآدَابِ؛ يَسْتَغْرِقُ فِيْهَا القَلْبُ، وَيَتَفَاعَلُ مِنْ خِلاَلِهَا الوِجْدَانُ، وَيُحَافِظُ عَلَيْهَا مُحَافَظَةً تَامَّةً قَدْرَ الطَّاقَةِ، يَبْعَثُهُ عَلىٰ ذٰلِكَ قَلْبٌ يَقِظٌ، وَشُعُورٌ صَادِقٌ، وَإِحْسَاسٌ مُرْهَفٌ، وَضَمِيْرٌ حَيٌّ؛ فَيَنْصَرِفُ بِكُلِّيَّتِهِ إِلى الصَّلاَةِ؛ لأَنَّ الخُشُوعَ فِيْهَا إِنَّمَا يَحْصُلُ لِمَنْ فَرَّغَ قَلْبَهُ لَهَا، وَاشْتَغَلَ بِهَا عَمَّا عَدَاهَا، وَآثَرَهَا عَلىٰ غَيْرِهَا.

وَمَنْزِلَةُ الخُشُوعِ مِنَ الصَّلاَةِ كَمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الجَسَدِ؛ فَالَّذِيْ يَجْعَلُ الصَّلاَةَ مَرْتَعًا للتَّفْكِيْرِ فِي أُمُورِ دُنْيَاهُ، وَمَحَلاًّ لِلْهَوَاجِسِ فِي مَشَاغِلِهِ: قَلْبُهُ فِي كُلِّ وَادٍ، وَهَمُّهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، يَخْتَلِسُ الشَّيْطَانُ مِنْ صَلاَتِهِ، بِكَثْرَةِ التِفَاتِهِ، وَعَبَثِهِ بِمَلاَبِسِهِ وَيَدِهِ، وَرِجْلِهِ وَجَوَارِحِهِ، وَرُبَّمَا أَخَلَّ بِطُمَأْنِيْنَتِهَا وَلَمْ يَعِ مَا قَرَأَ فِيْهَا، فَيُخْشَىٰ أَنْ تُرَدَّ عَلَيْهِ صَلاَتُهُ؛ فَقَدْ وَرَدَ: أَنَّ **أَسْوَأَ النَّاسِ سَرِقَةً الَّذِيْ يَسْرِقُ مِنْ صَلاتِهِ، فَلاَ يُتِمُّ رُكُوعَهَا، وَلاَ سُجُودَهَا، وَلاَ خُشُوعَهَا**[2]، كَمَا وَرَدَ أَنَّ صَلاَةَ مَنْ هَـٰذِهِ حَالُهُ «**تُلَفُّ كَمَا يُلَفُّ الثَّوْبُ الخَلَقُ؛ فَيُضْرَبُ بِهَا وَجْهُ**

---

(١) رواه مسلم (٢٢٨)، وعبد بن حميد (٥٧).

(٢) تقدم تخريجه (ص١٨٧).

صَاحِبِهَا»[1] عِيَاذًا بِاللهِ!.

أُمَّةَ الإِسْلَامِ، إِنَّهُ لَمَّا طَالَ بِالنَّاسِ الأَمَدُ، وَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ، وَأَسَاءَ كَثِيْرٌ مِنْهُمْ فَهْمَ شَعَائِرِ الإِسْلَامِ ـ أَصْبَحْتَ تَرَىٰ مَنْ يُخِلُّ بِبَعْضِ الشُّروطِ وَالأَرْكَانِ وَالوَاجِبَاتِ؛ فَلَمْ تُؤْتِ الصَّلاةُ ثَمَرَتَهَا فِي قُلُوبِ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، وَلَمْ تُؤَثِّرْ فِي حَيَاتِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُؤَدِّيْهَا وَلَـٰكِنْ لاَ تَنْهَاهُ عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ، وَلا تَمْنَعُهُ مِمَّا يَخْدِشُ العَقِيْدَةَ، أَوْ يُخَالِفُ الحَقَّ، أَوْ يُنَاقِضُ مَبَادِىءَ الإِسْلَامِ، وَلاَ تَمْنَعُهُ مِنْ تَعَاطِيْ الرِّبَـا والرِّشْوَةِ، وَشُرْبِ المُسْكِرَاتِ، وَتَعَاطِيْ المُخَدِّرَاتِ، وَمَا إِلىٰ ذٰلِكَ مِنَ المُحَرَّمَاتِ، وَلاَ يَتورَّعُ عَنْ ظُلْمِ العِبَادِ وَغِشِّهِمْ، وَإِيْقَاعِ الأَذَىٰ بِهِمْ، هَلْ أُوْلَـٰئِكَ قَدْ أَقَامُوا الصَّلاَةَ، وَأَدَّوْا حَقَّهَا؟!

وَاللهِ! لَوْ فَعَلُوا ذٰلِكَ، لاَنْتَهَوْا عَنْ كُلِّ مُحَرَّمٍ، وَلأَقْلَعُوا عَنْ كُلِّ مَا يُخَالِفُ شَرْعَ اللهِ جَلَّ جَلاَلُهُ، وَلَكِنَّهُمْ أَضَاعُوا جَوْهَرَ الصَّلاَةِ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ! رَوَى التِّرْمِذِيُّ، وَغَيْرُهُ، عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ؛ أَنَّ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: **«أَوَّلُ عِلْمٍ يُرْفَعُ مِنَ النَّاسِ: الخُشُوعُ؛ يُوشِكُ أَنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَ الْجَمَاعَةِ، فَلاَ تَرَىٰ فِيْهِ رَجُلاً خَاشِعًا»**[2]؛ فَاللهُ المُسْتَعَانُ!

---

(١) رواه الطيالسي (٥٨٦)، والطبراني في «الأوسط» (٣٠٩٥)؛ من حديث عبادة وأنس، رضي الله عنهما.

(٢) رواه الدارمي (٢٩٦)، والترمذي (٢٦٥٣)، والحاكم (١/ ٩٩).



أَيُّهَا ٱلْمُسْلِمُونَ، مَا هِيَ حَالُنَا اليَوْمَ معَ هَـٰذِهِ الفَرِيْضَةِ العَظِيْمَةِ؟! أَجْسَادٌ تَهْوِيْ إِلى الأَرْضِ، وَقُلُوبٌ غَافِلَةٌ، وَأَفْئِدَةٌ مُتَعَلِّقَةٌ بِالدُّنْيَا - إلاَّ مَنْ رَحِمَ اللهُ!- فَهَلْ مِنْ عَوْدَةٍ صَادِقَةٍ - أَيُّهَا المُسْلِمُونَ - إِلىٰ تَرَسُّمِ خُطَا المُصْطَفَىٰ ﷺ فِي هَـٰذِهِ الفَرِيْضَةِ العَظِيْمَةِ وَغَيْرِهَا مِن فَرَائِضِ الإِسْلَامِ؟! نَرْجُو ذٰلِكَ، وَمَا هُوَ عَلَى اللهِ بِعَزِيْزٍ!.

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ: ﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الحديد].

أَقُولُ قَوْلِيْ هَـٰذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيْمَ الجَلِيْلَ لِيْ وَلَكُمْ وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ، فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيْمُ.



الخطبة الثانية

الحَمْدُ للهِ الحَكِيْمِ العَلِيْمِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلـهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيْمُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ، صَلاَةً وَسَلاَمًا كَامِلَيْنِ مُتَلاَزِمَيْنِ إِلىٰ يَوْمِ الدِّيْنِ.

أمّا بعد:

فَاتَّقُوا اللهَ ـ عِبَادَ اللهِ ـ وَعَظِّمُوا شَعَائِرَ دِيْنِكُمْ، وَاسْتَحْضِرُوا فِيْهَا عَظَمَةَ بَارِئِكُمْ جَلَّ وَعَلاَ، وَفَرِّغُوا قُلُوبَكُمْ مِنَ الشَّوَاغِلِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالعَلاَئِقِ المَادِّيَّةِ، وَأَقِيْمُوا صَلاَتَكُمْ بِقُلُوبٍ حَاضِرَةٍ خَاشِعَةٍ.

وَاعْلَمُوا ـ رَحِمَكُمُ اللهُ ـ أَنَّ أَكْبَرَ مَا يُعِيْنُ عَلى الخُشُوعِ فِي الصَّلاَةِ: حُضُورُ القَلْبِ فِيْهَا، وَاسْتِشْعَارُ عَظَمَةِ وَجَلاَلِ الخَالِقِ جَلَّ وَعَلاَ، وَتَصْفِيَةُ القُلُوبِ مِنَ الصَّوَارِفِ عَنِ اللهِ والدَّارِ الآخِرَةِ، والتَّخَفُّفُ مِنْ شَوَاغِلِ الدُّنْيَا، وَعِمَارَةُ القُلُوبِ بِالإِيْمَانِ، وَسَدُّ مَنَافِذِ الشَّيْطَانِ.

وَمِمَّا يُعِيْنُ عَلىٰ ذٰلِكَ أَيْضًا: قَصْرُ النَّظَرِ عَلى مَوْضِعِ السُّجُودِ، وَوَضْعُ اليَدِ اليُمْنَىٰ عَلى اليُسْرَىٰ حَالَ القِيَامِ، والتَّدَبُّرُ فِيْمَا يُقْرَأُ مِنَ القُرْآنِ وَفِيْمَا يُرَدَّدُ مِنَ الأَدْعِيَةِ، وَعَدَمُ الالْتِفَاتِ، وَمُرَاعَاةُ الطُّمَأْنِيْنَةِ، وَالحَذَرُ مِنَ العَجَلَةِ والمُسَابَقَةِ، والعَبَثِ والحَرَكَةِ.

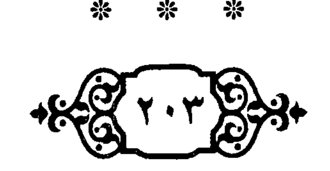


كُلُّ ذٰلِكَ ـ مَعَ تَوْفِيْقِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ـ مِنَ الأَسْبَابِ الَّتِيْ تُعِيْنُ المُسْلِمَ عَلَى الخُشُوعِ فِي صَلَاتِهِ؛ **وَبِذٰلِكَ يُحَلُّ الإِشْكَالُ الَّذِيْ يَشْغَلُ بَالَ كَثِيْرٍ مِنَ المُصَلِّيْنَ.**

فَعَلَىٰ المُسْلِمِ: أَنْ يُرَوِّضَ نَفْسَهُ عَلَىٰ ذٰلِكَ، وَمَتَىٰ عَلِمَ اللهُ مِنْ عَبْدِهِ الرَّغْبَةَ فِي الخَيْرِ، وَفَّقَهُ لَهُ، وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ، وَلَوْ أَنَّ المُسْلِمِيْنَ اليَوْمَ أَدَّوْا هٰذِهِ الصَّلَاةَ ـ كَمَا سَنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ: لَكَانَتْ ـ بِتَوْفِيْقِ اللهِ ـ انْطِلَاقَةً جَادَّةً لِإِصْلَاحِ أَوْضَاعِهِمْ، وَتَغْيِيْرِ أَحْوَالِهِمْ، وَسَلَامَةِ مُجْتَمَعَاتِهِمْ، وَطَرِيْقًا إِلى النَّصْرِ عَلىٰ أَعْدَائِهِمْ، وَتَحْقِيْقِ مَا يَصْبُونَ إِلَيْهِ فِي دُنْيَاهُمْ وَأُخْرَاهُمْ؛ لِأَنَّ فِيْ تَطْبِيْقِ شَعَائِرِ الإِسْلَامِ السِّلَاحَ القَوِيَّ، والدِّرْعَ الوَاقِيَ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ؛ لِأَنَّ الدَّافِعَ إِلَيْهِ قُوَّةُ الإِيْمَانِ، وَصِدْقُ اليَقِيْنِ وَالشَّوْقُ إِلى الآخِرَةِ.

أَلَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا ـ رَحِمَكُمُ اللهُ ـ عَلى النَّاصِحِ الأَمِينِ، سَيِّدِ الأَوَّلِيْنَ وَالآخِرِيْنَ، وأَفْضَلِ الخَاشِعِيْنَ؛ كَمَا أَمَرَكُمُ اللهُ رَبُّ العَالَمِيْنَ بِالصَّلَاةِ والسَّلَامِ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب].

* * *



الخطبة الأولى

إِنَّ الحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَهْدِيْهِ، وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَتُوبُ إِلَيْهِ، وَنُثْنِيْ عَلَيْهِ الخَيْرَ كُلَّهُ، لاَ نُحْصِيْ ثَنَاءً عَلَيْهِ هُوَ سُبْحَانَهُ كَمَا أَثْنَىٰ عَلَىٰ نَفْسِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰـهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ؛ جعلَ «**يَوْمَ الجُمُعَةِ**» مِنْ أَفْضَلِ الأَيَّامِ، وَخَصَّهُ بِالشَّرَفِ والفَضْلِ لأُمَّةِ الإِسْلَامِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ سَيِّدُ الأَنَامِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ الكِرَامِ، وَمَنْ تَبِعَ هُدَاهُمْ وَاقْتَفَىٰ أَثَرَهُمْ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامِ لِلْمَلِكِ العَلاَّمِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيْمًا كَثِيْرًا عَلَى التَّمَامِ وَالدَّوَامِ.

أمّا بعد:

فَيَا أَيُّهَا المُسْلِمُونَ، اتَّقُوا اللهَ تَعَالَىٰ حَقَّ تَقْوَاهُ، وَاشْكُرُوهُ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ لِلإِسْلَامِ، وَجَعَلَكُمْ مِنْ أُمَّةٍ اخْتَصَّهَا بِالفَضَائِلِ، وَهَدَاهَا إِلَىٰ خَيْرِ شِرْعَةٍ، وَأَقْوَمِ مِلَّةٍ؛ فَلِلَّهِ الحَمْدُ والشُّكْرُ والثَّنَاءُ، وَنَسْأَلُهُ تَعَالَىٰ أَنْ يُوْزِعَنَا شُكْرَ نِعَمِهِ.

عِبَادَ اللهِ، لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنَا - مَعْشَرَ المُسْلِمِيْنَ - بِيَوْمٍ عَظِيْمٍ، وَمَوْسِمٍ كَرِيْمٍ، فَضَّلَهُ اللهُ عَلَىٰ سَائِرِ الأَيَّامِ، وَجَعَلَهُ يَوْمَ اجْتِمَاعٍ لِلْمُسْلِمِيْنَ، هَدَى اللهُ

إِلَيْهِ هَـٰذِهِ الأُمَّةَ وَاخْتَصَّهَا بِهِ، وَأَضَلَّ عَنْهُ سَائِرَ الأُمَمِ؛ فَفِي «صَحِيْحِ مُسْلِمٍ» أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «**أَضَلَّ اللهُ عَنِ الجُمُعَةِ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا؛ فَكَانَ لِلْيَهُودِ يَوْمُ السَّبْتِ، وَلِلنَّصَارَىٰ يَوْمُ الأَحَدِ، فَجَاءَ اللهُ بِنَا فَهَدَانَا لِيَوْمِ الجُمُعَةِ**»[1].

فَيَا لَهُ مِنْ يَوْمٍ عَظِيْمٍ، لَهُ مِنَ الخَصَائِصِ والمَزَايَا مَا لَيْسَ لِغَيْرِهِ! يَجْتَمِعُ فِيْهِ المُسْلِمُونَ عَلى الخَيْرِ والذِّكْرِ والصَّلاَةِ فِي الدُّنْيَا؛ لِيَكُونَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ يَوْمَ كَرَامَةٍ وَمَزِيْدٍ وَرِفْعَةٍ؛ رَوَى الإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيْحِهِ»، عَنْ أَبِيْ هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الجُمُعَةِ؛ فِيْهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيْهِ أُدْخِلَ الجَنَّةَ، وَفِيْهِ أُخْرِجَ مِنْهَا**»[2].

أَيُّهَا الإِخْوَةُ المُسْلِمُونَ، إِنَّ مِنْ أَهَمِّ خَصَائِصِ يَوْمِ الجُمُعَةِ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ شَرَعَ لَنَا فِيْهِ اجْتِمَاعًا عَظِيْمًا، لأَدَاءِ صَلاَةِ الجُمُعَةِ؛ فَحُضُورُ هَـٰذِهِ الصَّلاَةِ فَرْضُ عَيْنٍ عَلىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ تَوَفَّرَتْ فِيْهِ الشُّرُوطُ، وَانْتَفَتْ عَنْهُ المَوَانِعُ، وَيَا لَهُ مِنَ اجْتِمَاعٍ مَا أَرْوَعَهُ فِي هَـٰذَا اليَوْمِ المُبَارَكِ!! لِمَا يَتَجَلَّىٰ فِيْهِ مِنْ إِظْهَارِ العُبُودِيَّةِ للهِ وَحْدَهُ، وَلِمَا لَهُ مِنَ الآثَارِ فِي حَيَاةِ المُسْلِمِيْنَ وَعَلى المُجْتَمَعِ الإِسْلاَمِيِّ بِعَامَّةٍ.

فَفِيْ هَـٰذَا الاجْتِمَاعِ: يَتَعَارَفُ المُسْلِمُونَ، وَتَقْوَىٰ رَابِطَةُ العَقِيْدَةِ بَيْنَهُمْ،

---

(١) «صحيح مسلم» (٨٥٦)؛ من حديث أبي هريرة وحذيفة، رضي الله عنهما.

(٢) «صحيح مسلم» (٨٥٤).



وَتَنْصَهِرُ الفَوَارِقُ المَادِّيَّةُ، وَالمَرَاتِبُ الاِجْتِمَاعِيَّةُ، وَالنَّعَرَاتُ[1] القَبَلِيَّةُ، فِي بَوْتَقَةٍ وَاحِدَةٍ، يُصَافُّ الكَبِيْرُ الصَّغِيْرَ، وَيُلْصِقُ الغَنِيُّ كَتِفَهُ بِكَتِفِ الفَقِيْرِ.

وَهَٰذَا مَشْهَدٌ رَائِعٌ، وَمَظْهَرٌ عَظِيمٌ، تَتَجَلَّىٰ فِيهِ صُوَرٌ نَاصِعَةٌ مِنْ وَحْدَةِ المُسْلِمِيْنَ وتَلاَحُمِهِمْ، وَقُوَّةِ تَعَاطُفِهِمْ، وَإِخَائِهِمْ وَتَرَابُطِهِمْ، يَلْتَقُونَ فِي بُيُوتِ اللهِ جَلَّ وَعَلاَ، وعَلَىٰ بِسَاطِ طَاعَتِهِ؛ يَتَحَسَّسُونَ مُشْكِلاَتِهِمْ، وَيَنْظُرُونَ فِي آلاَمِهِمْ، يَقْوَىٰ إِيْمَانُهُمْ، وَتُصْقَلُ قُلُوبُهُمْ، وَتَزِيْدُ طَاعَتُهُمْ، وَيَتَحَرَّكُ فِيهِمُ الشُّعُورُ لِلإِسْلاَمِ، وَتَرِقُّ قُلُوبُهُمْ لِمَا يَسْمَعُونَ مِنَ الذِّكْرِ وَالعِلْمِ والمَوَاعِظِ، عَبْرَ الدَّرْسِ الأُسْبُوعِيِّ المُهِمِّ في خُطْبَةِ الجُمُعَةِ؛ فَيَجِدُّونَ فِي إِصْلاَحِ أَوْضَاعِهِمْ، وَتَحْسِيْنِ أَحوَالِهِمْ؛ لأَنَّهُمْ يَسْمَعُونَ مَا يُقَرِّبُهُمْ إِلَى اللهِ؛ مِنْ تذْكِيرٍ بِوَاجِبٍ فِي جَوانِبِ العَقِيْدَةِ والعِبَادَةِ، والأَخْلاَقِ والتَّرْبِيَةِ، وَمَا إِلَىٰ ذٰلِكَ، أَوْ تَحْذِيْرٍ مِنْ مُنْكَرٍ فِي هَـٰذِهِ الجَوانِبِ، أَوْ عِلاَجٍ لِقَضِيَّةٍ أَوْ مُشْكِلَةٍ اجْتِمَاعِيَّةٍ، أَوْ سِوَاهَا، أَوْ سَمَاعِ مَا يُقرِّبُ إِلَى الآخِرَةِ وَيَدْفَعُ إِلَى العَمَلِ لَهَا؛ فَيَبْقَىٰ أَثَرُ هَـٰذَا الدَّرْسِ فِي نَفْسِ المُسْلِمِ عَلَىٰ مَدَارِ الأُسْبُوعِ، وَتَظْهَرُ ثِمَارُهُ جَلِيَّةً في وَاقِعِهِ وَتَعَامُلِهِ مَعَ مُجْتَمَعِهِ؛ حَيْثُ تُمَثِّلُ انْطِلاَقَةً كُبْرَىٰ لِلْعَمَلِ البَنَّاءِ وَالإِصْلاَحِ الجَادِّ.

مَعَاشِرَ المُسْلِمِيْنَ، لَقَدْ وَرَدَ الفَضْلُ العَظِيْمُ، وَالأَجْرُ العَمِيْمُ، فِي أَدَاءِ

---

(١) النَّعَرَةُ: الْخُيَلاَءُ وَالْكِبْرُ. «اللسان» و«القاموس» (نعر).



هَـٰذِهِ الصَّلاَةِ، لاَسِيَّمَا لِمَنْ تَأَدَّبَ بِآدَابِهَا مِنَ الغُسْلِ والطَّهَارَةِ، والطِّيْبِ والنَّظَافَةِ، وَحُسْنِ اللِّبَاسِ والهَيْئَةِ، ثُمَّ الاسْتِمَاعِ وَالإِنْصَاتِ إِلى الخُطْبَةِ؛ رَوَى الإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»، مِنْ حَدِيْثِ أَبِيْ هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ، ثُمَّ أَتَى الجُمُعَةَ، فَاسْتَمَعَ وَأَنْصَتَ ـ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجُمُعَةِ، وَزِيَادَةُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ»**[1]، وَفِي «صَحِيْحِ مُسْلِمٍ» ـ أيضًا ـ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَال: **«الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ، والجُمُعَةُ إِلى الجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلىٰ رَمضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذا اجْتَنَبَ الكَبَائِرَ»**[2].

كَمَا وَرَدَ الوَعِيْدُ الشَّدِيْدُ، والتَّرْهِيْبُ الرَّهِيْبُ، عَلىٰ مَنْ تَسَاهَلَ فِي هَـٰذَا الوَاجِبِ العَظِيْمِ، وَلَمْ يَرْفَعْ بِهِ رَأْسًا؛ فَفِيْ «صَحِيْحِ مُسْلِمٍ»؛ أَنَّهُ ـ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ ـ قَال علىٰ أعْوَادِ مِنْبَرِهِ: **«لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الجُمُعَاتِ[3]، أَوْ لَيَخْتِمَنَّ اللهُ عَلىٰ قُلُوبِهِمْ، ثُمَّ لَيَكُونُنَّ مِنَ الغَافِلِيْنَ»**[4]، وَفِيْ حَدِيْثٍ آخَرَ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: **«مَنْ تَرَكَ ثَلاَثَ جُمَعٍ تَهَاوُنًا، طَبَعَ اللهُ عَلىٰ قَلْبِهِ»**[5]،

---

(١) «صحيح مسلم» (٨٥٧).

(٢) «صحيح مسلم» (٢٣٣).

(٣) وَدْعُهُمُ الجُمُعَاتِ، أي: تَرْكُهُمْ إياها والتخلُّفُ عنها. «اللسان» (ودع).

(٤) «صحيح مسلم» (٨٦٥)؛ من حديث ابن عمر، وأبي هريرة، رضي الله عنهما.

(٥) رواه أحمد (٣/ ٤٢٤ـ٤٢٥)، والترمذي (٥٠٠)، وأبوداود (١٠٥٢)، والنسائي (٣/ ٨٨)، وابن ماجه (١١٢٥)؛ من حديث أبي الجعد الضمري، رضي الله عنه.



وَفي رِوَايَةٍ: «فَهُوَ مُنَافِقٌ»[1]، والعِيَاذُ باللهِ!

إِخْوَةَ الإِسْلَامِ، لَقَدْ كَانَ مِنْ هَدْيِ نَبِيِّكُمْ ﷺ: تَعْظِيْمُ هَـٰذَا اليَوْمِ وَتَشْرِيْفُهُ، وَتَخْصِيْصُهُ بِعِبَادَاتٍ وَأَعْمالٍ عَظِيْمَةٍ:

فَمِنْ ذَٰلِكَ: الحَثُّ عَلىٰ كَثْرَةِ الصَّلاَةِ عَلَيْهِ ﷺ فِي هَـٰذَا اليَوْمِ؛ فَعَنْ أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الجُمُعَةِ؛ فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ منَ الصَّلاَةِ فِيْهِ؛ فَإِنَّ صَلاَتَـكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ**»[2].

وَمِنْ ذَٰلِكَ: الإِكْثَارُ مِنَ العِبَادَةِ والذِّكْرِ، وَقِرَاءَةِ القُرْآنِ والدُّعَاءِ؛ بُغْيَةَ إِدْرَاكِ سَاعَةِ الإِجَابَةِ؛ فَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ»؛ أَنَّهُ ﷺ ذَكَرَ يَوْمَ الجُمُعَةِ، فَقَالَ: «**فِيْهِ سَاعَةٌ لاَ يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي يَسْأَلُ اللهَ تَعَالَىٰ شَيْئًا، إِلاَّ أَعْطَاهُ إِيَّاهُ**»[3]، وَقَدْ رَوَىٰ مُسْلِمٌ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ فِي «صَحِيْحِهِ»؛ أَنَّهَا «**مَا بَيْنَ أَنْ يَجْلِسَ الإِمَامُ إِلىٰ أَنْ تُقْضَى الصَّلاَةُ**»[4]، وَقَالَ كَثِيْرٌ مِنَ العُلَمَاءِ: إِنَّهَا آخِرُ سَاعَةٍ مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ[5].

---

(١) رواه ابن خزيمة (١٨٥٧)، وابن حبان (٢٥٨).

(٢) رواه أحمد (٤ / ٨)، وأبو داود (١٠٤٧، ١٥٣١)، والنسائي (٣/ ٩١).

(٣) «صحيح البخاري» (٩٣٥)، و«صحيح مسلم» (٨٥٢)؛ من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

(٤) «صحيح مسلم» (٨٥٣)؛ من حديث أبي موسى، رضي الله عنه.

(٥) انظر: «فتح الباري» (٢/ ٤١٥ـ٤٢٢).

كَمَا يُسَنُّ المُبَادَرَةُ والتَّبْكِيْرُ إِلَى المَسْجِدِ يَوْمَ الجُمُعَةِ؛ فَفِيْ «الصَّحِيْحَيْنِ»؛ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «**مَنْ رَاحَ** - يَعْنِي: فِي السَّاعَةِ الأُوْلَىٰ - **فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً**»[1]، حَتَّىٰ ذَكَرَ فِي السَّاعَةِ الخَامِسَةِ: بَيْضَةً، فَانْظُرْ - رَحِمَكَ اللهُ - عِظَمَ التَّفَاوُتِ فِيْ الأَجْرِ بَيْنَ المُبَادِرِيْنَ والمُتَأَخِّرِيْنَ!

وَمِمَّا يَتَأَكَّدُ فِي هَذَا اليَوْمِ العَظِيْمِ: العِنَايَةُ بِنَظَافَةِ الظَّاهِرِ والبَاطِنِ، وَمُرَاعَاةُ الطَّهَارَةِ الحِسِّيَّةِ والمَعْنَوِيَّةِ.

وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضًا: ضَرُورَةُ التَّأَدُّبِ مَع المُصَلِّيْنَ؛ وَذٰلِكَ بِالحَذَرِ مِنَ التَّفْرِيْقِ بَيْنَهُمْ، وَإِيْذَائِهِمْ وَتَخَطِّيْ رِقَابِهِمْ؛ فَقَدْ رَأَى النَّبِيُّ ﷺ رَجُلاً يَتَخَطَّىٰ رِقَابَ النَّاسِ، فَزَجَرَهُ، وَقَالَ: «**اجْلِسْ؛ فَقَدْ آذَيْتَ وَآنَيْتَ**[2]»[3].

كَذَٰلِكُمْ - يَا عِبَادَ اللهِ - يَجِبُ الإِنْصَاتُ إِذَا تَكَلَّمَ الإِمَامُ، وَيَحْرُمُ الحَدِيثُ حَالَ الخُطْبَةِ، وَالتَّشَاغُلُ عَنْهَا؛ يَقُولُ ﷺ: «**إِذَا قُلْتَ لِصَاحِبِكَ**:

---

(١) «صحيح البخاري» (٨٨١)، و«صحيح مسلم» (٨٥٠)؛ من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

(٢) «آذيتَ» أي: آذيت الناس بالتخطِّي، و«آنيتَ» أي: أَخَّرتَ المجيء وأَبطأتَ. قاله السندي في حاشيته على «مسند أحمد»؛ انظر: «مسند الإمام أحمد» (٢٩/ ٢٢٢).

(٣) رواه أحمد (٤ / ١٨٨، ١٩٠)، وأبوداود (١١١٨)، والنسائي (٣/ ١٠٣)؛ من حديث عبدالله بن بسر، رضي الله عنه.



أَنْصِتْ؛ وَالإِمَامُ يَخْطُبُ ـ فَقَدْ لَغَوْتَ»[1]، وَيَقُولُ ـ أَيْضًا ـ: «وَمَنْ مَسَّ الْحَصَىٰ فَقَدْ لَغَا»[2]، وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: «وَمَنْ تَكَلَّمَ، فَلاَ جُمُعَةَ لَهُ»[3].

أُمَّةَ الإِسْلَامِ، هَـٰذِهِ جُمْلَةٌ مِنْ خَصَائِصِ هَـٰذَا اليَوْمِ المُبَارَكِ وفَضَائِلِهِ، ومَا يَنْبَغِيْ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ المُسْلِمُ فِيْهِ، وَبِنَظْرَةِ تَأَمُّلٍ فِيْ حَياتِنَا، وَوَاقِعِ كَثِيْرٍ مِنَّا تُجاهَ هَـٰذَا اليَوْمِ المُبَارَكِ: نُدْرِكُ تَصَوُّرًا جَلِيًّا لِزُهْدِ بَعْضِ النَّاسِ فِيْ الخَيْرِ الَّذِيْ أَرَادَ اللهُ لَهُمْ، وَغَفْلَتِهِمْ عَنْ ثَوَابِ الآخِرَةِ، وَانْشِغَالِهِمْ بِزُخْرُفِ الحَيَاةِ؛ مِمَّا لَهُ الأَثَرُ البَالِغُ فِي قَسْوَةِ القُلُوبِ، وَتَرَدِّيْ الأَحْوَالِ؛ فَقَدْ بَلَغَ بِبَعْضِ النَّاسِ الاِسْتِكْبَارُ والمُحَادَّةُ لِشَرْعِ اللهِ؛ بِحَيْثُ يَسْمَعُونَ المُنَادِيَ لِصَلاَةِ الجُمُعَةِ وَغَيرِهَا فَلاَ يَرْفَعُونَ بِذٰلِكَ رَأْسًا، وَهَـٰؤُلاَءِ عَلَىٰ خَطَرٍ عَظِيْمٍ، وَفِيْ مَرْتَعٍ وَخِيْمٍ.

وَمِنَ النَّاسِ: مَنْ يُزَيِّنُ لَهُ الشَّيْطَانُ التَّأَخُّرَ عَنْ صَلاَةِ الجُمُعَةِ، فَلاَ يَأْتِيْ إِلاَّ عِنْدَ الخُطْبَةِ، أَوْ في أَثْنَائِهَا، أَوْ عِنْدَ إِقَامَةِ الصَّلاَةِ، وَرُبَّمَا يَقعُونَ فِيْ إِيْذَاءِ عِبَادِ اللهِ، وَتَخَطِّي رِقَابِهِمْ، هَـٰؤُلاءِ قَدْ فَوَّتُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ خَيْرًا كَثِيْرًا، وَنَفْعًا عَظِيْمًا، وَحَرَمُوا أَنْفُسَهُمْ ثَوابَ اللهِ، وَوَقَعُوا في أَذِيَّةِ عِبَادِ اللهِ.

وَمِنْهُمْ: مَنْ إِذَا دَخَلَ المَسْجِدَ، تَبَرَّمَ وَتَثَاقَلَ، وَمَلَّ الخَيْرَ وَالنَّفْعَ

---

(١) رواه البخاري (٩٣٤)، ومسلم (٨٥١)؛ من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

(٢) «صحيح مسلم» (٨٥٧)؛ من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

(٣) رواه أحمد (١/ ٩٣)، وأبوداود (١٠٥١)؛ من حديث علي، رضي الله عنه.



والفَائِدَةَ وَتكَاسَلَ، وَوَدَّ الخَلاَصَ مِنَ الخُطْبَةِ والصَّلاَةِ، وَنَسِيَ أَنَّهُ في خَيْرٍ وَعَلىٰ خَيْرٍ.

وَمِنَ النَّاسِ: مَنْ يُسَبِّبُ لِنَفْسِهِ الحِرْمَانَ والخَسَارَةَ، وَلاَ يُبَالِيْ بِآدَابِ الجُمُعَةِ، ولاَ بِحُرْمَةِ بُيُوتِ اللهِ، فَيَتَكَلَّمُ وَلاَ يُنْصِتُ، وَيَعْبَثُ وَيَتَشَاغَلُ بِنَفْسِهِ وَأَوْلاَدِهِ ومُجَاوِرِيْهِ.

وَبَعْضُهُمْ: يَجْعَلُ المَسْجِدَ مَحَلاًّ لِلنُّزْهَةِ، فَتَجِدُهُ يَتَجَاذَبُ أَطْرَافَ الأَحَادِيْثِ معَ مُحِبِّيْهِ، وَرُبَّمَا فَعَلَ ذٰلِكَ وَالإِمَامُ يَخْطُبُ!

وَبَعْضُهُمْ: لاَ يُبَالِيْ بِالنَّظَافَةِ مِنَ الرَّوَائِحِ المُسْتَكْرَهَةِ في بَدَنِهِ وَثَوْبِهِ؛ فَيُؤْذِيْ مَلاَئِكَةَ اللهِ، وَيُهَوِّشُ علىٰ عِبَادِ اللهِ، وَقَدْ يَخْرُجُ أُولٰئِكَ مِنَ المَسْجِدِ كَمَا دَخَلُوهُ دُوْنَ نَفْعٍ وَلاَ فَائِدَةٍ.

وَمِنَ النَّاسِ ـ والعِيَاذُ بِاللهِ ـ: مَنْ لاَ يُصَلِّي إِلاَّ الجُمُعَةَ، وَلاَ يُبَالِيْ بِصَلاَةِ الجَمَاعَةِ، وَقَدْ يَدَّعِيْ ـ جَهْلاً وَسَذَاجَةً ـ أَنَّهُ بِحُضُورِهِ الجُمُعَةَ يُكَفَّرُ عَنْهُ مَا بَيْنَ الجُمُعَتَيْنِ، وَلٰكِنَّ هٰذَا مُقَيَّدٌ بِاجْتِنَابِ الكَبَائِرِ، وَأَيُّ كَبِيْرَةٍ بَعْدَ الشِّرْكِ أَعْظَمُ مِنْ تَرْكِ الصَّلاَةِ؟!

وَبَعْضُ النِّسَاءِ ـ هَدَاهُنَّ اللهُ ـ: يأْتِيْنَ إِلى الجُمُعَةِ، ولٰكنْ بِثِيَابِ الجَمَالِ والفِتْنَةِ، وحَالِ التَّبَرُّجِ والسُّفُورِ، والزِّينَةِ والطِّيْبِ، وَهٰذَا لاَ يَجُوزُ؛ لأَنَّهُ ﷺ رَخَّصَ لِلنِّسَاءِ فِي حُضُورِ المسَاجِدِ، وَقَيَّدَ ذٰلِكَ بِقَوْلِهِ:



«وَلْيَخْرُجْنَ تَفِلاتٍ»[1] أَيْ: غَيْرَ مُتَطَيِّبَاتٍ[2].

وَبَعْضُ المُصَلِّيْنَ: يَتْرُكُ أَوْلادَهُ يَعْبَثُونَ فِي المَسْجِدِ، وَيُؤْذُونَ الآخَرِيْنَ؛ كَمَا أَنَّ بَعْضَ البَاعَةِ يَمْضِيْ فِي بَيْعِهِ وَعَرْضِهِ لِتِجَارَتِهِ، وَيُفَوِّتُ عَلَىٰ نَفْسِهِ أَجْرَ المُتَاجَرَةِ مَعَ اللهِ، وَبَعْضُ النَّاسِ يَجْعَلُ مِنْ هَـٰذَا اليَوْمِ يَوْمَ لَهْوٍ وَلَعِبٍ وَغَفْلَةٍ، وَانْهِمَاكٍ فِي المَلَذَّاتِ، وَعُكُوفٍ عَلَى المُلْهِيَاتِ، أَوْ يَوْمَ سَهَرٍ وَسَمَرٍ وَنُزْهَةٍ، لاَ تَخْلُو مِنَ المُحَرَّمَاتِ.

فَاتَّقُوا اللهَ ـ عِبَادَ اللهِ ـ وَاعْرِفُوا لِهَـٰذَا اليَوْمِ العَظِيْمِ مَكَانَتَهُ وَحُرْمَتَهُ، وَاعْمُرُوهُ وَسَائِرَ الأَيَّامِ بِالعَمَلِ الصَّالِحِ؛ تَكُونُوا مِنَ المُفْلِحِيْنَ.

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الجمعة].

أَقُولُ قَوْلِيْ هَـٰذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِيْ وَلَكُمْ وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ، فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيْمُ.

---

(١) رواه أحمد (٢/٤٣٨)، وأبوداود (٥٦٥)، وابن حبان (٢٢١٤)؛ من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

(٢) انظر: «اللسان» (تفل).



الخطبة الثانية

الحَمْدُ للهِ عَلَىٰ مَنِّهِ وَإِحْسَانِهِ، وَالشُّكْرُ لَهُ عَلى تَوْفِيْقِهِ وَإِنْعَامِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَأَتْبَاعِهِ.

أمّا بعد:

فَاتَّقُوا اللهَ ـ عِبَادَ اللهِ ـ وَاشْكُرُوهُ أَنْ وَفَّقَكُمْ لِهَـٰذَا اليَوْمِ العَظِيْمِ، وَهَدَاكُمْ لَهُ. **وَمِنْ شُكْرِ هَذِهِ النِّعْمَةِ:** صَرْفُ سَاعَاتِ هَـٰذَا اليَوْمِ وَلَحَظَاتِهِ فِي العَمَلِ الصَّالِحِ المَشْرُوعِ؛ مِنَ الصَّلاَةِ والذِّكْرِ، والاسْتِغْفَارِ وَالدُّعَاءِ وَقِرَاءَةِ القُرْآنِ، وَكَثْرَةِ الصَّلاَةِ عَلىٰ رَسُولِ الهُدَىٰ ﷺ، وَالبُعْدِ عَنْ جَمِيْعِ المَعَاصِيْ والسَّيِّئَاتِ.

فَفِيْ هَـٰذَا العَمَلِ اسْتِثْمَارٌ لِهَـٰذَا المَوْسِمِ المُبَارَكِ، الَّذِيْ فِيهِ وَفِي أَمْثَالِهِ مِنَ المَوَاسِمِ الشَّرْعِيَّةِ، كِفَايَةٌ عَمَّا اسْتَحْسَنَتْهُ عُقُولُ البَشَرِيَّةِ، وَاسْتَحْدَثَتْهُ أَهْوَاؤُهُمُ الرَّدِيَّةُ؛ مِمَّا يَقْدَحُ فِي تَجْرِيْدِ المُتَابَعَةِ لِلمُصْطَفَىٰ ﷺ، الَّذِيْ كَانَ يُكْثِرُ التَّذْكِيرَ فِيْهِ بِالوَصِيَّةِ الجَامِعَةِ الَّتِي يَجِبُ أَنْ يَعِيَهَا المُسْلِمُونَ اليَوْمَ؛ لأَنَّهَا تُمَثِّلُ مِنْهَاجًا يَجِبُ أَنْ يَسِيرَ عَلَيْهِ المُسْلِمُ فِي حَيَاتِهِ كُلِّهَا؛ لِيَعْبُدَ اللهَ عَلَىٰ بَصِيْرَةٍ؛ فَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ فِي خُطْبَةِ الجُمُعَةِ:



«أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ خَيْرَ الحَدِيْثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ»[1].

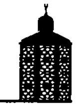
وَاعْلَمُوا - رَحِمَكُمُ اللهُ - أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ أَمَرَكُمْ بِالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ بِأَمْرٍ عَظِيْمٍ، لاَسِيَّمَا فِي هَـٰذَا اليَوْمِ المُبَارَكِ، أَلاَ وَهُوَ كَثْرَةُ الصَّلاَةِ والسَّلاَم عَلَىٰ عَبْدِهِ المُصْطَفَىٰ، وَرَسُولِهِ المُجْتَبَىٰ؛ فَقَالَ تَعَالَىٰ قَوْلاً كَرِيْمًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب]، وَقَدْ قَالَ ﷺ: «مَنْ صَلَّىٰ عَلَيَّ وَاحِدَةً، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَشْرًا»[2].

* * *

(١) رواه أحمد (٣/ ٣٧١)، ومسلم (٨٦٧)؛ من حديث جابر، رضي الله عنه.

(٢) تقدم تخريجه (ص١١٦).





الخطبة الأولى

إِنَّ الحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَهْدِيْهِ، وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنتُوبُ إِلَيْهِ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ، فَرَضَ الزَّكَاةَ عَلَىٰ عِبَادِهِ تَزْكِيَةً لِلنُّفُوسِ، وَتَطْهِيرًا لِلقُلُوبِ، وَتَنْمِيَةً لِلأَمْوَالِ، وَسَدًّا لِعَوَزِ[1] المُحْتَاجِيْنَ، وَتَحْقِيْقًا لِرُوحِ المَوَدَّةِ وَالإِخَاءِ، وَالرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ والصَّفَاءِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَمُصْطَفَاهُ وَخَلِيلُهُ، وَمُجْتَبَاهُ وَحَبِيْبُهُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ والتَّابِعِيْنَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلىٰ يَوْمِ الدِّيْنِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيْمًا كَثِيْرًا.

أمَّا بعد:

فَيَا أَيُّهَا المُسْلِمُونَ، اتَّقُوا اللهَ جَلَّ وَعَلاَ، وَاعْلَمُوا أَنَّ دِيْنَكُمُ الإِسْلاَمِيَّ الَّذِيْ مَنَّ اللهُ بِهِ عَلَيْكُمْ، وَرَضِيَهُ لَكُمْ، وَأَكْرَمَكُمْ بِالاِنْتِسَابِ إِلَيْهِ - قَدْ بُنِيَ عَلَىٰ أُسُسٍ مُتَمَاسِكَةٍ وَقَوَاعِدَ مُتَرَابِطَةٍ، إِذَا اخْتَلَّ مِنْها شَيءٌ، تَصَدَّعَ مَا سِوَاهُ؛ رَوَى البُخَارِيُّ وَمسْلِمٌ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا -

---

(١) العَوَزُ: العُدْمُ وَسُوءُ الحال. «اللسان» (عوز).



أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَىٰ خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلـٰهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيْتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ البَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ»[1].

وَإِنَّ مِنْ بَيْنِ هَـٰذِهِ الأَرْكَانِ العَظِيمَةِ رُكْنًا عَظُمَ تَسَاهُلُ النَّاسِ فِيْهِ، وَعَمَّتِ الغَفْلَةُ عَنْهُ؛ لِضَعْفِ الإِيْمَانِ فِي النُّفُوسِ، وَإِيْثَارِ العَاجِلَةِ بِزِينَتِهَا وَمَادِّيَّاتِهَا عَلَى الآجِلَةِ البَاقِيَةِ، أَلاَ وَهُوَ: «رُكْنُ الزَّكَاةِ».

فَالزَّكَاةُ ـ يَا إِخْوَةَ الإِسْلاَمِ ـ: ثَالِثُ أَرْكَانِ هَـٰذَا الدِّيْنِ العَظِيْمِ، مَنْ جَحَدَ وُجُوبَهَا، كَفَرَ، وَمَنْ مَنَعَ أَدَاءَهَا، قُوتِلَ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي ٱلدِّينِۗ﴾ [التوبة: ١١]، وَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ»، عَنِ ابْنِ عُمَرَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلـٰهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيْمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذٰلِكَ، عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلاَّ بِحَقِّ الإِسْلاَمِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ»[2].

وَقَدْ ذَكَرَ اللهُ فِي كِتَابِهِ الزَّكَاةَ مَقْرُونَةً بِالصَّلاَةِ؛ تَعْظِيْمًا لِشَأْنِهَا، وَتَنْوِيْهًا بِذِكْرِهَا، وَتَرْغِيبًا فِي أَدَائِهَا، وَتَرْهِيْبًا مِنْ تَرْكِهَا وَالتَّسَاهُلِ فِيْهَا؛ قَالَ اللهُ ـ عَزَّ وجَل ـ: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣]؛ وَلِذٰلِكَ قَالَ

---

(١) «صحيح البخاري» (٨)، و«صحيح مسلم» (١٦).

(٢) «صحيح البخاري» (٢٥)، و«صحيح مسلم» (٢٢).



الصِّدِّيْقُ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ: «وَاللهِ لأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلاَةِ والزَّكَاةِ»[1]، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ: «ثَلاثُ آيَاتٍ نَزَلَتْ مَقْرُونَةً بِثَلاثٍ، لاَ تُقْبَلُ مِنْهَا وَاحِدَةٌ بِغَيْرِ قَرِيْنَتِهَا»، وَذَكَرَ مِنْهَا قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣]، وَقَالَ: «مَنْ صَلَّىٰ وَلَمْ يُزَكِّ، لَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ».

أُمَّةَ ٱلإِسْلَامِ، لَقَدْ شُرِعَتِ الزَّكَاةُ لِحِكَمٍ عَظِيْمَةٍ، وَأَسْرَارٍ كَثِيْرَةٍ، وَمَصَالِحَ جَمَّةٍ، تَعُودُ عَلَى الأَفْرَادِ والمُجْتَمَعِ بِالفَضْلِ العَظِيْمِ، والخَيْرِ العَمِيْمِ؛ يَقُولُ تَعَالَىٰ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]؛ فالزَّكَاةُ تُطَهِّرُ النَّفْسَ مِنْ دَرَنِ الشُّحِّ والبُخْلِ، وَتُزَكِّيْهَا بِالجُودِ والسَّخَاءِ والكَرَمِ، وَهِيَ: السَّبِيْلُ لِحُصُولِ النَّمَاءِ والزِّيَادَةِ والبَرَكَةِ، والفَلاَحِ والطَّهَارَةِ، والخَلَفِ والمَثُوبَةِ، وَحِفْظِ المَالِ، وَدَفْعِ الشُّرُورِ والآفَاتِ عَنْهُ بِإِذْنِ اللهِ، وَفِيْهَا تَثْبِيْتُ أَوَاصِرِ[2] المَحَبَّةِ وَالمَوَدَّةِ، وَالتَّكَافُلِ وَالإِخَاءِ بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ والفُقَرَاءِ؛ لِيَشْعُرَ الفَقِيْرُ في المُجْتَمَعِ المُسْلِمِ: أَنَّهُ أَمَامَ تَعَاوُنٍ لاَ تَطَاحُنٍ، وَأَمَامَ إِيْثَارٍ لاَ أَثَرَةٍ، وَأَمَامَ مُسَاوَاةٍ وَعَطْفٍ وَإِخَاءٍ، لاَ ظُلْمٍ وَتَسَلُّطٍ وَجَفَاءٍ، وَأَمَامَ مَشَاعِرَ رَقِيقَةٍ، وَقُلُوبٍ رَحِيْمَةٍ أَبِيَّةٍ، لاَ

---

(١) رواه البخاري (١٤٠٠)، ومسلم (٢٠).

(٢) الأواصر: جمع آصِرَةٍ، وهي: ما عَطَفَكَ على رجل من رَحِمٍ، أو قرابةٍ، أو صِهْرٍ، أو معروفٍ. «اللسان» (أصر).



مَخَالِبَ قَوِيَّةٍ، وَأَنْيَابٍ عَتِيَّةٍ.

وَلَيْسَتِ الزَّكَاةُ ضَرِيْبَةً تُؤْخَذُ مِنَ الجُيُوبِ؛ بَلْ هِيَ غَرْسٌ لِمَشَاعِرِ الحَنَانِ والرَّأْفَةِ، وَتَوْطِيدٌ لِعَلَاقَاتِ التَّعَارُفِ والأُلْفَةِ؛ يَسْمُو بِهَا المُجْتَمَعُ إِلَىٰ مُسْتَوًى أَفْضَلَ، وَمَقْصِدٍ أَنْبَلَ، وَهَـٰكَذَا أَظْهَرَتْ هَـٰذِهِ الفَرِيْضَةُ مَحَاسِنَ هَـٰذَا الدِّيْنِ، وعِنَايَتَهُ بِشُئُونِ أَبْنَائِهِ، وَتَفَوُّقَهُ عَلَى النُّظُمِ المُخَالِفَةِ مِنْ شُيُوعِيَّةٍ وَرَأْسِمَالِيَّةٍ وَغَيْرِهَا، الَّتِيْ يَزْعُمُ أَهْلُهَا ـ زُوْرًا وَبُهْتَانًا ـ أَنَّهُمْ كَفَلُوا الحُقُوقَ، وَأَشَاعُوا العَدْلَ وَالإِنْصَافَ بَيْنَ الشُّعُوبِ، وَهَلْ يُسَمَّىٰ ظُلْمُ النَّاسِ عَدْلاً؟! وَبَخْسُهُمْ حُقُوقَهُمْ، وَإِلغَاءُ مِلْكِيَّتِهِمْ، وَإِشَاعَةُ الطَّبَقِيَّةِ بَيْنَهُمْ إِنْصَافًا؟! وَهَلْ يُطْلَقُ عَلَى ابْتِزَازِ ثَرَوَاتِ الشُّعُوبِ كَفَالَةً لِلْحُقُوقِ؟! وَقَدْ أَدَّىٰ ذَٰلِكَ إِلَىٰ شُيُوعِ الظُّلْمِ والخَوْفِ وانْعِدَامِ الأَمْنِ، وانْتِشَارِ السَّرِقَةِ والاخْتِلَاسِ والسَّطْوِ، وَتَفَاقُمِ الجَرَائِمِ، وَارْتِكَابِ الفَقِيْرِ شَتَّى الحِيَلِ مِنْ أَجْلِ الحُصُولِ عَلَىٰ لُقْمَةِ العَيْشِ؛ لِمَا يُقَاسِيْهِ مِنَ آلَامِ الفَقْرِ والفَاقَةِ والمَسْكَنَةِ.

إِخْوَةَ العَقِيْدَةِ، لَقَدْ جَاءَ الوَعِيْدُ الشَّدِيْدُ، والتَّرْهِيْبُ المُرْعِبُ الأَكِيْدُ في حَقِّ تَارِكِ الزَّكَاةِ، وفِي حَقِّ مَنْ قَصَّرَ فِيْهَا، وَتَسَاهَلَ فِي أَدَائِهَا، تَحْذِيْرًا وَإِنْذَارًا، وَإِبْدَاءً وَإِعْذَارًا، بِأُسْلُوبٍ تَرْتَعِدُ مِنْهُ الفَرَائِصُ، وَتَهْتَزُّ لَهُ القُلُوبُ، وَتَذُوبُ مِنْ هَوْلِهِ الأَفْئِدَةُ، بِأُسْلُوبٍ لَوْ خُوطِبَتْ بِهِ الجِبَالُ الصُّمُّ، لَخَشَعَتْ وَتَصَدَّعَتْ.



يقُولُ عَزَّ اسْمُهُ: ﴿ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [فصلت: ٦، ٧]، ويَقُولُ جَلَّ فِي عُلاَهُ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣٤ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ۝٣٥ ﴾ [التوبة]، ويَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [آل عمران: ١٨٠]، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي تَفْسِيرِ هَـٰذِهِ الآيَة: «مَنْ آتَاهُ اللهُ مَالاً فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ، مُثِّلَ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ لَهُ زَبِيبَتَانِ[١]، يُطَوَّقُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ؛ ثُمَّ يَأْخُذُ بِلِهْزِمَتَيْهِ - يَعْنِيْ: شِدْقَيْهِ - فَيَقُولُ: أَنَا مَالُكَ! أَنَا كَنْزُكَ!»[٢].

وَعَنْ أَبِيْ هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْ صَاحِبِ كَنْزٍ لاَ يُؤَدِّي زَكَاتَهُ إِلاَّ أُحْمِيَ عَلَيهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُجْعَلُ صَفَائِحَ، فَيُكْوَىٰ بِهَا جَنْبَاهُ وَجَبِينُهُ؛ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللهُ بَينَ عِبَادِهِ، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، ثُمَّ يُرَىٰ سَبِيلَهُ: إِمَّا إِلَى الجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ. وَمَا مِنْ صَاحِبِ إِبِلٍ لاَ يُؤَدِّي زَكَاتَهَا إِلاَّ بُطِحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ، كَأَوْفَرِ مَا كَانَتْ، تَسْتَنُّ عَلَيهِ؛ كُلَّمَا مَضَى عَلَيهِ أُخْرَاهَا، رُدَّتْ عَلَيهِ أُوْلاَهَا؛ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللهُ

---

(١) الزَّبِيبة: نكتة سوداء فوق عين الحية. «النهاية» (زبب).

(٢) رواه أحمد (٢/ ٣٥٥)، والبخاري (١٤٠٣)؛ من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

بَيْنَ عِبَادِهِ، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، ثُمَّ يُرَىٰ سَبِيلَهُ: إِمَّا إِلَى الجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ. وَمَا مِنْ صَاحِبِ غَنَمٍ لاَ يُؤَدِّي زَكَاتَهَا إِلاَّ بُطِحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ، كَأَوْفَرِ مَا كَانَتْ، فَتَطَؤُهُ بِأَظْلاَفِهَا وَتَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا، لَيْسَ فِيهَا عَقْصَاءُ وَلاَ جَلْحَاءُ، كُلَّمَا مَضَىٰ عَلَيهِ أُخْرَاهَا، رُدَّتْ عَلَيهِ أُولاَهَا؛ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللهُ بَينَ عِبَادِهِ، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ، ثُمَّ يُرَىٰ سَبِيلَهُ: إِمَّا إِلَى الجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ»(١).

أَلاَ فَلْيَسْمَعْ هَـٰذَا الوَعِيدَ الشَّدِيْدَ أَرْبَابُ الآلاَفِ والمَلايِيْنِ، وَذَوُو الأَرْصِدَةِ والحِسَابَاتِ، وَأَصْحَابُ العَقَارَاتِ والتِّجَارَاتِ، وَأَصْحَابُ المَزَارِعِ والمَوَاشِيْ؛ لِيَتَصَوَّرُوا هَـٰذَا المَوْقِفَ الرَّهِيْبَ بَيْنَ يَدَي اللهِ جَلَّ جَلاَلُهُ؛ فَإِنَّهَا ـ وَاللهِ! ـ لاَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارٍ كَنَارِ الدُّنْيَا ـ مَعَ شِدَّتِهَا وَهَوْلِهَا ـ إِنَّمَا يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ الَّتِيْ يَعْجِزُ عَنْ وصْفِهَا التَّصْوِيرُ، وَلاَ يَفِيْ بِذِكْرِ أَحْوَالِهَا التَّعْبِيْرُ، وَإِذَا أُحْمِيَ عَلَيْهَا، لاَ يُكْوَىٰ بِهَا طَرَفُ الجَسَدِ فَقَطْ، وَإِنَّمَا يُكْوَىٰ بِهَا الجِسْمُ كُلُّهُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ: مِنَ الأَمَامِ، والخَلْفِ، والجَنْبِ، فِي الجِبَاهِ، والجُنُوبِ، والظُّهُورِ، كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيْدَتْ، وَلَيْسَ هَـٰذَا العَذَابُ فِي يَوْمٍ، وَلاَ شَهْرٍ، وَلاَ سَنَةٍ، وَلَـٰكِنْ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ!

---

(١) رواه أحمد (٢/ ٢٦٢)، والبخاري (١٤٠٢)، ومسلم (٩٨٧).



فَقُولُوالِيْ - بِاللهِ عَلَيْكُمْ -: مَنْ ذَا الَّذِيْ يُطِيْقُ ذٰلِكَ الهَوْلَ العَظِيْمَ؟! فَرُحْمَاكَ ربَّنَا رُحْمَاكَ! ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ۝٣٧﴾ [ق].

فَاتَّقُوا اللهَ - يَا إِخْوَةَ الإِسْلَامِ - وَأَدُّوا زكَاةَ أَمْوَالِكُمْ طَيِّبَةً بِهَا نُفُوسُكُمْ، فَقَدْ أَعْطَاكُمُ اللهُ الكَثِيْرَ، وَأَغْدَقَ عَلَيْكُمُ المَالَ الوَفِيْرَ، وَطَلَبَ مِنْكُمْ أَقَلَّ القَلِيْلِ، وَلَوْ أَنَّ أَثْرِيَاءَ المُسْلِمِيْنَ اليَوْمَ قَامُوا بِهَـٰذِهِ الفَرِيْضَةِ حَقَّ قِيَامٍ، وَصَرَفُوا الزَّكَاةَ فِي مَصَارِفِهَا الشَّرْعِيَّةِ - لَمْ تَجِدْ عَلَى الأَرْضِ مَنْ يَتَسَوَّلُ لِفَاقَةٍ، وَمَنْ يُلِحُّ فِي المَسْأَلَةِ لِحَاجَةٍ، وَلَاخْتَفَتْ مَظَاهِرُ الإِجْرَامِ والسَّطْوِ، والاخْتِلَاسِ وَالسَّرِقَةِ، ولٰكِنْ نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَشْرَحَ صُدُورَ المُسْلِمِيْنَ، وَيَجْعَلَهُمْ إِخْوَةً مُتَعَاوِنِيْنَ مُتَكَاتِفِيْنَ، يَرْحَمُ كَبِيرُهُمْ صَغِيْرَهُمْ، وَيُعْطِي غَنِيُّهُمْ فَقِيْرَهُمْ؛ لِيَكُونُوا صفًّا وَاحِدًا، وَيَدًا وَاحِدَةً، فِي عِمَارَةِ أَرْضِ اللهِ، وَرِعَايَةِ حُقُوقِ عِبَادِ اللهِ، ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [إبراهيم: ٢٠، فاطر: ١٧].

بَارَكَ اللهُ لِيْ وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيْمِ، وَنَفَعَنِيْ وَإِيَّاكُمْ بِهَدْيِ سيِّدِ المُرْسَلِيْنَ، أَقُولُ قَولِي هَـٰذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِيْ وَلَكُمْ وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ، فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيْمُ.

الخطبة الثانية

الحَمْدُ للهِ عَلَىٰ إِحْسَانِهِ، والشُّكْرُ لَهُ عَلَىٰ تَوْفِيْقِهِ وَامْتِنَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلـٰهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَتْبَاعِهِ.

أمّا بعد:

فَيَا عِبَادَ ٱللهِ، اتَّقُوا اللهَ تعَالَىٰ، وَأَدُّوا مَاأَوْجَبَ اللهُ عَلَيْكُمْ مِنَ الزَّكَاةِ، أَدُّوهَا خَالِصَةً لِوَجْهِ اللهِ، طَيِّبَةً بِهَا نُفُوسُكُمْ، اغْتَنِمُوهَا قَبْلَ أَنْ تُغْرَمُوهَا، احْذَرُوا الرِّيَاءَ والسُّمْعَةَ عِنْدَ إِخْرَاجِهَا، والمَنَّ وَالأَذَىٰ لأَصْحَابِهَا؛ فَالزَّكَاةُ حَقُّ اللهِ، لاَ تَجُوزُ المُحَابَاةُ بِهَا لِمَنْ لا يَسْتَحِقُّهَا، وَلاَ أَنْ يَجْلِبَ الإِنْسَانُ بِهَا لِنَفْسِهِ نَفْعًا، أَوْ يَدْفَعَ عَنْهَا ضَرَرًا، أَوْ أَنْ يَقِيَ بِهَا مَالَهُ، أَوْ يَدْفعَ بِهَا عَنْهُ مَذَمَّةً.

وَلْيَتَّقِ ٱللهَ المُعْطِي وَالآخِذُ، فَلاَ يَجُوزُ لِمَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا أَنْ يَأْخُذَ مِنْهَا شَيْئًا، وَلاَ حَظَّ فِيْهَا لِغَنِيٍّ وَلاَ لِقَوِيٍّ مُكْتَسِبٍ؛ كَمَا دَلَّ عَلَىٰ ذٰلِكَ الخَبَرُ عَنْ سَيِّدِ البَشَرِ ـ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ ـ[1].

---

(١) رواه الطيالسي (٢٣٨٥)، وأحمد (٢/ ١٦٤، ٣٧٧)، وأبوداود (١٦٣٣)، والترمذي (٦٥٢)، والنسائي (٥/ ٩٩، ١٠٠)؛ من حديث أبي هريرة، وعبدالله بن عمرو، وغيرهما، رضي الله عنهم.



وَاعْلَمُوا ـ رَحِمَكُمُ اللهُ ـ أَنَّ الزَّكَاةَ لاَ تَنْفَعُ وَلاَ تَبْرَأُ بِهَا الذِّمَّةُ، إِلاَّ إِذَا صُرِفَتْ فِي أَحَدِ المَصَارِفِ الثَّمَانِيَةِ الَّتِي حَدَّدَهَا اللهُ بِقَوْلِهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [التوبة: ٦٠]، وَقَدْ خَتَمَهَا اللهُ بِقَوْلِهِ: ﴿فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾.

وَلَيْسَ المَقَامُ مَقَامَ بَسْطٍ وَتَوْضِيحٍ لأَحْكَامِ الزَّكَاةِ؛ فَهِيَ مُدَوَّنَةٌ فِي مَظَانِّهَا، فَمَنْ يَسْتَطِيعُ الرُّجُوعَ إِلَيْهَا؛ لِيَنْهَلَ مِنْ مَعِينِهَا ـ فَدُونَهُ ذٰلِكَ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ، فَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [النحل].

هَٰذَا؛ وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا ـ رَحِمَكُمُ اللهُ ـ عَلَى الهَادِيْ البَشِيْرِ، وَالسِّرَاجِ المُنِيْرِ؛ كَمَا أَمَرَكُمْ بِذٰلِكَ المَوْلَى اللَّطِيْفُ الخَبِيْرُ؛ فَقَالَ تَعَالَىٰ قَوْلاً كَرِيْمًا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب].





الخطبة الأولى

الحَمْدُ لله الَّذِيْ مَنَّ عَلَيْنَا بِمَواسِمِ الخَيْرَاتِ، وَخَصَّ شَهْرَ رَمَضَانَ بِالفَضْلِ والتَّشْرِيْفِ والبَرَكَاتِ، وَحثَّ فِيْهِ عَلَىٰ عَمَلِ الطَّاعَاتِ، وَالإِكْثَارِ مِنَ القُرُبَاتِ، أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ عَلَى نِعَمِهِ الوَافِرَةِ؛ وَأَشْكُرُهُ عَلَىٰ آلائِهِ المُتَكَاثِرَةِ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لاَإِلَـهَ إِلاَّاللهُ وَحْدَهُ لاَشَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، أَفْضَلُ مَنْ صَلَّىٰ وَصَامَ، وَأَشْرَفُ مَنْ تَهَجَّدَ وقَامَ، صَلَّى اللهُ وسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ البَرَرَةِ الكِرَامِ، وَالتَّابِعِيْنَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ مَا تَعَاقَبَ النُّورُ والظَّلاَمُ.

أما بعد:

فَيَا أَيُّهَا الإِخْوَةُ المُسْلِمُونَ، اتَّقُوا اللهَ - تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ - وَاشْكُرُوهُ عَلىٰ مَا هَيَّأَ لَكُمْ مِنَ المُنَاسَبَاتِ العَظِيْمَةِ، الَّتِيْ تَصْقُلُ الإِيْمَانَ فِي القُلُوبِ، وَتُحَرِّكُ المَشَاعِرَ الفَيَّاضَةَ فِي النُّفُوسِ، فَتَزِيْدُ فِي الطَّاعَاتِ، وَتُضَيِّقُ مَجَالاَتِ الشَّرِّ في المُجْتَمَعَاتِ، وَتُعْطِيْ المُسْلِمِيْنَ دُرُوسًا فِي الوَحْدَةِ وَالإِخَاءِ، وَالتَّضَامُنِ وَالصَّفَاءِ، والبِرِّ والصِّلَةِ والهَنَاءِ، وَالطُّهْرِ والخَيْرِ والنَّقَاءِ، وَالصَّبْرِ والشَّجَاعَةِ والإِبَاءِ، إِنَّهَا مَنْهَلٌ عَذْبٌ، وَحِمًى

أَمِيْنٌ، وَحِصْنٌ حَصِيْنٌ لِلطَّائِعِيْنَ، وَفُرْصَةٌ لاَ تُعَوَّضُ لِلْمُذْنِبِيْنَ المُفَرِّطِيْنَ؛ لِيُجَدِّدُوا التَّوْبَةَ مِنْ ذُنُوبِهِمْ، وَيُسَطِّرُوا صَفْحَةً جَدِيْدَةً بَيْضَاءَ نَاصِعَةً فِي حَيَاتِهِمْ، مُفْعَمَةً بِفَضَائِلِ الأَعْمَالِ، وَمَحَاسِنِ الفِعَالِ، وَمَكَارِمِ الخِصَالِ.

مَعَاشِرَ الإِخْوَةِ، وَإِنَّ مِنْ أَجَلِّ هَـٰذِهِ المُنَاسَبَاتِ زَمَنًا، وَأَعْظَمِهَا قَدْرًا، وَأَبْعَدِهَا أَثَرًا: مَا نَعِيْشُهُ مِنْ عَبَقِ هَـٰذِهِ الأَيَّامِ المُبَارَكَةِ، واللَّيَالِي الغُرِّ المُتَلأْلِئَةِ، فِي هَـٰذَا الشَّهْرِ الكَرِيْمِ، نَرْتَوِيْ مِنْ نَمِيرِهِ، وَنَرْتَشِفُ مِنْ رَحِيْقِهِ، وَنَشَمُّ عَاطِرَ شَذَاهُ، شَهْرُ مُضَاعَفَةِ الحَسَنَاتِ، وَرِفْعَةِ الدَّرَجَاتِ، وَمَغْفِرَةِ الذُّنُوبِ والسَّيِّئَاتِ، وَإِقَالَةِ العَثَرَاتِ، فِيْهِ تُفَتَّحُ أَبْوَابُ الجَنَّةِ، وَتُغَلَّقُ أَبْوَابُ النَّارِ، وَتُصَفَّدُ الشَّيَاطِيْنُ، مَنْ صَامَهُ وقَامَهُ إِيْمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ؛ كَمَا صَحَّ بِذٰلِكُمُ الحَدِيْثُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ فَقَدْ رَوَى البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ، عَنْ أَبِيْ هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيْمَانًا وَاحْتِسَاباً، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»(١)، وَ«مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيْمَانًا وَاحْتِسَاباً، غُفِرَ لَهُ مَاتَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»(٢).

إِخْوَةَ الإِسْلَامِ، فَرْحَةٌ كُبْرَىٰ تَعِيْشُهَا الأُمَّةُ الإِسْلاَمِيَّةُ هَـٰذِهِ الأَيَّامَ، فَهَا هِيَ إِزَاءَ دَوْرَةٍ جَدِيْدَةٍ مِنَ دَوَرَاتِ الفَلَكِ، تَمُرُّ الأَيَّامُ وَتَمْضِيْ الشُّهُورُ، وَيَحِلُّ بِنَا هَـٰذَا المَوْسِمُ الكَرِيْمُ، وَهَـٰذَا الشَّهْرُ العَظِيْمُ، هَـٰذَا الوَافِدُ

---

(١) «صحيح البخاري» (٣٨)، و«صحيح مسلم» (٧٦٠).

(٢) «صحيح البخاري» (٣٧)، و«صحيح مسلم» (٧٥٩).



الحَبِيْبُ، وَالضَّيْفُ العَزِيْزُ، وَذٰلِكَ مِنْ فَضْلِ اللهِ سُبْحَانَهُ عَلَى هَـٰذِهِ الأُمَّةِ؛ لِمَا لَهُ مِنَ الخَصَائِصِ وَالمَزَايَا، وَلِمَا أُعْطِيَتْ فِيْهِ هَـٰذِهِ الأُمَّةُ مِنَ الهِبَاتِ وَالعَطَايَا، وَخُصَّتْ فِيْهِ مِنَ الكَرَامَاتِ وَالهَدَايَا؛ كَما فِي «الصَّحِيْحَيْنِ» مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، وَصُفِّدَتِ الشَّيَاطِيْنُ**[1]»[2].

فَيَا لَهَا مِنْ فُرْصَةٍ عَظِيْمَةٍ، وَمُنَاسَبَةٍ كَرِيْمَةٍ، تَصْفُو فِيْهَا النُّفُوسُ، وَتَهْفُو إِلَيْهَا الأَرْوَاحُ، وَتَكْثُرُ فِيْهَا دَوَاعِي الخَيْرِ؛ تُفَتَّحُ الجَنَّاتُ، وَتَتَنَزَّلُ الرَّحَمَاتُ، وَتُرْفَعُ الدَّرَجَاتُ، وَتُغْفَرُ الزَّلاَّتُ.

فِي رَمَضَانَ تَهَجُّدٌ وَتَرَاوِيْحُ، وَذِكْرٌ وَتَسْبِيْحٌ، فِي رَمضَانَ تِلَاوَةٌ وَصَلَوَاتٌ، وَجُودٌ وَصَدَقَاتٌ، وَأَذْكَارٌ وَدَعَوَاتٌ، وَضَرَاعَةٌ وَابْتِهَالاَتٌ.

مَعَاشِرَ المُسْلِمِيْنَ، إِذَا كَانَ الأَفْرَادُ وَالأُمَمُ مُحْتَاجِيْنَ إِلىٰ فَتَرَاتٍ مِنَ الصَّفَاءِ وَالرَّاحَةِ؛ لِتَجْدِيْدِ مَعَالِمِ الإِيْمَانِ، وَإِصْلَاحِ مَا فَسَدَ مِنْ أَحْوَالٍ، وعِلَاجِ مَا جَدَّ مِنْ أَدْوَاءٍ[3] ـ فَإِنَّ شَهْرَ رَمَضَانَ المُبَارَكَ هُوَ الفَتْرَةُ الرُّوحِيَّةُ الَّتِيْ تَجِدُ فِيهَا هَـٰذِهِ الأُمَّةُ فُرْصَةً لإِصْلَاحِ أَوْضَاعِهَا، وَمُرَاجَعَةِ تَأْرِيْخِهَا، وَإِعَادَةِ أَمْجَادِهَا، إِنَّهُ مَحَطَّةٌ لِتَعْبِئَةِ القُوَى الرُّوحِيَّةِ والخُلُقِيَّةِ،

---

(١) صفدت الشياطين، أي: شدت وأوثقت بالأغلال، والصفد: القيد. «النهاية» (صفد).
(٢) «صحيح البخاري» (٣٢٧٧)، و«صحيح مسلم» (١٠٧٩).
(٣) الأدواء: جمع داء، وهو: المرض والعيب، ظاهرًا وباطنًا. «النهاية» (دوأ).



التِي تَحْتَاجُ إِلَيْهَا كُلُّ أُمَّةٍ، بَلْ تَتَطَلَّعُ إِلَيْهَا الأَفْرَادُ وَالمُجْتَمَعَاتُ المُسْلِمَةُ، إِنَّهُ مَدْرَسَةٌ لِتَجْدِيْدِ الإِيْمَانِ، وَتَهْذِيْبِ الأَخْلاَقِ، وَشَحْذِ الأَرْوَاحِ، وإِصْلاَحِ النُّفُوسِ، وَضَبْطِ الغَرَائِزِ، وَكَبْحِ جِمَاحِ الشَّهَوَاتِ.

فِي الصِّيَامِ: تَحْقِيقٌ لِلتَّقْوَىٰ، وَامْتِثَالٌ لأَمْرِ الله وقَهْرٌ لِلْهَوَىٰ، وَتَقْوِيَةٌ لِلإِرَادَةِ، وَتَهْيِئَةٌ لِلمُسْلِمِ لِمَوَاقِفِ التَّضْحِيَةِ والفِدَاءِ وَالشَّهَادَةِ؛ كَمَا أَنَّ بِهِ تَتَحَقَّقُ الوَحْدَةُ وَالمَحَبَّةُ، وَالإِخَاءُ وَالأُلْفَةُ؛ فِيْهِ يَشْعُرُ المُسْلِمُ بِشُعُورِ المُحْتَاجِيْنَ، وَيُحِسُّ بِجُوعِ الجَائِعِيْنَ، الصِّيَامُ مَدْرَسَةٌ لِلْبَذْلِ وَالجُودِ والصِّلَةِ؛ فَهُوَ حَقًّا مَعِيْنُ الأَخْلاَقِ، وَرَافِدُ الرَّحْمَةِ، مَنْ صَامَ حقًّا: صَفَتْ رُوحُهُ، ورَقَّ قَلْبُهُ، وَصَلُحَتْ نَفْسُهُ، وَجَاشَتْ[1] مَشَاعِرُهُ، وَأُرْهِفَتْ أَحَاسِيْسُهُ، وَلاَنَتْ عَرِيْكَتُهُ[2].

فَمَا أَجْدَرَ الأُمَّةَ الإِسْلاَمِيَّةَ اليَوْمَ أَنْ تَقُومَ بِدَوْرِهَا، فَتُحَاسِبَ نَفْسَهَا عِنْدَ حُلُولِ شَهْرِهَا، وَمَا أَحْوَجَهَا إِلى اسْتِلْهَامِ حِكَمِ الصِّيَامِ، وَالإِفَادَةِ مِنْ مُعْطَيَاتِهِ، وَالنَّهَلِ مِنْ مَعِيْنِ ثَمَرَاتِهِ وَخَيْرَاتِهِ.

أَيُّهَا الإِخْوَةُ الصَّائِمُونَ، إِنَّ استِقْبَالَنَا لِرَمَضَانَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ ـ

---

(١) أي: تدفقت. «تاج العروس» (جيش)، والمراد: كثر شعوره بفعل الخير.

(٢) العريكة: النَّفس، ولانت عريكته، أي: سَلِسَ خُلُقُهُ وانقاد. «تاج العروس» (عرك).



أَوَّلاً ـ بِالحَمْدِ والشُّكْرِ للهِ جَلَّ وَعَلاَ، والفَرَحِ والاِغْتِبَاطِ بِهَـٰذَا المَوْسِمِ العَظِيْمِ، والتَّوْبَةِ وَالإِنَابَةِ مِنْ جَمِيْعِ الذُّنُوبِ والمَعَاصِيْ؛ كَمَا يَجِبُ الخُرُوجُ مِنَ المَظَالِمِ وردُّ الحُقُوقِ إِلىٰ أَصْحَابِهَا، والعَمَلُ على اسْتِثْمَارِ أَيَّامِهِ ولَيَالِيهِ صَلاَحًا وَإِصْلاَحًا؛ فَبِهَـٰذَا الشُّعُورِ وَالإِحْسَاسِ: تَتَحَقَّقُ الآمَالُ، وَتَسْتَعِيْدُ الأَفْرَادُ والمُجْتَمَعَاتُ كَرَامَتَهَا، أَمَّا أَنْ يَدْخُلَ رَمَضَانُ، وَيَرَاهُ بعْضُ النَّاسِ تَقْلِيْدًا مَوْرُوثًا، وَأَعْمَالاً صُورِيَّةً مَحْدُودَةَ الأَثَرِ ضَعِيْفَةَ العَطَاءِ، بَلْ لعَلَّ بَعْضَهُم أَنْ يَزْدَادَ سُوءًا وَانْحِرَافًا ـ وَالعِيَاذُ بِاللهِ ـ فَذَلِكَ انْهِزَامٌ نَفْسِيٌّ، وَعَبَثٌ شَيْطَانِيٌّ، لَهُ عَوَاقِبُهُ الوَخِيْمَةُ عَلى الفَرْدِ وَالمُجْتَمَعِ.

فَلْتَهْنَأِ الأُمَّةُ الإِسْلاَمِيَّةُ بِحُلُولِ هَـٰذَا الشَّهْرِ العَظِيمِ، ولْيَهْنَأِ المُسْلِمُونَ جَمِيْعًا فِي مَشَارِقِ الأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا بِهَـٰذَا المَوْسِمِ الكَرِيْمِ، إِنَّهُ فُرْصَةٌ لِلطَّائِعِيْنَ لِلاسْتِزَادَةِ مِنَ العَمَلِ الصَّالِحِ، وَفُرْصَةٌ لِلْمُذْنِبِيْنَ لِلتَّوْبَةِ وَالإِنَابَةِ، كَيْفَ لاَ يَفْرَحُ المُؤْمِنُ بِتَفْتِيحِ أَبْوَابِ الجِنَانِ؟! وَكَيْفَ لاَ يَفْرَحُ المُذْنِبُ بِتَغْلِيقِ أَبْوَابِ النِّيْرَانِ؟! يَا لَهَا مِنْ فُرَصٍ لاَ يُحْرَمُهَا إِلاَّ مَحْرُومٌ! وَيَا بُشْرَىٰ لِلمُسْلِمِيْنَ بِحُلُولِ شَهْرِ الصِّيَامِ والقِيَامِ! فَاللهَ اللهَ ـ عِبَادَ اللهِ ـ فِي الجِدِّ والتَّشْمِيرِ، دُونَ اسْتِثْقَالٍ لِصِيَامِهِ، وَاسْتِطَالَةٍ لأَيَّامِهِ، حَذَارِ مِنَ الوُقُوعِ فِي نَوَاقِضِهِ وَنَوَاقِصِهِ، وَتَعَاطِيْ المُفَطِّرَاتِ الحِسِّيَّةِ وَالمَعْنَوِيَّةِ!!

وَلَقَدْ جَهِلَ أَقْوَامٌ حَقِيْقَةَ الصِّيَامِ؛ فَقَصَرُوهُ عَلَى الإِمْسَاكِ عَنِ الطَّعَامِ والشَّرَابِ؛ فَتَرَىٰ بَعْضَهُمْ لاَ يَمْنَعُهُ صَوْمُهُ مِنْ إِطْلاَقِ اللِّسَانِ، وَالوُقُوعِ فِي



الغِيْبَةِ والنَّمِيْمةِ وَالكَذِبِ والبُهْتَانِ، وَيُطْلِقُونَ لِلأَعْيُنِ وَالآذَانِ الحَبْلَ وَالعِنَانَ؛ لِتَقَعَ فِي الذُّنُوبِ وَالعِصْيَانِ، وَقَدْ أَخْرَجَ البُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ»؛ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: **«مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ والعَمَلَ بِهِ وَالجَهْلَ، فَلَيْسَ للهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ»**[(١)].

وللهِ دَرُّ القَائِلِ:

إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي السَّمْعِ مِنِّي تَصَاوُنٌ ... وفِي بَصَرِيْ غَضٌّ وفِيْ مَنْطِقِيْ صَمْتُ

فحَظِّيْ إِذَنْ مِنْ صَوْمِيَ الْجُوعُ وَالظَّما ... فَإِنْ قُلْتُ إِنِّي صُمْتُ يَوْمًا فَمَا صُمْتُ[(٢)]

أُمَّةَ الإِسْلَامِ، إِنَّهُ لَيَجْدُرُ بالأُمَّةِ الإِسْلاَمِيَّةِ الَّتِيْ تَعِيْشُ اليَوْمَ مَرْحَلَةً مِنْ أَشَدِّ مَرَاحِلِ حَيَاتِهَا: أَنْ تَجْعَلَ مِنْ هَـٰذَا الشَّهْرِ نُقْطَةَ تَحَوُّلٍ، مِنْ حَيَاةِ الفُرْقَةِ وَالاخْتِلاَفِ، إِلىٰ الاجْتِمَاعِ عَلَىٰ كَلِمَةِ التَّوْحِيْدِ وَالائْتِلاَفِ، وَأَنْ يَكُونَ هَـٰذَا الشَّهْرُ مَرْحَلَةَ تَغيُّرٍ فِي المَنَاهِجِ وَالأَفْكَارِ وَالآرَاءِ، فِي حَيَاةِ الأُمَمِ وَالأَفْرَادِ؛ لِتَكُونَ مُوَافِقَةً لِلْمَنْهَجِ الحَقِّ الَّذِيْ جَاءَ بِهِ الكِتَابُ والسُّنَّةُ، وَسَارَ عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ ـ رَحِمَهُمُ اللهُ ـ وَبِذٰلِكَ تُعِيْدُ الأُمَّةُ مَجْدَهَا التَّلِيْدَ[(٣)]، وَمَاضِيَهَا المُشْرِقَ المَجِيْدَ، الَّذِيْ سَطَّرَهُ تَأْرِيْخُ المُسْلِمِيْنَ الزَّاخِرُ بِالأَمْجَادِ وَالانْتِصَارَاتِ فِي هَـٰذَا الشَّهْرِ المُبَارَكِ؛ وَمَا

---

(١) «صحيح البخاري» (٦٠٥٧)؛ من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

(٢) البيتان ذكرهما ابن رجب في «لطائف المعارف» (ص٢٩٢).

(٣) التليد، أي: القديم. «تاج العروس» (تلد).

غَزْوَةُ بَدْرٍ الكُبْرَىٰ، وَفَتْحُ مَكَّةَ، وَمَعْرَكَةُ حِطِّيْنَ، وَوَقْعَةُ عَيْنِ جَالُوْتَ، وغَيْرُهَا، إلاَّ شَوَاهِدُ صِدْقٍ عَلىٰ ذٰلِكَ.

إِخْوَةَ الإِسْلَامِ، يَحِلُّ بِنَا شهْرُنَا الكَرِيْمُ، وَأُمَّتُنَا الإِسْلاَمِيَّةُ لاَ زَالَتْ تُعَانِيْ جِرَاحَاتٍ عُظْمَىٰ، وَتُعَايِشُ مَصَائِبَ كُبْرَىٰ.

فَبِأَيِّ حَالٍ يَسْتَقْبِلُ المُسْلِمُونَ فِي الأَرْضِ المُبَارَكَةِ مِنْ جِوَارِ الأَقْصَى المُبَارَكِ هَـٰذَا الشَّهْرَ الكَرِيْمَ، وهُمْ لاَ زَالُوا يُعَانُونَ صَلَفَ الصَّهَايِنَةِ المُجْرِمِيْنَ؟!

بِأَيِّ حَالٍ يَعِيشُ إِخْوَانُكُمُ المُبْعَدُونَ المُشَرَّدُونَ عَنْ دِيَارِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ؟! وَمَا اسْتِمْرَارُ قَضِيَّةِ أُوْلَى القِبْلَتَيْنِ، وَمَسْرَىٰ سَيِّدِ الثَّقَلَيْنِ، وَثالِثِ المسْجِدَيْنِ الشَّرِيْفَيْنِ، مَا اسْتِمْرَارُ تِلْكَ القَضِيَّةِ المَأْسَوِيَّةِ إلاَّ تَحَدٍّ سَافِرٌ مِنْ إِخْوَانِ القِرَدَةِ والخَنَازِيْرِ، لِكُلِّ مَبَادِىءِ الدِّيْنِ والعَقْلِ، والحَقِّ وَالعَدْلِ، والسَّلَامِ وَالأَمْنِ.

بِأَيِّ حَالٍ يَسْتَقْبِلُ إِخْوَانُكُمُ المُسْلِمُونَ فِي جُمْهُورِيَّةِ البُوسْنَةِ والهِرْسِكِ هَـٰذا الشَّهْرَ الكَرِيْمَ، وَهُمْ يُعَانُونَ أَبْشَعَ حَرْبِ إِبَادَةٍ عَرَفَهَا التَّأْرِيْخُ المُعَاصِرُ؟!

هَٰذِهِ نِدَاءَاتُ أَخَوَاتِكُمُ المُسْلِمَاتِ المُغْتَصَبَاتِ تَعْلُو، واسْتِغَاثَاتُهُنَّ تَصْرُخُ وَتُدَوِّي، عَلىٰ مَسْمَعِ العَالَمِ وَبَصَرِهِ، عَلَّ نَخْوَةً تَتَحَرَّكُ!! فَهَا هُنَّ يُنَادِيْنَ أَهْلَ الدِّيْنِ والشَّهَامَةِ والغَيْرَةِ: بِأَنَّكُمْ إِذَا اسْتَقْبَلْتُمْ شَهْرَكُمْ بِالفَرَحِ



والاِسْتِبْشَارِ، فَنَحْنُ نَسْتَقْبِلُ ـ بِكُلِّ أَسًى وَحُرْقَةٍ ـ وَضْعَ أَوْلَادِ الصِّرْبِ مِنْ جَرَائِمِ الاِغْتِصَابِ المُتَوحِّشَةِ، وَكُلُّنا أَلَمٌ وَحَسْرَةٌ وَبُكَاءٌ، نَخْشَىٰ أَنْ يَسْتَمِرَّ إِلى الأَبَدِ!.

وَيَسْتَصْرِخْنَ أَيْضاً: أَطَابَ لَكُمْ عَيْشٌ؟! أَطَابَ لَكُمْ نَوْمٌ؟! أَطَابَ لَكُمْ فَرَحٌ؟! أَطَابَتْ لَكُمْ سعَادَةٌ، وَأَنْتُمْ تعْلَمُونَ مَا نَحْنُ فِيْهِ؟! لَقَدْ هَزَّتْ صَرْخَةُ «وَا مُعْتَصِمَاه!» ـ مِنَ امْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ فَقَطِ ـ الأُمَّةَ كُلَّهَا[1]، فَكَيْفَ بِسِتِّيْنَ أَلْفَ امْرَأَةٍ؟! مَتَىٰ تَصِلُ «وَا مُعْتَصِمَاهُ!» إِلىٰ قُلُوبِكُمْ؟! إِنَّها إِنْ لَمْ تَصِلْ فِي مِثْلِ هَـٰذَا الشَّهْرِ الكَرِيْمِ، فَلَيْسَ لِلحَيَاةِ طَعْمٌ بَعْدَ اليَوْمِ!

بِأَيِّ حَالٍ يَسْتَقْبِلُ المُسْلِمُونَ في الصُّومَالِ هَـٰذا الشَّهْرَ الكَرِيْمَ، وَهُمْ يُعَانُونَ حَيَاةَ الجُوعِ، والتَّقْتِيْلِ، والتَّشْرِيْدِ؟!

وَإِذَا سَمِعْتَ مَا يَدُورُ فِي بِلَادِ الأَفْغَانِ، اعْتَصَرَكَ الأَلَمُ، وَأَنْتَ تَرَىٰ وَتَسْمَعُ أَنَّ الأَخَ يُقَاتِلُ أَخَاهُ وَيُوَجِّهُ سِلَاحَهُ إِلىٰ صَدْرِهِ، وَسَاءَكَ تَفَرُّقُ الكَلِمَةِ، وتَشَتُّتُ الجُهُودِ، وَتَبَعْثُرُ الصُّفُوفِ!

وَإِذَا انْتَقَلْتَ إِلىٰ مَآسٍ أُخْرَىٰ، وَجَدتَّ فِي بِلَادِ الهِنْدِ، وَكَشْمِيْرَ، وَبُورْمَا، وَإِرِيتْرِيَا، والفِلِبِّيْنِ، وَغَيرُهَا كَثِيرٌ، مَا يَنْدَىٰ لَهُ الجَبِيْنُ، لَـٰكِنَّ

---

(١) انظر: قِصَّة «وا معتصماه!» وفتح عَمُّورية على يدي الخليفة المعتصم في «تاريخ الطبري» (٩/ ٥٧)، و«البداية والنهاية» (١٤/ ٢٥٢).



الأَمَلَ كَبِيْرٌ، والفَأْلَ عَظِيْمٌ: أَنْ تَكُونَ هَـٰذِهِ المَآسِيْ سَحَابَةَ صَيْفٍ تُوشِكُ أَن تَنْقَشِعَ عَنْ قَرِيْبٍ، وَلَيْسَ بِعَزِيْزٍ عَلَى اللهِ: أَنْ تُرْفَعَ رَايَةُ الجِهَادِ فِي سَبِيْلِ اللهِ؛ لإِعْلَاءِ كَلِمَةِ اللهِ؛ كَمَا رُفِعَتْ فِي مِثْلِ هَـٰذَا الشَّهْرِ المُبَارَكِ عَبْرَ تَأْرِيْخِنَا المَدِيْدِ!

أَيُّهَا الإِخْوَةُ فِي اللَّهِ، فِي رَمَضَانَ تَتَرَبَّى الأُمَّةَ عَلى الجِدِّ، وَأُمَّةُ الهَزْلِ أُمَّةٌ مَهْزُومَةٌ، فِي رَمَضَانَ يَتَرَبَّىٰ أَفْرَادُ الأُمَّةِ عَلىٰ عِفَّةِ اللِّسَانِ، وَسَلَامَةِ الصُّدُورِ، وَنَقَاءِ القُلُوبِ، وتَطْهِيْرِهَا مِنْ أَدْرَانِ الأَحْقَادِ والبَغْضَاءِ، والحَسَدِ والغِلِّ والشَّحْنَاءِ، وَلَاسِيَّمَا مِنْ طَلَبَةِ العِلْمِ، والمُنْتَسِبِيْنَ إِلى الخَيْرِ والدَّعْوَةِ والإِصْلَاحِ؛ فَتَجْتَمِعُ القُلُوبُ، وَتَتَوَحَّدُ الجُهُودُ، وَيَتَفَرَّغُ الجَمِيْعُ لِمُواجَهَةِ العَدُوِّ المُشْتَرَكِ، وَنَتَخَلَّىٰ جَمِيْعًا عَنْ تَتَبُّعِ السَّقَطَاتِ، وَتَلَمُّسِ العَثَرَاتِ، وَالنَّفْخِ فِي الهَنَاتِ، والحُكْمِ عَلى المَقَاصِدِ والنِّيَّاتِ.

فِي رَمَضَانَ: يُطْلَبُ مِنْ شَبَابِنَا تَحْقِيْقُ دَوْرِهِمْ، وَمَعْرِفَةُ رِسَالَتِهِمْ، وَقِيَامُهُمْ بِحَقِّ رَبِّهِمْ، ثُمَّ حُقُوقِ وُلَاتِهِمْ وَوَالِدِيْهِمْ وَمُجْتَمَعِهِمْ.

فِي رَمَضَانَ: تَتَجَسَّدُ مَلَامِحُ التَّلَاحُمِ بَيْنَ المُسْلِمِيْنَ رُعَاتِهِمْ وَرَعَايَاهُمْ، عُلَمَائِهِمْ وَعَامَّتِهِمْ، كَبِيْرِهِمْ وَصَغِيْرِهِمْ؛ لِيَكُونَ الجَمِيْعُ يَدًا وَاحِدَةً، وَبِنَاءً مُتَكَامِلًا؛ لِدَفْعِ تَيَّارَاتِ الفِتَنِ، وَأَمْوَاجِ المِحَنِ؛ أَنْ تَخْرِقَ السَّفِيْنَةَ، وَتُقَوِّضَ البِنَاءَ، وَيَحْصُلَ جَرَّاءَهَا الخَلَلُ الفِكْرِيُّ وَالاِجْتِمَاعِيُّ.



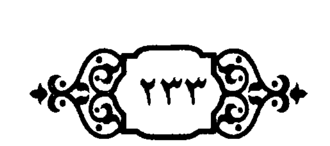
فِي رَمَضَانَ: تَكْثُرُ دَوَاعِي الخَيْرِ، وَتُقْبِلُ عَلَيْهِ النُّفُوسُ؛ فَهُوَ فُرْصَةٌ لِلدُّعَاةِ وَالمُصْلِحِيْنَ، وَأَهْلِ الحِسْبَةِ وَالتَّرْبَوِيِّيْنَ: أَنْ يَصِلُوا إِلَىٰ مَا يُرِيْدُونَ مِنْ خَيْرٍ لِلأُمَّةِ بِأَحْسَنِ أُسْلُوبٍ وَأَقْوَمِ مِنْهَاجٍ؛ فَالفُرْصَةُ مُوَاتِيَةٌ، وَالنُّفُوسُ مُقْبِلَةٌ.

فَاتَّقُوا اللهَ -عِبَادَ اللهِ- وَأَدْرِكُوا حَقِيْقَةَ الصَّوْمِ وَأَسْرَارَهُ، وَتَعَلَّمُوا آدَابَهُ وَأَحْكَامَهُ، وَاعْمُرُوا أَيَّامَهُ وَلَيَالِيَهُ بِالعَمَلِ الصَّالِحِ، وَصُونُوا صَوْمَكُمْ عَنِ النَّوَاقِضِ وَالنَّوَاقِصِ، وَجَدِّدُوا التَّوْبَةَ وَحَقِّقُوا شُرُوطَهَا؛ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنْ ذُنُوبِكُمْ، وَيَجْعَلَكُمْ مِنَ المَرْحُومِيْنَ المُعْتَقِيْنَ مِنَ النَّارِ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ.

أَعوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ [البقرة].

أَقُولُ قَوْلِيْ هَـٰذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيْمَ الجَلِيْلَ لِيْ وَلَكُمْ وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ، فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيْمُ.

* * *



الخطبة الثانية

الحَمْدُ لله، جَعَلَ الصِّيَامَ جُنَّةً، وَسَبَبًا مُوْصِلاً إلى الرِّضْوَانِ والجَنَّةِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلـٰهَ إلاَّ اللهُ، وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ، إِلـٰهُ الإنْسِ والجِنَّةِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، بَعَثَهُ بِالهُدَىٰ وَدِيْنِ الحَقِّ تَفَضُّلاً مِنْهُ وَمِنَّةً، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَتْبَاعِهِ بِإِحسَانٍ إِلىٰ يَوْمِ الدِّيْنِ.

أمّا بعد:

فَاتَّقُوا اللهَ ـ عِبَادَ الله ـ واشْكُرُوهُ عَلىٰ بُلُوغِ هَـٰذَا المَوْسِمِ الكَرِيْمِ، وَعَظِّمُوا مَنْزِلَتَهُ، واقْدُرُوهُ قَدْرَهُ، وَلاَ تَسْتَكْثِرُوا خَيْرًا فَعَلْتُمُوهُ، وَتَأَسَّوْا بِرَسُولِكُمْ ﷺ؛ فَقَدْ كَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ ما يَكُونُ فِي رَمَضَانَ؛ يَقُولُ ابْنُ القَيِّمِ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «وَكَانَ هَدْيُهُ فِيْهِ ـ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ ـ أَكْمَلَ هَدْيٍ وَأَعْظَمَهُ تَحصِيْلاً لِلْمَقْصُودِ، وَأَسْهَلَهُ عَلى النُّفُوسِ، وَكَانَ مِنْ هَدْيِهِ ﷺ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ: الإِكْثَارُ مِنْ أَنْوَاعِ العِبَادَةِ، وَكَانَ جِبْرِيْلُ يُدَارِسُهُ القُرْآنَ، وَكَانَ يُكْثِرُ فِيْهِ الصَّدَقَةَ وَالإِحْسَانَ، وَتِلاَوَةَ القُرْآنِ، والصَّلاَةَ، وَالذِّكْرَ وَالاعْتِكَافَ، وَكَانَ يَخُصُّهُ مِنَ العِبَادَاتِ بِمَا لاَ يَخُصُّ بِهِ غَيْرَهُ»[1].

وَقَدْ سَارَ عَلَىٰ ذٰلِكَ السَّلَفُ الصَّالِحُ ـ رَحِمَهُمُ اللهُ ـ حَيْثُ ضَرَبُوا أَرْوَعَ الأَمْثِلَةِ فِي حُسْنِ الصِّيَامِ، وَإِدْرَاكِ حَقِيقَتِهِ، وَعِمَارَةِ أَيَّامِهِ وَلَيَالِيْهِ بِالعَمَلِ الصَّالِحِ.

---

(١) «زاد المعاد، في هدي خير العباد» (٢/ ٣٠-٣٢).



وَاعْلَمُوا - يَا إِخْوَةَ الإِسْلَامِ - أَنَّكُمْ كَمَا اسْتَقْبَلْتُمْ شَهْرَكُمْ هَـٰذَا؛ سَتُوَدِّعُونَهُ عَمَّا قَرِيْبٍ، وَهَلْ تَدْرِيْ - يَا عَبْدَ اللهِ - هَلْ تُدْرِكُ بَقِيَّةَ الشَّهْرِ، أَوْ لاَ تُكْمِلُهُ؟! إِنَّنَا - وَاللهِ - لاَ نَدْرِيْ، وَنَحْنُ نُصَلِّي عَلَىٰ عَشَرَاتِ الجَنَائِزِ فِي اليَوْمِ واللَّيْلَةِ: أَيْنَ الَّذِيْنَ صَامُوا معَنَا فِيْمَا مَضَىٰ؟! إِنَّ الكَيِّسَ اللَّبِيْبَ مَنْ جَعَلَ مِنْ ذٰلِكَ فُرْصَةً لِمُحَاسَبَةِ النَّفْسِ، وَتَقْوِيْمِ اعْوِجَاجِهَا، وَأَطْرِهَا(١) عَلىٰ طَاعَةِ رَبِّهَا قَبْلَ أَنْ يَفْجَأَهَا الأَجَلُ؛ فَلاَ يَنْفَعُهَا - حِيْنَذَاكَ - إِلاَّ صَالِحُ العَمَلِ، فَعَاهِدُوا رَبَّكُمْ - يَا عِبَادَ اللهِ - فِي هَـٰذَا المَكَانِ المُبَارَكِ فِي هَـٰذَا الشَّهْرِ المُبَارَكِ، عَلى التَّوْبَةِ والنَّدَمِ، وَالإِقْلَاعِ عَنِ الْمَعْصِيَةِ وَالمَأْثَمِ، وَاجْتَهِدُوا في الدُّعَاءِ لأَنْفُسِكُمْ وَإِخْوَانِكُمْ وَأُمَّتِكُمْ.

أَيَّتُهَا الأُخْتُ المُسْلِمَةُ، إِنَّ الصِّيَامَ يُؤَدِّبُ عَلى الخَيْرِ والفَضِيْلَةِ والحَيَاءِ، وَيسْلُكُ بِالمَرْأَةِ مَسَالِكَ الحِشْمَةِ وَالعَفَافِ؛ وَمَا يُرَىٰ مِنْ مَظَاهِرِ التَّبَرُّجِ والسُّفُورِ والاخْتِلَاطِ، إِنَّمَا هُو دَلِيْلٌ عَلىٰ سُوْءِ الفَهْمِ لِهَـٰذِهِ الشَّعِيْرَةِ.

أَيُّهَا الأَثْرِيَاءُ، جُودُوا بِأَمْوَالِكُمْ فِي شَهْرِ الجُودِ، وَلاَ تَبْخَلُوا، وَشَاطِرُوا إِخْوَانَكُمُ المُسْلِمِيْنَ آلاَمَهُمْ وَآمَالَهُمْ.

هـٰذا؛ وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللهُ - عَلىٰ خَيْرِ الصَّائِمِيْنَ، وَأَفْضَلِ القَائِمِيْنَ؛ كَمَا أَمَرَكُمْ بِذٰلِكَ رَبُّكُمْ رَبُّ العالَمِيْنَ؛ فَقَالَ عزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب].

---

(١) أَطْرُ الشَّيْءِ: عَطْفُهُ وثنيه. «اللسان» (أطر).



الخطبة الأولى

إِنَّ الحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَهْدِيْهِ، وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَتُوبُ إِلَيْهِ، وَنُؤْمِنُ بِهِ وَنَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ، وَنُثْنِي عَلَيْهِ الخَيْرَ كُلَّهُ، وَنعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ، مَنَّ عَلَىٰ عِبَادِهِ بِمَوَاسِمِ الرَّحْمَةِ والمَغْفِرَةِ، وَجادَ عَلَيْهِمْ بِأَوْقَاتِ البِرِّ وَالإِحْسَانِ، وَأَزْمَانِ الخَيْرِ والفَضْلِ والامْتِنَانِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، خَيْرُ مَنْ صَلَّىٰ وَصَامَ، وَأَفْضَلُ مَنْ تَهَجَّدَ وَقَامَ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَتْبَاعِهِ بِإِحْسَانٍ.

أمّا بعد:

فَيَا أَيُّهَا ٱلْمُسْلِمُونَ، اتَّقُوا اللهَ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ ـ وَاشْكُرُوهُ عَلىٰ نِعَمِهِ الوَافِرَةِ، وَمِنَنِهِ المُتَكَاثِرَةِ، أَلاَ وَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ آلاَءِ اللهِ عَلىٰ عِبَادِهِ: مَا شَرَعَ لَهُمْ مِنَ العِبَادَاتِ العَظِيْمَةِ، والمَوَاسِمِ الكَرِيْمَةِ، الَّتِيْ بِهَا

تَزْكُو نُفُوسُهُمْ، وَتَمْتَلِىءُ خَيْرًا وَصَلاحًا، وَبَرَكَةً وَنَمَاءً، وَتَشِعُّ نُورًا وَضِيَاءً، وتَتَلأْلأُ إِشْرَاقًا وَصَفَاءً، وَإِنَّ مَا تَعِيْشُهُ أُمَّةُ الإِسْلَامِ هَـٰذِهِ الأَيَّامَ - فِي ظِلَالِ هَـٰذَا الشَّهْرِ الكَرِيْمِ، والمَوْسِمِ العَظِيْمِ، حَيْثُ الأَيَّامُ المُبَارَكَةُ، واللَّيَالِي الغُرُّ الفَاضِلَةُ - لَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ الفُرَصِ الإِيْمَانِيَّةِ الَّتِيْ لاَ تُعَوَّضُ، ولاَ تُقَدَّرُ بِثَمَنٍ، كَيْفَ لاَ والمُسْلِمُونَ يَعِيْشُونَ فِيْهِ مَعَ القُرْآنِ، وَيبْتَغُونَ فِيهِ الرَّحْمَةَ والمَغْفِرَةَ والرِّضْوَانَ، والفَوْزَ بِالجِنَانِ، والعِتْقَ مِنَ النِّيرَانِ، وَيتَعَرَّضُونَ فِيْهِ لِنَفَحَاتِ المَلِكِ الدَّيَّانِ؟! حقًّا إِنَّ هَـٰذا الشَّهْرَ الكَرِيْمَ، مَيْدَانُ خَيْرٍ وَتُقًى، وَصَلَاحٍ وَهُدًى، يَسْتَبِقُ فِي سَاحَتِهِ المُؤْمِنُونَ، وَيَتَنَافَسُ فِي إِدْرَاكِ فَضْلِهِ المُتَنَافِسُونَ، وَلـٰكِنْ هَلْ يَعِي المُسْلِمُونَ مَآثِرَ هَـٰذا الشَّهْرِ الكَرِيْمِ؟! وَهَلْ يَعْرِفُونَ حِكَمَهُ وَأَسْرَارَهُ، وَفَضَائِلَهُ وَآثَارَهُ؟! وَهَلْ يَلْتَزِمُونَ مَنْهَجَهُ السَّلِيْمَ، وَطَرِيْقَهُ القَوِيْمَ؟! وَهَلْ يُطَبِّقُونَ وَيَعْمَلُونَ بِمَا مِنْ أَجْلِهِ شُرِعَ الصِّيَامُ، أَوْ أَنَّ كَثِيْرًا مِنْهُمْ جَهِلَ حِكْمَةَ تَشْرِيْعِهِ، وَتَنَاسَىٰ آثَارَهُ الخَيِّرَةَ، وسُنَنَهُ النَّيِّرَةَ، وَاكْتَفَىٰ مِنَ الصِّيَامِ بِحَبْسِ نَفْسِهِ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَالمُفَطِّرَاتِ الحِسِّيَّةِ، فَحَسْبُ؟!

أَيُّهَا الإِخْوَةُ المُؤْمِنُونَ، إِنَّ أُمَّةَ الإِسْلَامِ بِحَاجَةٍ مَاسَّةٍ إِلىٰ أَنْ يَسْتَدْعِيَ أَبْنَاؤُهَا مَعَانِيَ المُحَاسَبَةِ والتَّدَبُّرِ، وَالتَّقْوِيْمِ والتَّفَكُّرِ، الَّتِيْ يُبْرِزُهَا هَـٰذَا الشَّهْرُ الكَرِيْمُ، الَّذِيْ يُمَثِّلُ جَامِعَةً لِلْخَيْرِ والبِرِّ، وَمَدْرَسَةً



لِلْحِلْمِ والصَّبْرِ، وَمَنَارَةً لِلإِيْمَانِ وَالتَّقْوَىٰ، وَحِصْنًا مِنَ الفِتَنِ والأَدْوَا، وَغِذَاءً لِلأَرْوَاحِ، وَبَلْسَمًا لِلْجِرَاحِ، وكَابِحًا للشَّهَوَاتِ والغَرَائِزِ، وَشَاحِذًا لِلْهِمَمِ والعَزَائِمِ، وَجَالِيًا لِسَخَائِمِ[1] النُّفُوسِ وَأَمْرَاضِ القُلُوبِ، وَطَرِيْقًا لِتَآلُفِ الأُمَّةِ، وَتَرَاحُمِ أَبْنَائِهَا، وَتَعَاوُنِهِمْ؛ فَهُوَ - بِحَقٍّ - رَبِيْعُ المُؤْمِنِيْنَ، وَغَنِيْمَةُ الصَّالِحِيْنَ، وَفُرْصَةُ العُصَاةِ والمُذْنِبِيْنَ؛ بِهِ تَتَذَكَّرُ أُمَّةُ الإِسْلَامِ مَجْدَهَا الخَالِدَ، وَعِزَّهَا التَّالِدَ، وَمَاضِيَهَا المُشْرِقَ، وَانْتِصَارَاتِهَا البَاهِرَةَ، فَيَحْفِزُ ذٰلِكَ الهِمَمَ، وَيَصْقُلُ المَشَاعِرَ وَالأَحَاسِيْسَ؛ لِيَقِفَ كُلُّ مُسْلِمٍ مَوْقِفَ جِدٍّ، مُحَاسِبًا لِنَفْسِهِ: هَلْ تَنَبَّهَ فِي هَـٰذَا الشَّهْرِ الكَرِيْمِ مِنْ غَفْلَتِهِ، وَاسْتَيْقَظَ مِنْ رَقْدَتِهِ، أَوْ أَنَّ حَالَهُ فِي هَـٰذَا الشَّهْرِ كَحَالِهِ فِي غَيْرِهِ؛ تَأْسِرُهُ المَعَاصِيْ، وَتُلْهِيْهِ سَكْرَةُ الهَوَىٰ وَطُولُ الأَمَلِ؟!

مَعْشَرَ الإِخْوَةِ الصَّائِمِيْنَ، إِنَّ الأَخْطَاءَ المُتَفَشِّيَةَ فِي وَاقِعِ الصَّائِمِيْنَ لَجَدِيْرَةٌ بِالمُعَالَجَةِ، وَتَشْخِيْصِ أَسْبَابِهَا الَّتِيْ يَجْمَعُهَا: قِلَّةُ البَصِيْرَةِ فِي دِيْنِ اللهِ، وَضَعْفُ الارْتِبَاطِ بِفِقْهِ حِكَمِهِ وَأَحْكَامِهِ، وَإِنَّهُ لَيَنْبَغِيْ عَلَىٰ كُلِّ صَائِمٍ - يَرْجُو قَبُولَ صِيَامِهِ - أَنْ يُبَادِرَ إِلَىٰ عَرْضِ حَالِهِ فِي هَـٰذِهِ الفَرِيْضَةِ العَظِيْمَةِ عَلَىٰ مِيْزَانِ الشَّرْعِ، وَمِعْيَارِ السُّنَّةِ المُطَهَّرَةِ؛ فَسُوءُ فَهْمِ بَعْضِ المُسْلِمِيْنَ لِهَـٰذِهِ الشَّعِيْرَةِ العَظِيْمَةِ جَعَلَ لِهَـٰذِهِ الظَّوَاهِرِ رَوَاجًا فِي وَاقِعِ

(١) السخائم: جمع سخيمة، وهي الحقد والضغينة في النفس. «اللسان» (سخم).



المُسْلِمِيْنَ؛ وَإِلاَّ فَمَنْ لَمْ يَسْتَفِدْ مِنْ عِبَادَةِ الصَّوْمِ دُرُوسًا وَعِبَرًا، وَآثَارًا وَفِكَرًا ـ فَمَتَىٰ يَسْتَفِيْدُ؟! وَمَنْ لَمْ يُقَوِّمْ نَفْسَهُ فِي رَمَضَانَ ـ فَمَتَىٰ يُقَوِّمُهَا؟!

إِنْ لَمْ تَعُدْ أُمَّةُ الإِسْلَامِ إِلَىٰ تَحْكِيمِ شَرِيْعَةِ اللهِ، وَالإِقْبَالِ عَلَىٰ كِتَابِهِ فِي هَـٰذَا المَوْسِمِ الكَرِيْمِ ـ فَمَتَىٰ تَعُودُ؟! إِنْ لَمْ يَتَحَرَّكْ عُلَمَاؤُهَا وَمُصْلِحُوْهَا، وَدُعَاتُهَا وَمُفَكِّرُوهَا للقِيَامِ بِوَاجِبِهِمْ ـ تَعْلِيْمًا وَحِسْبَةً، وَإِصْلاَحًا وَقُرْبَةً ـ فَمَتَىٰ عَسَاهُمْ أَنْ يَتَحَرَّكُوا؟! إِنْ لَمْ تَجْتَمِعْ كَلِمَةُ المُسْلِمِيْنَ ـ وَقَدِ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ هَـٰذِهِ الشَّعِيْرَةِ، صِيَامًا وَعِبَادَةً وَقِيَامًا ـ فَمَتَىٰ تَتَوَحَّدُ صُفُوفُهُمْ، وَتَجْتَمِعُ كَلِمَتُهُمْ، وَتَتَطَهَّرُ قُلُوبُهُمْ مِنَ مَعَانِيْ الغِلِّ والحِقْدِ، والحَسَدِ والضَّغِيْنَةِ؟! إِنْ لَمْ تَعِفَّ أَلْسِنَتُهُمْ عَنِ الكَذِبِ والغِيْبَةِ، والنَّمِيْمَةِ والبُهْتَانِ ـ فَمَتَىٰ تَكُفُّ؟! إِنْ لَمْ يَتَحَرَّرُوا مِنَ الشَّهَوَاتِ وَالأَهْوَاءِ، وَيَعُودُوا إِلَىٰ سَاحَاتِ الاهْتِدَاءِ وَالاقْتِدَاءِ ـ فَمَتَىٰ يَفْعَلُونَ ذٰلِكَ؟!

إِنْ لَمْ يُقْبِلْ عَلَىٰ اللهِ، مَن شَغَلَتْهُ عَنْ دِيْنِهِ دُنْيَاهُ ـ فَمَتَىٰ يُقْبِلُ؟! إِنْ لَمْ يَنْتَفِعْ شَبَابُ المُسْلِمِيْنَ مِنْ هَـٰذِهِ المَوَاسِمِ العَظِيْمَةِ ـ صَلاَحًا وَإِصْلاَحًا ـ فَمَتَىٰ يَنْتَفِعُونَ؟! وَإِنْ لَمْ تَعُدْ نِسَاءُ المُسْلِمِيْنَ إِلَىٰ أَجْوَاءِ الإِيْمَانِ وَالعَفَافِ، والاحْتِشَامِ والحِجَابِ ـ فَمَتَىٰ يَعُدْنَ؟! إِنْ لَمْ يُنْفِقِ الأَثْرِيَاءُ وَيَجُودُوا بِأَمْوالِ اللهِ الَّتِيْ ابْتَلاَهُمْ بِهَا ـ فَمَتَىٰ يَجُودُونَ؟!

أُمَّةَ الإِسْلَامِ، إِنَّ هَـٰذَا الشَّهْرَ المُبَارَكَ الَّذِي يَجِدُ فِيْهِ المُسْلِمُونَ



فُسْحَةً لِلْعِبَادَةِ والإِقْبَالِ ـ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مُنْطَلَقًا لِرَجْعَةٍ ثَابِتَةٍ، وَعَوْدَةٍ صَادِقَةٍ إِلَى اللهِ ـ جَلَّ جلاَلُهُ ـ وَلَيْسَتْ تَغَيُّرًا مُؤَقَّتًا فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَةٍ، فَيَا سَعَادَةَ الصَّائِمِيْنَ، وَيَا بُشْرَىٰ ـ وَاللهِ ـ لِلْقَائِمِيْنَ؛ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، دُونَ تَثَاقُلٍ وَمَلَلٍ، وَمِنْ غَيْرِ اسْتِطَالَةٍ أَوْ كَلَلٍ!.

أَخِيْ الصَّائِمَ، إِنَّ عَلَى المُسْلِمِ أَلاَّ يَسْتَكْثِرَ عَمَلَهُ عَلى رَبِّهِ؛ مِنْ صِيَامٍ وَقِيَامٍ، وَصَدَقَةٍ وَاعْتِكَافٍ، وَتِلاَوَةٍ وَدُعَاءٍ؛ فَكُلُّ عَمَلِهِ ـ مَهْمَا كَثُرَ ـ قَلِيلٌ فِي جَانِبِ نِعَمِ المَوْلَىٰ ـ جَلَّ وَعَلاَ ـ عَلَيْهِ، وَإِنَّهُ لَمِنَ الحِرْمَانِ والغَبْنِ والخَسَارَةِ: أَنْ تَمُرَّ أَيَّامُ وَلَيَالِيْ هَـٰذَا الشَّهْرِ المُبَارَكِ، وَفِيْهِ مِنَ المُسْلِمِيْنَ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ رَأْسًا لاغْتِنَامِ هَـٰذِهِ الأَوْقَاتِ، فَيَقْطَعُونَ النَّهَارَ بِالنَّوْمِ وَالكَسَلِ، واللَّيْلَ بِالسَّهَرِ واللَّهْوِ والمُحَرَّمَاتِ، وَالتَّفَنُّنِ فِي المُشْتَهَيَاتِ وَالمَلَذَّاتِ، وَإِطْلَاقِ الجَوَارِحِ ـ أَسْمَاعًا وَأَبْصَارًا وَأَلْسِنَةً ـ إِلَىٰ مَا حَرَّمَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ.

أَلاَيَتَذَكَّرُ أُولَـٰئِكَ سُرْعَةَ زَوَالِ هَـٰذَا الشَّهْرِ؟! أَلاَ يُحْسِنُونَ الأَدَبَ مَعَ شَهْرِ اللهِ المُبَارَكِ؟! أَيْنَ مُحَاسَبَةُ النُّفُوسِ يَا عِبَادَ اللهِ؟! لَقَدْ مَرَّتِ العَشْرُ الأُوَلُ مِنْ هَـٰذَا الشَّهْرِ المُبَارَكِ كَلَمْحِ البَصَرِ، بَلْ مَرَّ شَطْرُهُ وَانْتَصَفَ، وَكَثِيْرٌ مِنَ المُسْلِمِيْنَ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ، وَفِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ؛ أَلاَ نَعْتَبِرُ بِمَنْ كَانَ مَعَنَا فِي رَمَضَانَ المَاضِيْ؛ وَلَـٰكِنْ حَالَ المَوْتُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ إِدْرَاكِ رَمَضَانَ هَـٰذَا العَامَ، بَلْ وافَاهُمْ رَمَضَانُ وَهُمْ تَحْتَ الثَّرَىٰ، وَقَدْ سَرَىٰ



فِيْهِمُ البِلَىٰ؟! وَنَحْنُ لاَ نَدْرِيْ؛ هَلْ نُتِمُّ هَـٰذَا الشَّهْرَ أَوْ يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ إِكْمَالِهِ هَاذِمُ اللَّذَّاتِ، وَمُفَرِّقُ الجَمَاعَاتِ؟! . فَاللهُ المُسْتَعَانُ!

لَقَدِ انْتَصَفَ الشَّهْرُ، وقَدْ كُنَّا بِالأَمْسِ القَرِيْبِ نَتَمَنَّىٰ حُلُولَهُ، وَنَتَشَوَّقُ لِاسْتِقْبَالِهِ، وقَرِيْبًا سَيَنْقَضِيْ كَمَا انْقَضَىٰ غَيرُهُ، وَتِلْكَ سُنَّةُ اللهِ سُبْحَانَهُ؛ فَهَلْ مِنْ وَقْفَةٍ ـ يَا عِبَادَ اللهِ ـ لِمُحَاسَبَةِ النُّفُوسِ، وَفَتْحِ صَفْحَةٍ جَدِيْدَةٍ مِنَ الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ؟! لاَسِيَّمَا وَنَحْنُ نَعِيْشُ هَـٰذِهِ الأَيَّامَ العَشْرَ الأَوَاسِطَ مِنْ رَمَضَانَ، عَشْرَ المَغْفِرَةِ؛ فَهَلْ مِنْ مُتَعَرِّضٍ لِنَفَحَاتِ المَوْلَىٰ جَلَّ وَعلاَ؛ لعَلَّهُ يَكْسِبُ هَـٰذَا الفَضْلَ العَظِيْمَ؟! نَحْنُ مُقْبِلُونَ عَلَى الأَيَّامِ العَشْرِ الأَواخِرِ مِنْ رَمَضَانَ الَّتِيْ تُرْجَىٰ فِيْهَا لَيْلَةُ القَدْرِ؛ فَهَلْ مِنْ مُشَمِّرٍ لِعِبَادَةِ اللهِ، وَمُتَعرِّضٍ لِعَفْوِ اللهِ؟! أَمَا آنَ لِلْقُلُوبِ الغَافِلَةِ، والنُّفُوسِ الشَّارِدَةِ: أَنْ تُقْبِلَ على اللهِ قَبْلَ فَوَاتِ الفُرَصِ، وَانْقِضَاءِ الأَعْمَارِ؟! كُلُّنَا ـ وَلاَ شَكَّ ـ يَنْشُدُ رِفْعَةَ الدَّرَجَاتِ، وَتَكْفِيْرَ السَّيِّئَاتِ، والفَوْزَ بِالجَنَّاتِ؛ إِذَنْ: فَهَـٰذِهِ مَوَاسِمُ المُتَاجَرَةِ مَعَ رَبِّ الأَرْضِ والسَّمَواتِ، فَيَابَاغِيَ الخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ.

يَا إِخْوَةَ الإِسْلَامِ، أُمَّةَ الصِّيَامِ وَالقِيَامِ، فِي هَـٰذِهِ العَشْرِ المُبَارَكَةِ تَحَقَّقَ فِي تَأْرِيْخِ هَـٰذِهِ الأُمَّةِ حَدَثٌ عَظِيْمٌ، وَحَصَلَ فَتْحٌ مُبِيْنٌ، حَدَثٌ غَيَّرَ مَجْرَى التَّأْرِيْخِ، وَغَدَا غُرَّةً فِي جَبِيْنِ أُمَّةِ الإِسْلَامِ، وَشَامَةً فِي دُنْيَا مَاضِيْهَا وَحَاضِرِهَا؛ كَمَا يُمَثِّلُ دَرْسًا لأَبْنَاءِ هَـٰذِهِ الأُمَّةِ عَبْرَ الأَزْمِنَةِ؛ لِيَعْلَمُوا



وَلِيُوْقِنُوا أَنَّهُ لاَ عِزَّ لَهُمْ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِتَمَسُّكِهِمْ بِدِيْنِهِمْ، وَإِقْبَالِهِمْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَاهِبِ النَّصْرِ والقُوَّةِ؛ أَتَدْرُونَ مَا هَـٰذَا الحَدَثُ؟! إِنَّهُ اليَوْمُ الَّذِيْ نَصَرَ اللهُ فِيهِ الإِسْلاَمَ وَأَهْلَهُ، وَأَذَلَّ الشِّرْكَ وَأَهْلَهُ، إِنَّهُ يَوْمُ الفُرْقَانِ الَّذِيْ فَرَّقَ اللهُ فِيْهِ بَيْنَ الحَقِّ والبَاطِلِ، فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ الكُبْرَىٰ، حِيْنَ انْتَصَرَ المُسْلِمُونَ وَهُمْ قِلَّةٌ فِي العَدَدِ، ضِعَافٌ فِي العُدَدِ، عَلَىٰ جَحَافِلِ[1] الكُفْرِ، وفُلُولِ الشِّرْكِ، وَمَا ذَاكَ إِلاَّ لأَنَّهُمْ نَصَرُوا دِيْنَ اللهِ؛ فَنَصَرَهُمُ اللهُ، وَحَقَّقَ لَهُمْ وَعْدَهُ؛ ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ [الحج: ٤٠]، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الروم].

إِنَّهُ لَيَجْدُرُ بِأُمَّةِ الإِسْلاَمِ اليَوْمَ، وَقَدْ أَحَاطَتْ بِهَا الفِتَنُ، وَتَكَاثَرَتْ عَلَيْهَا المِحَنُ، وَتَدَاعَتْ عَلَيْهَا الأُمَمُ[2] : أَنْ تَأْخُذَ مِنْ مَاضِيْهَا المَجِيْدِ الدُّرُوسَ والعِبَرَ، فَأُمَّةٌ لاَ مَاضِيَ لَهَا، لاَ حَاضِرَ وَلاَ مُسْتَقْبَلَ لَهَا، وَنَحْنُ أُمَّةٌ لَهَا حَضَارَةٌ وَأَصَالَةٌ وَتَأْرِيْخٌ، لَهَا مَاضٍ تَلِيْدٌ، وَحَاضِرٌ عَتِيْدٌ، وَمُسْتَقْبَلٌ ـ بِإِذْنِ اللهِ ـ مُشْرِقٌ سَعِيْدٌ، وَلاَ صَلاَحَ لآخِرِ هَـٰذِهِ الأُمَّةِ إِلاَّ بِالسَّيْرِ عَلَىٰ مَا صَلَحَ عَلَيْهِ أَوَّلُهَا.

إِنَّهُ لَيَجِبُ عَلَى المُسْلِمِيْنَ أَنْ يَعْرِفُوا أَنَّ شَهْرَ رَمَضَانَ شَهْرُ الجِدِّ

(١) الجحافل: جمع جحفل، وهو الجيش الكثير. «اللسان» (جحفل).
(٢) أي: اجتمعوا عليها وتألَّبوا ضدها، ودعا بعضهم بعضًا. «اللسان» (دعو).



وَالاجْتِهَادِ، والقُوَّةِ والجِهَادِ، شَهْرُ الانْتِصَارَاتِ القَاهِرَةِ، والفُتُوحَاتِ البَاهِرَةِ، وَإِنَّهُ كُلَّمَا احْلَوْلَكَ الظَّلاَمُ[1]، وَعَمَّتْ غُيُومُ الكَوارِثِ والحَوَادِثِ دِيَارَ الإِسْلاَمِ ـ فَإِنَّ الفَأْلَ مَطْلُوبٌ، وَالأَمَلَ مَوْجُودٌ، وَبَوارِقَ النَّصْرِ تُوشِكُ أَنْ تَعْلُوَ ـ بِحَمْدِ اللهِ ـ يُجَسِّدُ ذٰلِكَ صَحْوَةٌ إِسْلاَمِيَّةٌ عَالَمِيَّةٌ مُبَارَكَةٌ، عَمَّتْ جَمِيْعَ أَصْقَاعِ[2] الدُّنْيَا بِفَضْلِ اللهِ؛ فَفِيْ دِيَارِ المَسْجِدِ الأَقْصَىٰ المُبَارَكِ: مَا يَبْعَثُ عَلَى الأَمَلِ بِنَصْرِ اللهِ سُبْحَانَهُ فِي جِهَادِ إِخوانِنَا هُنَاكَ مِنْ أَبْنَاءِ فِلَسْطِيْنَ المُسْلِمَةِ، وَفِي ذٰلِكَ مَدْعَاةٌ لِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ فِي كُلِّ مَكَانٍ أَنْ يَنْتَفِضُوا ـ بِعِلْمٍ وَعَقْلٍ وَحِكْمَةٍ ـ عَلَىٰ كُلِّ فِكْرٍ دَخِيْلٍ، وَمَنْهَجٍ غَيْرِ أَصِيْلٍ، وعَلَىٰ كُلِّ سُلُوكٍ هَزِيْلٍ مُنَافٍ لِتَعَالِيْمِ دِيْنِنَا الحَنِيْفِ، وَقُلْ مِثْلَ ذٰلِكَ في بِقَاعٍ شَتَّىٰ مِنَ العَالَمِ الَّذِيْ سَيَبْتَهِجُ بِنَصْرِ اللهِ الَّذِيْ نَرْجُو أَنْ يَتِمَّ وَيَتَحَقَّقَ عَاجِلاً ـ بِإِذْنِ اللهِ ـ ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ۝٢٠﴾ [إبراهيم].

فَهَلْ نُعِيْدُ لِرَمَضَانَ ـ يَا إِخْوَةَ الإِسْلاَمِ ـ دَوْرَهُ وَمَكَانَهُ فِي التَّأْثِيرِ الحَيَوِيِّ عَلَىٰ وَاقِعِ أُمَّتِنَا؟! وَهَلْ نُواصِلُ حَيَاةَ العِبَادَةِ والبِرِّ والصِّلَةِ؟! وَهَلْ نُحَقِّقُ التَّوْحِيْدَ وَالوَحْدَةَ، والتَّرَاحُمَ وَالإِحْسَانَ، والجُودَ والعَطْفَ وَالمُوَاسَاةَ؟! هَـٰذَا مَا نَرْجُوهُ وَنُؤَمِّلُهُ، وَنَعِيْشُ بَشَائِرَهُ ـ بِحَمْدِ اللهِ ـ وتَوْفِيْقِهِ،

---

(١) احْلَوْلَكَ الظلام: اشتَدَّ سَوَادُهُ، والحُلْكَةُ: شدة السواد كلون الغراب. «اللسان» (حلك).

(٢) الأصقاع: النواحي، جمع صُقْع. «اللسان» (صقع).

أَقَرَّ اللهُ الأَعْيُنَ لِصَلَاحِ أَحْوالِ المُسْلِمِيْنَ فِي كُلِّ مَكَانٍ؛ إِنَّهُ جَوادٌ كَرِيْمٌ.

بَارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيْمِ، وَنَفَعَنِي اللهُ وَإِيَّاكُمْ بِهَدْيِ سَيِّدِ المُرْسَلِيْنَ، أَقُولُ قَوْلِيْ هَـٰذا، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِيْ وَلَكُمْ وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ، فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيْمُ.

الخطبة الثانية

الحَمْدُ للهِ الَّذِيْ جعلَ الصِّيَامَ جُنَّةً، ووَسِيْلَةً مُوْصِلَةً إلى التَّقْوىٰ والجَنَّةِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلـٰهَ إِلاَّ اللهُ، الَّذِيْ شَرَعَ لَنَا الصِّيَامَ تَفَضُّلاً مِنْهُ وَمِنَّةً، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، الدَّاعِيْ إِلىٰ خَيْرِ مِلَّةٍ وَأَقْوَمِ سُنَّةٍ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ.

أمّا بعد:

فَاتَّقُوا اللَّهَ ـ عِبَادَ اللهِ ـ وَعَظِّمُوا حُرُمَاتِهِ وَشَعَائِرَهُ، وَاقْدُرُوا هـٰذَا الشَّهْرَ قَدْرَهُ، واسْتَثْمِرُوا سَاعَاتِهِ وَأَيَّامَهُ وَلَيَالِيَهُ، وَصُونُوا صَوْمَكُمْ عَنْ كُلِّ مَا يَنْقُضُهُ وَيَنْقُصُهُ، وَحَذَارِ أَنْ تَكُونُوا مِمَّنْ حَظُّهُ مِنْ صِيَامِهِ الجُوعُ والعَطَشُ، وَمِنْ قِيَامِهِ السَّهَرُ والنَّصَبُ(١)، نَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الحِرْمَانِ!

وَلْيَكُنْ لَكُمْ فِي نَبِيِّكُمْ ﷺ القُدْوَةُ الحَسَنَةُ؛ فَقَدْ كَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ ـ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ ـ وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ، وَكَانَ كَالرِّيْحِ المُرْسَلَةِ؛ مُسَارَعَةً فِي الخَيْرِ، وَمُسَابَقَةً إلى البِرِّ والإِحْسَانِ، فَإِذَا كَانَ هـٰذَا عَمَلَ مَنْ غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، فَكَيْفَ بِحَالِنَا نَحْنُ الضُّعَفَاءَ؟! فَاللهُ المُسْتَعَانُ!

---

(١) النَّصَبُ: الإعياء من العناء. «اللسان» (نصب).



أَيُّهَا الإِخْوَةُ فِي الله، أُذَكِّرُكُمْ يَا مَنْ تُقْبِلُونَ عَلَى اللهِ فِي صَلاَةٍ وَذِكْرٍ، وَتِلاَوَةٍ وَدُعَاءٍ: بِأَنَّ الله افْتَرَضَ عَلَيْكُمْ زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ، وَجَعَلَها ثَالِثَ أَرْكَانِ الإِسْلاَمِ؛ فَاحْرِصُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِهَا طَيِّبَةً بِهَا نُفُوسُكُمْ، وَجُودُوا بِمَا أَفَاءَ اللهُ بِهِ عَلَيْكُمْ؛ بِمُسَاعَدَةِ إِخْوَانِكُمُ الْمُسْلِمِيْنَ الْمَسَاكِيْنِ الْمُحْتَاجِيْنَ، وَالْمُجَاهِدِيْنَ وَالْمُتَضَرِّرِيْنَ فِيْ كُلِّ مَكَانٍ، لاَ تَنْسَوْا إِخْوَانَكُم، وَأُمَّتَكُمُ الإِسْلاَمِيَّةَ مِنْ دُعَائِكُمُ الصَّالِحِ فِي الشَّهْرِ الْمُبَارَكِ، وَيَعْلَمُ اللهُ - يَا إِخْوَةَ الإِيْمَانِ - كَمْ كَانَ سِلاَحُ الدُّعَاءِ سَبَبًا فِي انْفِرَاجِ كَثِيْرٍ مِنَ الكُرُبَاتِ، وَتَذْلِيْلِ كَثِيْرٍ مِنَ العَقَبَاتِ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

عِبَادَ ٱللَّهِ، خُذُوا العُهُودَ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ بِالسَّيْرِ عَلَىٰ طَرِيْقِ الصَّلاَحِ والاسْتِقَامَةِ، والتَّوْبَةِ والإِنَابَةِ فِي كُلِّ أُمُورِكُمْ؛ لَعَلَّكُمْ تَحْظَوْنَ بِالرَّحْمَةِ والمَغْفِرَةِ، والعِتْقِ مِنَ النَّارِ فِي هَٰذَا الشَّهْرِ الكَرِيْمِ!

هَٰذَا؛ وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللهُ - عَلَىٰ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ وَالهُدَىٰ، أَفْضَلِ الصَّائِمِيْنَ، وَأَشْرَفِ القَائِمِيْنَ؛ فَقَدْ أَمَرَكُمُ اللهُ بِالصَّلاَةِ والسَّلاَمِ عَلَيْهِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ المُبِيْنِ؛ فَقَالَ جَلَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب].



الخطبة الأولى

الحَمْدُ للهِ عَلَىٰ جَزِيْلِ نَعْمَائِهِ، وَجَزِيْلِ إِحْسَانِهِ، أَحْمَدُهُ تَعَالَىٰ وَأَشْكُرُهُ عَلَى سَوابِغِ آلائِهِ، وَتَرَادُفِ امْتِنَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، الدَّاعِي إِلَىٰ مَغْفِرَتِهِ وَرِضْوَانِهِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَتْبَاعِهِ، وَمَنْ سَارَ عَلَى النَّهْجِ القَوِيْمِ، وَدَعَا إِلَى الصِّرَاطِ المُسْتَقِيْمِ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّيْنِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيْمًا كَثِيْرًا.

أمَّا بعد:

فَيَا أَيُّهَا ٱلْمُسْلِمُونَ، اتَّقُوا اللهَ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ـ اتَّقُوهُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، سِرًّا وَعَلَنًا، اتَّقُوا اللهَ حَيْثُمَا كُنْتُمْ، اتَّقُوهُ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، وَفِيْ كُلِّ وَقْتٍ وَآنٍ، اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ.

عِبَادَ ٱللهِ، إِنَّ المُسْلِمَ حَقًّا مَنْ تَكُونُ تَقْوَى اللهِ شِعَارَهُ طِيْلَةَ عُمُرِهِ، وَلِبَاسَهُ مُدَّةَ حَيَاتِهِ، وَإِنَّ المُؤْمِنَ صَادِقَ الإِيْمَانِ مَنْ يَكُونُ عَمَلُهُ بِالطَّاعَاتِ، وَاجْتِنَابُهُ لِلْمَعَاصِيْ وَالخَطِيَّاتِ، دَيْدَنًا لَهُ وَمِنْهَاجًا، إِلَىٰ أَنْ يَتَوَفَّاهُ اللهُ؛ فَلاَ تَزِيْدُهُ مَوَاسِمُ الخَيْرِ إِلاَّ اجْتِهَادًا فِي العِبَادَةِ، وَحِرْصًا عَلَى الطَّاعَةِ،

وَتَرْوِيْضًا[1] لِلنَّفْسِ عَلَى الخَيْرِ، فَإِذَا انْقَضَتْ هَـٰذِهِ المَوَاسِمُ، فَإِنَّ آثَارَهَا تَبْقَىٰ مُتَمَثِّلَةً فِي حَيَاتِهِ؛ صُورًا حيَّةً، وَوَاقِعًا مَلْمُوسًا، وعَمَلاً مُشَاهَدًا مَحْسُوسًا.

أَيُّهَا ٱلْمُسْلِمُونَ، يَا مَنْ وَدَّعْتُمْ قَبْلَ أَيَّام شَهْرًا كَرِيْمًا، وَمَوْسِمًا عَظِيْمًا؛ صُمْتُمْ نَهَارَهُ، وَقُمْتُمْ مَا تَيَسَّرَ مِنْ لَيْلِهِ، وَأَقْبَلْتُمْ عَلَىٰ تِلَاوَةِ القُرْآنِ، وَأَكْثَرْتُمْ مِنَ الذِّكْرِ والدُّعَاءِ، وَتَصَدَّقْتُمْ بِجُودٍ وَسَخَاءٍ، وَتَقَرَّبْتُمْ إِلىٰ رَبِّكُمْ بِأَنْوَاعِ القُرُبَاتِ؛ رَجَاءَ ثَوَابِهِ، وَخَوْفَ عِقَابِهِ، فَكَمْ مِنْ جُهُودٍ بُذِلَتْ، وَأَجْسَادٍ تَعِبَتْ، وَقُلُوبٍ وَجِلَتْ، وَأَكُفٍّ رُفِعَتْ، وَدُمُوعٍ ذَرَفَتْ، وَعَبَرَاتٍ سُكِبَتْ، وَحُقَّ لَهَا ذٰلِكَ فِي مَوْسِمِ المُتَاجَرَةِ مَعَ اللهِ، فِي مَوْسِمِ الرَّحْمَةِ والمَغْفِرَةِ وَالعِتْقِ مِنَ النَّارِ.

إِخْوَةَ الإِسْلَامِ، لَقَدْ مَرَّ بِنَا هَـٰذَا الشَّهْرُ المُبَارَكُ كَطَيْفِ خَيَالٍ[2]، مَرَّ بِخَيْرَاتِهِ وَبَرَكَاتِهِ، مَضَىٰ مِنْ أَعْمَارِنَا وَهُوَ شَاهِدٌ لَنَا أَوْ عَلَيْنَا بِمَا أَوْدَعْنَاهُ فِيْهِ، فَلْيَفْتَحْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا صَفْحَةَ المُحَاسَبَةِ لِنَفْسِهِ: مَاذَا عَمِلَ فِيْهِ؟! وَمَا مَدَىٰ تَأْثِيْرِهِ عَلَى العَمَلِ والسُّلُوكِ؟! هَلْ أَخَذْنَا بِأَسْبَابِ القَبُولِ بَعْدَهُ، وَاسْتَمْرَرْنَا عَلَى العَمَلِ الصَّالِحِ، أَوْ أَنَّ وَاقِعَ كَثِيْرٍ مِنَ النَّاسِ خِلَافُ ذٰلِكَ؟!

هَلْ تَأَسَّيْنَا بِالسَّلَفِ الصَّالِحِ؟! الَّذِيْنَ تَوْجَلُ قُلُوبُهُمْ، وَتَحْزَنُ

(١) رَوَّض النَّفْسَ على الخير أو الشَّرِّ ترويضًا، أي: ذلَّلها ووطَّأها عليه. انظر: «اللسان» (روض).

(٢) طاف به الخَيَال طَيفًا: ألمَّ به في النوم. «اللسان» (طوف).



نُفُوسُهُمْ، عِنْدَمَا يَنْتَهِي رَمَضَانُ؛ لأَنَّهُمْ يَخَافُونَ أَلاَّ يُتَقَبَّلَ مِنْهُمْ عَمَلُهُمْ؛ وَلِذَا فَقَدْ كَانُوا يُكْثِرُونَ الدُّعَاءَ بَعْدَ رَمَضَانَ أَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْهُمْ؛ يَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ۝٦٠ ﴾ [المؤمنون]، سَأَلَتْ عَائِشَةُ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ـ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ أَهْلِ هَـٰذِهِ الآيَةِ أَهُمُ الَّذِيْنَ يَزْنُونَ وَيَسْرِقُونَ وَيَشْرَبُونَ الخَمْرَ؟ قَال: «**لاَ يَا ابْنَةَ الصِّدِّيْقِ، وَلَـٰكِنَّهُمُ الَّذِيْنَ يُصَلُّونَ، وَيَصُومُونَ، وَيَتَصَدَّقُونَ، وَيَخَافُونَ أَلاَّ يُتَقَبَّلَ مِنْهُمْ**»[1]، وَقَدْ قَالَ عَزَّ وَجلَّ: ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٢٧ ﴾ [المائدة].

فَحَرِيٌّ بِكُلِّ عَاقِلٍ، وَيَنْبَغِي عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ: أَنْ يَنْظُرَ فِي حَالِهِ، وَيُفَكِّرَ فِي أَمْرِهِ، وَيَتعَرَّفَ عَلَىٰ عَلاَمَاتِ الرِّبْحِ والخَسَارَةِ بَعْدَ العَمَلِ، وَأهَمُّهَا: الاِسْتِمْرَارُ عَلَى العَمَلِ الصَّالِحِ، وَإِتْبَاعُ الحَسَنَةِ الحَسَنَةَ:

فَمَنْ كَانَتْ حَالُهُ بعْدَ رَمَضَانَ أَحْسَنَ مِنْهَا قَبْلَهُ مُنِيبًا؛ بِأَنْ كَانَ مُقْبِلاً عَلَى الخَيْرِ، حَرِيصًا عَلَى الطَّاعَةِ، مُواظِبًا عَلَىٰ حُضُورِ الجُمَعِ والجَمَاعَاتِ، تَائِبًا مُنِيبًا مُلْتَزِمًا مُسْتَقِيْمًا صَالِحًا، بَعِيْدًا عَنِ المَعَاصِيْ ـ: فَهَـٰذِهِ أَمَارَةُ قَبُولِ عَمَلِهِ، إن شاء الله تعالى.

أَمَّا مَنْ كَانَ حَالُهُ بَعْدَ رَمَضَانَ، كَحَالِهِ قَبْلَهُ، فَهُوَ ـ وَإِنْ أَقْبَلَ عَلَى اللهِ فِي هَـٰذَا الشَّهْرِ ـ إِلاَّ أَنَّهُ سَرْعَانَ مَا يَنْكُصُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ، وَيَعُودُ إِلَى المعَاصِيْ، وَيَهْجُرُ الطَّاعَاتِ، وَيَجْتَرِحُ مَا حَرَّمَ اللهُ، وَيُضَيِّعُ الصَّلَوَاتِ،

---

(١) رواه أحمد (٦/ ١٦٠، ٢٠٥)، والترمذي (٣١٧٥)، وابن ماجه (٤١٩٨).



وَيَتَّبِعُ الشَّهَوَاتِ، وَلاَ يَصُونُ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ وَجَوَارِحَهُ، وَأَقْوَالَهُ وَأَفْعَالَهُ وَأَمْوَالَهُ عَنِ المُحَرَّمَاتِ ـ: فَهَـٰذَا لاَ يَزْدَادُ مِنَ اللهِ إِلاَّ بُعْدًا، والعِيَاذُ بِاللهِ.

غَرِيْبٌ ـ يَا أَهْلَ الإِسْلَامِ ـ أَنْ يُسِيءَ أَبْنَاءُ هَـٰذَا الدِّينِ الفَهْمَ لِشَعَائِرِ الإِسْلَامِ، فَلا يَعْمَلُوْنَ الطَّاعَاتِ إِلاَّ فِي مَوَاسِمَ مُعَيَّنَةٍ، وَأَوْقَاتٍ مُحَدَّدَةٍ، فَإِذَا انْتَهَتْ، كَانَ ذٰلِكَ آخِرَ عَهْدِهِمْ بِهَا! نَعُوْذُ بِاللهِ مِنَ العَمَىٰ بَعْدَ الهُدَىٰ؛ ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثًا﴾ [النحل: ٩٢].

سُئِلَ بَعْضُ السَّلَفِ عَنْ أُنَاسٍ يَتَعَبَّدُونَ فِي رَمَضَانَ، فَإِذَا انْسَلَخَ رَمَضَانُ، تَرَكُوا؟ فَقَالَ: «بِئْسَ القَوْمُ لاَ يَعْرِفُونَ اللهَ إِلاَّ فِي رَمَضَانَ».

فَاتَّقُوا اللهَ ـ عِبَادَ اللهِ ـ يَا مَنْ عَرَفْتُمُ الخَيْرَ فِي رَمَضَانَ، كَيْفَ تَزْهَدُونَ فِيْهِ بَعْدَهُ؟! أَنَسِيْتُمْ أَنَّ رَبَّ الشُّهُورِ كُلِّهَا وَاحِدٌ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ أَحْوَالِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ رَقِيْبٌ مُشَاهِدٌ؟! يَا مَنْ أَقْبَلْتُمْ عَلَىٰ رَبِّكُمْ فِي رَمَضَانَ، كَيْفَ نَسِيْتُمُوهُ بَعْدَهُ؟! يَا مَنْ عَرَفْتُمْ أَنَّ الصَّلَاةَ وَاجِبَةٌ فِي أَوْقَاتِهَا، وَفِي الجَمَاعَةِ فِي بُيُوتِ اللهِ، كَيْفَ تَجَاهَلْتُمْ ذٰلِكَ بَعْدَ رَمَضَانَ؟! يَا مَنْ عَلِمْتُمْ أَنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمُ المَعَاصِيَ، كَيْفَ رَجَعْتُمْ إِلَيْهَا؟! يَا مَنْ كُنْتُمْ تُقْبِلُونَ عَلَى القُرْآنِ، كَيْفَ هَجَرْتُمُوهُ؟!

يَا لَفَدَاحَةِ المُصِيْبَةِ! يَا لَعِظَمِ الحِرْمَانِ أَنْ يَحُورَ[1] أُنَاسٌ بَعْدَ الخَيْرِ إِلَى الشَّرِّ، وَبَعْدَ الهُدَىٰ إِلَىٰ الضَّلَالَةِ، وَبَعْدَ طَرِيْقِ الجَنَّةِ إِلَىٰ طُرُقِ الجَحِيْمِ، والعِيَاذُ بِاللهِ!.

---

(١) حَارَ يَحُورُ حَوْرًا: رجع وتغيَّر من حال إلى حال. «تاج العروس» (حور).



أُمَّةَ الإِسْلَامِ، أَيْنَ آثَارُ الصِّيَامِ الَّتِيْ تَرَكَهَا فِي نُفُوسِ المُسْلِمِيْنَ؟! أَيْنَ الدُّرُوسُ والعِبَرُ الَّتِيْ أُخِذَتْ مِنْ هَـٰذِهِ الفَرِيْضَةِ العَظِيْمَةِ؟! أَيْنَ التَّقْوَىٰ والقُوَّةُ، وَالتَّضْحِيَةُ والصَّبْرُ، وَالمَوَدَّةُ والعَطْفُ، والتَّعَاوُنُ الَّذِيْ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ المُسْلِمُونَ فِي كُلِّ وَقْتٍ؛ لِيَتَحَقَّقَ فِيْهِمْ وَصْفُ القُرْآنِ، وَلِيَكُونُوا كَما أَرَادَ الإِسْلَامُ؟! إِنَّ هَـٰذِهِ الآثَارَ يَجِبُ أَنْ تَبْقَىٰ مُتَمَثِّلَةً فِي حَيَاةِ المُسْلِمِيْنَ أَبَدِيًّا لاَ آنِيًّا، وَسَرْمَدِيًّا لاَ وَقْتِيًّا!.

أُمَّةَ الخَيْرِ وَالاِسْتِقَامَةِ، أَنَسِيْتُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْكُمْ طَاعَتَهُ، وَأَلْزَمَكُمْ بِعِبَادَتِهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ، وَلَمْ يَجْعَلْ لِذَٰلِكَ غَايَةً إِلاَّ حُلُولَ الأَجَلِ؟!

قَرَأَ الحَسَنُ البَصْرِيُّ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ۝٩٩﴾[الحجر]؛ فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ لَمْ يَجْعَلْ لِعَمَلِ المؤمن أجلا دُوْنَ المَوْتِ»[1].

أَلاَ فَلْيَعْلَمْ ذَٰلِكَ جَيِّدًا مَنْ وَدَّعُوا الأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ بِوَدَاعِهِمْ رَمَضَانَ؛ أَفَأَمِنَ هَـٰؤُلاَءِ أَنْ يَنْزِلَ بِهِمُ المَوْتُ سَاعَةً مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ، وَهُمْ عَلَىٰ حَالٍ لاَ تُرْضِي العَزِيْزَ الجَبَّارَ، وَلاَ تَنْفَعُهُمْ يَوْمَ العَرْضِ عَلَى الوَاحِدِ القَهَّارِ؟! أَمَا آنَ لَنَا ـ أُمَّةَ الإِسْلَامِ ـ أَنْ نُدْرِكَ أَنَّ مَا أَصَابَنَا مِنْ ضَعْفٍ وَفُرْقَةٍ، إِنَّمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِنَا، وَنَتِيْجَةً لِعَدَمِ فَهْمِ كَثِيْرٍ مِنَّا لِأَحْكَامِ دِيْنِنَا،

(١) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١٨).



وَضَعْفِ اسْتِفَادَتِنَا مِنْ مَواسِمِ البِرِّ وَالإِحْسَانِ، إِذَا لَمْ تَعْمَلْ هَـٰذِهِ المَوَاسِمُ عَمَلَهَا فِي القُلُوبِ؛ فَتُحْيِيَهَا بعْدَ مَوَاتٍ، وَعَمَلَهَا فِي الأُمَّةِ؛ فَتَجْمَعَهَا بَعْدَ شَتَاتٍ، وَلَمْ تُجْدِ فِي حَلِّ المُشْكِلاَتِ، وَعِلاَجِ المُعْضِلاَتِ، والخُرُوجِ مِنَ الفِتَنِ وَالآفَاتِ ـ: فَإِنَّ ذٰلِكَ دَلِيْلٌ عَلىٰ قِلَّةِ البَصِيْرَةِ، وَتَرَدِّي الوَعْيِ، وَسُوءِ الفَهْمِ لِلأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ.

أَمَّا إِذَا اسْتَقَامَتِ الأُمَّةُ عَلَى العِبَادَةِ، وَلَمْ تَهْدِمْ مَا بَنَتْهُ فِي مَوَاسِمِ الخَيْرِ، وَلَمْ تُبْطِلْ مَا عَمِلَتْهُ فِيْهَا، وَلَمْ تَسْتَسْلِمْ لِنَزَغَاتِ الشَّيْطَانِ وَأَعْوَانِهِ ـ: فَإِنَّهَا تُمْسِكُ بِحَبْلِ النَّجاةِ لِتَصِلَ إِلَىٰ بَرِّ السَّلاَمِ، وَشَاطِىءِ الأَمَانِ، بِإِذْنِ اللهِ.

وَنِدَاءٌ مِلْؤُهُ الحَنَانُ وَالإِشْفَاقُ إِلَى الَّذِيْنَ عَزَمُوا عَلَى العَوْدَةِ إِلَى المَعَاصِيْ بعْدَ رمَضَانَ: أَنْ يَتَّقُوا اللهَ سُبْحَانَهُ؛ فَالعُمْرُ قَصِيْرٌ، وَالآجَالُ مَحْدُودَةٌ، وَالأَنْفَاسُ مَعْدُودَةٌ، فَإِلىٰ مَتَىٰ الاسْتِرْسَالُ فِي الغَفْلَةِ وَالإِعْرَاضِ؛ فَلْتُعْلِنُوهَا جَمِيْعًا تَوْبَةً صَادِقَةً لاَ رَجْعَةَ بَعْدَهَا إِلَى الذُّنُوبِ؛ فَهَـٰذَا ـ واللهِ ـ هُوَ الشُّكْرُ الحَقِيْقِيُّ لِنِعْمَةِ الصِّيَامِ!

وَمِنَ العِلَاجِ لِهَـٰذِهِ الظَّاهِرَةِ: تَنَاصُحُ المُسْلِمِيْنَ، وَتَعَاوُنُهُمْ فِيْمَا بَيْنَهُمْ، والقِيَامُ بِوَاجِبِ الدَّعْوَةِ إِلى اللهِ، وَالأَمْرُ بِالمَعْرُوفِ والنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ، بِالحِكْمَةِ والأُسْلُوبِ الأَمْثَلِ، كُلٌّ عَلَىٰ قَدْرِ اسْتِطَاعَتِهِ.

وَفَّقَنَا اللهُ جَمِيْعًا إِلَىٰ عَمَلِ الصَّالِحَاتِ، وَاجْتِنَابِ المُنْكَرَاتِ،



وَثَبِّتْنَا بِالقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَعِنْدَ المَمَاتِ؛ إِنَّهُ سَمِيْعٌ قَرِيْبٌ مُجِيْبُ الدَّعَوَاتِ.

أَقُولُ قَوْلِي هَـٰذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِيْ وَلَكُمْ وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ والمُسْلِمَاتِ، فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيْمُ.



الخطبة الثانية

الحَمْدُ للهِ مُوَالِي النِّعَمِ وَمُبِيْدِ النِّقَمِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلـهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ إِلَى العَرَبِ والعَجَمِ، صَلَّى اللهُ وسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أُوْلِي العَزَائِمِ والهِمَمِ.

أمّا بعد:

فَاتَّقُوااللهَ ـ عِبَادَاللهِ ـ اشْكُرُوهُ عَلَىٰ نِعَمِهِ الَّتِيْ لاَ تُحْصَىٰ، وَعَلَىٰ آلاَئِهِ الَّتِيْ أَرْسَلَهَا إِلَيكُمْ تترى[1]، فَقَدْ وَالَىٰ عَلَيْكُمْ جَلَّ وَعَلاَ النِّعَمَ والفَضَائِلَ، وَتَابَعَ عَلَيْكُمْ مَوَاسِمَ الخَيْرِ؛ لِرِفْعَةِ دَرَجَاتِكُمْ، وَزِيَادَةِ حَسَنَاتِكُمْ، وَتَكْفِيرِ سَيِّئَاتِكُمْ.

وَمِنْ ذَٰلِكَ: مَا نَدَبَكُمْ إِلَيْهِ فِي شَهْرِكُمْ هَـٰذَا شَهْرِ شَوَّالٍ، مِنْ صِيَامِ سِتَّةِ أَيَّامٍ مِنْهُ، وَرَتَّبَ عَلَىٰ ذٰلِكَ الأَجْرَ العَظِيْمَ؛ رَوَىٰ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيْحِهِ»، مِنْ حَدِيْثِ أَبِي أَيُّوبَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَنْ صَامَ رَمَضَانَ، ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ، كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ»**[2] وَقَدْ يَسَّرَ الإِسْلاَمُ فِي ذٰلِكَ، فلَمْ يُلْزِمْ بِتَتَابُعِهَا فِي الشَّهْرِ، وَلاَ بِلُزُومِهَا فِي كُلِّ عَامٍ.

فَالكَيِّسُ مَنْ شَمَّرَ فِي عِبَادَةِ اللهِ قَبْلَ أَنْ يَتَوَفَّاهُ اللهُ، وَتَذَكَّرَ بِذٰلِكَ

---

(١) تَتْرَىٰ، أي: متواترة متتابعة. «اللسان» (وتر).

(٢) «صحيح مسلم» (١١٦٤).



سُرْعَةَ تَصَرُّمِ العُمُرِ[1]، وَقُرْبَ حُلُولِ الأَجَلِ، والعَاجِزُ مَنْ فَتَحَ عَلَى نَفْسِهِ بَابَ التَّسْوِيْفِ والتَّثَاقُلِ، وَاسْتَرْسَلَ فِي الغَفَلاَتِ والشَّوَاغِلِ، وَاكْتَفَىٰ بِالآمَالِ وَالأَمَانِيِّ، فَيَنْدَمُ حَيْثُ لاَ يَنْفَعُهُ النَّدَمُ.

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ۝٢٠ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ۝٢١ ﴾ [الأنفال].

أَلاَ وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا ـ رَحِمَكُمُ اللهُ ـ عَلَى الهَادِي البَشِيْرِ، والسِّرَاجِ المُنِيْرِ، كَمَا أَمَرَكُمْ بِذٰلِكَ اللَّطِيْفُ الخَبِيْرُ؛ فَقَالَ فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيْلِ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ۝٥٦ ﴾ [الأحزاب].

* * *

(١) سُرْعَة تصَرُّم العمر، أي: سرعة انقضائه وانقطاعه. «اللسان» (صرم).

الخطبة الأولى

الحَمْدُ للهِ ذِيْ المَنِّ وَالاقْتِدَارِ، المُتَفَرِّدِ بِالخَلْقِ وَالاخْتِيَارِ، القَائِلِ فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيْلِ: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨].

أَحمَدُهُ تَعَالىٰ علىٰ نِعَمِهِ الغِزَارِ، وَأَشْكُرُهُ عَلَىٰ فَضْلِهِ المِدْرَارِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلـٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ العَزِيْزُ الغَفَّارُ، سُبْحَانَهُ هُوَ اللهُ الوَاحِدُ القَهَّارُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، المُصْطَفَى المُخْتَارُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعلَىٰ آلِهِ الأَطْهَارِ، وَصَحْبِهِ الأَبْرَارِ، وَالتَّابِعِيْنَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ مَا تَعَاقَبَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ.

أمّا بعد:

فَيَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، اتَّقُوا اللهَ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ ـ وَاشْكُرُوهُ عَلَىٰ نِعَمِهِ الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ.

عِبَادَ اللهِ، إِنَّ المُتَأَمِّلَ فِي أَحْوَالِ هَـٰذَا الكَوْنِ يَجِدُ أَنَّ مِنْ أَعْظَمِ الدَّلاَئِلِ عَلَىٰ وَحْدَانِيَّةِ اللهِ، وَأَكْبَرِ الشَّوَاهِدِ عَلَىٰ رُبُوبِيَّتِهِ، وَكَمَالِ حِكْمَتِهِ، وَعِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ: أَنَّهُ ـ جَلَّ وَعَلاَ ـ يَخْتَارُ مَا يَشَاءُ مِنَ الأَشْخَاصِ وَالأَمْكِنَةِ، وَيَخُصُّ مَا يُرِيْدُ مِنَ الأَشْيَاءِ وَالأَزْمِنَةِ؛ لِمَقَاصِدَ عُظْمَىٰ، وَغَايَاتٍ كُبْرَىٰ،

تَقُومُ عَلَيْهَا مَصَالِحُ العِبَادِ؛ فَلاَ شَرِيْكَ لَهُ سُبْحَانَهُ، يَخْتَارُ كَاخْتِيَارِهِ، وَيُدَبِّرُ كَتَدْبِيْرِهِ؛ ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ﴾[القصص: ٦٨].

وَمِنْ ذَٰلِكَ: أَنِ اخْتَارَ سُبْحَانَهُ الْمَلاَئِكَةَ الْمُقَرَّبِيْنَ، وَالأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِيْنَ، فَاصْطَفَىٰ سُبْحَانَهُ الأَنْبِيَاءَ مِنْ وَلَدِ آدَمَ، وَاخْتَارَ الرُّسُلَ ـ عَلَيْهِم صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلاَمُهُ ـ مِنْهُمْ: ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾[الأنعام: ١٢٤]، وَاخْتَارَ مِنَ الرُّسُلِ أُوْلِي العَزْمِ[(١)]، وَاخْتَارَ مِنْ أُوْلِي العَزْمِ الخَلِيْلَيْنِ إِبْرَاهِيْمَ وَمُحَمَّدًا، عَلَيْهِمَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

وَمِنْ ذَٰلِكَ: أَنِ اخْتَارَ وَلَدَ إِسْمَاعِيْلَ مِنْ أَجْنَاسِ بَنِي آدَمَ، ثُمَّ اخْتَارَ مِنْهُمْ بَنِيْ كِنَانَةَ، ثُمَّ اخْتَارَ مِن بَنِيْ كِنَانَةَ قُرَيْشًا، ثُمَّ اخْتَارَ مِن قُرَيْشٍ بَنِيْ هَاشِمٍ، ثُمَّ اخْتَارَ مِنْ بَنِيْ هَاشِمٍ سَيِّدَ وَلَدِ آدَمَ مُحَمَّدًا ﷺ، وَاخْتَارَ لَهُ أَصْحَابًا هُمْ أَفْضَلُ الأُمَّةِ بَعْدَهُ، وَاخْتَارَ أُمَّتَهُ وَفَضَّلَهَا عَلَىٰ سَائِرِ الأُمَمِ؛ ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾[آل عمران: ١١٠].

فَلِلَّهِ ـ وَحْدَهُ ـ القُدْرَةُ النَّافِذَةُ، والحِكْمَةُ البَالِغَةُ، فِيْمَا يَخْلُقُ وَيَخْتَارُ.

وإِنَّ مِمَّا اخْتَارَهُ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ لِعِبَادِهِ مِنَ الأَمْكِنَةِ المُبَارَكَةِ: هَٰذَا البَلَدَ الحَرَامَ، خَيْرَ الأَمَاكِنِ، وَأَجَلَّ البِقَاعِ عَلَى الإِطْلاَقِ، وَأَشْرَفَهَا

(١) وهم خمسة من رسل الله ـ على الراجح ـ وهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ وأولو العزم، أي: أصحاب الحزم والجد والصبر. انظر: «تفسير البغوي» (٧/ ٢٧١).



باتِّفَاقٍ، اخْتَارَهُ اللهُ - عَزَّ وَجلَّ - لِنَبيِّهِ مُحمَّدٍ ﷺ، وَجعَلَ عَرَصَاتِهِ[1] مَنَاسِكَ لِعبَادِهِ، وَأَوْجَبَ عَلَيْهِمُ الإتْيَانَ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ فجٍّ عَميْقٍ، فَيَدْخُلُونَهُ مُتَوَاضِعِيْنَ مُتَذَلِّلِيْنَ، مُتَجَرِّدِيْنَ عَنْ لِبَاسِ أَهْلِ الدُّنْيَا.

مَعَاشِرَ المُسْلِمِيْنَ، لَقَدْ جَعَلَ اللهُ هَـٰذَا البَلَدَ حَرَمًا آمِنًا، وَمَكَانًا مُبَارَكًا، وَهُدًى لِلْعَالَمِيْنَ، يَجِدُونَ عِنْدَهُ الهُدَىٰ بِدِيْنِ اللهِ، هُوَ أَوَّلُ بَيْتٍ وُضِعَ فِي الأَرْضِ لِلْعِبَادَةِ، وَخُصِّصَ لَهَا؛ فلاَ يَخْرُجُ بِهِ عَنْهَا بِحَالٍ مِنَ الأَحْوَالِ، ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧]؛ فَهُوَ بِمَثَابَةِ الأَمْنِ لِكُلِّ خَائِفٍ، وَلَيْسَ هَـٰذَا لمَكَانٍ آخَرَ فِي الأَرْضِ سِوَاهُ، وَقَدْ بَقِيَ هَـٰكَذَا مُنْذُ رَفَعَ قَوَاعِدَهُ إِبْرَاهِيْمُ وَإِسْمَاعِيْلُ - عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ - وَحَتَّىٰ فِي جَاهِلِيَّةِ العَرَبِ، وَفِيْ الفَتْرَةِ الَّتِيْ انْحَرَفُوا فِيْهَا عَنْ دِيْنِ إِبْرَاهِيْمَ، عَلَيْهِ السَّلاَمُ.

وَقَدْ بَقِيَتْ حُرْمَةُ هَـٰذَا البَيْتِ سَارِيَةً، وَسَتَبْقَىٰ - بِإِذْنِ اللهِ - إِلَىٰ أَنْ يَرِثَ اللهُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا، وَهُوَ خَيْرُ الوَارِثِيْنَ، فَقَدْ حَمَاهُ اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - فَلَمْ يَغْلِبْ عَلَيْهِ جَبَّارٌ، وَلَمْ يَعْلُ فِيْهِ صَوْتٌ عَلَىٰ صَوْتِ الحَقِّ، وَلَمْ تَرْتَفِعْ فِيْهِ رَايَةٌ غَيْرُ رَايَةِ التَّوْحِيْدِ، وَلَمْ يُرْفَعْ فِيْهِ شِعَارٌ مُنَاهِضٌ لِلإِسْلاَمِ، لَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ فِي الجَاهِلِيَّةِ يَلْقَىٰ قَاتِلَ أَبِيْهِ أَوْ أَخِيْهِ فِي البَلَدِ الحَرَامِ، والشَّهْرِ الحَرَامِ، فَلاَ يَعْرِضُ لَهُ، كَيْفَ وَقَدِ امْتَنَّ اللهُ بِذٰلِكَ عَلَى النَّاسِ

(١) عَرَصَاتُ البَلَدِ الحَرَامِ، أي: بِقَاعُهُ، جمع عَرْصَةٍ، وهي: كُلُّ بقعةٍ ليس فيها بناء. «اللسان» (عرص).



بِقَوْلِهِ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾[العنكبوت]، ﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا﴾[القصص: ٥٧].

بَلْ لَقَدْ تَعَدَّىٰ الأَمْنُ فِيْهِ الإِنْسَانَ إِلى الحيوَانِ والطَّيْرِ، والنَّبَاتِ وَالزَّرْعِ والشَّجَرِ، وَالمَالِ وَالجَمَادِ؛ أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ فِي «صَحِيْحَيْهِمَا»، مِنْ حَدِيْثِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ: «**إِنَّ هَـٰذَا البَلَدَ حَرَّمَهُ اللهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَواتِ وَالأَرْضَ، فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللهِ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَإِنَّهُ لَمْ يَحِلَّ القِتَالُ فِيهِ لأَحَدٍ قَبْلِي، وَلَمْ يَحِلَّ إِلاَّ سَاعَةً مِنْ نَهارٍ؛ فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللهِ إِلَىٰ يوم القِيَامَةِ؛ لاَ يُعْضَدُ[(١)] شَوْكُهُ، وَلاَ يُنفَّرُ صَيْدُهُ، وَلاَ يَلْتَقِطُ لُقَطَتَهُ إِلاَّ مَنْ عَرَّفَهَا، وَلاَ يُخْتَلَىٰ خَلاَهُ[(٢)]**»[(٣)].

كَمَا جَعَلَ المَوْلَىٰ - جَلَّ وَعَلاَ - قَصْدَ هَـٰذِهِ البُقْعَةِ المُبَارَكَةِ مُكَفِّرًا لِلذُّنُوبِ، مَاحِيًا لِلأَوْزَارِ، حَاطًّا لِلْخَطَايَا؛ بَلْ لَمْ يَرْضَ لِقَاصِدِهِ ثَوَابًا دُونَ الجَنَّةِ، فَلَوْ لَمْ يَكُنْ هَـٰذَا البَلَدُ الأَمِيْنُ خَيْرَ البِلاَدِ وَأَحَبَّهَا إِلى اللهِ، لَمَا جَعَلَهَا مَنَاسِكَ لِعِبَادِهِ، وَفَرَضَ عَلَيْهِمْ قَصْدَهَا، وَجَعَلَ ذٰلِكَ رُكْنًا مِنْ أَرْكَانِ الإِسْلاَمِ، وَأَقْسَمَ بِهِ - جَلَّ وَعَلاَ - فِي مَوْضِعَيْنِ مِنْ كِتَابِهِ الكَرِيْمِ فِي

(١) أي: لا يُقْطَع، والعضد: القطع. «النهاية» (عضد).

(٢) الخلا: النبات الرطب الرقيق مادام رطبًا، واختلاؤه: قطعه. «النهاية» (خلو).

(٣) «صحيح البخاري» (٣١٨٩)، و«صحيح مسلم» (١٣٥٣).



سُورتَي البَلَدِ، وَالتِّيْنِ[1].

وَلَيْسَ عَلَىٰ وَجْهِ الأَرْضِ بُقْعَةٌ يَجِبُ عَلَى المُسْتَطِيْعِ السَّعْيُ إِلَيْهَا، والطَّوَافُ بالبَيْتِ الَّذِيْ فِيْهَا سِوَاهَا، وَكَمَا جَعَلَ لَهَا سُبْحَانَهُ مِنَ الخَصَائِصِ وَالمَزَايَا الجَمَّ الغَفِيْرَ؛ فَالصَّلاَةُ فِي المَسْجِدِ الحَرَامِ بِمِائَةِ أَلْفِ صَلاَةٍ فِيْمَا سِواهُ؛ كَمَا فِي المُسْنَدِ، وابْنِ حِبَّانَ، بِسَنَدٍ صَحِيحٍ[2]، وَهِيَ قِبْلَةُ المُسْلِمِيْنَ، وَمَهْوَى الأَفْئِدَةِ، وَمَهْبِطُ الوَحْيِ، وَمَهْدُالرِّسَالَةِ، وَمَنْبَعُ النُّورِ، وَمَصْدَرُ إِشْعَاعِ الهُدَىٰ لِلْبَشَرِيَّةِ قَاطِبَةً.

إِخْوَةَ الإِيْمَانِ، لَقَدْ جَعَلَ اللهُ لِلنَّاسِ مَنْطِقَةَ أَمَانٍ، وَدَارَ سَلاَمٍ، وَوَاحَةَ اطْمِئْنَانٍ، تِلْكُمْ هِيَ هَـٰذِهِ البِقَاعُ الطَّاهِرَةُ، يَسْتَوِيْ فِيْ ذٰلِكَ جَمِيْعُ عِبَادِ اللهِ مِمَّنْ تَشَرَّفَ بِالإِسْلاَمِ؛ يَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَـٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَـٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾[الحج: ٢٥]، وَلَقَدْ كَانَ النَّهْجُ الأَمْنِيُّ الَّذِيْ شَرَعَهُ اللهُ فِي البَيْتِ الحَرَامِ سَابِقًا لِكُلِّ مُحَاوَلاَتِ البَشَرِ فِي إِيْجَادِ مَنْطِقَةٍ حَرَامٍ، يُلْقَىٰ فِيْها السِّلاَحُ، وَيَأْمَنُ فِيْهَا المُتَخاصِمُونَ، وَتُحْقَنُ فِيْهَا الدِّمَاءُ، وَيَجِدُ كُلُّ مُسْلِمٍ فِيْهَا أَمْنَهُ وَمَأْوَاهُ.

وَإِذَا كَانَ الإِسْلاَمُ يُقَرِّرُ أَنَّ هَـٰذَا البَلَدَ وَاحَةُ سَلاَمٍ، وَمَنْطِقَةُ أَمْنٍ وَأَمَانٍ،

---

(١) سورة البلد، الآية: ١، وسورة التين، الآية: ٣.

(٢) «المسند» (٤/ ٥)، و«صحيح ابن حبان» (١٦٢٠)؛ من حديث عبدالله بن الزبير، رضي الله عنهما.



فَإِنَّهُ يُهَدِّدُ وَيَتَوَعَّدُ كُلَّ مَنْ يُرِيْدُ اعْوِجَاجًا عَنْ هَـٰذَا النَّهجِ المُسْتَقِيْمِ بِالعَذَابِ الأَلِيْمِ، فَرَتَّبَ العِقَابَ عَلَى الهَمِّ وَالإِرَادَةِ بِالسَّيِّئَةِ، وَإِنْ لَمْ تُفْعَلْ؛ يَقُولُ تَعَالىٰ: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [الحج]، فكَيْفَ بِمَنْ يُرِيْدُ وَيَفْعَلُ؟! لاَ رَيْبَ أَنَّ الأَمْرَ أَشَدُّ وَأَنْكَىٰ!

إِنَّ فِيْ هَـٰذَا التَّعْبِيْرِ البَلِيْغِ زِيَادَةً فِي التَّحْذِيْرِ، وَمُبَالَغَةً فِي التَّوْكِيْدِ، وَلَقَدْ ضَرَبَ السَّلَفُ الصَّالِحُ أَرْوَعَ الأَمْثِلَةِ فِي الأَدَبِ مَعَ حَرَمِ اللهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ يَقُولُ عَبْدُاللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ العَاصِ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ: **«كُنَّا نَعُدُّ: لاَ وَاللهِ، وَبَلَىٰ وَاللهِ، مِنَ الإِلْحَادِ فِي الحَرَمِ»**، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: **«إِنَّ احْتِكَارَ الطَّعَامِ، وَظُلْمَ الخَادِمِ: إِلْحَادٌ فِي الحَرَمِ»**[1]، وَرُوِيَ عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَوْلُهُ: **«لأَنْ أُخْطِىءَ سَبْعِيْنَ خَطِيْئَةً بِـ«رُكْبَةَ»[2] ـ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُخْطِىءَ خَطِيْئَةً وَاحِدَةً فِي الحَرَمِ»**[3].

أَيُّهَا ٱلْمُسْلِمُونَ، حَقًّا لَقَدْ ظَهَرَ سِرُّ تَفْضِيلِ هَـٰذَا المَكَانِ المُبَارَكِ فِي انْجِذَابِ أَفْئِدَةِ المُسْلِمِيْنَ، وَهَوَىٰ قُلُوبِهِمْ، وَانْعِطَافِ نُفُوسِهِمْ، وَمَحَبَّتِهِمْ لَهُ، يَثُوبُونَ إِلَيْهِ[4] عَلَىٰ تَعَاقُبِ الأَعْوَامِ مِنْ جَمِيْعِ الأَقْطَارِ، وَلاَ يَقْضُونَ مِنْهُ وَطَرًا.

---

(١) «المصنف» لعبدالرزاق (٥/ ١٥١).

(٢) رُكْبَة: اسم موضع بالحجاز بين غَمْرَةَ وذاتِ عِرْقٍ. «النهاية» (ركب)، وفي «القاموس»: «رُكْبَة ـ بالضم ـ: واد بالطائف».

(٣) «المصنف» لعبدالرزاق (٥/ ٢٨).

(٤) أي: يجتمعون ويجيئون إليه. «تاج العروس» (ثوب).



لاَيَرْجِعُ الطَّرْفُ عَنْها حِيْنَ يَنْظُرُهَا حَتَّىٰ يَعُودَ إِلَيْهَاالطَّرْفُ مُشْتَاقَا

للهِ كَمْ لِهَـٰذِه البُقْعَةِ المُبَارَكَةِ مِنْ مُحِبٍّ أَنْفَقَ فِي حُبِّهَا الأَمْوَالَ وَالأَرْوَاحَ، وَرَضِيَ بِمُفَارَقَةِ فِلْذَاتِ الأَكْبَادِ، وَالأَهْلِ وَالأَحْبَابِ وَالأَوْطَانِ!.

مَحَاسِنُهُ هَيُولَى[1] كُلِّ حُسْنٍ وَمَغْنَاطِيْسُ أَفْئِدَةِ الرِّجَالِ

يَحْدُوهُمُ الشَّوْقُ، وَيَحْفِزُهُمُ الأَمَلُ فِي مَغْفِرَةِ اللهِ وَرِضْوَانه.

إِخْوَةَ العَقِيْدَةِ، يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ ۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ﴾[المائدة: ٩٧]، وَيَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾[آل عمران].

مَكَّةُ المُكَرَّمَةُ: أَفْضَلُ البِقَاعِ عِنْدَاللهِ، وَأَحَبُّ البِلَادِ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ.

أَخْرَجَ الإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «المُسْنَدِ»، والتِّرْمِذِيُّ، والنَّسَائِيُّ، وَابْنُ مَاجَهْ، عَن عَبْدِاللهِ بنِ عَدِيِّ بْنِ الحَمْرَاءِ؛ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ ـ وَهُوَ وَاقِفٌ عَلَىٰ رَاحِلَتِهِ بِـ«الحَزْوَرَةِ»، مَوْضِعٍ بِمَكَّةَ[2] ـ يَقُولُ: «وَاللهِ، إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ

---

(١) الْهَيُولَى ـ وتشدَّد الياء مضمومة ـ: أصل الشيء ومادته. «تاج العروس» (هيل)، والمُرَادُ: مَحَاسِنُهُ أَصْلُ كُلِّ حُسْنٍ ومنبعه.

(٢) وهو موضع بها عند باب الحَنَّاطين، قال الشافعي: «الناسُ يشدِّدون الحَزْرَوَةَ والحُدَيْبِيَةَ، وهما مخفَّفتان». انظر: «النهاية» (حزور).



اللهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللهِ إِلَى اللهِ، وَلَوْلاَ أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ، مَاخَرَجْتُ»[1].

بِمَكَّـةَ نُـورٌ يَهُـزُّ الشُّعُـورَ ... وَيُنْطِقُ كُلَّ فَتًى أَخْرَسِ

يُجَاذِبُ قَلْبِيْ إِلَيْهَا الهَوَىٰ ... فَفِيْ غَيْرِهَا القَلْبُ لَمْ يَأْنَسِ

وَبَيْـتُ العَتِيْـقِ لَنَـا قِبْلَـةٌ ... نُفَدِّيْهِ بِالنَّفْسِ وَالأَنْفَسِ

لَقَدْ ظَلَّتْ مَكَّةُ عَبْرَ التَّأْرِيْخِ، وَعَلَىٰ مَرِّ القُرُونِ، بِنَاءً شَامِخًا، وَصَرْحًا مَنِيْعًا، تَتَهَاوَى الدُّوَلُ وَتَتَسَاقَطُ كَأَوْرَاقِ الخَرِيْفِ، وَتُحْفَظُ مَكَّةُ بِحِفْظِ اللهِ رَمْزًا لِلإِيْمَانِ وَالأُخُوَّةِ، وَمَوْئِلاً لِلْعَقِيْدَةِ، وَمَصْدَرًا لِلدَّعْوَةِ، وَمَرْكَزًا لأَعْظَمِ حَضَارَةٍ إِسْلاَمِيَّةٍ انْبَثَقَتْ مِنْ تِلْكَ البِقَاعِ، حَتَّىٰ غَيَّرَتْ مَجْرَى التَّأْرِيْخِ، وَهَزَّتْ كِيَانَ العَالَمِ، وَزَلْزَلَتْ كِيَانَ الوَثَنِيَّةِ، وَحَطَّمَتْ عُرُوشَ الجَاهِلِيَّةِ.

اللهُ أَكْبَرُ! بِمَكَّةَ عَبَقُ الذِّكْرَيَاتِ الخَالِدَةِ، وَشَذَى البُطُولاَتِ المَاجِدَةِ.

مَكَّةُ المُكَرَّمَةُ: مَرْكَزُ العَالَمِ، وَوَاسِطَةُ الدُّنْيَا، وَقُطْبُ الرَّحَىٰ فِيْ كِيَانِ هَـٰذِهِ الأُمَّةِ، اسْأَلُوا عَنْ ذٰلِكَ التَّأْرِيْخَ مِنْ آدَمَ ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ إِلَىٰ إِبْرَاهِيْمَ؛ حَيْثُ بِنَاءُ البَيْتِ، وَحَيْثُ المَقَامُ وَالحَطِيْمُ، وَزَمْزَمُ وَهَاجَرُ وَإِسْمَاعِيْلُ، إِلَىٰ هُودٍ وَصَالِحٍ، وَمُوسَىٰ وَعِيْسَىٰ ـ عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ ـ إِلَىٰ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِاللهِ ـ عَلَيْهِ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلاَمُهُ ـ يَصْدَعُ بِدَعْوَةِ التَّوْحِيْدِ فِي تِلْكَ الرُّبَا وَالبِقَاعِ، إِلَىٰ أَنْ يَعُودَ إِلَيْهَا فَاتِحًا مُظَفَّرًا، إِلى الصحابَةِ الكِرَامِ

---

(١) رواه أحمد (٤/ ٣٠٥)، والترمذي (٣٩٢٥)، والنسائي في «الكبرى» (٤٢٥٢)، وابن ماجه (٣١٠٨).



وَالفَاتِحِيْنَ العِظَامِ، حَتَّىٰ هَيَّأَ اللهُ لِهَـٰذِهِ البِقَاعِ المُبَارَكَةِ تِلْكَ الدَّوْلَةَ المُبَارَكَةَ، تَرْعَىٰ شُئُوْنَ الحَرَمَيْنِ وَتُولِيهِمَا العِنَايَةَ وَالاِهْتِمَامَ، أَخْلَصَ اللهُ أَعْمَالَهَا، وَسَدَّدَ أَقْوَالَهَا وَأَفْعَالَهَا، وَجَعَلَ مَاتُقَدِّمُهُ فِيْ مَوَازِيْنِهَا، وَلْيَمُتِ الحَاسِدُونَ بِحَسَدِهِمْ، وَالمَغِيظُونَ بِغَيْظِهِمْ؛ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾﴾ [آل عمران].

أُمَّةَ ٱلإِسْلَامِ، إِنَّ الوَاجِبَ عَلَيْنَا جَمِيعًا أَنْ نَرْعَى الآدَابَ الشَّرْعِيَّةَ، وَنَحْنُ نَعِيْشُ فِي هَـٰذِهِ البِقَاعِ الطَّاهِرَةِ، وَلَـٰكِنْ ـ وَاللهُ المُسْتَعَانُ! ـ لَقَدْ أَسَاءَ أَقْوَامٌ الأَدَبَ مَعَ اللهِ، وَمَعَ حَرَمِهِ، وَمعَ عِبَادِهِ؛ فَهلْ مِنَ الأَدَبِ أَنْ يُمَارِسَ العَبْدُ مَا يُخَالِفُ العَقِيْدَةَ، أَوْ يَقْتَرِفَ بِدْعَةً أَوْ خُرَافَةً، أَوْ خَطِيْئَةً أَوْ مَعْصِيَةً؟! هَلْ مِنَ الأَدَبِ وَحُسْنِ الجِوَارِ أَنْ تُضَيَّعَ الصَّلَاةُ، وَيُتَسَاهَلَ فِي الطَّاعَاتِ؟! هَلْ مِنَ الأَدَبِ اقْتِرَافُ الذُّنُوبِ، مِنْ وُقُوعٍ فِي الزِّنَىٰ، أَوْ تَعَامُلٍ بِالرِّبَا، أَوْ تَعَاطٍ لِلْمُسْكِرَاتِ وَالمُخَدِّرَاتِ، وَجَلْبٍ لَهَا إِلَىٰ أَفْضَلِ البِقَاعِ؟! هَلْ مِنْ حُسْنِ الجِوَارِ السِّبَابُ وَالشَّتَائِمُ، وَالغِيْبَةُ وَالنَّمِيمَةُ وَالبُهْتَانُ، وَالظُّلْمُ وَالتَّعَدِّيْ، وَالغِشُّ وَالتَّزْوِيْرُ؟! أَوْ إِعْلَانُ المَعَازِفِ، وَرَفْعُ أَصْوَاتِ المَلَاهِيَ، أَوِ التَّبَرُّجُ وَالسُّفُورُ وَالاِخْتِلَاطُ المُحَرَّمُ، وَمَا يَفْعَلُهُ بَعْضُ السُّفَهَاءِ مِنْ قِلَّةِ الحَيَاءِ فِيْ حَرَمِ اللهِ وَأَمْنِهِ؟! هَلْ مِنَ الأَدَبِ مَعَ حَرَمِ اللهِ أَنْ يُحَوَّلَ إِلَىٰ جَلْبِ مَنْشُورَاتٍ مُفْسِدَةٍ، أَوْ يُحَوَّلَ إِلَىٰ مُزَايَدَاتٍ وَمُهَاتَرَاتٍ؟!

فَاتَّقُوا اللهَ رَبَّكُمْ ـ أَيُّهَا المُسْلِمُونَ ـ وَأَحْسِنُوا الأَدَبَ مَعَ هَـٰذِهِ البِقَاعِ الطَّاهِرَةِ.



إِخْوَةَ الإِسْلَامِ، هَا هِيَ طَلَائِعُ وُفُودِ الرَّحْمَنِ وَفَدَتْ إِلَيْنَا، وَفَدَتْ إِلَيْكُمْ ـ يَا أَهْلَ أُمِّ القُرَىٰ ـ فَمَاذَا أَعْدَدتُّمْ لَهُمْ مِنْ قِرًى، إِنَّ القِرَى المَطْلُوبَ قِرَى الرُّوحِ والخُلُقِ وَحُسْنِ التَّعَامُلِ، فَلْيَتَّقِ اللهَ المَسْئُولُونَ عَنِ الحَجِيْجِ، وَلْيَتَّقِ اللهَ المُطَوِّفُونَ وَالقَائِمُونَ عَلَىٰ حَمَلَاتِ الحَجِّ وَالعُمْرَةِ، لِيُخْلِصُوا أَعْمَالَهُمْ للهِ، وَلْيَرْعَوْا شُئُونَ عِبَادِ اللهِ، وَلْيَعْلَمُوا أَنَّهُمْ مَسْئُولُونَ عَنْهمْ أَمَامَ اللهِ، وَلْيَكُونُوا عِنْدَ حُسْنِ الظَّنِّ بِهِمْ؛ فَلَقَدْ كَانَ العَرَبُ ـ وَهُمْ فِي جَاهِلِيَّتِهِمْ ـ يُكْرِمُونَ الحَجِيْجَ؛ وَمَا السِّقَايَةُ وَالرِّعَايَةُ، وَالرِّفَادَةُ وَالوِفَادَةُ، إِلاَّ دَلِيْلٌ عَلَىٰ ذٰلِكَ؛ فَأَهْلُ الإِسْلَامِ أَوْلَىٰ بِذٰلِكَ وَأَحْرَىٰ.

فَاتَّقُوا اللهَ ـ عِبَادَ اللهِ ـ وَالْتَزِمُوا جَمِيْعًا بِالآدَابِ الإِسْلَامِيَّةِ، وَإِنَّ عَلَيْنَا جَمِيْعًا أَنْ نَحْمَدَ اللهَ وَأَنْ نَشْكُرَهُ عَلَىٰ مَا حَبَانَا مِنْ نِعْمَةِ هٰذِهِ البِقَاعِ المُبَارَكَةِ، وَأَنْ نَرْعَى الأَدَبَ فِيْهَا.

نَسْأَلُ اللهَ تَعَالَىٰ أَنْ يَرْزُقَنَا التَّأَدُّبَ بِآدَابِ الإِسْلَامِ، وَأَنْ يَرْزُقَنَا اتِّبَاعَ سُنَّةِ سَيِّدِ الأَنَامِ، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ.

أَقُولُ قَوْلِي هٰذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِيْ وَلَكُمْ وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ، فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.



الخطبة الثانية

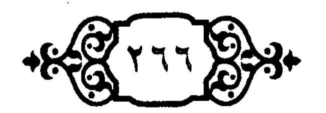
الحَمْدُ للهِ الَّذِيْ جَعَلَ بَيْتَهُ الحَرَامَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلـهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ[1]، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، بَلَغَ مِنَ المَرَاتِبِ أَشْرَفَهَا وَالأَسْنَىٰ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِيْنَ مَدَحَهُمْ رَبُّهُمْ وَأَثْنَىٰ، وَالتَّابِعِيْنَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ.

أما بعد:

فَاتَّقُوا اللَّهَ ـ عِبَادَ اللهِ ـ وَعَظِّمُوا المَشَاعِرَ وَالشَّعَائِرَ، ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾[الحج]، ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾[الحج: ٣٠]، وَاشْكُرُوهُ ـ جَلَّ وَعَلاَ ـ عَلَىٰ مَا حَبَاكُمْ مِنْ نِعْمَةِ الأَمْنِ وَالطُّمَأْنِيْنَةِ، لاَ سِيَّمَا فِيْ هَـٰذِهِ البِقَاعِ الشَّرِيْفَةِ، والحُرُمَاتِ الآمِنَةِ المُنِيْفَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ كَمَا تَعِيْشُونَ فِي الأَمْكِنَةِ المُبَارَكَةِ؛ فَإِنَّكُمْ تَعِيْشُونَ فِي الأَزْمِنَةِ المُبَارَكَةِ، وَهِيَ أَشْهُرُ الحَجِّ المُبَارَكَةُ، وَالأَشْهُرُ الحُرُمُ المُعَظَّمَةُ الَّتِي قَالَ اللهُ ـ عَزَّ وَجلَّ ـ فِيْهَا: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ﴾[التوبة: ٣٦].

---

(١) أَغْنَىٰ: أَعطى، وَأَقْنَى: رضًى. انظر: «تفسير ابن كثير» (٧/ ٤٦٧).

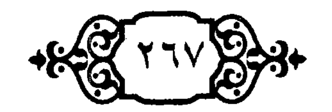


فَيَجِبُ عَدَمُ ظُلْمِ النَّفْسِ بِالوُقُوعِ فِي المَعَاصِيْ فِيْ هَـٰذِهِ الأَزْمِنَةِ وَالأَمْكِنَةِ الشَّرِيْفَةِ؛ أَلاَ وَإِنَّ مِنْ شُكْرِ نِعْمَةِ اللهِ التَّحَدُّثَ بِمَا حَبَا اللهُ بِهِ هَـٰذِهِ البِلاَدَ المُبَارَكَةَ؛ حَيْثُ هَيَّأَ لِهَـٰذَيْنِ الحَرَمَيْنِ الشَّرِيْفَيْنِ مِنَ الرِّجَالِ الأَفْذَاذِ مَنْ يَقُومُونَ بِرِعَايَتِهِمَا وَصِيَانَتِهِمَا، مِنْ وُلاَةِ الأَمْرِ ـ وَفَّقَهُمُ اللهُ ـ الَّذِيْنَ بَذَلُوا ـ وَيَبْذُلُونَ ـ قُصَارَىٰ جُهْدِهِمْ فِي صِيَانَةِ الحَرَمَيْنِ الشَّرِيْفَيْنِ، إِعْمَارًا وَتَطْهِيْرًا، وَتَوْسِعَةً وَصِيَانَةً وَتَطْوِيْرًا.

وَلِلْحَقِّ وَالتَّأْرِيخِ، نَقُولُ: إِنَّهُ لَمْ يَشْهَدِ الحَرَمَانِ الشَّرِيْفَانِ عِنَايَةً وَرِعَايَةً وَخِدْمَةً لِلْحَجِيْجِ، كَمَا حَصَلَ وَيَحْصُلُ فِي هَـٰذِهِ البِلاَدِ المُبَارَكَةِ، نَقُولُهَا حَقًّا وَصِدْقًا وَإِنْصَافًا، لاَ نُرِيْدُ بِهَا مُجَامَلَةً وَلاَ نِفَاقًا، وَلْيَمُتِ الحَاسِدُونَ بِحَسَدِهِمْ!

فَبِاسْمِ المُسْلِمِيْنَ جَمِيْعًا، وَبِاسْمِ الحُجَّاجِ وَالعُمَّارِ وَالزُّوَّارِ، نَرْفَعُ أَكُفَّ الضَّرَاعَةِ لِمَنْ كَانَ خَلْفَ هَـٰذَا العَمَلِ الإِسْلاَمِيِّ الجَلِيلِ: أَنْ يَجْزِيَهُمُ اللهُ خَيْرَ الجَزَاءِ وَأَوْفَرَهُ، وَأَنْ يَجْعَلَ ذٰلِكَ فِي مَوَازِيْنِ أَعْمَالِهِمْ، مَعَ مَا يُؤَمَّلُ مِنْ بَذْلِ المَزِيْدِ، زَادَهُمُ اللهُ مِنَ الخَيْرِ وَالهُدَىٰ وَالتَّوْفِيْقِ، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ.

أَلاَ وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا ـ رَحِمَكُمُ اللهُ ـ عَلَى الرَّسُولِ المُجْتَبَىٰ، وَالحَبِيْبِ المُصْطَفَىٰ؛ كَمَا أَمَرَكُمْ بِذٰلِكَ رَبُّكُمْ جَلَّ وَعَلاَ، فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب].



الخطبة الأولى

الحَمْدُ لله الَّذِيْ جَعَلَ بَيْتَهُ الحَرَامَ لِلنَّاسِ أَمْنًا وَمَثَابَةً، وَزَادَهُ سُبْحَانَهُ تَعْظِيمًا وَتَشْرِيفًا وَتَكْرِيمًا وَمَهَابَةً، أَحْمَدُهُ تعالىٰ وَأَشْكُرُهُ وَأَسْأَلُهُ التَّوْفِيقَ والتَّوْبَةَ وَالإِنَابَةَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلـٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَمُصْطَفَاهُ وَخَلِيْلُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أُولِيْ الفَضْلِ وَالإِصَابَةِ، وَالنَّخْوَةِ وَالنَّجَابَةِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّيْنِ.

أمّا بعد:

فَيَا أَيُّهَا المُسْلِمُونَ، اتَّقُوا اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ؛ فَمَنِ اتَّقَى اللهَ وَقَاهُ، وَمَنْ توَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ.

عِبَادَاللهِ، فِي مِثْلِ هَـٰذِهِ الأَيَّامِ مِنْ كُلِّ عَامٍ تَسْتَقْبِلُ أُمَّةُ الإِسْلاَمِ مُنَاسَبَةً عَظِيْمَةً، تَرْنُو إِلَيْهَا الأَبْصَارُ، وَتَشْرَئِبُّ إِلَيْهَا الأَعْنَاقُ، وَتَخْفِقُ

لَهَا القُلُوبُ المُؤْمِنَةُ، وَتَسْتَبْشِرُ بِهَا النُّفُوسُ المُسْلِمَةُ، تِلْكُمْ - يَاعِبَادَ اللهِ - هِيَ فَرِيْضَةُ الحَجِّ إِلىٰ بَيْتِ اللهِ الحَرَامِ، حَيْثُ البِقَاعُ المُقَدَّسَةُ، وَالمَشَاعِرُ المُشَرَّفَةُ، فِي مَهْبِطِ الوَحْيِ، وَمَنْبَعِ الرِّسَالَةِ، وَمَصْدَرِ إِشْعَاعِ نُورِ الإِيْمَانِ لِلبَشَرِيَّةِ جَمِيْعًا، مِنْ هُنَا: حَيثُ تُسْكَبُ العَبَرَاتُ، وَتُنَزَّلُ الرَّحَمَاتُ، وَتُقَالُ العَثَرَاتُ[1]، وَتُرْفَعُ الدَّرَجَاتُ، وَتُكَفَّرُ السَّيِّئَاتُ، وَيَجُودُ رَبُّ البَرِيَّاتِ؛ كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ»، مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا: «**والحَجُّ المَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلاَّ الجَنَّةُ**»[2]، وَفِيْهِمَا عَنْهُ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ ولَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**»[3].

حُجَّاجَ بَيْتِ اللهِ الحَرَامِ، وَلِكَيْ يَسْتَفِيْدَ الحَاجُّ مِنْ مَنَافِعِ الحَجِّ وَآثَارِهِ، وَلِيَنَالَ مَا كُتِبَ لِلْحُجَّاجِ مِنْ فَضْلِ اللهِ وَثَوَابِهِ، فَإِنَّهُ يَجِبُ عَلىٰ كُلِّ مَنْ أَمَّ هَـٰذَا البَيْتَ العَتِيْقَ: أَنْ يَلْتَزِمَ المَنْهَجَ الشَّرْعِيَّ، وَالهَدْيَ النَّبَوِيَّ، فِي أَدَاءِ هَـٰذِهِ الفَرِيْضَةِ العَظِيْمَةِ؛ فَلِلحَجِّ شُرُوطٌ وَأَرْكَانٌ، وَوَاجِبَاتٌ وَمُسْتَحَبَّاتٌ، وَضَوَابِطُ وَآدَابٌ، لاَبُدَّ مِنْ مُرَاعَاتِهَا.

فَيَا عِبَادَ ٱللهِ، وَيَا حُجَّاجَ بَيْتِ اللهِ، يَا مَنْ قَطَعْتُمُ الفَيَافِيَ والقِفَارَ،

---

(١) العثرات: الزلات، أي: يصفح عنها ويتجاوز. «اللسان»(عثر) (قيل).
(٢) «صحيح البخاري» (١٧٧٣)، و«صحيح مسلم» (١٣٤٩).
(٣) «صحيح البخاري» (١٨١٩)، و«صحيح مسلم» (١٣٥٠).



وَاجْتَزْتُمُ الأَجْواءَ والبِحَارَ، وَتَجَشَّمْتُمُ[1] الصِّعَابَ، وتَحَمَّلْتُمُ المَشَاقَّ، وَتَرَكْتُمْ أَمْوَالَكُمْ وَأَوْلاَدَكُمْ وأَوْطَانكُمْ، إِلَيْكُمْ هَـٰذِهِ الوَصَايَا المُوجَزَةَ الجَامِعَةَ، والكَلِمَاتِ المُخْتَصَرَةَ النَّافِعَةَ، لاَ سِيَّمَا وَأَنْتُمْ تَسْتَعِدُّونَ لِهَـٰذِهِ العِبَادَةِ العَظِيْمَةِ:

أَوَّلاً: الأَصْلُ الَّذِيْ تَنْبَنِي عَلَيْهِ سَائِرُ العِبَادَاتِ مِنْ حَجٍّ وَغَيْرِهِ، أَلاَ وَهُوَ: تَوْحِيْدُ اللهِ سُبْحَانَهُ، وَإِفْرَادُهُ بِالعِبَادَةِ دُونَ سِوَاهُ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]، **فَأَعْظَمُ مَقَاصِدِ الحَجِّ وَمَنَافِعِهِ:** تَحْقِيْقُ التَّوْحِيْدِ للهِ، وَالبُعْدُ عَنِ الإِشْرَاكِ بِهِ؛ يَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْـًٔا﴾ [الحج: ٢٦]؛ فَلاَ يَجُوزُ أَنْ يَلْجَأَ العِبَادُ ـ فِي قَضَاءِ حَاجَاتِهِمْ، وَتَفْرِيْجِ كُرُبَاتِهِمْ، وَشِفَاءِ مَرْضَاهُمْ ـ إِلاَّ إِلَى مَنْ بِيَدِهِ وَحْدَهُ أَزِمَّةُ الأُمُورِ[2]، وَدَفْعُ الشُّرُورِ، وَتَصْرِيْفُ الأَيَّامِ وَالدُّهُورِ، لاَ إِلـٰهَ غَيْرُهُ، وَلاَ مَعْبُودَ بِحَقٍّ سِوَاهُ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُ بِهِ المُشْرِكُونَ عُلُوًّا كَبِيْرًا.

ثَانِيًا: الإِخْلاَصُ للهِ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]؛ فَلاَ رِيَاءَ وَلاَ سُمْعَةَ، ولاَ انْصِرَافَ عَنِ اللهِ إِلَىٰ غَيْرِهِ، مِنْ أَشْخَاصٍ أَوْ شِعَارَاتٍ، أَوْ مَنَاهِجَ أَوْ مَبَادِىءَ تُخَالِفُ هَـٰذَا الأَصْلَ وتَنْقُضُهُ أَوْ تَنْقُصُهُ.

---

(١) أي: تكلفتموها على مشقة. «القاموس» (جشم).

(٢) أي: بيده وحده تصريف الأمور والأحداث. «أساس البلاغة» (زمم).

ثَالِثاً: تَحْقِيقُ المُتَابَعَةِ لِلْحَبِيبِ المُصْطَفَىٰ ﷺ كَمَا أَمَرَ اللهُ، ولُزُومُ سُنَّتِهِ ـ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ ـ وَالأَخْذُ عَنْهُ؛ فَهُوَ القَائِلُ فِيْمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ، مِنْ حَدِيْثِ عَائِشَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ـ: **«مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا، فَهُوَ رَدٌّ»**(١) والقَائِلُ فِي الحَجِّ: **«خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ»**(٢).

رَابِعًا: تَقْوَى اللهِ سُبْحَانَهُ، والعَمَلُ بِطَاعَتِهِ، والحِرْصُ عَلَىٰ الازْدِلاَفِ إِلَيْهِ(٣) بِالعَمَلِ الصَّالِحِ، لاَ سِيَّمَا عِنْدَمَا يَجْتَمِعُ شَرَفُ الزَّمَانِ والمَكَانِ؛ ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧] ذِكْرٌ وَدُعَاءٌ، تِلاَوَةٌ وَطَوَافٌ، تَلْبِيَةٌ وَصَلاَةٌ، بِرٌّ وَإِحْسَانٌ.

خَامِسًا: اسْتِشْعَارُ عَظَمَةِ هَـٰذِهِ الفَرِيْضَةِ؛ فَهِيَ لَيْسَتْ رِحْلَةً بَرِّيَّةً، وَلاَ نُزْهَةً خَلَوِيَّةً، وَلاَ تُفْعَلُ تَقْلِيدًا وَعَادَةً وَمُحَاكَاةً، وَإِنَّمَا هِيَ: رِحْلَةٌ إِيْمَانِيَّةٌ، مُفْعَمَةٌ أَجْوَاؤُهَا بِالمَعَانِيْ السَّامِيَةِ، وَالأَهْدَافِ النَّبِيْلَةِ، وفُرْصَةٌ عَظِيْمَةٌ لِلتَّوْبَةِ وَالإِقْبَالِ عَلى اللهِ سُبْحَانَهُ، وَلُزُوم صِرَاطِهِ المُسْتَقِيمِ، بَعِيْدًا عَنِ اللُّوْثَاتِ العَقَدِيَّةِ والفِكْرِيَّةِ، وَالمُخَالَفَاتِ المَنْهَجِيَّةِ والسُّلُوكِيَّةِ.

سَادِسًا: اسْتِشْعَارُ مَكَانَةِ هَـٰذَا البَيْتِ العَتِيْقِ، وَقَدَاسَةِ هَـٰذِهِ البِقَاعِ المُبَارَكَةِ، وَمَاأُحِيْطَتْ بِهِ مِنَ التَّعْظِيْمِ والمَهَابَةِ؛ فَلاَ يُسْفَكُ فِيْهَا دَمٌ، وَلاَ

---

(١) تقدم تخريجه (ص١٦١).

(٢) رواه مسلم (١٢٩٧)، والبيهقي (٥/ ١٢٥)؛ من حديث جابر، رضي الله عنه.

(٣) أي: التقرُّب إليه، ومنه: الزُّلْفَىٰ، أي: القُرْبَىٰ. «اللسان» (زلف).



يُعْضَدُ فِيْهَا شَجَرٌ، وَلاَ يُنفَّرُ فِيْها صَيْدٌ، وَلاَ تُلْتَقَطُ لُقَطَتُهَا إِلاَّ لِمَنْ عرَّفَها، كَما في «الصَّحِيْحَيْنِ» مِنْ حَدِيْثِ ابنِ عَبَّاسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ[1] فَالشَّجَرُ والصَّيْدُ وَالإِنْسَانُ والحَيَوَانُ فِي مَأْمَنٍ مِنَ الخَوْفِ وَالأَذَىٰ؛ ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧].

فَلاَ يَجُوزُ أَبَدًا أَنْ يُحَوَّلَ هَـٰذَا المَكَانُ إِلىٰ مَا يُنَافِيْ مَقَاصِدَ الشَّرِيْعَةِ وَمَنْهَجَ الإِسْلاَمِ، وَلاَ تكُونُ فِيْهِ دَعْوَةٌ إِلاَّ للهِ وَحْدَهُ، وَلاَ يُرْفَعُ فِيهِ شِعَارٌ إِلاَّ شِعَارُ التَّوْحِيْدِ للهِ، ولاَ يَحِلُّ لِمَنْ يُؤْمِنُ بِاللهِ واليَوْمِ الآخِرِ أَنْ يُؤْذِيَ فِيهِ المُسْلِمِيْنَ، أَوْ يُرَوِّعَ الآمِنِيْنَ، أَوْ يَصْرِفَ الحَجَّ إِلَىٰ مَا يُخَالِفُ سُنَّةَ سَيِّدِ المُرْسَلِيْنَ ـ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ ـ قَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [الحج].

سَابعًا: الاسْتِعْدَادُ لِلْحَجِّ بِالعِلْمِ النَّافِعِ، والفِقْهِ فِي الأَحْكَامِ، والبَصِيْرَةِ فِي مَعْرِفَةِ المَنَاسِكِ ـ عِلْمًا وَعَمَلاً ـ وَسُؤَالِ أَهْلِ العِلْمِ عَمَّا يُشْكِلُ؛ فَلاَ يَجُوزُ أَنْ يُعْبَدَ اللهُ عَلىٰ جَهْلٍ، أَوْ تُؤَدَّى المَنَاسِكُ عَلىٰ غَيْرِ هُدًى، وَذٰلِكَ أَمْرٌ يَنْبَغِيْ أَنْ يُعْنَىٰ بِهِ الحُجَّاجُ أَيَّمَا عِنَايَةٍ.

ثامنًا: اجْتِنَابُ المَعَاصِيْ وَالمُحَرَّمَاتِ؛ كَمَا قَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧]، وَأَطْرُ النَّفْسِ

---

(١) تقدَّم تخريجه (ص٢٥٩).



عَلىٰ عَمَلِ الطَّاعَاتِ، والبُعْدِ عَنِ المُنْكَرَاتِ أَيًّا كَانَتْ.

تاسعًا: العَمَلُ عَلىٰ بِرِّ الحَجِّ، والقِيَامُ بِكُلِّ مَا مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَزِيْدَ فِيْ حَسَنَاتِ الحَاجِّ، وَيُتَمِّمَ نُسُكَهُ بِتَوْفِيْقِ اللهِ، **وَمِنْ ذٰلِكَ:** اخْتِيَارُ الرَّفِيْقِ الصَّالِحِ، وَكَسْبُ الحَلَالِ الطَّيِّبِ؛ فَإِنَّهُ مِنْ أَسْبَابِ القَبُولِ، بِإِذْنِ اللهِ.

عَاشرًا: التَّحَلِّي بِالأَخْلَاقِ الإِسْلَامِيَّةِ العَالِيَةِ، وَالآدَابِ الشَّرْعِيَّةِ الرَّفِيْعَةِ، والتَّخَلِّي عَنْ كُلِّ مَا يُخَالِفُ الخُلُقَ وَالأَدَبَ معَ اللهِ سُبْحَانَهُ أَوْ مَعَ عِبَادِ اللهِ، وَالحَذَرُ مِنْ إِيْذَاءِ المُسْلِمِيْنَ بِالقَوْلِ أَوِ الفِعْلِ أَوِ اليَدِ أَوِ اللِّسَانِ؛ فَالحَجُّ - يَا عِبَادَ اللهِ - مَدْرَسَةٌ لِتَعْلِيْمِ الأَخْلَاقِ الكَرِيْمَةِ، وَالسَّجَايَا الحَمِيدَةِ، والشَّمَائِلِ النَّبِيْلَةِ، والمُثُلِ العُلْيَا؛ مِنَ الصَّبْرِ والتَّحَمُّلِ، والتَّعَاوُنِ وَالإِيْثَارِ، بَعِيْدًا عَنِ العُنْفِ وَالشِّدَّةِ، والمُزَاحَمَةِ وَالإِيْذَاءِ.

أُمَّةَ ٱلإِسْلَامِ، هٰكَذَا يَجِبُ أَنْ يَعِيَ الحُجَّاجُ هٰذِهِ الفَرِيْضَةَ العَظِيْمَةَ، وَأَنْ يَلْتَزِمُوا بِهٰذِهِ الوَصَايَا فِي قُلُوبِهِمْ، وَيَتَمَثَّلُوهَا وَاقِعًا عَمَلِيًّا بِأَفْعَالِهِمْ وَسُلُوكِهِمْ، وَإِنَّ الأُمَّةَ الإِسْلَامِيَّةَ - اليَوْمَ - لَفِي أَشَدِّ الحَاجَةِ إِلى اسْتِجْلَاءِ دُرُوسِ الوَحْدَةِ وَالإِيْمَانِ، والصَّبْرِ والمُثَابَرَةِ، والتَّعَاوُنِ وَالإِخَاءِ، والاجْتِمَاعِ والقُوَّةِ، وَكُلُّهَا مِنْ ثَمَرَاتِ وَآثَارِ هٰذِهِ الفَرِيْضَةِ العَظِيْمَةِ الَّتِي جَمَعَهَا اللهُ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾ [الحج: ٢٨].



نَسْأَلُ اللهَ تَعَالَىٰ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَىٰ وَصِفَاتِهِ العُلاَ، أَنْ يَتَقَبَّلَ مِنْ حُجَّاجِ بَيْتِهِ الحَرَامِ مَنَاسِكَهُمْ، وَأَنْ يَجْعَلَ حَجَّهُمْ مَبْرُورًا، وَسَعْيَهُمْ مَشْكُورًا، وَذَنْبَهَم مَغْفُورًا، وأَنْ يُيَسِّرَ لَهُمْ أَدَاءَ مَنَاسِكِهِمْ وَيُعِيْنَهُمْ عَلَىٰ إِتْمَامِهَا، وَيَخْتِمَ لَنَا وَلَهُمْ بِالتَّوْفِيقِ والقَبُولِ، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيْمٌ.

أَقُولُ قَوْلِي هَـٰذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِيْ وَلَكُمْ وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ، فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُو الغَفُورُ الرَّحِيْمُ.



الخطبة الثانية

الحَمْدُ للهِ القَائِلِ: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا ﴾ [الحج: ٣٤]، أَحْمَدُهُ تَعَالىٰ وَأَشْكُرُهُ، وَأَسْأَلُهُ أَنْ يَجْعَلَ لَنَا إِلىٰ دَرْبِ الحَقِّ طَرِيْقًا وَمَسْلَكًا، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلـٰهَ إِلاَّ اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنِ اقْتَفَىٰ.

أمّا بعد:

فَاتَّقُوا اللهَ - عِبَادَ اللهِ - اتَّقُوا اللهَ يَا حُجَّاجَ بَيْتِ اللهِ، وَاشْكُرُوهُ سُبْحَانَهُ عَلىٰ مَا هَيَّأَ لَكُمْ مِنْ هَـٰذِهِ الأَجْوَاءِ الرُّوْحَانِيَّةِ العَظِيْمَةِ، وعَلىٰ مَا حَبَاكُمْ[1] مِنْ هَـٰذِهِ المِنَنِ الوَفِيْرَةِ وَالآلاَءِ الجَسِيْمَةِ؛ أَمْنٌ وَإِيْمَانٌ، أَمْنٌ فِي الأَوْطَانِ، وَصِحَّةٌ فِي الأَبْدَانِ، صُنُوفُ النِّعَمِ المَادِّيَّةِ والمَعْنَوِيَّةِ، تَتَقَلَّبُونَ فِيْهَا صَبَاحَ مَسَاءَ، فَلِلَّهِ الحَمْدُ والشُّكْرُ أَوَّلاً وَآخِرًا، وبَاطِنًا وَظَاهِرًا.

ضُيُوفَ الرَّحْمَـٰنِ، وُفُودَ المَلِكِ العَلاَّمِ! وَفَدتُّمْ إِلىٰ هَـٰذِهِ البِقَاعِ المُقَدَّسَةِ؛ فَاشْكُرُوا اللهَ سُبْحَانَهُ، وانْصَرِفُوا إِلَى العِبَادَةِ والطَّاعَةِ، فَقَدْ وُفِّرَتْ لَكُمُ الإِمْكَانَاتُ الكَثِيْرَةُ، والخِدْمَاتُ الوَفِيْرَةُ، بِفَضْلِ اللهِ، ثُمَّ بِفَضْلِ مَا يُولِيهِ المَسْئُولُونَ عَنْ خِدْمَةِ الحَجِيْجِ مِنْ فَائِقِ عِنَايَةٍ، وَحُسْنِ

---

(١) حباه يَحْبُوه: أعطاه. «اللسان» (حبو).



رِعَايَةٍ، أَثَابَهُمُ اللهُ، وَجعلَ ذٰلِكَ فِي مَوَازِيْنِهِمْ.

فَاتَّقُوا اللهَ - عِبَادَاللهِ - وَكُونُوا جَمِيْعًا قَائِمِيْنَ بِأَمْرِ اللهِ مُلْتَزِمِيْنَ بِالأَمْنِ والنِّظَامِ، واحْذَرُوا المُزَاحَمَةَ عِنْدَ الأَبْوَابِ والطُّرُقَاتِ والمَشَاعِرِ، وَارْجِعُوا مِنْ هَـٰذِهِ الفَرِيْضَةِ بِالمَنَافِعِ العَظِيْمَةِ، وَالآثَارِ الحَمِيْدَةِ؛ تُفْلِحُوا وَتَسْعَدُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

هَـٰذَا؛ وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللهُ - عَلَىٰ أَفْضَلِ مَنْ صَلَّىٰ وَصَامَ، وَحَجَّ وَقَامَ، نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ خَيْرِ الأَنَامِ؛ كَمَا أَمرَكُمْ بِذٰلِكَ المَلِكُ العَلاَّمُ، فَقَالَ تَعَالىٰ قَوْلاً كَرِيْمًا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ۝٥٦ ﴾ [الأحزاب].





الخطبة الأولى

الحَمْدُ للهِ الَّذِيْ أَتَمَّ عَلىٰ عِبادِهِ النِّعَمَ، ووَالَىٰ عَلَيْهِمُ المِنَنَ، نَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ بِجَمِيْعِ المَحَامِدِ، وَنُثْنِي عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ؛ فَلَهُ الحَمْدُ كُلُّهُ، وَلَهُ الشُّكْرُ كُلُّهُ، وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ الأَمْرُ كُلُّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا وَحَبِيْبَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَصَفْوَتُهُ مِنْ خَلْقِهِ وَخَلِيلُهُ؛ الرَّحْمَةُ المُهْدَاةُ، والنِّعْمَةُ المُسْدَاةُ، بَلَّغَ الرِّسَالَةَ، وَأَدَّى الأَمَانَةَ، وَنَصَحَ الأُمَّةَ، وَجَاهَدَ فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ، فَصَلَوَاتُ اللهُ وَسَلاَمُهُ عَلَيْهِ، وَعَلىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، أَعْلَامِ الهُدَىٰ، وَمَصَابِيْحِ الدُّجَىٰ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِخَيْرٍ وإِحْسَانٍ وَاقْتَفَىٰ.

أمّا بعد:

فَيَا أَيُّهَا المُسْلِمُونَ، اتَّقُوا اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، واشْكُرُوهُ عَلىٰ نِعَمِهِ العَظِيْمَةِ، وَآلَائِهِ الجَسِيْمَةِ.

أَيُّهَا المُسْلِمُونَ، لَقَدْ سَعِدَتِ الأُمَّةُ الإِسْلَامِيَّةُ قَبْلَ أَيَّامٍ قَلَائِلَ بِحُلُولِ مُنَاسَبَةِ الحَجِّ إِلىٰ بَيْتِ اللهِ الحَرَامِ، وَلَقَدْ نَعِمَتْ بِأَدَائِهَا فِي جَوٍّ إِيْمَانِيٍّ فَرِيْدٍ، وَفِيْ وَضْعٍ آمِنٍ مُطْمَئِنٍّ بِحَمْدِ اللهِ، فَلِلَّهِ الحَمْدُ والمِنَّةُ عَلىٰ تَوْفِيْقِهِ لِإِتْمَامِ هَـٰذِهِ الفَرِيْضَةِ، وَلَهُ الحَمْدُ والمِنَّةُ عَلَىٰ مَا يَسَّرَ وَأَعَانَ،

وَنَسْأَلُهُ تَعَالىٰ كَمَا وَفَّقَنَا لأَدَاءِ حجِّ بَيْتِهِ الحَرَامِ، أَنْ يَتَقَبَّلَهُ مِنَّا، وَأَنْ يَجْعَلَهُ حَجًّا مَبْرُورًا، وَسَعْيًا مَشْكُورًا، وَذَنْبًا مَغْفُورًا، وأَنْ يَرْزُقَنَا الاسْتِقَامَةَ علىٰ شَرْعِهِ عَلى الدَّوَامِ؛ إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيْمٌ.

أُمَّةَ الإِسْلَامِ، لَقَدْ مَرَّتْ عَلى المُسْلِمِيْنَ هَـٰذِهِ المُنَاسَبَةُ الكَرِيْمَةُ، أَقْبَلُوا فِيْهَا علىٰ رَبِّهِمْ جَلَّ وعلَا، مُهَلِّلِيْنَ مُكَبِّرِيْنَ، دَاعِيْنَ خَاشِعِيْنَ مُسْتَغْفِرِيْنَ، واليَوْمَ لَمَّا قُوِّضَتْ فِي الحَجِّ خِيَامُهُ، وَانْتَهَتْ أَيَّامُهُ، وَوَلَّى الحُجَّاجُ وُجُوهَهُمْ شَطْرَ أَوْطَانِهِمْ، وَبَدَأَتْ قَوَافِلُ الحَجِيْجِ تَسْلُكُ طَرِيْقَ العَوْدَةِ إِلىٰ رِحَالِهَا، بَعْدَ أَنْ وقَفُوا هَـٰذِهِ المَوَاقِفَ العَظِيْمَةَ، وَنَعِمُوا بِالعَيْشِ فِي هَـٰذِهِ العَرَصَاتِ الكَرِيْمَةِ، عَادُوا إِلىٰ أَوْطَانِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَذَوِيْهِمْ، وَقَدْ رَفَعُوا أَكُفَّ الضَّرَاعَةِ، وَذَرَفُوا دُمُوعَ الخَشْيَةِ وَالإِنَابَةِ، مُسْتَغِلِّيْنَ شَرَفَ الزَّمَانِ والمَكَانِ، بِالعَمَلِ الصَّالِحِ وَالإِقْبَالِ عَلى اللهِ سُبْحَانَهُ، تَقَبَّلَ اللهُ مِنْهُمْ، وَأَجْزَلَ ثَوَابَهُمْ، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ!

وَغَيْرُ الحُجَّاجِ قَدْ مَرُّوا بِتِلْكَ الأَيَّامِ الفَاضِلَةِ الَّتِي يَكُونُ العَمَلُ الصَّالِحُ فِيْهَا أَفْضَلَ مِنَ الجِهَادِ في سَبِيْلِ اللهِ؛ كَمَا صَحَّ بِذٰلِكَ الخَبَرُ عَنْ سَيِّدِ البَشَرِ ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ ـ فِي حَدِيْثِ ابْنِ عَبَّاسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ عِنْدَ البُخَارِيِّ، وَغَيْرِهِ[1]، فَنَشِطَ بَعْضُهُمْ؛ فَصَلَّىٰ وَصَامَ، وَقَرَأَ

(١) رواه الطيالسي (٢٧٥٣)، وأحمد (١/ ٢٢٤)، والبخاري (٩٦٩).



وَقَامَ، وَضَحَّىٰ وَكَبَّرَ، وَتَخَاذَلَ آخَرُونَ؛ فَفَاتَتْهُمْ تِلْكَ الأَيَّامُ المُبَارَكَةُ، فَأَصْبَحُوا في حَسْرَةٍ وَنَدَامَةٍ. حَقًّا: إِنَّهَا لأَيَّامٌ مَشْهُودَةٌ، وَأَوْقَاتٌ مَحْمُودَةٌ، إِنَّهَا نَفَحَاتٌ كَرِيْمَةٌ، وَلَحَظَاتٌ عَظِيْمَةٌ، لَهَا مَنَافِعُهَا الجَمَّةُ، وَآثَارُهَا المُتَعَدِّدَةُ فِي حَيَاةِ الأَفْرَادِ وَالمُجْتَمَعَاتِ.

إِخْوَةَ الإِسْلَامِ، السُّؤَالُ الَّذِيْ يَطْرَحُ نَفْسَهُ فِي هَـٰذِهِ الآوِنَةِ: وَمَاذَا بَعْدَ الحَجِّ؟! وَمَاذَا بَعْدَ أَدَاءِ هَـٰذِهِ الفَرِيْضَةِ العَظِيْمَةِ، وَبَعْدَ حُلُولِ هَـٰذِهِ الأَيَّامِ الكَرِيْمَةِ؟! كَيْفَ هِيَ أَحْوَالُنَا الآنَ؟! كَيْفَ هِيَ حَالُ الأَفْرَادِ وَالمُجْتَمَعَاتِ؟! هَلْ يَقِفُ الأَمْرُ عِنْدَ هَـٰذَا الحَدِّ، وَيَعُودُ النَّاسُ إِلَى مَا كَانُوا عَلَيهِ قَبْلَ الحَجِّ، أَوْ أَنَّ هُنَاكَ سَبِيْلاً قَوِيْمًا يَجِبُ عَلى الحَاجِّ أَنْ يَسْلُكَهُ بَعْدَ حَجِّهِ؟! هَلْ تَغَيَّرَ المَنْهَجُ وَالسُّلُوكُ، وَنَظَرَ كُلُّ حَاجٍّ فِي حَيَاتِهِ نَظْرَةً صَحِيْحَةً، وَبَدَأَ صَفْحَةً جَدِيْدَةً، وَانْطِلاَقَةً جَادَّةً عَلىٰ ضَوْءِ شَرِيْعَةِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ؟! هَلْ غَيَّرَ الحُجَّاجُ حَيَاتَهُمْ مِنْ سَيِّيءٍ إِلىٰ حَسَنٍ، وَمِنْ حَسَنٍ إِلَىٰ أَحْسَنَ؟! هَلِ امْتَدَّتْ مَنَافِعُ الحَجِّ وَآثَارُهُ؛ فَتَجَاوَزَتْ حَدَّ المَكَانِ وَالزَّمَانِ إِلىٰ عُمُومِ الأَزْمِنَةِ وَالأَمْكِنَةِ، وَشُمُولِ جَمِيْعِ الجَوَانِبِ وَالنَّوَاحِي؟!

أَيُّهَا ٱلْمُسْلِمُونَ، إِنَّ الحَجَّ مِيْلادٌ جَدِيْدٌ، وَعَهْدٌ سَعِيْدٌ، يَجِبُ عَلى الحَاجِّ أَنْ يَثْبُتَ عَلىٰ آثَارِهِ وَمَنَافِعِهِ وَعَنْهَا لاَ يَحِيْدُ، وَأَنْ يَجْعَلَهُ انْطِلاَقَةً جَادَّةً لِلأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَفُرْصَةً عَظِيْمَةً لِلتَّوْبَةِ النَّصُوحِ.



وَإِنَّ عَلَيْنَا أَنْ نُحَاسِبَ أَنْفُسَنَا بَعْدَ أَدَاءِ هَـٰذِهِ الفَرِيْضَةِ: هَلْ أَدَّتْ هَـٰذِهِ الفَرِيْضَةُ آثَارَهَا فِي حَيَاتِنَا، أَوْ أَنَّهَا مَرَّتْ كَسَحَابَةِ صَيْفٍ أَوْ وَمْضَةِ بَرْقٍ سَرْعَانَ مَا تَزُولُ دُونَ نَفْعٍ أَوْ أَثَرٍ؟!

أَيُّهَا الإِخْوَةُ فِي اللهِ، مَاذَا تَغَيَّرَ فِي حَيَاةِ المُسْلِمِيْنَ بَعْدَ هَـٰذِهِ الأَيَّامِ المُبَارَكَةِ؟! مَا الَّذِيْ صَلَحَ مِنْ أَحْوَالِهِمْ هَلْ تَبَدَّدَتْ آلَامُهُمْ، وَتَحَقَّقَتْ آمَالُهُمْ؟! إِنَّ مِنْ مَقَايِيْسِ قَبُولِ العَمَلِ أَوْ رَدِّهِ أَنْ يَنْظُرَ المَرْءُ إِلَىٰ آثَارِ ذٰلِكَ العَمَلِ فِيْ حَيَاتِهِ؛ فَإِنَّ مِنْ عَلَامَةِ قَبُولِ الحَسَنَةِ الحَسَنَةَ بَعْدَهَا، وَإِنَّهُ لَيَجْدُرُ بِالمُسْلِمِيْنَ أَنْ يَتَفَهَّمُوا شَعَائِرَ دِيْنِهِمْ، وَيَسْتَفِيْدُوا مِنْ مَوَاسِمِ الخَيْرِ؛ لِتُؤَثِّرَ فِي مَجْرَىٰ حَيَاتِهِمْ، وَإِنَّ مِنَ الخَطَأِ الفَادِحِ وَقِلَّةِ البَصِيْرَةِ فِي فَهْمِ شَعَائِرِ الإِسْلَامِ: أَنْ يَظُنَّ أُنَاسٌ ـ وَبِئْسَ مَا ظَنُّوا! ـ أَنَّ مَوَاسِمَ العِبَادَةِ مَرَاحِلُ ضَيِّقَةٌ، يَتَخَفَّفُ فِيْهَا الإِنْسَانُ مِنَ الذُّنُوبِ وَالمَعَاصِيْ، فَإِذَا تَجَاوَزَهَا، عَادَ لِيُوَاقِعَ غَيْرَهَا، وَتَنْتَهِي فَتْرَةُ إِقْبَالِهِ عَلَى اللهِ بِانْتِهَاءِ هَـٰذِهِ المَوَاسِمِ المُبَارَكَةِ.

يَجِبُ أَنْ يَعِيَ المُسْلِمُونَ أَنَّ مَوَاسِمَ الخَيْرِ تَغَيُّرٌ كَامِلٌ، وَتَبَدُّلٌ شَامِلٌ، فِي كُلِّ جَلِيْلٍ وَصَغِيْرٍ، مِنْ حَيَاةِ الغَفْلَةِ عَنِ اللهِ إِلى التَّوْبَةِ وَالاسْتِقَامَةِ والانْقِيَادِ للهِ، وَإِنَّ مِنْ إِضْلَالِ الشَّيْطَانِ وَخِدَاعِ النُّفُوسِ الأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ: أَنْ يَنْكُصَ كَثِيْرٌ مِنَ النَّاسِ عَلى أَعْقَابِهِمْ[1]، وَيَحُورُوا إِلىٰ مَعَاصِيْهِمْ،

---

(١) نكصوا على أعقابهم، أي: رجعوا إلى الوراء. «النهاية» (نكص).



فَيَعِيْشُوا ضَحَايَا خِدَاعِ النُّفُوسِ وَمَصَايِدِ الشَّيَاطِيْنِ، فَيُبَاغِتَهُمُ المَوْتُ وَهُمْ عَلَىٰ ذٰلِكَ، عِيَاذًا بِاللهِ!.

يَا إِخْوَةَ الإِسْلَامِ، وَيَا حُجَّاجَ بَيْتِ اللهِ الحَرَامِ، يَا مَنْ أَجَبْتُمْ نِدَاءَ رَبِّكُمْ، ورَفَعْتُمُ التَّلْبِيَةَ إِجَابَةً لأَمْرِهِ، هَا هُوَ مَوْلَاكُمْ - جَلَّ وَعَلَا - يُنَادِيْكُمْ بِنِدَاءِ الإِيْمانِ: أَنْ تَسْتَقِيْمُوا عَلَىٰ شَرْعِهِ، وَتَسْتَجِيْبُوا لَهُ وَلِرَسُولِهِ، وَتَتَّقُوهُ حَقَّ تُقَاتِهِ، وَتَعْبُدُوهُ حَقَّ عِبَادَتِهِ، فِي حَيَاتِكُمْ إِلَىٰ مَمَاتِكُمْ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج].

فَلَبُّوا - يَا عِبَادَ اللهِ - نِدَاءَ اللهِ، وَاسْتَجِيْبُوا لأَمْرِهِ فِي كُلِّ حَيَاتِكُمْ وَفِي كُلِّ شُئُونِكُم؛ كَمَا أَجَبْتُمُوهُ فِي هَٰذِهِ الفَرِيْضَةِ العَظِيْمَةِ.

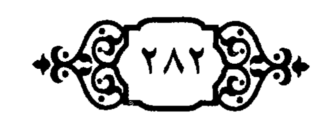
مَعَاشِرَ المُسْلِمِيْنَ، إِنَّ مِنَ الوَاجِبِ عَلَيْنَا: أَنْ نُقَوِّمَ حَيَاتَنَا بَعْدَ هَٰذِهِ الفَرِيْضَةِ عَلَىٰ نَهْجِ الكِتَابِ والسُّنَّةِ، وَأَنْ تُرَىٰ آثَارُ العِبَادَاتِ عَلَىٰ سُلُوكِنَا وَحَيَاتِنَا، إِنَّ الأُمَّةَ الَّتِيْ تُعَانِي مِنَ الوَيْلَاتِ وَالمُشْكِلَاتِ مَا تُعَانِيْهِ - لَجَدِيْرَةٌ أَنْ تَجْعَلَ مِنْ هَٰذِهِ المُنَاسَبَةِ طَرِيْقًا لِلْخَلَاصِ مِنَ المُعْضِلَاتِ، وَقُوَّةً فَاعِلَةً لِتَذْلِيْلِ كُلِّ المُعَوِّقَاتِ والعَقَبَاتِ؛ وذٰلِكَ بِالتَّوَجُّهِ إِلَى اللهِ وَحْدَهُ، وَجَمْعِ الكَلِمَةِ وَوَحْدَةِ الصَّفِّ، عَلَىٰ كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، وَتَجْنِيدِ أَنْظِمَتِهَا



وَوَسَائِلِ إِعْلَامِهَا وَمَنَاهِجِ تَعْلِيمِهَا كَافَّةً؛ لِتَحقِيقِ هَـٰذَا المَبْدَأِ والدَّعْوَةِ إِلَيْهِ.

أُمَّةَ ٱلإِسْلَامِ، إِنَّ مِمَّا يَحُزُّ فِي النَّفْسِ أَنْ تَمُرَّ هَـٰذِهِ المُنَاسَبَةُ عَلى الأُمَّةِ دُونَ اتِّعَاظٍ وَاعْتِبَارٍ، وَاسْتِشْعَارٍ لأَبْعَادِهَا وَآثَارِهَا العَقَدِيَّةِ وَالأَخْلَاقِيَّةِ والاجْتِمَاعِيَّةِ وَنَحْوِهَا، وَلاَ تَحَسُّسٍ فِي وَاقِعِ الأُمَّةِ بِجَوانِبِهِ المُتَعَدِّدَةِ؛ فَأَيْنَ القَادَةُ والعُلَمَاءُ؟! وَأَيْنَ المُفَكِّرُونَ وَأَهْلُ الحَلِّ وَالعَقْدِ فِي الأُمَّةِ عَنِ اتِّخَاذِ الحُلُولِ العَمَلِيَّةِ، مِنْ خِلَالِ هَـٰذِهِ المُنَاسَبَةِ العَظِيْمَةِ لِمُشْكِلَاتِ الأُمَّةِ المُسْتَعْصِيَةِ وَقَضَايَاهَا المُعَقَّدَةِ، وَاتِّخَاذِ القَرَارَاتِ الجَادَّةِ وَالخُطُوَاتِ الحَاسِمَةِ الحَكِيمَةِ فِي أَحْوَالِ العَالَمِ الإِسْلَامِيِّ كُلِّهَا؟!

يَا أُمَّةَ الإِسْلَامِ، بَعْدَ أَدَائِنَا لِهَـٰذِهِ الفَرِيْضَةِ آنَ لَنَا أَنْ نَتَسَاءَلَ: بِأَيِّ حَجٍّ رَجَعَ مَنْ دَنَّسَ العَقِيْدَةَ بِضُرُوبِ الإِشْرَاكِ، وَلَوَّثَهَا بِأَلْوَانِ البِدَعِ والمُحْدَثَاتِ؟! بِأَيِّ حَجٍّ رَجَعَ مَنْ هَدَمَ دِيْنَهُ بِتَرْكِ عَمُودِهِ وَهُوَ الصَّلَاةُ؟! بِأَيِّ حَجٍّ رَجَعَ مَنْ أَصَرَّ عَلَىٰ مَا يَتَعَاطَىٰ مِنْ مُحَرَّمَاتٍ، فَلَمْ يَمْنَعْهُ حَجُّهُ عَمَّا كَانَ يَقْتَرِفُ مِنْ رِبًا أَوْ تَعَاطٍ لِلْمُسْكِرَاتِ وَالمُخَدِّرَاتِ، أَوْ تَعَامُلٍ بِالغِشِّ والتَّزوِيْرِ وَسَيِّءِ المُعَامَلَاتِ، أَوْ وُقُوعٍ فِي القَطِيْعَةِ والعُقوقِ وَسَافِلِ الأَخْلَاقِ والصِّفَاتِ؟! فَصِدْقًا صِدْقًا أَيُّهَا المُسْلِمُونَ، وَصِدْقًا صِدْقًا أَيُّهَا الحُجَّاجُ مَعَ رَبِّكُمْ؛ تُفْلِحُوا وَتَفُوزُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.



بَارَكَ اللهُ لِيْ وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيْمِ، وَنَفعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِهَدْيِ سَيِّدِ المُرْسَلِيْنَ.

أَقُولُ قَوْلِي هَـٰذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيْمَ الجَلِيْلَ لِيْ وَلَكُمْ وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيْمُ.



الخطبة الثانية

الحَمْدُ للهِ الَّذِيْ بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ، أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ وَأَشْكُرُهُ عَلَىٰ جَزِيْلِ العَطَايَا والهِبَاتِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلـٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ عَالِمُ السِّرِّ والخَفِيَّاتِ، شَهَادَةً أَرْجُو بِهَا النَّجَاةَ فِي الحَيَاةِ وَبَعْدَ المَمَاتِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُهُ، أَفْضَلُ الخَلِيْقَةِ وَسَيِّدُ البَرِيَّاتِ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَتْبَاعِهِ مَا دَامَتِ الأَرْضُ والسَّمَوَاتُ.

أمّا بعد:

فَاتَّقُوا اللهَ - عِبَادَ اللهِ - وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ الحَدِيْثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ.

أَيُّهَا الإِخْوَةُ فِي اللهِ، إِنَّهُ - وَإِنِ انْتَهَىٰ مَوْسِمٌ مِنْ مَوَاسِمِ العِبَادَةِ - فَإِنَّ حَيَاةَ المُسْلِمِ كُلَّهَا فُرْصَةٌ يَجِبُ أَنْ يَسْتَغِلَّهَا فِي مَرْضَاةِ اللهِ سُبْحَانَهُ؛ لأَنَّ العَمَلَ الصَّالِحَ لَيْسَ لَهُ مَوْسِمٌ مُحَدَّدٌ، وَلاَ مُنَاسَبَةٌ مُعَيَّنَةٌ، وَأَوَامِرُ الشَّرْعِ جَاءَتْ عَامَّةً فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، وَبَيْنَ يَدَيِ المُسْلِمِ - بِحَمْدِ اللهِ - مَوَاسِمُ عَدِيْدَةٌ، وَفُرَصٌ لِلْعَمَلِ الصَّالِحِ كَثِيْرَةٌ؛ هَـٰذِهِ الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ، هَـٰذِهِ تِلاَوةُ كِتَابِ اللهِ، وَهَـٰذَا الذِّكْرُ والاسْتِغْفَارُ، والتَّوْبَةُ وَالإِنَابَةُ، هَـٰذِهِ نَوَافِلُ



العِبَادَاتِ، وَفَضَائِلُ الأَعْمَالِ، وَهَـٰذِهِ أَبْوَابُ الخَيْرِ مُشْرَعَة، فَأَيْنَ السَّالِكُونَ؟!

فَاجْتَهِدُوا - رَحِمَكُمُ اللهُ - فِي العَمَلِ الصَّالِحِ مُدَّةَ حَيَاتِكُمْ، وَخُذُوا بِأَسْبَابِ قَبُولِ العَمَلِ بَعْدَ أَدَائِهِ، وَأَهَمُّهَا: الاِسْتِقَامَةُ عَلَىٰ شَرِيْعَةِ اللهِ؛ فَإِنَّ العُمْرَ قَصِيْرٌ، وَالمَوْتَ يَأْتِي بَغْتَةً، وَإِنَّ الآجَالَ مَحْدُودَةٌ، وَالأَنْفَاسَ مَعْدُودَةٌ، وَتَذَكَّرُوا - يَا رَعَاكُمُ اللهُ - قَوْلَهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ﴾ [لقمان: ٣٤].

وَاعْلَمُوا - رَحِمَكُمُ اللهُ - أَنَّكُمْ تُوَدِّعُونَ عَمَّا قَرِيْبٍ عَامًا كَامِلاً مَضَىٰ مِنْ أَعْمَارِكُمْ بِمَا أَوْدَعْتُمُوهُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، فَالسَّعِيْدُ مَنْ وُفِّقَ لِخِتَامِ عَامِهِ بِالتَّوْبَةِ الصَّادِقَةِ بِشُرُوطِهَا المُعْتَبَرَةِ، وَهِيَ: الإِقْلَاعُ عَنِ الذُّنُوبِ، والنَّدَمُ عَلَىٰ فِعْلِهَا، والعَزْمُ عَلَىٰ عَدمِ العَوْدَةِ إِلَيْهَا؛ لأَنَّ الأَعْمَالَ بِالخَوَاتِيْمِ، واللهُ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ [طه]، فَإِلَىٰ مَتَى الغَفْلَةُ يَا عِبَادَ اللهِ؟! وَأَيْنَ التَّائِبُونَ؟! نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مِنْهُمْ؛ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ!.

هَـٰذَا؛ وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللهُ - عَلَىٰ خَيْرِ الوَرَىٰ؛ كَمَا أَمَرَكُمْ بِذٰلِكَ رَبُّكُمْ جَلَّ وَعَلَا، بِالصَّلَاةِ والسَّلَامِ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب].







الخطبة الأولى

الحَمْدُ للهِ الَّذِيْ جَعَلَ الجِهَادَ فِي سَبِيْلِهِ ذِرْوَةَ سَنَامِ الإِسْلَامِ، أَحْمَدُهُ تَعَالَىٰ حَمْدًا كَثِيْرًا عَلَى الدَّوَامِ، وَأَشْكُرُهُ شُكْرًا مُتَوَالِيًا عَلَىٰ مَرِّ اللَّيَالِيْ وَالأَيَّامِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ المَلِكُ القُدُّوسُ السَّلَامُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ سَيِّدُ الأَنَامِ، إِمَامُ المُتَّقِيْنَ، وَقَائِدُ الدُّعَاةِ وَالمُجَاهِدِيْنَ، أَرْسَلَهُ بِالهُدَىٰ وَدِيْنِ الحَقِّ، فَبَلَّغَ وَدَعَا، وَبَشَّرَ وَأَنْذَرَ، وَنَصَحَ وَجَاهَدَ، وَصَبَرَ وَصَابَرَ، فَكَانَتْ حَيَاتُهُ كُلُّهَا فِي الدَّعْوَةِ وَالجِهَادِ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيهِ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِيْنَ بَذَلُوا أَمْوَالَهُمْ وَأَنْفُسَهُمْ فِي الجِهَادِ فِي سَبِيْلِ اللهِ، فَرَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ، وَمَنْ حَمَلَ رَايَةَ الجِهَادِ فِيْ سَبِيْلِهِ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّيْنِ.

أمّا بعد:

فَيَا أَيُّهَا المُسْلِمُونَ، اتَّقُوا اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

عِبَادَ اللهِ، مِنْ حِكْمَةِ اللهِ -عَزَّ وَجَلَّ- أَنْ يَبْتَلِيَ عِبَادَهُ فِي هَـٰذِهِ الحَيَاةِ بِوُجُودِ الحَقِّ وَالبَاطِلِ، وَالخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَالإِيْمَانِ وَالكُفْرِ، وَمِنْ سُنَّتِهِ



كَذٰلِكَ: أَنْ جَعَلَ هَـٰذِهِ المُتَنَاقِضَاتِ فِي صِرَاعٍ دَائِمٍ، وَتَبَايُنٍ مُسْتَمِرٍّ؛ وَلِذٰلِكَ: فَإِنَّ مَنْعَ الفَسَادِ، وَكَبْحَ طُغْيَانِ الشَّرِّ وَالهَوىٰ، وَالإِبْقَاءَ عَلى الإِيمَانِ وَالعَدْلِ وَالخَيْرِ ـ: ضَرُورَةٌ مِنْ ضَرُورَاتِ الحَيَاةِ الإِنْسَانِيَّةِ، وَلاَ يَتَحَقَّقُ ذٰلِكَ وَاقِعًا مَلْمُوسًا إِلاَّ بِحَمْلِ رَايَةِ الجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَرَفْعِ اللِّوَاءِ لإِعْلاَءِ كَلِمَةِ اللهِ.

إِخْوَةَ الإِيْمَانِ، الجِهَادُ فِي سَبِيْلِ اللهِ ذِرْوَةُ سَنَامِ الإِسْلاَمِ، وَرُتْبَتُهُ فِي أَعْلَىٰ شُعَبِ الإِيمَانِ، بِهِ تَعْلُو الكَلِمَةُ، وَتَعِزُّ الأُمَّةُ، وَتُحْمَى البَيْضَةُ[1]، وَتُصَانُ الحُرُمَاتُ، وَيُحْمَى الذِّمَارُ[2]، وَيُقْهَرُ الأَعْدَاءُ، وَيُرْغَمُ اللِّدَادُ، بِالجِهَادِ يَتِمُّ إِقْرَارُ الحَقِّ فِي نِصَابِهِ، وَيُرَدُّ البَغْيُ وَالظُّلْمُ وَالطُّغْيَانُ، وَيُكَافَحُ الشَّرُّ وَالكَيْدُ وَالعُدْوَانُ، الجِهَادُ فِي سَبِيْلِ اللهِ هُوَ التِّجَارَةُ المُنْجِيَةُ، وَالصَّفْقَةُ الرَّابِحَةُ، وَالبِضَاعَةُ المُبَشِّرَةُ، يَحُوزُ أَهْلُهُ المُخْلِصُونَ مِنَ المَنَازِلِ أَرْفَعَهَا، وَمِنَ المَكَانَةِ أَعْظَمَهَا، وَمِنَ الدَّرَجَاتِ أَعْلاَهَا، فَهُمُ الأَعْلَوْنَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

مَعَاشِرَ المُسْلِمِيْنَ، لَقَدْ حَظِيَتْ فَرِيْضَةُ الجِهَادِ فِي هَـٰذَا الدِّينِ بِالعِنَايَةِ وَالاهْتِمَامِ؛ فَعَشَرَاتُ الآيَاتِ الكَرِيْمَةِ، وَمِئَاتُ الأَحَادِيثِ الصَّحِيْحَةِ الشَّرِيْفَةِ كُلُّهَا تَحُثُّ عَلَى الجِهَادِ، وَتُرَغِّبُ فِيْهِ، وَتُبَيِّنُ مَا لأَهْلِهِ مِنَ الأَجْرِ وَالمَثُوبَةِ فِي الآخِرَةِ، وَالعِزَّةِ وَالنُّصْرَةِ فِي الدُّنْيَا؛ مِمَّا لاَ يَخْفَىٰ عَلَىٰ كُلِّ

(١) البيضة: مجتمع القوم وموضع سلطانهم. «النهاية» (بيض).
(٢) الذِّمَار: كل ما يلزمك حفظه وحياطته والدفع عنه؛ كالحرم والأهل. «اللسان» (ذمر).

ذِيْ بَصِيْرَةٍ؛ كَمَا جَاءَ الوَعِيْدُ الشَّدِيْدُ عَلىٰ مَنْ رَكَنُوا إِلَى الدُّنْيَا، وَاثَّاقَلُوا إِلَى الأَرْضِ، وَعَطَّلُوا هَـٰذِهِ الفَرِيْضَةَ، فَقَد رَوَىٰ مُسْلِمٌ، وَأَبُوداوُدَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ، وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِالغَزْوِ، مَاتَ عَلَىٰ شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ»**(١)، وَرَوَىٰ أَبُوداوُدَ، وَابْنُ مَاجَهْ، بِإِسْنَادٍ صَحِيْحٍ، عَنْ أَبِيْ أُمَامَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«مَنْ لَمْ يَغْزُ، أَوْ يُجَهِّزْ غَازِيًا، أَوْ يَخْلُفْ غَازِيًا فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ، أَصَابَهُ اللهُ بِقَارِعَةٍ قَبْلَ يَوْمِ القِيَامَةِ»**(٢).

وَمَا ذٰلِكُمْ ـ يَا عِبَادَ اللهِ ـ إِلاَّ لِمَا يُسَبِّبُهُ تَرْكُ هَـٰذِهِ الفَرِيْضَةِ مِنْ تَسَلُّطِ الأَعْدَاءِ، وَتَحَكُّمِهِمْ فِي الأُمَّةِ، يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَهَا، وَيُرَمِّلُونَ نِسَاءَهَا، وَيُيَتِّمُونَ أَطْفَالَهَا، وَيَحْتَلُّونَ دِيَارَهَا، وَيَسْتَبِيْحُونَ حُرُمَاتِهَا، وَيَعْبَثُونَ بِمُقَدَّسَاتِهَا وَمُقَدَّرَاتِهَا، وَلاَ يَرْقُبُونَ فِيْهَا إِلاًّ(٣) وَلاَ ذِمَّةً(٤)، وَلاَ يَرْعَوْنَ عَهْدًا وَلاَ حُرْمَةً؛ فَيَعُمُّ الذُّلُّ، وَتَسُودُ المَهَانَةُ، وَاللهُ ـ عَزَّ وَجل ـ يَقُولُ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[المُنافقون: ٨].

إِخْوَةَ العَقِيْدَةِ، إِنَّنَا مِنْ أُمَّةٍ عَظِيْمَةٍ، بَارِعَةٍ فِي البُطُولَةِ وَالشَّجَاعَةِ،

---

(١) «صحيح مسلم» (١٩١٠)، و«سنن أبي داود» (٢٥٠٢).

(٢) «سنن أبي داود» (٢٥٠٣)، و«سنن ابن ماجه» (٢٧٦٢).

(٣) الإلُّ: القرابة. «الغريبَيْن»، لأبي عبيد الهروي، مادة (ألل).

(٤) الذمة: العهد. المصدر السابق، مادة (ذمم).



والقُوَّةِ والفِدَاءِ، شِعَارُهَا: اللهُ أَكبَرُ، وَلاَ إِلـهَ إِلاَّ اللهُ، والعِزَّةُ للهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِيْنَ، وَجِهَادُهَا عَبْرَ القُرُونِ كَانَ لإِعْلاَءِ كَلِمَةِ اللهِ ـ عَزَّ وَجلَّ ـ لِتكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ العُليَا ـ وكَلِمَةُ الَّذِيْنَ كفَرُوا السُّفْلَىٰ ـ نَحْنُ مِنْ أُمَّةٍ أُنْزِلَ علَىٰ رَسُولِهَا قَوْلُ الحَقِّ تبَارَكَ وَتعَالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾﴾ [التحريم]، وَأُنْزِلَ عَلَيْهِ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَجَـٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾[الفرقان]، وَأُنْزِلَ عَلَىٰ هَـٰذِهِ الأُمَّةِ قَوْلُ الحَقِّ جَلَّ وَعلا: ﴿وَجَـٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ﴾ [الحج: ٧٨]، وَقَوْلُهُ عَزَّوَجلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وَلِذٰلِكَ كَانَ الرَّسُولُ ﷺ قُدْوَةَ هَـٰذِهِ الأُمَّةِ فِي الإِيْمَانِ وَالدَّعْوَةِ وَالجِهَادِ، يَغْزُو فِي سَبِيْلِ اللهِ؛ لإِعْلاَءِ كَلِمَةِ اللهِ ـ عَزَّوَجلَّ ـ لَمْ تَشْهَدِ الأُمَمُ، وَلَمْ يَشْهَدِ التَّأْرِيْخُ شَجَاعَةً كَشَجَاعَةِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِاللهِ ـ عَلَيهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ ـ القَائِلِ: **«وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! لَوْلاَ أَنْ يَشُقَّ عَلَى المُسْلِمِيْنَ، مَا قَعَدتُّ خِلاَفَ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيْلِ اللهِ أَبَدًا! . . . وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ! لَوَدِدتُّ أَنِّيْ أَغْزُو فِي سَبِيْلِ اللهِ فَأُقْتَلُ، ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ، ثُمَّ أَغْزُو فَأُقْتَلُ»**[1].

(١) رواه البخاري (٣٦)، ومسلم (١٨٧٦)؛ من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.



وَمَا ذَاكَ - يَا أُمَّةَ الجِهَادِ وَالفِدَاءِ، وَيَا أَتْبَاعَ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ والهُدَىٰ وَالمَلْحَمَةِ - إلاَّ لِعِظَمِ مَكَانَةِ الجِهَادِ فِي هَـٰذَا الدِّينِ، وَمَكَانَةِ أَهْلِهِ، وَعُلُوِّ مَكَانَتِهِمْ وَمَنْزِلَتِهِمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ؛ فَلَقَدْ أَعَدَّ اللهُ لِلْمُجَاهِدِيْنَ فِي سَبِيْلِ اللهِ الدَّرَجَاتِ العُلاَ منَ الجَنَّةِ؛ فَفِي الصَّحِيْحِ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِيْنَ فِي سَبِيْلِهِ؛ كُلُّ دَرَجَتَيْنِ مَا بَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ**»[١].

اللهُ أَكْبَرُ، وَاللهِ - يَا إِخْوَةَ الإِسْلَامِ - إِنَّ لِلجِهَادِ فِي سَبِيْلِ اللهِ أَثَرًا فِي رَفْعِ هَامَةِ الأُمَّةِ الإِسْلاَمِيَّةِ، وَاسْتِعْلاَئِهَا عَلَىٰ أَلْوَانِ الكِبْرِ عَلَى الحَقِّ، وَالبطَرِ[٢] عَلَى الخَلْقِ؛ كَمَا أَنَّ فِيهِ إِعْلاَءً لِكَلِمَةِ اللهِ - عَزَّ وَجلَّ - وَدَحْرًا لِلظُّلْمِ وَالبَاطِلِ، وَالغَدْرِ وَالعُدْوَانِ، إِنَّ الجِهَادَ فِيْ سَبِيلِ اللهِ مَاضٍ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَهُوَ بَذْلُ الوُسْعِ، وَاسْتِفْرَاغُ الطَّاقَةِ لإِعْلاَءِ كَلِمَةِ اللهِ - عَزَّ وَجلَّ - بِالقَلَمِ وَاللِّسَانِ، بِالسَّيْفِ والسِّنَانِ، بِالقَلْبِ والجَنَانِ، بِكلِّ المَشَاعِرِ وَالأَحَاسِيْسِ، يَجِبُ أَنْ يَكُونَ المُسْلِمُ مُجَاهِدًا فِي سَبِيْلِ اللهِ؛ فَإِنَّ الغَزْوَ فِي سَبِيْلِ اللهِ مِنْ عَلاَمَاتِ أَهْلِ الإِيْمَانِ، وَإِنَّ التَّخَلُّفَ عَنْهُ مِنْ عَلاَمَاتِ النِّفَاقِ - وَالعِيَاذُ بِاللهِ - يَقُولُ ﷺ: «**مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ، وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ**

---

(١) رواه البخاري (٧٤٢٣)؛ من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

(٢) البَطَرُ: أي: التبختُر. «اللسان» (بطر).

بِالغَزْوِ، مَاتَ عَلَىٰ شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ»[1].

وَرَوَىٰ أَبُو دَاوُدَ بِإِسْنَادٍ صَحِيْحٍ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «مَنْ لَمْ يَغْزُ، أَوْ يُجَهِّزْ غَازِيًا، أَوْ يَخْلُفْ غَازِيًا فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ، أَصَابَهُ اللهُ بِقَارِعَةٍ قَبْلَ يَوْمِ القِيَامَةِ»[2].

أَيُّهَا المُسْلِمُونَ، أَيُّهَا الإِخْوَةُ المُجَاهِدُونَ، إِنَّ عَلَيْنَا أَنْ نَهُبَّ لِنُصْرَةِ الحَقِّ، وَدَفْعِ البَاطِلِ، هَـٰذِهِ بِلَادُ المُسْلِمِيْنَ يُهَدِّدُهَا أَعْدَاءُ الإِسْلَامِ، يُرِيْدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا فِي مُقَدَّرَاتِهَا وَمُقَدَّسَاتِهَا، يُرِيْدُونَ أَنْ يَنَالُوا مِنْ أَهْلِهَا وَخَيْرَاتِهَا، يُرِيْدُونَ أَنْ يُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ، ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨﴾ [الصف].

فَعَلَيْكُمْ ـ أَيُّهَا الإِخْوَةُ المُسْلِمُونَ ـ أَنْ تُعِدُّوا أَنْفُسَكُمْ لِلْجِهَادِ فِي سَبِيْلِ اللهِ، وَلَيْسَ غَرِيْبًا ـ يَا أُمَّةَ الإِسْلَامِ ـ أَنْ تُصَابَ هَـٰذِهِ الأُمَّةُ فِي بَعْضِ أَدْوَارِهَا بِأَلْوَانٍ مِنَ الكَوَارِثِ، وَأَنْوَاعٍ مِنَ المَصَائِبِ وَالرَّزَايَا وَالحَوَادِثِ، وَلَـٰكِنَّ الغَرِيْبَ كُلَّ الغَرَابَةِ أَنْ تَضْعُفَ وَتَسْتَكِيْنَ، أَوْ تَذِلَّ وَتَهُونَ، وَقَدْ كَتَبَ اللهُ لَهَا العِزَّةَ وَالنُّصْرَةَ وَالقُوَّةَ، ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١٣٩﴾ [آل عمران].

---

(١) تقدم تخريجه في (ص٢٨٨).
(٢) تقدم تخريجه في (ص٢٨٨).

فَيَا أَتْبَاعَ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَيَا أَحْفَادَ الأَبْطَالِ وَالمُجَاهِدِينَ، لِيَكُنْ لَكُمْ فِي الجِهَادِ خَيْرُ عَوْنٍ عَلَىٰ نَيْلِ الحَيَاةِ الكَرِيْمَةِ فِي الدُّنْيَا، وَكَسْبِ المَثُوبَةِ فِي الأُخْرَىٰ؛ فَإِنَّهُ نَوعٌ مِنْ أَهَمِّ أَنْوَاعِ العَمَلِ الصَّالِحِ الَّتِيْ يَجِبُ عَلَى المُسْلِمِيْنَ أَنْ يَحْرِصُوا عَلَيْهَا؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ [التوبة].

أَلاَ مَا أَعْظَمَهَا مِنْ تِجَارَةٍ! وَمَا أَعْظَمَهُ مِنْ ثَمَنٍ! كَمَا قَالَ الحَسَنُ البَصْرِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ -: «بَايَعَهُمْ - وَاللهِ - فَأَغْلَىٰ ثَمَنَهُمْ»[1].

وَهَلْ بَعْدَ الجَنَّةِ مِنْ ثَمَنٍ، يَا عِبَادَ اللهِ؟! «أَلاَ إِنَّ سِلْعَةَ اللهِ غَالِيَةٌ، أَلاَ إِنَّ سِلْعَةَ اللهِ الجَنَّةُ»[2]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١١/ ٣٥).

(٢) حديث رواه الترمذي (٢٤٥٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨٨١، ١٠٥٧٦)؛ من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ [التوبة].

فَيَا أُمَّةَ الإِسْلَامِ، لَقَدْ رُزِئَتْ هَـٰذِهِ الأُمَّةُ فِي هَـٰذَا العَصْرِ بِأَنْوَاعٍ مِنَ الحِقْدِ وَالتَّسَلُّطِ، وَالعَدَاءِ الظَّاهِرِ وَالمُسْتَتِرِ.

وَلَوْ كَانَ سَهْمًا وَاحِدًا لاتَّقَيْتُهُ وَلَـٰكِنَّهُ سَهْمٌ وَثَانٍ وَثَالِثُ

أَحَلَّ الكُفْرُ بِالإِسْلَامِ ضَيْمًا يَطُولُ بِهِ عَلَى الدِّينِ النَّحِيبُ!

فَحَقٌّ ضَائِعٌ وَحِمًى مُبَاحٌ وَسَيْفٌ قَاطِعٌ وَدَمٌ صَبِيبُ!

أَتُسْبَى المُسْلِمَاتُ بِكُلِّ أَرْضٍ وَعَيْشُ المُسْلِمِيْنَ إِذَنْ يَطِيْبُ؟!

أَمَا للهِ وَالإِسْلَامِ حَقٌّ يُدَافِعُ عَنْهُ شُبَّانٌ وَشِيْبُ؟!

فَقُلْ لِذَوِيْ البَصَائِرِ حَيْثُ كَانُوا أَجِيْبُوا اللهَ وَيْحَكُمُ أَجِيْبُوا!

فَمَا عَلَيْنَا إِلاَّ أَنْ نُعِدَّ العُدَّةَ لِلجِهَادِ فِي سَبِيْلِ اللهِ؛ إِعْزَازًا لِدِيْنِ اللهِ سُبْحَانَهُ، وَنُصْرَةً لِلْمَظْلُومِيْنَ وَالمُضْطَهَدِيْنَ، وَرَدْعًا لِلظَّالِمِيْنَ، والطُّغَاةِ وَالمُعْتَدِيْنَ؛ هَـٰكَذَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ المُسْلِمُ، وَهَـٰكَذَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ كُلُّ مُؤْمِنٍ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلَامِ دِيْنًا، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيًّا وَرَسُولاً.

يَا أَيُّهَا المُسْلِمُونَ، يَا أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ، يَا أَيُّهَا المُجَاهِدُونَ، وَاللهِ لَنْ يَرْتَفِعَ الذُّلُّ عَنْ هَـٰذِهِ الأُمَّةِ إِلاَّ بِرَفْعِ رَايَةِ الجِهَادِ فِي سَبِيْلِ اللهِ، فَمَا عَزَّتِ الأُمَّةُ، وَسَادَتْ فِي كُلِّ قُرُونِهَا وَأَعْصَارِهَا إِلاَّ بِرَفْعِ رَايَةِ الجِهَادِ فِي سَبِيْلِ



اللهِ، وَلاَ ذَلَّتْ وَضَعُفَتْ مَكَانَتُهَا، وَانْتُهِكَتْ حُرُمَاتُهَا، إِلاَّ لَمَّا ضَيَّعَتْ فَرِيْضَةَ الجِهَادِ، وَلَمَّا تَرَكَتْ وَاجِبَ الجِهَادِ وَالاِسْتِشْهَادِ فِي سَبِيْلِ اللهِ، وَإِذَا رَفَعَتِ الأُمَّةُ عَلَمَ الجِهَادِ، فَلَنْ يَبْقَىٰ لِلظُّلْمِ مَكَانٌ فِي البِلَادِ وَلاَ بَيْنَ العِبَادِ، فَعَلَيْكُمْ ـ مَعْشَرَ المُسْلِمِيْنَ ـ أَنْ تَتَّقُوا اللهَ سُبْحَانَهُ، وَتَسِيْرُوا عَلَىٰ هَـٰذَا المِنْهَاجِ العَظِيْمِ، الَّذِيْ رَسَمَهُ لَكُمْ دِيْنُكُمْ، وَحَثَّكُمْ عَلَيْهِ نَبِيُّكُمْ ﷺ، قَوْلاً وَفِعْلاً.

إِنَّ أُمَّةَ الإِسْلَامِ، أُمَّةُ البُطُولَاتِ وَالجِهَادِ وَالفِدَاءِ، لَمْ يَعْرِفِ التَّأْرِيْخُ أُمَّةً مِنَ الأُمَمِ سَطَّرَتْ بُطُولَاتِهَا كَهَـٰذِهِ الأُمَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ، إِنَّنَا مِنْ أُمَّةٍ ضَمَّتْ عَبْرَ تَأْرِيْخِهَا نُخْبَةً مُمَيَّزَةً مِنَ الأَبْطَالِ المُجَاهِدِيْنَ:

فَهَٰذَا أَبُوبَكْرٍ صِدِّيْقُ هَٰذِهِ الأُمَّةِ، يَقُولُ يَوْمَ الرِّدَّةِ: «**وَاللهِ! لَوْ مَنَعُونِيْ عِقَالاً كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ، لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهِ**»[(١)].

وَهَٰذَا خَالِدُ بْنُ الوَلِيْدِ سَيْفُ اللهِ المَسْلُولُ، الَّذِيْ يَقُولُ: «**لَقَدْ حَضَرْتُ أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ مَعْرَكَةٍ، وَمَا فِي جَسَدِيْ مَوْضِعُ شِبْرٍ إِلاَّ وَفِيْهِ طَعْنَةٌ بِرُمْحٍ، أَوْ ضَرْبَةٌ بِسَهْمٍ، وَهَاأَنَذَا أَمُوتُ عَلَىٰ فِرَاشِيْ، فَلاَ نَامَتْ أَعْيُنُ الجُبَنَاءِ!**».

إِنَّنَا مِنْ أُمَّةٍ سَطَّرَ أَبْطَالُهَا أَرْوَعَ النَّمَاذِجِ فِي الجِهَادِ فِي سَبِيْلِ اللهِ؛ كَمُصْعَبِ بنِ عُمَيْرٍ، وَسَعْدِ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ، والقَعْقَاعِ بنِ عَمْرٍو، وَأَبِي عُبَيْدَةَ، وأُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، وَصَلَاحِ الدِّيْنِ، وَقُتَيْبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ، وَطَارِقِ بن

(١) تقدم جزء منه (ص٢١٧).



زِيَادٍ، وَعُقْبَةَ بْنِ نَافِعٍ الَّذِيْ وَقَفَ عَلَىٰ ضِفَافِ البَحْرِ قَائِلاً: «**وَاللهِ! لَوْ أَنِّيْ أَعْلَمُ أَنَّ وَرَاءَ هَـٰذَا البَحْرِ أُنَاسًا، لَخُضْتُهُ مُجَاهِدًا فِي سَبِيْلِ اللهِ**»[1].

اللهُ أَكْبَرُ! هَـٰذِهِ الصَّفَحَاتُ النَّاصِعَةُ، وَهَـٰذِهِ البُطُولَاتُ الرَّائِعَةُ، الَّتِيْ سَطَّرَهَا هَـٰؤُلَاءِ الرِّجَالُ؛ ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب]؛ فَلْنَكُنْ ـ رَحِمَكُمُ اللهُ ـ خَيْرَ خَلَفٍ لِخَيْرِ سَلَفٍ.

فَإِلَى المُتَاجَرَةِ مَعَ اللهِ ـ أَيُّهَا المُسْلِمُونَ ـ إِلَى الصَّفْقَةِ الرَّابِحَةِ ـ أَيُّهَا الأَثْرِيَاءُ ـ فَأَنْتُمْ مَدْعُوُّونَ إِلَى المُسَاهَمَةِ والمُرَابَحَةِ، وَحَيَّ عَلَى الجِهَادِ ـ يَا أُمَّةَ الإِسْلَامِ ـ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ؛ فَصَيْحَاتُ إِخْوَانِكُمْ فِي فِلَسْطِينَ وَأَفْغَانِسْتَانَ، وَكَشْمِيْرَ وَالشِّيْشَانِ، وَالبُوسْنَةِ والهِرْسِكِ، وَنِدَاءَاتُ أَشِقَّائِكُمْ بِمِلْءِ أَفْوَاهِهِمْ فِي بِقَاعٍ شَتَّىٰ مِنَ العَالَمِ، وَقَبْلَ ذٰلِكَ وَبَعْدَهُ نِدَاءُ رَبِّكُمْ ـ جَلَّ وَعَلَا ـ لَكُمْ، بِنِدَاءِ الإِيمَانِ لِلتِّجَارَةِ الرَّابِحَةِ؛ يَقُولُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَـٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الصَّف].

اللَّهُمَّ أَقِمْ عَلَمَ الجِهَادِ، وَاقْمَعْ[2] أَهْلَ الزَّيْغِ وَالكُفْرِ وَالفَسَادِ، وَانْشُرْ رَحْمَتَكَ عَلَى العِبَادِ، يَا مَنْ لَهُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ وَإِلَيْهِ المَعَادُ.

---

(١) انظر: «الكامل في التاريخ» لابن الأثير (٤/ ١٠٧).

(٢) اقْمَعْ: اقْهَرْ وَذَلِّلْ. «القاموس» (قمع).



بَارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيْمِ، وَنَفَعَنِيْ وَإِيَّاكُمْ بِهَدْيِ سَيِّدِ المُرْسَلِيْنَ، وَجَعَلَنِيْ وَإِيَّاكُمْ مِنْ عِبَادِهِ المُجَاهِدِيْنَ، وَحِزْبِهِ المُفْلِحِيْنَ.

أَقُولُ قَوْلِيْ هَـٰذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِيْ وَلَكُمْ وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ، فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيْمُ.

الخطبة الثانية

الحَمْدُ للهِ وَحْدَهُ، نَصَرَ عَبْدَهُ، وَأَعَزَّ جُنْدَهُ، وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلـهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ.

أمّا بعد:

فَاتَّقُوا اللهَ ـ عِبَادَ اللهِ ـ وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهادِهِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ لِلْجِهَادِ فِي الإِسْلاَمِ أُفُقًا وَاسِعًا، وَنِطَاقًا شَاسِعًا، وَهُوَ أَنْوَاعٌ مُتَعَدِّدَةٌ؛ بِالنَّفْسِ والقَلْبِ وَالجَنَانِ، والدَّعْوَةِ وَالقَوْلِ وَالبَيَانِ، وَالسَّيْفِ واليَدِ وَالسِّنَانِ، وَالمَالِ وَالقَلَمِ وَاللِّسَانِ، وَالقُدْوَةِ الحَسَنَةِ، وَالتَّرْبِيَةِ السَّلِيْمَةِ، وَهُوَ كَما قَالَ العَلاَّمَةُ ابْنُ القَيِّمِ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ عَلَىٰ أَرْبَعِ مَرَاتِبَ:

أَوَّلُهَا: جِهَادُ النَّفْسِ عَلَى العِلْمِ النَّافِعِ، وَالعَمَلِ الصَّالِحِ، وَهُوَ نُقْطَةُ البِدَايَةِ لِجِهَادِ الأَعْدَاءِ.

ثَانِيْهَا: جِهَادُ الشَّيْطَانِ عَلَىٰ دَفْعِ مَا يُلْقِيْ مِنَ الشَّهَوَاتِ وَالشُّبُهَاتِ.

ثَالِثُهَا، وَرَابِعُهَا: جِهَادُ الكُفَّارِ، وَالمُنَافِقِيْنَ[1].

وَوَاجِبٌ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ: أَنْ يُجَاهِدَ بِنَوْعٍ مِنْ هَـٰذِهِ الأَنوَاعِ عَلَىٰ قَدْرِ

---

(١) «زاد المعاد، في هدي خير العباد» (٣/ ٩).



المُسْتَطَاعِ، وَأَنْ يُرَوِّضَ نَفْسَهُ وَيُعِدَّهَا إِعْدَادًا مَعْنَوِيًّا وَحِسِّيًّا لِلْجِهَادِ فِي سَبِيْلِ اللهِ تَعَالَىٰ؛ فَلَنْ تُعَادَ الحُقُوقُ المَسْلُوبَةُ، وَالدِّيَارُ المَغْصُوبَةُ إِلاَّ بِذٰلِكَ؛ ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [التوبة]، وَإِنَّهُ ـ وَإِنْ طَالَ لَيْلُ الظَّلَامِ، وَتَعَاقَبَتِ المِحَنُ وَالفِتَنُ وَالآلَامُ ـ فَإِنَّ ذٰلِكَ يَحْمِلُ فِي طَيَّاتِهِ بَوارِقَ الفَجْرِ لِغَدٍ مُشْرِقٍ ـ إِنْ شَاءَ اللهُ ـ فَكُونُوا يَدًا وَاحِدَةً مَعَ إِخْوَانِكُمُ المُجَاهِدِيْنَ فِي سَبِيْلِ اللهِ فِي أَيِّ بُقْعَةٍ مِنْ بِقَاعِ المُسْلِمِيْنَ.

وَلْيَكُنْ كِتَابُ أَمِيْرِ المُؤْمِنِيْنَ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ إِلَىٰ قَائِدِ جَيْشِهِ سَعْدِ بْنِ أَبِيْ وَقَّاصٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ نِبْرَاسًا لَكُمْ؛ فَمِمَّا جَاءَ فِيْهِ قَوْلُهُ:

«أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي آمُرُكَ وَمَنْ مَعَكَ مِنَ الأَجْنَادِ بِتَقْوَى اللهِ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ؛ فَإِنَّ تَقْوَى اللهِ أَمْضَىٰ وَأَقْوَى العُدَّةِ عَلَى العَدُوِّ، وَأَقْوَى المَكِيْدَةِ فِي الحَرْبِ، وَآمُرُكَ وَمَنْ مَعَكَ أَنْ تَكُونُوا أَشَدَّ احْتِرَاسًا مِنَ المَعَاصِيْ مِنْكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ؛ فَإِنَّ ذُنُوبَ الجَيْشِ أَخْوَفُ عَلَيْهِمْ مِنْ عَدُوِّهِمْ، وَإِنَّمَا يُنْصَرُ المُسْلِمُونَ بِمَعْصِيَةِ عَدُوِّهِمْ للهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ وَإِلاَّ نُنْصَرْ عَلَيْهِمْ بِفَضْلِنَا، لَمْ نَغْلِبْهُمْ بِقُوَّتِنَا، وَاسْأَلُوا اللهَ العَوْنَ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ؛ كَمَا تَسْأَلُونَهُ النَّصْرَ عَلَىٰ أَعْدَائِكُمْ»[1].

كَمَا تَذْكُرُ كُتُبُ السِّيَرِ: أَنَّ أَمِيْرَ جَيْشِ الرُّومِ فِي عَصْرِ عُمَرَ ـ رَضِيَ

---

(١) انظر: «العقد الفريد» لابن عبد ربه (١/ ٤٠).



اللهُ عَنْهُ ـ أَرْسَلَ رَجُلاً مِن جَيْشِهِ لِيَنْظُرَ جَيْشَ المُسْلِمِيْنَ، فَلَمَّا رَجَعَ إِلَيْهِ، قَالَ لَهُ وَاصِفًا جَيْش المُسْلِمِيْنَ: «جِئْتُكَ مِنْ عِنْدِ قَوْمٍ دِقَاقٍ، عَلَىٰ خُيُولٍ عِتَاقٍ، أَمَّا اللَّيْلُ فَرُهْبَانٌ، وَأَمَّا النَّهَارُ فَفُرْسَانٌ، لَهُمْ دَوِيٌّ بِالقُرْآنِ كَدَوِيِّ النَّحْلِ»[1].

هَـٰكَذَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ المسْلِمُونَ إِنْ أَرَادُوا العِزَّ لِدِيْنِهِمْ، وَالنَّصْرَ عَلَىٰ أَعْدَائِهِمْ، وَإِنَّهُمْ لَفَاعِلُونَ، إِنْ شَاءَ الله.

وَإِنَّهُ لَمِنْ فَضْلِ اللهِ عَلَىٰ هَـٰذِهِ البِلَادِ المُبَارَكَةِ حُكُومَةً وَشَعْبًا: وُقُوفُهَا مَعَ المُجَاهِدِيْنَ فِي شَتَّى البِقَاعِ، وَدَعْمُهَا للحُقُوقِ العَادِلَةِ فِي كُلِّ مَكَانٍ؛ فَلَهَا مِنَ المَوَاقِفِ الطَّيِّبَةِ، وَالمَشَاعِرِ النَّبِيْلَةِ، وَالدَّعْمِ المَادِّيِّ وَالمَعْنَوِيِّ: مَا شَهِدَ بِهِ العَدُوُّ قَبْلَ الصَّدِيْقِ، وَتِلْكَ نِعْمَةٌ يَنْبَغِي التَّحَدُّثُ بِهَا وَشُكْرُهَا، وَبَذْلُ المَزِيْدِ مِنْهَا؛ وَلَا غَرْوَ فَهِيَ البُقْعَةُ المُبَارَكَةُ الَّتِي انْطَلَقَتْ مِنْهَا جَحَافِلُ الإِيْمَانِ، وَكَتَائِبُ الجِهَادِ؛ لِرَفْعِ رَايَةِ الإِسْلَامِ، ﴿وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العَنكبُوت].

أَلَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا ـ رَحِمَكُمُ اللهُ ـ عَلَىٰ إِمَامِ المُجَاهِدِيْنَ، وَرَسُولِ رَبِّ العَالَمِيْنَ؛ كَمَا أَمَرَكُمُ اللهُ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب].

---

(١) انظر: «البداية والنهاية» لابن كثير (٩/ ٥٦٩).



الخطبة الأولى

الحَمْدُ للهِ الَّذِيْ شَرَّفَ هَـٰذِهِ الأُمَّةَ، فَجعَلَها: خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ؛ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنْهَىٰ عَنِ المُنْكَرِ، وَتُؤْمِنُ بِاللهِ، أَحْمَدُهُ تَعَالىٰ وَأَشْكُرُهُ عَلىٰ مَا أَوْلاَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلـٰهَ إِلاَّ اللهُ، كَتَبَ الخَيْرِيَّةَ والفَلاَحَ، لِدُعَاةِ الخَيْرِ والإِصْلاَحِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، حَامِلُ لِوَاءِ الدَّعْوَةِ وَالجِهَادِ والكِفَاحِ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِيْنَ سَارُوا عَلَىٰ نَهْجِهِ وَتَرَسَّمُوا خُطَاهُ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ مَا تَعَاقَبَ المَسَاءُ وَالصَّبَاحُ.

أمّا بعد:

فَيَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، إِنَّ الإِيْمَانَ بِاللهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ وَالدَّعوَةَ إِلَيْهِ، وَالنُّصْحَ وَالتَّعَاوُنَ عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَىٰ، وَالتَّوَاصِيَ بِالحَقِّ والصَّبْرِ، وَإِشَاعَةَ الخَيْرِ وَالفَضِيْلَةِ بَيْنَ النَّاسِ، وَمُحَارَبَةَ الشَّرِّ وَالرَّذِيْلَةِ وَالفَسَادِ، وَاسْتِئْصَالَهُ مِنَ المُجْتَمَعِ ـ: مِنْ أَبْرَزِ سِمَاتِ هَـٰذِهِ الأُمَّةِ ـ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ ـ الَّتِي فَاقَتْ بِهَا سَائِرَ الأُمَمِ؛ يَقُولُ اللهُ جَلَّ وَعَلاَ: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠]؛ لِذَا

كَانَ الأَمْرُ بِالمَعْرُوْفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ: القُطْبَ الأَعْظَمَ فِي هَـٰذَا الدِّيْنِ، والمُهِمَّةَ الكُبْرَىٰ لِلأَنْبِيَاءِ والمُرْسَلِيْنَ وَالصَّالِحِيْنَ، بَلْ قَدْ عَدَّهُ بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ رُكْنًا سَادِسًا مِنْ أَرْكَانِ الإِسْلَامِ؛ كُلُّ ذٰلِكَ لِمَا يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ مِنَ الفَضْلِ العَظِيْمِ، وَالخَيْرِ العَمِيْمِ، وَالفَوَائِدِ وَالمَصَالِحِ العَاجِلَةِ وَالآجِلَةِ، وَلِمَا يَتَرَتَّبُ عَلَىٰ تَرْكِهِ مِنِ اسْتِشْرَاءِ البَاطِلِ، وَانْتِشَارِ الفَسَادِ، وَغَلَبَةِ المَعَاصِيْ وَهَيْمَنَتِهَا، وَهِيَ الجَالِبَةُ لِسَخَطِ اللهِ، المُنْذِرَةُ بِمَقْتِ اللهِ وَعَاجِلِ عُقُوبَتِهِ عَلَى الأَفْرَادِ وَالأُمَمِ.

أُمَّةَ الإِسْلَامِ، إِنَّ الأَمْرَ بِالمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيَ عَنِ المُنْكَرِ: أَمَارَةُ الإِيْمَانِ، وَإِنَّ تَرْكَهُ عَلَامَةُ النِّفَاقِ؛ ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ﴾[التوبة: ٦٧]، ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١]، وَهُمَا مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ النَّصْرِ عَلَى الأَعْدَاءِ، والتَّمْكِيْنِ فِي الأَرْضِ؛ قَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ﴾ [الحج]، وَهُمَا طَوْقُ النَّجَاةِ وَشَرْيَانُ الحَيَاةِ؛ يَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ۝١٦٥﴾ [الأعراف].

وَبِالجُمْلَةِ: فَهُمَا مِنْ أَفْضَلِ الأَعْمَالِ، وَآكَدِ الفَرَائِضِ، وَأَوْجَبِ



الواجِباتِ، وَأَلْزَمِ الحُقُوقِ، وَقَدْ جاءَ كِتابُ اللهِ وَسُنَّةُ رَسُولِهِ ﷺ بما يُؤَيِّدُ ذٰلك:

يَقُولُ أَصْدَقُ القَائِلِيْنَ: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وَرَوَى الإِمَامُ مُسْلِمٌ، عَنْ أَبِيْ سَعِيْدٍ الخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «مَنْ رَأَىٰ مِنكُمْ مُنكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ؛ وَذٰلِكَ أَضْعَفُ الإِيْمَانِ»، وَفِي رِوَايَةٍ: «وَلَيْسَ وَرَاءَ ذٰلِكَ مِنَ الإِيْمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ»[1].

وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ، عَنْ حُذَيْفَةَ بنِ اليَمَانِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «والَّذِيْ نَفْسِيْ بِيَدِهِ! لَتَأْمُرُنَّ بِالمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ المُنْكَرِ، أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَاباً مِنْهُ، ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلاَ يُسْتَجَابُ لَكُمْ»[2].

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا دَخَلَ النَّقْصُ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيْلَ: كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ، فَيَقُولُ: يَا هٰذَا، اتَّقِ اللهِ، وَدَعْ مَا تَصْنَعُ؛ فَإِنَّهُ لاَ يَحِلُّ لَكَ، ثُمَّ يَلْقَاهُ مِنَ الغَدِ، فَلاَ يَمْنَعُهُ ذٰلِكَ أَنْ يَكُونَ أَكِيْلَهُ وَشَرِيْبَهُ وَقَعِيْدَهُ، فَلَمَّا فَعَلُوا ذٰلِكَ، ضَرَبَ اللهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ»، ثُمَّ قَالَ: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ

---

(١) «صحيح مسلم» (٤٩).

(٢) رواه أحمد (٥/ ٣٨٨)، والترمذي (٢١٦٩).



عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ [المائدة]، ثُمَّ قَالَ: «**كَلاَّ وَاللهِ! لَتَأْمُرُنَّ بِالمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ المُنْكَرِ، وَلَتَأْخُذُنَّ عَلَىٰ يَدَي الظَّالِمِ، وَلَتَأْطِرُنَّهُ عَلَى الحَقِّ أَطْرًا، وَلَتَقْصُرُنَّهُ عَلَى الحَقِّ قَصْرًا، أَوْ لَيَضْرِبَنَّ اللهُ بِقُلُوبِ بَعْضِكُمْ عَلَى بَعْضٍ، ثُمَّ لَيَلْعَنَنَّكُمْ كَمَا لَعَنَهُمْ**»[1].

إِخْوَةَ العَقِيدَةِ، أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ فَرْدًا أُصِيبَ بِمَرَضٍ عُضَالٍ فِي جُزْءٍ مِنْ جِسْمِهِ، فَأَهْمَلَهُ؛ أَوَ لَيْسَ يَسْتَشْرِي المَرَضُ فِي جَسَدِهِ كُلِّهِ، فَيَعْسُرُ عِلاَجُهُ، وَيَتَعَذَّرُ شِفَاؤُهُ؟! فَكَذَٰلِكَ المُنْكَرُ - يَا عِبَادَ اللهِ - إِذَا ظَهَرَ وَتُرِكَ فَلَمْ يُغَيَّرْ، فَإِنَّهُ لاَ يَلْبَثُ أَنْ يَأْلَفَهُ النَّاسُ وَيَسْتَمْرِئُوهُ، وَعِنْدَئِذٍ: يُصْبِحُ مِنَ العَسِيرِ تَغْيِيرُهُ وَإِزَالَتُهُ؛ فَتَعُمُّ المُنْكَرَاتُ، وَتَنْتَشِرُ الفَوَاحِشُ، وَتَغْرَقُ سَفِينَةُ الأُمَّةِ.

وَقَدْ ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مَثَلاً بَلِيغًا عَلَىٰ ذَٰلِكَ بِقَوْلِهِ - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ -: «**مَثَلُ القَائِمِ عَلَىٰ حُدُودِ اللهِ، وَالوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَىٰ سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا، وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا؛ فَكَانَ**

---

(١) رواه أحمد (١/ ٣٩١)، وأبوداود (٤٣٣٦)، والترمذي (٣٠٤٧).

الَّذِيْنَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ المَاءِ، مَرُّوا عَلَىٰ مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيْبِنَا خَرْقًا، وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا: فَإِنْ تَرَكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا، هَلَكُوا جَمِيْعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَىٰ أَيْدِيْهِمْ، نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيْعًا»(١).

مَعَاشِرَ المُسْلِمِيْنَ، وَقَدْ أَشَادَ عُلَمَاءُ الإِسْلَامِ بِهَـٰذِهِ الشَّعِيْرَةِ العَظِيْمَةِ:

يَقُولُ الغَزَالِيُّ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «فَإِنَّ الأَمْرَ بِالمَعْرُوفِ والنَّهْيَ عَنِ المُنْكَرِ هُوَ القُطْبُ الأَعْظَمُ فِي الدِّيْنِ، وَهُوَ المُهِمُّ الَّذِيْ ابْتَعَثَ اللهُ لَهُ النَّبِيِّيْنَ أَجْمَعِيْنَ، وَلَوْ طُوِيَ بِساطُهُ وَأُهْمِلَ عِلْمُهُ وَعَمَلُهُ، لَتَعَطَّلَتِ النُّبُوَّةُ، وَاضْمَحَلَّتِ الدِّيَانَةُ، وَعَمَّتِ الفَتْرَةُ، وَانْتَشَرَتِ الضَّلَالَةُ، وَشَاعَتِ الجَهَالَةُ، وَاسْتَشْرَى الفَسَادُ، وَاتَّسَعَ الخَرْقُ، وَخَرِبَتِ البِلَادُ، وَهَلَكَ العِبَادُ، وَلَمْ يُشْعَرْ بِالهَلَاكِ إِلَّا يَوْمَ التَّنَادِ»(٢).

وَيَقُولُ شَيْخُ الإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: **«الأَمْرُ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ هُوَ الَّذِيْ أَنْزَلَ اللهُ بِهِ كُتُبَهُ، وَأَرْسَلَ بِهِ رُسُلَهُ، وَهُوَ مِنَ الدِّيْنِ»**(٣).

وَيَقُولُ الإِمَامُ النَّوَوِيُّ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «وَهُوَ بَابٌ عَظِيمٌ، بِهِ قِوَامُ الأَمْرِ وَمِلَاكُهُ... فَيَنْبَغِيْ لِطَالِبِ الآخِرَةِ، وَالسَّاعِي فِي تَحْصِيْلِ رِضَا اللهِ ـ

---

(١) رواه أحمد (٤/ ٢٦٨)، والبخاري (٢٤٩٣)؛ من حديث النعمان بن بشير، رضي الله عنهما.

(٢) «إحياء علوم الدين» (٢/ ٣٠٦).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ١٢١).



عَزَّ وَجَلَّ - أَنْ يَعْتَنِيَ بِهِ؛ فَإِنَّ نَفْعَهُ عَظِيمٌ»[1].

أَيُّهَا الإِخْوَةُ فِي اللهِ، المَعْرُوفُ الَّذِيْ جَاءَ الشَّرْعُ بِالأَمْرِ بِهِ: اسْمٌ يَجْمَعُ كُلَّ مَاأَمَرَاللهُ بِهِ وَرَسُولُهُ، مِنَ العَقَائِدِ وَالأَقْوَالِ وَالأَفْعالِ؛ كَالإِيْمَانِ، وَشَرَائِعِ الإِسْلَامِ الظَّاهِرَةِ وَالبَاطِنَةِ، وَالأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَالأَخْلَاقِ الفَاضِلَةِ وَنَحْوِهَا، وَالمُنْكَرُ: مَا أَنْكَرَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، وَأَقْبَحُ ذٰلِكَ وَأَعْظَمُهُ: مُنْكَرَاتُ العَقَائِدِ، وَالأُمُورُ المُبْتَدَعَةُ فِي الدِّيْنِ، وَكَبَائِرُ الذُّنُوبِ، عَافَانَا اللهُ وإِيَّاكُمْ مِنْها!

أُمَّةَ الإِسْلَامِ، يَاخَيْرَأُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، إِنَّ وَاجِبَ الأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ، لَيْسَ مَقْصُورًا عَلَىٰ أَحَدٍ بِعَيْنِهِ مِنَ الأَشْخَاصِ أَوِ الهَيْئَاتِ، وَلٰكِنَّهُ وَاجِبُ كُلِّ مُسْلِمٍ، وَكُلٌّ عَلَىٰ قَدْرِ اسْتِطَاعَتِهِ، بِحَسَبِ مَنْزِلَتِهِ وَمَكَانَتِهِ؛ بَيْدَ أَنَّ[2] عَلَىٰ أَهْلِ الحَلِّ وَالعَقْدِ - مِنَ الرُّعَاةِ وَالعُلَمَاءِ، وَالوُجَهَاءِ وَالمُخْتَصِّيْنَ وَالدُّعَاةِ - مَا لَيْسَ عَلَىٰ غَيْرِهِمْ: فَالأَبُ مَسْئُولٌ عَنْ أُسْرَتِهِ وَأَهْلِهِ وَأَوْلَادِهِ، والمُعَلِّمُ فِي مَجَالِهِ، وَالمُوَظَّفُ فِي دَائِرَتِهِ، وَالتَّاجِرُ فِي سُوقِهِ، وَهٰكَذَا كُلٌّ عَلَىٰ ثَغْرَةٍ مِن ثُغُورِ الإِسْلَامِ، وَكُلٌّ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، بَلِ المُسْلِمُ الحَقُّ حَيْثُمَا حَلَّ وَوَقَعَ، أَفَادَ وَنَفَعَ؛ لأَنَّهُ عُضْوٌ فِي جَسَدِ هٰذِهِ الأُمَّةِ، لَهُ مَكَانَتُهُ، وَعَلَيْهِ وَاجِبَاتُهُ، وَهُوَ مُطَالَبٌ

(١) «شرح صحيح مسلم» للنووي (٢/ ٢٤).
(٢) بَيْدَ أَنَّ، أي: غَيْرَ أَنَّ. «القاموس» (بيد).



بِالتَّفَاعُلِ مَعَ مُجْتَمَعِهِ، وَالأَلَمِ لأَلَمِهِ، وَالنَّشَاطِ فِي مُحِيْطِهِ؛ نَشْرًا لِلْخَيْرِ والصَّلَاحِ، وَدَرْءًا لِلشَّرِّ وَالفَسَادِ.

يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ، يَا خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، إِنَّهُ لاَ سَبِيْلَ إِلَىٰ مُوَاجَهَةِ التَّحَدِّيَاتِ، والوُقُوفِ أَمَامَ المُؤَامَرَاتِ، إِلاَّ بِالتَّمَسُّكِ بِالثَّوابِتِ واليَقِينِيَّاتِ، وَالمَبَادِيءِ وَالمُقَوِّمَاتِ، الَّتِيْ يَتَرَتَّبُ عَلَيْهَا عِزُّ هَـٰذِهِ الأُمَّةِ وَسَعَادَتُهَا فِي الحَيَاةِ وَبَعْدَ المَمَاتِ، مَعَ حُسْنِ التَّعَامُلِ معَ المُتَغَيِّرَاتِ، وَجَامِعُ هَـٰذِه الثَّوَابِتِ: هُوَ القِيَامُ بِهَـٰذِهِ الشَّعِيْرَةِ العَظِيْمَةِ، وَالفَرِيْضَةِ الكَرِيْمَةِ، الَّتِيْ هِيَ الأَصْلُ الأَصِيْلُ، وَالأَسَاسُ المَتِيْنُ، الَّذِيْ مَتَىٰ مَا قَامَتْ بِهِ الأُمَّةُ، عَزَّتْ وَسَادَتْ، وَانْتَصَرَتْ وَقَادَتْ.

إِنَّهُ قِوَامُ هَـٰذَا الدِّيْنِ، بِهِ نَالَتْ هَـٰذِهِ الأُمَّةُ الخَيْرِيَّةَ عَلَىٰ العَالَمِيْنَ.

فَالوَاجِبُ عَلَىٰ المُسْلِمِيْنَ: أَنْ يَأْمُرُوا بِالمَعْرُوفِ، وَيَنْهَوْا عَنِ المُنْكَرِ، وَلاَبُدَّ مِنْ تَحَلِّيْ الآمِرِيْنَ بِالمَعْرُوفِ، وَالنَّاهِيْنَ عَنِ المُنْكَرِ، وَالمُنْتَسِبِيْنَ إِلَيْهِ: بِالرِّفْقِ وَالعِلْمِ، وَالحِلْمِ والرَّحْمَةِ وَالحِكْمَةِ؛ لِيَكُونَ لِعَمَلِهِمُ الأَثَرُ الإِيْجَابِيُّ، فِيْ بُعْدٍ عَنِ التَّعْنِيْفِ وَالغِلْظَةِ.

وَالحَقُّ: أَنَّ أَهْلَ الحِسْبَةِ ـ وَفَّقَهُمُ اللهُ ـ يَبْذُلُونَ جُهُودًا جَبَّارَةً، تُذْكَرُ فَتُشْكَرُ، يَنْبَغِيْ أَنْ يُشَجَّعُوا مَادِّيًّا وَمَعْنَوِيًّا، وَأَنْ يُكَفَّ عَنْ تَضْخِيْمِ أَخْطَائِهِمْ.



مَنْ ذَا الَّذِيْ مَا سَاءَ قَطُّ وَمَنْ لَهُ الحُسْنَىٰ فَقَطْ؟![1]

وَالعَامِلُونَ فِي هَـٰذَا المَيْدَانِ، هُمْ مِنْ خِيَارِ هَـٰذِهِ الأُمَّةِ ـ نَحْسَبُهُمْ وَلاَ نُزَكِّيْ عَلَى اللهِ أَحَدًا ـ فَمَجَالُ الحِسْبَةِ ـ يَا عِبَادَ اللهِ ـ تَاجُ عِزِّ هَـٰذِهِ الأُمَّةِ، وَثَمَرَةُ رِسَالَتِهَا، وَأَثَرُ دَعْوَتِهَا، وَمَظْهَرٌ مِنْ مَظَاهِرِ حَضَارَتِهَا، هُوَ صِمَامُ الأَمَانِ ـ بِإِذْنِ اللهِ ـ مِنَ اللُّوْثَاتِ العَقَدِيَّةِ، وَالانْحِرَافَاتِ الأَخْلاَقِيَّةِ، لاَ تَمْكِيْنَ لِلدَّوْلَةِ الإِسْلاَمِيَّةِ إِلاَّ بِهِ؛ ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج].

هُوَ سَفِيْنَةُ النَّجَاةِ، وَطَوْقُ الحَيَاةِ، وَالقَائِمُونَ بِهِ ـ وَفَّقَهُمُ اللهُ ـ رِجَالٌ أَهَمَّهُمْ أَمْرُ أُمَّتِهِمْ، وَأَرَّقَهُمْ وُجُودُ المُنْكَرَاتِ فِي مُجْتَمَعَاتِهِمْ، يَجِدُّوْنَ لإِزَالَةِ المُنْكَرَاتِ بِأَرْوَاحٍ مُتَوَهِّجَةٍ، وَضَمَائِرَ حَيَّةٍ؛ لِحِفْظِ وُجُودِ الأُمَّةِ المَعْنَوِيِّ، وَأَمْنِهَا العَقَدِيِّ والفِكْرِيِّ وَالسُّلُوكِيِّ، وَاسْتِمْرَارِ بَقَاءِ عَنَاصِرِ تَمْكِيْنِهَا.

هُمْ مَشَاعِلُ هِدَايَةٍ، وَمَصَادِرُ تَوْجِيْهٍ، وَسُرُجُ إِشْعَاعٍ، يَعْمَلُونَ بِحِكْمَةٍ وَحَمَاسٍ؛ لإِصْلاَحِ مَاأَفْسَدَ النَّاسُ، هُمْ لِدِيْنِ اللهِ دُعَاةٌ، وَعَلَيْهِ حُرَّاسٌ، كَمْ يَلْقَوْنَ مِنَ العَنَتِ فِي هَـٰذِهِ المُهِمَّةِ الشَّاقَّةِ! وَلاَغَرَابَةَ أَنْ يَعْمَلَ بَعْضُ

---

(١) البيت لأبي القاسم الحريري ضمن قصيدة له في المقامة الشعرية، مطلعها:
سَامِحْ أَخَاكَ إِذَا خَلَطْ مِنْهُ الإِصَابَةَ بِالغَلَطْ
والبيت من شعر الأمثال. انظر: «مقامات الحريري» (٢٣١).



الرُّوَيْبِضَةِ لِلوَقِيْعَةِ بِهِمْ؛ لأَنَّهُمْ يَصْطَدِمُونَ بِالشَّهَوَاتِ، وَيَكْبَحُونَ جِمَاحَ المُغْرِيَاتِ، الإِيْمَانُ دَافِعُهُمْ، وَالغَيْرَةُ حَافِزُهُمْ؛ فَلِلَّهِ دَرُّهُمْ مِنْ رِجَالٍ، وَبُورِكَتْ أَفْعَالُهُمْ وَجُهُودُهُمْ، وَضَاعَفَ اللهُ مَثُوبَتَهُمْ!

وَنُشْهِدُ اللهَ الَّذِيْ لاَ إِلٰهَ غَيْرُهُ عَلَىٰ حُبِّهِمْ، وَالدُّعَاءِ لَهُمْ؛ لِمَا يَضْطَلِعُونَ بِهِ مِنْ مَهَامَّ جَسِيْمَةٍ، تَعْمَلُ عَلَىٰ تَجْفِيْفِ مَنَابِعِ الشَّرِّ فِي الأُمَّةِ، وَحِرَاسَةِ ثُغُورِ المُجْتَمَعِ مِنْ تَسَلُّلِ الجَرِيمَةِ، بِدَعْوَى الحُرِّيَّةِ الشَّخْصِيَّةِ، أَوِ التَّقَدُّمِيَّةِ الزَّائِفَةِ، أَوِ المَدَنِيَّةِ المَأْفُوْنَةِ.

فَوَاجِبُ الأُمَّةِ جَمِيْعًا: تَعْزِيْزُ جَانِبِ الحِسْبَةِ؛ فَإِنَّ ضَعْفَهُ وَانْحِسَارَهُ، وَطَيَّ بِسَاطِهِ، وَانْخِفَاضَ لِوَائِهِ، وَإِهْمَالَ عِلْمِهِ وَعَمَلِهِ ـ: نُذُرُ شُرُورٍ خَطِيْرَةٍ، وَأَضْرَارٌ مُسْتَطِيرَةٌ عَلَى الأُمَّةِ جَمِيْعًا، وَإِنَّ المُتَأَمِّلَ لأَحْوَالِ عَالَمِنَا الإِسْلاَمِيِّ المُعَاصِرِ يُدْرِكُ مَا مَنَّ اللهُ بِهِ عَلَىٰ بِلاَدِ الحَرَمَيْنِ الشَّرِيْفَيْنِ ـ حَرَسَهَا اللهُ ـ مِنْ عِنَايَةٍ بِهَـٰذَا الجَانِبِ المُهِمِّ؛ فَرِعَايَةُ الحِسْبَةِ تَاجٌ عَلَىٰ رَأْسِهَا، وَغُرَّةٌ فِي جَبِيْنِهَا، جَعَلَتْ لَهُ جِهَازًا مُسْتَقِلاًّ، وَجِهَةً خَاصَّةً مَسْئُولَةً، وَرِئَاسَةً عَامَّةً، تَتَوَلَّىٰ رِعَايَتَهَا وَالعِنَايَةَ بِهَا، وَتِلْكَ جُهُودٌ مَذْكُوْرَةٌ مَشْكُورَةٌ، وَعِنْدَ المُنْصِفِيْنَ غَيْرُ مَنْكُورَةٍ، يَجِبُ أَنْ تُرْوَىٰ فَلاَ تُطْوَىٰ، مَعَ مَا يُؤَمَّلُ مِنْ تَعَاوُنِ المُسْلِمِيْنَ، وَمَزِيْدِ الدَّعْمِ لأَهْلِ الخَيْرِ وَالإِصْلاَحِ فِي الأُمَّةِ؛ فَالشُّرورُ كَثِيْرَةٌ، وَجُهُودُ المُغْرِضِيْنَ وَفِيْرَةٌ فِي خَرْقِ سَفِيْنَةِ الأُمَّةِ،



وَالسُّنَنُ لاَ تتغَيَّرُ، وَالمُتَغَيِّرَاتُ لاَ تتمَهَّلُ؛ واللهُ سُبْحَانَهُ ﴿ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١].

فَلْنَتَّقِ اللهَ ـ يَا عِبَادَ الله ـ وَلْيَكُنْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا هَيْئَةً بِذَاتِهِ، لِلأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ، وَلْنَتَعَاوَنْ فِي تَحْقِيْقِ هَـٰذَا المَبْدَإِ العَظِيْمِ، وَلْنكُنْ يَدًا وَاحِدَةً عَلَىٰ مَنْ يُرِيْدُ خَرْقَ سَفِيْنَةِ أُمَّتِنَا بِالشَّرِّ والفَسَادِ، رَائِدُنَا فِي ذٰلِكَ: الإِخْلَاصُ وَالحِكْمَةُ، وَالشَّفَقَةُ وَالرِّفْقُ، وَالأَنَاةُ وَالرَّحْمَةُ؛ فَتِلْكَ أَبْرَزُ الصِّفَاتِ الَّتِيْ يَنْبَغِيْ أَنْ يَتَحَلَّىٰ بِهَا مَنْ يَتَصَدَّىٰ لِهَـٰذَا الأَمْرِ العَظِيْمِ؛ فَهُمْ دُعَاةُ خَيْرٍ وَرَحْمَةٍ، وَحِرْصٍ وَشَفَقَةٍ عَلَىٰ إِخْوَانِهِم المُسْلِمِينَ، وَغَيْرَةٍ عَلَىٰ دِيْنِ اللهِ القَوِيْمِ، وَمَنْ كَانَ بِهَـٰذِهِ المَثَابَةِ، فَأَوْلَىٰ أَنْ يُسَانَدَ وَيُعَاضَدَ، وَيُشَجَّعَ وَيُؤَازَرَ، وَيُكَرَّمَ مَادِّيًّا وَمَعْنَوِيًّا.

يَا خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، إِنَّهُ إِذَا أَفْلَتَ زِمَامُ هَـٰذَا الأَمْرِ، وَطُوِيَ بِسَاطُهُ، وَقَلَّ أَنْصَارُهُ، وَأَخْفَقَتْ رَايَتُهُ، وَأُهْمِلَ عِلْمُهُ وَعَمَلُهُ ـ: فَشَتِ الضَّلَالَةُ، وَشَاعَتِ الجَهَالَةُ، وَفَسَدَتِ البِلَادُ، وَهَلَكَ العِبَادُ، وَإِنَّ النَّاظِرَ فِيْمَا أَصَابَ المُجْتَمَعَاتِ المُعَاصِرَةَ، لَيَأْسَىٰ أَشَدَّ الأَسَىٰ مِنْ تَفَاقُمِ المُحَرَّمَاتِ، وَانْتِشَارِ المُنْكَرَاتِ، مِمَّا تَعْجِزُ عَنْ وَصْفِهِ الكَلِمَاتُ، وَيُتَرْجِمُ عَنْهُ الحَالُ فِي كَثِيْرٍ مِنَ الجَوانِبِ العَقَدِيَّةِ والشَّرْعِيَّةِ، وَالأَخْلَاقِيَّةِ والفِكْرِيَّةِ؛ مِمَّا ضَعُفَتْ مَعَهُ الغَيْرَةُ، وَهُتِكَتْ مِنْ أَجْلِهِ أَعْرَاضٌ، وَانْتَشَرَتِ



الأَفْكَارُ الهَدَّامَةُ، والمَبَادِيءُ المُنْحَرِفَةُ، وَتَطَاوَلَ فِيْهِ الفُسَّاقُ مِنَ الرِّجَالِ والشَّبَابِ وَالنِّسَاءِ، وَلاَ تسْأَلْ عَمَّا تَضِجُّ بِه القَنَوَاتُ الفَضَائِيَّةُ، والشَّبَكَاتُ المَعْلُومَاتِيَّةُ، مِمَا يُلِحُّ بِالسُّؤالِ:

أَيْنَ الغَيْرَةُ الإِسْلاَمِيَّةُ؟! وَأَيْنَ الحَمِيَّةُ الدِّيْنِيَّةُ؟! بَلْ أَيْنَ النَّزْعَةُ الإِنْسَانِيَّةُ، والشَّهَامَةُ العَرَبِيَّةُ، وَالرُّجُوْلَةُ الأَصْلِيَّةُ؟! هَلْ نُزِعَتْ مِنَ القُلُوبِ، واضْمَحَلَّتْ مِنَ النُّفُوسِ؟! إِنَّهُ إِذَا كَثُرَ الخَبَثُ، وَانتَشَرَ الفَسَادُ، وَلَمْ يُغَيَّرْ - عَمَّ العَذَابُ الصَّالِحَ والطَّالِحَ؛ فَعَنْ جَابِرٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَوْحَى اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - إِلىٰ جِبْرِيْلَ - عَلَيهِ السَّلاَمُ - أَنِ اقْلِبْ مَدِيْنَةَ كَذَا وَكَذَا بِأَهْلِهَا، قَالَ: يَارَبِّ، إِنَّ فِيْهِمْ عَبْدَكَ فُلاَنًا، لَمْ يَعْصِكَ طَرْفَةَ عَيْنٍ؟ قَالَ: اقْلِبْهَا عَلَيهِ وَعَلَيهِمْ؛ فَإِنَّ وَجْهَهُ لَمْ يَتَمَعَّرْ(١) فِيَّ سَاعَةً قَطُّ**»(٢)، وَعَنْ أُمِّ المُؤْمِنِيْنَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - قَالَتْ: قُلْتُ: يَارَسُولَ اللهِ، أَنَهْلِكُ وَفِيْنَا الصَّالِحُونَ؟! قَالَ: «**نَعَمْ، إِذَا كَثُرَ الخَبَثُ**»؛ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(٣).

وَمَعَ ذَلِكَ كُلِّهِ: فَلاَ يَزَالُ - وَللهِ الحَمْدُ وَالمِنَّةُ - فِي أَرْضِ اللهِ مَنْ هُوَ

---

(١) لم يتمعَّر، أي: لم يتغير. «النهاية» (معر).

(٢) رواه الطبراني في «الأوسط» (٧٦٦١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٥٩٥)، (٧١٨٩ـ ط. الهند).

(٣) «صحيح البخاري» (٧٠٥٩)، و«صحيح مسلم» (٢٨٨٠).



قَائِمٌ للهِ بِحُجَّتِهِ، وَصَادِعٌ بِدَعْوَتِهِ، وَلاَ نَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ، بَلْ نَتَفَاءَلُ خَيْرًا ـ إِنْ شَاءَ اللهُ ـ وَلَـٰكِنَّ الأَمْرَ بِحَاجَةٍ إِلَى المَزِيْدِ مِنَ الجُهُودِ الإِسْلاَمِيَّةِ المُتَضَافِرَةِ؛ لِتَحْقِيْقِ هَـٰذَا المَبْدَإِ العَظِيْمِ، وَنَشْرِهِ فِي بِلاَدِ المُسْلِمِيْنَ؛ لِيَعُمَّ الخَيْرُ وَيَنْتَشِرَ، وَيَتَوَارَى البَاطِلُ وَيَنْدَحِرَ؛ ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [إبراهيم: ٢٠، فاطر: ١٧].

بَارَكَ اللهُ لِيْ وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيْمِ، وَنَفَعَنِيْ اللهُ وَإِيَّاكُمْ بِسُنَّةِ سَيِّدِ المُرْسَلِيْنَ، وَهَدَانَا صِرَاطَهُ المُسْتَقِيمَ، وَأَجَارَنَا ـ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ ـ مِنَ العَذَابِ الأَلِيمِ، وَتَابَ عَلَيْنَا أَجْمَعِيْنَ؛ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيْمُ.

الخطبة الثانية

الحَمْدُ للهِ رَبِّ الأَرْبَابِ، وَمُسَبِّبِ الأَسْبَابِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰـهَ إِلاَّ اللهُ العَزِيْزُ الوَهَّابُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَفْضَلُ مَنْ قَامَ بِالدَّعْوَةِ وَالاِحْتِسَابِ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أُولِيْ البَصَائِرِ وَالأَلْبَابِ، وَالتَّابِعِيْنَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحسَانٍ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّيْنِ.

أما بعد:

فَاتَّقُوا اللَّهَ ـ عِبَادَ اللَّهِ ـ وَقُومُوا بِمَا أَوْجَبَ اللهُ عَلَيْكُمْ مِنَ الأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ المُنْكَرِ؛ فَقَدْ عَرَفْتُمْ مَنْزِلَتَهُ وَمَكَانَتَهُ فِي هَـٰذَا الدِّيْنِ، وَالأَدِلَّةَ عَلَيْهِ، وَالوَعِيْدَ الشَّدِيْدَ لِمَنْ تَرَكَهُ وَأَهْمَلَهُ، وَأَدْرَكْتُمْ مَا وَصَلَ إِلَيْهِ الحَالُ، وَبَانَ لَكُمْ أَسْبَابُ ذٰلِكَ، وَنَتَائِجُهُ الوَخِيْمَةُ، وَوَقَفْتُمْ عَلَىٰ وَصْفَةٍ مِنْ عِلاَجِ ذٰلِكَ الأَمْرِ، وَصِفَاتِ مَنْ يَقُومُ بِهِ.

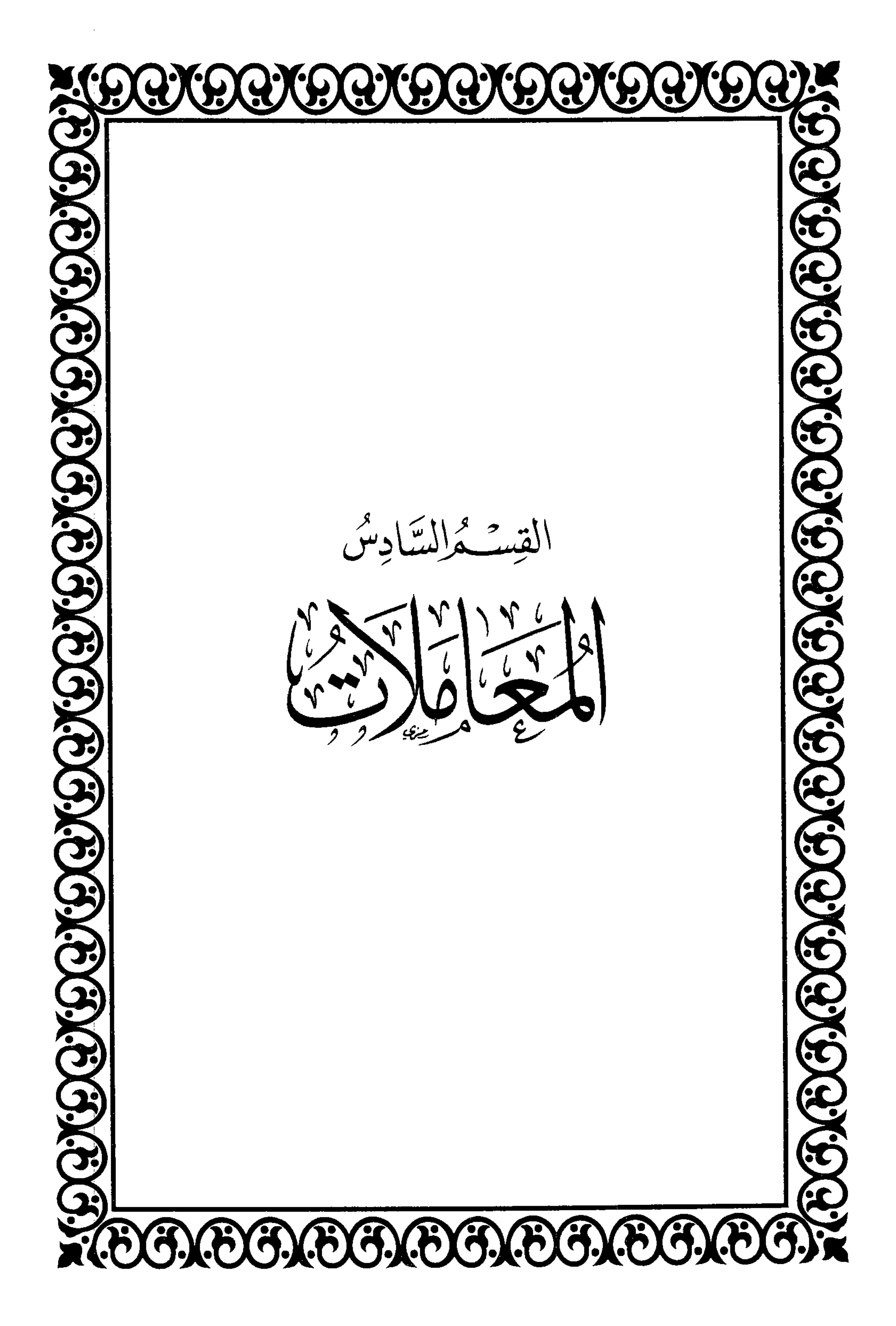
فَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ العَمَلُ الجَادُّ المُخْلِصُ المَبْنِيُّ عَلَىٰ أُسُسٍ سَلِيْمَةٍ، وَقَوَاعِدَ مُحْكَمَةٍ حَكِيْمَةٍ، وَتَرْكُ التَّوَانِيْ والتَّوَاكُلِ وَالتَّلاَوُمِ وَإِلْقَاءِ التَّبِعَةِ عَلَى الآخَرِيْنَ، فلَوْ قَامَ كُلٌّ مِنَّا بِوَاجِبِه، وَعَرَفَ دَوْرَهُ وَرِسَالَتَهُ، وَتعَاوَنَ مَع إِخْوَانِهِ ـ لَمْ يَجِدِ البَاطِلُ سَبِيْلاً، وَلَمْ يَلْقَ الفَسَادُ رَوَاجًا، وَلٰكِنَّهَا سُنَّةُ اللهِ فِي خَلْقِهِ؛ لِيَنْظُرَ مَن يَجِدُّ وَيَعْمَلُ، مِمَّنْ يَتْرُكُ الحَبْلَ عَلَى الغَارِبِ

وَيُهْمِلُ، وَلَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ ﷺ القُدْوَةُ الحَسَنَةُ؛ فَقَدْ كَانَ أَشَدَّ النَّاسِ غَيْرَةً علىٰ دِيْنِ اللهِ، وَحِرْصًا عَلىٰ تَبْلِيْغِ رِسَالَةِ اللهِ، وَغَضَبًا إِذَا انْتُهِكَتْ حُرُمَاتُ اللهِ؛ فتَأَسَّوْا بِهِ - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَم - تُفْلِحُوا وتَسْعَدُوا، ثُمَّ صَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللهُ - عَلى الهَادِيْ البَشِيْرِ، وَالسِّرَاجِ المُنِيْرِ؛ كَمَا أَمَرَكُمْ بذٰلِكَ المَوْلَى اللَّطِيْفُ الخَبِيْرُ؛ فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب].

* * *







القسم السادس

المعاملات



الخطبة الأولى

الحَمْدُ للهِ الَّذِيْ أَحَلَّ لَنَا الطَّيِّبَاتِ، وَحَرَّمَ عَلَيْنَا الخَبَائِثَ، أَحْمَدُهُ تعَالَىٰ حَمْدَ مُعْتَرِفٍ بِنِعَمِهِ، وَأَشْكُرُهُ جَلَّ وَعَلاَ شُكْرَ مُقِرٍّ بِمِنَنِـهِ، وَأُثْنِي عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ؛ فَهُوَ أَهْلُ الثَّنَاءِ وَالمَجْدِ، وَمُسْتَحِقُّ الشُّكْرِ وَالحَمْدِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ، جَعَلَ لَنَا فِي الحَلاَلِ غُنْيَةً عَنِ الحَرَامِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ خَيْرُ الأَنَامِ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ البَرَرَةِ الكِرَامِ وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِيْنَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ.

أمّا بعد:

فَاتَّقُوا اللهَ - عِبَادَ اللهِ - وَاشْكُرُوهُ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ لِلإِسْلَامِ، وَأَغْنَاكُمْ بِالحَلاَلِ عَنِ الحَرَامِ.

إِخْوَةَ الإِسْلَامِ، لَقَدْ جَاءَتِ الشَّرِيْعَةُ الغَرَّاءُ، بِتَنْظِيمٍ شَامِلٍ لِجَمِيْعِ جَوَانِبِ الحَيَاةِ، وَإِصْلَاحٍ كَامِلٍ لِكُلِّ مُتَطَلَّبَاتِ النَّاسِ فِي شَتَّىٰ شُئُونِهِمُ الفَرْدِيَّةِ وَالاجْتِمَاعِيَّةِ، وَنَظَّمَتْ لِلْعِبَادِ سُبُلَ مُعَامَلَتِهِمْ مَعَ اللهِ، وَمُعَامَلاَتِهِمْ معَ عِبَادِ اللهِ، كُلُّ ذٰلِكَ فِي حُدُودِ الحَلاَلِ الطَّيِّبِ وَفِيْ إِطَارِ المُبَاحِ المَشْرُوعِ، الَّذِيْ يَرْعَى الحُقُوقَ، وَيَصُونُ المَصَالِحَ، وَيَدْرَأُ الأَضْرَارَ وَالمَفَاسِدَ،

وَيَحْفَظُ الدِّمَاءَ وَالأَعْرَاضَ وَالأَمْوَالَ، فِي مِنْهَاجٍ قَوِيْمٍ، وَقِسْطَاسٍ مُسْتَقِيْمٍ، وَنُورٍ يُسْتَضَاءُ بِهِ، وَهَدْيٍ يُقْتَدَىٰ بِهِ.

وَكَمَا شَرَعَ الإِسْلامُ عَقِيْدَةً صَحِيْحَةً، وَعِبَادَاتٍ سَامِيَةً، تَصِلُ العَبْدَ بِرَبِّهِ؛ يُؤَدِّيْهَا عَلَىٰ ضَوْءِ الكِتَابِ والسُّنَّةِ ـ كَذٰلِكَ رَسَمَ لَهُمْ فِي مَجَالِ المُعَامَلاَتِ ـ فِيْمَا بَيْنَهُمْ ـ مَنْهَجًا سَلِيْمًا عَدْلاً، تَحْكُمُهُ ضَوَابِطُ شَرْعِيَّةٌ، وَشُرُوطٌ وَآدَابٌ مَرْعِيَّةٌ، يَجِبُ اعْتِبَارُهَا وَالْتِزَامُهَا، وَالتَّعَامُلُ عَلَىٰ مُقْتَضَىٰ حُدُودِهَا وَمَعَالِمِهَا؛ فَلاَ فَوْضَىٰ وَلاَ ظُلْمَ وَلاَ بَاطِلَ، وَلاَ تَعَدِّيَ وَلاَ غَصْبَ وَلاَ غِشَّ، وَلاَ مُمَاطَلَةَ وَلاَ غَرَرَ وَلاَ غَبْنَ، وَلاَ جَهَالَةَ وَلاَ خِيَانَةَ، بَلْ إِنْصَافٌ وَاحْتِرَامٌ، وَعَدْلٌ وَصِدْقٌ وَبَيَانٌ، وَمُرَاعَاةٌ لِحُقُوقِ الآخَرِيْنَ.

يَقُولُ اللهُ سُبْحَانَهُ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [النساء]، وَيَقُولُ تعالَىٰ وَتَقَدَّسَ: ﴿ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ وَتُدۡلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلۡحُكَّامِ لِتَأۡكُلُواْ فَرِيقٗا مِّنۡ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلۡإِثۡمِ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾ [البقرة].

وَقَالَ ﷺ فِي خُطْبَتِهِ العَظِيْمَةِ يَوْمَ عَرَفَةَ: «**إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَـٰذَا، فِي بَلَدِكُمْ**



هَٰذَا»[1].

وَرَوَى الإِمَامُ أَحْمَدُ، وَغَيْرُهُ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لاَ يَحِلُّ مَالُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلاَّ بِطِيْبِ نَفْسٍ مِنْهُ**»[2]، وَلِمُسْلِمٍ مِنْ حَدِيْثِ أَبِيْ هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لاَ يَقْبَلُ إِلاَّ طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ أَمَرَ المُؤْمِنِيْنَ بِمَا أَمَرَ بِهِ المُرْسَلِيْنَ؛ فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [المؤمنون]، وَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢]، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيْلُ السَّفَرَ، أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ! يَا رَبِّ! وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالحَرَامِ؛ فَأَنَّىٰ يُسْتَجَابُ لِذَٰلِكَ؟!**»[3].

أَيُّهَا ٱلْمُسْلِمُونَ، إِنَّ الوَاجِبَ عَلَى المُسْلِمِ أَنْ يَسِيْرَ فِي مُعَامَلاَتِهِ - مِنْ بَيْعٍ وَشِرَاءٍ، وَإِيجَارٍ وَقَرْضٍ، وَارْتِهَانٍ وَتِجَارَةٍ، وَغَيْرِ ذَٰلِكَ - عَلَىٰ وَفْقِ شَرِيْعَةِ اللهِ الكَامِلَةِ، وَلَقَدْ ضَلَّ أَقْوَامٌ انْحَسَرَ مَفْهُومُ الدِّيْنِ الشَّامِلِ عِنْدَهُمْ، فَقَصَرُوهُ عَلَىٰ جَانِبِ العِبَادَاتِ، وَفَصَلُوا الدِّيْنَ - جَهْلاً أَوْ إِعْرَاضًا - عَنِ الحَيَاةِ، وَمَا فِيْهَا مِنْ نُظُمٍ وَمُعَامَلاَتٍ، فَيَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللهِ[4] بِغَيْرِ حَقِّهِ،

---

(١) تقدم طرف منه (ص ٣٩).

(٢) رواه أحمد (٥/ ٧٢)، وأبويعلى (١٥٧٠)؛ من حديث عم أبي حُرَّةَ الرَّقَاشِيِّ.

(٣) «صحيح مسلم» (١٠١٥).

(٤) أي: يتصرفون فيه بما لا يرضاه الله تعالى. «تاج العروس» (خوض).



وَلاَ يُبَالُونَ بِمَا جَمَعُوهُ أَمِنْ حَلاَلٍ أَمْ مِنْ حَرَامٍ؟! فَالحَلاَلُ مَا حَلَّ فِي أَيْدِيهِمْ أَيًّا كَانَ مَصْدَرُهُ؛ لاَ يَتَوَرَّعُونَ عَنِ المُعَامَلاَتِ المُحَرَّمَةِ، وَاتِّبَاعِ شَتَّى الوَسَائِلِ وَالحِيَلِ المَمْنُوعَةِ، لِلْحُصُولِ عَلَى المَالِ عَبْرَ أَيِّ طَرِيْقٍ! قَدِ اسْتَوْلَىٰ عَلَيْهِمْ حُبُّ الدُّنْيَا، وَمَلَكَ شُعُورَهُمْ بَرِيْقُ المَادَّةِ، وَفَتَنَهُمْ حُبُّ الدِّرْهَمِ والدِّيْنَارِ، وَطَغَىٰ عَلَيْهِمُ الهَوَسُ المَادِّيُّ، وَقَدْ يُضَيِّعُونَ دِيْنَهُمْ بِعَرَضٍ قَلِيْلٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَقَدْ يَبِيْعُونَ دِيْنَهُمْ بِدُنْيَاهُمْ وَدُنْيَا غَيْرِهِمْ ـ وَالعِيَاذُ بِاللهِ! ـ الرِّبَا وَسِيْلَتُهُمْ، والغِشُّ سَجِيَّتُهُمْ[1]، وَالخِيَانَةُ وَالخَدِيْعَةُ شِعَارُهُمْ وَدَيْدَنُهُمْ[2]، وَالأَيْمَانُ المُغَلَّظَةُ مَرْكَبَتُهُمْ، وَالظُّلْمُ وَالتَّزْوِيْرُ طَرِيْقَتُهُمْ، وَالكَذِبُ وَالتَّدْلِيْسُ مَطِيَّتُهُمْ، فِي سَبِيْلِ الدُّنْيَا يَسْتَمِيْتُونَ، وَلِلْحُصُولِ عَلَىٰ زِيَادَةِ المَالِ بِالغَالِيْ والرَّخِيْصِ يُضَحُّونَ، لاَ يُفَكِّرُونَ فِي العَوَاقِبِ، وَلاَ يَخَافُونَ مِنَ المَسْئُولِيَّةِ؛ لاَ لأَنْفُسِهِمْ يُحَاسِبُونَ، وَلاَ بِالمَوْتِ وَالرَّحِيْلِ عَنْ هَـٰذِهِ الدُّنْيَا يَعْتَبِرُونَ، وَلاَ لِلآخِرَةِ وَالحِسَابِ يَنْظُرُونَ، ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ [الشعراء].

أُمَّةَ الإِسْلَامِ، إِنَّهُ نَظَرًا لأَهَمِّيَّةِ المُعَامَلاَتِ فِي شَرِيْعَةِ الإِسْلاَمِ؛ لِمَا تُمَثِّلُهُ مِنْ خَيْرٍ كَبِيْرٍ فِي الفِقْهِ الإِسْلاَمِيِّ، وَلِمَا لَهَا مِنْ صِلَةٍ مُبَاشِرَةٍ بِحَيَاةِ النَّاسِ وَتعَامُلِ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ، وَلِغَلَبَةِ الجَهْلِ عَلَىٰ صُنُوفٍ كَثِيْرٍ مِنَ

(١) السَّجية: الطبيعة والخُلُقُ، والجمع: سجايا. «تاج العروس» (سجو).
(٢) الدَّيْدَنُ والدَّيْدَان: العادة. «القاموس» (ددن).



النَّاسِ، وَقِلَّةِ العِلْمِ فِي أَحْكَامِ المُعَامَلَاتِ، وَلأَنَّنَا نَعِيْشُ فِي زَمَانٍ طَغَتْ فِيْهِ المَادِّيَّاتُ، وَقَلَّ فِيْهِ التَّوَرُّعُ عَنِ المُحَرَّمَاتِ والمُشْتَبِهَاتِ، فِي عَصْرٍ أَصْبَحَ فِيْهِ المَالُ غَايَةً عِنْدَ كَثِيْرٍ مِنَ النَّاسِ؛ حَتَّىٰ فَسَدَتْ فِي سَبِيْلِ جَمْعِهِ الذِّمَمُ، وَضَعُفَ الوَازِعُ الدِّيْنِيُّ وَالأَخْلَاقِيُّ ـ: لِذٰلِكَ كَانَ التَّنْبِيْهُ وَالتَّذْكِيْرُ بِهٰذَا المَوْضُوعِ مُهِمًّا جِدًّا، كَيْفَ لاَ وَلِصِفَةِ التَّعَامُلِ أَثَرُهَا البَعِيْدُ ـ إِنْ سَلْبًا أَوْ إِيْجَابًا ـ عَلَى الفَرْدِ وَأُسْرَتِهِ وَمُجْتَمَعِهِ؟!

مَعَاشِرَ المُسْلِمِيْنَ، إِنَّ لِطِيْبِ الكَسْبِ أَثَرًا بَالِغًا عَلى الفَرْدِ فِي حُسْنِ سُلُوكِهِ، وَعِمَارَةِ قَلْبِهِ، وَحَيَاةِ ضَمِيْرِهِ، وَاسْتِنَارَةِ بَصِيْرَتِهِ، وَصَلَاحِ أُسْرَتِهِ، وَقَبُولِ دُعَائِهِ، وَعلَى المُجْتَمَعِ لاِسْتِتْبَابِ أُمُورِهِ، وَصَلَاحِ شُئُونِهِ، وَاسْتِقَامَةِ أَفْرَادِهِ.

وَإِنَّ لِلمُعَامَلَاتِ الخَبِيْثَةِ المُحَرَّمَةِ أَثَرًا سَيِّئًا وَشُؤْمًا بَالِغًا عَلى الفَرْدِ وَالمُجْتَمَعِ، وَقدْ وَرَدَ أَنَّ: «**كُلّ لَحمٍ نبَتَ مِنْ سُحْتٍ**[1]، **فَالنَّارُ أَوْلىٰ بِهِ**»[2].

وَرَوَى الإِمَامُ أَحْمَدُ، والبَيْهَقِيُّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ»، بِسَنَدٍ حَسَنٍ، مِنْ حَدِيْثِ ابْنِ مَسْعُودٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قالَ: «**وَلاَ يَكْسِبُ**

---

(١) السُّحْتُ: الحرامُ الذي لا يَحِلُّ كسبه. «النهاية» (سحت).

(٢) رواه أحمد (٣ / ٣٢١)، والترمذي (٦١٤)، وابن حبان (١٧٢٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٩/ ١٣٦)؛ من حديث جابر بن عبدالله، وكعب بن عُجْرَة، رضي الله عنهما.



عَبْدٌ مَالاً مِنْ حَرَامٍ، فَيُنْفِقُ مِنْهُ؛ فَيُبَارَكُ لَهُ فِيهِ، وَلاَ يَتَصَدَّقُ بِهِ؛ فَيُقْبَلُ مِنْهُ، وَلاَ يَتْرُكُهُ خَلْفَ ظَهْرِهِ، إِلاَّ كَانَ زَادَهُ إِلَى النَّارِ؛ إِنَّ اللهَ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ لاَ يَمْحُو السَّيِّءَ بِالسَّيِّءِ، وَلَـٰكِنْ يَمْحُو السَّيِّءَ بِالحَسَنِ، إِنَّ الخَبِيْثَ لاَ يَمحُو الخَبِيْثَ»(١).

بِهَٰذَا تَعْلَمُونَ ـ يَا إِخْوَةَ الإِسْلاَمِ ـ أَنَّ الكَسْبَ الخَبِيْثَ، وَالمُعَامَلاَتِ المُحَرَّمَةَ، شَرٌّ وَبَلاَءٌ وَفِتْنَةٌ فِي الدُّنْيَا، وَعَذَابٌ وَنَارٌ فِي الآخِرَةِ ـ عِيَاذًا بِاللهِ ـ كَيْفَ يَلِيْقُ بِالمُسْلِمِ أَنْ يَسْمَعَ هَـٰذَا الوَعِيْدَ، وَيَلْحَظَ هَـٰذِهِ المَخَاطِرَ العَاجِلَةَ وَالآجِلَةَ لِهَـٰذَا النَّوعِ مِنَ التَّعَامُلِ، ثُمَّ لاَ يُبَالِيْ بِكَسْبِهِ؟! إِنَّ هَـٰذَا ـ كَمَا أَنَّهُ نَقْصٌ فِي الدِّيْنِ ـ فَهُوَ خَلَلٌ فِي الإِدْرَاكِ وَالتَّفْكِيْرِ، وَإِيْثَارٌ لِلْفَانِيَةِ عَلَى البَاقِيَةِ.

وَقَدْ رَوَى البُخَارِيُّ فِي «صَحِيْحِهِ»، عَنْ أَبِيْ هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لاَ يُبَالِيْ المَرْءُ مَا أَخَذَ مِنْهُ: أَمِنَ الحَلاَلِ أَمْ مِنَ الحَرَامِ»(٢).

إِخْوَةَ الإِيْمَانِ، إِنَّنَا اليَوْمَ لَفِيْ زَمَانٍ ارْتَفَعَتْ فِيْهِ هَـٰذِه الرَّايَةُ، فَقَدْ كَثُرَتِ المُعَامَلاَتُ المُحَرَّمَةُ، وَانْتَشَرَتِ المَكَاسِبُ الخَبِيْثَةُ، وَصَارَ كَثِيْرٌ مِنَ المُسْلِمِيْنَ ـ هَدَاهُمُ اللهُ ـ يَأْخُذُ المَالَ بِطَرِيْقِ الغِشِّ فِي المُبَايَعَاتِ، وَالخَدِيْعَةِ

(١) «المسند» (١/ ٣٨٧)، و«شعب الإيمان» (٥٥٢٤).

(٢) «صحيح البخاري» (٢٠٥٩).



فِي المُعَامَلاَتِ، وَبِطَرِيْقِ الخِيَانَةِ فِيْمَا أُسْنِدَ إِلَيْهِ مِنْ أَعْمَالٍ وَمَسْئُولِيَّاتٍ:

فَالمُوَظَّفُ الَّذِيْ يَتَسَاهَلُ فِيْ أَدَاءِ عَمَلِهِ، وَلاَ يُنْجِزُ مُعَامَلاَتِ المُسْلِمِيْنَ - خَائِنٌ فِي وَظِيْفَتِهِ، مُعَرِّضٌ نَفْسَهُ لأَكْلِ الحَرَامِ عَنْ طَرِيْقِ أَخْذِ مُرَتَّبِهِ مَعَ تَفْرِيْطِهِ وَإِضَاعَتِهِ، وَقَدْ لاَ يَتَوَرَّعُ بَعْضُهُمْ عَنْ أَخْذِ الرِّشْوَةِ؛ إِنْجَازاً لِبَعْضِ المُعَامَلاَتِ، وَفِيْ هَـٰذَا غِشٌّ لِلْمُسْلِمِيْنَ وَخِيَانَةٌ لأُوْلِي الأَمْرِ.

وَالتَّاجِرُ الَّذِيْ يَتَعَامَلُ بِالرِّبَا، وَالمُدَايَنَاتِ المُحَرَّمَةِ، وَيَكْتُمُ العُيُوبَ فِي السِّلَعِ، وَيُوقِعُ المُشْتَرِيَ فِي الغَبْنِ والغَرَرِ، وَيَبْخَسُ المَكَايِيْلَ وَالمَوَازِيْنَ وَالمَقَايِيْسَ، أَوْ يُتَاجِرُ فِي أُمُورٍ مُحَرَّمَةٍ؛ كَآلاَتِ اللَّهْوِ وَنَحْوِهَا، ، وَالشَّرِكَاتُ وَالمُؤَسَّسَاتُ، وَالمُقَاوَلاَتُ وَالمُنَاقَصَاتُ، الَّتِيْ لاَ يَتَوَرَّعُ أَصْحَابُهَا عَنْ غِشِّ المُسْلِمِيْنَ وَخِيَانَتِهِمْ.

وَكَذَلِكَ مَنْ يَظْلِمُونَ الأُجَرَاءَ وَالعَامِلِيْنَ، والمُسْتَخْدَمِيْنَ عِنْدَهُمْ بِمَطْلِهِمْ حُقُوقَهُمْ، وَمَنْعِهِمْ مُرَتَّبَاتِهِمْ، ، وَمَنْ يَتَعَاطَوْنَ الرِّشْوَةَ وَالتَّزْوِيْرَ، أَوْ مَنْ يَغُلُّونَ[1] فِي أَمْوَالِ المُسْلِمِيْنَ، وَيَتَصَرَّفُونَ فِيْمَا هُوَ مِنَ المَرَافِقِ العَامَّةِ.

وَكَذَلِكَ مَنْ يَتَعَامَلُونَ بِالقِمَارِ والمَيْسِرِ، واليَانَصِيْبِ وَالتَّأْمِيْنَاتِ البَاطِلَةِ، وَكَذٰلِكَ مَنْ يَتَعَامَلُونَ بالغَصْبِ والتَّعَدِّيْ، وَالنَّجْشِ وَالتَّغْرِيْرِ وَالكَذِبِ، سَوَاءٌ كَانَ عَلى الأَفْرَادِ أَمْ عَلى الجِهَاتِ وَالدَّوَائِرِ الرَّسْمِيَّةِ:

---

(١) يَغُلُّونَ أي: يخونون، من الغلول، وهو الخيانة في المغنم. «اللسان» (غلل).

كُلُّ أُوْلَئِكَ سَائِرُونَ فِي طَرِيْقِ الحَرَامِ، وَكُلُّ تِلْكَ جَرَائِمُ وَمَخَازٍ يَنْدَىٰ لَهَا الجَبِيْنُ، وَيَتوقَّفُ اللِّسَانُ عَنْ تَعْدَادِهَا؛ حَيَاءً مِنَ اللهِ، وَخَجلاً مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَلَـٰكِنَّ أَمَانَةَ الكَلِمَةِ تَقْتَضِيْ التَّنْبِيْهَ عَلىٰ كُلِّ المُشْكِلاَتِ المَوْجُودَةِ فِي مُجْتَمَعِ المُسْلِمِيْنَ؛ لِتَلاَفِيْهَا وَالبُعْدِ عَنْهَا، وَيَكْفِي الكَيِّسَ زِيَارَةٌ لِبَعْضِ الأَسْوَاقِ وَأَمَاكِنِ المَبِيْعَاتِ، وَالمَعَارِضِ لِلْمَأْكُولاَتِ وَالمَلْبُوسَاتِ، والسَّيَّارَاتِ وَالأَرَاضِيْ وَالعَقَارَاتِ، وَغَيْرِهَا، وَالاِطِّلاَعُ عَلىٰ شَيْءٍ مِمَّا تَقُومُ بِهِ بَعْضُ الشَّرِكَاتِ وَالمُؤَسَّسَاتِ التِّجَارِيَّةِ وَنَحْوِهَا؛ لِيَرَىٰ بِأُمِّ عَيْنِهِ البَوْنَ الشَّاسِعَ بَيْنَ مَا يَجِبُ شَرْعًا، وَمَا يُوجَدُ وَاقِعًا.

وَلاَ تَسْأَلْ عَمَّا يَجْرِيْ فِي دَوَائِرِ المَحَاكِمِ وَالحُقُوقِ مِنَ الخُصُومَاتِ وَالمُنَازَعَاتِ، عَلَىٰ أُمُورٍ مَادِّيَّةٍ؛ فِي أَمْوَالٍ أَوْ عَقَارَاتٍ، أَوْ أَرَاضٍ أَوْ مَزَارِعَ، أَوْ سُبُلٍ أَوْ نَحْوِهَا، كَانَ وَرَاءَهَا الطَّمَعُ المَادِّيُّ، وَالظُّلْمُ وَالتَّعَدِّيْ عَلىٰ حُقُوقِ المُسْلِمِيْنَ، وَاللهُ المُسْتَعَانُ!.

فَيَا أَيُّهَا المُسْلِمُونَ، اتَّقُوا اللهَ فِي أَنْفُسِكُمْ وَفِيْ كَسْبِكُمْ، انْظُرُوا مَاذَا يَدْخُلُ إِلىٰ أَرْصِدَتِكُمْ مِنَ الأَمْوَالِ، وَمَا يَصِلُ إِلَىٰ أَجْوَافِكُمْ مِنَ المَطَاعِمِ.

وَيَا أَيُّهَا المُتَعَامِلُونَ بِالتِّجَارَةِ، الصِّدْقَ الصِّدْقَ معَ اللهِ وَمَعَ عِبَادِ اللهِ، حَذَارِ مِنْ ظُلْمِ العِبَادِ وَخَدِيْعَتِهِمْ، فَطُوبَىٰ لِمَنْ طَابَ كَسْبُهُ! وَيَا شَقَاوَةَ مَنْ نَبَتَ لَحْمُهُ مِنَ السُّحْتِ وَالمُحَرَّمَاتِ! إِنَّهُ يَجِبُ عَلَىٰ مَنْ أَحَبَّ نَجَاتَهُ



أَنْ يَتَخَلَّصَ مِنْ حُقُوقِ العِبَادِ قَبْلَ أَنْ يَفْجَأَهُ الأَجَلُ فَيَنْدَمَ عَلىٰ تَفْرِيْطِهِ؛ يَقُولُ ﷺ: «مَنْ كَانَت عِنْدَهُ مَظْلِمَةٌ لأَخِيْهِ؛ مِنْ مَالٍ، أَوْ عِرْضٍ، فَلْيَأْتِهِ فَلْيَتَحَلَّلْهُ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْخَذَ مِنْهُ، وَلَيْسَ ثَمَّ دِيْنَارٌ وَلاَ دِرْهَمٌ؛ فَإِنْ كَانَت لَهُ حَسَنَاتٌ، أُخِذَ مِنْ حَسَنَاتِهِ لِصَاحِبِهِ؛ وَإِلاَّ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ؛ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ»[(١)].

تَذَكَّرُوا - يَا أَرْبَابَ الأَمْوَالِ - أَنَّ اللهَ سَائِلُكُمْ عَنْ كُلِّ أَمْوَالِكُمْ، صَغِيْرِهَا وَكَبِيْرِهَا، فِي مَوْقِفٍ عَظِيْمٍ تَذْهَلُ فِيْهِ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا؛ فإنه: لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّىٰ يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ، وَمِنْهَا: عَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ وَفِيْمَ أَنْفَقَهُ؟ كَمَا صَحَّ بِذٰلِكَ الخَبَرُ، عنْ سَيِّدِ البَشَرِ ﷺ؛ كَمَا فِي التِّرْمِذِيِّ، وَغَيْرِهِ، مِنْ حَدِيْثِ أَبِيْ بَرْزَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -[(٢)] فَأَعِدُّوا لِلسُّؤَالِ جَوَابًا، وَلِلْجَوَابِ صَوَابًا، وَمَا أَكْثَرَ مَنْ سَتُخْرِسُهُمُ الأَمْوَالُ المُحَرَّمَةُ عَنِ الإِجَابَةِ - وَالعِيَاذُ بِاللهِ! - وَاللهَ نَسْأَلُ أَنْ يُغْنِيَنَا بِحَلاَلِهِ عَنْ حَرَامِهِ، وَيَكْفِيَنَا بِفَضْلِهِ عَمَّنْ سِوَاهُ، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيْمٌ.

أَقُولُ قَوْلِيْ هَـٰذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِيْ وَلَكُمْ وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ، فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

---

(١) رواه البخاري (٢٤٤٩، ٦٥٣٤)، والطبراني في «مسند الشاميين» (١٣٢٦)؛ من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

(٢) رواه الدارمي (٥٥٤)، والترمذي (٢٤١٧)، وأبويعلى (٧٤٣٤).



الخطبة الثانية

الحَمْدُ للهِ حَمْدًا كَثِيْرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيْهِ كَمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَىٰ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلـٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ، شَهَادَةً نَرْجُو بِهَا النَّجَاةَ يَوْمَ يُبَعْثَرُ مَا فِي القُبُورِ، وَيُحَصَّلُ مَا فِي الصُّدُورِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَحَبِيْبُهُ وَخَلِيْلُهُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلىٰ يَوْمِ الدِّيْنِ.

أمّا بعد:

فَاتَّقُوا اللهَ ـ عِبَادَ اللهِ ـ وَالْزَمُوا الطَّيِّبَاتِ المُبَارَكَةَ أَيًّا كَانَتْ، فَلَنْ يَقْبَلَ اللهُ إِلاَّ الطَّيِّبَ، وَتَبَيَّنُوا فِي أُمُورِ الحَلاَلِ وَالحَرَامِ، وَاسْأَلُوا عَمَّا أَشْكَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ أُمُورِ المُعَامَلاَتِ، وَاحْذَرُوا المُشْتَبِهَاتِ؛ فَمَنْ وَقَعَ فِيْهَا، جَرَّتْهُ إِلى المُحَرَّمَاتِ؛ يَقُولُ ﷺ: «**إِنَّ الحَلاَلَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهُنَّ كَثِيْرٌ مِنَ النَّاسِ؛ فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ، اسْتَبْرَأَ لِدِيْنِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ، وَقَعَ فِي الحَرَامِ**»[1].

وَتَحَلَّوْا ـ رَحِمَكُمُ اللهُ ـ بِالنَّزَاهَةِ وَالأَمَانَةِ فِي قِيَامِكُمْ بِالأَعْمَالِ

---

(١) رواه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩)؛ من حديث النعمان بن بشير، رضي الله عنه.

الوَظِيْفِيَّةِ والتِّجَارِيَّةِ؛ إِخْلاَصًا للهِ، وَنُصْحًا لِوُلاَةِ الأَمْرِ الَّذِيْنَ ائْتَمَنُوكُمْ عَلَىٰ هَـٰذِهِ الأَعْمَالِ؛ بالقِيَامِ بِمَصَالِحِ المُسْلِمِيْنَ، وَتَحْقِيْقًا لِلتَّعَاوُنِ وَالمَوَدَّةِ بَيْنَ أَبْنَاءِ المُجْتَمَعِ الإِسْلاَمِيِّ، وَاعْلَمُوا: أَنَّ لِلْحَلاَلِ بَرَكَةً لَكُمْ وَعَلَيْكُمْ وَعَلَىٰ أُسَرِكُمْ وَأَوْلاَدِكُمْ وَمُجْتَمَعِكُمْ بِأَسْرِهِ، وَتَذَكَّرُوا الحِسَابَ عَنْ كُلِّ دِرْهَمٍ اكْتَسَبْتُمُوهُ وَفِي أَيِّ طَرِيْقٍ أَنْفَقْتُمُوهُ، فَمَنْ أَخَذَ الأَجْرَ، سَأَلَهُ اللهُ عَنْ العَمَلِ، فَصِدْقًا صِدْقًا ـ أَيُّهَا المُسْلِمُونَ ـ فِي مُعَامَلاَتِكُمْ، وَفِي كُلِّ أُمُورِكُمْ؛ تَسْعَدُوا وَتُفْلِحُوا فِي دُنْيَاكُمْ وَأُخْرَاكُمْ.

أَلاَ وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا ـ رَحِمَكُمُ اللهُ ـ عَلى الرَّحْمَةِ المُهْدَاةِ، وَالنِّعْمَةِ المُسْدَاةِ، نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، كَمَا أَمَرَكُمُ اللهُ بِالصَّلاَةِ والسَّلاَمِ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب].





الخطبة الأولى

الحَمْدُ للهِ الَّذِي هَدَانَا لِلإِسْلاَمِ، وَشَرَعَ لَنَا أَكْمَلَ الشَّرَائِعِ وَأَفْضَلَ الأَحْكَامِ، وَأَبَانَ لَنَا الحَلاَلَ وَالحَرَامَ، وَجعَلَ فِي الحَلاَلِ غُنْيَةً عَنِ الحَرَامِ، أَحْمَدُهُ تَعَالىٰ وَأَشْكُرُهُ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ وَأَسْتَغْفِرُهُ، وَأَسْأَلُهُ التَّجَاوُزَ عَنْ جَمِيْعِ الذُّنُوبِ وَالآثَامِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلـٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ، أَحَلَّ البَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ المُصْطَفَىٰ، وَرَسُولُهُ المُجْتَبَىٰ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أُوْلِي الفَضْلِ والتُّقَىٰ، والتَّابِعِيْنَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ وَسَارَ عَلىٰ نَهْجِهِمْ وَاقْتَفَىٰ.

أمّا بعد:

فَيَا أَيُّهَا ٱلْمُسْلِمُونَ، اتَّقُوا اللهَ تَبَارَكَ وَتعَالىٰ، وَاشْكُرُوهُ عَلىٰ مَا هَداكُمْ لِلإِسْلاَمِ، وَأَوْلاَكُمْ مِنَ الفَضْلِ وَالإِنْعَامِ.

عِبَادَ ٱللَّهِ، لَقَدْ جَاءَ الإِسْلاَمُ دِيْنًا كَامِلاً، وَنِظَامًا شَامِلاً، عَمَّ بِإِصْلاَحِهِ البِلاَدَ وَالعِبَادَ، وَهَيَّأَ بِتَنْظِيْمِهِ أُمُورَ المَعَاشِ وَالمَعَادِ، شَمِلَ مَرَافِقَ الحَيَاةِ كُلَّهَا بَلْ وَمَا بَعْدَ المَمَاتِ، وَعُنِيَ بِتَصْحِيْحِ العَقَائِدِ وَالعِبَادَاتِ، وَسَلاَمَةِ الأَخْلاَقِ والمُعَامَلاَتِ، لَمْ يَتْرُكْ نِظَامًا فِيْهِ صَلاحٌ لِلْفَرْدِ وَالمُجْتَمَعِ إِلاَّ جَاءَ

بِهِ، وَحَثَّ عَلَيْهِ أَيًّا كَانَ نَوْعُهُ؛ وَازَنَ بَيْنَ عَالَمَي الرُّوحِ وَالمَادَّةِ؛ فِي تَنَاسُقٍ فَرِيْدٍ، وَبِنَاءٍ مُحْكَمٍ لَمْ تَشْهَدِ البَشَرِيَّةُ لَهُ مَثِيْلاً عَبْرَ التَّأْرِيْخِ؛ أَلاَ وَإِنَّ مِنَ الأَنْظِمَةِ المُهِمَّةِ وَالجَوَانِبِ العَظِيْمَةِ الَّتِيْ عُنِيَ بِهَا الإِسْلاَمُ أَيَّمَا عِنَايَةٍ: الجَانِبَ الاِقْتِصَادِيَّ فِي حَيَاةِ الفَرْدِ وَالأُمَّةِ؛ لِمَا لَهُ مِنَ الأَهَمِّيَّةِ الكُبْرَىٰ فِي حَيَاةِ النَّاسِ وَوَاقِعِهِمْ، وَفِي تَصَرُّفَاتِهِمُ المَالِيَّةِ وَتَعَامُلِهِمْ.

إِخْوَةَ الإِسْلَامِ، لَقَدْ أَقَامَ الإِسْلاَمُ نِظَامَهُ الاقْتِصَادِيَّ عَلىٰ قَاعِدَةِ الإِيْمَانِ وَأَسَاسِ العَقِيْدَةِ، وَأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ هُوَ خَالِقُ الكَوْنِ وَمَالِكُ المُلْكِ وَحْدَهُ، لَهُ الخَلْقُ وَالأَمْرُ، وَلَهُ الحُكْمُ وَالتَّشْرِيْعُ، وَأَنَّ المَالَ مَالُ اللهِ اسْتَخْلَفَ العِبَادَ فِيْهِ؛ لِيَنْظُرَ كَيْفَ يَعْمَلُونَ، وَمَكَّنَ لَهُمْ مِنَ الأَرْزَاقِ وَالمَعَايِشِ وَالأَقْوَاتِ، ابْتِلاَءً وَامْتِحَانًا؛ لِيَرَىٰ صِدْقَ تَعَامُلِهِمْ، وَأَبَاحَ لَهُمُ البَيْعَ وَالاتِّجَارَ؛ لِتَنْتَظِمَ أُمُورُهُمْ فِي هَـٰذِهِ الدَّارِ؛ تَكَافُلاً وَتَسْخِيْرًا، وَحِكْمَةً وَتَقْدِيْرًا، وَرَحْمَةً وَتَدْبِيرًا.

وَلَقَدْ أَمَرَ الإِسْلاَمُ أَتْبَاعَهُ أَنْ يَسِيْرُوا فِي ذَلِكَ كُلِّهِ عَلىٰ وَفْقِ مَنْهَجِ اللهِ، وَعَلىٰ ضَوْءِ سُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ؛ مُرَاعَاةً لِلْمَبَادِىءِ الإِيْمَانِيَّةِ، وَالضَّوَابِطِ الأَخْلاَقِيَّةِ، وَالمُعَامَلاَتِ الشَّرْعِيَّةِ؛ بَعِيْدًا عَنِ الظُّلْمِ وَالتَّعَدِّي، وَبَخْسِ النَّاسِ حُقُوقَهُمْ، وَأَكْلِ أَمْوَالِهِمْ، وَابْتِزَازِ جُيُوبِهِمْ، وَامْتِصَاصِ دِمَائِهِمْ.

مَعَاشِرَ المُسْلِمِيْنَ، لَقَدْ جَاءَ الإِسْلاَمُ فِي نَظْرَتِهِ الاقْتِصَادِيَّةِ وَسَطًا



بَيْنَ النُّظُمِ، وعَدْلاً بَيْنَ المَبَادِىءِ الرَّأْسمالِيَّةِ وَالاشْتِرَاكِيَّةِ؛ فَقَاعِدَتُهُ إِيْمَانِيَّةٌ، وَأَهْدَافُهُ إِسْلاَمِيَّةٌ، وَرِسَالَتُهُ عَالَمِيَّةٌ، وَضَوَابِطُهُ أَخْلاَقِيَّةٌ، وَنَزْعَتُهُ إِنْسَانِيَّةٌ أَخَوِيَّةٌ، وَوِجْهَتُهُ دِيْنِيَّةٌ شَرْعِيَّةٌ، وَنَظْرَتُهُ وَاقِعِيَّةٌ إِصْلاَحِيَّةٌ، لاَ تَحُدُّهُ إِلاَّ حُدُودُ الشَّرِيْعَةِ؛ رَاعَى المِلْكِيَّةَ الفَرْدِيَّةَ، وَعُنِيَ بِمَصَالِحِ الأَفْرَادِ إِلىٰ جَانِبِ مَصَالِحِ الجَمَاعَةِ دُونَ إِفْرَاطٍ أَوْ تَفْرِيْطٍ، وَبِلاَ وَكْسٍ وَلاَ شَطَطٍ؛ بِحَيْثُ لَمْ يَجْعَلْ لِلْفَرْدِ طَرِيْقًا لِلإِثْرَاءِ وَالتَّضَخُّمِ وَالاحْتِكَارِ وَالتَّسَلُّطِ عَلىٰ حِسَابِ الآخَرِيْنَ، كَمَا أَنَّهُ لَمْ يَبْخَسْهُ حَقَّهُ[1]، وَلَمْ يُلْغِ تَمَلُّكَهُ، وَلَمْ يَجْعَلْهُ مَظْلُومًا فِي مُجْتَمَعٍ تَسُودُهُ حَرْبُ الطَّبَقَاتِ، وَيُدَاسُ فِيْهِ الأَفْرَادُ المُعْوِزُونَ[2]؛ كَمَا هُوَ وَاقِعُ النُّظُمِ الأَرْضِيَّةِ، وَالقَوَانِيْنِ الوَضْعِيَّةِ؛ الشَّرْقِيَّةِ مِنْها والغَرْبِيَّةِ.

أَيُّهَا ٱلْمُسْلِمُونَ، وَمِنْ أَهَمِّ مَلاَمِحِ النِّظَامِ الاقْتِصَادِيِّ الإِسْلاَمِيِّ وَمَحَاسِنِهِ: تَحْرِيْمُهُ لِلرِّبَا، وتَشْنِيعُهُ عَلَى المُرَابِيْنَ؛ لِمَا لِلرِّبَا مِنْ آثَارٍ سَيِّئَةٍ، وَعَوَاقِبَ وَخِيْمَةٍ، وَأَخْطَارٍ كَثِيْرَةٍ، وَشُرُورٍ مُسْتَطِيْرَةٍ، وَعُقُوبَاتٍ عَاجِلَةٍ وَآجِلَةٍ، وَأَضْرَارٍ بَالِغَةٍ عَلَىٰ حَيَاةِ الأَفْرَادِ والمُجْتَمَعَاتِ، الرِّبَا كَبِيْرَةٌ كُبْرَىٰ، وَجَرِيْمَةٌ شَنْعَاءُ، وَبَلِيَّةٌ عُظْمَىٰ، مُحَرَّمٌ بِكِتَابِ اللهِ، وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، وَإِجْمَاعِ المُسْلِمِيْنَ، عَدَّهُ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ السَّبْعِ المُوبِقَاتِ المُهْلِكَاتِ؛ كَمَا

---

(١) لم يَبْخَسْهُ حقَّه، أي: لم يظلمه بنقصان حقه. «اللسان» (بخس).

(٢) المُعْوِزُونَ: الفقراءُ المُعْدِمُونَ. «اللسان» (عوز).



فِيْ «الصَّحِيْحَيْنِ»، مِنْ حَدِيْثِ أَبِيْ هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ[1].

الرِّبَا مِنْ أَكْبَرِ الذُّنُوبِ عِنْدَ اللهِ، وَأَعْظَمِ الفَوَاحِشِ، مُحَرَّمٌ فِي جَمِيْعِ الشَّرَائِعِ السَّمَاوِيَّةِ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [النساء: ١٦٠، ١٦١]، أَكَلَةُ الرِّبَا مُتَوَعَّدُونَ بِالوَعِيْدِ الشَّدِيْدِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، مُهَدَّدُونَ بِالعَذَابِ فِي النَّارِ وَبِئْسَ القَرَارُ، المُرَابُونَ مُحَارِبُونَ للهِ وَرَسُولِهِ؛ يَقُولُ الحَقُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾ [البقرة]، وَهَلْ يَجْرُؤُ عَلَىٰ مُحَارَبَةِ العَزِيْزِ الجَبَّارِ ـ الوَاحِدِ القَهَّارِ، القَوِيِّ المَتِيْنِ، الَّذِيْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ـ مَنْ لَهُ أَدْنَىٰ مُسْكَةٍ مِنْ عَقْلٍ، أَوْ ذَرَّةٌ مِنْ إِيْمَانٍ؟! مَنْ بَارَزَ اللهَ بِالمُحَارَبَةِ، فَهُوَ الخَاسِرُ المَهْزُومُ، فَرُحْمَاكَ إِلَـٰهَنَا رُحْمَاكَ، وَاللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ!!

المُتَعَامِلُونَ بِالرِّبَا تَنْفِرُ مِنْهُمُ القُلُوبُ، وَيَنْبِذُهُمُ المُجْتَمَعُ؛ تَرَاهُمْ شَحِيْحِيْنَ جَشِعِيْنَ، جَمُوعِيْنَ مَنُوعِيْنَ؛ المُرَابُونَ مَلْعُونُونَ عَلَىٰ لِسَانِ مَنْ لاَ يَنْطِقُ عَنِ الهَوَىٰ ﷺ؛ فَقَدْ رَوَى الإِمَامُ مُسْلِمٌ، عَنْ جَابِرٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: «**لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ آكِلَ الرِّبَا، وَمُوكِلَهُ، وَكَاتِبَهُ، وَشَاهِدَيْهِ، وَقَالَ:**

(١) تقدم تخريجه (ص ١٢٤).



هُمْ سَوَاءٌ»[1]، أي: سَوَاءٌ فِي الإِثْمِ.

وَفِي الرِّبَا جُرْأَةٌ عَلَىٰ دِيْنِ اللهِ، وَمُخَالَفَةٌ لِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ الَّذِيْ أَلْغَىٰ مَسَالِكَ الجَاهِلِيَّةِ، وَمِنْهَا المُعَامَلاَتُ الرِّبَوِيَّةُ؛ فَقَالَ - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ -: «وَرِبَا الجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ، وَأَوَّلُ رِباً أَضَعُهُ رِبَانَا: رِبَا العَبَّاسِ ابْنِ عَبْدِالمُطَّلِبِ؛ فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ»؛ كَمَا جَاءَ فِي خُطْبَةِ عَام حَجَّةِ الوَدَاعِ، خَرَّجَهَا مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»، مِنْ حَدِيْثِ جَابِرٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[2].

وَفِي الرِّبَا: خَرَابُ البِلاَدِ والعِبَادِ، فِي الرِّبَا: تَعْطِيْلٌ لِمَصَالِحِ البَشَرِ، وَتعْرِيْضُ أمْوَالِهِمْ لِلْخَطَرِ، فِي الرِّبَا: جَوْرٌ وَظُلْمٌ، وَبَغْيٌ وَتسَلُّطٌ، بِهِ يُلْغَى المَعْرُوفُ، وَبِهِ يَنْعَدِمُ الإِحْسَانُ، بِهِ تَذْهَبُ الأَمْوَالُ، وَتُمْحَقُ البَرَكَاتُ؛ ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾﴾ [البقرة].

المُرَابِيْ عَلىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ السَّعِيْرِ، وَعَلىٰ طَرِيْقِ هَلَكَةٍ وَشَرٍّ مُسْتَطِيْرٍ، المُرَابِيْ مُجْرِمٌ فِي حَقِّ نَفْسِهِ وَمُجْتَمَعِهِ وَأَمْنِهِ، مُبْغَضٌ عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ عِبَادِ اللهِ.

أُمَّةَ الإِسْلَامِ، مَا ظَهَرَ الرِّبَا فِي أُمَّةٍ إِلاَّ أَهْلَكَهَا، وَلاَ فِيْ جَمَاعَةٍ إِلاَّ دَمَّرَهَا، وَلاَ فَشَا فِي أُمَّةٍ إِلاَّ حَلَّ بِهَا الفَقْرُ وَالأَمْرَاضُ وَالظُّلْمُ، وَكَمْ

---

(١) «صحيح مسلم» (١٥٩٨).
(٢) تقدم طرف منه (ص٣٩).



نَرَىٰ وَنَسْمَعُ مِنْ تَلَفِ الأَمْوَالِ وَزَوَالِهَا؛ بِغَرَقٍ، أَوْ حَرَقٍ، أَوْ نَحْوِهِمَا مِنَ العُقُوبَاتِ العَاجِلَةِ! وَكَمْ نَقْرَأُ وَنُشَاهِدُ مَا تُفْرِزُهُ المُشْكِلَاتُ الاقْتِصَادِيَّةُ المُتَأَزِّمَةُ فِي العَالَمِ مِنْ تَرَاكُمِ الدُّيُونِ الهَائِلَةِ؛ جَرَّاءَ الرِّبَا وَالتَّعَامُلِ بِهِ، ﴿ وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [طه]!

اسْمَعُوا - رَحِمَكُمُ اللهُ - إِلَىٰ حَالَةِ المُرَابِيْنَ - والعِيَاذُ بِاللهِ - يَقُولُ اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ﴾ [البقرة: ٢٧٥]:

قَالَ المُفَسِّرُونَ: أَيْ: لاَ يَقُومُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِيْ مَسَّهُ الشَّيْطَانُ وَصَرَعَهُ؛ كُلَّمَا قَامُوا، صُرِعُوا، وَكُلَّمَا أَرَادُوا النُّهُوضَ، سَقَطُوا؛ فَهُمْ كَالمَجَانِيْنِ، وَالعِيَاذُ بِاللهِ![(١)]

وَعَنْ أَبِيْ سَعِيْدٍ الخُدْرِيِّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **«لَمَّا أُسْرِيَ بِي، مَرَرْتُ بِقَوْمٍ بُطُونُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ بَطْنُهُ مِثْلُ البَيْتِ الضَّخْمِ، قَدْ مَالَتْ بِهِمْ بُطُونُهُمْ لاَ يَسْتَطِيْعُونَ أَنْ يَبْرَحُوا؛ كُلَّمَا قَامُوا، مَالَتْ بِهِمْ بُطُونُهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَـٰؤُلاَءِ يَا جِبْرِيلُ؟ فَقَالَ: هَـٰؤُلاَءِ أَكَلَةُ الرِّبَا، لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِيْ يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ المَسِّ»**[(٢)].

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٦/ ٨-١٢)، و«تفسير ابن كثير» (١/ ٧٠٨).

(٢) رواه أبو القاسم الأصبهاني في كتاب «الترغيب والترهيب» (١٣٧٣).



وَرَوَى الإِمَامُ أَحْمَدُ، وَابْنُ مَاجَهْ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«أَتَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عَلَىٰ قَوْمٍ بُطُونُهُمْ كَالْبُيُوتِ، فِيهَا الحَيَّاتُ تُرَىٰ مِنْ خَارِجِ بُطُونِهِمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَـٰؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ فَقَالَ: هَـٰؤُلَاءِ أَكَلَةُ الرِّبَا»**(١).

وَرَوَى البُخَارِيُّ عَنْ سَمُرَةَ بنِ جُنْدُبٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **«رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي فَأَخْرَجَانِي إِلَى أَرْضٍ مُقَدَّسَةٍ، فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَىٰ نَهْرٍ مِن دَم، فِيهِ رَجُلٌ قَائِمٌ، وَعَلَىٰ وَسَطِ النَّهْرِ رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ حِجَارَةٌ؛ فَأَقْبَلَ الرَّجُلُ الَّذِي فِي النَّهْرِ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ، رَمَى الرَّجُلَ بِحَجَرٍ فِي فِيْهِ، فَرَدَّهُ حَيْثُ كَانَ، فَجَعَلَ كُلَّمَا جَاءَ لِيَخْرُجَ، رَمَىٰ فِي فِيهِ بِحَجَرٍ فَيَرْجِعُ كَمَا كَانَ، فَقُلْتُ: مَا هَـٰذَا؟ فَقَالَ: الَّذِي رَأَيْتَهُ فِي النَّهْرِ: آكِلُ الرِّبَا»**(٢).

وَرَوَى ابْنُ مَاجَهْ، وَالحَاكِمُ، والبَيْهَقِيُّ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - عن النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: **«الرِّبَا ثَلَاثَةٌ وسَبْعُونَ بَابًا، أَيسَرُهَا مِثْلُ أَنْ يَنْكِحَ الرَّجُلُ أُمَّهُ»**(٣) وَالعِيَاذُ بِاللهِ، إِذَا كَانَ هَـٰذَا أَهْوَنَهَا - يَا عِبَادَ اللهِ - فَكَيْفَ بِأَعْظَمِهَا؟! فَاللَّهُمَّ عَفْوَكَ وَعَافِيَتَكَ يَا أَللهُ!.

---

(١) «المسند» (٢/ ٣٦٣)، وابن ماجه (٢٢٧٣).

(٢) «صحيح البخاري» (٢٠٨٥).

(٣) «سنن ابن ماجه» (٢٢٧٥)، و«المستدرك» (٢/ ٣٧)، و«شعب الإيمان» (٥٥١٩).



وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَذَكَرَ الرِّبَا وعظَّمَ شَأْنَهُ، وَقالَ: «**إِنَّ الدِّرْهَمَ يُصِيبُهُ الرَّجُلُ مِنَ الرِّبَا أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ فِي الخَطِيئَةِ مِنْ سِتٍّ وَثَلاَثِيْنَ زَنْيَةً يَزْنِيهَا الرَّجُلُ**»(١).

اسْمَعُوا يَا مَنْ تَتَعَامَلُونَ بِالرِّبَا، أَبَعْدَ هَـٰذَا - يَا عِبَادَ اللهِ - يُقْدِمُ مَنْ فِي قَلْبِهِ إِيْمَانٌ عَلَى التَّعَامُلِ بِالرِّبَا، وَهُوَ بِهَـٰذِهِ الشَّنَاعَةِ والفَظَاعَةِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ؟! نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ قَسْوَةِ القُلُوبِ وَعَمَى البَصَائِرِ!

أُمَّةَ الإِسْلَامِ، أَلاَ إِنَّ الرِّبَا مِنْ أَعْظَمِ مَا ابْتُلِيَتْ به المُجْتَمَعَاتُ المُعَاصِرَةُ؛ فَالواجِبُ عَلَىٰ مَنْ أَرَادَ نَجَاتَهُ يَوْمَ العَرْضِ على اللهِ أَنْ يَحْذَرَهُ غَايَةَ الحذَرِ، وَلاَ يَغْتَرَّ بِمَا عَلَيْهِ المُتَسَاهِلُونَ الَّذِيْنَ غرَّهُمْ حُبُّ المَالِ؛ يُقَاسُونَ أَتْعَابَهُ، وَيَتَحَمَّلُونَ حِسَابَهُ، وَيَصْلَوْنَ عَذَابَهُ!

تَذَكَّرُوا - يَا عِبَادَ اللهِ - عُقُوبَةَ اللهِ، وَلاَ يَحْمِلَنَّكُمُ الجَشَعُ وَالطَّمَعُ عَلى المُعَامَلاَتِ المُحَرَّمَةِ، فَاعْتَبِرُوا يَا أُوْلِيْ الأَبْصَارِ؛ ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الروم].

فَاتَّقُوا اللهَ - يَا أَهْلَ الإِسْلَامِ - اتَّقُوا اللهَ أَيُّهَا التُّجَّارُ، اتَّقُوا اللهَ يَا أَرْبَابَ البُنُوكِ وَالمَصَارِفِ، اتَّقُوا اللهَ أَيُّهَا المُسْلِمُونَ جَمِيْعًا، أَنْقِذُوا الأُمَّةَ مِنَ

---

(١) رواه ابن أبي الدُّنيا في «الصمت» (١٧٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥٥٢٣).

المُعَامَلاَتِ المُحَرَّمَةِ، لاَ تُبْتَلَ الأُمَّةُ بِالذُّلِّ وَالمَهَانَةِ والهَزِيْمَةِ بِشُؤْمِ تَعَامُلِكُمْ.

وَاتَّقُوا اللهَ يَا مَنْ تَتَسَاهَلُونَ فِي إِطْلاَقِ الأَحْكَامِ عَلَىٰ بَعْضِ المُعَامَلاَتِ؛ حَذَارِ أَنْ تُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللهُ بِالتَّحَايُلِ عَلَىٰ شَرْعِ اللهِ، وَالأَخْذِ بِالرُّخَصِ، وَالأَقْوَالِ الضَّعِيْفَةِ وَالمَرْجُوحَةِ، وَاحْرِصُوا عَلَىٰ بَرَاءَةِ ذِمَمِكُمْ يَوْمَ تُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّكُمْ. جَلَّ جَلاَلُهُ.

إِنَّ مِنَ العَارِ عَلَىٰ أَهْلِ الإِسْلاَمِ أَنْ يَسْتَبْدِلُوا فِي أُمُورِ مُعَامَلاَتِهِمُ الَّذِيْ هُوَ أَدْنَىٰ بِالذِيْ هُو خَيْرٌ، وَأَنْ يَسْتَمْرِئُوا التَّعَامُلَ بِالعَفَنِ الرِّبَوِيِّ، وَهُمْ أَرْبَابُ رِسَالَةِ الصَّلاَحِ، وَحَامِلُو رَايَاتِ الإِصْلاَحِ لِلْبَشَرِيَّةِ، كَيْفَ وَهُمْ يَرَوْنَ الأَنْظِمَةَ الوَضْعِيَّةَ تَنْهَارُ وَتَتَهَاوَىٰ بَيْنَ الفَيْنَةِ[1] وَالأُخْرَىٰ؟! فَالفُرْصَةُ فُرْصَةُ أَهْلِ الإِسْلاَمِ فِي عَرْضِ النِّظَامِ الاقْتِصَادِيِّ عَلى البَشَرِيَّةِ اليَوْمَ، وَسَيَحْظَىٰ بِالنَّجَاحِ بِإِذْنِ اللهِ؛ كَيْفَ وَهُوَ تَنْزِيْلٌ مِنْ حَكِيْمٍ حَمِيْدٍ؟!

وَتَذَكَّرُوا - أَيُّهَا المُتَعَامِلُونَ بِالرِّبَا - المَصْرَعَ الوَخِيْمَ لِلْمُرَابِيْنَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، حَذَارِ أَنْ تَغْتَرُّوا بِمَنْ يَتَعَامَلُ بِالرِّبَا، سَتُسْأَلُونَ أَمَامَ اللهِ عَنْ أَمْوَالِكُمْ: مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبْتُمُوهَا؟ وَفِيْمَ أَنْفَقْتُمُوهَا؟ كَمَا وَرَدَ عَنِ المَعْصُومِ ﷺ عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ، وَغَيْرِهِ، مِنْ حَدِيْثِ أَبِيْ بَرْزَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ[2].

(١) الفينة: الساعة والحين. «تاج العروس» (فين).

(٢) تقدم تخريجه (ص٣٢٥).



أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ؛ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [آل عمران].

نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَأْتِيَ اليومُ الَّذِيْ تَقَرُّ فِيْهِ أَعْيُنُ أَهْلِ الإِسْلَامِ، وَتُشْفَىٰ فِيْهِ صُدُورُ أَهْلِ الإِيْمَانِ؛ بِانْقِشَاعِ سَحَابَةِ الرِّبَا القَاتِمَةِ عَنْ مُجْتَمَعَاتِ المُسْلِمِيْنَ، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ، ﴿ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾ [إبراهيم: ٢٠، فاطر: ١٧]، وَمَا ذَاكَ بِمُسْتَحِيْلٍ عَلَىٰ أَهْلِ الإِسْلَامِ والغَيُورِيْنَ عَلَيْهِ، وَالمُعْتَنِيْنَ بِالاقْتِصَادِ الإِسْلَامِيِّ، وَالعَامِلِيْنَ عَلَىٰ وُجُودِ المَصَارِفِ الإِسْلَامِيَّةِ عَلَىٰ مُقْتَضَى النُّصُوصِ وَالقَوَاعِدِ الشَّرْعِيَّةِ.

سَدَّدَ اللهُ الْخُطَا، وَنَفَعَ بِالجُهُودِ، وَأَغْنَانَا بِحَلَالِهِ عَنْ حَرَامِهِ، وَبِفَضْلِهِ عَمَّنْ سِوَاهُ؛ إِنَّهُ خَيْرُ مَسْئُولٍ، وَأَكْرَمُ مَأْمُولٍ.

أَقُولُ قَوْلِيْ هَـٰذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِيْ وَلَكُمْ وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيْمُ.



الخطبة الثانية

الحَمْدُ للهِ الَّذيْ حَرَّمَ علَيْنَا الخَبائِثَ وَأَحلَّ لنَا الطَّيِّبَاتِ، أَحْمَدُهُ تَعَالىٰ وَأَشْكُرُهُ وَأَسْأَلُهُ الثَّبَاتَ، فِي الحَيَاةِ وَعِنْدَ المَمَاتِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلـٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ، وَبِفَضْلِهِ تُكَفَّرُ الخَطَايَا والسَّيِّئَاتُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبدُهُ وَرَسُولُهُ، حَثَّ عَلَىٰ أَكْلِ الحَلاَلِ والبُعْدِ عَنِ المُحَرَّمَاتِ وَالمُشْتَبِهَاتِ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أُوْلِيْ الفَضْلِ والمَكْرُمَاتِ، وَالتَّابِعِيْنَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ مَا دَامَتِ الأَرْضُ وَالسَّمَوَاتُ.

أمّا بعد:

فَيَا أَيُّهَا المُسْلِمُونَ وَالمُسْلِمَاتُ، اتَّقُوا اللهَ رَبَّكُمْ عَالِمَ السِّرِّ والخَفِيَّاتِ، وَالمُطَّلِعَ عَلَىٰ مَا تُكِنُّهُ الضَّمَائِرُ وَتَرْنُو إِلَيْهِ المَقَاصِدُ والنِّيَّاتُ.

عِبَادَ اللهِ، لَقَدْ شَاعَتْ فِي كَثِيْرٍ مِنْ أَوْسَاطِ المُسْلِمِيْنَ وَمُجْتَمَعَاتِهِمْ صُوَرٌ مِنَ المُعَامَلاَتِ الرِّبَوِيَّةِ المُحَرَّمَةِ، وَوَاجِبُ المُسْلِمِ أَنْ يَكُونَ عَلَىٰ حَذَرٍ وَحَيْطَةٍ مِنَ الدُّخُولِ فِيْهَا وَالتَّعَامُلِ بِهَا، وَأَنْ يَسْأَلَ أَهْلَ العِلْمِ عَمَّا يُشْكِلُ عَلَيْهِ مِنْهَا، وَلَقَدِ انْتَشَرَتْ كَثِيْرٌ مِنَ المُعَامَلاَتِ المُحَرَّمَةِ وَالمُشْتَبِهَةِ، وَالحِيَلِ المَمْنُوعَةِ، وَإِنَّ مِنَ النُّصْحِ لِدِيْنِ اللهِ وَلِعِبَادِ اللهِ: التَّنْبِيْهَ عَلَيْهَا حَتَّىٰ يَحْذَرَهَا النَّاسُ:



فَمِنْ صُوَرِ المُعَامَلَاتِ الرِّبَوِيَّةِ المُحَرَّمَةِ: القَرْضُ بِالفَائِدَةِ؛ كَأَنْ يُقْرِضَ رَجُلٌ آخَرَ مَبْلَغًا مِنَ المَالِ عَلَىٰ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِ هَـٰذَا المَبْلَغَ مَعَ زِيَادَةٍ مِئَوِيَّةٍ مُحَدَّدَةٍ.

وَمِنْهَا: الإِيْدَاعُ بِالفَائِدَةِ؛ كَمَا يُسَمُّونَهَا.

وَمِنْهَا: مَا يَحْصُلُ عِنْدَ صَرْفِ النُّقُودِ بَعْضِهَا بِبَعْضٍ؛ مِنْ عَدَمِ التَّقَابُضِ فِي المَجْلِسِ، وَمِنْ ذٰلِكَ: مَا يَحْصُلُ فِي مَحَلَّاتِ الصِّيَاغَةِ والحُلِيِّ وَالمُجَوْهَرَاتِ؛ مِنْ بَيْعِهَا بِدَرَاهِمَ، ثُمَّ يَحْصُلُ التَّفَرُّقُ قَبْلَ القَبْضِ.

وَمِنْهَا: بَيْعُ العِيْنَةِ المُحَرَّمُ[1].

وَغَيْرُ ذَلِكَ كَثِيْرٌ مِنَ المُعَامَلَاتِ المُحَرَّمَةِ، الَّتِيْ لَيْسَ هَـٰذَا مَجَالَ بَسْطِهَا.

وَفِي الحَدِيْثِ: عَنْ عُبَادَةَ بنِ الصَّامِتِ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الذَّهَبُ بِالذَّهَبِ، والفِضَّةُ بِالفِضَّةِ، وَالبُرُّ بِالبُرِّ، والشَّعِيْرُ بِالشَّعِيْرِ، والتَّمْرُ بِالتَّمْرِ، والمِلْحُ بِالمِلْحِ، مِثْلاً بِمِثْلٍ، سَوَاءً بِسَوَاءٍ، يَدًا بِيَدٍ، فَإِذَا اخْتَلَفَتْ هَـٰذِهِ الأَصْنَافُ، فَبِيْعُوا كَيْفَ شِئْتُمْ إِذَا كَانَ يَدًا بِيَدٍ**»؛ خَرَّجَهَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ[2].

---

(١) انظر: «المغني» (٦/ ٢٦١ـ٢٦٣)، و«الموسوعة الفقهية» (٩/ ٩٥ـ٩٧).

(٢) «صحيح مسلم» (١٥٨٧).



وَلَهُ مِنْ حَدِيْثِ أَبِي سَعِيْدٍ الخُدْرِيِّ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فَمَنْ زَادَ أَوِ اسْتَزَادَ، فَقَدْ أَرْبَى، الآخِذُ وَالمُعْطِيْ فِيهِ سَوَاءٌ**»[1].

وَمِنْ صُوَرِ المُعَامَلاَتِ المُحَرَّمَةِ المُعَاصِرَةِ: مَا تَعْمِدُ إِلَيْهِ بَعْضُ البُنُوكِ والشَّرِكَاتِ والمُؤَسَّسَاتِ المَالِيَّةِ، مِنَ الدَّعْوَةِ إِلَى المُسَاهَمَاتِ الَّتِيْ لاَ تَخْلُو مِنَ الرِّبَا وَالمُشْتَبِهَاتِ.

فَعَلى المُسْلِمِ الحَذَرُ مِنْ جَمِيْعِ ذَلِكَ؛ فَإِنَّ الأَمْرَ عَظِيْمٌ، والخَطَرَ جَسِيْمٌ.

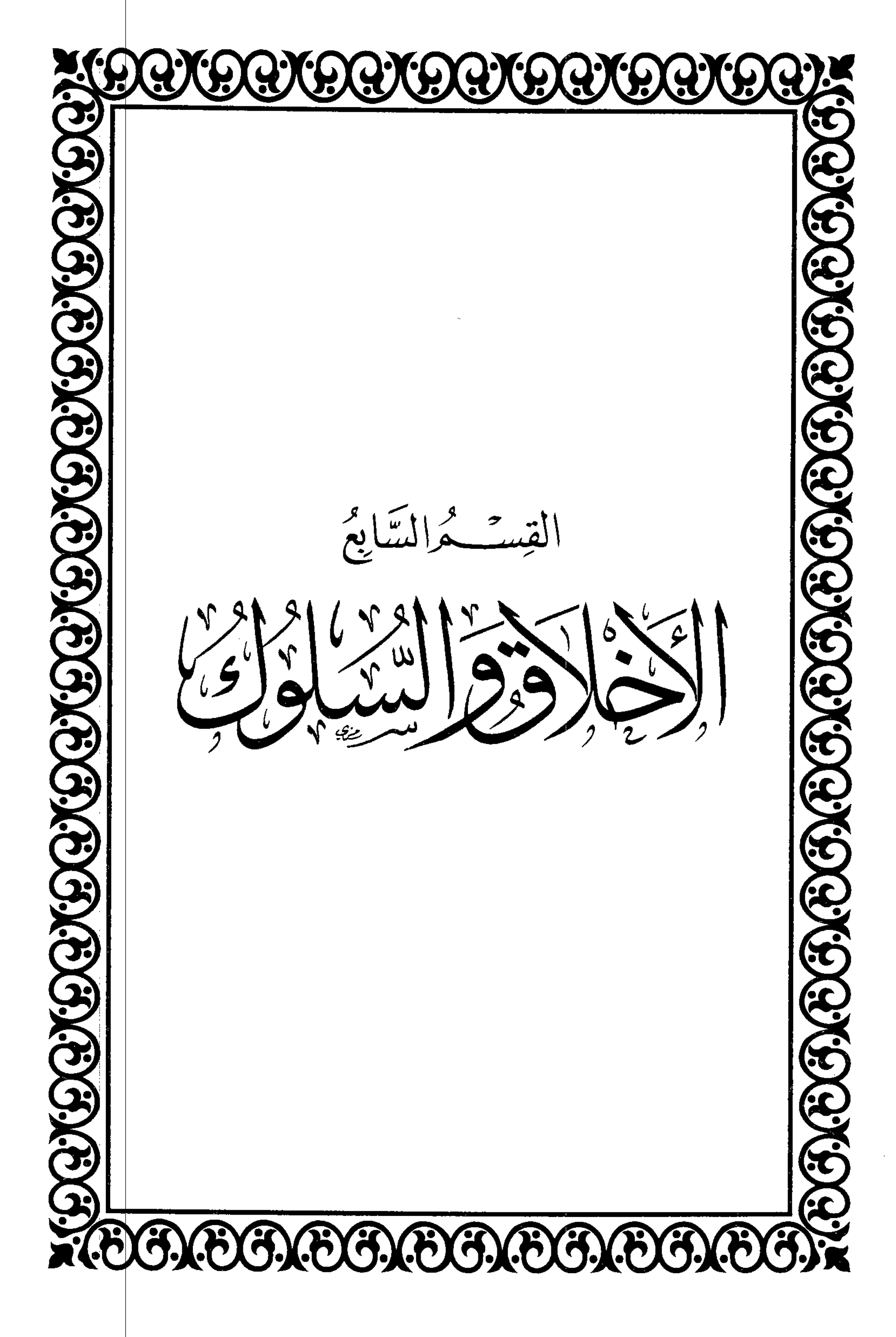
والبَدِيْلُ عَنْ ذَلِكَ كَثِيْرٌ ـ بِحَمْدِ اللهِ ـ مِنْ صُوَرِ التَّعَامُلِ الحَلاَلِ المُبَاحِ، وَالمُجْتَمَعُ المُسْلِمُ مُجْتَمَعُ مَحَبَّةٍ وَتَرَاحُمٍ، وَمَوَدَّةٍ وَتَكَافُلٍ، وَاللهُ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾ [البقرة].

أَلاَ وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى النَّبِيِّ الهَاشِمِيِّ؛ كَمَا أَمَرَكُمْ بِذَلِكَ رَبُّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ؛ فَقَالَ تَعَالَىٰ قَوْلاً كَرِيْمًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب].

* * *

(١) «صحيح مسلم» (١٥٨٤/ ٨٢).

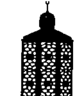




القسم السابع

الأخلاق والسلوك



الأَمَانَةُ
مَفْهُومُهَا، وَمَكَانَتُهَا، وَآثَارُهَا

الخطبة الأولى

الحَمْدُ للهِ الَّذِيْ أَمَرَ بِأَدَاءِ الأَمَانَاتِ، وَرتَّبَ علَىٰ ذٰلِكَ جَزِيْلَ العَطَايَا والهِبَاتِ، وَنَهَىٰ سُبْحَانَهُ عَنِ المَكْرِ والغَدْرِ وسَائِرِ الخِيَانَاتِ، وَأَوْعَدَ عَلَىٰ ذٰلِكَ أَلِيْمَ العَذَابِ وَأَشَدَّ العُقُوبَاتِ، أَحْمَدُهُ تعَالَىٰ وَأَشْكُرُهُ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ وَأَسْتَغْفِرُهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلـٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ، يُحِبُّ مِنْ عِبَادِهِ الصَّادِقِيْنَ الأُمَنَاءَ؛ أَهْلَ البِرِّ وَالطُّهْرِ والخَيْرِ والوَفَاءِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَمِيْنُهُ عَلَىٰ وَحْيِهِ، المَوْصُوفُ بِالصِّدْقِ وَالأَمَانَةِ، رَغَّبَ أُمَّتَهُ فِي الأَمَانَةِ، وَحَذَّرَهَا مِنَ الخِيَانَةِ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ أَهْلِ الطُّهْرِ والأَمَانَةِ، وَصَحْبِهِ أُوْلِي الفَضْلِ وَالعَدَالَةِ، وَتَابِعِيهِمْ بِالخَيْرِ وَالإِحْسَانِ والدِّيَانَةِ، وَكُلِّ مَنْ تَحَلَّىٰ بِالأَمَانَةِ وَتَخَلَّىٰ عَنِ الخِيَانَةِ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ.

أَمَّا بَعْد:

فَاتَّقُوا اللهَ ـ عِبَادَ اللهِ ـ وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ الحَدِيْثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ



الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

يَا عِبَادَاللهِ، يُرَبِّي الإِسْلَامُ أَتْبَاعَهُ عَلَىٰ خَيْرِ السَّجَايَا وَأَحْسَنِ الخِصَالِ، وَأَفْضَلِ الأَخْلَاقِ، وَأَنْبَلِ الشَّمَائِلِ، وَيَتَرَقَّبُ مِنْ كُلِّ مُتَّبِعٍ لَهُ أَنْ يَكُونَ ذَا نَفْسٍ عَزِيْزَةٍ، وَقَلْبٍ حَيٍّ، وَضَمِيْرٍ يَقِظٍ، تُصَانُ بِهِ الحُقُوقُ، وَتُحْرَسُ بِهِ الأَعْمَالُ، وَتُحْفَظُ بِهِ المَسْئُولِيَّاتُ؛ وَمِنْ ثَمَّ جَاءَ الدِّيْنُ الإِسْلَامِيُّ بِتَرْبِيَةِ أَهْلِ الإِسْلَامِ عَلَى الْتِزَامِ الأَمَانَةِ، وَأَوْجَبَ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَكُونَ نَزِيْهًا أَمِيْنًا يَتَحَلَّىٰ بِلِبَاسِ العِفَّةِ وَالأَمَانَةِ، وَيَتَخَلَّىٰ عَنِ الغَدْرِ وَالخِيَانَةِ.

أَيُّهَا ٱلْمُسْلِمُونَ، إِنَّ الأَمَانَةَ عَظِيْمٌ قَدْرُهَا، كَبِيْرٌ شَأْنُهَا فِي دِيْنِ اللهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ وَلِذٰلِكَ جَاءَ الأَمْرُ بِتَحْقِيْقِهَا وَرِعَايَتِهَا؛ يَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾ [البقرة: ٢٨٣]، وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]، وَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنفال]، وَجَعَلَ سُبْحَانَهُ أَدَاءَ الأَمَانَةِ مِنْ أَعْظَمِ دَلَائِلِ الإِيْمَانِ وَأَهَمِّ صِفَاتِ المُؤْمِنِيْنَ؛ فَقَالَ تَعَالَىٰ وَتَقَدَّسَ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾﴾ [المؤمنون].

مَعَاشِرَ المُسْلِمِيْنَ، وَالآيَةُ العُظْمَىٰ فِي شَأْنِ الأَمَانَةِ، وَبَيَانِ



مَكَانَتِهَا، وَعِظَمِ مَنْزِلَتِهَا هيَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ۝٧٢ ﴾ [الأحزاب]، فَيَا لَهَا مِنْ آيَةٍ عَظِيْمَةٍ تُبَيِّنُ خُطُورَةَ الأَمْرِ وَعِظَمَ المَسْئُولِيَّةِ؛ حَيْثُ أَشْفَقَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَالجِبَالُ مِنْ حَمْلِ الأَمَانَةِ، وَخَافَتْ مِنْ عَوَاقِبِ حَمْلِهَا؛ لِمَا يَتَرَتَّبُ عَلى التَّقْصِيْرِ فِي ذٰلِكَ مِنَ العَذَابِ وَالنَّكَالِ!!

وَفِي السُّنَّةِ المُطَهَّرَةِ: قَال ـ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ ـ: «**أَدِّ الأَمَانَةَ إِلَىٰ مَنِ ائْتَمَنَكَ، وَلاَ تَخُنْ مَنْ خَانَكَ**»[1]؛ كَمَا وَرَدَ فِي السُّنَّةِ: أَنَّ الخِيَانَةَ فِي الأَمَانَةِ مِنْ صِفَاتِ المُنَافِقِينَ؛ كَمَا فِي حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»[2]، وَرَوَى الإِمَامُ أَحْمَدُ، وَغَيْرُهُ، عَنْ أَنَسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: مَا خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلاَّ قَالَ: «**لاَ إِيْمَانَ لِمَنْ لاَ أَمَانَةَ لَهُ، وَلاَ دِيْنَ لِمَنْ لاَ عَهْدَ لَهُ**»[3].

اللهُ المُسْتَعَانُ، عِبَادَ اللهِ، تَأَمَّلُوا ـ رَحِمَكُمُ اللهُ ـ خُطُورَةَ الأَمْرِ وَعِظَمَ الشَّأْنِ لِهَـٰذِهِ القَضِيَّةِ المُهِمَّةِ الَّتِي يَنُوءُ بِحَمْلِهَا الضِّعَافُ المَهَازِيْلُ،

---

(١) رواه أبوداود (٣٥٣٥)، والترمذي (١٢٦٤)؛ من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

(٢) «صحيح البخاري» (٣٣)، و«صحيح مسلم» (٥٩)، بلفظ: «آيَةُ المُنَافِقِ ثَلاَثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ».

(٣) «المسند» (٣/ ١٣٥)، و«مسند أبي يعلى» (٢٨٦٣).

وَالظَّلَمَةُ المَجَاهِيْلُ.

أُمَّةَ الإِسْلَامِ، إِذَا عَرَفْنَا قَدْرَ الأَمَانَةِ وَمَكَانَتَهَا فِي دِيْنِ اللهِ - عَزَّ وَجلَّ - وَالنُّصُوصَ الوَارِدَةَ فِيْهَا، فَإِنَّهُ يَبْقَىٰ جَانِبٌ مُهِمٌّ تَجِبُ مَعْرِفَتُهُ لَدَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ، لاَ سِيَّمَا وَقَدْ جَهِلَهُ كَثِيْرٌ مِنَ النَّاسِ، أَلاَ وَهُوَ «**مَفْهُومُ الأَمَانَةِ**»؛ فَإِنَّ كَثِيْرًا مِنَ العَامَّةِ يَقْصُرُ الأَمَانَةَ فِي أَضْيَقِ مَعَانِيْهَا، حَتَّىٰ لَقَدِ انْحَسَرَ مَفْهُومُهَا عِنْدَهُمْ فِي حِفْظِ الوَدَائِعِ فَحَسْبُ، معَ أَنَّ حَقِيْقَتَهَا فِي الإِسْلَامِ أَضْخَمُ وَأَثْقَلُ، وَمَفْهُومَهَا أَوْسَعُ وَأَشْمَلُ.

إِنَّ الأَمَانَةَ - فِي شَرْعِ اللهِ - عَظِيْمَةُ المَعْنَىٰ، وَاسِعَةُ الدَّلاَلَةِ، تَحْمِلُ فِي طَيَّاتِهَا مَعَانِيَ شَتَّىٰ؛ يَجْمَعُهَا: شُعُورُ المُسْلِمِ بِتَبِعَاتِهِ، وَقِيَامُهُ بِمَسْئُولِيَّاتِهِ فِي كُلِّ أَمْرٍ يُوكَّلُ إِلَيْهِ وَيُكَلَّفُ بِهِ مِنْ أُمُورِ الدِّيْنِ وَالدُّنْيَا، وَيَقِيْنُهُ الجَازِمُ: أَنَّهُ مَسْئُولٌ عَنْهُ أَمَامَ اللهِ عَزَّ وَجلَّ؛ لِيَقُومَ بِكُلِّ مَا أُسْنِدَ إِلَيْهِ مِنْ حُقُوقِ اللهِ وَحُقُوقِ عِبَادِهِ عَلَىٰ خَيْرِ وَجْهٍ.

وَقَدِ اتَّفَقَتْ أَقْوَالُ أَهْلِ العِلْمِ عَلَىٰ أَنَّ المُرَادَ بِالأَمَانَةِ فِي آيَةِ الأَحْزَابِ[1]: جَمِيْعُ التَّكَالِيْفِ الشَّرْعِيَّةِ؛ فَمَنْ قَامَ بِهَا، فَقَدْ أَدَّى الأَمَانَةَ، وَاسْتَحَقَّ ثَوَابَ اللهِ، وَمَنْ تَسَاهَلَ فِيْهَا، فَقَدْ عَرَّضَ نَفْسَهُ لِلْخِيَانَةِ وَمَا تَجْلِبُهُ مِنْ سَخَطٍ وَعُقُوبَةٍ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

---

(١) الآية رقم (٧٢). وانظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (١٢/ ١٢٦).



أَمَّةَ الدِّيَانَةِ وَالأَمَانَةِ، إِنَّ أعْظَمَ أَمَانَةٍ تَحَمَّلَهَا المُسْلِمُ أَمَانَةُ تَوْحِيْدِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِفْرَادِهِ بِالعِبَادَةِ، وَإِخْلاَصِ العَمَلِ لَهُ، وَإِنَّ الشِّرْكَ بِهِ سُبْحَانَهُ أَعْظَمُ الظُّلْمِ وَأَشَدُّ الخِيَانَةِ.

لُزُومُ سُنَّةِ المُصْطَفَىٰ ﷺ وَمَنْهَجِ سَلَفِ هَـٰذِهِ الأُمَّةِ أَمَانَةٌ، وَالتَّخَبُّطُ فِي طُرُقِ الغَوَايَةِ وَالبِدْعَةِ وَالضَّلاَلَةِ خِيَانَةٌ للهِ وَرَسُولِهِ ﷺ؛ وَاللهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ قَالَ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ [الأنفال: ٢٧].

تَحْكِيْمُ شَرِيْعَةِ اللهِ، وَالحُكْمُ بِكِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ: أَمَانَةٌ عَظِيْمَةٌ، وَتَحْكِيْمُ غَيْرِ شَرْعِ اللهِ مِنْ قَوَانِيْنِ الجَاهِلِيَّةِ: خِيَانَةٌ فَادِحَةٌ.

هَـٰذَا فِي بَعْضِ أُمُورِ العَقِيْدَةِ وَالمُتَابَعَةِ.

أَمَّا العِبَادَاتُ: فَهِيَ جَمِيْعًا أَمَانَاتٌ فِي عُنُقِ كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ؛ فَالوُضُوءُ أَمَانَةٌ، والغُسْلُ مِنَ الجَنَابَةِ أَمَانَةٌ، والصَّلاَةُ أَمَانَةٌ، وَكَذٰلِكَ الزَّكَاةُ وَالصِّيَامُ وَالحَجُّ وَغَيْرُهَا.

أُمُورُ السُّلُوكِ وَالأَخْلاَقِ، مِنَ الصِّدْقِ وَالوَفَاءِ، وَالبِرِّ والصِّلَةِ، والحِلْمِ وَالصَّفْحِ، وَالجُودِ والصَّبْرِ، والحَيَاءِ والإِخَاءِ: أَمَانَةٌ، وَضِدُّهَا؛ مِنَ الكَذِبِ والغِشِّ، والقَطِيْعَةِ والجَهْلِ: خِيَانَةٌ، وَكَذَا الكَبَائِرُ وَالمُحَرَّمَاتُ، وَسَائِرُ الذُّنُوبِ والمَعَاصِيْ؛ مِنَ القَتْلِ وَالزِّنَىٰ، والسِّحْرِ والشَّعْوَذَةِ، والسَّرِقَةِ والغَصْبِ والاخْتِلاَسِ، والغِيْبَةِ والنَّمِيْمَةِ، والبُهْتَانِ والحَسَدِ، والبَغْضَاءِ



والحِقْدِ والشَّحْنَاءِ: كُلُّهَا مِنْ ضُرُوبِ الخِيَانَةِ.

المُعَامَلاتُ بَيْنَ النَّاسِ؛ مِنْ بَيْعٍ وَشِرَاءٍ، وَتِجَارَةٍ وَإِجَارَةٍ، وَنَحْوِهَا: مِنْ أَهَمِّ جَوَانِبِ الأَمَانَةِ؛ فَلَا يَجُوزُ فِيْهَا النَّجْشُ والغِشُّ، والتَّدْلِيْسُ والتَّزْوِيْرُ وَكَتْمُ العُيُوبِ؛ كُلُّ ذٰلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الخِيَانَةِ.

الوَظَائِفُ العَامَّةُ الَّتِيْ اؤْتُمِنَ عَلَيْهَا المُوَظَّفُونَ مِنْ قِبَلِ وُلَاةِ الأَمْرِ: أَمَانَاتٌ فِي أَعْنَاقِ المُوَظَّفِيْنَ، يَجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَّقُوا اللهَ فِيْهَا، وَيَكُونُوا عِنْدَ حُسْنِ الظَّنِّ بِهِمْ، أَمَانَةً وَكَفَاءَةً وَنَزَاهَةً، وَأَنْ يَقُومُوا بِهَا حَقَّ قِيَامٍ؛ امْتِثَالاً لأَمْرِ اللهِ، وَطَاعَةً لِرَسُولِهِ ﷺ، وَنُصْحًا لِوُلَاةِ الأَمْرِ، وقِيَامًا بِمَصَالِحِ المُسْلِمِيْنَ؛ **فَاتَّقُوا اللهَ - أَيُّهَا المُوَظَّفُونَ -** فِيْمَا أُنِيطَ بِكُمْ مِنْ أَعْمَالٍ، وَإِيَّاكُمْ وَالاسْتِهَانَةَ بِحُقُوقِ عِبَادِ اللهِ، والتَّسَاهُلَ وَالتَّسْوِيْفَ فِي إِنْجَازِ مُعَامَلَاتِهِمْ، وَإِغْلَاقَ الأَبْوَابِ أَمَامَ المُرَاجِعِيْنَ لأُمُورٍ لَيْسَتْ مِنْ مَصَالِحِ المُسْلِمِيْنَ، فَتِلْكَ مِنْ جَوَانِبِ الغِشِّ لِلْمُسْلِمِيْنَ وَالخِيَانَةِ لِوُلَاةِ أَمْرِ المُسْلِمِيْنَ.

مَعَاشِرَ المُسْلِمِيْنَ، العِلْمُ أَمَانَةٌ، فَعَلى العُلَمَاءِ وَالمُدَرِّسِيْنَ وَطَلَبَةِ العِلْمِ وَحَمَلَةِ الشَّهَادَاتِ العُلْيَا: أَنْ يُؤَدُّوا الأَمَانَةَ الَّتِيْ فِي أَعْنَاقِهِمْ بِالبَلَاغِ وَالبَيَانِ وَالتَّرْبِيَةِ؛ حَتَّىٰ يَعُمَّ النَّفْعُ وَيَتَوَارَى الجَهْلُ.

الدَّعْوَةُ إِلى اللهِ، وَأَعْمَالُ الحِسْبَةِ، أَمَانَاتٌ عَظِيْمَةٌ فِي أَعْنَاقِ المُسْلِمِيْنَ، وَالتَّقْصِيْرُ فِيْهَا مِنْ أَفْدَحِ الخِيَانَةِ لِلأُمَّةِ.



قَنوَاتُ التَّوْجِيْهِ والفِكْرِ، والثَّقَافَةِ وَمَنَاهِجِ التَّعْلِيْمِ، وَمَا قَذَفَتْ بِهِ المَدَنِيَّةُ الحَدِيثَةُ مِنْ قَنوَاتِ الاتِّصَالِ، وَوَسَائِلِ الإِعْلَامِ: أَمَانَةٌ فِي يَدِ مَنِ اؤْتُمِنُوا عَلَيْهَا، يَجِبُ أَنْ تُسَخَّرَ لِخِدْمَةِ الإِسْلَامِ والمُسْلِمِيْنَ.

العُقُودُ والمُنَاقَصَاتُ، وَمَشَارِيْعُ المُؤَسَّسَاتِ وَالشَّرِكَاتِ، وَالمَرَافِقُ العَامَّةُ: أَمَانَةٌ عَظِيْمَةٌ.

الْوَقْتُ وَالشَّبَابُ، وَالقُوَّةُ وَالصِّحَّةُ وَالفُتُوَّةُ: أَمَانَاتٌ يَجِبُ أَنْ تُشْغَلَ بِطَاعَةِ اللهِ.

الجَوَارِحُ؛ مِنْ سَمْعٍ وَبَصَرٍ، وَفُؤَادٍ وَلِسَانٍ: أَمَانَاتٌ وَوَدَائِعُ عِنْدَ المُسْلِمُ يَجِبُ أَنْ تُسَخَّرَ فِيْمَا يُرْضِيْ اللهَ - عَزَّ وَجَلَّ - وَأَنْ تُصَانَ عَنْ أَلْوَانِ السَّمَاعِ المُحَرَّمِ، وَالنَّظَرِ المُحَرَّمِ، وَالاِطِّلَاعِ المُحَرَّمِ؛ قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء].

العَلَاقَاتُ الزَّوْجِيَّةُ، وَالشُّئُونُ الأُسْرِيَّةُ: أَمَانَةٌ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ وَأَفْرَادِ الأُسْرَةِ؛ فَلَا تُشَاعُ الأَسْرَارُ، وَلَا تُذَاعُ الأَخْبَارُ.

الأَوْلَادُ أَمَانَةٌ فِي عُنُقِ الآبَاءِ وَالأُمَّهَاتِ، يَجِبُ أَنْ يَحْرِصُوا عَلَىٰ تَرْبِيَتِهِمْ وَتَنْشِئَتِهِمْ تَنْشِئَةً سَلِيْمَةً، وَصِيَانَتِهِمْ عَنْ قُرَنَاءِ السُّوءِ.

والكَلِمَةُ أَمَانَةٌ يَجِبُ أَنْ يَعِيَهَا حَمَلَةُ الأَقْلَامِ، وَصُنَّاعُ الحَرْفِ والكَلِمَةِ، وَأَرْبَابُ المَنَابِرِ.



حُقُوقُ المَجَالِسِ، وَعَوْرَاتُ المُسْلِمِيْنَ وَأَسْرَارُهُمْ: كُلُّ ذٰلِكَ أَمَانَةٌ؛ وَكَمْ مِنْ حِبَالِ مَوَدَّةٍ تَقَطَّعَتْ، وَعَلاَمَاتِ صَدَاقَةٍ تَصرَّمَتْ[1]، وَمَصَالِحَ تَعَطَّلَتْ؛ لِلاسْتِهَانَةِ بِمِثْلِ هَـٰذِهِ الأُمُورِ، وَإِطْلاَقِ الكَلاَمِ عَلَىٰ عَوَاهِنِهِ[2]!.

المَرْأَةُ أَمَانَةٌ، حِجَابُهَا وَعَفَافُهَا وحِشْمَتُهَا، وَبُعْدُهَا عَنِ الرِّجَالِ: أَمَانَةٌ، وَكَذَا قَرَارُهَا فِي البَيْتِ وَقِوَامَةُ الرَّجُلِ عَلَيْهَا، كُلُّ ذٰلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الأَمَانَةِ.

الأَمْوَالُ العَامَّةُ وَالخَاصَّةُ أَمَانَةٌ عِنْدَ مَنْ أَفَاءَ اللهُ عَلَيْهِ، يَجِبُ أَنْ يَصْرِفَهَا فِيْ حُقُوقِهَا الشَّرْعِيَّةِ.

وَهَـٰكَذَا ـ إِخْوَةَ الإِسْلاَمِ ـ تَجَلَّىٰ لَنَا مَفْهُومُ هَـٰذِهِ الكَلِمَةِ العَظِيْمَةِ، وَلاَ عَجَبَ أَنْ أَثْقَلَتْ كَاهِلَ الوُجُودِ كُلِّهِ حَتَّىٰ أَشْفَقَ مِنْ حَمْلِهَا[3]؛ فَلاَ يَجُوزُ لِلإِنْسَانِ أَنْ يَسْتَهِيْنَ بِهَا، أَوْ يُفَرِّطَ فِي حَقِّهَا بِكُلِّ مَا تَحْمِلُهُ مِنْ مَعْنًى.

أُمَّةَ الإِسْلاَمِ، إِنَّ مِقْيَاسَ حَضَارَةِ الأُمَمِ، وَمِعْيَارَ رُقِيِّهَا وَتَقَدُّمِهَا؛ إِنَّمَا هُوَ بِنَزَاهَةِ أَفْرَادِهَا، وَأَمَانَةِ أَبْنَائِهَا؛ فَلاَ خَيْرَ فِي أُمَّةٍ سَادَتْهَا الخِيَانَةُ، وَاسْتَشْرَىٰ فِيْهَا الفَسَادُ والغَدْرُ، وَالإِضَاعَةُ وَالمَكْرُ، وَلاَ تَزَالُ الأُمَّةُ بِخَيْرٍ

---

(١) تَصَرَّمَتْ، أي: تقطَّعت. «اللسان» (صرم).

(٢) من أمثال العرب قولهم: «أطلَقَ الكَلامَ على عواهنه» أي: لم يَتَدَبَّرْهُ، فلا يَزُمُّهُ وَلاَ يَخْطِمُهُ، وَقيل: هو إذا لم يُبَالِ أصاب أم أخطأ، وقيل: هو إذا تهاون به، وقيل: هو إذا قاله من قبيحه وحسنه. انظر: «مجمع الأمثال» (١/ ٣٠٨)، و«اللسان» (عهن).

(٣) أشفق منه، أي: خاف منه وَحَذِرَ. «اللسان» (شفق).

مَا دَامَتْ قَائِمَةً بالأَمَانَةِ، وَإِذَا اخْتلَّ هَـٰذَا الأَمْرُ: تَصَدَّعَ بُنْيَانُهَا، وَاخْتَلَّ نِظَامُهَا، وَاسْتَشْرَىٰ فِيْهَاالفَسَادُ بِجَمِيْعِ جَوَانِبِهِ وَصُوَرِهِ.

إِنَّ الأَمَانَةَ مَصْدَرُالفَلَاحِ، وَيَنْبُوعُ[1] الخَيْرِ وَالصَّلَاحِ، صَاحِبُهَا مَحْمُودٌ عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ النَّاسِ؛ مَا ارْتَفَعَتْ أُمَّةٌ إِلاَّ بِهَا، وَلاَ ازْدَهَرَتْ إِلاَّ بِسَبَبِهَا، وَلاَ رَاجَتْ بِضَاعَةٌ بِغَيْرِهَا، وَلاَ صَلُحَتْ مُعَامَلَةٌ بِسِوَاهَا.

وَإِنَّ مَا تُعَانِيهِ كَثِيْرٌ مِنَ المُجْتَمَعَاتِ؛ مِنَ الخِيَانَةِ والفَسَادِ بِجَمِيْعِ أَنْوَاعِهِ ـ الفَسَادِ الإِدَارِيِّ، والوَظِيْفِيِّ، وَالمَالِيِّ، وَغَيْرِ ذٰلِكَ ـ إِنَّمَا هُوَ بِسَبَبِ تَقْصِيْرِ أَبْنَائِهَا فِي الأَمَانَةِ، وَمَا بُلِيَتْ أُمَّةُ الإِسْلَامِ بِأَشَدَّ مِنْ وُجُودِ الخَوَنَةِ الظَّلَمَةِ، الجَائِرِيْنَ الجَهَلَةِ، المُتَسَلِّطِيْنَ عَلَىٰ عِبَادِ اللهِ بِحِرْمَانِهِمْ وَبَخْسِهِمْ حُقُوقَهُمْ، وَنَيْلِهِمْ مِنْ كَرَامَتِهِمْ وَاخْتِصَاصَاتِهِمُ المَادِّيَّةِ أَوِ المَعْنَوِيَّةِ.

فَجَدِيْرٌ بِنَا ـ أُمَّةَ الإِسْلَامِ ـ أَنْ نَرْعَى الأَمَانَةَ، وَأَنْ نَقُومَ بِهَا حَقَّ قِيَامٍ؛ فَإِنَّ ذٰلِكَ كَفِيْلٌ ـ بِإِذْنِ اللهِ ـ أَنْ يُحَقِّقَ السَّعَادَةَ لِلْمُجْتَمَعِ دُنْيَا وَأُخْرَىٰ، وَاللهُ المَسْئُولُ أَنْ يُوَفِّقَ الجَمِيْعَ لِلْقِيَامِ بِمَا أُنِيْطَ بِهِمْ مِنْ أَمَانَاتٍ، وَمَا اضْطَلَعُوا بِهِ مِنْ مَسْئُولِيَّاتٍ، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيْمٌ.

أَقُولُ قَوْلِي هَـٰذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِيْ وَلَكُمْ وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ، فَاسْتَغْفِرُوهُ، وَتُوبُوا إِلَيْهِ؛ إِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِيْنَ غَفُوراً.

---

(١) الينبوع: عين الماء، وجمعه ينابيع. «اللسان» (نبع).



الخطبة الثانية

الحَمْدُ للهِ القَوِيِّ المَتِيْنِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلـٰهَ إِلاَّ اللهُ المَلِكُ الحَقُّ المُبِيْنُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الصَّادِقُ الوَعْدِ الأَمِيْنُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ، والتَّابِعِيْنَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلىٰ يَوْمِ الدِّيْنِ.

أمّا بعد:

فَاتَّقُوا اللهَ - عِبَادَ اللهِ - اتَّقُوا اللهَ فِي أَنْفُسِكُمْ، وَاتَّقُوا اللهَ فِي أَمَانَاتِكُمْ، وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ جَمِيْعًا أُمَنَاءُ للهِ فِي أَرْضِهِ، كُلٌّ فِي مَوْقِعِهِ وَفِيْمَا أُسْنِدَ إِلَيْهِ مِنْ مَسْئُولِيَّاتٍ، وَأَنَّكُمْ مَسْئُولُونَ أَمَامَ اللهِ - عَزَّ وَجلَّ - عَنْ هَـٰذِهِ الأَمَانَةِ، حَفِظْتُمْ أَمْ ضَيَّعْتُمْ؟ فَـ«كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»؛ كَمَا فِي «الصَّحِيْحَيْنِ»، مِنْ حَدِيْثِ ابْنِ عُمَر، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا[1].

وَعَلَيْكُم بِاقْتِفَاءِ آثَارِ سَلَفِكُمُ الصَّالِحِ - رَحِمَهُمُ اللهُ - الَّذِيْنَ ضَرَبُوا أَرْوَعَ الأَمْثِلَةِ فِي حِفْظِ الأَمَانَةِ؛ فَهَـٰذَا نَبِيُّكُمْ ﷺ يُعْرَفُ عِنْدَ قَوْمِهِ بِالصَّادِقِ الأَمِيْنِ، وَهَـٰذَا نَبِيُّ اللهِ مُوسَىٰ يُوصَفُ بِالقَوِيِّ الأَمِيْنِ، وَيُوسُفُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - يُنْعَتُ بِالمَكِينِ الأَمِيْنِ؛ ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾﴾ [يوسف]، وَأُثِرَ

(١) «صحيح البخاري» (٢٥٥٤)، و«صحيح مسلم» (١٨٢٩).



عَنْ عُمَرَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَوْلُهُ: «لاَ يُعْجِبْكُمْ مِنَ الرَّجُلِ طَنْطَنَتُهُ، وَلٰكِنْ مَنْ أَدَّى الأَمَانَةَ، وَكَفَّ عَنْ أَعْرَاضِ النَّاسِ، فَهُوَ الرَّجُلُ»[1]، وَقَالَ عَلِيٌّ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ: «أَدَاءُ الأَمَانَةِ مِفْتَاحُ الرِّزْقِ».

وَلٰكِنْ ـ يَا عِبَادَ اللهِ ـ قَدْ وَرَدَ أَنَّ الأَمَانَةَ تُرْفَعُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ؛ كَمَا فِي حَدِيْثِ حُذَيْفَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»، فِي نُزُولِ الأَمَانَةِ وَرَفْعِهَا، وَفِيْهِ: ثُمَّ حَدَّثَنَا ﷺ عَنْ رَفْعِ الأَمَانَةِ، فَقَالَ: «يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ...» إِلَىٰ قَوْلِهِ: «فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ، فَلاَ يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّيْ الأَمَانَةَ، حَتَّىٰ يُقَالَ: إِنَّ فِي بَنِي فُلاَنٍ رَجُلاً أَمِيْنًا»[2]، وَرَوَى البُخَارِيُّ أَنَّهُ ﷺ قَال: «إِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ، فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ»[3].

فَلْنَتَّقِ اللهَ ـ يَا عِبَادَ اللهِ ـ وَلْنُحَافِظْ عَلَىٰ هَـٰذِهِ الخَصْلَةِ العَظِيْمَةِ؛ فَإِنَّ ذٰلِكَ ـ بِتَوْفِيْقِ اللهِ ـ أَمَارَةُ الخَيْرِ وَالصَّلاَحِ لِلأَفْرَادِ وَالمُجْتَمَعَاتِ، وَسَبِيْلُ السَّعَادَةِ والفَلاَحِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

هَـٰذَا؛ وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا ـ رَحِمَكُمُ اللهُ ـ عَلَى الصَّادِقِ الأَمِيْنِ؛ كَمَا أَمَرَكُمْ بِذٰلِكَ مَوْلاَكُمْ رَبُّ العَالَمِيْنَ؛ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب].

---

(١) «كنز العمال» للمتقي الهندي (٣/ ٦٧٧).

(٢) «صحيح البخاري» (٦٤٩٧)، و«صحيح مسلم» (١٤٣).

(٣) «صحيح البخاري» (٥٩)؛ من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

الخطبة الأولى

الحَمْدُ للهِ أَمَرَ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبالوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا، أَحْمَدُهُ تَعَالىٰ وَأَشْكُرُهُ عَلىٰ مَا خَلقَنَا وَرزَقَنَا وَهَدَانَا، وَمِنْ جَزِيْلِ نَعْمَائِهِ مَنَحَنا وَأَعْطَانَا، فَمِنْ دُونِ النَّاسِ خَصَّنَا وَاصْطَفَانَا، وَمِنْ سَائِرِ الأُمَمِ اخْتَارَنَا وَاجْتَبَانَا.

وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ، مَلأَ قُلُوبَ أَهْلِ الإِيْمَانِ بِرًّا وَرَحْمَةً وَحَنَانًا، وَأَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدَىٰ وَدِيْنِ الحَقِّ تَفَضُّلاً مِنْهُ وَامْتِنَانًا، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا وَحَبِيْبَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، أَشْرَفُ المُرْسَلِيْنَ رِسَالَةً، وَأَفْضَلُ البَشَرِيَّةِ إِنْسَانًا، أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ كِتَابًا وَقُرْآنًا، شِفَاءً وَمَوْعِظَةً وَنُورًا وَفُرْقَانًا، وَهُدًى لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً وَبَيَانًا، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِيْنَ كَانُوا بِنِعْمَةِ اللهِ إِخْوَانًا، وعَلَى البِرِّ والخَيْرِ أَنْصَارًا وَأَعْوَانًا، وَنَسْأَلُ اللهَ أَنْ نَكُونَ مِمَّنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ؛ لِنُحَقِّقَ ـ بِإِذْنِ اللهِ ـ صَلاَحَ دِيْنِنَا وَدُنْيَانَا.

أمّا بعد:

فَاتَّقُوا اللهَ ـ عِبَادَ الله ـ وَاشْكُرُوهُ عَلَىٰ نِعَمِهِ البَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ، وَعَلىٰ آلائِهِ المُتَوافِرَةِ، وَمِنَنِهِ المُتَكَاثِرَةِ؛ فَكَمْ للهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مِنْ نِعَمٍ عَلَىٰ

عِبَادِهِ، وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ! فَمَنِ الَّذِيْ خَلَقَنَا إِلاَّ اللهُ؟! وَمَنِ الَّذِيْ رَزَقَنَا إِلاَّ هُوَ عَزَّ وَجلَّ؟! وَمَنِ الَّذِيْ مَنَّ عَلَيْنَا بِالسَّمْعِ وَالأَبْصَارِ وَالأَفْئِدَةِ، وَأَنْعَمَ عَلَيْنَا بِالعُقُولِ والقُوَى إِلاَّ اللهُ سُبْحَانَهُ؟! ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم]؛ لِذَٰلِكَ كَانَ حَقُّ اللهِ ـ سُبْحَانَهُ ـ أَعْظَمَ الحُقُوقِ عَلى الإِطْلاَقِ؛ فِي عِبَادَتِهِ وَتَوْحِيْدِهِ وَطَاعَتِهِ، لاَ إِلـٰهَ غَيْرُهُ وَلاَ رَبَّ سِوَاهُ؛ وَشُكْرُ المُنْعِمِ وَاجِبٌ عَقْلاً وَنَقْلاً[1]، وَأَوَّلُ مُنْعِمٍ عَلَى العِبَادِ هُوَ اللهُ، جَلَّ جَلاَلُهُ، وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ!.

ثُمَّ يَأْتِيْ بَعْدَ حَقِّ اللهِ وَإِنْعَامِهِ: حَقُّ الوَالِدِ وَإِحْسَانِهِ، وَإِذَا كَانَ للهِ سُبْحَانَهُ نِعْمَةُ الخَلْقِ وَالإِيْجَادِ، فَلِلْوَالِدَيْنِ نِعمةُ التَّرْبِيَةِ وَالإِيْلاَدِ، والعِنَايَةِ بِشُئُونِ الأَبْنَاءِ وَالأَوْلاَدِ؛ لِذَٰلِكَ قَرَنَ اللهُ سُبْحَانَهُ حَقَّ الوَالِدَيْنِ بِحَقِّهِ سُبْحَانَهُ، وَما ذَاكَ إِلاَّ لِعِظَمِ حَقِّهِمَا وَكَرِيْمِ فَضْلِهِمَا؛ قَال تَعَالىٰ: ﴿۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [النساء: ٣٦]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿۞ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۖ﴾ [الأنعام: ١٥١]، وَقَال عَزَّ وَجلَّ: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ﴾ [الإسراء: ٢٣]، وَقَال عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [لقمان].

---

(١) انظر: «مفتاح دار السعادة» (٢/ ٣٣٣).



قَال بَعْضُ السَّلَفِ: «**ثَلاَثُ آيَاتٍ مَقْرُونَاتٌ بِثَلاَثٍ، وَذَكَرَ مِنْهَا**: ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [لقمان]؛ **فَمَنْ لَمْ يَشْكُرْ لِوَالِدَيْهِ، لَمْ يَشْكُرِ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ**».

وَكَمَا أَمرَ اللهُ تَعَالى الإِنْسَانَ بِشُكْرِهِ عَلىٰ إِنْعَامِهِ عَلَيْهِ بِخَلْقِهِ وَرِزْقِهِ وَتَدْبِيْرِهِ: أَمَرَهُ بِشُكْرِ وَالِدَيْهِ؛ لإِنْعَامِهِمَا عَلَيْهِ وَإِحْسَانِهِمَا إِلَيْهِ، وَلاَ يُظَنُّ أَنَّ عَاقِلاً يَجْهَلُ إِحْسَانَ وَالِدَيْهِ عَلَيْهِ؛ فَمَنِ السَّبَبُ فِي وُجُودِ الإِنْسَانِ؟! وَمَنِ الَّذِيْ اعْتَنَىٰ بِهِ فِي مَرَاحِلِ عُمُرِهِ مُنْذُ أَنْ كَانَ نُطْفَةً إِلَىٰ أَنْ أَصْبَحَ رَجُلاً، وَاهْتَمَّ بِهِ مُنْذُ أَصْلِ وُجُودِهِ وَحَمْلِهِ، وَوِلاَدَتِهِ وَرَضَاعَتِهِ، وَفِصَالِهِ وَتَغْذِيَتِهِ، وَتَرْبِيَتِهِ وَتَنْشِئَتِهِ، إِلَىٰ أَنْ أَصْبَحَ طِفْلاً ثُمَّ صَبِيًّا، ثُمَّ شَابًّا يَافِعًا، ثُمَّ رَجُلاً جَلْدًا يَتَحَمَّلُ المَسْئُولِيَّةَ؟! إِنَّ وَرَاءَ ذٰلِكَ مَنْ هُمْ أَحَقُّ النَّاسِ بِبِرِّنَا وَإِحْسَانِنَا، إِنَّهُمُ الوَالِدَانِ اللَّذَانِ لاَ نَسْتَطِيْعُ مُكَافَأَتَهُمَا، وَلاَ نَقْدِرُ عَلىٰ مُجَازَاتِهِمَا مَهْمَا عَمِلْنَا وَبَذَلْنَا، وَلَـٰكِنْ نَسْأَلُ اللهَ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَىٰ، وَصِفَاتِهِ العُلاَ: أَنْ يَجْزِيَهُمَا عَنَّا خَيْرَ الجَزَاءِ، وَأَنْ يُكَافِئَهُمَا خَيْرَ مَا كَافَأَ وَالِدًا عَنْ أَوْلاَدِهِ، وَأَنْ يَرْزُقَنَا بِرَّهُمَا مَا حَيِيْنَا؛ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ!.

أَتَىٰ عُمَرَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ رَجُلٌ، فَقَالَ: «**أُمِّي عَجُوزٌ كَبِيرَةٌ، أَنَا مَطِيَّتُهَا، أَجْعَلُهَا عَلَىٰ ظَهْرِي، وَأُنْحِي عَلَيْهَا بِيَدَيَّ، وَأَلِي مِنْهَا مِثْلَ مَا**

كَانَتْ تَلِي مِنِّي؛ أَوَأَدَّيْتُ شُكْرَهَا؟ قَالَ: لاَ! قَالَ: وَلِمَ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: إِنَّكَ تَفْعَلُ ذَلِكَ بِهَا، وَأَنْتَ تَدْعُو اللهَ أَنْ يُمِيتَهَا، وَكَانَتْ تَفْعَلُ ذَلِكَ بِكَ، وَهِيَ تَدْعُو اللهَ أَنْ يُطِيلَ عُمُرَكَ»[1].

وَلَقِيَ ابْنُ عُمَرَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ رَجُلاً فِي المَطَافِ يَحْمِلُ أُمَّهُ عَلَىٰ ظَهْرِهِ يَطُوفُ بِهَا، فَقَالَ: «يَا ابْنَ عُمَرَ، أَتُرَانِي جَزَيْتُهَا؟ قَالَ: وَلاَ بِزَفْرَةٍ وَاحِدَةٍ!»[2].

اللهُ أَكْبَرُ! مَا أَعْظَمَ الحَقَّ، وَمَا أَشَدَّ تَقْصِيرَ الخَلْقِ! وَلَـٰكِنْ نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُعَامِلَنَا بِعَفْوِهِ وَمَغْفِرَتِهِ، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ.

أَيُّهَا ٱلْمُسْلِمُونَ، كَمْ هِيَ شَدِيدَةٌ تِلْكَ المُعَانَاةُ، وَكَمْ هِيَ عَظِيمَةٌ صُوَرُ التَّضْحِيَاتِ الَّتِي يُقَدِّمُهَا الأَبَوَانِ فِي سَبِيلِ إِسْعَادِ أَبْنَائِهِمْ، وَخُرُوجِهِمْ إِلَىٰ مُعْتَرَكِ الحَيَاةِ! وَكَمْ يَتْعَبُ الوَالِدَانِ! وَكَمْ يَبْذُلاَنِ وَيُقَدِّمَانِ، لاَسِيَّمَا الأُمُّ الحَنُونُ، تِلْكَ المُرَبِّيَةُ المُشْفِقَةُ، قَالَبُ الحَنَانِ وَالعَطَاءِ المُتَدَفِّقُ بِفَيْضِ الرَّحْمَةِ وَالإِحْسَانِ، عَطْفُهَا مِلْءُ جَنَانِهَا، الأُمُّ الرَّءُومُ[3] الَّتِي حَمَلَتْكَ بَيْنَ أَحْشَائِهَا تِسْعَةَ أَشْهُرٍ، وَيَعْلَمُ اللهُ مَا تُعَانِيهِ مِنْ آلاَمِ الوَحَمِ،

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» (٢٢١).

(٢) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (١١)، وابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» (٢٣٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان (٧٩٢٦).

(٣) الأم الرءوم: العاطفة على ولدها. «اللسان» (رأم).



وَثِقَلِ الحَمْلِ، ثُمَّ لاَ تَسْأَلْ عَمَّا تُكَابِدُهُ مِنْ آلاَمِ الوَضْعِ، وَتُلاَقِيْهِ مِنْ مَتَاعِبِ المَخَاضِ؛ ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ [الأحقاف: ١٥]، تُقَاسِيْ مِنَ الأَسْقَامِ وَالآلاَمِ مَا اللهُ بِهِ عَلِيْمٌ، بَلْ إِنَّهَا لَتُشَاهِدُ المَوْتَ وَهِيَ تُعَالِجُ آلاَمَ الطَّلْقِ وَالإِنْجَابِ، ثُمَّ مَتَاعِبَ الرَّضَاعَةِ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ، تَقُومُ بِهَا مُثْقَلَةً، وَتَقْعُدُ بِهَا مُتَمَلْمِلَةً.

ثُمَّ هِيَ بَعْدَ ذٰلِكَ تَجُوعُ لِتَشْبَعَ أَنْتَ، وَتَسْهَرُ لِتَنَامَ، وَتَتْعَبُ لِتَسْتَرِيْحَ، كَمْ سَهِرَتِ اللَّيَالِيَ الطَّوِيْلَةَ وَأَنْتَ لاَ تَدْرِيْ! وَكَمْ تَجَرَّعَتِ الآلاَمَ؛ لِيُحَقِّقَ وَلِيْدُهَا الأَحْلاَمَ! وَتَتْرُكُ كَثِيْرًا مِمَّا تَشْتَهِيْهِ؛ خَشْيَةَ ضَرَرٍ يَعْتَرِيْهِ، فَهِيَ بِهِ رَحِيْمَةٌ، وَعَلَيْهِ شَفِيْقَةٌ حَمِيْمَةٌ، إِنْ غَابَتْ عَنْهُ دَعَاهَا، وَإِنْ أَعْرَضَتْ عَنْهُ نَاجَاهَا، وَإِنْ أَصَابَهُ ضُرٌّ نَادَاهَا؛ بَلْ إِنَّهَا لَتُفَضِّلُ مَوْتَهَا لِحَيَاتِهِ، بَلْ تَتَمَنَّىٰ أَنْ تَمُوتَ لِتَحْيَا أَنْتَ، وَتَشْقَىٰ لِتَسْتَرِيحَ أَنْتَ، قَدْ كَانَ بَطْنُهَا لَكَ وِعَاءً، وَحِجْرُهَا لَكَ حِوَاءً، وَثَدْيُهَا لَكَ سِقَاءً، وَتَوَدُّ لَوْ تَقْبَلُ المَنِيَّةُ دُونَكَ فِدَاءً، وَكَمْ تُعَانِيْ مِنَ المَتَاعِبِ عِنْدَ الفِصَالِ والفِطَامِ، والتَّرْبِيَةِ والتَّنْشِئَةِ!

وَتَسْتَمِرُّ مَعَهَا المَتَاعِبُ حَتَّىٰ بَعْدَ أَنْ تَشِبَّ أَنْتَ عَنِ الطَّوْقِ[1] وَتُصْبِحَ رَجُلاً وَزَوْجًا وَذَا أَوْلاَدٍ، فَالْوَالِدَةُ دَائِمًا تَبْحَثُ عَنْكَ وَتَتَفَقَّدُ أَحْوَالَكَ، يَسُوءُهَا مَا يَسُوءُكَ، وَيُحْزِنُهَا مَا يُحْزِنُكَ، فَلِلَّهِ دَرُّهُنَّ مِنْ أُمَّهَاتٍ مُشْفِقَاتٍ،

(١) الطَّوْقُ: حُلِيٌّ يُجْعَلُ للعنق. «تاج العروس» (طوق).

وَمُرَبِّيَاتٍ رَفِيْقَاتٍ، وَوَالِدَاتٍ حَانِيَاتٍ رَقِيْقَاتٍ!! جَزَاهُنَّ اللهُ عَنَّا جَنَّاتٍ عَرْضُهَا الأَرْضُ وَالسَّمَوَاتُ.

أَمَّا الأَبُ الغَالِيْ، وَالوَالِدُ الحَانِيْ: فَذٰلِكَ المُوَجِّهُ القَيِّمُ، وَالمُرَبِّي الفَاضِلُ، يَسْعَىٰ وَيَجِدُّ، وَيَكْدَحُ وَيَكِدُّ، وَيُنْشِىءُ وَيُنْفِقُ، وَيُرَبِّيْ وَيُشْفِقُ، يَغْذُوكَ مَوْلُودًا، وَيعُولُكَ يَافِعًا، إِذَا لَقِيَكَ هَشَّ، وَإِذَا جِئْتَهُ بَشَّ، وَإِذَا حَضَرَ أَقْعَدَكَ عَلَىٰ حِجْرِهِ وَصَدْرِهِ، وَإِذَا خَرَجَ تَعَلَّقْتَ بِهِ، وَإِذَا غِبْتَ عَنْهُ سَأَلَ عَنْكَ وَانْتَظَرَ مَجِيْئَكَ، إِذَا رَآكَ ابْتَسَمَ مُحَيَّاهُ وَبَرَقَتْ ثَنَايَاهُ، ثُمَّ كَمْ يَبْذُلُ لِتَعْلِيْمِكَ وَتَنْشِئَتِكَ، وَتَغْذِيَتِكَ وَتَرْبِيَتِكَ! فَجَزَاهُ اللهُ مِنْ وَالِدٍ كَرِيْمٍ، وَأَبٍ رَحِيْمٍ خَيْرَ الجَزَاءِ وَأَعْظَمَ المَثُوبَةِ.

لِذٰلِكَ: لَا عَجَبَ ـ أَيُّهَا الإِخْوَةُ ـ أن تَكَرَّرَتِ الوَصِيَّةُ فِي كِتَابِ اللهِ فِي حَقِّ الوَالِدَيْنِ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا﴾ [الأحقاف: ١٥]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾ [العنكبوت: ٨].

وللهِ دَرُّ القَائِلِ:

إِنَّ لِلْـوَالِـدَيْـنِ حَقًّـا عَلَيْـنَا ... بَعْدَ حَقِّ الإِلٰهِ فِي الاِحْتِرَامِ

أَوْلَـدَانَـا وَرَبَّيَـانَـا صِغَـارًا ... فَاسْتَحَقَّا نِهَايَةَ الإِكْرَامِ

وَفِي مِشْكَاةِ النُّبُوَّةِ يَأْتِي بِرُّ الوَالِدَيْنِ قَرِيْنًا لِلصَّلَاةِ عَمُودِ الإِسْلَامِ؛ وَمُتَقَدِّمًا عَلَى الجِهَادِ ذِرْوَةِ سَنَامِ الإِسْلَامِ؛ رَوَى البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي «صَحِيْحَيْهِمَا»، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ:



أَيُّ العَمَلِ أحَبُّ إِلى اللهِ؟ قَالَ: «**الصَّلاَةُ علَىٰ وقْتِهَا**» قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ، قالَ: «**بِرُّ الوَالِدَيْنِ**» قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ، قَالَ: «**الجِهَادُ فِي سَبِيْلِ اللهِ**»[1]؛ فَانْظُرُوا ـ يَا رَعَاكُمُ اللهُ ـ كَيْفَ فَاقَ بِرُّ الوَالِدَيْنِ الجِهَادَ فِي سَبِيْلِ اللهِ فِي مَعَامِعِ القِتَالِ وَمَشَاهِدِ الوَغَىٰ وَجَرَيَانِ الدِّمَاءِ؛ وَيَشْهَدُ لِذٰلِكَ مَا فِي «الصَّحِيْحَيْنِ» ـ أيضًا ـ أَنَّ رَجُلاً جَاءَ إِلى النَّبِيِّ ﷺ يَسْتَأْذِنُهُ فِي الجِهَادِ، فَقَالَ: «**أَحَيٌّ وَالِدَاكَ؟**» قَال: نَعَمْ، قَالَ: «**فَفِيْهِمَا فَجَاهِدْ**»[2].

أُمَّةَ الإِسْلَامِ، بِرُّ الوَالِدَيْنِ فَرِيْضَةٌ لاَزِمَةٌ، وَفَضِيْلَةٌ جَازِمَةٌ، وُجُوبُهَا حَتْمٌ، وَأَدَاؤُهَا عَزْمٌ، لاَ عُذْرَ لأَحَدٍ فِي التَّسَاهُلِ بِهَا، وَالتَّهَاوُنِ بِشَأْنِهَا؛ الدِّيْنُ وَالشَّرْعُ، وَالنَّقْلُ وَالعَقْلُ، وَالمُرُوءَةُ وَالرَّحْمَةُ، وَرَدُّ الجَمِيْلِ وَالإِنْسَانِيَّةُ: رَوَافِدُ وَدَلاَئِلُ عَلَى القِيَامِ بِهَا وَأَدَائِهَا عَلى الوَجْهِ المَطْلُوبِ.

بِرُّ الوَالِدَيْنِ: مَنْهَجُ الأَنْبِيَاءِ والمُرْسَلِيْنَ، وَعَمَلُ الكِرَامِ والصَّالِحِيْنَ؛ يَقُولُ اللهُ تَعَالىٰ عَنْ عِيْسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ: ﴿ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ ﴾ [مريم]، وَيَقُولُ عَنْ يَحْيَى بنِ زَكَرِيَّا ـ عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ ـ: ﴿ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ ﴾ [مريم].

وَالدُّعَاءُ لَهُمَا ـ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ـ دَأْبُ المُؤْمِنِيْنَ المُتَّقِيْنَ؛ قالَ اللهُ عَنْ

---

(١) «صحيح البخاري» (٥٢٧)، و«صحيح مسلم» (٨٥).

(٢) «صحيح البخاري» (٣٠٠٤)، و«صحيح مسلم» (٢٥٤٩)؛ من حديث عبدالله بن عمرو، رضي الله عنهما.



نُوحٍ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [نوح: ٢٨]، وَقَالَ عَنْ إِبْرَاهِيم ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ[1] وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾ [إبراهيم].

وَأَحَقُّ الأَبَوَيْنِ بِالبِرِّ الأُمُّ؛ لِمَا عُلِمَ مِنْ مُكَابَدَتِهَا العَظِيْمَةِ؛ فَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ»، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِيْ؟ قَالَ: «**أُمُّكَ**»، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «**أُمُّكَ**»، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «**أُمُّكَ**»، قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «**أَبُوكَ**»، وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: قَالَ: «**أُمُّكَ، ثُمَّ أُمُّكَ، ثُمَّ أُمُّكَ، ثُمَّ أَبُوكَ، ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ**»[2].

فَيَا أَيُّهَا الأَبْنَاءُ، وَيَا أَيَّتُهَا البَنَاتُ، اتَّقُوا اللهَ فِي الآبَاءِ وَالأُمَّهَاتِ، بَرُّوا آبَاءَكُمْ تَبَرَّكُمْ أَبْنَاؤُكُمْ، وَاعْلَمُوا أَنَّ رِضَا اللهِ فِي رِضَا الوَالِدَيْنِ، وَأَنَّ سَخَطَ اللهِ فِي سَخَطِ الوَالِدَيْنِ.

وَإِنَّكَ لَتَأْسَفُ أَشَدَّ الأَسَفِ مِنْ صُوَرٍ تَرَاهَا، أَوْ حَقَائِقَ تَسْمَعُهَا؛ مِنْ تَسَاهُلِ كَثِيْرٍ مِنَ الأَبْنَاءِ فِي بِرِّ وَالِدَيْهِمْ؛ فَلَا تَقْدِيرَ وَلَا احْتِرَامَ، وَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ، وَلَا بِرَّ وَلَا أَدَبَ، بَلْ غِلْظَةٌ وَفَظَاظَةٌ، وَنَهْرٌ وَعُقُوقٌ؛ مِنَ النَّاسِ

---

(١) هذا الاستغفار من إبراهيم ـ عليه السلام ـ لوالِدَيْهِ؛ لكن استغفاره لأبيه كان قبل أن يتبرَّأ منه لمَّا تبيَّن له أنه عدوٌّ لله. انظر: «تفسير ابن كثير» (٤/ ٥١٤).

(٢) «صحيح البخاري» (٥٩٧١)، و«صحيح مسلم» (٢٥٤٨).



مَنْ بَلَغَ خِسَّةً وَوَقَاحَةً، وَنَذَالَةً وَصَفَاقَةً: أَنْ يَأْمُرَهُ أَبُوهُ أَوْ أُمُّهُ فَيَهُزَّ كَتِفَيْهِ وَيَثْنِيَ عِطْفَيْهِ وَيُدِيْرَ ظَهْرَهُ، وَكَأَنَّ الأَمْرَ لاَ يَعْنِيْهِ، بَلْ قَدْ يُعَبِّسُ وَجْهَهُ، وَيُقَطِّبُ جَبِيْنَهُ، وَيَرْفَعُ صَوْتَهُ، وَيُسِيءُ أَدَبَهُ، ضِدَّ أُمِّهِ أَوْ أَبِيْهِ!! أَمَا عَلِمَ ذٰلِكَ الغِرُّ المَأْفُونُ: أَنَّ عَمَلَهُ هٰذَا سَبَبٌ لِشَقَائِهِ؟! فَالوَيْلُ لَهُ، ثُمَّ الوَيْلُ لَهُ يَوْمَ عَرْضِهِ عَلَىٰ مَوْلاَهُ!.

بَلْ مِنَ النَّاسِ: مَنْ وَصَلَ بِهِ الحَالُ أَلاَّ يَتَوَرَّعَ عَنْ رَفْعِ دَعْوَىٰ قَضَائِيَّةٍ ضِدَّ أَبِيْهِ فِي المَحَاكِمِ الشَّرْعِيَّةِ، أَوْ بَلاَغٍ وَشَكْوَىٰ ضِدَّهُ فِي مَرَاكِزِ الشُّرْطَةِ أَوْ دُورِ الحُقُوقِ وَنَحْوِهَا!! لِمَاذَا كُلُّ هٰذَا؟! أَمِنْ أَجْلِ حَفْنَةٍ مِنَ المَالِ أَوْ شِبْرٍ مِنَ الأَرْضِ؟! حَتَّى انْتَشَرَتِ القَطِيْعَةُ بَيْنَ كَثِيْرٍ مِنَ النَّاسِ مِنْ أَجْلِ حُطَامِ الدُّنْيَا، أَوْ شَيْءٍ فِي كَوَامِنِ النُّفُوسِ؛ حَتَّىٰ إِنَّ بَعْضَهُمْ قَدْ مَرَّتْ أَشْهُرٌ ـ بَلْ سَنَوَاتٌ ـ وَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدَ أَبَوَيْهِ، أَوْ يَزُرْهُ أَوْ يَتَّصِلْ بِهِ!!.

بَلْ لَقَدْ يَبْلُغُ الحَالُ بِبَعْضِ أَهْلِ العُقُوقِ: أَنْ يَتْرُكَ أَبَاهُ أَوْ أُمَّهُ عِنْدَ كِبَرِهِمَا أَوْ مَرَضِهِمَا، فِي دُورِ الرِّعَايَةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ، وَتَمُرُّ الأَيَّامُ وَالشُّهُورُ وَهُوَ لاَ يَعْلَمُ عَنْهُمَا شَيْئًا!! أَيْنَ الإِيْمَانُ؟! وَأَيْنَ الفَضِيْلَةُ؟! وَأَيْنَ المُرُوءَةُ؟! بَلْ أَيْنَ الرَّحْمَةُ وَالإِنْسَانِيَّةُ؟! لَقَدْ قَلَبَ أُوْلَـٰئِكَ لآبَائِهِمْ ظَهْرَ المِجَنِّ[1]،

(١) المِجَنُّ: التُّرْس، ومن أمثالهم: «قَلَبَ له ظَهْرَ المِجَنّ»؛ يُضْرَبُ لمن كان لإنسان على مودة أو رعاية، ثم تحوّل عن العهد. انظر: «النهاية» (جنن)، و«مجمع الأمثال» (٢/ ١٠١).



وقابَلُوا الإِحْسَانَ بالإِسَاءَةِ.

أُرِيْـدُ حَيَـاتَـهُ وَيُـرِيْـدُ قَتْلِـيْ عَذِيْرَكَ مِنْ خَلِيْلِكَ مِنْ مُرَاد![1]

وَمِنَ النَّاسِ: مَنْ إِذَا تزَوَّجَ، نَسِيَ أَبَوَيْهِ، وَأَهْمَلَ شَأْنَهُمَا، مُنْشَغِلاً بِمَا لَدَيْهِ مِن جَدِيْدٍ! وكَمْ هِيَ صُوَرُ المُعَانَاةِ الَّتِيْ تُعَانِيْهَا الأُمَّهَاتُ مِنْ جَرَّاءِ تَفْضِيلِ الزَّوْجَةِ عَلى الوَالِدَةِ، بَلْ إِنَّ بَعْضَهُمْ قَدْ يَتَطَاوَلُ عَلَىٰ أُمِّهِ فِي مَرْأَى وَمَسْمَعٍ مِنْ زَوْجَتِهِ وَأَوْلاَدِهِ، أَلاَ بِئْسَ مَا صَنَعُوا!، وَتَبًّا لِمَا فَعَلُوا!!.

نَعَمْ؛ عَلَيْكُمْ - أَيُّهَا الأَوْلاَدُ - أَنْ تَرْعَوْا حُقُوقَ الوَالِدَيْنِ بِالبِرِّ وَالإِحْسَانِ، وَعَلَيْكُمْ - أَيُّهَا الآبَاءُ وَالأُمَّهَاتُ - أَنْ تَكُونُوا عَوْنًا لأَبْنَائِكُم فِي بِرِّكُمْ، وَأَلاَّ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَشُقُّ عَلَيْهِمْ، وَأَلاَّ تَتَدَخَّلُوا فِي خَصَائِصِ شُئُونِهِمْ لاَسِيَّمَا بَعْدَ الزَّوَاجِ؛ لِمَا يُسَبِّبُ ذٰلِكَ مِنْ حَلِّ وَشَائِجِ[2] الصِّلَةِ، وَفَصْمِ عُرَا[3] المَحَبَّةِ وَالوِئَامِ.

وَمِنَ النَّاسِ - لِقِلَّةِ فِقْهِهِ - مَنْ يَجْعَلُ بِرَّهُ وَإِحْسَانَهُ لأَصْدِقَائِهِ وَزُمَلاَئِهِ، فَيُطِيْعُ زُمَلاَءَهُ ويَبَرُّ أَصْدِقَاءَهُ، وَيَعُقُّ أُمَّهُ وَيَجْفُو أَبَاهُ! بَلْ إِنَّكَ لَتَأْسَفُ حِيْنَ

---

(١) البيت لعمرو بن معدي كرب الصحابي - رضي الله عنه - انظر: «ديوانه» (ص١٠٧)، و«خزانة الأدب» (٦/ ٣٦١)، (١٠/ ٢١٠).

(٢) الوشائج: جمع وشيجة، وهي الرحم المشتبكة المتصلة. «لسان العرب» و«القاموس المحيط» (وشج).

(٣) العُرَا: جمع عُرْوَة، وهي ما يُسْتَمْسَكُ به ويعتصم، وَفَصْمُها: قطعها. «تاج العروس» (عرو) (فصم).



تَجِدُ مَنْ عَلَيْهِ مَظَاهِرُ الصَّلَاحِ وَالانْشِغَالِ بِشَيْءٍ مِنَ العِلْمِ أَوِ الدَّعْوَةِ وَلاَ يَجْعَلُ لأَبَوَيْهِ حَظًّا مِنَ التَّقْدِيْرِ والرِّعَايَةِ، والبِرِّ وَالعِنَايَةِ.

وَمَهْمَا كَانَ عَلَى الأَبَوَيْنِ مِنْ تَقْصِيرٍ، فَبِرُّهُمْ وَاجِبٌ، وَالإِحْسَانُ إِلَيْهِمْ مُتَعَيِّنٌ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ ﴾ [لقمان: ١٥]، وَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ»، عَنْ أَسْمَاءَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - قَالَتْ: قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قُلْتُ: إِنَّ أُمِّي قَدِمَتْ وَهِيَ رَاغِبَةٌ، أَفَأَصِلُ أُمِّي؟ قَالَ: «**نَعَمْ، صِلِي أُمَّكِ**»[1]؛ فَكَيْفَ - يَا عِبَادَ اللهِ - بِمَا دُونَ ذٰلِكَ؟!

أَلَا فَاتَّقُوا اللهَ - عِبَادَ اللهِ - اتَّقُوا اللهَ أَيُّهَا الآبَاءُ، وَاعْلَمُوا أَنَّ مَا يُعَانِيْهِ بَعْضُكُمْ مِنْ صُوَرِ العُقُوقِ إِنَّمَا مَرَدُّهُ غَالِبًا إِلَى الإِهْمَالِ فِي التَّرْبِيَةِ، وَمَا يُوجَدُ مِنْ آثَارٍ لِذٰلِكَ، فَنَتِيْجَتُهَا قُصُورٌ فِي التَّنْشِئَةِ السَّلِيْمَةِ؛ فَالَّذِيْ يُهْمِلُ أَبْنَاءَهُ وَلاَ يَرْعَاهُمْ، كَيْفَ يُرِيْدُ مِنْهُمْ بِرًّا؟! وَكَيْفَ يَجْنِيْ مِنَ الشَّوْكِ العِنَبَ؟! وَاتَّقُوا اللهَ أَيُّهَا الأَبْنَاءُ، وَبَادِرُوا لِلْبِرِّ بِوَالِدِيْكُمْ مَهْمَا كَانَتِ الأَحْوَالُ.

وَإِنَّ حَقًّا عَلَىٰ كُلِّ مَنْ كَانَ مُقَصِّرًا فِي حَقِّ وَالِدَيْهِ أَوْ أَحَدِهِمَا،

---

(١) «صحيح البخاري» (٢٦٢٠)، و«صحيح مسلم» (١٠٠٣).

أَنْ يُبَادِرَ مِنَ الآنَ فَيَطْبَعَ قُبْلَةً حَارَّةً عَلىٰ جَبِيْنِ أَبِيْهِ أَوْ أُمِّهِ، وَيَنْدَمَ عَلىٰ مَا مَضَىٰ، وَيَعْتَذِرَ عَمَّا سَلَفَ، وَحَقًّا عَلىٰ كُلِّ قَاطِعٍ أَنْ يَبَرَّ وَيَصِلَ، وَيُصَبِّحَ وَيُمَسِّيَ بِالخَيْرِ وَالبِرِّ وَالإِحْسَانِ، وَإِنَّ عَلَىٰ جَمِيْعِ قَنَوَاتِ التَّرْبِيَةِ وَالتَّوْجِيْهِ ـ مِنَ المَسْجِدِ والبَيْتِ، وَالمَدْرَسَةِ وَوَسَائِلِ الإِعْلَامِ ـ أَنْ تُعْنَىٰ بِهَـٰذِهِ القَضِيَّةِ التَّرْبَوِيَّةِ وَالاجْتِمَاعِيَّةِ المُهِمَّةِ، وَحَذَارِ أَن يَنْقَلِبَ المُجْتَمَعُ الإِسْلَامِيُّ ـ مُجْتَمَعُ التَّعَاوُنِ والتَّكَافُلِ، والبِرِّ وَالتَّوَاصُلِ ـ إِلَىٰ مُجْتَمَعٍ مَادِّيٍّ لاَ يُؤْمِنُ بِقِيَمٍ، وَلاَ يَهْتَمُّ بِمَبَادِىءَ، وَلَنَا مَوْعِظَةٌ وَعِظَةٌ فِيمَا نَرَىٰ وَنُشَاهِدُ، وَاللهُ المُسْتَعَانُ!.

بَارَكَ اللهُ لِيْ وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيْمِ، وَنَفَعَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ بِهَدْيِ سَيِّدِ المُرْسَلِيْنَ.

أَقُولُ قَوْلِي هَـٰذَا، وَأَسْتَغْفِرُ الله لِي وَلَكُمْ وَلِجَمِيعِ المُسْلِمِيْنَ، فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

الخطبة الثانية

الحَمْدُ للهِ الَّذيْ أَمَرَنَا بالبِرِّ وَأَدَاءِ الحُقُوقِ، وَنَهَانَا عَنِ القَطِيعَةِ وَالعُقُوقِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلـهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ شَهَادَةَ مَنْ يَطْمَعُ فِي رِضَاهُ وَإِلَىٰ جَنَّتِهِ يَتُوقُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَتْبَاعِهِ، مَا تَعَاقَبَ الجَدِيْدَانِ بَيْنَ غُرُوبٍ وَشُرُوقٍ.

أمّا بعد:

فَاتَّقُوا اللهَ ـ عِبَادَ اللهِ ـ وَأَدُّوا حَقَّهُ كَمَا أَمَرَكُمْ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ كَمَا أَمَرَ بِالبِرِّ وأَدَاءِ الحُقُوقِ، نَهَاكُمْ عَنِ القَطِيْعَةِ وَالعُقُوقِ، وَجَعَلَ ذٰلِكَ كَبِيْرَةً مِنْ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ المُوْجِبَةِ لِسَخَطِ الجَبَّارِ، والمُعَرِّضَةِ لِعَذَابِ الوَاحِدِ القَهَّارِ؛ فَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ أَبِيْ بَكْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟**» ثَلاَثًا، قُلْنَا: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**الإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ. . .**»[1] فَانْظُرُوا ـ يَا رعَاكُمُ اللهُ ـ كَيْفَ قَرَنَ العُقُوقَ بِالشِّرْكِ؛ عِيَاذًا بِاللهِ؟!

وَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ»، عَنِ المُغِيْرَةِ بْنِ شُعْبَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ عَنِ

---

(١) «صحيح البخاري» (٥٩٧٦)، و«صحيح مسلم» (٨٧).



النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الأُمَّهَاتِ...**»[1]، وَفِيهِمَا، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الكَبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ**» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟! قَالَ: «**يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ؛ فَيَسُبُّ أَبَاهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ؛ فَيَسُبُّ أُمَّهُ**»[2]، وَإِنَّكَ لَسَامِعٌ مِنْ ذَٰلِكَ فِي دُنْيَا النَّاسِ عَجَبًا!.

وَفِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «**رَغِمَ أَنْفُ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ مَنْ أَدْرَكَ أَبَوَيْهِ عِنْدَ الكِبَرِ أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا؛ فَلَمْ يَدْخُلِ الجَنَّةَ**»[3]؛ كَمَا وَرَدَ فِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ ـ أَيْضًا ـ أَنَّ مِنَ الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ لاَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ: «**العَاقَّ لِوَالِدَيْهِ**»[4].

أَلاَ إِنَّ بِرَّ الوَالِدَيْنِ ـ يَاعِبَادَ اللهِ ـ مُتَأَكِّدٌ فِي جَمِيعِ مَرَاحِلِ الحَيَاةِ، لاَسِيَّمَا عِنْدَ المَرَضِ والكِبَرِ، بَلْ إِنَّهُ يَسْتَمِرُّ حَتَّىٰ بَعْدَ الوَفَاةِ؛ فَقَدْ رَوَى الإِمَامُ أَحْمَدُ، وأَبُو دَاوُدَ، عَنْ أَبِي أُسَيْدٍ السَّاعِدِيِّ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ بَقِيَ مِنْ بِرِّ أَبَوَيَّ شَيْءٌ أَبَرُّهُمَا بِهِ بَعْدَ مَوْتِهِمَا؟ قَالَ: «**نَعَم، الصَّلاَةُ عَلَيْهِمَا، والاِسْتِغْفَارُ لَهُمَا، وَإِنْفَاذُ عَهْدِهِمَا**

(١) «صحيح البخاري» (٢٤٠٨)، و«صحيح مسلم» (٥٩٣/ ١٢) «كتاب الأقضية».
(٢) «صحيح البخاري» (٥٩٧٣)، و«صحيح مسلم» (٩٠).
(٣) رواه مسلم (٢٥٥١).
(٤) رواه أحمد (٢/ ٦٩)، والنسائي (٥/ ٨٠)؛ من حديث ابن عمر، رضي الله عنهما.



مِنْ بَعْدِهِمَا، وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِيْ لاَ تُوصَلُ إِلاَّ بِهِمَا، وَإِكْرَامُ صَدِيْقِهِمَا»[1].

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ دِيْنَارٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - أَنَّ رَجُلاً مِنَ الأَعْرَابِ لَقِيَهُ بِطَرِيْقِ مَكَّةَ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ عَبْدُاللهِ بْنُ عُمَرَ، وَحَمَلَهُ عَلَىٰ حِمَارٍ كَانَ يَرْكَبُهُ، وَأَعْطَاهُ عِمَامَةً كَانَتْ عَلَىٰ رَأْسِهِ، فَقَالَ ابْنُ دِيْنَارٍ: فَقُلْنَا لَهُ: أَصْلَحَكَ اللهُ! إِنَّهُمُ الأَعْرَابُ، وَإِنَّهُمْ يَرْضَوْنَ بِالْيَسِيرِ؟! فَقَالَ عَبْدُاللهِ: إِنَّ أَبَا هَـٰذَا كَانَ وُدًّا لِعُمَرَ بنِ الخَطَّابِ، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَبَرَّ البِرِّ صِلَةُ الوَلَدِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيْهِ»[2].

فَاتَّقُوا اللهَ - عِبَادَ اللهِ - وَاللهَ اللهَ فِي البِرِّ والصِّلَةِ وَالإِحْسَانِ، قَبْلَ فَوَاتِ الأَوَانِ! وَالتَّوْبَةَ التَّوْبَةَ، أَيُّهَا المُقَصِّرُونَ فِي أَدَاءِ الحُقُوقِ، وَالوَاقِعُونَ فِي شَيْءٍ مِنَ العُقُوقِ، قَبْلَ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ: يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ!.

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللهُ - عَلى الرَّحْمَةِ المُهْدَاةِ، وَالنِّعْمَةِ المُسْدَاةِ، نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ اللهِ؛ كَمَا أَمَرَكُمْ بِذٰلِكَ رَبُّكُمْ جَلَّ فِي عُلاَهُ، فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب].

---

(١) «المسند» (٣/ ٤٩٨)، و«سنن أبي داود» (٥١٤٢).

(٢) رواه مسلم (٢٥٥٢).

الخطبة الأولى

إِنَّ الحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَهْدِيْهِ، وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَتُوبُ إِلَيْهِ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ الأَنْفُسِ وَنَزَغَاتِ الشَّيْطَانِ وَسَيِّئَاتِ الأَعْمَالِ، مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ المُهْتَدِ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا.

وأَشْهَدُ أَنْ لا إِلـهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ، جَعَلَ التَّآخِيَ سِمَةً مِنْ سِمَاتِ أَهْلِ الإِسْلاَمِ، وَلاَزِمًا مِنْ لَوَازِمِ صِحَّةِ الإِيْمَانِ، وَصَيَّرَ عِبَادَهُ بَعْدَ الفُرْقَةِ كَأَشَدِّ وَأَقْوَىٰ بُنْيَانٍ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَخِيرَتُهُ مِنْ خَلْقِهِ، وَصَفْوَتُهُ مِنْ رُسُلِهِ، آخَىٰ بَيْنَ المُؤْمِنِيْنَ، وَسَعَىٰ إِلى التَّأْلِيفِ بَيْنَ قُلُوبِ المُسْلِمِيْنَ، فَجَمَعَ اللهُ بِهِ بَعْدَ الفُرْقَةِ، وَأَغْنَىٰ بِهِ بَعْدَ العَيْلَةِ[1]، وَأَعَزَّ بِهِ بَعْدَ الذِّلَّةِ، فَصَلَوَاتُ اللهِ وَتَسْلِيْمَاتُهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ الأَطْهَارِ، وَصَحْبِهِ الأَخْيَارِ، المُهَاجِرِيْنَ مِنْهُمْ وَالأَنْصَارِ، والتَّابِعِيْنَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ مَا تَعَاقَبَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ.

أمَّا بعـد:

فَاتَّقُوا اللَّهَ - أَيُّهَا المُسْلِمُونَ - ﴿وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ

(١) الْعَيْلَةُ: الفاقة والفقر. «اللسان» (عيل).

﴿وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١﴾ [الأنفال].

عِبَادَ اللهِ، مِنَ المَبَادِىءِ العَظِيْمَةِ الَّتِيْ أَرْسَىٰ دَعَائِمَهَا دِيْنُنَا الحَنِيْفُ مَبْدَأُ الأُخُوَّةِ بَيْنَ أَهْلِ الإِيْمَانِ؛ ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، وَإِذَا كَانَتِ الأُخُوَّةُ بَيْنَ النَّاسِ تَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ المَقَاصِدِ وَالمَشَارِبِ، فَإِنَّ أَوْثَقَهَا عُرْوَةً، وَأَحْكَمَهَا لُحْمَةً، وَأَقْوَاهَا رَابِطَةً، وَأَثْبَتَهَا مَوَدَّةً: أُخُوَّةُ الدِّيْنِ الَّتِيْ لاَ تَنْفَصِمُ عُرَاهَا، وَلاَ تَتَصَرَّمُ حِبَالُهَا، وَلاَ تَتَغَيَّرُ بِتَغَيُّرِ الأَحْدَاثِ وَالزَّمَانِ، وَلاَ تَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ القَوْمِ وَالمَكَانِ، بَلْ تَجْمَعُ أَهْلَ الإِسْلَامِ عَلَىٰ تَبَاعُدِ الأَقْطَارِ، وَتَنَائِيْ الدِّيَارِ، وَاخْتِلَافِ البِقَاعِ وَالأَمْصَارِ، أُخُوَّةٌ أَسَاسُهَا العَقِيْدَةُ وَالإِيْمَانُ، وَقَاعِدَتُهَا الدِّيْنُ الخَالِصُ لِلْوَاحِدِ الدَّيَّانِ، وَهَـٰذَا سِرُّ قُوَّتِهَا وَرُسُوخِهَا، وَتَأْلِيفِهَا بَيْنَ أَبْنَائِهَا فِي مَشَارِقِ الأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا، وَتَكْوِيْنِهَا مِنْهُمْ وَحْدَةً رَاسِخَةَ الدَّعَائِمِ، مَتِيْنَةَ البِنَاءِ، لاَ تَنَالُ مِنْهَا العَوَاصِفُ الهَوْجَاءُ؛ كَالبُنْيَانِ المَرْصُوصِ، وَالجَسَدِ الوَاحِدِ.

رَوَى البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ فِي «صَحِيْحَيْهِمَا»، عَنْ أَبِيْ مُوسَى الأَشْعَرِيِّ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ المُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا** ـ وَشَبَّكَ ﷺ أَصَابِعَهُ ـ»[1]، وَلَهُمَا مِنْ حَدِيْثِ النُّعْمَانِ بنِ بَشِيْرٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَثَلُ**

---

(١) «صحيح البخاري» (٤٨١)، و«صحيح مسلم» (٢٥٨٥).

المُؤْمِنِيْنَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَىٰ مِنْهُ عُضْوٌ، تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّىٰ»[1].

مَعْشَرَ الإِخْوَةِ، إِنَّ أُخُوَّةَ الإِسْلَامِ هِيَ رُوحُ الإِيْمَانِ القَوِيِّ، وَلُبَابُ المَشَاعِرِ الفَيَّاضَةِ، وَالأَحَاسِيْسِ المُرْهَفَةِ الَّتِيْ يُكِنُّهَا المُسْلِمُ لإِخْوَانِهِ فِي العَقِيْدَةِ، حَتَّىٰ إِنَّهُ لَيَحْيَا بِهِمْ، وَيَعِيْشُ مَعَهُمْ وَفِيهِمْ، فَكَأَنَّهُمْ جَمِيْعًا أَغْصَانٌ تَفَرَّعَتْ مِنْ دَوْحَةٍ[2] وَاحِدَةٍ، وَانْبَثَقَتْ مِنْ أَصْلٍ وَاحِدٍ، تَضْمَحِلُّ[3] مَعَهُ فَوَارِقُ الأَجْنَاسِ وَالأَلْوَانِ، وَتَتَوَارَىٰ مِنْ خِلَالِهِ التَّمَيُّزَاتُ العِرْقِيَّةُ، وَتَمُوتُ العَصَبِيَّاتُ القَوْمِيَّةُ، وَالفَوَارِقُ الجِنْسِيَّةُ؛ لِتَبْقَى القَاعِدَةُ الكُبْرَىٰ الَّتِيْ يَقُومُ عَلَيْهَا المُجْتَمَعُ الإِسْلَامِيُّ العَالَمِيُّ، الَّذِيْ تَضُمُّهُ آصِرَةٌ خَاصَّةٌ، وَتُظِلُّهُ رَايَةٌ وَاحِدَةٌ لَا ثَانِيَ لَهَا، إِنَّهَا رَايَةُ الإِيْمَانِ، وَآصِرَةُ الأُخُوَّةِ فِي الإِسْلَامِ؛ يَقُولُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات].

إِخْوَةَ الإِسْلَامِ، فِي المُجْتَمَعِ الإِسْلَامِيِّ القَائِمِ عَلَىٰ عَقِيْدَةِ الإِيْمَانِ، وَالمُلْتَقِيْ عَلَىٰ شَعَائِرِ الإِسْلَامِ ـ يَقُومُ إِخَاءُ العَقِيْدَةِ مَقَامَ إِخَاءِ النَّسَبِ، وَتَحُلُّ رَابِطَةُ الإِيْمَانِ مَحَلَّ الرَّوَابِطِ المَادِّيَّةِ، وَالمَصَالِحِ الشَّخْصِيَّةِ،

---

(١) «صحيح البخاري» (٦٠١١)، و«صحيح مسلم» (٢٥٨٦).

(٢) الدَّوْحَةُ: الشجرةُ العظيمةُ المتسعة، والجمع: دَوْحٌ. «اللسان» (دوح).

(٣) اضْمَحَلَّ الشَّيءُ، أي: ذهب. «اللسان» (ضحل)، و«تاج العروس» (ضمحل).



والمَطَامِعِ الذَّاتِيَّةِ؛ فِيْهِ يُحِبُّ المُسْلِمُ لإِخْوَانِهِ المُسْلِمِيْنَ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ؛ يَحْزَنُ لِحُزْنِهِمْ، وَيَفْرَحُ لِفَرَحِهِمْ، وَيُشَاطِرُهُمْ أَفْرَاحَهُمْ وَأَتْرَاحَهُمْ[1]، وَيُشَارِكُهُمْ آلاَمَهُمْ؛ وَلِهَـٰذَا قَضَى الإِسْلاَمُ عَلىٰ مَظَاهِرِ الأَثَرَةِ الظَّالِمَةِ وَالأَنَانِيَّةِ البَاغِيَةِ؛ لأَنَّهَا نَزْعَةٌ بَغِيْضَةٌ، وَآفَةٌ كَرِيْهَةٌ، حَارَبَهَا الإِسْلاَمُ، وأَحَلَّ مَكَانَهَا الإِخَاءَ وَالمَوَدَّةَ.

وَالنَّاظِرُ فِي تَأْرِيْخِ هَـٰذِهِ الأُمَّةِ: يُدْرِكُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لأُمَّةِ الإِسْلاَمِ أَنْ تَجْتَمِعَ لَهَا كَلِمَةٌ، أَوْ يَتَوحَّدَ لَهَا صَفٌّ، أَوْ تَرْتَفِعَ لَهَا رَايَةٌ، أَوْ تَقُومَ لَهَا دَوْلَةٌ، أَوْ يَرْهَبَ مِنْهَا عَدُوٌّ ـ إِلاَّ بِتَآخِيْهَا فِيْمَا بَيْنَهَا إِخَاءً عَظِيْمًا لاَ مَثِيْلَ لَهُ فِي تَأْرِيْخِ الأُمَمِ، إِخَاءً يُمَثِّلُ قُوَّةً رَاسِخَةً قَامَ عَلَيْهَا أَسَاسُ أُمَّةٍ عَزِيْزَةٍ صَابِرَةٍ، قَوِيَّةٍ قَاهِرَةٍ، رَدَّتِ الهَجَمَاتِ الكَاسِحَةَ، وَالحَمَلاَتِ الغَاشِمَةَ، وَالاعْتِدَاءَاتِ الجَائِرَةَ، وَخَرَجَتْ بَعْدَ الصِّرَاعِ مَعَ خُصُومِهَا مَرْهُوبَةَ الجَانِبِ، رَفِيْعَةَ العِمَادِ، وَطِيْدَةَ الأَرْكَانِ.

أُمَّةَ الوَحْدَةِ وَالإِخَـاءِ، فِي تَأْرِيْخِنَا ـ نَحْنُ المُسْلِمِيْنَ ـ نَمَاذِجُ عَظِيْمَةٌ، وَمَظَاهِرُ فَرِيْدَةٌ لِقُوَّةِ التَّلاَحُمِ وَالتَّآخِيْ بَيْنَ أَبْنَاءِ الإِسْلاَمِ، أَشْهَرُهَا مُؤَاخَاةُ المُصْطَفَىٰ ﷺ بَيْنَ المُهَاجِرِيْنَ وَالأَنْصَارِ[2] ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ـ

---

(١) الأتراحُ: جمع تَرَحٍ، وهو ضد الفَرَح. «النهاية» (ترح).

(٢) انظر مؤاخاة النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار في «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٥٠٤).

فَكَانَ لِكُلِّ أَنْصَارِيٍّ أَخٌ لَهُ مِنَ المُهَاجِرِيْنَ؛ حَتَّىٰ إِنَّ الأَنْصَارِيَّ لَيَذْهَبُ بِأَخِيْهِ المُهَاجِرِ إِلَىٰ بَيْتِهِ، فَيَعْرِضُ عَلَيْهِ قِسْمَةَ كُلِّ شَيْءٍ فِي بَيْتِهِ مِنْ مَالٍ أَوْ مَتَاعٍ، وَيُشَارِكُهُ حَيَاتَهُ سَرَّاءَهَا وَضَرَّاءَهَا؛ فَأَيُّ إِخَاءٍ فِي الدُّنْيَا يَعْدِلُ هَـٰذَا الإِخَاءَ الإِسْلَامِيَّ؟! قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩].

ثُمَّ مَاذَا حَدَثَ ـ أَيُّهَا المُسْلِمُونَ ـ بَعْدَ أَنْ أَحْكَمَتِ المَادَّةُ سَيْطَرَتَهَا عَلَىٰ قُلُوبِ كَثِيْرٍ مِنْ أَهْلِ الإِسْلَامِ، وَأَلْقَتِ المَدَنِيَّةُ الزَّائِفَةُ ثِقَلَهَا فِيْ كَثِيْرٍ مِنَ البِقَاعِ، وَتَجَاوَزَتِ الدُّنْيَا الأَيْدِيَ إِلَى القُلُوبِ ـ: وَافَقَ ذٰلِكَ ضَعْفٌ فِي الإِيْمَانِ، وَخَلَلٌ فِي التَّرْبِيَةِ، وَانْسِيَاقٌ وَرَاءَ المَلَذَّاتِ وَالمَادِّيَّاتِ؛ فَضَعُفَ التَّحَكُّمُ أَمَامَ المُؤَثِّرَاتِ وَالتَّحَدِّيَاتِ؛ حَدَثَ جَرَّاءَ ذٰلِكَ تَوَتُّرٌ فِي العَلَاقَاتِ الاجْتِمَاعِيَّةِ ـ لِأَتْفَهِ الأَسْبَابِ ـ بَيْنَ كَثِيْرٍ مِنَ النَّاسِ، حَتَّى الأَقْرَبِيْنَ نَسَبًا وَمُصَاهَرَةً، وَرَحِمًا وَمُجَاوَرَةً؛ فَسَادَتِ الخُصُومَاتُ، وَكَثُرَتِ المُنَازَعَاتُ، وَغَلَبَ الجَفَاءُ، وَاسْتَحْكَمَتِ القَطِيْعَةُ؛ فَأَذْهَبَتِ الوُدَّ وَالصَّفَاءَ، وَأَدَّىٰ ذٰلِكَ إِلى الشِّقَاقِ وَالمُرَافَعَاتِ، وَعَمَّتِ الأَثَرَةُ وَالأَنَانِيَةُ وَحُبُّ الذَّاتِ.

مِنْ مَظَاهِرِ ذٰلِكَ ـ وَلَوْ عَجِبْتُمْ ـ: أَلْوَانٌ مِنَ التَّعَامُلِ تَعِجُّ بِهَا السَّاحَةُ الاجْتِمَاعِيَّةُ، تُعَدُّ مِنْ إِفْرَازَاتِ ضَعْفِ الإِخَاءِ الإِسْلَامِيِّ بَيْنَ أَهْلِ الإِسْلَامِ، بَلْ حَتَّىٰ بَيْنَ أَبْنَاءِ الأُسْرَةِ الوَاحِدَةِ، وَمِنْ صُوَرِ ذٰلِكَ: أَخٌ تَحْصُلُ لَهُ مَعَ



أَخِيْهِ ـ ابْنِ أُمِّهِ وَأَبِيْهِ ـ خِلافَاتٌ يَسِيْرَةٌ عَلَىٰ شَيْءٍ قَلِيْلٍ مِنْ حُطَامِ هَـٰذِهِ الدُّنْيَا الفَانِيَةِ، فَتَتَعَقَّدُ القَضِيَّةُ وَتَتَضَخَّمُ المُشْكِلَةُ، وَيَعْجِزُ أَهْلُ الإِصْلَاحِ، وَيَأْبَىٰ كُلُّ وَاحِدٍ إِلاَّ التَّرَدُّدَ عَلَى المَحَاكِمِ، وَدُورِ القَضَاءِ، وَمَرَاكِزِ الشُّرْطَةِ؛ لِلانْتِقَامِ مِنْ أَخِيْهِ، مِنْ أَجْلِ حَفْنَةِ مَالٍ، أَوْ شِبْرٍ مِنَ الأَرْضِ، حَتَّىٰ إِنَّ أَحَدَهُمْ لَمْ يُلْقِ السَّلاَمَ عَلىٰ أَخِيْهِ مُنْذُ أَشْهُرٍ بَلْ سَنَوَاتٍ، فَسُبْحَانَ اللهِ عِبَادَ اللهِ!!

لِمَاذَا كُلُّ هَذَا؟ أَخٌ يَشْتَكِي أَخَاهُ!!

آخَرُ لَمْ يَقِفْ عَلَىٰ بَيْتِ عَمِّهِ وَلاَ خَالِهِ، وَلاَ ابْنِ عَمِّهِ وَلاَ ابْنِ خَالِهِ، لِزِيَارَتِهِمْ، بَلْ وَحَتَّىٰ لَمْ يُكَلِّفْ نَفْسَهُ رَفْعَ سَمَّاعَةِ الهَاتِفِ لِلاتِّصَالِ بِهِمْ مُنْذُ سَنَوَاتٍ عِدَّةٍ مِنْ أَجْلِ مُشَادَّةٍ كَلامِيَّةٍ!

صَدِيْقٌ وَلِيٌّ حَمِيْمٌ، وَزَمِيْلٌ عَزِيْزٌ كَرِيْمٌ، تَصْحَبُهُ السَّنَوَاتِ العَدِيْدَةَ فِي صَفَاءٍ وَوِئَامٍ، فَتَحْدُثُ هَفْوَةٌ، أَوْ تَحْصُلُ زَلَّةٌ وَجَفْوَةٌ، فَتَنْفَصِمُ عُرَا المَحَبَّةِ، وَتَتَصَرَّمُ حِبَالُ المَوَدَّةِ، وَتَتَحَوَّلُ إِلَىٰ ضَغَائِنَ وَأَحْقَادٍ وَظُنُونٍ سَيِّئَةٍ!.

جَارٌ مُلَاصِقٌ، جِدَارُهُ بِجِدَارِكَ، تُحِبُّهُ وَيُحِبُّكَ، تَزُورُهُ وَيَزُورُكَ، فَيَتَخَاصَمُ الأَطْفَالُ ـ كَعَادَتِهِمْ ـ فَتَغْضَبُ الأُمَّهَاتُ، وَتَعْلُو الصَّيْحَاتُ، وَيَتَدَخَّلُ الآبَاءُ العُقَلاَءُ، فَتَنْشَبُ بَيْنَهُمْ مَعْرَكَةٌ حَامِيَةٌ، هُجْرٌ فِي القَوْلِ[1]، وَتَشَابُكٌ بِالأَيْدِيْ، وَتَتَدَخَّلُ الجِهَاتُ المَسْئُولَةُ، وَتُصْبِحُ نَتِيْجَةُ ذٰلِكَ

---

(١) الهُجْرُ في القول: القَبِيْحُ مِنَ الكَلَامِ. انظر: «اللسان» (هجر).



قَطِيْعَةً دَائِمَةً، وَجَفَاءً مُسْتَمِرًّا، وَتَشْهِيْرًا بِالمَجَالِسِ، بَلْ يَدْفَعُ ذٰلِكَ إِلىٰ الاِنْتِقَالِ وَالاِنْتِقَامِ.

فَاللهُ المُسْتَعَانُ! أَهٰذِهِ الأُمَّةُ الوَاحِدَةُ؟! أَهٰذِهِ تَعَالِيْمُ الأُخُوَّةِ الإِسْلاَمِيَّةِ الصَّادِقَةِ؟! كَفَىٰ ـ يَا عِبَادَ اللهِ ـ تَشَاحُنًا وَهَجْرًا، حَذَارِ أَنْ يَنْجَحَ الشَّيْطَانُ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَكُمْ[1]، اصْطَلِحُوا أَيُّهَا المُتَشَاحِنُونَ، وَتَوَاصَلُوا أَيُّهَا المُتَقَاطِعُونَ؛ فَإِنَّ شُؤْمَ التَّشَاحُنِ وَالقَطِيْعَةِ عَظِيْمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ؛ أَلَمْ تَسْمَعُوا قَوْلَهُ ﷺ: «**لاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هٰذَا، وَيُعْرِضُ هٰذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلاَمِ**» أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ، مِنْ حَدِيْثِ أَبِيْ أَيُّوبَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ[2] وَقَوْلَهُ ـ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ـ فِيْمَا رَوَاهُ البُخَارِيُّ، مِنْ حَدِيْثِ أَنَسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ: «**أُنْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا**»[3]، وَقَوْلَهُ: «**تُعْرَضُ الأَعْمَالُ يَوْمَ الاثْنَيْنِ، وَيَوْمَ الخَمِيْسِ، فَيُغْفَرُ لِمَنْ لاَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا، إِلاَّ رَجُلاً بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيْهِ شَحْنَاءُ، يَقُولُ: دَعُوا هٰذَيْنِ حَتَّىٰ يَصْطَلِحَا**»؛ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ، وَغَيْرُهُ؛ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[4].

---

(١) التحريش بين القوم: الإفساد بينهم، وإِغْرَاءُ بعضهم ببعض «اللسان» (حرش).

(٢) «صحيح البخاري» (٦٠٧٧)، و«صحيح مسلم» (٢٥٦٠).

(٣) «صحيح البخاري» (٢٤٤٣).

(٤) رواه الطيالسي (٢٥٢٥)، وأحمد (٢/ ٢٦٨)، ومسلم (٢٥٦٥).



وَعَلَىٰ صَعِيْدٍ آخَرَ - أَيُّهَا الأَحِبَّةُ فِي اللهِ - مَا مَدَىٰ إِسْهَام أَهْلِ الإِسْلاَمِ فِي تَحْقِيْقِ الأُخُوَّةِ الإِسْلاَمِيَّةِ؟! بِمَعْنَىٰ: مَنْ مِنَّا نَظَرَ فِي حَالِ إِخْوَانِهِ، وَأَوْضَاعِ جِيْرَانِهِ، لاَسِيَّمَا مِنْ أَهْلِ الفَقْرِ وَالفَاقَةِ، وَالضَّعْفِ وَالعَجْزِ وَالحَاجَةِ؛ فَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ فَضْلُ مَالٍ أَوْ غِذَاءٍ أَوْ كِسَاءٍ فَلْيُفَتِّشْ عَنْ إِخْوَانِهِ المُحْتَاجِيْنَ، وَمَا أَكْثَرَهُمْ! فَإِنَّ ذٰلِكَ تَحْقِيْقٌ لِلتَّكَافُلِ، وَغَرْسٌ لِلْمَحَبَّةِ؛ وَذٰلِكَ يَحْتَلُّ القَدْرَ الكَبِيْرَ مِنَ الأَجْرِ الجَزِيْلِ عِنْدَ اللهِ جَلَّ وَعَلاَ، أَمَّا الَّذِيْنَ يَتَقَلَّبُونَ فِي نِعَمِ اللهِ، وَعَلَىٰ بُعْدِ أَمْتَارٍ مِنْهُمْ إِخْوَةٌ لَهُمْ فِي الإِسْلاَمِ يَتَضَوَّرُونَ جُوعًا[1]، فَلَمْ يُحَقِّقُوا هَـٰذَا المَبْدَأَ العَظِيْمَ.

أُمَّةَ الإِسْلاَمِ، وَحِيْنَ نُذَكِّرُ بِوَاجِبِ الأُخُوَّةِ الإِسْلاَمِيَّةِ، فَإِنَّنَا لاَ نَنْسَىٰ إِخْوَةً لَنَا فِي العَقِيْدَةِ، فِي بِقَاعٍ كَثِيْرَةٍ مِنْ عَالَمِنَا الإِسْلاَمِيِّ، لَهُمْ عَلَيْنَا وَاجِبُ الدَّعْمِ وَالمُؤَازَرَةِ، وَالدُّعَاءِ وَالبَذْلِ وَالمُنَاصَرَةِ، وَيَأْتِي فِي مُقَدِّمَةِ هَـٰؤُلاَءِ: الشُّعُوبُ المُجَاهِدَةُ الصَّابِرَةُ، وَالأَقَلِّيَّاتُ المُسْلِمَةُ المُضْطَهَدَةُ فِي كُلِّ مَكَانٍ.

فَأَقُولُ لِلَّذِيْنَ جَفَّتْ أَيْدِيهِمْ مِنَ البَذْلِ، وَتَوَقَّفَتْ أَلْسِنَتُهُمْ عَنِ الدُّعَاءِ لإِخْوَانِهِمْ: لاَ تَفْعَلُوا ذٰلِكَ؛ فَإِخْوَانُكُمْ بِأَمَسِّ الحَاجَةِ إِلَىٰ دَعْمِكُمْ وَبَذْلِكُمْ وَدُعَائِكُمْ، وَلاَ تَسْتَقِلُّوا شَيْئًا تَدْفَعُونَهُ وَتُقَدِّمُونَهُ.

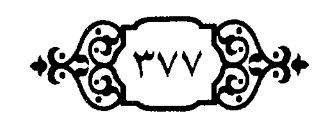
(١) يَتَضَوَّرون جُوعًا، أي: يَتَلَوَّوْنَ ويصيحون من الجوع. «تاج العروس» (ضور).



أَمَّا إِخْوَانُنَا فِي الأَرْضِ المُبَارَكَةِ - وَسَلَامُ اللهِ عَلَىٰ أَرْضِ المِعْرَاجِ المُبَارَكَةِ - فَإِنَّهُمْ فِي بُطُولَةٍ مُسْتَمِرَّةٍ وَجِهَادٍ مُسْتَمِيْتٍ، وَلَوْ قَلَّ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَهُمْ يَتَطَلَّعُونَ إِلَىٰ دَعْمِ إِخْوَانِهِمُ المُسْلِمِيْنَ، وَمُنَاصَرَتِهِمْ، وَالدُّعَاءِ لَهُمْ؛ حَتَّىٰ يُطَهِّرَ اللهُ أَرْضَ الأَقْصَى المُبَارَكِ مِنَ احْتِلَالِ الغَاصِبِيْنَ، وَرِجْسِ الغَاشِمِيْنَ، ﴿ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [إبراهيم: ٢٠، فاطر: ١٧].

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ؛ ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الحجرات].

بَارَكَ اللهُ لِيْ وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيْمِ، وَنَفَعَنِيْ وَإِيَّاكُمْ بِهَدْيِ سَيِّدِ المُرْسَلِيْنَ، أَقُولُ قَوْلِي هَـٰذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيْمَ الجَلِيْلَ لِيْ وَلَكُمْ وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ، مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيْمُ.



الخطبة الثانية

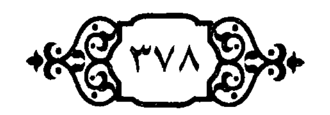
الحَمْدُ للهِ كَمَا يَنْبَغِيْ لِجَلَالِ وَجْهِهِ وَلِعَظِيْمِ سُلْطَانِهِ، أَحْمَدُهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ عَظِيْمِ فَضْلِهِ وَأَشْكُرُهُ عَلَىٰ جَزِيْلِ إِحْسَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَن لا إِلـٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ تَعْظِيْمًا لِشَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الدَّاعِيْ إِلَىٰ مَغْفِرَتِهِ وَرِضْوَانِهِ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَأَتْبَاعِهِ وَإِخْوَانِهِ.

أما بعد:

فَاتَّقُوا اللهَ ـ عِبَادَ اللهِ ـ وَاعْلَمُوا أَنَّ مِنْ لَوَازِمِ تَقْوَاهُ القِيَامَ بِحُقُوقِ الأُخُوَّةِ فِي اللهِ؛ فَرَوِّضُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَىٰ أَنْ تُحِبُّوا لإِخْوَانِكُمُ المُسْلِمِيْنَ مَا تُحِبُّونَهُ لأَنْفُسِكُمْ؛ قَالَ يَحْيَى الرَّازِيُّ: «**لِيَكُنْ أَقَلَّ حَظِّ المُؤْمِنِ مِنْكَ ثَلاَثٌ: إِنْ لَمْ تَنْفَعْهُ فَلاَ تَضُرَّهُ، وَإِنْ لَمْ تُفْرِحْهُ فَلاَ تَغُمَّهُ، وَإِنْ لَمْ تَمْدَحْهُ فَلاَ تَذُمَّهُ**»[1].

وَاعْلَمُوا ـ رَحِمَكُمُ اللهُ ـ أَنَّ خِذْلاَنَ المُسْلِمِ شَيْءٌ عَظِيْمٌ، يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ انْفِصَامُ عُرَا الأُخُوَّةِ، وَجَلْبُ الذِّلَّةِ وَالمَهَانَةِ لِلْجَمِيْعِ، وَمَا هَانَ المُسْلِمُونَ إِلاَّ يَوْمَ أَنْ وَهَنَتْ أَوَاصِرُ الأُخُوَّةِ بَيْنَهُمْ، وَأَصْبَحَ الأَخُ يَتَنَكَّرُ لأَخِيْهِ، فِي الوَقْتِ الَّذِيْ تَجَمَّعَ فِيْهِ أَعْدَاءُ الإِسْلاَمِ عَلَى المُسْلِمِيْنَ؛

(١) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (ص٢٩٤).



﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الأنفال].

فَالتَّوْبَةَ التَّوْبَةَ، يا أَهْلَ الأَوْبَةِ، مِنْ دَاءِ التَّنَافُرِ وَالتَّنَاحُرِ، وَالتَّشَاحُنِ وَالتَّدَابُرِ!! وَأَفِيْضُوا جَمِيْعًا إِلَىٰ ظِلَالِ المَحَبَّةِ وَالسَّلَامِ، وَالتَّعَاوُنِ وَالأُخُوَّةِ وَالوِئَامِ؛ تُحَقِّقُوا مَا تَصْبُونَ إِلَيْهِ مِنْ رُشْدٍ وَخَيْرٍ، فِي دُنْيَاكُمْ وَأُخْرَاكُمْ، وَلَعَلِّي أُذَكِّرُ أَنَّ مِنْ ثَمَرَاتِ هَـٰذَا الكَلَامِ عَمَلِيًّا أَنْ يَسْعَىٰ وَيُبَادِرَ كُلُّ مُتَشَاحِنَيْنِ إِلَى التَّسَامُحِ وَالصَّفَاءِ، وَالتَّزَاوُرِ وَالنَّقَاءِ؛ فَوْرَ مَا يَسْمَعُونَ هَـٰذَا الكَلَامَ، وَلْيَعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَهُمَا عِنْدَ اللهِ وَأَبْعَدَهُمَا مِنَ الشَّيْطَانِ الَّذِيْ يَبْدَأُ بِالصِّلَةِ وَالسَّلَامِ[1]، وَمَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيْلٌ يَا عِبَادَ اللهِ، ﴿ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾ [القصص: ٦٠].

هَـٰذَا؛ وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللهُ - عَلَىٰ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ وَالهُدَىٰ؛ كَمَا أَمَرَكُمْ بِذَٰلِكَ رَبُّكُمْ جَلَّ وَعَلَا؛ فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب].

* * *

---

(١) كما مر في حديث «الصحيحين» المتقدم (ص٣٧٥).

الخطبة الأولى

إِنَّ الحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَسْتَهْدِيْهِ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلـهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النساء]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب].

أما بعد:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الحَدِيْثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ.

عِبَادَ اللهِ، يَهْدِفُ الإِسْلاَمُ إِلَىٰ بِنَاءِ الفَرْدِ المُسْلِمِ بِنَاءً مُحْكَمًا

مُتكَامِلاً، قُوَّةً فِي الإِيْمَانِ وَالعَقِيْدَةِ، وَسَلاَمَةً فِي الصَّدْرِ والدَّخِيْلَةِ، وَنَصَاعَةً فِي المَنْهَجِ وَالسِّيْرَةِ، وَطَهَارَةً فِي القَلْبِ والسَّرِيْرَةِ، وَنَزَاهَةً فِي الخُلُقِ وَالسُّلُوكِ؛ لِيَعِيْشَ المَرْءُ فِي ظِلِّ الإِسْلاَمِ قَرِيْرَ العَيْنِ، سَلِيْمَ القَلْبِ، مُبَرَّأً مِنْ وَسَاوِسِ الضَّغِيْنَةِ والشَّحْنَاءِ، مُنَزَّهًا عَنْ سُلُوكِ الحَسَدِ والبَغْضَاءِ، وَلَيْسَ أَبْعَدَ لِلْهُمُومِ وَأَطْرَدَ لِلْوَسَاوِسِ وَالغُمُومِ وَلاَ أَنْصَعَ لِلصَّفْحَةِ مِنَ الرِّضَا بِاللهِ، وَالرِّضَا عَنِ اللهِ، فِي قَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، وَفِي عَدْلِهِ وَحُكْمِهِ وَاخْتِيَارِهِ لِعِبَادِهِ.

يَا طَالِبَ العَيْشِ فِي أَمْنٍ وَفِي دَعَةٍ ... رَغْدًا بِلاَ قَتَرٍ صَفْوًا بِلاَ قَلَقِ
خَلِّصْ فُؤَادَكَ مِنْ غِلٍّ وَمِنْ حَسَدٍ ... فَالغِلُّ فِي القَلْبِ مِثْلُ الغُلِّ فِي العُنُقِ

إِخْوَةَ الإِيْمَانِ، إِنَّ الفَرْدَ المُتَحَلِّيَ بِهَـٰذِهِ السَّجَايَا الكَرِيْمَةِ هُوَ لَبِنَةُ المُجْتَمَعِ المِثَالِيِّ، وَنَوَاةُ الأُمَّةِ الإِسْلاَمِيَّةِ الحَقَّةِ؛ حَيْثُ يَنْشُدُ الإِسْلاَمُ إِقَامَةَ المُجْتَمَعِ المُتَمَاسِكِ، وَالكِيَانِ الشَّامِخِ، الَّذِيْ تُرَفْرِفُ بَيْنَ جَنَبَاتِهِ رَايَاتُ المَحَبَّةِ وَالوِئَامِ، وَالمَوَدَّةِ وَالإِيْثَارِ والسَّلاَمِ، وَتَرْبِطُ بَيْنَ أَبْنَائِهِ وَشَائِجُ الحُبِّ المُتَبَادَلِ، وَالوُدِّ المُشْتَرَكِ، وَالتَّعَاوُنِ الشَّائِعِ البَنَّاءِ، بَعِيْدًا عَنِ الأَثَرَةِ المَمْقُوتَةِ، وَالفَرْدِيَّةِ المُتَسَلِّطَةِ، وَالأَنَانِيَّةِ الشَّخْصِيَّةِ، الَّتِيْ إِنْ نَمَتْ جُذُورُهَا، وَتَفَرَّعَتْ أَشْوَاكُهَا، أَذْوَتْ زَهَرَاتِ الإِيْمَانِ المُتَفَتِّحَةَ، وَشَوَّهَتْ أَنْوَارَ عِقْدِ الإِسْلاَمِ الوَضَّاءَةَ المُتَلأْلِئَةَ؛ وَلِذٰلِكَ حَارَبَ الإِسْلاَمُ الأَمْرَاضَ القَلْبِيَّةَ، وَالأَدْوَاءَ النَّفْسِيَّةَ وَالاِجْتِمَاعِيَّةَ، وَاعْتَنَىٰ بِوَصْفِهَا



وَتَشْخِيْصِهَا أَكْثَرَ مِنَ الأَمْرَاضِ الجَسَدِيَّةِ وَالأَدْوَاءِ البَدَنِيَّةِ؛ فَحِيْنَمَا يَحُلُّ المَرَضُ بِالبَدَنِ: يُهْرَعُ[1] الإِنْسَانُ إِلَىٰ أَمْهَرِ طَبِيْبٍ لِيَصِفَ لَهُ العِلَاجَ الشَّافِيَ بِإِذْنِ اللهِ؛ لَـٰكِنَّ أَمْرَاضَ القُلُوبِ قَدْ لا يُحِسُّ بِهَا المَرْءُ حَتَّىٰ تُفْسِدَ عَلَيْهِ دِيْنَهُ، والعِيَاذُ بِاللهِ!.

لِذَا فَقَدْ أَحَاطَ الإِسْلَامُ المُجْتَمَعَ بِحِصْنٍ مَنِيْعٍ؛ حَتَّىٰ لاَ تَتَسَرَّبَ إِلَيهِ هَـٰذِهِ الأَدْوَاءُ القَاتِلَةُ، وَالأَمْرَاضُ القَلْبِيَّةُ الفَتَّاكَةُ، وَحَافَظَ عَلَىٰ سَفِيْنَةِ المُجْتَمَعِ أَنْ تَخْرِقَهَا هَـٰذِهِ الأَدْوَاءُ؛ فَتُطَوِّحَ بِهَا بَعِيْدًا عَنْ شَاطِىءِ الأَمْنِ وَالأَمَانِ، وَدَوْحَةِ الخَيْرِ وَالاطْمِئْنَانِ؛ فَيَتَسَرَّبَ الإِيْمَانُ مِنْهُ تَسَرُّبَ المَاءِ مِنَ الإِنَاءِ المَثْلُومِ[2]، وَيَغْرَقَ المُجْتَمَعُ فِي لُجَجِ الضَّغَائِنِ وَالأَحْقَادِ، وَأَمْوَاجِ الشَّرِّ وَالفَسَادِ، وَالأَثَرَةِ وَالعِنَادِ؛ فَيَكُونَ فَرِيْسَةً لِلطَّامِعِيْنَ، وَصَيْدًا سَمِيْنًا لِلأَعْدَاءِ المُتَرَبِّصِيْنَ، يُحْكِمُونَ عَلَيْهِ قَبْضَتَهُمْ، وَيَنْفُثُونَ سُمُومَهُمْ، وَيَقَعُ عَلَىٰ أَيْدِيهِمْ خَرَابُ البِلَادِ وَالعِبَادِ؛ عِيَاذًا بِاللهِ مِنْ سَخَطِهِ وَأَلِيْمِ عِقَابِهِ!.

أُمَّةَ الإِسْلَامِ، هُنَاكَ دَاءٌ عُضَالٌ، وَمَرَضٌ قَلْبِيٌّ قَتَّالٌ، مَا فَشَا فِي أُمَّةٍ إِلاَّ كَانَ نَذِيْرَ هَلَاكِهَا، وَمَا دَبَّ فِي دِيَارٍ إِلاَّ كَانَ سَبِيْلَ فَنَائِهَا، وَمَا انْتَشَرَ فِي صُفُوفِ جَمَاعَةٍ إِلاَّ كَانَ سَبَبَ شَقَائِهَا وَبَلَائِهَا، إِنَّهُ مَصْدَرُ كُلِّ بَلَاءٍ، وَمَنْبَعُ

---

(١) يُهْرَعُ: يُسْرِعُ من اضطراب. انظر: «القاموس» (هرع).

(٢) أي: المكسورةِ شَفَتُهُ. «اللسان» (ثلم).



كُلِّ عَدَاءٍ، وَأَصْلُ كُلِّ شَقَاءٍ؛ سِلَاحٌ مَضَّاءٌ، وَسَيْفٌ بَتَّارٌ، يَضْرِبُ بِهِ الشَّيْطَانُ القُلُوبَ فَتَتَمَزَّقُ، وَالمُجْتَمَعَاتِ فَتَتَفَرَّقُ؛ يُفْسِدُ المَوَدَّةَ، وَيَقْطَعُ حِبَالَ المَحَبَّةِ، وَيَهْدِمُ أَوَاصِرَ القُرْبَىٰ؛ يَغْرِسُ الضَّغِينَةَ وَالبَغْضَاءَ، وَيَزْرَعُ الحِقْدَ وَالشَّحْنَاءَ، وَيُنْبِتُ العَدَاوَةَ وَاللأْوَاءَ، بَلْ يَحْلِقُ الدِّينَ، وَيَهْدِمُ الدُّنْيَا، وَيَقْضِي عَلَىٰ بَوَاعِثِ الخَيْرِ بَيْنَ المُؤْمِنِينَ.

ذَٰلِكُمْ - يَا عِبَادَ اللهِ - هُوَ دَاءُ الحَسَدِ؛ تَمَنِّي زَوَالِ نِعْمَةِ اللهِ عَنِ الغَيْرِ، وَكَرَاهِيَةُ وُصُولِ الخَيْرِ لِلْغَيْرِ، وَتِلْكَ خَصْلَةٌ ذَمِيمَةٌ، تُعْمِي عَنِ الفَضَائِلِ، وَتَأْخُذُ صَاحِبَهَا إِلَىٰ طَرِيقِ الرَّذَائِلِ؛ حَتَّىٰ تَقْضِيَ عَلَيْهِ بِأَشَدِّ المَعَاوِلِ، أَلَا قَاتَلَ اللهُ الحَسَدَ مَا أَعْدَلَهُ! لَمْ يَزَلْ بِصَاحِبِهِ حَتَّىٰ قَتَلَهُ!

إِصْبِرْ عَلَىٰ حَسَدِ الحَسُو ... دِ فَإِنَّ صَبْرَكَ قَاتِلُهْ
فَالنَّارُ تَأْكُلُ نَفْسَهَا ... إِنْ لَمْ تَجِدْ مَا تَأْكُلُهْ[1]

الحَسَدُ - يَا عِبَادَ اللهِ - دَاءُ الأُمَمِ، وَسَرَطَانُ الشُّعُوبِ؛ رَوَى الإِمَامُ أَحْمَدُ، وَالتِّرْمِذِيُّ؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الأُمَمِ قَبْلَكُمْ: الحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ، وَالبَغْضَاءُ هِيَ الحَالِقَةُ، لَا أَقُولُ: تَحْلِقُ الشَّعْرَ، وَلَكِنْ تَحْلِقُ**

---

(١) انظر: «أدب الدنيا والدين» للماوردي (ص ٤٢٥)، والبيتان - أيضًا - في «العقد الفريد» لابن عبد ربه (٢/ ٣١٢)، قال: أنشدني فتًى بالرَّمْلَة، يعني: قرطبة، وذكرهما.



الدِّيْنَ»[1].

فَمَا أَوْرَدَ الْأُمَمَ أَشَرَّ مَوَارِدِ العَطَبِ، وَأَصْدَرَهَا أَفْظَعَ مَصَارِعِ الهَلاَكِ إِلاَّ الحَسَدُ، مَا أَذْهَبَ رِيْحَ الأُمَّةِ، وَفَرَّقَ كَلِمَتَهَا، وَمَزَّقَ وَحْدَتَهَا، وَأَخَلَّ بِصُفُوفِهَا: إِلاَّ الحَسَدُ وَالحَاسِدُونَ، لا كَثَّرَهُمُ اللهُ! وَلاَ عَجَبَ؛ فَإِنَّهُ أَوَّلُ ذَنْبٍ عُصِيَ اللهُ بِهِ، وَمِنْهُ انْطَلَقَتْ أَوَّلُ شَرَارَةٍ؛ لِتُوقِدَ عَوَامِلَ الشَّقَاءِ فِي الإِنْسَانِيَّةِ: فَمَا الَّذِيْ أَوْقَعَ إِبْلِيْسَ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ إِلاَّ حَسَدُهُ لأَبِيْنَا آدَمَ، عَلَيْهِ السَّلاَمُ؟! وَمَا الَّذِيْ حَمَلَ قَابِيْلَ عَلَىٰ قَتْلِ هَابِيْلَ إِلاَّ حَسَدُهُ لأَخِيْهِ؛ ﴿ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [المائدة]؟! وَمَا الَّذِيْ حَمَلَ إِخْوَةَ يُوسُفَ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا بِهِ إِلاَّ الحَسَدُ؛ ﴿ إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ﴾ [يوسف]؟!

وَمَا الَّذِيْ حَمَلَ اليَهُودَ - عَلَيْهِمْ لَعَائِنُ اللهِ المُتَتَابِعَةُ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ! - عَلَىٰ جَحْدِ نُبُوَّةِ الرَّسُولِ ﷺ، وَالسَّعْيِ فِي بَثِّ الفَسَادِ فِي هَٰذِهِ الأُمَّةِ إِلاَّ الحَسَدُ؟! قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ ﴾ [البقرة: ١٠٩]، وَهُوَ الَّذِيْ دَفَعَ كُفَّارَ قُرَيْشٍ إِلَىٰ الاِسْتِكْبَارِ عَنْ دَعْوَةِ النَّبِيِّ ﷺ؛ ﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ

---

(١) «المسند» (١/ ١٦٧)، و«جامع الترمذي» (٢٥١٠)؛ من حديث الزبير بن العوام، رضي الله عنه.



رَحْمَتَ رَبِّكَۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّاۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الزخرف].

أُمَّةَ الإِسْلَامِ، وَالْيَوْمَ مَا فَرَّقَ الأُمَّةَ شِيَعًا مُتَنَاحِرَةً، وَأَحْزَابًا مُتَنَاكِرَةً إِلاَّ الحَسَدُ، وَمَا ظَهَرَ الخِلَافُ فِي الأُمَّةِ حَتَّىٰ ذَهَبَ مَجْدُهَا، وَضَعُفَ أَمْرُهَا، وَوَهَنَ عَزْمُهَا، وَمَاتَسَلَّطَ عَلَيْهَا أَعْدَاؤُهَا إِلاَّ بِالحَسَدِ، وَمَا انْقَسَمَتِ الأُمَّةُ إِلَىٰ قَوْمِيَّاتٍ، وَتَفَرَّقَتْ إِلَىٰ دُوَيْلَاتٍ؛ فَهُمْ فِي عَالَمِ السِّيَاسَةِ مَذَاهِبُ شَتَّىٰ، وَفِي عَالَمِ الاقْتِصَادِ وَالاجْتِمَاعِ وَالسُّلُوكِ مَشَارِبُ شَتَّىٰ، حَتَّىٰ شُغِلَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ، بَلْ نَهَشَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَتَفَرَّقُوا أَيْدِيْ سَبَا[1] - إِلاَّ بِالحَسَدِ وَالبَغْضَاءِ، والحِقْدِ والشَّحْنَاءِ.

وَكَمَا قِيلَ:

. . . . مَا أَشْبَهَ اللَّيْلَةَ بِالبَارِحَهْ![2]

فَمَا يَفْعَلُهُ يَهُودُ اليَوْمِ، وَصَهَايِنَةُ العَصْرِ، بِإِخْوَانِنَا فِي فِلَسْطِيْنَ المُسْلِمَةِ - مِنْ إِبْعَادِهِمْ عَنْ أَرْضِهِمْ، وَحِرْمَانِهِمْ مِنْ وَطَنِهِمْ وَأَهْلِهِمْ، وَأَوْلَادِهِمْ

---

(١) يُقال في المَثَل: تفرَّقوا أيديْ سبا، أي: تفرَّقوا تفرُّقًا لا اجتماع بعده. انظر: «مجمع الأمثال» للميداني (١/ ٢٧٥).

(٢) هذا عجز بيت لطرفة بن العبد البكري أحد فحول شعراء المعلَّقات، والبيت بتمامه:

كُلُّهُمْ أَرْوَغُ مِنْ ثَعْلَبٍ ... مَا أَشْبَهَ اللَّيْلَةَ بِالْبَارِحَهْ!

أي: ما أشبه بعض القوم ببعض، والبيت من أشعار الأمثال. انظر: «مجمع الأمثال» (٢/ ٢٧٥).



وَأَمْوَالِهِمْ ـ إِلاَّ بُرْهَانٌ عَلىٰ الصَّلَفِ الصُّهْيُونِيِّ، والحَسَدِ اليَهُودِيِّ، وَمَا تَجَاوُزَاتُ الصِّرْبِ النَّصارىٰ، وَأَعْمَالُهُمُ الشَّنْعَاءُ، وَجَرَائِمِهُمُ النَّكْرَاءُ فِي جُمْهُورِيَّةِ البُوسْنَةِ والهِرْسِكِ ـ إِلاَّ دَلِيْلٌ عَلَى الحِقْدِ الصَّلِيْبِيِّ والحَسَدِ الصِّرْبِيِّ عَلَى الإِسْلاَمِ وَالمُسْلِمِيْنَ، وَمَا أَفْعَالُ الهِنْدُوسِ الوَثَنِيِّيْنَ فِي بِلاَدِ الهِنْدِ، وَهَدْمُهُمْ لِلْمَسَاجِدِ، وَإِهَانَتُهُمْ لِلْمَشَاعِرِ والشَّعَائِرِ ـ حَتَّىٰ أَرَاقُوا الدِّمَاءَ، وَمَزَّقُوا الأَشْلاَءَ، وَهَدَمُوا مُشَيَّدَ البِنَاءِ، وَقَتَلُوا الأَطْفَالَ ورَمَّلُوا النِّسَاءَ ـ إِلاَّ دَلِيْلٌ عَلَى الحِقْدِ الوَثَنِيِّ عَلَىٰ كُلِّ مَا يَمُتُّ إِلَى الإِسْلاَمِ بِصِلَةٍ.

وَقُلْ مِثْلَ ذٰلِكَ فِي الصُّومَالِ، وَكَشْمِيْرَ، وَبُورْمَا، وَإِرِيتْرِيَا، وَالفِلِبِّيْنِ، وَغَيْرِهَا مِنَ البِقَاعِ.

فَالحَسَدُ ـ يَا أُمَّةَ الإِسْلاَمِ ـ خَصْلَةٌ شَيْطَانِيَّةٌ، وَخَلَّةٌ يَهُودِيَّةٌ، وَغَلَيَانَاتٌ عُدْوَانِيَّةٌ، وهَيَجَانَاتٌ إِبْلِيسِيَّةٌ، يَبُثُّهَا إِبْلِيسُ، وَأَعْوَانُ إِبْلِيْسَ فِي كُلِّ زَمَانٍ؛ وَإِنَّهُ لَوَخِيْمُ المَرْتَعِ، شَدِيْدُ النِّكَايَةِ، سَيِّءُ العَاقِبَةِ؛ يَحْرِقُ القُلُوبَ، وَيَبْعَثُ المِحَنَ والكُرُوبَ، وَيَجْلِبُ العُدْوَانَ والخُصُومَاتِ والخُطُوبَ، وَيَدَعُ الدِّيَارَ بَلاَقِعَ[1]، حَذَّرَ مِنْهُ المُصْطَفَىٰ ﷺ أُمَّتَهُ؛ فَقَالَ فِيْمَا صَحَّ عَنْهُ: «**لاَ تَحَاسَدُوا**[2]**، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَجَسَّسُوا، وَلاَ تَحَسَّسُوا**[3]**، وَلاَ**

---

(١) البلاقع: جمع بَلْقَع وبلقعة، وهي الأرض القفر التي لا شيء بها. «النهاية» (بلقع).

(٢) أصلها: «لا تتحاسدوا»، وحذفت إحدى التاءين، وكذا ما بعده من أفعال.

(٣) التَّجسُّس، بالجيم: البحث عن العورات، والتحسس، بالحاء: الاستماع لحديث =

تَنَاجَشُوا[1]، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا»[2].

إِخْوَةَ الإِيْمَانِ، الحَسَدُ يُذْهِبُ الحَسَنَاتِ، وَيُلْهِبُ السَّيِّئَاتِ؛ رَوَىٰ أَبُو دَاوُدَ فِي «سُنَنِهِ»، مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: **«إِيَّاكُمْ والحَسَدَ؛ فَإِنَّ الحَسَدَ يَأْكُلُ الحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الحَطَبَ»**، أَوْ قَالَ: **«العُشْبَ»**[3].

أَلاَ قَاتَلَ اللهُ الحَسَدَ! كَمْ أَذْهَبَ مِنْ نِعْمَةٍ! وَكَمْ أَحَلَّ مِنْ نِقْمَةٍ! وَكَمْ فَرَّقَ بَيْنَ الإِخْوَةِ، وَشَتَّتَ شَمْلَ الأَحِبَّةِ!! غَيْرَ أَنَّ المَحْسُودِيْنَ هُمْ أَهْلُ الفَضْلِ وَالمَعَالِيْ.

مَا يُحْسَدُ المَرْءُ إِلاَّ مِنْ فَضَائِلِهِ ... بِالعِلْمِ والظَّرْفِ أَوْ بِالبَأْسِ والجُودِ

* * *

إِنْ يَحْسُدُونِي فَإِنِّيْ لاَ أَلُومُهُمُ ... قَبْلِيْ مِنَ النَّاسِ أَهْلُ الفَضْلِ قَدْ حُسِدُوا
فَدَامَ لِيْ وَلَهُمْ مَا بِيْ وَمَا بِهِمُ ... وَمَاتَ أَكْثَرُنَا غَيْظًا بِمَا يَجِدُ[4]

= القوم. وفيهما أقوال أخر. انظرها في: «النهاية» (جسس).

(١) من النَّجْش في البيع، وهو أن يمدح السلعة ليروِّجَهَا، أو يزيد في ثمنها، وهو لا يريد شراءها؛ ليقع غيره فيها. «النهاية» (نجش).

(٢) رواه البخاري (٦٠٦٤)، ومسلم (٢٥٦٣)؛ من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

(٣) «سنن أبي داود» (٤٩٠٣).

(٤) البيتان بلا نسبة في «العقد الفريد» (٢ / ٣١٣)، و«شرح قطر الندى» لابن هشام (ص ٤٧٠).

مَعَاشِرَ المُسْلِمِيْنَ، الحَسَدُ جَمْرَةٌ تَتَّقِدُ، ونَارٌ تَضْطَرِمُ، وَصَاحِبُهُ سَيِّءُ النِّيَّةِ، خَبِيْثُ الطَّوِيَّةِ، مُعَاقَبٌ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ الآخِرَةِ؛ قَالَ أَبُو اللَّيْثِ السَّمَرْقَنْدِيُّ: «يَصِلُ إلى الحَاسِدِ خَمْسُ عُقُوبَاتٍ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ حَسَدُهُ إلى المَحْسُودِ: غَمٌّ لاَ يَنْقَطِعُ، وَمُصِيْبَةٌ لاَ يُؤْجَرُ عَلَيْها، وَمَذَمَّةٌ لاَ يُحْمَدُ عَلَيْهَا، وَسَخَطُ الرَّبِّ، وَغَلْقُ بَابِ التَّوْفِيْقِ»[1]، عِيَاذًا بِاللهِ.

حَسَدُوا الفتَىٰ إِذْ لَمْ يَنَالُوا سَعْيَهُ ... فَالكُلُّ أَعْدَاءٌ لَهُ وَخُصُومُ

كَضَرَائِرِ الحَسْنَاءِ قُلْنَ لِوَجْهِهَا ... حَسَدًا وَبَغْيًا إِنَّهُ لَدَمِيْمُ

وَتَرَى اللَّبِيبَ مُحَسَّدًا لَمْ يَجْتَرِمْ ... شَتْمَ الرِّجَالِ وَعِرْضُهُ مَشْتُومُ[2]

الحَاسِدُ: لاَ يَجْلِبُ إِلاَّ ضَرَرًا، وَلاَ يُورِثُ إِلاَّ خَطَرًا، وَلا يَنْظُرُ إِلاَّ شَزْرًا[3]، وَلاَ يُضْمِرُ إِلاَّ غَدْرًا، وَلاَ يَعْمَلُ إِلاَّ شَرًّا، وَلاَ يُدَبِّرُ إِلاَّ مَكْرًا؛ النِّعْمَةُ لاَ تُرْضِيْهِ، وَالمِنَّةُ تُؤْذِيْهِ، وَالنِّعْمَةُ عَلَيْكَ تُشْقِيْهِ.

و«الحَسُودُ لاَ يَسُودُ»[4]، وَلاَ يَبْلُغُ المَقْصُودَ، يَقْتُلُ نَفْسَهُ، وَيُؤَجِّجُ نَارَ الحِقْدِ فِي صَدْرِهِ حَيْثُ لاَ يَشْعُرُ المَحْسُودُ، وَفِي حَدِيْثٍ عِنْدَ النَّسَائِيِّ،

---

(١) «تنبيه الغافلين» لأبي الليث السمرقندي (١/ ١٩٠).

(٢) الأبيات لأبي الأسود الدُّؤليِّ. انظر: «خزانة الأدب» للبغدادي (٨/ ٥٦٧).

(٣) النظر الشَّزْر: نَظَرٌ فيه إعراض؛ كَنَظَرِ المُعَادِي المُبْغِضِ. «اللسان» (شزر).

(٤) هذا من الأمثال التي استعملها المولَّدون، يضربونه في ذم الحسد. انظر: «مجمع الأمثال» (١/ ٢٣٠).



وَابْنِ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ»، والبَيْهَقِيِّ فِي «شُعَبِ الإِيمَانِ»: «**لاَ يَجْتَمِعُ فِي جَوْفِ عَبْدٍ الإِيْمَانُ وَالحَسَدُ**»[1]، وَعِنْدَ الطَّبَرَانِيِّ: «**لاَ يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا لَمْ يَتَحَاسَدُوا**»[2].

وَقَدْ يَئِسَ الشَّيْطَانُ مِنْ إِيْقَاعِ المُسْلِمِ فِي الشِّرْكِ وَالوَثَنِيَّةِ؛ لَكِنَّهُ لاَ يَيْئَسُ أَنْ يُحَرِّشَ بَيْنَ المُسْلِمِيْنَ، رَوَىٰ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ، عَنْ جَابِرٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ المُصَلُّونَ فِي جَزِيْرَةِ العَرَبِ، ولَكِنْ فِي التَّحْرِيْشِ بَيْنَهُمْ**[3]»[4].

وَمِنَ المَعْلُومِ ـ رَحِمَكُمُ اللهُ ـ أَنَّ مِنْ لَوَازِمِ الحَسَدِ، وَآثَارِ الحِقْدِ: سُوءَ الظَّنِّ بِالإِخْوَانِ، وَتَتَبُّعَ العَوْرَاتِ، والنَّفْخَ فِي الهَنَاتِ، وَنَشْرَ السَّقَطَاتِ، وَتَلَمُّسَ العَثَرَاتِ. وَإِنَّ الحَاسِدِيْنَ لَيَجِدُونَ فِي الغِيْبَةِ، وَنَهْشِ الأَعْرَاضِ، والنَّمِيْمَةِ: مُتَنَفَّسًا لأَحْقَادِهِمُ المَدْفُونَةِ، وخَبَايَاهُمُ المَكْنُونَةِ؛ فَلاَ يَسْتَرِيْحُونَ إِلاَّ إِذَا نَشَرُوا المَعَايِبَ، وَلاَ يَتَلَذَّذُونَ إِلاَّ بِإِذَاعَةِ الأَخْطَاءِ والمَثَالِبِ، وَايْمُ اللهِ! إِنَّ ذٰلِكَ دَلِيْلُ دَنَاءَةِ الهِمَّةِ، وَلاسِيَّمَا أَنَّ أَهْلَ الحِقْدِ

---

(١) «سنن النسائي» (٦/ ١٣)، و«صحيح ابن حبان» (٤٦٠٦)، و«شعب الإيمان» (٦٦٠٩)؛ من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

(٢) «المعجم الكبير» (٨١٥٧)؛ من حديث ضمرة بن ثعلبة، رضي الله عنه.

(٣) أي: ولكنه يسعى في التحريش بينهم بالخصومات والشحناء، والحروب والفتن وغيرها. انظر: «شرح النووي على مسلم» (١٧/ ١٥٦).

(٤) رواه مسلم (٢٨١٢)، وأحمد (٣/ ٣٥٤).



وَاللُّؤْمِ وَالخِسَّةِ: إذا رَأَوْكَ حَسَدُوكَ، وَإِذَا تَوَارَيْتَ عَنْهُمُ اغْتَابُوكَ.

وَقَدْ يَأْتِي الحَسَدُ فِي قَالَبِ النَّقْدِ، وَإِبْدَاءِ السَّوْءَاتِ؛ فَيَتَلَهَّى الحَاسِدُونَ بِنَشْرِ الفَضَائِحِ، وَيَتَلَذَّذُونَ بِسَرْدِ القَبَائِحِ، فَلِمَاذَا كُلُّ هَـٰذَا ـ يَا أَهْلَ الإِسْلَامِ ـ وَقَدْ قَسَّمَ اللهُ بَيْنَ النَّاسِ أَرْزَاقَهُمْ وَأَخْلَاقَهُمْ؟! ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النساء: ٥٤].

أُمَّةَ الإِسْلَامِ، يَشْتَدُّ قُبْحُ الحَسَدِ حِيْنَ يَكُونُ بَيْنَ المُنْتَسِبِيْنَ إِلَى العِلْمِ والمَعْرُوفِيْنَ بِالخَيْرِ والدَّعْوَةِ وَالإِصْلَاحِ، وَإِنَّهُ لَيَكْثُرُ بَيْنَ الأَمْثَالِ والنُّظَرَاءِ، والقُرَنَاءِ والزُّمَلَاءِ، وَكَذٰلِكَ فِي صُفُوفِ النِّسَاءِ، وَالمُتَطَلِّعِيْنَ إِلَى المَرَاتِبِ وَالمَنَاصِبِ؛ فَقَدْ يُوجَدُ مِنْ بَيْنِ الأَقْرَانِ مَنْ يَبُزُّ إِخْوَانَهُ وَيَفُوقُ زُمَلَاءَهُ، فَتَتَحَرَّكُ سِهَامُ الحَسَدِ، وَتُرْمَىٰ شَرَارَاتُ الكَيْدِ والحِقْدِ، فَتَقْضِي عَلَى الأُخُوَّةِ، وَتُورِثُ الأَحْقَادَ وَالضَّغِيْنَةَ والقَطِيْعَةَ، وَإِنَّكَ لَوَاجِدٌ فِي المُجْتَمَعِ مِنْ ذٰلِكَ شَيْئًا كَثِيْرًا، فَمَا أَكْثَرَ المُتَحَاسِدِيْنَ! وَمَا أَكْثَرَ المُتَقَاطِعِيْنَ وَالمُتَشَاحِنِيْنَ، هَدَاهُمُ اللهُ! وَلَيْسَ حَسَدُ أَعْدَاءِ الإِسْلَامِ عَلَى المُسْلِمِيْنَ بِغَرِيْبٍ، ولَـٰكِنَّ الغَرَابَةَ كُلَّ الغَرَابَةِ أَنْ يَسْرِيَ التَّحَاسُدُ بَيْنَ أَهْلِ الإِسْلَامِ!!

فَاتَّقُوا اللهَ ـ أَيُّهَا المُسْلِمُوْنَ ـ وَانْبِذُوا مِنْ قُلُوبِكُمْ تَرَسُّبَاتِ الغِلِّ وَالحَسَدِ، واصْطَلِحُوا وَتَوَادُّوا وَتَصَافَوْا، وَتَصَافَحُوا وَتَسَامَحُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، وَلْيَكُنْ شِعَارُكُمْ مَا قَالَهُ السَّلَفُ الأَخْيَارُ مِنَ المُهَاجِرِيْنَ وَالأَنْصَارِ: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى



قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر].

اللَّهُمَّ اهْدِنَا لأَحْسَنِ الأَخْلاَقِ وَالأَقْوالِ وَالأَعْمَالِ؛ لاَ يَهْدِيْ لأَحْسَنِهَا إِلاَّ أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنَّا سَيِّئَهَا؛ لاَ يَصْرِفُ عَنَّا سَيِّئَهَا إِلاَّ أَنْتَ، اللَّهُمَّ آتِ نُفُوسَنَا تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلاَهَا، اللَّهُمَّ طَهِّرْ قُلُوبَنَا مِنَ النِّفَاقِ وَالحَسَدِ وَالشَّحْنَاءِ، والحِقْدِ وَالبَغْضَاءِ، وَأَعْيُنَنَا مِنَ الخِيَانَةِ، وَأَلْسِنَتَنَا مِنَ الكَذِبِ، يَا سَمِيْعَ الدُّعَاءِ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ الحَاقِدِيْنَ، وَكَيْدِ الحَاسِدِيْنَ؛ إِنَّكَ عَلىٰ كُلِّ شَيءٍ قَدِيْرٌ.

أَقُولُ قَوْلِيْ هَـٰذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِيْ وَلَكُمْ وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ، فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُو الغَفُورُ الرَّحِيْمُ.

الخطبة الثانية

الحَمْدُ للهِ عَلىٰ نِعَمِهِ الَّتِيْ لاَ تُعَدُّ، وَالشُّكْرُ لَهُ عَلىٰ إِحْسَانِهِ الَّذِيْ لاَ يُحَدُّ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلـٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ، عَلَيْهِ المُعَوَّلُ وَالمُعْتَمَدُ، وَإِلَيْهِ المُسْتَنَدُ، وَمِنْهُ وَحْدَهُ المُسْتَمَدُّ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ؛ أَكْرَمُ الأُمَّةِ فِي الدِّيْنِ وَالخُلُقِ وَالمَحْتِدِ[1]، أَمَرَهُ رَبُّهُ بِالتَّعَوُّذِ مِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي العُقَدِ، ومِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ؛ أَسْلَمِ الأُمَّةِ صُدُورًا، وَأَبَرِّهَا قُلُوبًا، وَأَطْهَرِهَا سِيْرَةً وَأَمْجَدَ، وَالتَّابِعِيْنَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ مِنْ أَبْيَضَ وَأَسْوَدَ.

أمّا بعد:

فَاتَّقُوا اللهَ - عِبَادَ اللهِ - وَاحْرِصُوا عَلىٰ سَلاَمَةِ القُلُوبِ، وَرَاقِبُوا مَوْلاَكُمْ عَلاَّمَ الغُيُوبِ، وَاعْلَمُوا - رَحِمَكُمُ اللهُ - أَنَّ ثَوَابَ سَلاَمَةِ الصُّدُورِ، دُخُولُ الجَنَّةِ دَارِ السَّلاَمِ وَالحُبُورِ؛ رَوَى الإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ، عَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «**يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ**»، فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ تَنْطِفُ[2]

---

(١) المَحْتِدُ: الأصلُ؛ يقال: فلانٌ كريمُ الْمَحْتِدِ. «اللسان» (حتد).

(٢) تَنْطِفُ، أي: تَقْطُرُ. «النهاية» (نطف).



لِحْيَتُهُ مِنْ وَضُوئِهِ[1]، قَدْ تَعَلَّقَ نَعْلَيْهِ فِي يَدِهِ الشِّمَالِ، قَالَ: فَتَبِعَهُ عَبْدُاللهِ ابنُ عَمْرِو بْنِ العَاصِ، وَذَهَبَ إِلَىٰ بَيْتِهِ، وَبَقِيَ عِنْدَهُ ثَلَاثَ لَيَالٍ، فَلَمْ يَرَ مِنْهُ كَثِيْرَ صَوْمٍ وَلاَ صَلاَةٍ، فَقَالَ لَهُ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ**»[2]، وَلَمْ أَرَكَ عَمِلْتَ كَبِيرَ عَمَلٍ، فَمَا الَّذِيْ بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: مَا هُوَ إِلاَّ مَا رَأَيْتَ، غَيْرَ أَنِّيْ لاَ أَجِدُ فِي نَفْسِي لأَحَدٍ مِنَ المُسْلِمِيْنَ غِشًّا، وَلاَ أَحْسُدُ أَحَدًا عَلَىٰ خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللهُ إِيَّاهُ، فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: «**هَٰذِهِ الَّتِيْ بَلَغَتْ بِكَ**».

وَاعْلَمُوا - يَا رَعَاكُمُ اللهُ - أَنَّكُمْ مَحْسُودُونَ عَلَىٰ مَا آتَاكُمُ اللهُ مِنْ نِعَمٍ فِي هَٰذِهِ البِلَادِ المُبَارَكَةِ، بِلَادِ الحَرَمَيْنِ الشَّرِيْفَيْنِ، حَرَسَهَا اللهُ! فَنِعْمَةُ العَقِيْدَةِ الصَّحِيحَةِ، وَنِعْمَةُ الأَمْنِ وَالأَمَانِ، وَالخَيْرَاتِ وَالاطْمِئْنَانِ، وَنِعْمَةُ التَّلَاحُمِ بَيْنَ القِمَّةِ والقَاعِدَةِ، وَالتَّرَابُطِ بَيْنَ الرُّعَاةِ والرَّعِيَّةِ، والدَّوْلَةِ وَالعُلَمَاءِ، نِعَمٌ يَوَدُّ كَثِيْرٌ - مِمَّنْ شَرِقَتْ قُلُوبُهُمْ - أَنْ يَبُثُّوا الفِتْنَةَ، وَيُوْقِظُوا المِحْنَةَ، وَيَبْذُرُوا القَلَاقِلَ، وَإِنَّنَا لَنَسْمَعُ وَنَرَىٰ مِنْ وَسَائِلِ الإِعْلَامِ المُغْرِضَةِ المَأْجُورَةِ شَيْئًا كَثِيْرًا، لاَ بَلَّغَهُمُ اللهُ مَآرِبَهُمْ، وَرَدَّ كَيْدَهُمْ خَاسِئِيْنَ خَائِبِيْنَ، ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر: ٤٣].

---

(١) الوَضُوءُ، بفتح الواو: الماءُ الذي يُتَوَضَّأ به. «اللسان» (وضأ).

(٢) رواه معمر في «جامعه» (٢٠٥٥٩)، ومن طريقه أحمد (٣/ ١٦٦)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٦٩٩).



وَتَذَكَّرُوا ـ رَحِمَكُمُ اللهُ ـ أَنَّ حَسَدَ الأَعْدَاءِ لاَ يَنْتَهِيْ ؛ فَكُونُوا عَلَىٰ حَذَرٍ وَفِطْنَةٍ ، يُرِيْدُ أَعْدَاءُ عَقِيْدَتِكُمْ جَرَّكُمْ إِلَىٰ أُمُورٍ لَيْسَتْ مِنْ دِيْنِ اللهِ فِي شَيءٍ ؛ بِإِحْدَاثِ زِيَادَاتٍ ، وَتَعْظِيْمٍ لِبَعْضِ الشُّهُورِ والمُنَاسَبَاتِ ، مِمَّا لَيْسَ فِي كِتَابٍ ولاَ سُنَّةٍ ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ مَنْهَجُ السَّلَفِ الصَّالِحِ .

وَفِئَةٌ أُخْرَىٰ: تُرِيْدُ أَنْ تَجُرَّ الأُمَّةَ إِلَى التَّشَبُّهِ بِأَعْدَاءِ المِلَّةِ ؛ بِتَعْظِيْمِ أَيَّامِهِمْ وَأَعْيَادِهِمْ ؛ حَسَدًا وَكَيْدًا لِعَقِيْدَةِ السَّلاَمَةِ وَالصَّفَاءِ ، والطُّهْرِ والنَّقَاءِ ، هَـٰذَا وَقَدْ تَبَيَّنَ الدَّاءُ ، وَتَشَخَّصَ الدَّوَاءُ ، فَمَا بَقِيَ إِلاَّ العَمَلُ وَالاقْتِدَاءُ ، ثَبَّتَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ عَلَىٰ دِيْنِهِ القَوِيْمِ ، وَصِرَاطِهِ المُسْتَقِيْمِ .

هَـٰذَا ؛ وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا ـ رَحِمَكُمُ اللهُ ـ عَلَىٰ خَيْرِ الوَرَىٰ ، كَمَا أَمَرَكُمْ بِذَٰلِكَ رَبُّكُمْ جَلَّ وَعَلاَ ؛ فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب] .





الخطبة الأولى

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ أَحْمَدُهُ تعالىٰ وأَشْكُرُهُ، أَلَّفَ بَيْنَ قُلوبِ المُؤْمِنِيْنَ، وجَعَلَهُمْ إِخْوَةً مُتَحَابِّيْنَ مُتَرَاحِمِيْنَ، عَلى الخَيْرِ مُتَعَاوِنِيْنَ، وَفِي سَبِيْلِ الفَضَائِلِ مُتَكَاتِفِيْنَ؛ لأَلْسِنَتِهِمْ وَجَوارِحِهِمْ حَافِظِيْنَ، وَعَنِ الغِيْبَةِ والبُهْتَانِ مُبْتَعِدِيْنَ، وَلِلْفُحْشِ والزُّورِ مُجْتَنِبِيْنَ، وَعَنْ أَعْرَاضِ إِخْوانِهِمْ ذَابِّيْنَ وَمُدَافِعِيْنَ.

وَأَشْهَدُ أَن لا إِلـٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ المَلِكُ الحَقُّ المُبِيْنُ، هُوَ المَرجُوُّ سُبْحَانَهُ لِصَلاَحِ أُمُورِ الدُّنْيَا وَالدِّيْنِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الصَّادِقُ الأَمِيْنُ، خَاتَمُ الأَنْبِيَاءِ وَالمُرْسَلِيْنَ، وَإِمَامُ المُتَّقِيْنَ، وَسَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ أَجْمَعِيْنَ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ الطَّاهِرِيْنَ الطَّيِّبِيْنَ، وصَحْبِهِ الغُرِّ المَيَامِيْنِ، وَمَنِ اقْتَفَىٰ أَثَرَهُ، وَدَعَا بِدَعْوَتِهِ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّيْنِ.

أمّا بعد:

فَيَا عِبَادَ اللهِ، اتَّقُوا اللهَ رَبَّكُمْ، وَتَرْجِمُوا التَّقْوَىٰ إِلَىٰ سُلُوكٍ عَمَلِيٍّ فِي أُمُورِ حَيَاتِكُمْ، وَوَاقِعٍ تَطْبِيْقِيٍّ فِي كُلِّ أَحوَالِكُمْ؛ تَحْمِلُكُمْ عَلَىٰ حُبِّ الخَيْرِ وَإِشَاعَةِ الفَضِيْلَةِ، وَدَرْءِ الشَّرِّ وَإِقْصَاءِ الرَّذِيْلَةِ.

أَيُّهَا المُسْلِمُونَ، مِنْ أَهَمِّ مَا يُمَيِّزُ المُجْتَمَعَ الإِسْلاَمِيَّ: أَنَّهُ مُجْتَمَعُ مَوَدَّةٍ وَتَرَاحُمٍ، وَتَكَاتُفٍ وَتَلاَحُمٍ، وَمَحَبَّةٍ وَتَلاَؤُمٍ، يَقُومُ عَلَىٰ أُسُسِ التَّعَاوُنِ المُشْتَرَكِ، والتَّقْدِيرِ المُشَاعِ، وَيَنْبَنِيْ عَلَىٰ قَوَاعِدِ المَحبَّةِ المُتَبَادَلَةِ، والمُعَامَلَةِ الرَّقِيْقَةِ، لاَ مَكَانَ فِيْهِ لِلأَثَرَةِ المَمْقُوتَةِ، وَالأَنَانِيَةِ المَكْرُوهَةِ، والفَرْدِيَّةِ المُتَسَلِّطَةِ؛ قُلُوبُ أَفْرَادِهِ مُفْعَمَةٌ بِالحُبِّ لإِخْوَانِهِمْ، وَأَلْسِنَتُهُمْ ثَرَّةٌ بِذِكْرِ مَحَاسِنِهِمْ وَفَضَائِلِهِمْ، حَذِرَةٌ مِنَ الوَقِيْعَةِ فِي أَعْرَاضِهِمْ، وَالنَّيْلِ مِنْ كَرَامَتِهِمْ، لاَ يَحْمِلُونَ الحِقْدَ الدَّفِيْنَ، وَلاَ يَنْشُرُونَ الإِفْكَ المُبِيْنَ، هُمْ كَمَا وَصَفَ اللهُ: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤].

إِخْوَةَ الإِيْمَانِ، لَقَدْ أَحَاطَ الإِسْلاَمُ المُجْتَمَعَ المُسْلِمَ بِسِيَاجٍ مَنِيْعٍ مِنْ دَاخِلِهِ، يَحُولُ دُونَ تَصَدُّعِ بُنْيَانِهِ، وَتَزَعْزُعِ أَرْكَانِهِ؛ فَأَقَامَ الضَّمَانَاتِ الوَاقِيَةَ، والحَصَانَاتِ الكَافِيَةَ، الحَائِلَةَ دُونَ مَعَاوِلِ الهَدْمِ والتَّخْرِيْبِ: أَنْ تَتَسَلَّلَ إِلَىٰ جَبْهَتِهِ الدَّاخِلِيَّةِ، فَتَعْمَلَ عَمَلَهَا هَدْمًا وَتَخْرِيبًا، وَفُرْقَةً وَتَأْلِيبًا، وَطَالَبَ أَهْلَ الإِسْلاَم أَنْ يَرْعَوْا حَقَّ الإِيْمَانِ وَالأُخُوَّةِ، وَأَنْ يُصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِهِمْ، وَأَنْ يَحْفَظُوا أَلْسِنَتَهُمْ مِنَ الوَقِيْعَةِ فِي أَعْرَاضِ المُؤْمِنِيْنَ، وَأَنْ يَقِفُوا سَدًّا مَنِيْعًا أَمَامَ الجَرَائِمِ المُدَمِّرَةِ، وَالأَمْرَاضِ الاِجْتِمَاعِيَّةِ الفَتَّاكَةِ الَّتِيْ تَأْتِي عَلَىٰ بُنْيَانِ المُجْتَمَعِ مِنَ القَوَاعِدِ، وَتُحَوِّلُهُ إِلَىٰ مُجْتَمَعِ صِرَاعٍ

دَائِمٍ، وَتَفَكُّكٍ مُسْتَمِرٍّ، وَإِحَنٍ[1] مُتَكَاثِرَةٍ، وَفِئَاتٍ مُتَنَاحِرَةٍ، وَوَيْلٌ لِلْمُجْتَمَعِ يَوْمَئِذٍ مِنْ أَعْدَائِهِ الْمُتَفَرِّجِيْنَ مِنْ بُعْدٍ؛ حَيْثُ سَيَكُونُ لُقْمَةً سَائِغَةً لَهُمْ!

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، هُنَاكَ مَرَضٌ عُضَالٌ، وَدَاءٌ خَطِيْرٌ مُنْتَشِرٌ بَيْنَ النَّاسِ قَلَّ أَنْ تَسْلَمَ مِنْهُ الْمَجَالِسُ، وَيَنْدُرُ أَنْ يَنْفَكَّ مِنْهُ مُجْتَمَعٌ مِنَ الْمُجْتَمَعَاتِ، بَلْ إِنَّهُ يَضْرِبُ أَطْنَابَهُ فِي كَثِيْرٍ مِنْ مَجَالِسِنَا وَاجْتِمَاعَاتِنَا وَلِقَاءَاتِنَا، إِلاَّ مَنْ رَحِمَ اللهُ، وَيُخَيِّمُ بِظِلِّهِ الثَّقِيْلِ عَلَيْهَا ـ مَعَ عَظِيْمِ خَطَرِهِ عَلَى الإِيْمَانِ وَالأَخْلاَقِ، وَكَبِيْرِ أَثَرِهِ عَلَى الأَفْرَادِ وَالأُسَرِ وَالْمُجْتَمَعَاتِ ـ إِنَّهُ «**دَاءُ الغِيْبَةِ**»، وَيَا لَهَا مِنْ خَصْلَةٍ ذَمِيمَةٍ، تَنِمُّ عَنْ ضَعْفِ الإِيْمَانِ، وَسَلاَطَةِ اللِّسَانِ، وَخُبْثِ الْجَنَانِ؛ صَاحِبُهَا يُمَثِّلُ لُؤْمَ الطَّبْعِ، وَقُبْحَ الْمَعْشَرِ، وَضَعْفَ الْخُلُقِ، وَقِلَّةَ الْوَازِعِ، وَدَنَاءَةَ السَّجَايَا.

الغِيْبَةُ: مُصِيْبَةٌ عَلَى الْمُجْتَمَعِ أَيُّمَا مُصِيْبَةٍ، تَفْعَلُ فِي الْقُلُوبِ وَالأَرْوَاحِ أَفْعَالاً عَجِيْبَةً، تُؤَثِّرُ عَلَى الأُسَرِ وَالْمُجْتَمَعَاتِ آثَارًا خَطِيْرَةً غَرِيْبَةً، وَتَفْعَلُ بِهَا فِعْلَ النَّارِ فِي الْهَشِيْمِ، تُفَرِّقُ بَيْنَ الإِخْوَةِ، وَتُبَاعِدُ بَيْنَ الأَحِبَّةِ، تُفْسِدُ الْعَلاَقَاتِ بَيْنَ الزُّمَلاَءِ، وَتُعَكِّرُ الْمَوَدَّةَ بَيْنَ الأَصْدِقَاءِ، كَمْ فَرَّقَتْ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ، وَالابْنِ وَأَبِيْهِ، وَالأَخِ وَأَخِيهِ! كَمْ مَزَّقَتْ مِن آصِرَةٍ، وَأَثَارَتْ مِنْ فِتْنَةٍ! كَمْ أَذْكَتْ مِنْ أَحْقَادٍ، وَأَوْرَثَتْ مِنْ ضَغَائِنَ، وَأَوْغَرَتْ مِنْ صُدُورٍ!

---

(١) الإِحَن: جمع إِحْنة، وهي الحقد في الصدر. «اللسان» (أحن).



كَمْ جَرَّتْ مِنْ شُرُورٍ عُظْمَىٰ، وَأَخْطَارٍ كُبْرَىٰ! بَلْ لَرُبَّمَا قَامَتِ الحُرُوبُ الطَّاحِنَةُ بَيْنَ فِئَاتٍ وَدُوَلٍ بِسَبَبِ ذٰلِكَ، والعِيَاذُ باللهِ!.

المُغْتَابُ: عُضْوٌ مَسْمُومٌ فِي المُجْتَمَعِ، وَمُؤْذٍ للهِ وَلِرَسُولِهِ وَالمُؤْمِنِيْنَ، مُفْسِدٌ بَيْنَ المُسْلِمِيْنَ، وَاللهُ لاَ يُحِبُّ المُفْسِدِيْنَ.

لِذَلِكَ - يَا عِبَادَ اللهِ - جَاءَ الإِسْلاَمُ بِتَحْرِيْمِ الغِيْبَةِ تَحْرِيْمًا قَاطِعًا، بَلْ نَقَلَ القُرْطُبِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ - **الإِجْمَاعَ عَلَىٰ أَنَّ الغِيْبَةَ مِنَ الكَبَائِرِ**[(١)]؛ تَعْدِلُ القَتْلَ، وَالرِّبَا، وَالزِّنَىٰ، وَسَائِرَ الكَبَائِرِ. وَيَقُولُ ابنُ حَجَرٍ - رَحِمَهُ اللهُ -: «الْغِيبَةُ هِيَ: الدَّاءُ العُضَالُ، وَالسُّمُّ الَّذِي فِي الأَلْسُنِ أَحْلَىٰ مِنَ الزُّلاَلِ».

وَقَدْ جَعَلَهَا مَنْ أُوتِيَ جَوَامِعَ الكَلِمِ ﷺ عَدِيْلَةَ قَتْلِ النَّفْسِ، وَغَصْبِ المَالِ؛ يَقُولُ - عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ - فِيْمَا أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ، مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -: «**كُلُّ المُسْلِمِ عَلَى المُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ**»[(٢)]، وَيَقُولُ الحَسَنُ البَصْرِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ -: «**واللهِ، لَلْغِيْبَةُ أَسْرَعُ فِي دِيْنِ المُؤْمِنِ مِنَ الأَكِلَةِ**[(٣)] **فِي جَسَدِهِ**»[(٤)].

وَأَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ وَأَجَلُّ: كَلاَمُ رَبِّنَا عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم

---

(١) «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (١٦/ ٣٣٧).

(٢) «صحيح مسلم» (٢٥٦٤).

(٣) الأَكِلَة: داءٌ يقع في العضو، فيأتكل منه. «اللسان» (أكل).

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في «الصمت» (ص١٩٢).



بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ﴾ [الحجرات: ١٢].

فتَأَمَّلْ، أَخِيْ المُسْلِمَ ـ رَحِمَكَ اللهُ ـ هَـٰذَا الأُسْلُوبَ البَلِيْغَ، فِي النَّهْيِ المَقْرُونِ بِالمِثَالِ الَّذِيْ يَزِيْدُ الأَمْرَ شِدَّةً وَتَغْلِيْظًا، والعَمَلَ تَقْبِيْحًا وَتَشْنِيْعًا؛ ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ﴾؛ فَإِنَّ أَكْلَ لَحْمِ الإِنْسَانِ مِنْ أَعْظَمِ مَا يُسْتَقْذَرُ جِبِلَّةً وَطَبْعًا، وَلَوْ كَانَ كَافِرًا، فَكَيْفَ إِذَا كَانَ أَخًا فِي الدِّيْنِ؟! فَإِنَّ الكَرَاهِيَةَ أَعْظَمُ؛ بَلْ فَكَيْفَ إِذَا كَانَ مَيْتًا وَجِيْفَةً؟! فَسُبْحَانَ اللهِ ـ عِبَادَ اللهِ ـ مَا أَعْظَمَ خَطَرَ الغِيْبَةِ! وَمَا أَشْنَعَ جُرْمَهَا! وَيَا سُبْحَانَ اللهِ، مَا أَكْثَرَ تَسَاهُلَ النَّاسِ بِهَا اليَوْمَ؛ حَتَّىٰ لَكَأَنَّهَا مَائِدَةُ مَجَالِسِهِمْ! فَاللهُ المُسْتَعَانُ.

مَعَاشِرَ المُسْلِمِيْنَ، وَفِي مَعْنَى الغِيْبَةِ يَقُولُ ﷺ فِيْمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ، وَأَبُو دَاوُدَ، وَغَيْرُهُمَا، مِنْ حَدِيْثِ أَبِيْ هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ: «**أَتَدْرُونَ مَا الغِيْبَةُ؟**» قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ**» قِيْلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِيْ مَا أَقُولُ؟! قَالَ: «**إِنْ كَانَ فِيْهِ مَا تَقُولُ، فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيْهِ، فَقَدْ بَهَتَّهُ**»(١).

وَلِلْمُغْتَابِيْنَ نَسُوقُ هَـٰذَا الوَعِيْدَ الشَّدِيْدَ لِأَرْبَابِ هَـٰذِهِ البِضَاعَةِ البَئِيْسَةِ؛ يَقُولُ ﷺ فِيمَا رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَأَبُودَاوُدَ: «**يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ، وَلَمْ**

---

(١) رواه مسلم (٢٥٨٩)، وأبوداود (٤٨٧٤)، والترمذي (١٩٣٤).

يَدْخُلِ الإِيْمَانُ قَلْبَهُ! لاَ تَغْتَابُوا المُسْلِمِيْنَ، وَلاَ تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ؛ فَإِنَّهُ مَنِ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ، يَتَّبِعِ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعِ اللهُ عَوْرَتَهُ، يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ»(١).

أَيُّهَا الإِخْوَةُ فِي اللهِ، أَتَدْرُونَ مَا عُقُوبَةُ المُغْتَابِيْنَ؟! اسْمَعُوا، يَامَنْ تَظُنُّونَ أَنَّ الأَمْرَ يَسِيْرٌ؛ رَوَى أَبُودَاوُدَ، عَنْ أَنَسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَمَّا عُرِجَ بِي، مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمِشُونَ(٢) وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَـٰؤُلاَءِ يَا جِبْرِيْلُ؟! قَالَ: هَـٰؤُلاَءِ الَّذِيْنَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ، وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ»(٣)، وَلَمَّا قَالَتْ عَائِشَةُ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ـ لِلنَّبِيِّ ﷺ: حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ كَذَا وَكَذَا ـ تَعْنِيْ أَنَّهَا قَصِيْرَةٌ ـ قَالَ ـ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ السَّلاَمُ ـ: «لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ البَحْرِ، لَمَزَجَتْهُ!»(٤) أَيْ: أَنْتَنَتْهُ وَغَيَّرَتْ رِيْحَهُ.

فَاسْمَعُوا ـ يَا مَنْ تَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِ عِبَادِ اللهِ تَخْطِئَةً وَتَجْرِيحًا، ثَلْمًا وَتَنْقِيصًا وَتَقْبِيحًا ـ فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُنَصِّبُ نَفْسَهُ حَكَمًا عَلى الخَلِيْقَةِ فِي جَلْسَةٍ، بَلْ فِي لَحْظَةٍ، يُخَطِّىءُ هَـٰذَا وَيُسَفِّهُ ذَاكَ، وَيُجَهِّلُ هَـٰذَا وَيُضَلِّلُ ذَاكَ، وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ مِنْ شُرْبِ المَاءِ، أَيْنَ الخَوْفُ مِنَ اللهِ؟! أَيْنَ

---

(١) رواه أحمد (٤/ ٤٢٠)، وأبوداود (٤٨٨٠)؛ من حديث أبي برزة الأسلمي، رضي الله عنه.

(٢) يَخْمِشُون: يَخْدِشون ويجرحون. «النهاية» (خمش).

(٣) «سنن أبي داود» (٤٨٧٨).

(٤) رواه أحمد (٦/ ١٨٩)، وأبوداود (٤٨٧٥)، والترمذي (٢٥٠٢).



اسْتِشْعَارُ رَقَابَةِ اللهِ؟! أَيْنَ رِعَايَةُ حُرْمَةِ حُقُوقِ عِبَادِ اللهِ؟! لَقَدْ وَصَلَ الأَمْرُ فِي هَـٰذا ذِرْوَتَهُ، وَبَلَغَ غَايَتَهُ وَنِهَايَتَهُ؛ فَالأَمْرُ خَطِيْرٌ جِدُّ خَطِيْرٍ ـ يَا مَعْشَرَ المُسْلِمِيْنَ ـ لاَ يَسَعُ السُّكُوتُ عَلَيْهِ وَالرِّضَا بِهِ، لَقَدْ تَحَوَّلَتْ كَثِيْرٌ مِنَ المَجَالِسِ والمُنْتَدَيَاتِ إِلَىٰ أَسْوَاقٍ تُرَوَّجُ فِيْهَا أَعْرَاضُ المُسْلِمِيْنَ، وَتُقَدَّمُ لُحُومُهُمْ فِي أَطْبَاقٍ مِنْ عَذَابٍ، وَيُتَنَدَّرُ بِأَفْعَالِهِمْ وَتَصَرُّفَاتِهِمْ فَاكِهَةً فِي المَجَالِسِ، وَهِيَ مِنْ نَارٍ، وَالعِيَاذُ بِاللهِ!.

لَقَدْ وُجِدَ فِي السَّاحَةِ فِئَامٌ مِنَ الفَارِغِيْنَ ذَوِيْ البَطَالَةِ المُقَنَّعَةِ، آثَرُوا الكَلاَمَ عَلى العَمَلِ، وَأَقْعَدَهُمُ التَّوَانِي والكَسَلُ، عَجَزُوا عَنِ اللَّحَاقِ بِرَكْبِ الجَادِّيْنَ العَامِلِيْنَ؛ فَأَعْمَلُوا فِيهِمْ كَلاَمًا وَنَقْدًا؛ بِضَاعَتُهُمُ النَّقْدُ وَالتَّجْرِيحُ، دَيْدَنُهُمُ البَحْثُ عَنْ أَخْطَاءِ الآخَرِيْنَ، وَالإِشَارَةُ إِلَيْهِمْ بِالتَّصْرِيحِ والتَّلْمِيْحِ، عَقَدُوا المَجَالِسَ وكَوَّنُوا اللِّقَاءَاتِ لأَجْلِ هَـٰذِهِ البِضَاعَةِ الزَّائِفَةِ.

ذٰلِكَ مِمَّا يُؤْسَفُ لَهُ أَشَدَّ الأَسَفِ، وَمِمَّا يَنْدَىٰ لَهُ الجَبِيْنُ، وَمِمَّا تَبْكِي لَهُ المُرُوءَةُ، وَتَئِنُّ لَهُ الفَضِيْلَةُ، وَلَقَدْ زَيَّنَ الشَّيْطَانُ لِهَـٰؤُلاَءِ سُوءَ أَعْمَالِهِمْ!.

يَقُولُ ابنُ القَيِّمِ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «وَمِنَ العَجَبِ: أَنَّ الإِنْسَانَ يَهُونُ عَلَيْهِ الاحْتِرَازُ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ المُحَرَّمَاتِ، وَيَصْعُبُ عَلَيْهِ التَّحَفُّظُ مِنْ حَرَكَةِ لِسَانِهِ؛ حَتَّى تَرَى الرَّجُلَ يُشَارُ إِلَيْهِ بِالدِّيْنِ وَالزُّهْدِ وَالعِبَادَةِ، وَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَاتِ مِنْ سَخَطِ اللهِ لاَ يُلْقِي لَهَا بَالاً؛ يَزِلُّ بِالوَاحِدَةِ مِنْها أَبْعَدَ مَا بَيْنَ



المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ»[1].

وَيَقُولُ الحَسَنُ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «**إِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَشْتَغِلُ بِعُيُوبِ غَيْرِهِ، وَيَتْرُكُ عُيُوبَ نَفْسِهِ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ مُكِرَ بِهِ**»[2].

وَفِي الحَدِيْثِ عَنْهُ ﷺ: «**أَتَدْرُونَ مَا أَرْبَى الرِّبَا عِنْدَ اللهِ؟**» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**فَإِنَّ أَرْبَى الرِّبَا عِنْدَ اللهِ اسْتِحْلَالُ عِرْضِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ**»، ثُمَّ قَرَأَ ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب][3].

أُمَّةَ الإِسْلَامِ، لَقَدْ أَدَّبَ الرَّسُولُ ﷺ صَحَابَتَهُ الأَدَبَ الرَّفِيْعَ؛ حَيْثُ قَالَ: «**لَا يُبَلِّغْنِي أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِي شَيْئًا؛ فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَخْرُجَ إِلَيْهِمْ وَأَنَا سَلِيْمُ الصَّدْرِ**»[4].

اللهُ أَكْبَرُ! أَيْنَ هَـٰذَا مِن حَالِ المَفْتُونِيْنَ بِتَتَبُّعِ الزَّلَّاتِ، وَتَعَقُّبِ الهَفَوَاتِ، وَإِبْرَازِ السَّقَطَاتِ؟! يُوَسِّعُونَ الخَرْقَ، وَيَفْضَحُونَ الخَلْقَ، وَيَجْعَلُونَ مِنَ الحَبَّةِ قُبَّةً، وَيَنْفُخُونَ فِي الكَلِمَاتِ، وَيَمْتَطُونَ صَهْوَةَ سُوءِ الظَّنِّ بِإِخْوَانِهِمْ، وَالشَّائِعَاتِ المُغْرِضَةِ، وَرُبَّ كَلِمَةٍ تَمُوتُ فِي حِيْنِهَا وَلَا

(١) «الداء والدواء» (ص ٢٤٤).

(٢) انظر: «الصمت» لابن أبي الدنيا (ص ١٩٨).

(٣) رواه أبويعلى (٤٦٨٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٧١١)؛ من حديث عائشة، رضي الله عنها.

(٤) رواه أبوداود (٤٨٦٠)، والترمذي (٣٨٩٦)؛ من حديث ابن مسعود، رضي الله عنه.

تُبَارِحُ مَكَانَهَا، وَرُبَّ كَلِمَةٍ صَارَتْ شَرَارَةً، تَعْقُبُهَا نَارٌ مُلْتَهِبَةٌ تَقْضِيْ عَلَى الأَخْضَرِ وَاليَابِسِ، تَجِدُ هَـؤُلاَءِ مُغْرَمِيْنَ بِسَرْدِ الفَضَائِحِ، وَإِعْلاَنِ القَبَائِحِ، وإِبْدَاءِ العَوْرَاتِ، وَكَشْفِ السُّتُورِ والسَّلْبِيَّاتِ، فِي الأَفْرَادِ وَالمُجْتَمَعَاتِ، والدُّوَلِ وَالحُكُومَاتِ، وَالمُؤَسَّسَاتِ وَالهَيْئَاتِ، فِيْ العُلَمَاءِ وَالعَامَّةِ، فِي الشَّبَابِ وَالشِّيَبِ، فِي الرِّجَالِ والنِّسَاءِ،،، وَهَلُمَّ جرًّا.

وَمَنْهَجُ السَّلَفِ - رَحِمَهُمُ اللهُ - التَّنَاصُحُ المَحْبُوبُ، لاَ التَّفَاضُحُ المَذْمُومُ؛ قَالَ عُمَرُ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -: «**عَلَيْكُمْ بِذِكْرِ اللهِ؛ فَإِنَّهُ شِفَاءٌ، وَإِيَّاكُمْ وَذِكْرَ النَّاسِ؛ فَإِنَّهُ دَاءٌ**»(١)، وَيَقُولُ بَعْضُ السَّلَفِ: «**الغِيْبَةُ أَشَدُّ مِنَ الزِّنَىٰ، قِيْلَ: وَكَيْفَ؟ قَالَ: الرَّجُلُ يَزْنِيْ ثُمَّ يَتُوبُ، فَيَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِ، وَصَاحِبُ الغِيْبَةِ لاَ يُغْفَرُ لَهُ حَتَّىٰ يَغْفِرَ لَهُ صَاحِبُهُ**»(٢)، وَقَالَ قَتَادَةُ: «**ذُكِرَ لَنَا أَنَّ عَذَابَ القَبْرِ مِنْ ثَلاَثَةِ أَثْلاَثٍ: ثُلُثٍ مِنَ الغِيْبَةِ، وَثُلُثٍ مِنَ البَوْلِ، وَثُلُثٍ مِنَ النَّمِيْمَةِ**»(٣)، وَاغْتَابَ رَجُلٌ آخَرَ عِنْدَ بَعْضِ السَّلَفِ، فَنَهَرَهُ، فَقَالَ: «**يَا هَـٰذَا، إِيَّاكَ وَوُلُوغَ الكِلاَبِ!**»(٤).

أَيُّهَا المُسْلِمُونَ، مِنْ أَشَدِّ الغِيْبَةِ خَطَرًا، وَأَعْظَمِهَا ضَرَرًا: الوَقِيْعَةُ

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «كتاب الصمت» (ص ٢٠٤).
(٢) «كتاب الصمت» لابن أبي الدنيا (ص ١٦٤)، وانظر: «كنز العمال» (٣/ ٥٨٩).
(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «كتاب الصمت» (ص ١٩٠).
(٤) انظر: «كتاب الصمت» لابن أبي الدنيا (ص ٢٩٩).



فِي أَعْرَاضِ وُلاَةِ أُمُورِ المُسْلِمِيْنَ؛ فَالَّذِيْ يَنْبَغِيْ: الدُّعَاءُ لَهُمْ، وَإِبْرَازُ مَحَاسِنِهِمْ، وَمُنَاصَحَتُهُمْ فِيْمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ؛ حَتَّىٰ لاَ تُوغَرَ صُدُورُ العَامَّةِ، وَلاَ تُؤَلَّبَ عَوَاطِفُ الجَمَاهِيْرِ؛ وَكَذٰلِكَ العُلَمَاءُ وَأَهْلُ الدَّعْوَةِ وَالإِصْلاَحِ، فَلُحُومُهُمْ مَسْمُومَةٌ، وَغِيْبَتُهُمْ مَذْمُومَةٌ، وَمَنِ ابْتُلِيَ بِالوَقِيْعَةِ فِيهِمْ، وَالثَّلْبِ لَهُمْ[1] - ابْتَلاَهُ اللهُ قَبْلَ مَوْتِهِ بِمَوْتِ القَلْبِ؛ وَالعِيَاذُ بِاللهِ! كَمَا قَالَ الحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرَ - رَحِمَهُ اللهُ -[2] وَالكَمَالُ للهِ وَحْدَهُ.

مَنْ ذَا الَّذِيْ مَا سَاءَ قَطُّ وَمَنْ لَهُ الحُسْنَىٰ فَقَطْ؟![3]

فَاتَّقُوا اللهَ - أَيُّهَا المُسْلِمُونَ - وَاتَّقِيْنَ اللهَ - أَيَّتُهَا المُسْلِمَاتُ - فَإِنَّ الغِيْبَةَ فِي مَجَالِسِ النِّسَاءِ كَثِيْرَةٌ - فِيْ فُلاَنٍ وَفُلاَنَةَ - بِشَكْلٍ مُذْهِلٍ، وَقَدْ رَآكُنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ؛ كَمَا فِي «الصَّحِيْحَيْنِ»، مِنْ حَدِيْثِ ابْنِ عبَّاس، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[4].

اتَّقُوا اللهَ - أَيُّهَا المَسْؤُولُوْنَ - عَنْ مَصَالِحِ المُسْلِمِيْنَ، لاَ تَجْعَلُوا لِلْمُغْتَابِيْنَ عِنْدَكُمْ رَوَاجًا، واحْذَرُوا تَصْدِيْقَهُمْ فِي فُلاَنٍ وَغَيْرِهِ، إِلاَّ بَعْدَ التَّبَيُّنِ وَالتَّثَبُّتِ[5]؛ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ

(١) الثَّلْبُ لهم، أي: العيبُ لهم، والتنقُّص منهم. «اللسان» (ثلب).

(٢) «تبيين كذب المفتري» لابن عساكر (ص٣٠٧).

(٣) البيت للحريري، وقد سبق تخريجه (ص ٣٠٧).

(٤) «صحيح البخاري» (٢٩)، و«صحيح مسلم» (٢٧٣٧).

(٥) أمَّا وجوب التبيُّن: فمستفادٌ من قراءة الجمهور: ﴿فتبيَّنوا﴾، وأما وجوب التثبت: =



﴿قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦﴾ [الحجرات].

وَاتَّقُوا اللهَ - يَا حَمَلَةَ الأَقْلاَمِ وَالتَّقْرِيرَاتِ، وَيَا أَصْحَابَ الرَّأْيِ وَالاِسْتِشَارَاتِ - إِيَّاكُمْ وَالتَّحَايُلَ عَلَى البُرَآءِ، وَاحْذَرُوا سُوءَ الظَّنِّ بِالمُسْلِمِيْنَ.

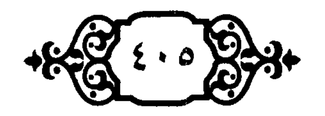
وَاتَّقُوا اللهَ - أَيُّهَا العُلَمَاءُ وَالدُّعَاةُ - وَفِّرُوا أَعْرَاضَ إِخْوَانِكُمْ، احْمِلُوهُمْ - وَلَوْ خَالَفُوكُمْ - عَلَى المَحَامِلِ الحَسَنَةِ، وَاحْذَرُوا أَنْ يُوقِعَ الشَّيْطَانُ بَيْنَكُمْ؛ فَإِنَّهُ يَئِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ المُصَلُّونَ؛ فَعَمِلَ عَلَى التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ، وَلاَ يُفْسِدْ ذَاتَ بَيْنِكُمُ الأَغْرَارُ وَالأَدْعِيَاءُ، وَالجَهَلَةُ وَالسُّفَهَاءُ.

وَاتَّقُوا اللهَ - يَا شَبَابَ الإِسْلاَمِ - كُونُوا يَدًا وَاحِدَةً فِي الخَيْرِ وَالصَّلاَحِ، تَلاَحَمُوا مَعَ عُلَمَائِكُمُ الرَّبَّانِيِّيْنَ، وَوُلاَتِكُمُ المُسْلِمِيْنَ، وَكُونُوا صَفًّا وَاحِدًا عَلَى أَعْدَائِكُمُ المُتَرَبِّصِيْنَ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ يَقُولُ: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١﴾ [الأنفال].

نَفَعَنِيْ اللهُ وَإِيَّاكُمْ بِالقُرْآنِ العَظِيْمِ وَبِهَدْيِ سَيِّدِ المُرْسَلِيْنَ، وَجَنَّبَنِي وَإِيَّاكُمْ طَرِيْقَ الغَافِلِيْنَ وَالمُغْتَابِيْنَ، وَجَعَلَنَا جَمِيْعًا إِخْوَةً مُتَحَابِّيْنَ؛ إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيْمٌ!.

أَقُولُ قَوْلِي هَـٰذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيْمَ الجَلِيْلَ لِي وَلَكُمْ وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ، فَاسْتَغْفِرُوهُ، وَتُوبُوا إِلَيْهِ؛ إِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِيْنَ غَفُورًا.

= فمن قراءة حمزة والكسائي وخلف: ﴿فَتَثَبَّتُوا﴾. انظر: «النشر، في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥١، ٣٧٦).



الخطبة الثانية

الحَمْدُ للهِ، قَوْلُهُ الحَقُّ، وَوَعْدُهُ الصِّدْقُ، وَأَمْرُهُ الإِحْسَانُ والرِّفْقُ، نَحْمَدُهُ تَعَالىٰ وَنَشْكُرُهُ بِالعَمَلِ وَالنُّطْقِ، وَأَشْهَدُ أَن لا إِلـٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ فِي العِبَادَةِ وَالتَّدْبِيْرِ وَالرِّزْقِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُوْلُهُ إِلىٰ كَافَّةِ الخَلْقِ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِيْنَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلىٰ يَوْمِ الدِّيْنِ.

أمّا بعد:

فَاتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ وَاحْرِصُوا عَلَى اجْتِمَاعِ القُلُوبِ، وَرَاقِبُوا رَبَّكُمْ عَلاَّمَ الغُيُوبِ، ابتَعِدُوا عَنْ مَجَالِسِ الغِيْبَةِ، فَشُؤْمُهَا يَعُمُّ المُتَكَلِّمَ وَالسَّامِعَ وَالرَّاضِيَ، وَلا تَغْتَرُّوا بِكَثْرَةِ المُغْتَابِيْنَ.

أَيُّهَا المُسْلِمُونَ، لَقَدْ أَدْرَكْنَا جَمِيْعًا خُطُورَةَ الغِيْبَةِ وَشَنَاعَتَهَا، وَأَنَّهَا تَحْصُلُ بِأَدْنَىٰ شَيْءٍ يُذْكَرُ عَنِ المُسْلِمِ وَهُوَ يَكْرَهُهُ، خَلْقًا أَوْ خُلُقًا أَوْ نَحْوَ ذٰلِكَ؛ كَمَا تَبَيَّنَتْ حِكْمَةُ الإِسْلاَمِ فِي تَحْرِيْمِهَا؛ حِفَاظًا عَلىٰ أَعْرَاضِ المُسْلِمِيْنَ، وَتَأْكِيدًا لِحُرْمَتِهِمْ، وَصِيَانَةً لِلْمُجْتَمَعِ عَنْ مَعَاوِلِ[1] الهَدْمِ المَعْنَوِيَّةِ الَّتِيْ تُصَدِّعُ بُنْيَانَهُ مِنَ الدَّاخِلِ.

---

(١) المعاول: جمع مِعْوَل، وهي: الفأس العظيمة التي يُنْقَرُ بها الصخر. «اللسان» (عول).

أَحِبَّتِي فِي اللهِ، وَإِذَا بَحَثْنَا عَنِ الأَسْبَابِ وَالبَوَاعِثِ لِهَـٰذَا المَرَضِ الخَطِيْرِ، وَجَدْنَاهَا لاَتَعْدُو: ضَعْفَ الإِيْمَانِ، وَقِلَّةَ الوَازِعِ، وَعَدَمَ الخَوْفِ مِنَ اللهِ؛ إِضَافَةً إِلَى التَّشَفِّيْ وَالغَيْظِ، والانْسِيَاقِ وَرَاءَ رَغَبَاتِ النَّفْسِ الأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ، وَالعَمَلِ عَلَىٰ رَفْعِهَا فَوْقَ مَنْزِلَتِهَا، وَالحَطِّ مِنْ أَقْدَارِ الآخَرِيْنَ، فَالَّذِيْ يَغْتَابُ النَّاسَ يَقُولُ بِلِسَانِ حَالِهِ: «أَنَا الكَامِلُ، وَالنَّاسُ مُخْطِئُونَ! وَأَنَا المُحِقُّ، وَالنَّاسُ مُبْطِلُونَ!»، وَكَفَىٰ بِذٰلِكَ ضَعَةً وَدَنَاءَةً، أَضِفْ إِلَىٰ ذٰلِكَ: تَمَكُّنَ الحَسَدِ والشَّحْنَاءِ، والحِقْدِ والبَغْضَاءِ، والضَّغَائِنِ فِي النُّفُوسِ، وَالاِسْتِرْسَالَ مَعَ الآخَرِيْنَ دُونَ حَسِيْبٍ وَلاَ رَقِيْبٍ.

وَقَدْ وَضَعَ أَهْلُ العِلْمِ ـ رَحِمَهُمُ اللهُ ـ كَالغَزَالِيِّ، وَالنَّوَوِيِّ، وَغَيْرِهِمَا[1]: اسْتِثْنَاءَاتٍ سِتَّةً تَجُوزُ فِيْهَا الغِيْبَةُ لِلضَّرُوْرَةِ، وَهِيَ: التَّظَلُّمُ، وَالاِسْتِفْتَاءُ، وَالاِسْتِعَانَةُ عَلَىٰ تَغْيِيرِ المُنْكَرِ، وَتَحْذِيْرُ المُسْلِمِيْنَ مِنَ الشَّرِّ وَنَصِيْحَتُهُمْ، وَإِظْهَارُ فِسْقِ المُجَاهِرِ، وَالتَّعْرِيفُ بِالإِنْسَانِ إِذَا لَمْ يُعْرَفْ إِلاَّ بِوَصْفٍ يَتَمَيَّزُ بِهِ عَنْ غَيْرِهِ.

---

(١) انظر: «إحياء علوم الدين» (٣/ ١٥٢، ١٥٣)، و«رياض الصالحين» (ص٤٥٠، ٤٥١)، و«الأذكار» (ص٥٤٠ـ٥٤٣)، و«الزواجر» لابن حجر الهيتمي (٢/ ٢٩ـ٣١)، و«سبل السلام» (٨/ ٣١٠، ٣١١)، وراجع رسالة العلامة الشوكاني «رفع الريبة، عما يجوز ولا يجوز من الغيبة».



وَقَدْ جَمَعَهَا النَّاظِمُ بِقَوْلِهِ:

والْقَدْحُ لَيْسَ بِغِيْبَةٍ فِي سِتَّةٍ ... مُتَظَلِّمٍ، وَمُعَرِّفٍ، وَمُحَذِّرِ

ولِمُظْهِرٍ فِسْقًا، وَمُسْتَفْتٍ، وَمَنْ ... طَلَبَ الإِعَانَةَ فِي إِزَالَةِ مُنْكَرِ[1]

أَيُّهَا الإِخْوَةُ فِي اللهِ، أَمَّا العِلاَجُ لِهَـٰذَا المَرَضِ الخَطِيْرِ - يَا عِبَادَ اللهِ - فَهُوَ التَّوْبَةُ إِلَى اللهِ بِالكَفِّ عَنْ هَـٰذَا الجُرْمِ الخَطِيْرِ، وَكَثْرَةُ الاِسْتِغْفَارِ، وَمُجَانَبَةُ مَجَالِسِ الغِيْبَةِ، والبُعْدُ عَنْ أَهْلِ السُّوءِ والبَاطِلِ، وَالدُّعَاءُ لِمَنِ اغْتَبْتَهُ فِيْهِ، وَذِكْرُهُ بِالخَيْرِ، وَإِبْدَاءُ مَحَاسِنِهِ وَفَضَائِلِهِ فِي المَكَانِ الَّذِيْ اغْتَبْتَهُ فِيْهِ، والتَّحَلُّلُ مِنْهُ، وَالمُحَافَظَةُ عَلَىٰ كَفَّارَةِ المَجْلِسِ وَخِتَامِهِ بِالاسْتِغْفَارِ والتَّوْبَةِ، وَأَطْرُ النَّفْسِ عَلَى الظَّنِّ الحَسَنِ، وَطَلَبُ المَعَاذِيرِ، والبُعْدُ عَنِ الشَّائِعَاتِ المُغْرِضَةِ وَالظُّنُونِ السَّيِّئَةِ، وَتَذَكُّرُ المَوْتِ والدَّارِ الآخِرَةِ.

يُرْوَىٰ أَنَّ مَعْرُوفًا الكَرْخِيَّ - رَحِمَهُ اللهُ - إِذَا اغْتَابَ عِنْدَهُ أَحَدٌ قَالَ: **«يَا هَـٰذَا، اذْكُرِ الكَفَنَ وَالقُطْنَ والحَنُوطَ إِذَا وُضِعْنَ عَلَيْكَ»**[2].

وَيَا سَلْوَىٰ لِمَنِ اغْتَابَهُمُ النَّاسُ؛ لاسْتِفَادَتِهِمْ مِنْ حَسَنَاتِهِمْ؛ يُرْوَىٰ

---

(١) هذان البيتان نسبهما الصنعاني إلى ابن أبي شريف. انظر: «سبل السلام» (٨/ ٣١١).

(٢) انظر: «حلية الأولياء» (٨/ ٣٦٤)، و«سير أعلام النبلاء» (٩/ ٣٤١).



أَنَّهُ لَمَّا بَلَغَ الحسَنَ البَصْرِيَّ أَنَّ رَجُلاً اغْتَابَهُ، أَرْسَلَ إِلَيْهِ طَبَقًا مِنْ رُطَبٍ، وَقَالَ لَهُ: «**بلَغَنِيْ أَنَّكَ أَهْدَيْتَ إِليَّ حَسَنَاتِكَ - أَيْ: بِغِيْبَتِكَ لِيْ - فَأَرَدتُّ أَنْ أُكَافِئَكَ عَلَيْهَا، فَاعْذُرْنِيْ؛ فَإِنِّيْ لاَ أَقْدِرُ عَلَىٰ مُكَافَأَتِك عَلَى التَّمَامِ**»[1].

فَاتَّقُوا اللهَ - أَيُّهَا المُسْلِمُونَ - وَتُوبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ مِنْ جَمِيْعِ الذُّنُوبِ وَالمَعَاصِيْ؛ تَسْعَدُوا وَتُفْلِحُوا فِي دُنْيَاكُمْ وَأُخْرَاكُمْ، رَزَقَ اللهُ الجَمِيْعَ التَّوْبَةَ النَّصُوحَ، وَالأَوْبَةَ الصَّادِقَةَ؛ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ.

هَـٰذَا؛ وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللهُ - عَلَىٰ مَنْ بَعَثَهُ اللهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِيْنَ؛ كَمَا أَمَرَكُمْ بِذٰلِكَ إِلَـٰهُ الأَوَّلِيْنَ وَالآخِرِيْنَ، وقَيُّومُ السَّمَوَاتِ والأَرَضِيْنَ؛ فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب].

* * *

(١) انظر: «إحياء علوم الدين» (٣/ ١٦٤).



الخطبة الأولى

الحَمْدُ للهِ ذِيْ المَنِّ وَالعطَاءِ، وَالعِزِّ والعَظَمَةِ وَالكِبْرِيَاءِ، أَحْمَدُهُ تَعَالَىٰ وَأَشْكُرُهُ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ وَأَسْتَغْفِرُهُ، وَأَسْأَلُهُ فِي هَـٰذِهِ الدُّنْيَا كَشْفَ البَلاَءِ وَتَوَالِيَ النَّعْمَاءِ، وَفِي الآخِرَةِ حُسْنَ العُقْبَىٰ وَعَظِيْمَ الجَزَاءِ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلـٰهَ إِلاَّ اللهُ، لاَ أَنْدَادَ لَهُ وَلاَ شُرَكَاءَ، سُبْحَانَهُ لاَ يُعْجِزُهُ شَيءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ أَفْضَلُ الرُّسُلِ وَخَاتَمُ الأَنْبِيَاءِ، وَإِمَامُ الأَتْقِيَاءِ، وَسَيِّدُ الأَصْفِيَاءِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ الشُّرَفَاءِ الأَتْقِيَاءِ، وَصَحْبِهِ النُّجبَاءِ الأَوْفِيَاءِ، والتَّابِعِيْنَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ وَسَارَ عَلَىٰ نَهْجِهِمْ وَاقْتَفَىٰ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيْرًا.

أَمَّا بعد:

فَأُوصِيكُمْ - عِبَادَ اللَّهِ - بِتَقْوَىٰ اللَّهِ - جَلَّ وَعَلاَ - فَإِنَّهَا العُدَّةُ فِي الشِّدَّةِ وَالرَّخَاءِ، وَالذَّخِيْرَةُ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، تَكْشِفُ الهُمُومَ، وَتُذْهِبُ الغُمُومَ، وَتَجْلِبُ الأَرْزَاقَ، وَتُيَسِّرُ الأُمُورَ بِإِذْنِ اللهِ؛ ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق]، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ

أَمْرِهِۦ يُسْرًا ۝٤ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ۝٥﴾ [الطلاق].

أَيُّهَا ٱلْمُسْلِمُونَ، مِنَ الأَهْدَافِ الكُبْرَىٰ، والمَقَاصِدِ العُظْمَى الَّتِيْ قَصَدَتْ إِلَيْهَا شَرِيْعَتُنَا الغَرَّاءُ: بِنَاءُ الفَرْدِ الصَّالِحِ، وَإِقَامَةُ المُجْتَمَعِ المُسْلِمِ المِثَالِيِّ، الَّذِيْ تَصِلُ بَيْنَ أَفْرَادِهِ جُسُورُ المَحَبَّةِ والمَوَدَّةِ والصَّفَاءِ، وَتَنْشَأُ بَيْنَ أَبْنَائِهِ عَلاَقَاتُ الأُخُوَّةِ والتَّعَاوُنِ وَالوَفَاءِ، مُجْتَمَعُ المَحَبَّةِ والتَّرَاحُمِ، وَالتَّكَاتُفِ وَالتَّلاَحُمِ، وَالمَوَدَّةِ والتَّلاَؤُمِ، القَائِمُ عَلَىٰ أُسُسِ التَّعَاوُنِ المُشْتَرَكِ، وَالحُبِّ المُتَبَادَلِ، وَالمَبْنِيُّ عَلَىٰ قَوَاعِدِ التَّعَامُلِ الرَّفِيْقِ، والتَّقْدِيرِ المُشَاعِ؛ فَلاَ مَكَانَ فِيْهِ لِلأَنَانِيَةِ المَمْقُوتَةِ، وَلاَ الأَثَرَةِ المَكْرُوهَةِ، وَلاَ الفَرْدِيَّةِ المُتَسَلِّطَةِ؛ قُلُوبُ أَفْرَادِهِ مُفْعَمَةٌ بِالمَحَبَّةِ لإِخْوَانِهِمْ، وَأَلْسِنَتُهُمْ ثَرَّةٌ بِذِكْرِ مَحَاسِنِهِمْ وَفَضَائِلِهِمْ، سَلِيْمَةٌ مِنَ الوُلُوغِ فِي أَعْرَاضِهِمْ، وَالوَقِيْعَةِ فِي سِيْرَتِهِمْ، وَالطَّعْنِ فِي سَرِيْرَتِهِمْ، وَالنَّيْلِ مِنْ كَرَامَتِهِمْ، لاَ يَحْمِلُونَ حِقْدًا دَفِيْنًا، وَلاَ يَنْشُرُونَ إِفْكًا مُبِيْنًا، يَعِيْشُونَ مُتَحَابِّيْنَ فِي بِنَاءٍ شَامِخٍ، وَجَسَدٍ وَاحِدٍ، وَبُنْيَانٍ مَرْصُوصٍ، حَلَقَاتٌ مُتَرَابِطَةٌ فِي سِلْسِلَةٍ مُحْكَمَةٍ، وَجَوَاهِرُ نَاصِعَةٌ، وَدُرَرٌ مُتَلأْلِئَةٌ فِي عِقْدٍ فَرِيْدٍ مَصُونٍ مِنَ التَّنَاثُرِ وَالانْدِثَارِ، وَحِصْنٌ حَصِيْنٌ لاَ تَتَسَلَّلُ إِلَيْهِ عَوَامِلُ التَّصَدُّعِ وَالانْهِيَارِ.

إِخْوَةَ الإِيْمَانِ، لَقَدْ طَالَبَ الإِسْلاَمُ أَهْلَهُ المُتَشَرِّفِيْنَ بِحَمْلِ رِسَالَتِهِ: أَنْ يَرْعَوْا حَقَّ الإِيْمَانِ وَالأُخُوَّةِ، وَأَنْ يُصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِهِمْ، وَأَنْ



يقِفُوا سَدًّا مَنِيْعًا أَمَامَ الجَرَائِمِ المُدَمِّرَةِ، وَالأَمْرَاضِ الاجْتِمَاعِيَّةِ الفَتَّاكَةِ، الَّتِيْ تَأْتِي عَلَىٰ بُنْيَانِ المُجْتَمَعِ مِنَ القَوَاعِدِ، وَتُحَوِّلُهُ إِلَىٰ مُجْتَمَعِ صِرَاعٍ دَائِمٍ، وَتَفَكُّكٍ دَائِبٍ، وَإِحَنٍ مُتَكَاثِرَةٍ، وَفِئَاتٍ مُتَنَاحِرَةٍ، وَدَعَا إِلَى الحِفَاظِ عَلَىٰ سَلاَمَةِ المُجْتَمَعِ، وَضَمَانِ أَمْنِهِ وَاسْتِقْرَارِهِ؛ لِيَتَصَدَّىٰ لِعَاتِيَاتِ العَوَاصِفِ، وَتَلاطُمَاتِ الأَمْوَاجِ؛ حَتَّىٰ لاَ تُغَيِّرَ مَسَارَ سَفِيْنَةِ المُجْتَمَعِ، أَوْ تُحْدِثَ فِيْهَا الشُّرُوخَ وَالخُرُوقَ؛ فَتُطَوِّحَ بِهَا بَعِيْدًا عَنْ بَرِّ الأَمَانِ وَشَاطِئِ السَّلاَمَةِ وَالنَّجَاةِ.

وَإِنَّهُ لاَ يَزَالُ المُجْتَمَعُ بِخَيْرٍ مَا عَرَفَ فِيْهِ أَفْرَادُهُ حُقُوقَ بَعْضِهِمْ تُجَاهَ بَعْضٍ، وَسَادَتْ بَيْنَهُمُ الأَخْلاَقُ الفَاضِلَةُ، وَتَلاَشَتْ بَيْنَهُمُ الصِّفَاتُ الذَّمِيْمَةُ، وَالمَسَالِكُ المَرْذُولَةُ.

مَعَاشِرَ الإِخْوَةُ، وَإِنَّ مِنْ أَهَمِّ السَّجَايَا الحَمِيْدَةِ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ تَسُودَ بَيْنَ أَفْرَادِ المُجْتَمَعِ: حُسْنَ الظَّنِّ بِالمُسْلِمِيْنَ، وَالتَّثَبُّتَ فِي نَقْلِ الأَخْبَارِ لَهُمْ وَعَنْهُمْ، وَلَقَدْ أَدَّبَ الإِسْلاَمُ أَتْبَاعَهُ عَلَىٰ ذٰلِكَ؛ حِفَاظًا عَلَىٰ تَمَاسُكِ المُجْتَمَعِ، وَتَلاَحُمِ أَفْرَادِهِ؛ يَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾﴾ [الحجرات]، وَفِي قِرَاءَةِ حَمْزَةَ وَالكِسَائِيِّ: ﴿فَتَثَبَّتُوا﴾[1]، وَقَالَ جَلَّ وَعَلاَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٞ﴾ [الحجرات: ١٢]،

---

(١) انظر: «النشر، في القراءات العشر» لابن الجزري (٢/ ٢٥١، ٣٧٦).



وَقَالَ ﷺ ـ فِيمَا أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ ـ: «**إِيَّاكُمْ والظَّنَّ؛ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيْثِ**»[1]، وَرَوَىٰ مُسْلِمٌ ـ أَيْضًا ـ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**كَفَىٰ بِالمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ**»[2]، وَفِي رِوَايَةٍ[3]: «**كَفَىٰ بِالمَرْءِ إِثْمًا...**».

أَحِبَّتِي فِي اللهِ، إِنَّ شَأْنَ المُسْلِمِ الوَاعِيْ أَلاَّ يَقْبَلَ أَيَّ قَوْلٍ يَصِلُ إِلَىٰ مَسْمَعِهِ دُونَ التَّثَبُّتِ والتَّحَرِّيْ؛ فَقَدْ يَكُونُ المُخْبِرُ مُغْرِضًا، أَوْ يَجُرُّ إِلَيْهِ مَغْنَمًا، أَوْ يَدْفَعُ عَنْهُ مَغْرَمًا، أَوْ يَنَالُ مَكَانَةً وَحُظْوَةً، وَإِذَا كَانَ فِي دُنْيَا النَّبَاتِ طُفَيْلِيَّاتٌ تَلْتَفُّ حَوْلَ النَّبْتَةِ الصَّالِحَةِ؛ لِتُفْسِدَ نُمُوَّهَا ـ فَإِنَّ فِي البَشَرِ مَنْ هُمْ كَذٰلِكَ، وَأَعْنِيْ: مَنْ يَلْتَفُّونَ حَوْلَ أَفْرَادِ المُجْتَمَعِ، فَيُوغِرُونَ الصُّدُورَ، وَيَبْعَثُونَ الشُّرُورَ، فَتَحْدُثُ القَطِيْعَةُ وَالشَّحْنَاءُ، وَالعَدَاوَةُ وَالبَغْضَاءُ، بَيْنَ أَفْرَادِ المُجْتَمَعِ المُسْلِمِ، وَتَضْرِبُ الظُّنُونُ السَّيِّئَةُ أَطْنَابَهَا بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ؛ فَتَقْضِيْ عَلَى البَقِيَّةِ البَاقِيَةِ مِنَ المَوَدَّةِ وَالصَّفَاءِ بَيْنَهُمْ.

وَخَطَرُ هٰؤُلاَءِ عَظِيْمٌ فِي الأُمَّةِ، وَهُمْ كَثِيْرٌ ـ لاَ كَثَّرَهُمُ اللهُ ـ فَكَمْ أَحْدَثُوا فَجَوَاتٍ بَيْنَ المُسْلِمِيْنَ! وَكَمْ تَجَنَّوْا عَلَى الأَبْرِيَاءِ! وَكَمْ أَشْعَلُوا نَارَ الفِتْنَةِ وَالعَدَاوَةِ بَيْنَ المُتَحَابِّيْنَ وَالأَصْفِيَاءِ! مِمَّا يُحَتِّمُ عَلَى المُسْلِمِيْنَ أَنْ

---

(١) «صحيح البخاري» (٦٠٦٦)، و«صحيح مسلم» (٢٥٦٣)؛ من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

(٢) «صحيح مسلم» (٥)؛ من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

(٣) عند ابن حبان في «صحيحه» (٣٠).



يَحْذَرُوهُمْ فَلَا يُصَدِّقُوهُمْ، وَذٰلِكَ مَبْدَأٌ إِسْلَامِيٌّ عَظِيْمٌ تَجِبُ المُحَافَظَةُ عَلَيْهِ؛ سَدًّا لِلْبَابِ أَمَامَ الوُشَاةِ المُتَرَبِّصِيْنَ، وَنَقَلَةِ الشَّائِعَاتِ المُغْرِضِيْنَ، وَمَنْعًا لِمُرَوِّجِيْ الشَّائِعَاتِ وَالبَلَاغَاتِ الكَيْدِيَّةِ المُغْرِضَةِ، وَالأَخْبَارِ المَكْذُوبَةِ عَنِ البُرَآءِ الغَافِلِيْنَ.

رَوَى البُخَارِيُّ فِي «الأَدَبِ المُفْرَدِ»، وَغَيْرُهُ، عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيْدَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ـ قَالَتْ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشِرَارِكُمْ؟»** قَالُوا: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: **«المَشَّاءُونَ بِالنَّمِيْمَةِ، المُفْسِدُونَ بَيْنَ الأَحِبَّةِ، البَاغُونَ لِلبُرَآءِ العَنَتَ»**[1]، وَرَوَى أَحْمَدُ، وَأَبُودَاوُدَ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **«إِنَّ مِنْ أَرْبَى الرِّبَا: الاسْتِطَالَةَ فِي عِرْضِ المُسْلِمِ بِغَيْرِ حَقٍّ»**[2].

وَقَدِيْمًا تَوَلَّىٰ عَبْدُاللهِ بْنُ أُبَيٍّ رَأْسُ المُنَافِقِيْنَ كِبْرَ الإِفْكِ المُبِيْنِ، فِي تَلْوِيثِ سِيْرَةِ الطَّاهِرَةِ المُطَهَّرَةِ المُبَرَّأَةِ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ عَائِشَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ـ فَقَالَ سُبْحَانَهُ مُوَجِّهًا إِلَى مَا يَنْبَغِيْ اتِّخَاذُهُ فِي مِثْلِ هَـٰذِهِ المَوَاقِفِ المُخْزِيَةِ: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَـٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ۝١٢﴾ . . . إِلَىٰ قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَـٰذَا سُبْحَـٰنَكَ هَـٰذَا بُهْتَـٰنٌ عَظِيمٌ ۝١٦ يَعِظُكُمُ

(١) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٣٢٣)، وأحمد (٦/ ٤٥٩).
(٢) «المسند» (١/ ١٩٠)، و«سنن أبي داود» (٤٨٧٦)؛ من حديث سعيد بن زيد، رضي الله عنه.



ﭐللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ [النور].

وَهُوَ مَنْهَجٌ مَرْسُومٌ يَجِبُ أَنْ يُحْتَذَىٰ عِنْدَ سمَاعِ كُلِّ شَائِعَةٍ، وَرَوَاجِ كُلِّ ذَائِعَةٍ؛ لِئَلَّا يَحْصُلَ النَّدَمُ بِالإِسَاءَةِ إِلَىٰ مُسْلِمٍ، وَإِشَاعَةِ مَا لَيْسَ فِيْهِ، أَوِ الكَذِبِ عَلَيْهِ، وَنَقْلِ مَا لَمْ يَصْدُرْ عَنْهُ تَحْتَ شِعَارِ «يَقُولُونَ!»، أَوْ «يَزْعُمُونَ!»، وَهَـٰذَا ضَرْبٌ مِنَ السَّعْيِ فِي الأَرْضِ بِالفَسَادِ، وَاللهُ لاَ يُحِبُّ المُفْسِدِيْنَ، وَنَوْعٌ مِنَ الإِيْذَاءِ لِلْمُؤْمِنِيْنَ، وَإِشَاعَةِ مَا هُمْ مِنْهُ بَرَاءٌ؛ وَاللهُ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ [الأحزاب].

مَعَاشِرَ المُسْلِمِيْنَ، إِنَّ مِنَ الأَمْرَاضِ الاجْتِمَاعِيَّةِ الخَطِيْرَةِ المُنْتَشِرَةِ بَيْنَ النَّاسِ مَرَضًا عُضَالاً، وَدَاءً عَيَاءً، إِنَّهُ الخَصْلَةُ الذَّمِيْمَةُ والخَلَّةُ الوَخِيْمَةُ، وَمَا هِيَ يَا رَعَاكُمُ اللهُ؟

إِنَّهَا «النَّمِيْمَةُ»، الَّتِيْ تَنِمُّ عَنْ ضَعْفِ الإِيْمَانِ، وَخُبْثِ الجَنَانِ، وَسَلاَطَةِ اللِّسَانِ، وَهِيَ: «**نَقْلُ الكَلاَمِ مِنْ شَخْصٍ إِلَىٰ آخَرَ؛ لِلإِفْسَادِ بَيْنَهُمَا**».

وَالنَّمَّامُ لَئِيْمُ الطَّبْعِ، قَبِيْحُ المَعْشَرِ، دَنِيءُ الهِمَّةِ، قَلِيْلُ المُرُوءَةِ، يَتَقَاطَرُ خِسَّةً وَقُبْحًا، وَقَذَارَةً وَدَنَاءَةً، قَد تَرَسَّبَ الغِلُّ فِي أَعْمَاقِهِ؛ فَلاَ يَسْتَرِيْحُ حَتَّىٰ يُزْبِدَ وَيُرْغِيَ، وَيُفْسِدَ وَيُؤْذِيَ، فَكَمْ بَاعَدَ بَيْنَ أَحِبَّةٍ، وَشَتَّتَ مِنْ إِخْوَةٍ، وَقَطَّعَ مِنْ حِبَالِ مَوَدَّةٍ، وَأَفْسَدَ مِنْ عَلاَقَةٍ، وَمَزَّقَ مِنْ آصِرَةٍ،



وَأَثَارَ مِنْ فِتْنَةٍ، وَأَذْكَىٰ مِنْ أَحْقَادٍ، وَأَوْرَثَ مِنْ ضَغَائِنَ، وَفرَّقَ بَيْنَ زَوْجَيْنِ، وَبَاعَدَ بَيْنَ مُتَصَافِيَيْنِ!! بَلْ كَمْ دَمَّرَ مِنْ بُيُوتَاتٍ، وَأَهْلَكَ مِنْ مُجْتَمَعَاتٍ، وَنَسَفَ مِنْ حَضَارَاتٍ!! بَلْ لَرُبَّمَا قَامَتِ الحُرُوبُ الطَّاحِنَةُ ـ بِسَبَبِ ذَلِكُمْ ـ بَيْنَ دُوَلٍ وَفِئَاتٍ!! وَالعِيَاذُ بِاللهِ!.

إِنَّهُ عُضْوٌ مَسْمُومٌ؛ يُحْدِثُ القَطِيْعَةَ وَالجَفَاءَ، وَيَتَكَلَّمُ فِي الخَفَاءِ، يَتَلَوَّنُ كَالحِرْبَاءِ، وَيَنْفُثُ سُمُومَهُ كَالحَيَّةِ الرَّقْطَاءِ، دَيْدَنُهُ الإِفْسَادُ والهَمْزُ، وَعَادَتُهُ الخُبْثُ وَالغَمْزُ، وَسُلُوكُهُ الشَّرُّ واللَّمْزُ، لاَ يُحِبُّ إِلاَّ الإِثَارَةَ وَالتَّهْوِيشَ، وَلاَ يَتَلَذَّذُ إِلاَّ بِالشَّائِعَةِ وَالتَّحْرِيشِ، وَلاَ يَرْتَاحُ إِلاَّ بِالتَّقَوُّلِ والادِّعَاءِ، وَلاَ يَقَرُّ لَهُ قَرَارٌ، وَلاَ يَهْدَأُ لَهُ بَالٌ؛ حَتَّىٰ يُفْسِدَ بَيْنَ الأَحِبَّةِ، وَيُفَرِّقَ بَيْنَ الإِخْوَةِ، وَكَمْ حَصَلَ مِنْ جِنَايَةٍ عَلَى الأَكْفَاءِ المُؤَهَّلِيْنَ بِسَبَبِ وِشَايَةِ دَعِيٍّ مَأْفُونٍ!!

لِذٰلِكَ جَاءَ الإِسْلاَمُ بِالتَّحْذِيرِ مِنْهُ، وَمِنْ عَمَلِهِ؛ قَال سُبْحَانَهُ: ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ﴾ [الهمزة]، وَقَالَ جَلَّ وَعَلاَ: ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ۝١١ ﴾ [القلم].

وَأَخْرَجَ الإِمَامُ مُسْلِمٌ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ نَمَّامٌ**»[1]، وَفِي رِوَايَةٍ عِنْدَهُ وَعِنْدَ البُخَارِيِّ: «**لاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَتَّاتٌ**»[2]،

(١) «صحيح مسلم» (١٠٥)؛ من حديث حذيفة، رضي الله عنه.
(٢) «صحيح البخاري» (٦٠٥٦).



قَالَ النَّوَوِيُّ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «وَهُمَا بِمَعْنًى وَاحِدٍ»[1]، وَقَالَ الحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ: «وَقِيلَ: الفَرْقُ بَيْنَهُمَا: أَنَّ النَّمَّامَ هُوَ الَّذِي يَحْضُرُ القِصَّةَ، فَيَنْقُلُهَا، والقَتَّاتُ: الَّذِيْ يَتَسَمَّعُ مِنْ حَيْثُ لاَ يُعْلَمُ بِهِ، ثُمَّ يَنْقُلُ مَا سَمِعَهُ»[2]، وَقَدْ حَكَى الذَّهَبِيُّ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ **الإِجْمَاعَ عَلَىٰ تَحْرِيْمِ النَّمِيْمَةِ، وَذَكَرَ أَنَّهَا مِنْ كَبَائِرِ الذُّنُوبِ**[3].

وَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ»، مِنْ حَدِيْثِ ابْنِ عَبَّاسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ: مَرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِقَبْرَيْنِ، فَقَالَ: «**إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيْرٍ؛ أَمَّا أَحَدُهُمَا: فَكَانَ لاَ يَسْتَتِرُ مِنَ البَوْلِ، وَأَمَّا الآخَرُ: فَكَانَ يَمْشِيْ بِالنَّمِيْمَةِ**»[4]، وَعَنِ ابنِ مَسْعُودٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ مَا العَضْهُ؟**» ـ وَهِيَ أَشَدُّ البُهْتَانِ ـ قَالَ: «**هِيَ: النَّمِيْمَةُ القَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ**»[5].

عِبَادَ اللهِ، أَبَعْدَ هَـٰذَا الوَعِيْدِ الشَّدِيْدِ الَّذِيْ تَرْتَعِدُ مِنْ هَوْلِهِ الفَرَائِصُ، يَرْتَضِيْ أَحَدٌ مِنَ المُسْلِمِيْنَ هَـٰذَا المَسْلَكَ المَشِيْنَ فِي كَشْفِ الأَسْرَارِ، وَهَتْكِ الأَسْتَارِ، وَالْغَرَامَ بِتَتَبُّعِ الزَّلاَّتِ، وَتَعَقُّبِ الهَفَوَاتِ،

---

(١) «شرح مسلم» للنووي (٢/ ١١٢).
(٢) «فتح الباري» (١٠/ ٤٧٣).
(٣) كتاب «الكبائر» للذهبي (ص ١٦٠).
(٤) «صحيح البخاري» (٢١٨)، و«صحيح مسلم» (٢٩٢).
(٥) رواه مسلم (٢٦٠٦).



وَتَضْخِيْمِ الهَنَاتِ؟! وَرُبَّ كَلِمَةٍ تَمُوتُ فِي حِيْنِهَا وَلاَ تُبَارِحُ مَكَانَهَا، وَرُبَّ كَلِمَةٍ صَارَتْ شَرَارَةً فَأَضْرَمَتْ نَارًا عَظِيْمَةً تَقْضِيْ عَلَى الأَخْضَرِ وَاليَابِسِ، وَقَدْ قِيْلَ: «**إِنَّ النَّمَّامَ يُفْسِدُ فِي سَاعَةٍ، مَا لاَ يُفْسِدُهُ السَّاحِرُ فِي سَنَةٍ**».

وَمَنْهَجُ السَّلَفِ ـ رَحِمَهُمُ اللهُ ـ السَّتْرُ وَالتَّنَاصُحُ، لاَ النَّمُّ وَالتَّفَاضُحُ، وَيَقُولُ عُمَرُ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ: «**لاَ تَظُنَّ بِكَلِمَةٍ خَرَجَتْ مِن فِي مُسْلِمٍ شَرًّا وَأَنْتَ تَجِدُ لَهَا فِي الْخَيْرِ مَحْمَلاً**»[1].

إِنَّ مِنَ الرُّجُولَةِ وَالشَّجَاعَةِ: أَنْ تُوَاجِهَ أَخَاكَ بِمَا فِيْهِ، وَإِنَّ مِنَ الجُبْنِ وَالصَّفَاقَةِ واللُّؤْمِ والوَضَاعَةِ: أَنْ تُظْهِرَ لَهُ المَحَبَّةَ وَتَقُوْلَ لَهُ: أَنْتَ! وَأَنْتَ! فَإِذَا تَوَارَيْتَ، قَلَبْتَ لَهُ ظَهْرَ المِجَنِّ[2]؛ فَأَبْدَيْتَ عُيُوبَهُ، وَوَلَغْتَ فِي عِرْضِهِ، وَقُلْتَ: فِيْهِ! وَفِيْهِ! وَتِلْكَ ـ وَاللهِ ـ مَسَالِكُ المَقْبُوحِيْنَ الوُضَعَاءِ، والمَرْذُولِيْنَ اللُّؤَمَاءِ؛ يَقُولُ ﷺ فِي الحَدِيْثِ الصَّحِيْحِ: «**تَجِدُونَ شَرَّ النَّاسِ ذَا الوَجْهَيْنِ: الَّذِيْ يَأْتِي هَـٰؤُلاَءِ بِوَجْهٍ، وَهَـٰؤُلاَءِ بِوَجْهٍ**»[3]، وَمِثْلُهُ ذُو اللِّسَانَيْنِ؛ الحُلْوُ أَمَامَكَ، وَالحَنْظَلُ وَرَاءَكَ.

وَإِنْ تَعْجَبْ، فَعَجَبٌ شَأْنُ مَنْ يُسْلِمُ عَقْلَهُ لِهَـٰؤُلاَءِ النَّمَّامِيْنَ،

---

(١) رواه ابن الدنيا في «مداراة الناس» (٤٥)، وانظر: «شعب الإيمان» (٨٣٤٢، ٨٣٤٤، ٨٣٤٥).

(٢) مثلٌ تقدَّم تخريجه وشرحه. انظر: (ص٣٦٢).

(٣) «صحيح البخاري» (٣٤٩٤)، و«صحيح مسلم» (٢٥٢٦)؛ من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.



فَيُصَدِّقُهُمْ فِي كُلِّ مَا يَقُولُونَ دُونَ تَثَبُّتٍ ولاَ رَوِيَّةٍ!!.

قَالَ الغَزَالِيُّ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «كُلُّ مَنْ حُمِلَتْ إِلَيْهِ النَّمِيمَةُ، وَقِيلَ لَهُ: «إِنَّ فُلاَنًا قَالَ فِيكَ كَذَا وَكَذَا، أَوْ فَعَلَ فِي حَقِّكَ كَذَا وَكَذَا، أَوْ هُوَ يُدَبِّرُ فِي إِفْسَادِ أَمْرِكَ، أَوْ فِي مُمَالأَةِ عَدُوِّكَ، أَوْ تَقْبِيحِ حَالِكَ» أَوْ مَا يَجْرِي مَجْرَاهُ ـ: فَعَلَيْهِ سِتَّةُ أُمُورٍ:

الأَوَّلُ: أَلاَّ يُصَدِّقَهُ؛ لأَنَّ النَّمَّامَ فَاسِقٌ، وَالفَاسِقُ مَرْدُودُ الشَّهَادَةِ؛ بِنَصِّ القُرْآنِ الكَرِيمِ[1].

الثَّانِي: أَنْ يَنْهَاهُ عَنْ ذٰلِكَ، وَيَنْصَحَهُ، وَيُقَبِّحَ عَلَيْهِ فِعْلَهُ.

الثَّالِثُ: أَنْ يُبْغِضَهُ فِي اللهِ تَعَالَىٰ؛ فَإِنَّهُ بَغِيضٌ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ، وَيَجِبُ بُغْضُ مَن يُبْغِضُهُ اللهُ تَعَالَىٰ.

الرَّابِعُ: أَلاَّ يَظُنَّ بِأَخِيهِ الغَائِبِ السُّوءَ؛ لِقَوْلِهِ تعالى: ﴿ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

الخَامِسُ: أَلاَّ يَحْمِلَهُ مَا حُكِيَ لَهُ عَلى التَّجَسُّسِ وَالبَحْثِ، وَتَتَبُّعِ العَوْرَاتِ؛ فَإِنَّ **«مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ المُسْلِمِ، تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ، يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ»**[2].

---

(١) راجع: الآية رقم (٦) من سورة الحجرات.

(٢) رواه الترمذي (٢٠٣٢)؛ من حديث ابن عمر، رضي الله عنهما، وانظر ما تقدم =

السَّادِسُ: أَلاَّ يَرْضَىٰ لِنَفْسِهِ مَا نَهَى النَّمَّامَ عَنْهُ، وَلاَ يَحْكِيَ نَمِيْمَتَهُ»[1].

وَقَدْ جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ عُمَرَ بْنِ عَبدِالعَزِيْزِ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ فَذَكَرَ لَهُ عَنْ رَجُلٍ شَيْئًا؛ فَقَالَ عُمَرُ: «يَا هَـٰذَا، إِنْ شِئْتَ، نَظَرْنَا فِي أَمْرِكَ: فَإِنْ كُنْتَ كَاذِبًا، فَأَنْتَ مِنْ أَهْلِ هَـٰذِهِ الآيَةِ: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات: ٦]، وَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا، فَأَنْتَ مِنْ أَهْلِ هَـٰذِه الآيَةِ: ﴿هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ﴿١١﴾﴾ [القلم]، وَإِنْ شِئْتَ عَفَوْنَا عَنْكَ؛ فَلَا تَعُودُ إِلَيْهِ؟! فَقَالَ: العَفْوَ يَا أَمِيْرَ المُؤْمِنِيْنَ، لاَ أَعُودُ إِلَيْهِ أَبَدًا!»[2].

أُمَّةَ ٱلإِسْلَامِ، إِنَّنَا لَنَشْكُو إِلى اللهِ تَفَشِّيَ هَـٰذِهِ الظَّاهِرَةِ فِي صُفُوفِ كَثِيْرٍ مِنَ المُسْلِمِيْنَ اليَوْمَ؛ أَلاَ فَلْنَتَّقِ اللهَ ـ عِبَادَ الله ـ وَلْنَحْذَرْ مِنْ هَـٰذِهِ الخَصْلَةِ الذَّمِيْمَةِ، والبِضَاعَةِ الذَّمِيْمَةِ، وَلْيَتَّقِ اللهَ أَرْبَابُ الوَظَائِفِ والمَسْئُولِيَّاتِ؛ فَإِنَّ لِهَـٰذَا الصِّنْفِ عِنْدَهُمْ رَوَاجًا وَانْتِشَارًا، وَلْتَتَّقِ اللهَ النِّسَاءُ؛ فَإِنَّ سُوقَ النَّمِيْمَةِ فِي صُفُوفِهِنَّ رَائِجَةٌ، إِلاَّ مَنْ رَحِمَ اللهُ!.

وَلْيَتَّقِ اللهَ أَصْحَابُ الاسْتِشَارَاتِ، وَحَمَلَةُ الأَقْلَامِ وَالتَّقْرِيْرَاتِ؛ فَلاَ يَتَحَامَلُوا عَلَى البُرَآءِ الغَافِلِيْنَ، وَلاَ يُسِيئُوا الظَّنَّ بِالمُسْلِمِيْنَ، ولاَسِيَّمَا

= (ص٤٠٠).

(١) عن: «إحياء علوم الدين» بتصرف يسير (٣/ ١٥٦)، ونقل كلام الغزاليِّ: كُلٌّ من النووي في «الأذكار» (ص٥٥١)، وابن حجر في «فتح الباري» (١٠/ ٤٧٣).

(٢) «إحياء علوم الدين» للغزالي (٣/ ١٥٦).



أَهْلُ الخَيْرِ وَالفَضْلِ، والحِسْبَةِ والإِصْلَاحِ، وَلْيَتَّقِ اللهَ طَلَبَةُ العِلْمِ؛ فَلَا يَحْمِلُهُمُ الخِلَافُ ـ فِيْمَا فِيْهِ سَعَةٌ وَمَنْدُوحَةٌ ـ وَلَا الانْتِصَارُ لِوِجْهَاتِ النَّظَرِ: عَلَى الوَقِيْعَةِ بِإِخْوَانِهِمْ وَسُوءِ الظَّنِّ بِهِمْ، وَلْيَتَّقِ اللهَ أَرْبَابُ هَـٰذِهِ البِضَاعَةِ الخَاسِرَةِ؛ فَيَكُفُّوا عَنْ هَـٰذَا المَسْلَكِ المَرْذُولِ، وَالعَمَلِ المَشِيْنِ، وَلْيَتُوبُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ قَبْلَ أَنْ يَفْجَأَهُمُ الأَجَلُ، وَلَاتَ سَاعَةَ مَنْدَمٍ!.

واللهُ المَسْئُولُ أَنْ يُصْلِحَ قُلُوبَنَا وَأَعْمَالَنَا، وَأَنْ يَهْدِيَنَا سُبُلَ السَّلَامِ، وَأَنْ يَكْفِيَنَا شَرَّ كُلِّ حَاسِدٍ وَنَمَّامٍ، إِنَّهُ خَيْرُ مَسْئُولٍ، وَأَكْرَمُ مَأْمُولٍ.

نَفَعَنِي اللهُ وَإِيَّاكُمْ بِالقُرْآنِ العَظِيْمِ وَبِهَدْيِ سَيِّدِ المُرْسَلِيْنَ.

أَقُولُ قَوْلِي هَـٰذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيْمَ الجَلِيْلَ لِيْ وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ المُسْلِمِيْنَ، فَاسْتَغْفِرُوهُ، وَتُوبُوا إِلَيْهِ؛ إِنَّهُ هُوَ البَرُّ الرَّحِيْمُ.



الخطبة الثانية

الحَمْدُ للهِ الَّذِيْ تَفَرَّدَ بِكُلِّ كَمَالٍ، وَاخْتَصَّ بِأَبْهَىٰ جَمَالٍ، وَأَعْلَىٰ جَلاَلٍ، وَتَفَضَّلَ عَلَىٰ عِبَادِهِ بِجَزِيْلِ النَّوَالِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰـهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ الكَبِيْرُ المُتَعَالِ، المُنَزَّهُ عَنِ الأَشْبَاهِ وَالأَنْدَادِ وَالأَمْثَالِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، كَرِيْمُ السَّجَايَا وَشَرِيْفُ الخِصَالِ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ خَيْرِ صَحْبٍ وَأَفْضَلِ آلٍ، وَالتَّابِعِيْنَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَىٰ يَوْمِ المَآلِ.

أمّا بعد:

فَاتَّقُوا اللهَ ـ عِبَادَ الله ـ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ، وَأَطِيْعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِيْنَ.

عِبَادَ الله، إِذَا الْتُمِسَتْ عَوَامِلُ وَدَوَافِعُ هَٰذَا الدَّاءِ الخَطِيْرِ ـ دَاءِ النَّمِيْمَةِ ـ فَإِنَّهُ يَبْرُزُ فِي طَلِيْعَتِهَا: ضَعْفُ الإِيْمَانِ، وَسُوءُ التَّرْبِيَةِ، وَرُفْقَةُ السُّوءِ، وَانْطِوَاءُ القُلُوبِ عَلَى الحِقْدِ وَالحَسَدِ، وَالكِبْرِ وَالتَّعَالِي، إِضَافَةً إِلَى الفَرَاغِ وَالبَطَالَةِ الَّتِي يُعَانِيْ مِنْهَا بَعْضُ هَـؤُلاَءِ المَفْتُونِيْنَ، وَمِنْ ذٰلِكَ: السَّعْيُ إِلَىٰ إِرْضَاءِ الآخَرِيْنَ، وَالهَوَىٰ، وَالجَهْلُ بِعَوَاقِبِ هَـٰذَا الدَّاءِ الخَطِيْرِ.

أَمَّا طَرِيْقُ عِلاَجِهِ: فَإِنَّهُ يَكْمُنُ فِي تَقْوِيَةِ الإِيْمَانِ، وَالتَّرْبِيَةِ الحَسَنَةِ،



وَالرُّفْقَةِ الصَّالِحَةِ، وَإِعْمَارِ وَقْتِ الفَرَاغِ بِالعِلْمِ النَّافِعِ، وَالعَمَلِ الصَّالِحِ، وَسَلاَمَةِ الصُّدُورِ، وَالانْشِغَالِ بِعُيُوبِكَ عَنْ عُيُوبِ غَيْرِكَ.

وَلْيَتَذَكَّرْ مَنِ ابْتُلِيَ بِهَذَا الأَمْرِ الخَطِيرِ، وَالشَّرِّ المُسْتَطِيرِ: مَصْرَعَهُ فِي قَبْرِهِ؛ فَإِنَّ ذٰلِكَ مِنْ أَسْبَابِ عَذَابِ القَبْرِ، وَمُوجِبَاتِ دُخُولِ النَّارِ، والعِيَاذُ بِاللهِ! وَلْيَتَذَكَّرْ مَوْقِفَهُ يَوْمَ العَرْضِ عَلَىٰ رَبِّهِ، وَلْيُحَافِظْ عَلَىٰ لِسَانِهِ، وَلْيَشْغَلْهُ بِالخَيْرِ والذِّكْرِ وَمَا يُقَرِّبُ إِلى اللهِ، وَقَدْ كَانَ ﷺ يَنْهَىٰ أَصْحَابَهُ أَنْ يُبَلِّغَهُ أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ مَا يَسُوءُهُ؛ رَوَىٰ أَبُوداوُدَ، وَغَيْرُهُ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لاَ يُبَلِّغُنِي أَحَدٌ عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِي شَيْئًا؛ فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَخْرُجَ إِلَيْهِمْ وَأَنَا سَلِيمُ الصَّدْرِ**»[1].

فَعَلَيْنَا جَمِيعًا ـ يَا رَعَاكُمُ اللهُ ـ أَنْ نَسْعَىٰ لِلإِصْلاَحِ والتَّوْفِيقِ وَالتَّقْرِيبِ، لاَ للتَّبَاعُدِ والتَّنَافُرِ والتَّخْرِيبِ؛ يَقُولُ ﷺ ـ فِيمَا رَوَاهُ أَبُوداوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ ـ: «**أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ والصَّلاَةِ وَالصَّدَقَةِ؟!**» قَالُوا: بَلَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ! قَالَ: «**صَلاَحُ ذَاتِ البَيْنِ؛ فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ البَيْنِ هِيَ: الحَالِقَةُ**»[2]، وَيُرْوَىٰ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**هِيَ الحَالِقَةُ؛ لاَ أَقُولُ: تَحْلِقُ الشَّعْرَ، وَلَـكِن تَحْلِقُ الدِّيْنَ**»[3].

---

(١) تقدم تخريجه (ص٤٠٢).

(٢) رواه أبوداود (٤٩١٩)، والترمذي (٢٥٠٩)؛ من حديث أبي الدرداء، رضي الله عنه.

(٣) رواه الترمذي (٢٥١٠)؛ من حديث الزبير بن العوام، رضي الله عنه، وانظر ما تقدم (ص٣٨٣).



وَإِيَّاكُمْ وَإِرْضَاءَ الشَّيْطَانِ الَّذِيْ يَئِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَيْئَسْ مِنَ التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ؛ كَمَا فِي الحَدِيْثِ عِنْدَ مُسْلِمٍ، وَغَيْرِهِ[1]، وَلَكِنْ كَهَـٰذَا الصَّحَابِيِّ الجَلِيْلِ الَّذِي قَالَ عَنْهُ ﷺ - وَكَانَ جَالِسًا يَوْمًا مع أَصْحَابِهِ -: «**يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ**»، وَلَمْ يَكُنْ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - كَثِيْرَ صَوْمٍ وَلاَ صَلاَةٍ، وَإِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ عَنْ نَفْسِهِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -: «**غَيْرَ أَنِّيْ لاَأَجِدُ فِي نَفْسِي لِأَحَدٍ مِنَ المُسْلِمِيْنَ غِشًّا، وَلاَ أَحْسُدُ أَحَدًا عَلىٰ خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللهُ إِيَّاهُ**»، قَالَ عَبْدُاللهِ بنُ عَمْرو بنِ العَاصِ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا -: «**فَهَـٰذَا الَّذِيْ بلَغَ بِكَ**»[2]، وَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر].

هَـٰذَا؛ وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللهُ - عَلَى النَّبِيِّ المُخْتَارِ؛ كَمَا أَمَرَكُمْ بِذٰلِكَ العَزِيْزُ الغَفَّارُ؛ فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب].

* * *

---

(١) تقدم تخريجه (ص٣٨٩).

(٢) تقدم تخريجه (ص٣٩٣).



القِسمُ الثَّامِنُ

القضايا الاجتماعية



الخطبة الأولى

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ وَنَسْتَهْدِيْهِ، وَنَتُوْبُ إِلَيْهِ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوْذُ بِاللهِ مِنْ شُرُوْرِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُوْلَهُ فَقَدْ رَشَدَ، وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُوْلَهُ فَقَدْ غَوَىٰ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَـٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ، خَلَقَنَا مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا، وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيْرًا وَنِسَاءً، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُاللهِ وَرَسُولُهُ، النَّبِيُّ الْقُدْوَةُ، وَالمُرَبِّي الأُسْوَةُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسْوَةِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيْمًا كَثِيْرًا.

أمّا بعد:

فَيَا أَيُّهَا الإِخْوَةُ المُسْلِمُونَ، اتَّقُوا اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَأَطِيْعُوْهُ، وَرَاقِبُوْهُ دَوْمًا وَلاَ تَعْصُوْهُ.

عِبَادَ اللهِ، مِنَ القَضَايَا الاِجْتِمَاعِيَّةِ الَّتِي عُنِيَ بِهَا الإِسْلاَمُ عِنَايَةً بَالِغَةً، وَرَعَاهَا رِعَايَةً فَائِقَةً؛ حَيْثُ جَاءَ كِتَابُ اللهِ وَسُنَّةُ رَسُولِهِ ﷺ بِالْحَثِّ عَلَيْهَا وَالتَّرْغِيبِ فِيْهَا ـ: «**قَضِيَّةُ الزَّوَاجِ**»؛ لِمَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ مِنْ مَصَالِحِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا، وَلِمَا لَهُ مِنَ الحِكَمِ السَّامِيَةِ، وَالمَنَافِعِ المُتَعَدِّدَةِ، والمَعَانِي

الكَرِيْمَةِ؛ فَهُوَ ضَرُوْرَةٌ اجْتِمَاعِيَّةٌ؛ لِبنَاءِ الحَيَاةِ، وَتَكْوِينِ الأُسَرِ، وتَأْسِيسِ الفَضِيْلَةِ، وَغَضِّ الأَبْصَارِ، وَتَحْصِيْنِ الفُرُوْجِ، وَكَثْرَةِ النَّسْلِ بَقَاءً لِلنَّوْعِ الإِنْسَانِيِّ؛ كَمَا أَنَّهُ أَمْرٌ مُحَبَّبٌ إِلَى النُّفُوْسِ؛ تَقْتَضِيهِ الفِطْرَةُ السَّوِيَّةُ، وَيَحُثُّ عَلَيْهِ الشَّرْعُ الحَنِيْفُ، وَيَتَطَلَّبُهُ العَقْلُ الصَّحِيْحُ، وَيَأْلَفُهُ الطَّبْعُ السَّلِيْمُ، بِهِ تَتَعَارَفُ القَبَائِلُ، وَتَتَكَوَّنُ الشُّعُوبُ، وَتَتَكَاثَرُ الأُمَمُ، فِيْهِ الرَّاحَةُ النَّفْسِيَّةُ، وَالطُّمَأْنِيْنَةُ القَلْبِيَّةُ، والتَّقَلُّبُ بَيْنَ أَعْطَافِ النَّعِيْمِ، وَالتَّعَاوُنُ عَلَىٰ أَعْبَاءِ الْحَيَاةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ، وَيَكْفِيْهِ أَنَّهُ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللهِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ حِكْمَتِهِ، والدَّاعِيَةِ إِلَىٰ التَّفَكُّرِ فِي عَظِيمِ خَلْقِهِ، وبَدِيْعِ صُنْعِهِ؛ ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الروم].

إِخْوَةَ الإِسْلَامِ، لَقَدْ عَادَ أَمْرُ الزَّوَاجِ مِنْ قَضِيَّةٍ شَرْعِيَّةٍ، وَضَرُوْرَةٍ بَشَرِيَّةٍ، وَعِبَادَةٍ عَظِيْمَةٍ إِذَا أُخْلِصَتْ فِيْهِ النِّيَّةُ، إِلَىٰ مُشْكِلَةٍ اجْتِمَاعِيَّةٍ خَطِيْرَةٍ، لاَ مِنْ حَيْثُ هُوَ، وَإِنَّمَا مِنْ حَيْثُ مَا أَحْدَثَهُ النَّاسُ فِيْهِ مِمَّا لاَ يَمُتُّ إِلَيْهِ بِصِلَةٍ، وَلاَ يَرْتَبِطُ بِهِ شَرْعًا، وَلاَ عَقْلاً؛ وَلَـٰكِنَّهُ أَصْبَحَ - مِنْ فِعْلِ النَّاسِ لَهُ - أَمْرًا حَتْمِيًّا، لاَ يَتِمُّ الزَّوَاجُ بِدُوْنِهِ، وَكَأَنَّهُ هُوَ المَقْصُودُ، نَتِيْجَةَ الانْسِيَاقِ وَرَاءَ الأَعْرَافِ البَالِيَةِ، وَالْعَادَاتِ الجَاهِلِيَّةِ، والانْقِيَادِ الأَعْمَىٰ خَلْفَ شِعَارَاتٍ زَائِفَةٍ، وَالْبَحْثِ عَنِ المُفَاخَرَةِ وَالْمُبَاهَاةِ؛ عَلَىٰ حِسَابِ الشَّرْعِ الحَنِيْفِ، وَالْعَقْلِ السَّلِيْمِ، وَالفِطْرَةِ السَّوِيَّةِ.



مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ، لَقَدْ كَثُرَ الحَدِيْثُ عَنْ مُعْضِلَاتِ الزَّوَاجِ، وَطَفَحَتْ فِيْهِ الْكِتَابَاتُ وَالْمَقَالَاتُ، وَمَلأَتْ قُلُوبَ النَّاسِ وَمَسَامِعَهُمْ، وَشَغَلَتْ أَوْقَاتَهُمْ، وَتَسَبَّبَتْ فِي إِسْعَادِ أَفْرَادٍ وَأُسَرٍ، وَتَقْوِيضِ وَتَشْتِيتِ بُيُوتٍ أُخَرَ، وَبُحَّتْ حَنَاجِرُ الغَيُورِينَ عَلَىٰ مُجْتَمَعِهِمْ؛ مِنَ التَّحْذِيرِ مِمَّا يُصَاحِبُ كَثِيْرًا مِنَ الزِّيجَاتِ مِنَ المُشْكِلَاتِ وَالتَّعْقِيْدَاتِ، بَلْ وَالْمُحَرَّمَاتِ وَالمُنْكَرَاتِ، وَالتَّقَالِيْدِ وَالمُخَالَفَاتِ؛ مِنَ التَّغْيِيرِ وَالشَّكْلِيَّاتِ، وَالتَّفَاخُرِ وَالمُبَاهَاةِ فِي الكَمَالِيَّاتِ.

أُمَّةَ الإِسْلَامِ، لَقَدْ رَسَمَ دِيْنُنَا الإِسْلَامِيُّ الْحَنِيْفُ الْمَنْهَجَ الْوَاضِحَ فِي هَـٰذِهِ الْقَضِيَّةِ الْمُهِمَّةِ؛ فَقَدْ جَاءَ بِتَوْفِيْرِ أُمُوْرِ الزَّوَاجِ، وَالْحَثِّ عَلَىٰ الاِقْتِصَادِ فِيْهِ؛ رَوَى الإِمَامُ أَحْمَدُ، وَالبَيْهَقِيُّ، مِنْ حَدِيْثِ عَائِشَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ـ أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ أَعْظَمَ النِّسَاءِ بَرَكَةً أَيْسَرُهُنَّ مَئُونَةً**»[1]؛ فَالَّذِيْنَ يُخَالِفُونَ هَـٰذَا الْمَنْهَجَ بِالتَّأْخِيْرِ وَالتَّسْوِيفِ، والإِثْقَالِ والتَّعْقِيد ـ إِنَّمَا يُخَالِفُونَ مَنْهَجَ اللهِ وَسُنَّةَ رَسُوْلِهِ ﷺ الْقَوْلِيَّةَ وَالْفِعْلِيَّةَ، وَالْمُسْلِمُ الْحَقُّ لَا يَرْضَىٰ لِنَفْسِهِ بِذٰلِكَ أَبَدًا.

إِخْوَةَ الإِيْمَانِ، وَيَحْسُنُ هُنَا أَنْ أَذْكُرَ بَعْضَ الْمُشْكِلَاتِ وَالعَقَبَاتِ فِي طَرِيْقِ الزَّوَاجِ، مَعَ الإِشَارَةِ إِلَىٰ آثَارِهَا السَّيِّئَةِ عَلَى الْفَرْدِ وَالمُجْتَمَعِ، وَبَيَانِ

---

(١) «المسند» (٦/ ١٤٥)، و«سنن البيهقي» (٧/ ٢٣٥).



الْمَنْهَجِ السَّلِيْمِ، وَالْعِلَاجِ القَوِيْمِ، والدَّوَاءِ النَّاجِعِ، لِكُلِّ مُشْكِلَةٍ مِنْهَا؛ لَعَلَّهَا تَجِدُ آذَانًا صَاغِيَةً، وَقُلُوبًا وَاعِيَةً، وَتَطْبِيقًا عَمَلِيًّا:

فَأَوَّلُ هَٰذِهِ الْمُشْكِلَاتِ: عُزُوْفُ كَثِيْرٍ مِنَ الشَّبَابِ مِنَ الْجِنْسَيْنِ عَنِ الزَّوَاجِ المُبَكِّرِ، وَلَهُمْ فِي ذَٰلِكَ حُجَجٌ وَاهِيَةٌ، وَأَسْبَابٌ أَوْهَىٰ، بَعْضُهَا يَعُوْدُ إِلَى الْمُجْتَمَعِ كُلِّهِ، وَبَعْضُهَا يَعُودُ إِلَيْهِمْ؛ وَذَلِكَ لِتَعَلُّقِهِمْ بِآمَالٍ وَأَحْلَامٍ سَرَابِيَّةٍ، وَخَيَالَاتٍ وَأَوْهَامٍ وَقْتِيَّةٍ، هِيَ فِي الْحَقِيْقَةِ مِنَ إِيحَاءِ الشَّيْطَانِ:

فَبَعْضُهُمْ: يَتَعَلَّقُ بِحُجَّةِ إِكْمَالِ الدِّرَاسَةِ؛ زَاعِمِيْنَ أَنَّ الزَّوَاجَ يَحُوْلُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مُوَاصَلَةِ دِرَاسَتِهِمْ، وَتِلْكَ حُجَّةٌ دَاحِضَةٌ، وَشُبْهَةٌ وَاهِيَةٌ؛ فَمَتَى كَانَ الزَّوَاجُ عَائِقًا عَنِ التَّحْصِيلِ الْعِلْمِيِّ؟! بَلْ لَقَدْ ثَبَتَ بِالتَّجْرِبَةِ والوَاقِعِ: أَنَّ الزَّوَاجَ المُوَفَّقَ يُعِيْنُ عَلَىٰ تَفَرُّغِ الذِّهْنِ، وَصَفَاءِ النَّفْسِ، وَرَاحَةِ الْفِكْرِ.

ثُمَّ - وَأَقُوْلُهَا بِحَقٍّ - مَاذَا تَنْفَعُ الْمَرْأَةَ بِالذَّاتِ شَهَادَاتُهَا إِذَا بَقِيَتْ عَانِسًا، قَدْ فَاتَهَا رَكْبُ الزَّوَاجِ، وَأَصْبَحَتْ أَيِّمًا لَمْ تَسْعَدْ فِي حَيَاتِهَا بِزَوْجٍ وَأَوْلَادٍ يَكُونُونَ لَهَا ذُخْرًا فِي الحَيَاةِ، وَبَعْدَ المَمَاتِ؟!

فَوَصِيَّتِي لِلشَّبَابِ، مِنْ ذُكُورٍ وَإِنَاثٍ: أَنْ يُفَكِّرُوا جِدِّيًّا فِي مَوْضُوعِ الزَّوَاجِ مَتَىٰ مَا تَيَسَّرَ لَهُمْ أَمْرُهُ، وَأَلَّا يَتَعَلَّقُوا بِأُمُوْرٍ مِثَالِيَّةٍ - فِي زَعْمِهِمْ - تَكُوْنُ حَجَرَ عَثْرَةٍ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَرُومُوْنَ مِنْ سَعَادَةٍ، وَيَنْشُدُوْنَ مِنْ خَيْرٍ وَنَجَاةٍ، **وَأَلَّا يَتَذَرَّعُوا بِمَا يُسَمُّونَهُ «تَأْمِيْنَ الْمُسْتَقْبَلِ»؛** فَإِنَّ الْمُسْتَقْبَلَ بِيَدِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَعِنْدَهُ وَحْدَهُ الْعِلْمُ بِهِ.



وَكَذَلِكَ، أَلاَّ يَحْتَجُّوا بِمَسْأَلَةِ الْمَادَّةِ وَالرِّزْقِ؛ فَهِيَ مِنْ عِنْدِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، مَعَ بَذْلِ الأَسْبَابِ فِي ذٰلِكَ، وَاللهُ عَزَّوَجَلَّ يَقُوْلُ: ﴿إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النور: ٣٢]، وَهَـٰذَا أَبُوبَكْرٍ الصِّدِّيقُ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ يَقُوْلُ: «**أَطِيْعُوا اللهَ فِيمَا أَمَرَكُمْ مِنَ النِّكَاحِ، يُنْجِزْ لَكُمْ مَا وَعَدَكُمْ مِنَ الغِنَىٰ**»[١]، وَيَقُولُ ابنُ مَسْعُودٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنهُ ـ: «**الْتَمِسُوا الغِنَىٰ فِي النِّكَاحِ**»[٢].

فَعُزُوفُ الشَّبَابِ مِنَ الذُّكُورِ وَالإِنَاثِ عَنِ الزَّوَاجِ: لَهُ مَضَارُّهُ الخَطِيْرَةُ، وَعَوَاقِبُهُ الوَخِيْمَةُ، وَنَتَائِجُهُ المُدَمِّرَةُ عَلَى الأُمَّةِ بِأَسْرِهَا، لاَ سِيَّمَا فِي هَـٰذَا الزَّمَنِ الَّذِي كَثُرَتْ فِيهِ أَسْبَابُ الفِتْنَةِ، وَتَوَفَّرَتْ فِيهِ السُّبُلُ المُنْحَرِفَةُ لِقَضَاءِ الشَّهْوَةِ؛ فَلاَ عَاصِمَ مِنَ الانْزِلاَقِ فِي مَهَاوِي الرَّذِيْلَةِ، وَالفَسَادِ الأَخْلاَقِيِّ، إِلاَّ اللُّجُوءُ إِلَى الزَّوَاجِ الشَّرْعِيِّ.

وَمِنَ المُؤْسِفِ: أَنْ يَصِلَ بَعْضُ الشَّبَابِ إِلَىٰ سِنِّ الثَّلاَثِيْنَ أَوْ أَكْثَرَ وَهُوَ لَم يُفَكِّرْ بَعْدُ فِي مَوْضُوعِ الزَّوَاجِ، وَمَا انْفَتَحَتْ أَبْوَابُ الفَسَادِ إِلاَّ لَمَّا وُضِعَتِ العَرَاقِيْلُ أَمَامَ الرَّاغِبِيْنَ في الزَّوَاجِ، بَلْ لَمْ يَنْتَشِرِ الخَنَا وَالزِّنَا، وَاللِّوَاطُ وَالاِسْتِمْنَا، والمُعَاكَسَاتُ والمُغَازَلاَتُ، وَالعَلاَقَاتُ المَشْبُوهَةُ، والسَّفَرُ إِلَىٰ بِيْئَاتٍ مَوْبُوءَةٍ ـ إِلاَّ بِسَبَبِ تَعْقِيدِ أُمُورِ الزَّوَاجِ، لاَسِيَّمَا مَعَ غَلَبَةِ

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٥٨٢).

(٢) رواه ابن جرير في «تفسيره» (٩/ ٣١١).



مَا يَخْدِشُ الفَضِيلَةَ، ويَقْضِي عَلَىٰ العِفَّةِ وَالْحَيَاءِ؛ مِمَّا يُرَىٰ وَيُقْرَأُ وَيُسْمَعُ مِنْ أَلْوَانِ الفَسَادِ؛ مِمَّا قَذَفَتْ بِهِ المَدَنِيَّةُ الخَبِيْثَةُ، وَمَا لَفَظَتْهُ الْحَضَارَةُ الزَّائِفَةُ؛ وَحَدِّثْ وَلاَ كَرَامَةَ عَمَّا تَبُثُّهُ كَثِيرٌ مِنَ الوَسَائِلِ الإِعْلاَمِيَّةِ، وَالقَنَوَاتِ الْفَضَائِيَّةِ، وَالشَّبَكَاتِ المَعْلُومَاتِيَّةِ؛ مِمَا تَئِنُّ مِنْهُ الْفَضِيلَةُ، وَيَنْدَىٰ لَهُ الجَبِينُ، وَاللهُ المُسْتَعَانُ.

أُمَّةَ ٱلإِسْلَامِ، وَهُنَاكَ **مُشْكِلَةٌ أُخْرَىٰ**، وَعَقَبَةٌ كَأْدَاءُ، أَلاَ وَهِيَ: «**مَنْعُ النِّسَاءِ مِنْ زَوَاجِ الأَكْفَاءِ**»، والرَّسُولُ ﷺ يَقُولُ: «**إِذَا أَتَاكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ خُلُقَهُ وَدِيْنَهُ، فَزَوِّجُوهُ، إِلاَّ تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيْضٌ**»؛ خَرَّجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وابْنُ مَاجَهْ، وَالحَاكِمُ؛ بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ[1]؛ فَهُنَاكَ بَعْضُ الأَوْلِيَاءِ ـ هَدَاهُمُ اللهُ ـ قَدْ خَانُوا الأَمَانَةَ الَّتِي فِي أَعْنَاقِهِمْ ـ مِنْ بَنَاتِهِمْ، وَفَتَيَاتِهِمْ ـ بِمَنْعِهِنَّ مِنَ الزَّوَاجِ مِنَ الأَكْفَاءِ، دِيْنًا وَخُلُقًا وَأَمَانَةً؛ فَقَدْ يَتَقَدَّمُ إِلَيْهِمُ الخَاطِبُ الكُفْءُ فِي دِينِهِ وَأَمَانَتِهِ وَخُلُقِهِ، وَالَّذِي لاَ يُلْفَىٰ نَظِيرُهُ، وَلاَ يُدْرَكُ قَرِينُهُ؛ فَيُمَاطِلُونَهُ وَيَعْتَذِرُونَ لَهُ بِأَعْذَارٍ وَاهِيَةٍ، وَيَنْظُرُونَ فِيهِ إِلَىٰ أُمُورٍ شَكْلِيَّةٍ، وَجَوَانِبَ كَمَالِيَّةٍ، واعْتِبَارَاتٍ ثَانَوِيَّةٍ، وَيَسْأَلُونَ عَنْ مَالِهِ وَوَظِيْفَتِهِ، وَوَجَاهَتِهِ وَمَكَانَتِهِ، وَيُغْفِلُونَ أَمْرَ دِيْنِهِ وَخُلُقِهِ وَأَمَانَتِهِ.

بَلْ لَقَدْ وَصَلَ بِبَعْضِ الأَوْلِيَاءِ الجَشَعُ وَالطَّمَعُ: أَنْ يَعْرِضَ ابْنَتَهُ سِلْعَةً

---

(١) «جامع الترمذي» (١٠٨٤، ١٠٨٥)، و«سنن ابن ماجه» (١٩٦٧)، و«المستدرك» (٢/ ١٦٥، ١٦٦)؛ من حديث أبي هريرة، وأبي حاتم المزني، رضي الله عنهما.

لِلْمُسَاوَمَةِ، وَتِجَارَةً لِلْمُزَايَدَةِ، وَالعِيَاذُ بِاللهِ، وَمَا دَرَىٰ هَـٰذَا المِسْكِيْنُ أَنَّ هَـٰذَا غِشٌّ وَعَضْلٌ[1] وَخِيَانَةٌ!!

فَأَيْنَ الرَّحْمَةُ عِنْدَ هَـٰؤُلاَءِ الأَوْلِيَاءِ؟! كَيْفَ لاَ يُفَكِّرُونَ فِي العَوَاقِبِ، وَالنَّتَائِجِ الْمُزْرِيَةِ؟! أَيَسُرُّهُمْ أَنْ يَسْمَعُوا الأَخْبَارَ المُرَوِّعَةَ، وَالأَنْبَاءَ المُزْعِجَةَ عَنْ بَنَاتِهِمْ، مِمَّا يَنْدَىٰ لَهُ جَبِيْنُ الفَضِيْلَةِ وَالحَيَاءِ؟! وَمَاذَا لَوْ رُدُّوا هُمْ عَنِ الزَّوَاجِ وَهُمْ فِي شَوْقٍ إِلَيْهِ؟! كَيْفَ سَيَكُونُ رَدُّ الفِعْلِ عِنْدَهُمْ؟!

فَيَاأَيُّهَا الأَوْلِيَاءُ، اتَّقُوا اللهَ فِيْمَا تَحْتَ أَيْدِيْكُمْ مِنَ البَنَاتِ، بَادِرُوا بِتَزْوِيجِهِنَّ مَتَىٰ مَا تَقَدَّمَ الخَاطِبُ الكُفْءُ فِي دِيْنِهِ وَخُلُقِهِ؛ إِلاَّ تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ؛ وَعَضْلُ النِّسَاءِ، وَرَدُّ الأَكْفَاءِ: فِيهِ جِنَايَةٌ عَلَى النَّفْسِ، وَعَلَى البِنْتِ، وَعَلَى الخَاطِبِ، وَعَلَىٰ المُجْتَمَعِ كُلِّهِ وَالأُمَّةِ بِأَسْرِهَا.

مَعْشَرَ المُسْلِمِيْنَ، وَمِنَ المُشْكِلاَتِ المُسْتَعْصِيَةِ، وَالعَقَبَاتِ المُسْتَفْحِلَةِ: مُشْكِلَةُ غَلاَءِ المُهُورِ، وَالمُبَالَغَةُ فِي الصَّدَاقِ؛ حَتَّىٰ صَارَ الزَّوَاجُ عِنْدَ بَعْضِ النَّاسِ مِنَ الأُمُورِ الشَّاقَّةِ أَوِ المُسْتَحِيْلَةِ، وَبَلَغَ المَهْرُ فِي بَعْضِ البِقَاعِ حَدًّا خَيَالِيًّا لاَ يُطَاقُ، إِلاَّ فِي دُيُونٍ تُثْقِلُ كَاهِلَ الزَّوْجِ، وَيُؤْسِفُ كُلَّ مُسْلِمٍ: أَنْ يَصِلَ الجَشَعُ بِبَعْضِ الأَوْلِيَاءِ أَنْ يَطْلُبَ مَهْرًا يَزِيدُ

---

(١) عَضْلُ النِّسَاءِ: مَنْعُهُنَّ من التَزَوُّجِ، وحَبْسُهُنَّ عنه ظُلْمًا؛ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحۡنَ أَزۡوَٰجَهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٢]. «اللسان» (عضل)، وانظر: «تفسير ابن كثير» (١/ ٦٣١-٦٣٢).



عَلَىٰ مِائَةِ أَوْ مِائَتَيْ أَلْفِ رِيَالٍ، مِنْ أُنَاسٍ يَعْلَمُ اللهُ حَالَهُمْ، لَو جَلَسُوا شَطْرَ حَيَاتِهِمْ فِي جَمْعِ ذَلِكَ المَبْلَغِ، لَمَا اسْتَطَاعُوا، فَيَا سُبْحَانَ اللهِ! أَإِلَىٰ هَـٰذَا الحَدِّ بَلَغَ الطَّمَعُ وَحُبُّ الدُّنْيَا بِبَعْضِ النَّاسِ؟! وَكَيف تُعْرَضُ المَرْأَةُ الحُرَّةُ الكَرِيْمَةُ سِلْعَةً لِلْبَيْعِ وَالرِّبْحِ؟!

إِنَّ المَهْرَ فِي الزَّوَاجِ ـ يَاعِبَادَ اللهِ ـ وَسِيْلَةٌ لاَغَايَةٌ، وَمَغْزًى لاَ جِبَايَةٌ، وَإِنَّ المُغَالاَةَ فِيهِ لَهَا آثَارٌ سَيِّئَةٌ عَلَىٰ الأَفْرَادِ وَالمُجْتَمَعَاتِ لاَ تَخْفَىٰ عَلَىٰ كُلِّ عَاقِلٍ؛ مِنْ تَعْطِيلِ الزَّوَاجِ، أَوِ الزَّوَاجِ مِنْ مُجْتَمَعَاتٍ مُخَالِفَةٍ لِلْمُجْتَمَعَاتِ المُحَافِظَةِ.

وَلَمْ يَقِفِ الشَّرَهُ بِبَعْضِ أَوْلِيَاءِ الأُمُور عِنْدَ هَـٰذَا الحَدِّ، بَلْ تَجَاوَزَهُ إِلَىٰ أَنْ يَشْتَرِطَ شُرُوطًا لَيْسَتْ فِي كِتَابِ اللهِ، وَلاَ فِي سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَمِنْهَا: أَنْ يُقَدِّمَ الخَاطِبُ أَمْوَالاً لِلأَبِ، وَأُخْرَىٰ لِلأُمِّ، وَمُسَاعَدَاتٍ لِلأَقَارِبِ، وعَطَايَا لِلأَصْحَابِ، وَنَحْوَ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ خُرُوجٌ عَنْ مَنْهَجِ السَّلَفِ الصَّالِحِ ـ رَحِمَهُمُ اللهُ ـ يَقُولُ الفَارُوقُ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ: «**لاَ تُغَالُوا صَدَاقَ النِّسَاءِ؛ فَإِنَّهَا لَوْ كَانَتْ مَكْرُمَةً فِي الدُّنْيَا، أَوْ تَقْوَى عِنْدَ اللهِ ـ كَانَ أَوْلاَكُمْ وَأَحَقَّكُمْ بِهَا مُحَمَّدٌ ﷺ**»[1]، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِرَجُلٍ: «**الْتَمِسْ وَلَوْ خَاتَمًا مِنْ حَدِيْدٍ**»، فَلَمَّا لَمْ يَجِدْ، قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**زَوَّجْتُكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ**»[2]، وَتَزَوَّجَ عَبْدُالرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ ـ رضي الله عنه ـ عَلَىٰ وَزْنِ

---

(١) رواه الطيالسي (٦٤)، وأحمد (١/ ٤١)، وابن ماجه (١٨٨٧).

(٢) رواه البخاري (٥٠٢٩)، ومسلم (١٤٢٥)؛ من حديث سهل بن سعد، رضي الله عنه.



نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ[1].

وَقَدْ أَنكَرَ ﷺ عَلَى المُغَالِينَ فِي المُهُورِ، فَقَدْ جَاءَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً عَلَىٰ أَرْبَعِ أَوَاقٍ مِنَ الفِضَّةِ - يَعْنِي: مِائَةً وَسِتِّينَ دِرْهَمًا - فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**عَلَىٰ أَرْبَعِ أَوَاقٍ؟! كَأَنَّمَا تَنْحِتُونَ الفِضَّةَ مِنْ عُرْضِ هَـٰذَا الجَبَلِ، مَا عِنْدَنَا مَا نُعْطِيكَ**»[2].

فَاللهُ المُسْتَعَانُ، كَيْفَ بِحَالِ المُغَالِينَ اليَوْمَ؟! الَّذِيْنَ يَجِبُ الأَخْذُ عَلَىٰ أَيْدِيهِمْ، وَبَذْلُ الجُهُودِ لِتَوْعِيَتِهِمْ وَتَعَقُّلِهِمْ، وَكَانَ اللهُ فِي عَوْنِ الضِّعَافِ ذَوِي الدُّخُولِ المَحْدُودَةِ!!

أُمَّةَ الإِسْلَامِ، وَمُشْكِلَةُ المُشْكِلَاتِ فِي مَوْضُوعِ الزَّوَاجِ: مَا أُحِيطَتْ بِهِ الزِّيجَاتُ مِنْ تَكَالِيفَ بَاهِظَةٍ، وَنَفَقَاتٍ عَظِيْمَةٍ، وَعَادَاتٍ اجْتِمَاعِيَّةٍ فَرَضَهَا النَّاسُ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ، تَقْلِيدًا وَتَبَعِيَّةً، مُفَاخَرَةً وَمُبَاهَاةً؛ كَحُلِيٍّ وَأَثَاثٍ خَيَالِيٍّ، إِسْرَافًا وَتَبْذِيْرًا، وَاسْتِئْجَارٍ لأَفْخَمِ الفَنَادِقِ، وَأَعْظَمِ القُصُورِ، وَأَجْمَلِ القَاعَاتِ، وَحَدِّثْ وَلاَ حَرَجَ، عَمَّا يَخْفَىٰ وَلاَ يُشَاهَدُ.

لِمَاذَا كُلُّ هَـٰذَا، يَا أُمَّةَ الإِسْلَامِ؟! كَيْفَ يُعَرِّضُ المُسْلِمُ نَفْسَهُ لِسَخَطِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَيَكُوْنَ مِنْ زُمْرَةِ الشَّيَاطِينِ؛ لإِسْرَافِهِ وَتَضْيِيْعِهِ

---

(١) رواه البخاري (٥١٥٥)، ومسلم (١٤٢٧)؛ من حديث أنس، رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم (١٤٢٤)، وابن حبان (٤٠٩٤)؛ من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.



الأَمْوَالَ فِي غَيْرِ الوَجْهِ الشَّرْعِيِّ؟! وَقَدْ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [الإسراء: ٢٧].

إِنَّهُ لَمِمَّا يَنْدَى لَهُ الجَبِيْنُ: أَنْ تُصْرَفَ أَمْوَالٌ طَائِلَةٌ كَفِيلَةٌ أَنْ تَسُدَّ كِفَايَةَ قُرًى عَدِيدَةٍ عَلَىٰ مُنَاسَبَةٍ وَاحِدَةٍ، فِي أَيِّ سَبِيلٍ ذَلِكَ؟! أَغَرَّكُمْ وُجُودُ المَالِ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ؟! أَلاَ تَعْتَبِرُونَ بِأَحْوَالِ إِخْوَانٍ لَكُمْ فِي العَقِيدَةِ مِمَّنْ لاَ يَجِدُونَ مَا يَسُدُّ رَمَقَهُمْ، وَلاَ مَا يَرْوِي ظَمَأَهُمْ، وَلاَ يُوَارِي عَوْرَاتِهِمْ؟!

نَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الكُفْرِ بِنِعَمِهِ، وَنَسْأَلُهُ تَعَالَىٰ أَلاَّ يُؤَاخِذَنَا بِمَا فَعَلَهُ السُّفَهَاءُ مِنَّا، إِنَّنَا ـ وَاللهِ ـ نَخْشَىٰ عُقُوبَةَ اللهِ العَاجِلَةَ قَبْلَ الآجِلَةِ، وَكَمْ رُئِيَتْ عَشَرَاتُ الذَّبَائِحِ، وَأَكْوَامُ الأَطْعِمَةِ: مُهَانَةً مَرْمِيَّةً فِي أَمَاكِنِ النُّفَايَاتِ، وَالعِيَاذُ بِاللهِ!

فَاتَّقُوا اللهَ ـ عِبَادَ اللهِ ـ وَتَنَاصَحُوا فِيمَا بَيْنَكُمْ، وَتَعَقَّلُوا كُلَّ التَّعَقُّلِ فِي مَوْضُوعِ الزَّوَاجِ، وَلاَ تَتْرُكُوا الأَمْرَ بِأَيْدِي غَيْرِكُمْ مِنَ السُّفَهَاءِ وَالقَاصِرَاتِ، وَدَعْوَتِي لِلْمُصْلِحِينَ وَالوُجَهَاءِ، وَالعُلَمَاءِ وَالأَثْرِيَاءِ، وَأَهْلِ الحَلِّ وَالعَقْدِ فِي الأُمَّةِ: أَنْ يَكُونُوا قُدْوَةً لِغَيْرِهِمْ فِي هَـٰذَا المَجَالِ؛ فَالنَّاسُ لَهُمْ تَبَعٌ.

وَاللهُ المَسْئُولُ أَنْ يُوَفِّقَ الجَمِيعَ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ؛ ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

أَقُولُ قَوْلِي هَـٰذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ وَلِجَمِيعِ المُسْلِمِيْنَ فَاسْتَغْفِرُوهُ، وَتُوبُوا إِلَيْهِ؛ إِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِيْنَ غَفُورًا.



الخطبة الثانية

الحَمْدُ للهِ الَّذي حَكَمَ فَقدَّرَ، وَشَرَعَ فَيسَّرَ، سُبْحَانَهُ أَحَلَّ النِّكَاحَ، وَحَرَّمَ السِّفَاحَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلـهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ فَالِقُ الإِصْبَاحِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا وَقُدْوَتَنا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى الله وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ، مَا تَعَاقَبَ الْمَسَاءُ وَالصَّبَاحُ.

أمّا بعد:

فَاتَّقُوا اللهَ - مَعْشَرَ المُسْلِمِيْنَ - وَاشْكُرُوهُ عَلَىٰ نِعَمِهِ البَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ، وَخُذُوا بِمَنْهَجِ الإِسْلاَمِ فِي كُلِّ أُمُورِكُمْ، وَاحذَرُوا مِنْ مُخَالفَتِهِ؛ فَإِنَّهَا جَالِبَةٌ لِلْفِتْنَةِ وَالعَذَابِ الأَلِيْمِ.

أَيُّهَا الأَحِبَّةُ فِي اللهِ، وَإِنَّ مِمَّا أَحدَثَهُ النَّاسُ فِي حَفَلاَتِ الزَّوَاجِ: أُمُورًا مُنْكَرَةً في الشَّرْعِ؛ فَعِلاَوَةً عَلَى الإِسْرَافِ والتَّبْذِيْرِ، وَالتَّفَاخُرِ وَالمُبَاهَاةِ - فَهُنَاكَ أُمورٌ أُخرىٰ تَوَسَّعَ بَعْضُ النَّاسِ فِيهَا؛ نَتِيجَةَ ضَعفِ الإِيْمَانِ، وَقِلَّةِ العِلْمِ، وَالإِغْرَاقِ فِي المَادَّةِ:

فَمِنْ ذَلِكَ: أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَجْعَلُ مِنْ حَفَلاَتِ الزَّوَاجِ مَوْسِمًا لِلاخْتِلاَطِ بَيْنَ الرِّجَالِ والنِّسَاءِ، وَظُهُورِ الزَّوْجِ مَعَ زَوجَتِهِ أَمَامَ الحَاضِرِينَ وَهُمْ بِكَامِلِ الزِّينَةِ، وَتُلْتَقَطُ الصُّورُ المُحَرَّمَةُ لَهُمْ، وَفِي هَـٰذَا مِنَ الفِتْنَةِ والفَسَادِ مَا لاَيَعْلَمُهُ إِلاَّ اللهُ!



وَبَعْضُهُمْ: يَجْعَلُهُ مَوْسِمَ سَمَرٍ وَسَهَرٍ عَلَى اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ المُحَرَّمِ، إِلَىٰ سَاعَةٍ مُتَأَخِّرَةٍ مِنَ اللَّيْلِ، **وَآخَرُوْنَ**: يُضَيِّعُونَ الحَيَاءَ مِنَ اللهِ، وَمِنْ عِبَادِ اللهِ؛ فَيَجْعَلُونَ فُرْصَةَ الزَّوَاجِ فُرْصَةً لِلعَلاقَاتِ المَشْبُوهَةِ، وَاللِّقَاءَاتِ المُحَرَّمَةِ، **وَبَعْضُهُمْ**: يُؤْذِي جِيْرَانَهُ وَإِخْوَانَهُ المُسْلِمِيْنَ بِالأَصْوَاتِ المُحَرَّمَةِ، وَالإِزْعَاجِ بِالسَّيَّارَاتِ وَغَيْرِهَا، **وَصِنْفٌ**: يَجْعَلُهُ فُرْصَةً لِلسَّمَاعِ المُحَرَّمِ لِلأَغَانِي الخَلِيْعَةِ المُنْكَرَةِ، الَّتِي تُذْكِي الشَّهْوَةَ، وَتَصُدُّ عَنْ ذِكْرِ اللهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ وَتَكُونُ طَرِيْقًا إِلَى الفَسَادِ، وَالعِيَاذُ بِاللهِ!!

وَهَـٰذَا كُلُّهُ وَغَيْرُهُ مِمَّا يَحْتَاجُ إِلَىٰ أَنْ يُعَادَ النَّظَرُ فِيهِ، وَأَنْ نَبْدَأَ جَمِيعًا التَّطْبِيقَ العَمَلِيَّ فِي اليُسْرِ وَالسَّمَاحَةِ، وَالسَّيْرِ عَلَى الهَدْيِ الشَّرْعِيِّ، وَالسَّنَنِ النَّبَوِيِّ، فِي هَـٰذِهِ القَضِيَّةِ المُهِمَّةِ، وَغَيْرِهَا.

وَلَا يَفُوتُنِي هُنَا: أَنْ أُشِيدَ بِبَعْضِ إِخْوَانِنَا المُسْلِمِينَ الَّذِينَ ضَرَبُوا أَمْثِلَةً يُشْكَرُونَ عَلَيْهَا فِي الاقْتِصَادِ وَالتَّرْشِيدِ، وَالتَّخْفِيْفِ وَالتَّيْسِيرِ فِي أُمُورِ زَوَاجَاتِهِمْ، وَهِيَ بَادِرَةٌ لَيسَتْ غَرِيْبَةً عَلَىٰ مُجْتَمَعِنَا ـ بِحَمْدِ اللهِ ـ نَرْجُو أَنْ تَعُمَّ المُسْلِمِينَ جَمِيعًا قَرِيْبًا ـ بِإِذْنِ اللهِ ـ مَتَىٰ مَا تَزَايَدَ الوَعْيُ، وَسَادَ التَّنَاصُحُ وَالتَّكَاتُفُ بَيْنَ المُسْلِمِينَ.

أَلَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا ـ رَحِمَكُمْ اللهُ ـ عَلَى النَّبِيِّ المُخْتَارِ؛ كَمَا أَمَرَكُمْ بِذَلِكَ المَوْلَى العَزِيزُ الغَفَّارُ؛ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب].



الخطبة الأولى

الحَمْدُ للهِ مُبْدِعِ الكَائِنَاتِ، وَبَارِيءِ النَّسَمَاتِ، لَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَىٰ وَعَظِيْمُ النُّعُوتِ والصِّفَاتِ، أَحْمَدُهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ نِعَمِهِ السَّابِغَاتِ، وأَشْكُرُهُ عَلَىٰ جَزِيْلِ العَطَايَا والهِبَاتِ، سُبْحَانَهُ مِنْ إِلَـٰهٍ كَرِيْمٍ، بَرٍّ رَحِيْمٍ، يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عنِ السَّيِّئَاتِ، سُبْحَانَ مَنْ لاَ تَخْتَلِفُ عَلَيْهِ اللُّغَاتُ، وَلاَ تَشْتَبِهُ عَلَيْهِ الأَصْوَاتُ!

وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ، شَهَادَةً تَرْفَعُ قَائِلَهَا أَعْلَى الدَّرَجَاتِ، لاَ إِلَـٰهَ إِلاَّ اللهُ، أَرْشَدَنَا إِلَى الحَقِّ بِالآيَاتِ البَيِّنَاتِ، وَأَبَانَ الحُقُوقَ وَالوَاجِبَاتِ، لِكُلٍّ مِنَ الأَزْوَاجِ وَالزَّوْجَاتِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، المُؤَيَّدُ بِالمُعْجِزَاتِ الظَّاهِرَاتِ، وَالآيَاتِ البَاهِرَاتِ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الأَئِمَّةِ التُّقَاةِ والعُدُولِ الثِّقَاتِ.

أمّا بعد:

فَيَا أَيُّهَا المُسْلِمُونَ، وَيَا أَيَّتُهَا المُسْلِمَاتُ، اتَّقُوا اللهَ جَمِيْعًا؛ فَإِنَّ تَقْوَاهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ خَيْرُ زَادٍ يُدَّخَرُ فِي هَـٰذِهِ الحَيَاةِ وَبَعْدَ المَمَاتِ.

أَيُّهَا الإِخْوَةُ وَالأَخَوَاتُ، هُنَاكَ مَطْلَبٌ نَفِيسٌ، وَأُمْنِيَّةٌ عَزِيزَةٌ يَنْشُدُهَا كُلُّ زَوْجَيْنِ، وَرَغْبَةٌ مُلِحَّةٌ يَرُومُهَا كُلُّ عَرُوسَيْنِ، مَتَىٰ مَا تَحَقَّقَتْ، رَفْرَفَتْ عَلَى الأُسْرَةِ أَعْلَامُ المَحَبَّةِ وَالهَنَاءِ، وَدَوَّتْ فِي جَنَبَاتِهَا كَلِمَاتُ الرَّحْمَةِ وَالصَّفَاءِ، وَمَتَىٰ مَا عُدِمَتْ، غَرِقَتِ البُيُوتُ فِي لُجَجِ القَلَقِ وَالشَّقَاءِ، وَطَوَّحَتْ بِسَفِينَتِهَا(١) أَمْوَاجُ الشَّرِّ وَالبَغْضَاءِ، إِلَىٰ لُجَجِ العَطَبِ وَالعَنَاءِ.

تِلْكُمْ ـ أَيُّهَا الإِخْوَةُ فِي اللهِ ـ هِيَ: «السَّعَادَةُ الزَّوْجِيَّةُ»، العُمْلَةُ الصَّعْبَةُ فِيْ هَـٰذِهِ الأَعْصَارِ، وَالصَّفْقَةُ النَّادِرَةُ فِي أَكْثَرِ الأَمْصَارِ، حَيْثُ لَازَالَتِ المُشْكِلَاتُ الاِجْتِمَاعِيَّةُ تَتَعَاظَمُ، وَالمُعْضِلَاتُ الأُسْرِيَّةُ تَتَفَاقَمُ، وَتَحْتَلُّ الصَّدَارَةَ فِي قَضَايَا الأُمَّةِ، وَأَوْضَاعِ المُجْتَمَعِ؛ مِمَّا يُنْذِرُ بِخَطَرٍ كَبِيرٍ، وَشَرٍّ مُسْتَطِيرٍ، عَلَى البِلَادِ وَالعِبَادِ، فِي أُمُورِ المَعَاشِ وَالمَعَادِ.

أَيُّهَا الإِخْوَةُ المُسْلِمُونَ، وَأَيَّتُهَا الأَخَوَاتُ المُسْلِمَاتُ، مِنْ نِعَمِ اللهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ: أَنْ هَيَّأَ لَهُمُ الأُسَرَ وَالبُيُوتَاتِ، وَمَنَّ عَلَيْهِمْ بِالزَّوْجَاتِ الكَرِيمَاتِ، آيَةً مِنْ آيَاتِهِ، سَكَنًا وَرَحْمَةً، وَلِبَاسًا وَمَوَدَّةً؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الرُّوم]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً

---

(١) يقال: طوَّح به، وطوَّحه: إذا توَّهَهُ وذهب به هـٰهنا وهـٰهنا. «اللسان» (طوح).

وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [النحل]، يَجِدُ الرَّجُلُ فِي بَيْتِهِ المَأْوَى الكَرِيْمَ، والرَّاحَةَ النَّفْسِيَّةَ بَعْدَ عَنَاءِ العَمَلِ، وَطُولِ الكَدْحِ وَالكَلَلِ، يَنْفُضُ عَنْ نَفْسِهِ غُبَارَ السَّآمَةِ وَالمَلَلِ، وَيُبَدِّدُ مَتَاعِبَ الحَيَاةِ بِابْتِسَامَةٍ حَانِيَةٍ، وَبَشَاشَةٍ مُشْرِقَةٍ، وَكَلِمَاتٍ رَقِيْقَةٍ، وَمُعَامَلَةٍ رَفِيْقَةٍ، وَعَوَاطِفَ دَافِئَةٍ، وَمَشَاعِرَ فَيَّاضَةٍ، تُبَادِلُهَا إِيَّاهُ شَرِيْكَةُ عُمْرِهِ، وَرَفِيْقَةُ دَرْبِهِ، وَصَفِيَّةُ فُؤَادِهِ، وَأُمُّ أَوْلَادِهِ، وَتَجِدُ المَرْأَةُ فِي بَيْتِهَا: عُشَّ الزَّوْجِيَّةِ السَّعِيْدَ، وَبَيْتَ العُمْرِ الرَّغِيْدِ؛ يَنْشَأُ فِي كَنَفِهِ وَيَتَرَعْرَعُ بَيْنَ جَنَبَاتِهِ جِيْلٌ صَالِحٌ فَرِيْدٌ، فِي ظِلِّ أُبُوَّةٍ حَادِبَةٍ[1]، وَأُمُومَةٍ حَانِيَةٍ، بَعِيْدًا عَنْ أَسْبَابِ التَّوَتُّرِ والقَلَقِ، وَمُنَغِّصَاتِ العَيْشِ، وَجَالِبَاتِ الشَّقَاءِ والاضْطِرَابِ.

هَكَذَا يُرِيْدُ الإِسْلَامُ مِنَ الأُسَرِ أَنْ تَكُونَ قِلَاعَ خَيْرٍ وَمَحَبَّةٍ وَوِئَامٍ، وَحُصُونَ بِرٍّ وَحَنَانٍ وَسَلَامٍ، وَيَطْلُبُ مِنْ رُكْنَي الأُسْرَةِ العَرِيْقَيْنِ؛ الزَّوْجِ وَالزَّوْجَةِ: أَنْ يَكُونَا مِثَالاً لِحُسْنِ التَّعَاوُنِ، وَالقِيَامِ بِالحُقُوقِ والوَاجِبَاتِ لِكُلٍّ مِنْهُمَا؛ وَعَلَيْهِ: فَالسَّعَادَةُ الزَّوْجِيَّةُ لَا تَكْمُنُ أَبَدًا فِي مَلْبَسٍ بَهِيٍّ، وَمَطْعَمٍ شَهِيٍّ، وَعَيْشٍ طَرِيٍّ، وَإِنَّمَا فِي المَوَدَّةِ والرَّحْمَةِ، والمَحَبَّةِ والتَّعَاوُنِ؛ وَإِنَّ بَيْتًا يَقُومُ عَلَى النِّزَاعِ والخُصُومَاتِ، وَتَنْتَشِرُ فِيْهِ الإِحَنُ وَالمُشْكِلَاتُ،

---

(١) حادبةٌ: متعطِّفة حانيةٌ؛ يقال: حَدَبَ فلانٌ على فلان، أي: تعطَّف وحنا عليه. «اللسان» (حدب).

لَحَرِيٌّ أَنْ تَمْتَدَّ إِلَيْهِ أَعَاصِيْرُ الدَّمَارِ، وَتَقْضِيْ عَلَيْهِ رِيَاحُ التَّفَكُّكِ وَالبَوَارِ، فِي بُعْدٍ عَنْ هُدُوءِ البَالِ، وَنِشْدَانِ الاِسْتِقْرَارِ(١).

أَيُّهَا المُسْلِمُونَ وَالمُسْلِمَاتِ، أَيُّهَا الأَزْوَاجُ وَالزَّوْجَاتُ، إِنَّ العَلاَقَةَ الزَّوْجِيَّةَ عَلاَقَةٌ عَمِيْقَةُ الجُذُورِ، وَطِيْدَةُ الأَرْكَانِ، بَعِيْدَةُ الأَغْوَارِ؛ يُوضِّحُ ذٰلِكَ قَوْلُ الحَقِّ تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ: ﴿لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا﴾ [الروم: ٢١]؛ مِمَّا يُؤَكِّدُ تَحْقِيْقَ الطُّمَأْنِيْنَةِ بِأَعْلَىٰ صُوَرِهَا، وَأَسْمَىٰ مَعَانِيْهَا، وَقَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧].

اللهُ أَكْبَرُ! انْظُرُوا إِلَىٰ عَظَمَةِ الإِعْجَازِ القُرْآنِيِّ بِهَـٰذِهِ الصُّورَةِ البَلِيْغَةِ الَّتِيْ تُجَسِّدُ صِلَةَ الزَّوْجِيَّةِ بِصِلَةِ المَرْءِ بِلِبَاسِهِ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَقْرَبُ لَهُ وَأَلْصَقُ بِهِ مِنْهُ؟! وَهِيَ بِهَـٰذَا تَسْمُو عَنِ العَلاَقَاتِ الدُّنْيَوِيَّةِ، وَالصِّلاَتِ المَادِّيَّةِ، وَالرَّوَابِطِ الشَّهْوَانِيَّةِ، وَالأُمُورِ البَهِيْمِيَّةِ، بَلْ هِيَ عَلاَقَةٌ رُوحِيَّةٌ وَنَفْسِيَّةٌ كَرِيْمَةٌ؛ وَلِهَـٰذَا حَرَصَ الإِسْلاَمُ عَلىٰ تَوْطِيْدِ هَـٰذِهِ العَلاَقَةِ، وَأَمَرَ بِالمُحَافَظَةِ عَلَيْهَا، وَحَذَّرَ مِنَ التَّسَاهُلِ وَالتَّقْصِيْرِ فِيهَا؛ حَتَّىٰ لاَ تَذْبُلَ وَرْدَةُ صَفَائِهَا، وَتَمُوتَ زَهْرَةُ هَنَائِهَا، وَتُجْتَثَّ شَجَرَةُ بَقَائِهَا، وَلاَ يَتَأَتَّىٰ ذٰلِكَ إِلاَّ بِقِيَامِ كُلٍّ مِنَ الزَّوْجَيْنِ بِمَا لَهُ وَمَا عَلَيْهِ تُجَاهَ الآخَرِ مِنَ الحُقُوقِ وَالوَاجِبَاتِ.

إِخْوَةَ الإِيْمَانِ، لِيَعْلَمِ الزَّوْجَانِ الكَرِيْمَانِ، أَنَّ الكَمَالَ الأُسْرِيَّ أَمْرٌ

---

(١) أي: طَلَبِهِ؛ يقال: نَشَدَ الشيءَ نَشْدًا وَنِشْدَانًا: طلبه. «اللسان» (نشد).



مُسْتَحِيْلُ المَنَالِ؛ لأَنَّ القُصُورَ البَشَرِيَّ أَمْرٌ جِبلِّيٌّ، فَلْيُوطِّنْ كُلٌّ مِنْهُمَا نَفْسَهُ عَلىٰ قَبُولِ الهَنَاتِ، والتَّغَاضِيْ عَنِ الزَّلاَّتِ، والتَّسَامُحِ عِنْدَ وُجُودِ الهَفَوَاتِ؛ فَـ«مَنْ حُوسِبَ عَلَى الجُلِّ، عَجزَ عَنِ الكُلِّ».

وَلأَهَمِّيَّةِ هَٰذَا المَوْضُوعِ، وَخُطُورَةِ هَٰذِهِ القَضِيَّةِ: فَقَدْ جَاءَ كِتَابُ اللهِ بِبَيَانِهَا أَتَمَّ بَيَانٍ؛ كَمَا أَعْلَنَهَا المُصْطَفَىٰ ﷺ عَلَى الأُمَّةِ فِي المَجْمَعِ العَظِيْمِ فِي يَوْمِ عَرَفَةَ؛ فَقَدْ رَوَى التِّرْمِذِيُّ، وَغَيْرُهُ، عَنْ عَمْرِو بن الأَحْوَصِ الجُشَمِيِّ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ فِي حَجَّةِ الوَدَاعِ يَقُولُ: «**أَلاَ وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا؛ فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٍ عِنْدَكُمْ**[1]**، لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئًا غَيْرَ ذٰلِكَ؛ إِلاَّ أَنْ يَأْتِيْنَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ، فَإِنْ فَعَلْنَ، فَاهْجُرُوهُنَّ فِي المَضَاجِعِ، وَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ، فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ، فَلاَ تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيْلاً؛ أَلاَ إِنَّ لَكُمْ عَلَىٰ نِسَائِكُمْ حَقًّا، وَلِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا؛ فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَى نِسَائِكُمْ: فَلاَ يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ، وَلاَ يَأْذَنَّ فِي بُيُوتِكُمْ لِمَنْ تَكْرَهُونَ؛ أَلاَ وَحَقُّهُنَّ عَلَيْكُمْ: أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ**»[2].

وَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ»، مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا؛ فَإِنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ**

---

(١) عَوَانٍ عِنْدَكُم: أسرىٰ في أيْدِيْكُم، واحدتها: عانية. «النهاية» (عني).

(٢) رواه الترمذي (١١٦٣)، وابن ماجه (١٨٥١).



أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلاهُ؛ فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيْمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ؛ فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا»[1].

وَعِنْدَ أَبِيْ دَاوُدَ، مِنْ حَدِيْثِ مُعَاوِيَةَ بنِ حَيْدَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا حَقُّ زَوْجَةِ أَحَدِنَا عَلَيْهِ؟ قَالَ: «**أَنْ تُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمْتَ، وَتَكْسُوَهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ، وَلاَ تَضْرِبِ الوَجْهَ، وَلاَ تُقَبِّحْ، وَلاَ تَهْجُرْ إِلاَّ فِي البَيْتِ**»[2].

وَأَجَلُّ مِنْ ذَلِكَ: قَوْلُ الحَقِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [النساء]، وَقَوْلُهُ جَلَّ وَعَلاَ: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾﴾ [البقرة].

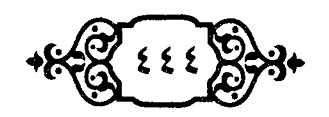
فَيَا أَيُّهَا الأَزْوَاجُ وَالزَّوْجَاتُ، إِنَّ عَلَىٰ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ أَنْ يَعْرِفَ وَاجِبَاتِهِ وَحُقُوقَهُ، فَيَقُومَ بِهَا خَيْرَ قِيَامٍ، وَوَاللهِ لَوْ قَامَ كُلُّ وَاحِدٍ بِدَوْرِهِ وَوَاجِبِهِ، لَمَا عَانَتِ الأُسَرُ مِنْ مُشْكِلاَتٍ تُقِضُّ المَضَاجِعَ، نَعَم وَاللهِ تُقِضُّ المَضَاجِعَ[3]، وَمُعْضِلاَتٍ وَمُنَازَعَاتٍ تَجْعَلُ البُيُوتَ بَلاَقِعَ.

---

(١) «صحيح البخاري» (٥١٨٦)، و«صحيح مسلم» (١٤٦٨).

(٢) «سنن أبي داود» (٢١٤٢).

(٣) تُقِضُّ المضاجع، أي: تُصَيِّرُ على المضاجع القَضَضَ، وهو الحصى الصِّغَار؛ فلا يقدر الإنسان على النوم في مكانه. «تاج العروس» (قضض).



فَيَا أَيُّهَا الأَزْوَاجُ، اتَّقُوا اللهَ فِي زَوْجَاتِكُمْ، أَدُّوا الوَاجِبَ عَلَيْكُم، أَدُّوا وَاجِبَ القَوَامَةِ، كَمَا شَرَعَ اللهُ، قُومُوا بِوَاجِبِ النَّفَقَةِ وَالسُّكْنَىٰ قَدْرَ طَاقَتِكُمْ؛ ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ﴾ [الطلاق: ٦]، ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾ [الطلاق: ٧]، عَاشِرُوا زَوْجَاتِكُمْ بِالمَعْرُوفِ، حَسِّنُوا أَخْلَاقَكُمْ مَعَهُنَّ، وَمَنْ أَحَقُّ بِحُسْنِ أَخْلَاقِكُمْ، مِنْ زَوْجَاتِكُمْ شَرِيكَاتِ حَيَاتِكُمْ؟!

رَوَى الإِمَامُ أَحْمَدُ، وَأَبُودَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَابْنُ حِبَّانَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَكْمَلُ المُؤْمِنِينَ إِيْمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ**»[(١)]، وَلِلتِّرْمِذِيِّ أَيْضًا أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «**خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي**»[(٢)]، قُومُوا أَيُّهَا الأَزْوَاجُ بِحَقِّ المَبِيْتِ وَالمُعَاشَرَةِ، وَعَلِّمُوا زَوْجَاتِكُمْ أُمُورَ دِيْنِهِنَّ، وَغَارُوا عَلَيْهِنَّ، وَصُونُوا كَرَامَتَهُنَّ، وَاحْفَظُوا أَعْرَاضَهُنَّ، وَلاَ تَتْرُكُوا لَهُنَّ الحَبْلَ عَلَى الغَارِبِ[(٣)]، أَلْزِمُوهُنَّ السِّتْرَ وَالحِجَابَ، والعَفَافَ والحِشْمَةَ،

---

(١) «المسند» (٢/ ٤٧٢)، و«سنن أبي داود» (٤٦٨٢)، و«جامع الترمذي» (١١٦٢)، و«صحيح ابن حبان» (٤١٧٦).

(٢) «جامع الترمذي» (٣٨٩٥)؛ من حديث عائشة، رضي الله عنها.

(٣) الغَارب: أعلى مقدَّم السَّنام، وهذا على وجه التمثيل، أي: احذروا من تخلية سبيلهنَّ بحيث يذهبْنَ حيث شِئْنَ؛ كهذا البعير المخلَّى لا يُمْنَعُ من شيء، ومنه =



وَاحْفَظُوهُنَّ مِنْ دَوَاعِيْ الشَّرِّ وَالفَسَادِ، وَوَسَائِلِ الهَدْمِ والتَّخْرِيْبِ، وَأَسْبَابِ الانْحِرافِ وَالجَرِيْمَةِ.

وَإِنَّكَ لَتَعْجَبُ مِنْ صُوَرِ التَّعَامُلِ الَّتِيْ يُعَامِلُ بِهَا بَعْضُ الأَزْوَاجِ زَوْجَاتِهِمْ؛ فَمِنَ الرِّجَالِ: مَنْ لاَيَعْرِفُ فِي بَيْتِهِ إِلاَّ لُغَةَ الأَوَامِرِ والنَّوَاهِيْ، يُكَشِّرُ وَيُزَمْجِرُ، وَيَسْتَطِيْلُ وَيَسْتَبِدُّ؛ سَيِّءُ العِشْرَةِ، ثَقِيْلُ الطَّبْعِ، بَطِيْءُ الرِّضَا، سَرِيْعُ الغَضَبِ، شَدِيْدُ الانْفِعَالِ؛ إِنْ تَكَلَّمَ فَأَحْمَقُ، وَإِنْ تَصَرَّفَ فَأَخْرَقُ[1]؛ صَفِيقٌ وَجْهًا[2]، ضَيِّقٌ عطَنًا[3]، إِنْ دَخَلَ بَيْتَهُ فَمَنَّانٌ، وَإِنْ خَرَجَ مِنْهُ فَظَنَّانٌ، لَيْسَ بِلَطِيْفٍ وَلاَحَنَّانٍ، تَعِيْشُ زَوْجَتُهُ مَعَهُ فِي عَنَاءٍ، وَتَتَقَلَّبُ فِي شَقَاءٍ، وَتَتَجَرَّعُ معَهُ الغُصَصَ والبَلاَءَ.

وَقَدْ وُجِدَ مِنَ الزَّوْجَاتِ مَنْ تَشْتَكِيْ زَوْجَهَا: بِأَنَّهُ لاَ يَحْضُرُ الجُمَعَ وَلاَ الجَمَاعَاتِ، وَأُخْرَىٰ تُخْبِرُ: أَنَّهُ يَتَعَاطَى المُسْكِرَاتِ، وَيُدْمِنُ المُخَدِّرَاتِ، وَثَالِثَةٌ تُفِيْدُ: أَنَّهُ كَثِيْرُ السَّهَرَاتِ، وَالسَّمَرَاتِ، والسَّفَرَاتِ، وَرَابِعَةٌ: تَشْتَكِيْ عَلاَقَاتِهِ المَشْبُوهَةَ، ، ، وَهَلُمَّ جرًّا، فَرُحْمَاكَ رَبَّنَا رُحْمَاكَ!.

فَاتَّقُوا اللَّهَ - أَيُّهَا الأَزْوَاجُ - قُومُوا بِحُقُوقِ زَوْجَاتِكُمْ، لاَسِيَّمَا عِنْدَ

= قولهم في المثل: «أَلْقِ حبله على غاربه» أي: دعه يذهب حيث يشاء. انظر: «النهاية» و«اللسان» (غرب).

(١) أَخْرَقُ، أي: أحمق جاهل. «اللسان» (خرق).

(٢) يقال: وجه صفيق، أي: وقح. «القاموس» (صفق).

(٣) ضَيِّقُ العَطَنِ: ضيق الذراع. «أساس البلاغة» (عطن).

الكِبَرِ وَالمَرَضِ، وَعِنْدَ الطَّلَاقِ الرَّجْعِيِّ، وَلْيَتَّقِ اللهَ مَنْ رَامُوا تَعَدُّدَ الزَّوْجَاتِ؛ بِالعَدْلِ بَيْنَهُنَّ، وَعَدَمِ ظُلْمِ الأُولَى مِنْهُنَّ، وَالمَيْلِ إِلَى الأَخِيرَاتِ، وَإِنَّكَ لَوَاجِدٌ فِي هَـٰذَا أُمُورًا غَرِيْبَةً، وَحِكَايَاتٍ عَجِيْبَةً، بعْضُهُنَّ تَشْتَكِيْ أَنَّهُ لَمَّا تَزَوَّجَ عَلَيْهَا، لَمْ تَرَهُ مُنْذُ سِنِيْنَ، وَلَمْ يَقُمْ بِوَاجِبَاتِهِ تُجَاهَهَا، وَتُجَاهَ أَوْلَادِهَا؛ فَاللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ!.

وَيَامَعَاشِرَ الزَّوْجَاتِ، اتَّقِينَ اللهَ فِي أَزْوَاجِكُنَّ، أَطِعْنَهُمْ بِالمَعْرُوفِ، وَانْظُرِيْ - أَيَّتُهَا الزَّوْجَةُ - أَيْنَ أَنْتِ مِنْ زَوْجِكِ؟! فَإِنَّمَا هُوَ جَنَّتُكِ وَنَارُكِ؛ كَمَا رُوِيَ ذٰلِكَ فِي حَدِيْثٍ عِنْدَ أَحْمَدَ، وَالحَاكِمِ[1]، وَاعْلَمِيْ - أَيَّتُهَا الأُخْتُ المُسْلِمَةُ - أَنَّ مِقْيَاسَ قُرْبِكِ مِنَ اللهِ بِمِقْدَارِ رِضَا زَوْجِكِ عَنْكِ بِالمَعْرُوفِ؛ رَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهَا - قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَيُّمَا امْرَأَةٍ مَاتَتْ وَزَوْجُهَا عَنْهَا رَاضٍ، دَخَلَتِ الجَنَّةَ**»[2]، احْفَظْنَ بُيُوتَ أَزْوَاجِكُنَّ، وَأَمْوَالَهُمْ، وَأَوْلَادَهُمْ، لَا تُرْهِقْنَهُمْ فِي النَّفَقَةِ، وَقُمْنَ بِخِدْمَتِهِمْ، وَأَدَاءِ حُقُوقِهِمْ، وَاحذَرْنَ مِنَ التَّسَاهُلِ فِي ذٰلِكَ؛ فَقَدْ وَرَدَ الوَعِيْدُ الشَّدِيْدُ فِي الحَدِيْثِ المُتَّفَقِ عَلَيْهِ، عَنْ أَبِيْ هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا دَعَا الرَّجُلُ**

---

(١) «المسند» (٤/ ٣٤١)، و«المستدرك» (٢/ ١٨٩)؛ من حديث حصين بن محصن، عن عمته، رضي الله عنها.

(٢) «جامع الترمذي» (١١٦١).

امْرَأَتَهُ إِلَىٰ فِرَاشِهِ، فَلَمْ تَأْتِهِ، فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا ـ لَعَنَتْهَا المَلائِكَةُ حَتَّىٰ تُصْبِحَ»، وَفِي رِوَايَةٍ لِـ«مُسْلِمٍ»: «وَالَّذِيْ نَفسِيْ بِيَدِهِ! مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو امْرَأَتَهُ إِلىٰ فِرَاشِهِ فَتَأْبَىٰ عَلَيْهِ، إِلاَّ كَانَ الَّذِيْ فِي السَّمَاءِ سَاخِطًا عَلَيْهَا؛ حَتَّىٰ يَرْضَىٰ عَنْهَا زَوْجُهَا»(١).

فَاللهُ المُسْتَعَانُ، هَلْ تَرْضَىٰ مُؤْمِنَةٌ عَاقِلَةٌ شَرِيْفَةٌ، حُرَّةٌ عَفِيْفَةٌ بِذٰلِكَ؟! وَمَا أَكْثَرَ اللَّوَاتِيْ هَـٰذِهِ حَالُهُنَّ، وَالعِيَاذُ بِاللهِ!.

وَرَوَى الإِمَامُ أَحْمَدُ، وَالتِّرْمِذِيُّ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لاَ تُؤْذِيْ امْرَأَةٌ زَوْجَهَا فِي الدُّنْيَا، إِلاَّ قَالَتْ زَوْجَتُهُ مِنَ الحُورِ العِيْنِ: لاَ تُؤْذِيهِ، قَاتَلَكِ اللهُ! فَإِنَّمَا هُوَ عِنْدَكِ دَخِيْلٌ، يُوشِكُ أَنْ يُفَارِقَكِ إِلَيْنَا»(٢).

وروَى التِّرْمِذِيُّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لأَحَدٍ، لأَمَرْتُ المَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا»(٣)، وَمَا ذَاكَ ـ أَيُّهَا الإِخْوَةُ ـ إِلاَّ لِعِظَمِ حَقِّهِ عَلَيْهَا، فَلْتَسْمَعِ الزَّوْجَاتُ هَـٰذِهِ الأَحَادِيْثَ الشَّرِيْفَةَ، وَلْتَعْمَلْ عَلَىٰ ضَوْئِهَا؛ إِنْ أَرَدْنَ سَعَادَةَ الدُّنْيَا وَثَوَابَ الآخِرَة.

(١) «صحيح البخاري» (٣٢٣٧)، و«صحيح مسلم» (١٤٣٦).
(٢) «المسند» (٥/ ٢٤٢)، و«جامع الترمذي» (١١٧٤).
(٣) «جامع الترمذي» (١١٥٩).



وَإِنَّكَ لَتُصَابُ بِالذُّهُولِ، وَتَأْسَفُ أَشَدَّ الأَسَفِ مِنْ وَضعِ كَثِيرٍ مِنَ الزَّوْجَاتِ فِي بُيُوتِهِنَّ، وَمُعَامَلَتِهِنَّ لأَزْوَاجِهِنَّ:

فَمِنْهُنَّ: مَنْ لاَ تَعْرِفُ مِنْ زَوْجِهَا إِلاَّ الخَادِمَ الذَّلِيْلَ، تُمْطِرُهُ بِوَابِلِ الطَّلَبَاتِ وَالحَاجَاتِ، وَتُزْعِجُهُ بِقَوَائِمِ المُشْتَرَيَاتِ وَالكَمَالِيَّاتِ.

وَمِنَ الزَّوْجَاتِ: مَنْ تُكَلِّفُ شَطَطًا، وَتَقُولُ غَلَطًا، وَتُكْثِرُ لَغطًا[1]، وَتَتْبَعُ سَقطًا، كَنُودٌ[2] عَنُودٌ[3]، غَيْرُ رَضِيَّةٍ وَلاَ وَدُودٍ، إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ يَجِدُ الثَّوْبَ الرَّثَّ، وَالشَّعْرَ المُبَعْثَرَ، والتَّطَاوُلَ وَالزَّعْقَ، تُصْبِحُ وَهِيَ نَوَّامَةٌ، وَتُمْسِيْ وَهِيَ لَوَّامَةٌ، تَعْتَمِدُ فِي عَمَلِ البَيْتِ عَلَى الخَادِمَاتِ، وَلاَ تَعْرِفُ إِلاَّ الخُرُوجَ إِلَى الصَّاحِبَاتِ، والذَّهَابَ إِلَى الحَفَلاَتِ؛ فَلاَ دِيْنَ يَرْدَعُهَا، وَلاَ خُلُقَ يُقَوِّمُهَا، تَدْعُو بِالوَيْلِ والثُّبُورِ[4]، وَعَظَائِمِ الأُمُورِ، عِنْدَ أَدْنَىٰ فُتُورٍ، بَرْزَةٌ مُتَرَجِّلَةٌ، لاَ خَيْرَ فِيْهَا لأَهْلِ بَيْتِهَا، وَلاَ لِزَوْجِهَا، وَلاَ أَوْلاَدِهَا؛ فَاللَّهُمَّ عَفْوَكَ وَعَافِيَتَكَ يَا أَللهُ!.

فَلْيَتَّقِ اللهَ المُسْلِمُونَ وَالمُسْلِمَاتُ، وَلْيَقُمْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الأَزْوَاجِ وَالزَّوْجَاتِ بِوَاجِبِهِ؛ حَتَّىٰ لاَتَقْضِيَ المُنَازَعَاتُ عَلى البَقِيَّةِ البَاقِيَةِ مِنَ

---

(١) الشَّطَطُ: الجَوْرُ وَالظُّلْمُ والبُعْدُ عن الحق، واللَّغَطُ: صَوْتٌ وَضَجَّةٌ لا يفهم معناه. «اللسان» (شطط) (لغط).

(٢) امرأةٌ كَنُود: كَفُورٌ للمواصلة والمودة. «اللسان» (كند).

(٣) عنود: معاندة صعبة كثيرة المعارضة. «اللسان» (عند).

(٤) الثبور: الهلاك والخسران. «اللسان» (ثبر).



الأُسَرِ وَالبُيُوتَاتِ، وَاللهُ المَسْئُولُ أَنْ يُصْلِحَ قُلُوبَنَا وَأَعْمَالَنَا وَنِيَّاتِنَا، وَأَنْ يَهَبَ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ، إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيْمٌ.

بَارَكَ اللهُ لِيْ وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيْمِ، وَنَفَعَنِيْ وَإِيَّاكُمْ بِهَدْيِ سَيِّدِ المُرْسَلِيْنَ، أَقُولُ قَوْلِيْ هَـٰذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللهُ لِيْ وَلَكُمْ وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ، فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيْمُ.

الخطبة الثانية

الحَمْدُ للهِ الوَاحِدِ القَهَّارِ، الرَّحِيْمِ الغَفَّارِ، أَحْمَدُهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ فَضْلِهِ المِدْرَارِ، وَأَشْكُرُهُ عَلَىٰ نِعَمِهِ الغِزَارِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰـهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَشَرِيْكَ لَهُ العَزِيْزُ الجَبَّارُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ المُصْطَفَى المُخْتَارُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ الطَّيِّبِيْنَ الأَطْهَارِ، وَإِخْوَانِهِ الأَبْرَارِ، وَأَصْحَابِهِ الأَخْيَارِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ مَا تَعَاقَبَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ.

أمّا بعد:

فَاتَّقُوا اللهَ ـ عِبَادَ اللهِ ـ ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١]، وَاعْلَمُوا أَنَّ سَبَبَ صَلاَحِ الأُسَرِ وَالبُيُوتِ عُمْرَانُهَا بِطَاعَةِ اللهِ، وَإِبْعَادُهَا عَنْ مَعْصِيَتِهِ؛ فَالمَعَاصِيْ شُؤْمُ الأُسَرِ، وَخَرَابُ البُيُوتَاتِ، فَكَمْ تَفَرَّقَ جَمْعٌ، وَتَشَتَّتَ شَمْلٌ، وَاضْطَرَبَتْ أُسَرٌ، وَطُلِّقَتْ نِسَاءٌ، وَشُرِّدَ أَبْنَاءٌ؛ بِشُؤْمِ المَعَاصِيْ المَسْمُوعَةِ، وَالمَرْئِيَّةِ، وَالمَقْرُوءَةِ!

وَاعْلَمُوا ـ رَحِمَكُمُ اللهُ ـ أَنَّ البُيُوتَ مِنْ أَهَمِّ المَعَاقِلِ لِنَشْرِ الإِيْمَانِ، وَإِخْرَاجِ جِيْلِ العَقِيْدَةِ وَالقُرْآنِ، لاَسِيَّمَا فِي هَـٰذَا الزَّمَانِ، وَأَنَّ أَعْدَاءَ الإِسْلاَمِ لاَ زَالُوا يَشُنُّونَ حَمَلاَتِهِمُ الشَّعْوَاءَ عَلَى البُيُوتِ وَالأُسَرِ؛ لِتَقْوِيضِ



أَرْكَانِهَا(١)، وَزَعْزَعَةِ بُنْيَانِهَا، وَزَلْزَلَةِ تَمَاسُكِهَا، وَإِثَارَةِ الخِلاَفَاتِ الزَّوْجِيَّةِ، وَقَدِ اسْتَجَابَ لِذٰلِكَ كَثِيرٌ مِنَ ضِعَافِ الذِّمَمِ؛ فَعَمِلُوا عَلَىٰ إِضْرَامِ نَارِ الفِتْنَةِ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ، وانْبَرَىٰ أُنَاسٌ مِنْ غَيْرِ الأُسْرَةِ لِلتَّخْبِيْبِ بَيْنَهُمَا(٢).

فَلْيَتَّقِ اللهَ الآبَاءُ وَالأُمَّهَاتُ، فِيْ كُلٍّ مِنَ الأَزْوَاجِ وَالزَّوْجَاتِ؛ فَلاَ يَتَدَخَّلُوا فِي حَيَاةِ أَبْنَائِهِمْ إِلاَّ فِيْمَا فِيْهِ مَصْلَحَتُهُمْ، وَلْيَكُنْ بَيْتُ النُّبُوَّةِ ـ عَلَىٰ صَاحِبِهِ أَفْضَلُ الصَّلاَةِ والسَّلاَمِ ـ مِثَالاً يُحْتَذَىٰ، وَأُنْمُوذَجًا يُقْتَفَىٰ، فِي تَحْقِيْقِ السَّعَادَةِ، وَقَطْعِ دَابِرِ المُشْكِلاَتِ وَالخُصُومَاتِ.

وَإِنِّي لأَدْعُو ـ مُخْلِصًا ـ كُلَّ زَوْجَيْنِ حَصَلَ بَيْنَهُمَا مَا حَصَلَ: أَنْ يَطْوِيَا صَفْحَةَ المَاضِيْ، وَأَنْ يَبْدَآا حَيَاةً جَدِيْدَةً، مِلْؤُهَا التَّسَامُحُ وَالمَحَبَّةُ وَالوِئَامُ؛ كَمَا أَنَّ الدَّعْوَةَ مُلِحَّةٌ إِلَىٰ تَكْوِيْنِ لِجَانِ إِصْلاَحٍ مُعْتَبَرَةٍ فِي كُلِّ أُسْرَةٍ وَقَبِيْلَةٍ؛ لِعِلاَجِ المُشْكِلاَتِ الزَّوْجِيَّةِ قَبْلَ اسْتِفْحَالِهَا وَتَفَاقُمِهَا، وَتَحْكِيْمِ الحَكَمَيْنِ كَمَا شَرَعَ اللهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ وَأَنْ يَتَحَلَّى الزَّوْجَانِ ـ لاَ سِيَّمَا مَنْ بِيَدِهِ عِصْمَةُ الزَّوْجِيَّةِ ـ بِالصَّبْرِ، وَعَدَمِ التَّعَجُّلِ فِي فَصْمِ عُرَا هَـٰذِهِ العَلاَقَةِ؛ فَالعَوَاقِبُ وَخِيْمَةٌ، وَالآثَارُ عَلَى الأَفْرَادِ وَالمُجْتَمَعِ عَظِيْمَةٌ.

وَاسْمَعُوا ـ رَحِمَكُمُ اللهُ ـ هَـٰذَا المِثَالَ المُحتَذَىٰ فِي تَحْقِيْقِ السَّعَادَةِ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ، وَحُسْنِ التَّعَامُلِ بَيْنَهُمَا:

---

(١) تقويض الأركان: هدمها. «تاج العروس» (قوض).

(٢) أي: للإفساد بينهما. انظر: «اللسان» (خبب).



فَمِنْ صَحِيْح مَا وَرَدَ فِي كُتُبِ السِّيَرِ: «أَنَّهُ لَمَّا مَاتَ وَلَدُ أُمِّ سُلَيْمٍ بِنْتِ مِلْحَانَ زَوْجَةِ أَبِيْ طَلْحَةَ، وَكَانَ أَبُوطَلْحَةَ قَدْ خَرَجَ مُجَاهِدًا فِي سَبِيْلِ اللهِ، فَلَمَّا دَخَلَ البَيْتَ، قَالَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ: لاَ يَذْكُرْ أَحَدٌ لأَبِيْ طَلْحَةَ مَوْتَ ابْنِهِ، فَلَمَّا جَاءَ، وَسَأَلَ عَنْ وَلَدِهِ، قَالَتْ: هُوَ أَسْكَنُ مَا يَكُونُ؛ فَظَنَّ أَنَّهُ قَدْ عُوفِيَ، وَقَامَ فَأَكَلَ، ثُمَّ تَزَيَّنَتْ لَهُ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ـ وَتَطَيَّبَتْ فَنَامَ مَعَهَا، وَأَصَابَ مِنْهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ، قَالَتْ لَهُ: احْتَسِبْ وَلَدَكَ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «**بَارَكَ اللهُ لَكُمَا فِي لَيْلَتِكُمَا**»[(١)]، فَجَاءَتْ بِوَلَدٍ هُوَ عَبْدُاللهِ بنُ أَبِيْ طَلْحَةَ، فَأَنْجَبَ وَرُزِقَ عَشَرَةً مِنَ الوَلَدِ كُلُّهُمْ مِنَ القُرَّاءِ والعُلَمَاءِ وَالمُجَاهِدِيْنَ.

هَٰذِهِ صُوْرَةٌ مِنْ صُوَرِ التَّعَامُلِ المِثَالِيِّ بَيْنَ الأَزْوَاجِ وَالزَّوْجَاتِ، فَأَيْنَ المُقْتَفُونَ وَالمُقْتَفِيَاتُ؟! إِنَّهُمْ لَكَثِيْرُونَ، وَإِنَّهُنَّ لَكَثِيرَاتٌ، وَللهِ الفَضْلُ وَالمِنَّة!

هَـٰذَا؛ وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا ـ رَحِمَكُمُ اللهُ ـ عَلَىٰ خَيْرِ الوَرَىٰ؛ كَمَا أَمَرَكُمْ بِذَٰلِكَ رَبُّكُمْ جَلَّ وَعَلاَ؛ فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ۝٥٦﴾ [الأحزاب].

* * *

---

(١) رواه أحمد (٣/ ١٠٥)، والبخاري (١٣٠١، ٥٤٧٠)، ومسلم (٢١٤٤)؛ من حديث أنس بن مالك، رضي الله عنه.

الخطبة الأولى

الحَمْدُ للهِ، أَحْكَمَ الأَحْكَامَ، وَشَرَعَ الشَّرَائِعَ، وَجَعَلَ شَرِيْعَتَهُ المُهَيْمِنَةَ عَلَىٰ مَا سِوَاهَا بِلاَ مُنَازِعٍ، أَحْمَدُهُ تَعَالَىٰ وَأَشْكُرُهُ، وَأَسْتَعِيْنُهُ وَأَسْتَغْفِرُهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰـهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ، حَثَّ سُبْحَانَهُ عَلَىٰ حِمَايَةِ الأُسَرِ مِنْ عَوَامِلِ الشِّقَاقِ والعَاتِيَاتِ البَلاَقِع، وَصَانَهَا مِنْ أَسْبَابِ التَّصَدُّعِ وَالاِنْهِيَارِ، وَأَمَرَ بِسَدِّ طُرُقِهِ وَالذَّرَائِعِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الصَّادِقُ الأَمِيْنُ العَابِدُ الخَاشِعُ، جَعَلَ مِنْ بَيْتِ الزَّوْجِيَّةِ مِثَالاً لِكُلِّ مُقْتَفٍ مُتَابِعٍ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الأَئِمَّةِ الطَّلاَئِعِ، وَالنُّجُومِ الطَّوالِعِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ وَاقْتَفَىٰ أَثَرَهُمْ مَا تَعَاقَبَ الجَدِيْدَانِ وَتَتَابَعَتِ المَجَامِعُ، وَسَلَّمَ تَسْلِيْمًا كَثِيْرًا.

أمَّا بعد:

فَيَا أَيُّهَا المُسْلِمُونَ، اتَّقُوا اللهَ رَبَّكُم، اتَّقُوهُ جَلَّ وَعَلاَ فِي أَنْفُسِكُمْ، وَفِي أُسَرِكُمْ، اتَّقُوهُ سُبْحَانَهُ فِي عَلاَنِيَتِكُمْ وَسِرِّكُمْ، وَعُسْرِكُمْ وَيُسْرِكُمْ، اتَّقُوهُ فِي كُلِّ أُمُورِكُمْ وَأَحْوَالِكُمْ.

عِبَادَ اللهِ، قَضِيَّةٌ اجْتِمَاعِيَّةٌ خَطِيْرَةٌ، وَمُشْكِلَةٌ أُسَرِيَّةٌ كَبِيْرَةٌ، تَتَجَلَّىٰ فِي ظَوَاهِرَ مَرِيْرَةٍ، وَتَبْرُزُ فِي حَالاَتٍ كَثِيْرَةٍ، تَسُودُ أَرْجَاءَ المُجْتَمَعَاتِ،

وَتُهَدِّدُ كَثِيْرًا مِنَ الأُسَرِ وَالبُيُوتَاتِ، كَمْ فَرَّقَتْ مِنْ جُمُوعٍ، وَأَذْرَفَتْ مِنْ دُمُوعٍ! كَمْ شَتَّتَتْ مِنْ أُسَرٍ، وَصَدَّعَتْ مِن مَنَازِلَ، وَأَطْفَأَتْ مِنْ شُمُوعٍ! كم قَوَّضَتْ مِنْ بِنَاءٍ، وَأَحْدَثَتْ مِنْ عَنَاءٍ، وَأَوْرَثَتْ مِنْ شَقَاءٍ، وَأَيَّمَتْ مِنْ نِسَاءٍ[1]، وَضَيَّعَتْ مِنْ أَبْنَاءٍ! كَمْ كَانَتْ سَبَبًا فِي إِحْدَاثِ فِتَنٍ ومُشْكلاتٍ، وَإِذْكَاءِ مِحَنٍ وَمُعْضِلاَتٍ! كَمْ كَانَتْ سَبَبًا وَرَاءَ إِحَنٍ وَخُصُومَاتٍ، وَسُلَّمًا لِتَفَشِّيْ القَطِيْعَةِ وَالمُنَازَعَاتِ! أَتَدْرُونَ مَا هَـٰذِهِ القَضِيَّةُ الأُسْرِيَّةُ الخَطِيْرَةُ؟! أَتَعْلَمُونَ مَا هَـٰذِهِ المُشْكِلَةُ الاِجْتِمَاعِيَّةُ الكَبِيْرَةُ؛ الَّتِيْ هَدَّدَتْ حَيَاةَ كَثِيْرٍ مِنَ الأَفْرَادِ وَالأُسَرِ، وَحَوَّلَتْهَا إِلَىٰ جَحِيمٍ لاَ يُطَاقُ؟! إِنَّهَا قَضِيَّةُ «الطَّلاَقِ»، وَكَفَىٰ بِهَا مِنْ مُشْكِلَةٍ! وَأَعْظِمْ بِهَا مِنْ مُعْضِلَةٍ!! حَتَّىٰ لَتَكَادُ تُمَثِّلُ فِي هَـٰذَا العَصْرِ، مَحَلَّ الصَّدَارَةِ فِي المُشْكِلاَتِ الاِجْتِمَاعِيَّةِ الخَطِيْرَةِ.

مَعَاشِرَ المُسْلِمِيْنَ، لَقَدْ كَثُرَ الطلاَّقُ فِي هَـٰذِهِ الأَزْمِنَةِ، وَفَشَا فُشُوًّا رَهِيْبًا؛ مِمَّا يُنْذِرُ بِأَشَدِّ الخَطَرِ عَلَى البُيُوتِ وَالأُسَرِ، وَشَاعَ انْتِهَاجُهُ شُيُوعًا عَظِيْمًا، وَتَسَاهَلَ فِئَامٌ مِنَ النَّاسِ بِالتَّلَفُّظِ بِهِ حَتَّىٰ عِنْدَ أَتْفَهِ الأَسْبَابِ، وَلاَكَتْهُ كَثِيرٌ مِنَ الأَلْسِنَةِ بِسَبَبٍ وَبِلاَ سَبَبٍ، وَإِنْ تَعْجَبُوا فَعَجَبٌ صَنِيْعُ أَقْوَامٍ بِهَـٰذِهِ القَضِيَّةِ؛ حَتَّىٰ حَوَّلُوهَا إِلَىٰ مُمَازَحَاتٍ وَأَلاَعِيْبَ، وَتَحَدِّيَاتٍ وَأَعَاجِيْبَ! حَتَّىٰ عَمَّ الخَطْبُ، وَدَوَّتْ نِدَاءَاتُ الخَطَرِ، وَصَيْحَاتُ الإِنْذَارِ، وَارْتَفَعَتْ إِحْصَاءَاتُ الطَّلاَقِ فِي المُجْتَمَعِ، وَعَلَتْ نِسَبُهُ وَأَرْقَامُهُ، بِشَكْلٍ يُنْذِرُ بِعَوَاقِبَ

---

(١) كم أيمت من نساءٍ! أي: جعلتهنَّ أيامَىٰ لا أزواج لهن. انظر: «اللسان» (أيم).



وَخِيْمَةٍ عَلَى الْمُجْتَمَعِ بِأَسْرِهِ، وَلَمْ تَزَلْ هَـٰذِهِ الْقَضِيَّةُ مَصْدَرَ قَلَقٍ لِكَثِيْرٍ مِنَ النَّاسِ، فَإِذَا اكْتَوَىٰ أَحَدُهُمْ بِنَارِهَا، وَاصْطَلَىٰ بِلَظَاهَا - هُرِعَ إِلَى الْمُفْتِيْنَ وَالْقُضَاةِ، يَسْأَلُهُمْ مَخْرَجًا حَتَّىٰ إِنَّ بَعْضَهُمْ لَيَلْجَأُ إِلَىٰ حِيَلٍ وَأَكَاذِيْبَ فِي سَبِيْلِ الْوُصُولِ إِلَىٰ بُغْيَتِهِ؛ حَتَّىٰ أُشْغِلَ الْعُلَمَاءُ عَنْ قَضَايَاهُمُ الأَهَمِّ، وَأُثْقِلَتْ كَوَاهِلُ الْقُضَاةِ فِي الْمَحَاكِمِ بِجُمُوعٍ غَفِيْرَةٍ، وَمُعَامَلاَتٍ كَثِيْرَةٍ، فِي هَـٰذِهِ الْقَضَايَا.

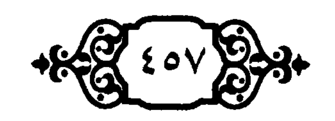
وَلاَ تَسْأَلْ عَنْ رَنِيْنِ الْهَوَاتِفِ، وَسُيُولِ الْمُعَامَلاَتِ، وَعَقْدِ الْجَلَسَاتِ، وَأَعْدَادِ الْمُرَاجِعِيْنَ وَالْمُرَاجِعَاتِ فِي هَـٰذِهِ الأُمُورِ، نَاسِيْنَ أَوْ مُتَنَاسِيْنَ أَنَّ قَضِيَّةَ الطَّلاَقِ شَرِيْعَةٌ مُحْكَمَةٌ، لاَ أَهْوَاءٌ مُحَكَّمَةٌ، وَأَنَّهَا حَدٌّ مِنْ حُدُودِ اللهِ الَّتِي حَدَّهَا، وَنَهَىٰ عَنْ تَعَدِّيْهَا؛ قَالَ تَعَالَىٰ فِي سِيَاقِ آيَاتِ الطَّلاَقِ: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾﴾ [الطلاق]، ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾﴾ [البقرة]، كَمَا أَنَّ الطَّلاَقَ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللهِ لاَبُدَّ مِنْ مَعْرِفَتِهَا، وَالْحَذَرِ مِنَ الاِسْتِهْزَاءِ بِهَا؛ ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗاۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٣١﴾﴾ [البقرة].

وَإِحْسَاسًا بِخَطَرِ هَـٰذِهِ الْقَضِيَّةِ، كَانَ لاَبُدَّ مِنَ التَّطَرُّقِ إِلَيْهَا، وَالْبَحْثِ فِي أَسْبَابِهَا، وَآثَارِهَا، وَطُرُقِ عِلاَجِهَا، وَشَيْءٍ مِنْ حِكَمِهَا وَأَحْكَامِهَا؛ لِنَكُونَ عَلَىٰ بَصِيْرَةٍ فِي أُمُورِ دِيْنِنَا، وَمِنَ اللهِ نَسْتَلْهِمُ التَّوْفِيقَ وَالسَّدَادَ؛ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ!



أَيُّهَا ٱلْمُسْلِمُونَ، أَيَّتُهَا المُسْلِمَاتُ، أَيُّهَا الأَزْوَاجُ، أَيَّتُهَا الزَّوْجَاتُ، لقَدْ شَرَعَ الإِسْلاَمُ عَلاَقَةَ الزَّوَاجِ لِتَبْقَىٰ لاَ لِتَفْنَىٰ، وَلِتَدُومَ لاَ لِتَنْقَطِعَ، وَلِيَنْشَأَ الوِفَاقُ، وَيَزُولَ الشِّقَاقُ، وَمَنَحَ الأُسْرَةَ مِنَ الضَّمَانَاتِ، وَأَرْسَىٰ لَهَا مِنَ الدَّعَائِمِ مَا يَكْفُلُ لها الاِسْتِقْرَارَ وَالثَّبَاتَ، وَاحْتَرَمَ الإِسْلاَمُ عُقْدَةَ النِّكَاحِ، وَأَطْلَقَ عَلَيْهَا **لَفْظَ**: «**المِيْثَاقِ الغَلِيْظِ**» وَاعتبَرَ رَابِطَةَ الزَّوَاجِ مِنْ أَقْوَى العُقُودِ، وَعَهْدَهُ مِنْ آكَدِ العُهُودِ.

ولَمْ تَتْرُكِ الشَّرِيْعَةُ الأَمْرَ بيْنَ الزَّوْجَيْنِ سُدًى، تتَحَكَّمُ فِيْهِمُ الأَهْوَاءُ، وَيَسِيْرُونَ فِي حَيَاتِهِمُ الزَّوْجِيَّةِ عَلىٰ غَيْرِ هُدًى، بَل حَدَّدَ الحُقُوقَ وَالوَاجِبَاتِ، وَوَزَّعَ الوَظَائِفَ وَالمَسْؤُولِيَّاتِ عَلىٰ حَسَبِ القُدُرَاتِ وَالإِمْكَانَاتِ، وَمُرَاعَاةِ الطَّبَائِعِ وَالنَّفْسِيَّاتِ، كُلُّ ذٰلِك بِأُسْلُوبٍ عَادِلٍ حَكِيْمٍ، وَبِقِسْطَاسٍ مُسْتَقِيمٍ مُسْتَمَدٍّ مِنْ قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ﴾[البقرة]، كَمَا أَوْصَى الإِسْلاَمُ أَنْ تَسُودَ بَيْتَ الزَّوْجِيَّةِ عَلاَقَاتُ المَوَدَّةِ وَالرَّحْمَةِ، وَأَنْ تُرَفْرِفَ عَلَيْهِ رَايَاتُ الحَنَانِ وَالإِشْفَاقِ، وَتَلُوحَ عَلَيْهِ أَعْلاَمُ الإِحْسَانِ وَالوِفَاقِ، وَأَمَرَ بِالمُعَاشَرَةِ بِالمَعْرُوفِ، وَالمُعَامَلَةِ بِالحُسْنَىٰ؛ ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ ﴾ [النساء]، نَعَمْ ـ أَيُّهَا الإِخْوَةُ وَالأَخَوَاتُ ـ فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللهُ فِيْهِ خَيْرًا



كَثِيْرًا، رَوَىٰ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيْثِ أَبِيْ هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لا يَفْرَكْ**[1] **مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً؛ إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا، رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ**»[2].

إِنَّهُ لَابُدَّ لِلرِّجَالِ مِنْ مَعْرِفَةِ طَبِيْعَةِ النِّسَاءِ، وَمَا خُلِقْنَ لَهُ، وَجُبِلْنَ عَلَيْهِ، وَلَمَّا كَانَ بَعْضُ الرِّجَالِ قَدْ يَطْلُبُ المِثَالِيَّةَ فِي المَرْأَةِ بَعِيْدًا عَنِ الوَاقِعِيَّةِ، أَرْشَدَ الإِسْلَامُ إِلَىٰ مُرَاعَاةِ هَـٰذَا الجَانِبِ؛ فَقَدْ أَخْرَجَ البُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ، فِي «صَحِيحَيْهِمَا»؛ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «**اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا؛ فَإِنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلاهُ؛ فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيْمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ؛ فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا**»[3].

كَمَا حَرَصَ الإِسْلَامُ عَلَىٰ حِمَايَةِ الأُسْرَةِ أَنْ يَتَسَلَّلَ إِلَيْهَا أَهْلُ التَّخْبِيْبِ، وَدُعَاةُ التَّأْلِيْبِ، وَأَرْبَابُ التَّخْرِيْبِ مِنْ كُلِّ بَعِيدٍ أَوْ قَرِيْبٍ، وَسَدَّ البَابَ دُونَ التَّدَخُّلِ فِي شُئُونِ الزَّوْجَيْنِ إِلَّا بِنِيَّةِ الإِصْلَاحِ؛ قَالَ ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ ـ: «**لَيْسَ مِنَّا مَنْ خَبَّبَ امْرَأَةً عَلَىٰ زَوْجِهَا**»[4] أَيْ: أَفْسَدَهَا عَلَيْهِ[5].

وَعَلَىٰ الرَّغْمِ مِمَّا وَضَعَهُ الإِسْلَامُ مِنْ أُسُسٍ لِبِنَاءِ الأُسْرَةِ وَحِمَايَتِهَا، فَإِنَّ مِنْ شَأْنِ البَشَرِ الخَطَأَ، وَمِنْ طَبِيْعَتِهِمُ التَّقْصِيْرَ؛ فَقَدْ تَعْصِفُ بِالأُسْرَةِ

---

(١) لاَ يَفْرَكْ، أي: لا يبغض. «النهاية» (فرك).

(٢) «صحيح مسلم» (١٤٦٩).

(٣) تقدَّم تخريجه (ص ٤٤٣).

(٤) رواه أحمد (٢/ ٣٩٧)، وأبو داود (٢١٧٥)؛ من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

(٥) انظر: «النهاية» (خبب).



عَواصِفُ الشِّقَاقِ وَالخِلاَفِ؛ لأَنَّهُ قَلَّمَا يَتَّفِقُ الزَّوْجَانِ وَيَتَطَابَقَانِ مِنْ كُلِّ الوُجُوهِ؛ لَـٰكِنَّ التَّفَاوُتَ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ لاَ يَضُرُّهُمَا مَا تَعَاشَرَا بِالمَعْرُوفِ، وَتعَامَلاَ بِالحِلْمِ وَالصَّبْرِ والتَّحَمُّلِ، وَأَكْرَمَ كُلٌّ صَاحِبَهُ، وَاطَّرَحَ الهَوَىٰ وَرَغَبَاتِ النَّفْسِ جَانِبًا؛ إِنَّ الذِيْ يُهَدِّدُ كِيَانَ الأُسْرَةِ: تَتَبُّعُ الهَفَوَاتِ، وَتَقَصِّيْ العَثَرَاتِ، وَتَلَمُّسُ السَّقَطَاتِ، وَتَضْخِيمُ الهَنَاتِ.

لَكِنْ - يَاعِبَادَ اللهِ - مَا الَّذِيْ يَجِبُ اتِّخَاذُهُ مِن قِبَلِ الزَّوْجَيْنِ عِنْدَ حُصُولِ الشِّقَاقِ والنِّزَاعِ؟ هَلِ الطَّلاَقُ أَوَّلُ العِلاَجِ كَمَا يَعْمِدُ إِلَيْهِ بَعْضُ المُتَعَجِّلِينَ الَّذِيْنَ لاَ يَنْظُرُونَ إِلَى العَوَاقِبِ؟! هَلِ الطَّلاَقُ مِنَ السُّهُوْلَةِ، بِحَيْثُ يَتَّخِذُهُ قَلِيْلُو الصَّبْرِ، ضِعَافُ التَّحَمُّلِ، وَسِيْلَةً أُوْلَىٰ لِحَسْمِ الخِلاَفِ؟!

لَقَدْ أَرْشَدَنَا الإِسْلاَمُ إِلى المَنْهَجِ الحَقِّ عِنْدَ حُدُوثِ النُّشُوزِ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ، وَوَضَعَ لِذٰلِكَ وَسَائِلَ عِلاَجِيَّةً لاَ تُخْفِقُ أَبَدًا، مَتَىٰ مَا صَفَتِ السَّرِيْرَةُ، وَحَسُنَتِ النِّيَّةُ؛ يَقُولُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾ [النساء]، ويَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ



بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾﴾ [النساء].

وَإِذا اسْتَحْكَمَ النِّزَاعُ وَاسْتَدَامَ، فَقَدْ شَرَعَ الإِسْلَامُ التَّدَخُّلَ لِلإِصْلَاحِ بِتَحْكِيمِ الحَكَمَيْنِ، وَيَتَأَكَّدُ ذٰلِكَ عَلَىٰ أَهْلِ الزَّوْجَيْنِ؛ قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾﴾ [النساء].

لٰكِنَّ السُّؤَالَ الَّذِي يَطْرَحُ نَفْسَهُ: هَلْ قَامَ الزَّوْجَانِ بِالحُقُوقِ وَالوَاجِبَاتِ؟! وَإِذَا حَصَلَ النِّزَاعُ، فَهَلْ عَمِلاَ بِمَنهَجِ الإِسْلَامِ لِعِلَاجِ ذٰلِكَ؟! هَل سَعَيَا لِلإِصْلَاحِ؟! أَيْنَ أَهْلُ الصُّلحِ مِنَ الأَقارِبِ وَالأَهْلِ؟! أَيْنَ تَحْكِيمُ الحَكَمَيْنِ؟! أَوْ أَنَّ ذٰلِكَ فِي عِدَادِ الأُمُورِ المَهْجُورَةِ؟! إِنَّهُ إِذَا أَمْكَنَ الوِفَاقُ، فَلَا يَجُوزُ لِلْمَرْأَةِ الإِقْدَامُ عَلَىٰ فَصْمِ عُرَا الزَّوْجِيَّةِ بِطَلَبِ الطَّلَاقِ؛ يَقُولُ ﷺ: «**أَيُّمَا امْرَأَةٍ سَأَلَتْ زَوْجَهَا الطَّلَاقَ مِنْ غَيْرِ مَا بَأْسٍ، فَحَرَامٌ عَلَيْهَا رَائِحَةُ الجَنَّةِ**»(١).

لَـٰكِنْ إِذَا تَعَذَّرَ الوِفَاقُ، وَتَحَوَّلَتِ الحَيَاةُ إِلَىٰ جَحِيمٍ لَا يُطَاقُ، وَلَمْ تَعْمَلْ أَسْبَابُ العِلَاجِ وَوَسَائِلُ الإِصْلَاحِ عَمَلَهَا فِي القُلُوبِ ـ فَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾﴾ [النساء].

---

(١) رواه أحمد (٥/ ٢٨٣)، وأبوداود (٢٢٢٦)، والترمذي (١١٨٧)، والحاكم (٢/ ٢٠٠)، والبيهقي (٧/ ٣١٦)؛ من حديث ثوبان، رضي الله عنه.



إِخْوَةَ الإِسْلَامِ، إِنَّ الطَّلَاقَ إِذَا لَمْ يَكُنْ لأَسْبَابٍ شَرْعِيَّةٍ، فَهوَ عَبَثٌ لاَ يُقِرُّهُ الدِّيْنُ، وَتَخْرِيبٌ لاَ تَعْمُرُ بِهِ الحَيَاةُ، فَأَيْنَ الَّذِيْنَ يُفكِّرُونَ فِي العَواقِبِ؟! مَا ذَنْبُ الأَوْلَادِ وَالأَطْفَالِ؟! وَمَا جَرِيْرَةُ الضُّعَفَاءِ والضَّعِيْفَاتِ، وَالأَبْرِيَاءِ وَالبَرِيْئَاتِ؟! وَلَقَدْ وَرَدَ فِي الخَبَرِ: «**أَبْغَضُ الحَلَالِ إِلَى اللهِ الطَّلَاقُ**»[1]؛ فَلْيَعْلَمْ كُلُّ مَنْ أَقْدَمَ عَلَى الطَّلَاقِ أَوْ فَكَّرَ فِيْهِ؛ أَنَّ الطَّلَاقَ مِن الأُمُورِ العَظِيْمَةِ الَّتِيْ يَفْرَحُ لَهَا الشَّيْطَانُ، ويَبْعَثُ مِنْ أَجْلِهَا جُنُودَهُ، وَكَفَىٰ بِذٰلِكَ تَحذِيْرًا مِنْهُ وَتَنْفِيْرًا! رَوَى الإِمَامُ مُسْلِمٌ في «صَحِيْحِهِ»، مِنْ حَدِيْثِ جَابِرٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ إِبْلِيْسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى المَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ؛ فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً؛ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا! فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا! ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ، فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ! قال: فَيُدْنِيْهِ مِنْهُ، وَيَقُولُ: نِعْمَ أَنْتَ!**»[2].

أُمَّةَ الإِسْلَامِ، وَإِذَا تَبَيَّنَ لِلْجَمِيْعِ خُطُورَةُ أَمْرِ الطَّلَاقِ، وَشَيْءٌ مِنَ آثَارِهِ عَلَى الأُسَرِ وَالمُجْتَمَعَاتِ - فَإِنَّ مِنَ المُنَاسِبِ تَلَمُّسَ أَهَمِّ أَسْبَابِهِ، تَشْخِيْصًا لِلدَّاءِ، وَوَصْفًا لِلدَّوَاءِ.

وَالبَاحِثُ عَنْ أَهَمِّ أَسْبَابِ وُقُوعِهِ يَجِدُ أَنَّ مِنْهَا: عَدَمَ قِيَامِ كُلٍّ مِنَ

---

(١) رواه أبوداود (٢١٧٨)، وابن ماجه (٢٠١٨)، والحاكم (٢/١٩٦)؛ من حديث ابن عمر، رضي الله عنهما.

(٢) «صحيح مسلم» (٢٨١٣).



الزَّوْجَيْنِ بِوَاجِبَاتِهِ تُجَاهَ الآخَرِ، وَالتَّقْصِيْرَ فِي المُعَاشَرَةِ بِالحُسْنَىٰ.

كَمَا أَنَّ مِنْهَا: سُوءَ الخُلُقِ، وَضَعْفَ الوَازِعِ، وَقِلَّةَ الصَّبْرِ وَالتَّحَمُّلِ، وَطَلَبَ المِثَالِيَّةِ، وَوُجُودَ الفَوَارِقِ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ، وَالاسْتِجَابَةَ لِدَاعِيْ الهَوَىٰ وَالغَضَبِ، وَعَدَمَ التَّحَكُّمِ فِي النَّفْسِ وَضَبْطِ الأَعْصَابِ، وَالتَّدَخُّلَ مِنَ الأَفْرَادِ خَارِجَ نِطَاقِ الأُسْرَةِ مِمَّنْ لاَ يُهِمُّهُمُ الأَمْرُ؛ لِلتَّحْرِيْشِ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ(١).

كَمَا أَنَّ مِنْهَا: عَدَمَ الالْتِزَامِ بِمَنْهَجِ الإِسْلاَمِ عِنْدَ حُدُوثِ أَيِّ خِلاَفٍ، وَالتَّقْصِيرَ فِي الإِصْلاَحِ وَالتَّحْكِيْمِ، وَغَيْرَ ذٰلِكَ.

فَيَا أَيُّهَا الأَزْوَاجُ وَالزَّوْجَاتُ، اتَّقُوا اللهَ فِي أَنْفُسِكُمْ.

وَيَا أَيَّتُهَا الزَّوْجَاتُ، اتَّقِينَ اللهَ فِي أَزْوَاجِكُنَّ، لاَ تَكُنْ إِحْدَاكُنَّ سَبَبًا فِي اسْتِفْزَازِ زَوْجِهَا، وَإِثَارَةِ أَعْصَابِهِ، فَمَنْ بِحُقُوقِ الأَزْوَاجِ وَالبُيُوتِ وَالأَوْلاَدِ؛ فَالمَرْأَةُ المُوَفَّقَةُ هِيَ الَّتِيْ تَكْسِبُ زَوْجَهَا، وَتَمْتَصُّ غَضَبَهُ، وَتَعْرِفُ حُقُوقَهُ، لاَ مَنْ تُشْعِلُ النَّارَ، وَتَزِيْدُ الطِّيْنَ بِلَّةً.

وَلْيَتَّقِ اللهَ الأَزْوَاجُ، وَلْيَصُونُوا عَلاَقَاتِهِمْ عَنِ الخِلاَفَاتِ وَالمُنَازَعَاتِ، إِنْ كَانُوا يُرِيْدُونَ سَعَادَتَهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ وَأُخْرَاهُمْ.

وَيَا مَنْ دَبَّ النِّزَاعُ بَيْنَهُمَا، احْتَكِمُوا إِلىٰ دِيْنِكُمْ وَإِسْلاَمِكُمْ؛ فَفِيْهِ

---

(١) يقال: حَرَّش بينهم تَحْرِيشًا، أي: أفسد وَأَغْرَىٰ بعضَهُمْ ببعض. «اللسان» (حرش).



القَضَاءُ عَلَىٰ أَسْبَابِ الخِلَافِ، وَحَسْمُ النِّزَاعِ مِنْ مَبْدَئِهِ، وَاقْتِلَاعُ الشَّرِّ مِنْ جُذُورِهِ، وَاللهُ المَسْئُولُ أَنْ يُوفِّقَ الجَمِيْعَ إِلَىٰ مَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ، وَأَنْ يُصْلِحَ القُلُوبَ، وَيَجْمَعَ الشَّمْلَ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ؛ إِنَّهُ وَلِيُّ ذٰلِكَ وَالقَادِرُ عَلَيهِ.

أَقُولُ قَوْلِيْ هَـٰذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ الجَلِيْلَ لِيْ وَلَكُمْ، وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ والمُسْلِمَاتِ، فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيْمُ.

الخطبة الثانية

الحَمْدُللهِ الَّذِيْ تَفَرَّدَ بِكُلِّ كَمَالٍ، وَاخْتَصَّ بِأَبْهَىٰ جَمَالٍ، وَأَعْلَىٰ جَلاَلٍ، وَتَفَضَّلَ عَلىٰ عِبَادِهِ بِجَزِيْلِ النَّوَالِ، لَهُ الحَمْدُ فِي كُلِّ حَالٍ وَعَلىٰ كُلِّ حَالٍ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ تَقَدَّسَ عَنِ الأَشْبَاهِ وَالأَمْثَالِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ المَنْعُوتُ بِأَشْرَفِ الخِلاَلِ، وَأَكْرَمِ الخِصَالِ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ خَيْرِ صَحْبٍ وَأَفْضَلِ آلٍ، وَالتَّابِعِيْنَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَىٰ يَوْمِ المَآلِ.

أما بعد:

فَاتَّقُوا اللهَ ـ عِبَادَ اللهِ ـ وَاتَّقِينَ اللهَ ـ إِمَاءَ اللهِ ـ تَفَقَّهُوا جَمِيْعًا فِي أُمُورِ دِيْنِكُمْ، وَاعْلَمُوا أَنَّ لِلطَّلاَقِ أَحْكَامًا يَجِبُ مَعْرِفَتُهَا عَلىٰ كُلِّ مُوَاقِعٍ لَهُ؛ فَلاَ يَجُوزُ لِلمُطَلِّقِ أَنْ يُطَلِّقَ كَيْفَمَا شَاءَ، بَلْ لاَبُدَّ مِنْ مَنْهَجٍ شَرْعِيٍّ فِي ذٰلِكَ.

وَمِنْ مَلاَمِحِهِ: أَنْ يُطَلِّقَ الرَّجُلُ زَوْجَتَهُ بِإِحْسَانٍ؛ قال تَعَالَىٰ: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

وَمِمَّا يَنْبَغِي فِقْهُهُ فِي ذٰلِكَ: أَنَّ الطَّلاَقَ نَوْعَانِ: طَلاَقٌ سُنِّيٌّ، وَطَلاَقٌ بِدْعِيٌّ:

فَالطَّلاَقُ السُّنِّيُّ: هُوَ الَّذِيْ يَجِبُ الْتِزَامُهُ عِنْدَ إِيْقَاعِ الطَّلاَقِ؛



وَذٰلِكَ: بِأَنْ يُطَلِّقَ الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ طَلْقَةً وَاحِدَةً فِي طُهْرٍ لَمْ يُجَامِعْهَا فِيْهِ.

وَالطَّلَاقُ الْبِدْعِيُّ: أَنْ يُطَلِّقَهَا أَكْثَرَ مِن طَلْقَةٍ دُفْعَةً وَاحِدَةً، أَوْ يَقُولَ: أَنْتِ طَالِقٌ ثَلَاثًا، أَوْ يُطَلِّقَهَا وَهِيَ حَائِضٌ، أَوْ يُطَلِّقَهَا فِي طُهْرٍ قَدْ وَاقَعَهَا فِيْهِ، وَفَاعِلُ ذٰلِكَ آثِمٌ، مُرْتَكِبٌ أَمْرًا مُحَرَّمًا.

فَهَلِ الْتَزَمَ الْمُطَلِّقُونَ هَـٰذِهِ الأَحْكَامَ؟! وَهَلْ فَقِهُوا أَحْكَامَ الطَّلَاقِ؟!

ثُمَّ إِنَّهُ لَابُدَّ مِنَ التَّنْبِيْهِ عَلَىٰ مَسْأَلَةٍ كَثُرَ الْوُقُوعُ فِيْهَا، وَهُوَ «طَلَاقُ الثَّلَاثِ»، أَخْرَجَ النَّسَائِيُّ، عَنْ مَحْمُودِ بنِ لَبِيْدٍ، قَالَ: أُخْبِرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: عَنْ رَجُلٍ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ ثَلَاثَ تَطْلِيْقَاتٍ جَمِيْعًا، فقَامَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ - غَضْبَانَ، ثُمَّ قَالَ: «**أَيُلْعَبُ بِكِتَابِ اللهِ وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟!**» حَتَّىٰ قَامَ رَجُلٌ وَقَالَ: يَارَسُولُ اللهِ، أَلاَ أَقْتُلُهُ؟![1]

وَجَاءَ رَجُلٌ قَدْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ ثَلَاثًا إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُما - فَسَأَلَهُ؟ فَسَكَتَ مُغْضَبًا، ثُمَّ قَالَ: «**يَنْطَلِقُ أَحَدُكُمْ فَيَرْكَبُ الحَمَاقَةَ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، يَا ابْنَ عَبَّاسٍ! وَاللهُ يَقُولُ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢﴾[الطلاق]، وَإِنَّكَ لَمْ تَتَّقِ اللهَ، فَلاَ أَجِدُ لَكَ مَخْرَجًا؛ عَصَيْتَ رَبَّكَ، وَبَانَتْ مِنْكَ امْرَأَتُكَ**»، وَجَاءَهُ رَجُلٌ قَدْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ أَلْفًا، فَقَالَ: «**أَتَتَّخِذُ آيَاتِ اللهِ هُزُوًا؟! يَكْفِيكَ مِنْ ذٰلِكَ ثَلَاثٌ**»[2].

---

(١) «سنن النسائي» (٦/ ١٤٢).

(٢) انظر: «المصنف» لعبد الرزاق (١١٣٤٦-١١٣٥٣).

فَاتَّقُوا اللهَ ـ عِبَادَ اللهِ ـ وَلاَ تَسْتَعْجِلُوا فِي أُمُورِ الطَّلاَقِ؛ فَلَعَلَّ اللهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذٰلِكَ أَمْرًا!.

وَإِذَا كَانَ مِنْ تَوْجِيهٍ لِعِلاَجِ هَٰذِهِ الظَّاهِرَةِ، فَإِنَّهُ يَتَلَخَّصُ فِي التَّخَلِّي عَنْ كُلِّ ذَرَائِعِهِ وَأَسْبَابِهِ الَّتِي سَبَقَ التَّنْبِيهُ عَلَىٰ شَيْءٍ مِنْها، ثُمَّ لاَبُدَّ أَنْ يَكُونَ لِلْعُلَمَاءِ وَالوُجَهَاءِ، فِيْ كُلِّ حَيٍّ وَمَدِيْنَةٍ، وَأُسْرَةٍ وَقَبِيْلَةٍ: جُهُودٌ فِي عِلاَجِ المُشْكِلاَتِ الزَّوْجِيَّةِ، عَنْ طَرِيقِ لِجَانِ إِصْلاَحٍ مَوثُوقَةٍ مِنْ أَهْلِ الخَيْرِ وَالفَضْلِ فِي المُجْتَمَعِ، يَلْجَأُ إِلَيهَا ـ بَعْدَاللهِ ـ كُلُّ مَنْ وَاجَهَتْهُ مُشْكِلَةٌ كَهَٰذِهِ، وَبِذٰلِكَ تَقِلُّ المُشْكِلاَتُ، بِإِذْنِ اللهِ.

وَأَخِيرًا: مَنْ أَصْلَحَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ، أَصْلَحَ اللهُ حَالَهُ، وَأَصْلَحَ زَوْجَهُ، وَأَصْلَحَ أُسْرَتَهُ وَأَوْلاَدَهُ، وَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ فِي سِيَاقِ آيَاتِ الطَّلاَقِ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢﴾ [الطلاق]، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ۝٤﴾ [الطلاق].

هَٰذَا؛ وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا ـ رَحِمَكُمُ اللهُ ـ عَلى النَّبِيِّ المُخْتَارِ؛ كَمَا أَمَرَكُمْ بِذٰلِكَ المَوْلَى العَزِيْزُ الغَفَّارُ؛ فَقَالَ جَلَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ۝٥٦﴾ [الأحزاب].

* * *



الخطبة الأولى

الحَمْدُ للهِ، أَحْمَدُهُ وَأَسْتَعِينُهُ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ وَأَسْتَغْفِرُهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَإِلَـهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ، خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنْثَىٰ، وَجَعَلَ لِكُلٍّ دَوْرَهُ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِيْ أَوْصَىٰ أُمَّتَهُ بِالنِّسَاءِ خَيْرًا، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَتْبَاعِهِ مَاصُبْحٌ بَدَا، وَمَا لَيْلٌ سَجَا[1]، وَسَلَّمَ تَسْلِيْمًا سَرْمَدِيًّا أَبَدًا.

أمَّا بعد:

فَيَا أَيُّهَا المُسْلِمُوْنَ، اتَّقُوا اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَيَا أَيَّتُهَا المُسْلِمَاتُ، اتَّقِيْنَ اللهَ -عَزَّوَجَلَّ- وَاشْكُرُوهُ جَمِيْعًا عَلَىٰ مَاهَدَاكُمْ لِلإِسْلاَمِ، وَأَوْلاَكُمْ مِنَ الفَضْلِ وَالإِنْعَامِ.

عِبَادَ اللهِ، مِنْ مَحَاسِنِ دِيْنِنَا الإِسْلاَمِيِّ، وَمُمَيِّزَاتِ شَرِيْعَتِنَا الغَرَّاءِ: أَنَّهَا جَاءَتْ بِالشُّمُولِ وَالكَمَالِ، فَلَمْ تَتْرُكْ جَانِبًا مِنْ جَوَانِبِ الحَيَاةِ إِلاَّ نَظَّمَتْهُ أَحْسَنَ نِظَامٍ وَأَحْكَمَهُ، وَللهِ الحِكْمَةُ البَالِغَةُ فِيْمَا يَخْلُقُ وَيَخْتَارُ؛ ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [المُلْك].

---

(١) سجا الليلُ: سكن ودام. «اللسان» (سجو).

أَيُّهَا ٱلْمُسْلِمُونَ، وَمِنَ الجَوَانِبِ الرَّئِيْسَةِ الَّتِيْ تَوَلاَّهَا الإِسْلاَمُ بِالعِنَايَةِ وَالرِّعَايَةِ، وَأَحَاطَهَا بِسِيَاجٍ مَنِيْعٍ مِنَ الصِّيَانَةِ وَالحِمَايَةِ، وَرَسَمَ لَهَا خَيْرَ مَنْهَجٍ لِمَا لَهَا مِنَ الأَهَمِّيَّةِ وَالمَكَانَةِ: الجَانِبُ المُتَعَلِّقُ بِالمَرْأَةِ وَشُئُونِهَا، وَمَسْئُولِيَّتِهَا فِي الأُمَّةِ، وَمَكَانَتِهَا فِي المُجْتَمَعِ، وَمَا لَهَا مِنْ حُقُوقٍ، وَمَا عَلَيْهَا مِنْ وَاجِبَاتٍ؛ وَمَا ذَاكَ إِلاَّ لأَنَّهَا اللَّبِنَةُ الكُبْرَىٰ، وَالنَّوَاةُ الأُوْلَى الَّتِيْ يَقُومُ عَلَيْهَا عَمُودُ الأُسْرَةِ، وَبِالتَّالِيْ نَهْضَةُ الأُمَّةِ وَبِنَاءُ حَضَارَتِهَا، وَلأَنَّهَا الأُمُّ الرَّءُومُ المُشْفِقَةُ، العَفِيْفَةُ المُرَبِّيَةُ، وَالزَّوْجُ الحَنُونُ المُؤْنِسَةُ، وَالأُخْتُ الكَرِيْمَةُ السَّارَّةُ، وَالبِنْتُ اللَّطِيْفَةُ البَارَّةُ، بَلْ هِيَ المَدْرَسَةُ الحَقِيْقِيَّةُ لإِعْدَادِ الأَجْيَالِ، وَصِنَاعَةِ الرِّجَالِ.

إِخْوَةَ الإِيْمَانِ، لَقَدْ جَاءَ الإِسْلاَمُ وَالمَرْأَةُ مَهْضُومَةُ الحُقُوقِ، مَهِيضَةُ الجَنَاحِ[1]، مَسْلُوبَةُ الكَرَامَةِ، مُهَانَةٌ مُزْدَرَاةٌ، مَحَلُّ التَّشَاؤُمِ وَسُوءِ المُعَامَلَةِ، مَعْدُودَةٌ مِنْ سَقَطِ المَتَاعِ، وَأَبْخَسِ السِّلَعِ، تُبَاعُ وَتُشْتَرَىٰ، تُوهَبُ وَتُكْتَرَىٰ، لاَ تَمْلِكُ وَلاَ تَرِثُ؛ بَلْ: تُقْتَلُ وَتُوءَدُ بِلاَ ذَنْبٍ وَلاَ جَرِيْرَةٍ، فَلَمَّا جَاءَ الإِسْلاَمُ بِحِكْمَتِهِ وَعَدْلِهِ، رَفَعَ مَكَانَتَهَا وَأَعْلَىٰ شَأْنَهَا، وَأَعَادَ لَهَا كَرَامَتَهَا وَأَنْصَفَهَا؛ فَمَنَحَهَا حُقُوقَهَا، وَأَلْغَىٰ مَسَالِكَ الجَاهِلِيَّةِ نَحْوَهَا، وَاعْتَبَرَهَا شَرِيْكَةً لِلرَّجُلِ شَقِيْقَةً لَهُ فِي الحَيَاةِ.

---

(١) أي: مكسورة الجناح. «اللسان» (هيض).



وَقَدْ ذَكَرَهَا اللهُ في كِتَابِهِ الكَرِيْمِ مَعَ الرَّجُلِ فِي أَكْثَرَ مِنْ مَوْضِعٍ؛ يَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ [آل عمران: ١٩٥]، وَيَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٩٧﴾ [النحل]، وَقَالَ تَعَالَىٰ وَتَقَدَّسَ سُبْحَانَهُ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ [الحجرات: ١٣].

وَأَوْصَىٰ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ خيْرًا؛ فَفِي البُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا**»(١)، وَلأَحْمَد، وَأَبِي دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيِّ، عَنْهُ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَكْمَلُ المُؤْمِنِيْنَ إِيْمَانًا أَحسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ**»(٢).

كَمَا ضَمِنَ لَهَا الإِسْلَامُ الكَرَامَةَ وَالإِنْسَانِيَّةَ، وَالحُرِّيَّةَ الشَّرْعِيَّةَ، وَالأَعْمَالَ الإِسْلَامِيَّةَ، الَّتِي تَتَّفِقُ مَعَ طَبِيْعَتِهَا وَأُنُوثَتِهَا، فِيْمَا لاَ يُخَالِفُ نَصًّا مِنْ كِتَابٍ، أَوْ سُنَّةٍ، وَلاَ يُعَارِضُ قَاعِدَةً وَمَقْصِدًا مِنْ مَقَاصِدِ الشَّرِيْعَةِ، وَفِي مُحِيْطٍ نِسَائِيٍّ مَصُونٍ. كَمَا سَاوَىٰ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الرَّجُلِ فِي عَدَدٍ مِنَ المَجَالاَتِ، إِلاَّ أَنَّ هَـٰذِهِ المُسَاوَاةَ قَائِمَةٌ عَلَىٰ مِيْزَانِ الشَّرْعِ وَمِقْيَاسِ النَّقْلِ الصَّحِيْحِ، وَالعقْلِ الصَّرِيْحِ؛ فَقَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلٍّ مِنَ الرَّجُلِ وَالمَرْأَةِ خَصَائِصَ وَمَزَايَا،

---

(١) تقدَّم تخريجه (ص٤٤٣).

(٢) تقدَّم تخريجه (ص٤٤٥).



وَمُقَوِّمَاتٍ لَيْسَتْ لِلآخَرِ، وَأَهَّلَ كُلاًّ مِنْهُمَا لِمَا سَيَقُومُ بِهِ مِنْ مَهَامَّ فِي هَـٰذِهِ الحَيَاةِ، فَأَعْطَى الرَّجُلَ قُوَّةً فِي جَسَدِهِ؛ لِيَسْعَىٰ وَيَكْدَحَ، وَمَنَحَ المَرْأَةَ العَطْفَ وَالحَنَانَ؛ لِتَرْبِيَةِ الأَبْنَاءِ، وَتَنْشِئَةِ الأَجْيَالِ، وَبِنَاءِ الأُسَرِ المُسْلِمَةِ.

أُمَّةَ الإِسْلَامِ، أَيُّ شَيْءٍ تُرِيْدُهُ المَرْأَةُ بَعْدَ هَـٰذَا التَّكْرِيْمِ؟! وَأَيُّ شَيْءٍ تَنْشُدُهُ بَنَاتُ حَوَّاءَ بَعْدَ هَـٰذِهِ الحَصَانَةِ وَالرِّعَايَةِ؟! أَيَسْتَبْدِلْنَ الَّذِيْ هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِيْ هُوَ خَيْرٌ؟! أَيُؤْثِرْنَ حَيَاةَ التَّبَرُّجِ وَالسُّفُورِ، وَالتَّهَتُّكِ وَالاِخْتِلَاطِ، عَلَىٰ حَيَاةِ الطُّهْرِ وَالعَفَافِ وَالحِشْمَةِ؟! أَيَضْرِبْنَ بِنُصُوصِ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، الآمِرَةِ بِالحِجَابِ والعِفَّةِ عُرْضَ الحَائِطِ، وَيُخْدَعْنَ بِالأَبْوَاقِ المَاكِرَةِ، وَالأَصْوَاتِ النَّاعِقَةِ، وَالدِّعَايَاتِ المُضَلِّلَةِ، وَالكَلِمَاتِ المَعْسُولَةِ الخَادِعَةِ، الَّتِيْ تُطَالِعُنَا بَيْنَ الفَيْنَةِ وَالأُخْرَىٰ، وَتُثَارُ بَيْنَ حِينٍ وَآخَرَ؟! أَيَتْرُكْنَ التَّأَسِّيَ بِأُمَّهَاتِ المُؤْمِنِيْنَ الطَّاهِرَاتِ، وَأَعْلَامِ النِّسَاءِ الصَّالِحَاتِ؛ كَـ«عَائِشَةَ، وَخَدِيْجَةَ، وَفَاطِمَةَ، وَسُمَيَّةَ، وَنُسَيْبَةَ»، وَيُقَلِّدْنَ المَاجِنَاتِ، وَيَتَشَبَّهْنَ بِالفَاجِرَاتِ، عِيَاذًا بِاللهِ؟!

أُخْتِيَ المُسْلِمَةُ، إِنَّكِ لَنْ تَبْلُغِيْ كَمَالَكِ المَنْشُودَ، وَتُعِيْدِي مَجْدَكِ المَفْقُودَ، وَتُحَقِّقِيْ مَكَانَتَكِ السَّامِيَةَ، إِلاَّ بِاتِّبَاعِ تَعَالِيْمِ الإِسْلَامِ، وَالوُقُوفِ عِنْدَ حُدُودِ الشَّرِيْعَةِ؛ فَذَٰلِكِ كَفِيلٌ أَنْ يَطْبَعَ فِي قَلْبِكِ مَحَبَّةَ الفَضَائِلِ وَالتَّنَزُّهَ عَنِ الرَّذَائِلِ؛ فَمَكَانَكِ وَاللهِ تُحْمَدِيْ، وَبَيْتَكِ تَسْعَدِيْ، وَحِجَابَكِ تَصْلُحِيْ، وَعَفَافَكِ تُرِيْحِي وَتَسْتَرِيْحِي!



قَالَ سُبحَانَهُ: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ [الأحْزَاب: ٥٩].

فَأَنْتِ فِي الإِسْلَامِ دُرَّةٌ مَصُوْنَةٌ، وَجَوْهَرَةٌ مَكْنُونَةٌ، وَبِغَيْرِهِ: دُمْيَةٌ فِي يَدِ كُلِّ فَاجِرٍ، وَأُلْعُوبَةٌ وَسِلْعَةٌ بِهَا يُتَاجِرُ، بَلْ يَلْعَبُ بِهَا ذِئَابُ البَشَرِ، فَيُهْدِرُونَ عِفَّتَهَا وكَرَامَتَهَا، ثُمَّ يَلْفِظُونَهَا لَفْظَ النَّوَاةِ، وَيَرْمُونَهَا رَمْيَ القَذَاةِ[1]، فَمَتَىٰ خَالَفَتِ المَرْأَةُ آدابَ الإِسْلَامِ، وَتَسَاهَلَتْ بِالحِجَابِ، وَبَرَزَتْ لِلرِّجَالِ مُزَاحِمَةً مُتَعَطِّرَةً ـ: غَاضَ مَاؤُهَا، وَقَلَّ حَيَاؤُهَا، وَذَهَبَ بَهَاؤُهَا؛ فَعَظُمَتْ بِهَا الفِتْنَةُ، وحَلَّتْ بِهَا الشُّرُورُ والنِّقْمَةُ.

فَيَا أَيَّتُهَا المُسْلِمَةُ، المُعْتَزَّةُ بِشَرَفِ الإِسْلَامِ، وَيَا أَيَّتُهَا الحُرَّةُ العَفِيْفَةُ المَصُونَةُ، أَنْتِ خَيْرُ خَلَفٍ لِخَيْرِ سَلَفٍ، تَمَسَّكِيْ بِكِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، وَكُونِيْ عَلَىٰ حَذَرٍ وَفِطْنَةٍ مِنَ الأَيْدِيْ المَاكِرَةِ، والعُيُونِ الغَادِرَةِ، وَالأَنْفُسِ الخَبِيْثَةِ الشِّرِّيْرَةِ، الَّتِيْ تُرِيْدُ أَنْ تُنْزِلَكِ مِنْ عَلْيَاءِ كَرَامَتِكِ، وَتَهْبِطَ بِكِ مِنْ سَمَاءِ مَجْدِكِ، وَتُخْرِجَكِ مِنْ دَائِرَةِ سَعَادَتِكِ، وَإِيَّاكِ وَالخَدِيْعَةَ وَالانْهِزَامَ، أَمَامَ هَـٰذِهِ الحَرْبِ السَّافِرَةِ بَيْنَ الحِجَابِ وَالسُّفُورِ، وَالعَفَافِ وَالإِبَاحِيَّةِ، كَيْفَ وَقَدْ ثَبَتَ ـ بِمَا لَا يَدعُ مَجَالاً لِلشَّكِّ ـ أَنَّ التَّبَرُّجَ

---

(١) القذاة: ما يقع في العين والماء والشراب، من تراب أو وسخ أو غير ذلك، وجمعه: قذى. «النهاية» (قذي).



وَالسُّفُورَ مطيَّةُ الفَسَادِ، وطَرِيْقُ الشُّرُورِ!

إِنَّ أَعْدَاءَ الإِسْلَامِ: قَدْ سَاءَهُمْ، وَأَقَضَّ مَضَاجِعَهُمْ، مَا تَتَمَتَّعُ بِهِ المَرْأَةُ المسْلِمَةُ مِنْ حَصَانَةٍ وكَرَامَةٍ؛ فَسَلَّطُوا عَلَيْهَا الأَضْوَاءَ، وَنَصَبُوا لَهَا الشِّبَاكَ، وَرَمَوْهَا بِنَبْلِهِمْ وَسِهَامِهِمْ، وَمِنَ الغَرِيْبِ أَنْ يُحَقِّقَ مَقَاصِدَهُمْ، وَيَسِيْرَ فِي رِكَابِهِمْ، وَيَسْعَىٰ فِي نَشْرِ أَفْكَارِهِمْ - أُنَاسٌ مِنْ بَنِي جِلْدَتِنَا، يَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا، فَيَشُنُّونَ الحَرْبَ الفِكْرِيَّةَ الشَّعْوَاءَ، عَلَىٰ أَخَوَاتِنَا المُسْلِمَاتِ مَاءِ وُجُوهِنَا، عَبْرَ العَنَاوِيْنِ الخَادِعَةِ، وَالمَقَالاَتِ السَّاحِرَةِ، هُنالِكَ وَهُنَاكَ، فَيُنَادُونَ - زُوْرًا وَبُهْتَانًا - بِتَحْرِيْرِ المَرْأَةِ، وَيُطَالِبُونَ بِعَمَلِ المَرْأَةِ وَخُرُوجِهَا مِنَ المَنْزِلِ، وَيُشِيْعُونَ الشَّائِعَاتِ المُغْرِضَةَ، وَالشُّبَهَ الدَّاحِضَةَ عَنِ المَرْأَةِ المُسْلِمَةِ؛ فَيَقُولُونَ عَنِ المُجْتَمَعِ المُسْلِمِ المُحَافِظِ: «إِنَّ نِصْفَهُ مُعَطَّلٌ، وَلاَيَتَنَفَّسُ إِلاَّ بِرِئَةٍ وَاحِدَةٍ، وَكَيْفَ تُتْرَكُ المَرْأَةُ حَبِيْسَةَ البَيْتِ، وَرَهِيْنَةَ المَنْزِلِ؟!» وَمَا إِلىٰ ذٰلِكَ مِنَ الأَقْوَالِ الأَفَّاكَةِ[1]، وَالعِبَارَاتِ المُضَلِّلَةِ، فَمَاذَا يُرِيْدُ هٰؤُلاَءِ؟! وَإِلىٰ أَيِّ شَيءٍ يَهْدِفُونَ؟! نَعَمْ إِنَّهُمْ يَهْدِفُونَ إِلىٰ تَحَرُّرِ المَرْأَةِ مِنْ أَخْلاَقِهَا وَآدَابِهَا، وَانْسِلاَخِهَا مِنْ مُثُلِهَا وَقِيَمِهَا وَمَبَادِئِهَا، وَإِيْقَاعِهَا فِي الشَّرِّ وَالفَسَادِ! يُرِيْدُونَهَا عَارِضَةً لِلأَزْيَاءِ، وَسِلْعَةً لِلسُّذَّجِ وَالبُسَطَاءِ! فَمَنْ لِصَلاَحِ البَيْتِ، وَسَعَادَةِ الأَهْلِ، وَتَرْبِيَةِ الأَجْيَالِ؟!

(١) الأَفَّاكة: الكذَّابة، من الإفك، وهو الكذب. «اللسان» (أفك).



خَبِّرُونِي بِرَبِّكُمْ : أَيُّ فِتْنَةٍ تَقَعُ، وَأَيُّ بَلَاءٍ يَحْدُثُ، إِذَا هُتِكَ الحِجَابُ، وَوُضِعَ الجِلْبَابُ، وَافْتَرَسَ المَرْأَةَ الذِّئَابُ؛ نَتِيْجَةَ السُّفُورِ وَالاخْتِلَاطِ، فِي الدَّوَائِرِ وَالمَكَاتِبِ، وَالمَدَارِسِ وَالأَسْوَاقِ؟! أَمَا يَكْفِيْ زَاجِرًا، وَيَشْفِي وَاعِظًا ـ يَا عِبَادَ الله ـ مَا وَقَعَتْ فِيْهِ المُجْتَمَعَاتُ المُخَالِفَةُ لِتَعَالِيْمِ الإِسْلَامِ؛ مِنَ الهُبُوطِ فِي مُسْتَنْقَعَاتِ الرَّذِيْلَةِ، وَمَهَاوِي الشُّرُورِ، وَبُؤَرِ الفَسَادِ، حِيْنَ أَهْمَلَتْ أَمْرَ المَرْأَةِ، حَتَّى انْطَلَقَتِ الصَّيْحَاتُ المُجَرِّبَةُ، والنِّدَاءَاتُ المُتَكَرِّرَةُ؛ مُطَالِبَةً بِعَوْدَةِ المَرْأَةِ إِلَىٰ حِصْنِهَا وَقَرَارِهَا؟! هَلْ يَرْضَىٰ مَنْ فِيْهِ أَدْنَىٰ غَيْرَةٍ وَرُجُولَةٍ أَنْ تَصِيْرَ امْرَأَتُهُ وَمَوْلِيَّتُهُ مَرْتَعًا لِأَنْظَارِ الفَسَقَةِ، وَعُرْضَةً لِأَعْيُنِ الخَوَنَةِ، وَمَائِدَةً مَكْشُوفَةً، وَلُقْمَةً سَائِغَةً، أَمَامَ عَدِيْمِيْ المُرُوءَةِ، وَضِعَافِ النُّفُوسِ؟!

وَلَقَدْ أَفَادَتِ الأَوْضَاعُ السَّائِدَةُ أَنَّ خُرُوجَ المَرْأَةِ مِنْ بَيْتِهَا هُوَ أَمَارَةُ الخَرَابِ وَ الدَّمَارِ، وعَلَامَةُ الضَّيَاعِ والفَسَادِ، وَعُنْوَانُ انْقِطَاعِ وَشَائِجِ الأُلْفَةِ وَالمَحَبَّةِ والفَضِيْلَةِ(١)، وَانْتِشَارِ غَوَائِلِ الفَسَادِ وَالرَّذِيْلَةِ بَيْنَ أَبْنَاءِ المُجْتَمَعِ.

فَإِلَىٰ أَخَوَاتِنَا المُسْلِمَاتِ، فِي عَالَمِنَا الإِسْلَامِيِّ، وَإِلَىٰ نِصْفِ أُمَّتِنَا الثَّانِيْ، يُوَجَّهُ هَـٰذَا النِّدَاءُ الحَانِيْ، مِن هَـٰذِهِ البُقْعَةِ الطَّاهِرَةِ: بِالتَّمَسُّكِ الحَقِّ بِكِتَابِ اللهِ، والعَضِّ عَلَىٰ سُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ بِالنَّوَاجِذِ، وَاتِّبَاعِ تَعَالِيمِ الإِسْلَامِ وَآدَابِهِ.

---

(١) وشائج الألفة والمحبة والفضيلة، أي: روابطها وما يؤدي إلى التفافها وتشابكها، مفردها: وشيجة. انظر: «اللسان» (وشج).

وَإِلَىٰ الجَمْعِيَّاتِ النِّسَائِيَّةِ، فِي كُلِّ مَكَانٍ: يُوَجَّهُ نِدَاءُ التَّحْذِيْرِ مِنْ مَغَبَّةِ[1] مُخَالَفَةِ المَرْأَةِ لِهَدْيِ الإِسْلَامِ، وَالانْسِيَاقِ وَرَاءَ الشِّعَارَاتِ البَرَّاقَةِ، وَالدِّعَايَاتِ المَسْمُومَةِ المُضَلِّلَةِ، ضِدَّ أَخْلَاقِ المَرْأَةِ وَمُثُلِهَا وَقِيَمِهَا.

وَإِلَىٰ المَسْؤُولِيْنَ عَنِ الفَتَاةِ المُسْلِمَةِ، تَعْلِيْمًا وَرِعَايَةً، قِوَامَةً وَعِنَايَةً: أَنْ يَتَّقُوا اللهَ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ وَيَقُومُوا بِوَاجِبِهِمْ تُجَاهَهَا، مَعَ التَّرْكِيْزِ وَالعِنَايَةِ بِالجَوَانِبِ الإِيْمَانِيَّةِ وَالتَّرْبَوِيَّةِ وَالأَخلَاقِيَّةِ، لَابُدَّ مِنْ وَضْعِ حَدٍّ فَاصِلٍ، وَسَدٍّ مَنِيْعٍ، أَمَامَ السُّيُولِ المُتَدَفِّقَةِ مِنَ المَظَاهِرِ الفَاضِحَةِ، وَالمَنَاظِرِ المَاجِنَةِ، وَالأَفْلَامِ الخَلِيْعَةِ، والصُّوَرِ العَارِيَةِ، وَشِبْهِ العَارِيَةِ، الَّتِيْ تَقْضِيْ عَلَى الغَيْرَةِ وَالأَخْلَاقِ، وَتُورِثُ الدِّيَاثَةَ وَالرَّذِيْلَةَ.

أَمَّا أَوْلِيَاءُ أُمُورِ النِّسَاءِ، مِنْ أَزْوَاجٍ وَآبَاءٍ: فَإِنَّنَا نُذَكِّرُهُمْ بِوَاجِبِ القِوَامَةِ عَلَى المَرْأَةِ؛ امْتِثَالاً لِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٣٤]؛ فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَتَّقُوا اللهَ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ وأَنْ يَقُوا أَنْفُسَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهمْ عَذَابَ اللهِ سُبْحَانَهُ، وَذٰلِكَ بِالقِيَامِ بِتَرْبِيَتِهِمْ، وَأَطْرِهِمْ عَلَىٰ تعَالِيْمِ الإِسْلَامِ، وَلْيَحْذَرُوا مِنَ الاِسْتِرْسَالِ فِي تَرْكِ الحَبْلِ عَلَى الغَارِبِ؛ فَإِنَّنَا نُنَاشِدُ فِيْهِمْ غَيْرَتَهُمْ عَلَىٰ نِسَائِهِمْ، وَنُخَاطِبُ فِيْهِمْ

---

(١) مَغَبَّةُ الأمرِ: عَاقبتُهُ وَآخِرُهُ. «اللسان» (غبب).



شَهَامَتَهُمْ[1]؛ ذَبًّا عَنْ أَعْرَاضِهِمْ، وَصَوْنًا لِمَحَارِمِهِمْ، فَضْلاً عَنْ دِيَانَتِهِمْ وَأَخْلاَقِهِمْ.

فَيَا أَيُّهَا الْعُقَلَاءُ، اعتَبِرُوا وَاحْذَرُوا وَلاَ تَنْخَدِعُوا؛ فَالسَّعِيْدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ نَكْبَةَ الأُمَّةِ اليَوْمَ فِي مُجْتَمَعَاتِهَا، وَإِخْفَاقَهَا فِي أَخْلاَقِهَا ـ لَمْ تَكُنْ إِلاَّ بَعْدَ مَا نُكِبَتْ فِي نِظَامِ أُسَرِهَا، وَفَسَادِ تَرْبِيَتِهَا لِنِسَائِهَا؛ وَقَدْ قَالَ الصَّادِقُ المَصْدُوقُ ﷺ: **«مَا تَرَكْتُ بَعْدِيْ فِتْنَةً هِي أَضَرُّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ»**[2]، وَقَالَ ـ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ ـ: **«فَاتَّقُوا الدُّنْيَا، وَاتَّقُوا النِّسَاءَ؛ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيْلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ»**[3].

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ؛ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم].

نَفَعَنِي اللهُ وَإِيَّاكُمْ بِالقُرْآنِ العَظِيْمِ، وَبِسُنَّةِ سَيِّدِ المُرْسَلِيْنَ.

أَقُولُ قَوْلِي هَـٰذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيْمَ الجَلِيْلَ لِيْ وَلَكُمْ، وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيْمُ.

---

(١) يقال: شَهُمَ الرجلُ شَهَامَةً؛ فهو شَهْمٌ: إذا كان ذكيًّا نافذًا في الأمور ماضيًا. «اللسان» (شهم).

(٢) رواه البخاري (٥٠٩٦)، ومسلم (٢٧٤٠)؛ من حديث أسامة بن زيد، رضي الله عنهما.

(٣) رواه مسلم (٢٧٤٢)؛ من حديث أبي سعيد، رضي الله عنه.

الخطبة الثانية

الحَمْدُ للهِ الحَكِيْمِ العَلِيْمِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلـهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيْمُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ إِلى العَالَمِيْنَ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ، وَالتَّابِعِيْنَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلىٰ يَوْم الدِّيْنِ.

أمّا بعد:

فَاتَّقُوا اللهَ ـ عِبَادَ اللهِ ـ وَاتَّقِيْنَ اللهَ إِمَاءَ اللهِ، تَمَسَّكُوا جَمِيْعًا بِكِتَابِ اللهِ، وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ؛ فَخَيْرُ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا.

أَيُّهَا الإِخْوَةُ وَالأَخَوَاتُ فِي اللهِ، إِنَّ قَضِيَّةَ المَرْأَةِ مِنَ الخُطُورَةِ وَالأَهَمِّيَّةِ بِمَكَانٍ كَبِيْرٍ، وَتَحْتَاجُ إِلىٰ عَرْضٍ مُتَجَدِّدٍ مُرَكَّزٍ؛ لأَنَّهَا اتُّخِذَتْ مَطِيَّةً وَغَرَضًا مِن أَعْدَاءِ الإِسْلاَمِ؛ يَبُثُّونَ مِنْ خِلاَلِهَا شُبَهَهُمْ، وَيَنْشُرُونَ أَبَاطِيْلَهُمْ وَسُمُومَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مِنْ كَثِيْرٍ مِنَ المُسْلِمِيْنَ، وَلِكَيْلاَ يَنْخَدِعَ بَعْضُ الدَّهْمَاءِ[1] وَالدَّهْمَاوَاتِ؛ فَإِنَّ عَلَى المُسْلِمِيْنَ ـ كُلٌّ فِي مَجَاله ـ:

(١) الدهماء: جماعة الناس وكثرتهم. انظر: «اللسان» و«تاج العروس» (دهم).

العِنَايَةَ بِهَـٰذِهِ القَضِيَّةِ، وَبَيَانَ مَنْهَجِ الإِسْلَامِ فِيْهَا؛ لِنُثْبِتَ لِلعَالَمِ بِأَسْرِهِ أَنَّنَا ـ وَللهِ الحَمْدُ ـ فِي يَقَظَةٍ مِنْ أَمرِ دِينِنَا، وَأَنَّ فَتَيَاتِنَا المَصُونَاتِ عَزِيْزَاتٌ بِإِسْلَامِهِنَّ، مُتَمَسِّكَاتٌ بِدِيْنِهِنَّ، لاَ تَنْطَلِيْ عَلَيْهِنَّ[1] أَقْوَالُ النَّاعِقِيْنَ، أَعْدَاءِ المُثُلِ وَالقِيَمِ وَالمَبَادِيءِ السَّامِيَةِ، لاَسِيَّمَا وَنَحْنُ نَعِيشُ فِي بِلَادِ الحَرَمَيْنِ ـ حَرَسَهَا اللهُ ـ حَيْثُ تَتَحَلَّى المَرْأَةُ بِالسَّيْرِ عَلَى المَنْهَجِ الإِسْلَامِيِّ الصَّحِيحِ؛ حَتَّىٰ أَصْبَحَتْ فَرِيْدَةً فِي نَوعِهَا، مُتَمَيِّزَةً عَنْ غَيْرِهَا، شَامَةً بَيْنَ بَنَاتِ جِنْسِهَا؛ فِي وَقْتٍ تَتَقَاذَفُ المَرْأَةَ فِيْهِ أَمْوَاجُ الفِتَنِ، وَمَا ذَاكَ إِلاَّ بِتَمَسُّكِ قَادَتِهَا ـ وَفَّقَهُمُ اللهُ ـ بِتَعَالِيْمِ الإِسْلَامِ، وَتَأْكِيْدِهِمْ عَلَىٰ مَنْعِ كُلِّ مَا يُخَالِفُ ذٰلِكَ مِنْ مَظَاهِرِ التَّبَرُّجِ وَالسُّفُورِ، وَالاِخْتِلَاطِ وَنَحْوِهَا، وَللهِ الحَمْدُ والمِنَّةُ.

وَيَحْسُنُ هُنَا التَّنْبِيْهُ إِلَىٰ أَمْرٍ مُهِمٍّ، وَهُوَ: أَنَّ المَرْأَةَ المُسْلِمَةَ إِذَا حَضَرَتْ بُيُوتَ اللهِ ـ وَلاَسِيَّمَا فِي الحَرَمَيْنِ الشَّرِيْفَيْنِ ـ فَإِنَّ عَلَيْهَا أَنْ تَكُونَ مِثَالاً فِي الاِحْتِشَامِ وَالوَقَارِ، والسِّتْرِ وَالعَفَافِ، وَالحِجَابِ الشَّرْعِيِّ فِي وَجْهِهَا وجَمِيْعِ بَدَنِهَا؛ اتِّبَاعًا لِلنُّصُوصِ الصَّحِيْحَةِ الصَّرِيْحَةِ مِنَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ كَمَا يَجِبُ عَلَيْهَا أَنْ تَكُونَ بَعِيْدَةً عَنْ مُزَاحَمَةِ الرِّجَالِ، وَإِيْذَائِهِمْ

(١) أي: لا تُشْكِلُ عليهنَّ، تقول: أمرٌ مَطْلِيٌّ، أي: مُشْكِلٌ مظلم. «تاج العروس» (طلي).



بِالتَّعَطُّرِ، وَالتَّزَيُّنِ بِالثِّيَابِ الجَمِيْلَةِ والحُلِيِّ الفَاخِرِةِ؛ لِيُكْتَبَ لَهَا الأَجْرُ؛ إِنْ شَاءَ اللهُ.

فَهلْ تَجِدُ هَـٰذِهِ الكَلِمَاتُ آذَانًا صَاغِيَةً، وَقُلُوبًا وَاعِيَةً؟! ذٰلِكَ مَا أَرْجُو وَآمُلُ؛ ﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُۚ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ ﴾ [هود].

أَلاَ وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا ـ رَحِمَكُمُ اللهُ ـ عَلَى المُصْطَفَى المُخْتَارِ؛ كَمَا أَمَرَكُمْ بِذٰلِكَ العَزِيْزُ الغَفَّارُ؛ فَقَالَ تَعَالَىٰ قَوْلاً كَرِيْمًا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب].

* * *



الخطبة الأولى

إِنَّ الحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَسْتَهْدِيهِ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وَ أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلـهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ، شَهَادَةً أَدَّخِرُهَا لِيَوْمٍ كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيْرًا، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، بَعَثَهُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ هَادِيًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيْرًا، وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيْرًا، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَجَزَاهُ عَنْ أُمَّتِهِ وَدَعْوَتِهِ جَزَاءً وَفِيْرًا.

أما بعد:

فَيَا أَيُّهَا الإِخْوَةُ المُسْلِمُونَ، أُوْصِيكُمْ وَنَفْسِيْ بِتَقْوَى اللهِ ـ جَلَّ وَعَلا ـ فَعَلَيْكُمْ بِتقْوَى اللهِ ـ رَحِمَكُمُ اللهُ ـ اتَّقُوهُ سُبْحَانَهُ فِي أَنْفُسِكُمْ وَأُسَرِكُمْ وَأَهْلِيْكُمْ، اتَّقُوهُ فِي أَوْلَادِكُمْ وَرَعَايَاكُمْ، وَمَنْ تَحْتَ أَيْدِيْكُمْ، اتَّقُوهُ؛ يَقِيْكُمْ، وَيُغْنِيْكُمْ، وَيَهْدِيْكُمْ.

عِبَادَ اللهِ، أَرَأَيْتُم بِمَاذَا يُقَاسُ تَقَدُّمُ الأَفْرَادِ وَالمُجْتَمَعَاتِ؟! وَبِأَيِّ مِعْيَارٍ يُوزَنُ رُقِيُّ الشُّعُوبِ والبِيْئَاتِ؟! وَعَلَىٰ أَيِّ أَسَاسٍ تُبْنَى الأَمْجَادُ

وَتُشَادُ الحَضَارَاتُ؟! كُلُّ ذٰلِكَ لاَ يَتِمُّ إِلاَّ بِالعِنَايَةِ الفَائِقَةِ بِمَوْضُوعٍ فِي غَايَةِ الأَهَمِّيَّةِ، مَوْضُوعٍ هُوَ هَاجِسُ العُلَمَاءِ والمُرَبِّيْنَ، وَقَضِيَّةُ الدُّعَاةِ وَالمُصْلِحِيْنَ، وَهَمُّ المُفَكِّرِيْنَ وَالغَيُورِيْنَ، وَقَبْلَ ذٰلِكَ وَبَعْدَهُ: هُوَ أُمْنِيَّةُ الآبَاءِ وَالأُمَّهَاتِ، والعَمَلِيَّةُ الكُبْرَىٰ لِلمُدَرِّسِيْنَ وَالمُدَرِّسَاتِ، وَالمُرَبِّيْنَ والمُرَبِّيَاتِ؛ كَمَا أَنَّهُ مَطْلَبٌ مُلِحٌّ لدَى الدُّوَلِ وَالحُكُومَاتِ؛ كَمْ بُذِلَتْ مِنْ أَجْلِهِ أَزْمِنَةٌ وَأَوْقَاتٌ! وَكَمْ دُعِّمَ بِكَثِيْرٍ مِنَ الإِمْكَانَاتِ وَالقُدُرَاتِ! كَمْ صُرِفَتْ لِتَحْقِيْقِهِ جُهُودٌ! وَكَمْ أُنْفِقَتْ فِي سَبِيْلِهِ أَمْوَالٌ بِلاَ حُدُودٍ! وَلَيْسَ ذٰلِكَ بِكَثِيْرٍ عَلَىٰ مَوْضُوعٍ مَتَىٰ مَا تَحَقَّقَ فِي أُمَّةٍ، عَزَّتْ وَسَادَتْ، وَأَفْلَحَتْ وَقَادَتْ، وَإِذَا أُهْمِلَ، حَلَّ فِيهَا الفَسَادُ وَالدَّمَارُ، وَحَصَلَ لَهَا الخَرَابُ وَالبَوَارُ؛ حِيْنَذَاكَ قُلْ: عَلَى الأُمَّةِ العَفَاءُ[1]، وَسَطِّرْ عَلَىٰ أَنْقَاضِهَا[2] عِبَارَاتِ العَزَاءِ!

أَتَدْرُونَ - يَاعِبَادَاللهِ - مَا ذَلِكُمُ المَوْضُوعُ المُهِمُّ؟! **إِنَّهُ «مَوْضُوعُ التَّرْبِيَةِ»**، وَكَفَىٰ بِهَا مِنْ مُهِمَّةٍ! وَأَعْظِمْ بِهَا مِنْ أَمَانَةٍ وَمَسْئُولِيَّةٍ!.

مَعَاشِرَ المُسْلِمِيْنَ، إِنَّ مَسْئُولِيَّةَ تَرْبِيَةِ الأَجْيَالِ، وَإِعْدَادِ النِّسَاءِ وَالرِّجَالِ - مسْئُولِيَّةٌ عُظْمَىٰ، وَإِنَّ قَضِيَّةَ العِنَايَةِ بِفِلْذَاتِ الأَكْبَادِ، وَثَمَرَاتِ الفُؤَادِ مِنَ النَّشْءِ وَالأَوْلاَدِ - قَضِيَّةٌ كُبْرَىٰ، يَجِبُ عَلَىٰ أَهْلِ الإِسْلاَمِ أَنْ يُولُوهَا كُلَّ اهْتِمَامِهِمْ؛ لأَنَّ مُقَوِّمَاتِ سَعَادَتِهِمْ - أَفْرَادًا وَمُجْتَمَعَاتٍ -

---

(١) العفاء: الهلاك والدروس وذهاب الأثر. «اللسان» (عفو).

(٢) الأنقاض: جمع نِقْض، وهو المنقوض، أي: المهدوم. «تاج العروس» (نقض).



مَنُوطَةٌ بِهَا؛ وَلِذٰلِكَ فَإِنَّهُ لابُدَّ مِنَ الإِعْدَادِ لَهَا أَيَّمَا إِعْدَادٍ؛ رَسْمًا لِلْمَنَاهِجِ، وَإِعْدَادًا لِلْخُطَطِ، وَتَضَافُرًا فِي الجُهُودِ، وَتَوْلِيَةً لِلأَكْفَاءِ؛ لِتَتِمَّ العَمَلِيَّةُ التَّرْبَوِيَّةُ سَلِيْمَةً مِنْ تَعَثُّرِ الخُطَا؛ بَعِيْدَةً عَنِ التَّنَاقُضِ وَالازْدِوَاجِيَّةِ، مُجَانِبَةً لِلتَّقْلِيْدِ وَالتَّبَعِيَّةِ؛ اعْتِزَازًا بِشَخْصِيَّتِنَا الإِسْلامِيَّةِ، وَشُمُوخًا فِي مَنَاهِجِنَا الشَّرْعِيَّةِ، مُتَرَسِّمِيْنَ هَدْيَ القُرْآنِ الكَرِيْمِ، وَنَهْجَ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ.

إِخْوَةَ الإِسْلَامِ، إِنَّ ضَرُورَتَنَا لِلتَّرْبِيَةِ الإِسْلَامِيَّةِ مِنْ أَعْلَى الضَّرُورَاتِ، وَحَاجَتَنَا إِلَيْهَا أَشَدُّ إِلْحَاحًا مِنْ كُلِّ الحَاجَاتِ؛ فَمَا قِيْمَةُ الأَجْسَادِ وَالأَبْدَانِ بِلاَ قِيَمٍ وَلاَ أَدْيَانٍ؟! وَمَا قِيْمَةُ الصُّوَرِ وَالأَشْبَاحِ بِلاَ عُقُولٍ وَلاَ أَرْوَاحٍ؟! وَهَلْ تُغْنِيْ القَوَالِبُ إِذَا فَسَدَتِ القُلُوبُ؟! فِي الأَجْسَادِ تَشْتَرِكُ كُلُّ الكَائِنَاتِ، وَفِي البَحْثِ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ تُشَارِكُ الإِنْسَانَ فَصَائِلُ الحَيَوَانَاتِ، وَفِي الحَاجَةِ إِلَى الغِذَاءِ وَالهَوَاءِ يَشْتَرِكُ المُؤْمِنُونَ وَالكُفَّارُ، وَالأَبْرَارُ وَالفُجَّارُ، وَالأَخْيَارُ وَالأَشْرَارُ، لَكِنْ بِالمَبَادِيءِ وَالقِيَمِ، بِالتَّرْبِيَةِ وَالتَّعْلِيْمِ، بِالعَقِيْدَةِ وَالإِيْمَانِ: يَسْتَقِلُّ أَهْلُ الإِسْلَامِ!

إِخْوَةَ العَقِيْدَةِ، كَمْ تُعَانِيْ المُجْتَمَعَاتُ البَشَرِيَّةُ اليَوْمَ مِنْ مَصَائِبَ وَحَوَادِثَ؟! وَكَمْ تَجَرَّعَتْ مِنْ وَيْلَاتٍ وَكَوَارِثَ؟! لِمَاذَا ارْتَفَعَتْ مُعَدَّلَاتُ الجَرَائِمِ بِمَا يُذْهِلُ العُقُولَ؟! لَمْ يَكُنْ ذٰلِكَ لِيَحْدُثَ إِلاَّ لَمَّا أُهْمِلَتْ قَضِيَّةُ التَّرْبِيَةِ، وَمَا تَفَشَّى الظُّلْمُ وَالطُّغْيَانُ وَالفَسَادُ إِلاَّ لَمَّا أُسِيْئَتْ تَرْبِيَةُ الإِنْسَانِ، وَانْحَرَفَتْ أَخْلَاقِيَّاتُهُ، وَانْجَرَفَتْ سُلُوكِيَّاتُهُ فِي مَهَاوِيْ الرَّدَى وَالضَّيَاعِ،



لَقَدْ خَلَفَتْ خُلُوفٌ، وَوُجِدَتْ أَجْيَالٌ بَعْدَ أَجْيَالٍ، مُنْتَكِسَةُ الفِطْرَةِ، مَعْدُومَةُ التَّرْبِيَةِ، لاَ تَعْرِفُ حُقُوقَ اللهِ، وَلاَ حُقُوقَ عِبَادِ اللهِ، لاَ يَحْمِلُونَ رِسَالَةً، وَلاَ يُحَقِّقُونَ هَدَفًا وَلاَ غَايَةً، لاَ يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا، وَلاَ يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا، حَيَاتُهُمْ لَهْوٌ وَبَطَالَةٌ، وَأَحْوَالُهُمْ شَرٌّ وَغَوَايَةٌ، فِي الرَّذَائِلِ غَارِقُونَ، وَلِلْفَضَائِلِ تَارِكُونَ، لاَ خَيْرَ فِيهِمْ لِلْبِلاَدِ وَلاَ لِلْعِبَادِ؛ فَأَيُّ جِنَايَةٍ عَلَى الْمُجْتَمَعِ أَعْظَمُ مِنْ هَـٰذِهِ؟!

إِنَّ وُجُودَ أَجْيَالٍ فِي مَعْزِلٍ عَنِ التَّرْبِيَةِ الحَقَّةِ: جَرِيْمَةٌ فِي حَقِّ الْمُجْتَمَعِ، وَجِنَايَةٌ عَلَى الأُمَّةِ بِأَسْرِهَا؛ كَمِ اشْتَكَتِ الْمُجْتَمَعَاتُ مِنِ انْحِرَافِ الأَحْدَاثِ! وَكَمِ اشْتَكَى الآبَاءُ مِنْ تَمَرُّدِ الأَبْنَاءِ! وَكَم عَانَى الوَالِدَانِ مِنَ العُقُوقِ، وَإِهْمَالِ أَبْنَائِهِمْ فِي أَدَاءِ الحُقُوقِ؛ مُتَنَاسِيْنَ أَنَّ مَكْمَنَ الدَّاءِ فِي هَـٰذِهِ الْمُشْكِلاَتِ كُلِّهَا هُوَ سُوءُ التَّرْبِيَةِ!.

لِذٰلِكَ كَانَ حَقًّا عَلَىٰ أَهْلِ الإِسْلاَمِ: أَنْ يَقُومُوا بِمَسْئُولِيَّاتِهِمْ فِي تَحْقِيْقِ هَـٰذَا الأَمْرِ بِكُلِّ مَا أُوْتُوا مِنْ إِمْكَانَاتٍ، وَأَنْ تَتَكَاتَفَ فِي ذٰلِكَ جَمِيْعُ القَنَوَاتِ: البَيْتُ وَالأُسْرَةُ، الوَالِدَانِ وَالأَقَارِبُ، المَدَارِسُ وَالجَامِعَاتُ، المَسَاجِدُ وَالْمُنْتَدَيَاتُ، الْمُجْتَمَعُ بِكَافَّةِ فِئَاتِهِ، وَسَائِلُ الإِعْلاَمِ بِشَتَّىٰ قَنَوَاتِهَا، الكُلُّ يَجِدُّ فِي التَّرْبِيَةِ وَالبِنَاءِ، وَغَرْسِ القِيَمِ وَالأَخْلاَقِ فِي البَنَاتِ وَالأَبْنَاءِ؛ لِيَخْرُجَ جِيْلٌ مِثَالِيٌّ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ.



أُمَّةَ الإِسْلَامِ، لَقَدْ عُنِيَ دِيْنُنَا الإِسْلامِيُّ بِقَضِيَّةِ التَّرْبِيَةِ عِنَايَةً كَبِيْرَةً لَمْ تَشْهَدِ المُجْتَمَعَاتُ البَائِدَةُ[1] وَالمُعَاصِرَةُ لَهَا مَثِيْلاً، عِنَايَةً لَمْ تَقُمْ بِهَا الأَنْظِمَةُ التَّرْبَوِيَّةُ شَرْقِيُّهَا وَغَرْبِيُّهَا، بَعِيْدًا عَنِ الفَلْسَفَاتِ المُعَقَّدَةِ، وَالأَفْكَارِ المُلَوَّثَةِ؛ فَأَبْدَعَ الإِسْلامُ، وَأَخْفَقَتْ جُهُودُ المَفْتُونِيْنَ بِأَعْدَائِهِ، وَسَطَعَ نُورُ الهِدَايَةِ عَلَى البَشَرِيَّةِ، وَأَظْلَمَتْ حَيَاةُ المُعْرِضِيْنَ عَنْ طَرِيقِ الهِدَايَةِ الرَّبَّانِيَّةِ، وَإِنِ انْتَفَشَتْ أَلْقَابُهُمْ، وَخَدَعُوا السُّذَّجَ بِمَعْسُولِ كَلَامِهِمْ بِدَعْوَى التَّجْدِيْدِ وَالمُعَاصَرَةِ، **وَالحَقُّ:** أَنَّ كُلَّ النَّظَرِيَّاتِ التَّرْبَوِيَّةِ هِيَ فِي مَعْزِلٍ عَنْ هَدْيِ القُرْآنِ وَالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ، إِنَّهَا إِفْلَاسٌ مَا بَعْدَهُ إِفْلَاسٌ، فَمَاذَا قَدَّمَتْ لِلْبَشَرِيَّةِ إِلاَّ الضَّيَاعَ وَالدَّمَارَ، حِينَ اسْتَجَارَتْ مِنَ الرَّمْضَاءِ بِالنَّارِ؟![2] وَلَامُنْقذَ لأَجْيَالِ العَالَمِ إِلاَّ بِالتَّرْبِيَةِ عَلَى الإِسْلَامِ، حَيْثُ الهَدَفُ السَّامِي؛ وَهُوَ تَحْقِيْقُ العُبُودِيَّةِ للهِ الوَاحِدِ القَهَّارِ، وَتَسْخِيْرُ كَافَّةِ الجَوَانِبِ لِخِدْمَةِ هَـٰذَا الأَصْلِ الأَصِيْلِ؛ وَكَذَا تَرْبِيَةُ الأَجْيَالِ عَلَىٰ أَنَّهُمْ حَمَلَةُ عَقِيْدَةٍ، وَأَرْبَابُ هَدَفٍ وَغَايَةٍ، وَأَصْحَابُ إِيْمَانٍ وَخُلُقٍ؛ يَتَجَلَّىٰ ذٰلِكَ فِي أَقْوَالِهِمْ وَمُعَامَلَاتِهِمْ وَتَصَرُّفَاتِهِمْ كَافَّتِهَا.

---

(١) المجتمعات البائدة، أي: المنقرضة الهالكة. «اللسان» (بيد).

(٢) من أمثال العرب قولهم: «كالمستجير من الرمضاء بالنار»، وأصله بيت لكُلَيْب وائلٍ، وهو قوله:

أَلْمُسْتَجِيرُ بعَمْرٍو عِنْدَ كُرْبَتِهِ ... كَالمُسْتَجِيْرِ مِنَ الرَّمْضَاءِ بالنَّارِ

انظر: «مجمع الأمثال» (١/ ٣٧٥).

إِخْوَةَ الإِيْمَانِ، وَحِينَمَا نَقِفُ بَعْضَ الوَقَفَاتِ مع أَهَمِّ القَنَوَاتِ المَسْئُولَةِ عَنِ التَّرْبِيَةِ فِي المُجْتَمَعَاتِ، نَرَىٰ أَنَّ البَيْتَ هُوَ القَاعِدَةُ الأَسَاسِيَّةُ لِلتَّرْبِيَةِ، وَالأُسْرَةُ هِيَ النَّوَاةُ الأُوْلَىٰ فِي القِيَامِ بِالعَمَلِيَّةِ التَّرْبَوِيَّةِ، وَيَبْدَأُ ذٰلِكَ مِن اخْتِيَارِ الزَّوْجَةِ الصَّالِحَةِ ذَاتِ المَنْبَتِ الحَسَنِ وَالمَعْدِنِ النَّفِيْسِ؛ حَيْثُ تُعَدُّ الزَّوْجَةُ لِتَكُونَ مُرَبِّيَةً فُضْلَىٰ، وَمَدْرَسَةً أُوْلَىٰ، وَيَتَدَرَّجُ ذٰلِكَ حَتَّىٰ يَفْتَحَ الطِّفْلُ عَيْنَيْهِ فِيْ أَحْضَانِ أَبَوَيْهِ؛ لِيَجِدَ العِنَايَةَ المَعْنَوِيَّةَ، وَالتَّرْبِيَةَ الإِيْمَانِيَّةَ؛ قَبْلَ العِنَايَةِ المَادِّيَّةِ، انْطِلَاقًا مِنْ وَاجِبِ الإِسْلَامِ فِي ذٰلِكَ؛ يَقُولُ تعَالَىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾[التحريم: ٦]:

قَالَ أَهْلُ العِلْمِ: «**أَيْ: عَلِّمُوهُمْ وَرَبُّوهُمْ وَأَدِّبُوهُمْ بِمَا يَكُونُ وِقَايَةً لَهُمْ مِنْ عَذَابِ اللهِ**»[١]، وَتِلْكَ أَمَانَةٌ عَظِيْمَةٌ، الوَيْلُ كُلُّ الوَيْلِ لِمَنْ خَانَهَا؛ يَقُولُ ﷺ ـ فِيمَا رَوَاهُ الشَّيْخَانِ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ: «**كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**»[٢].

فِي البَيْتِ يَتَعَلَّمُ الطِّفْلُ ـ وَهُوَ فِي مَدَارِجِ صِبَاهُ ـ مَا يَكُونُ عَلَيْهِ أَبَوَاهُ؛ فَهُمَا القُدْوَةُ لَهُ، يَتَأَسَّىٰ بِأَفْعَالِهِمَا، وَيَقْتَدِيْ بِأَقْوَالِهِمَا وَأَعْمَالِهِمَا؛ لِذٰلِكَ فَإِنَّ مَسْئُولِيَّةَ الأَبَوَيْنِ فِي تَوجِيْهِ الابْنِ عَظِيْمَةٌ، يَقُولُ ﷺ فِي بَيَانِ عَظِيْمِ تَأْثِيْرِ الأَبَوَيْنِ عَلَى ابْنِهِمَا: «**كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ؛ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ**

---

(١) انظر: «زاد المسير» لابن الجوزي (٨/ ٣١٢)، و«تفسير ابن كثير» (٨/ ١٦٧).
(٢) تقدم تخريجه (ص٣٥٢).



يُمَجِّسَانِهِ»[1]، وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ؛ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «مَا نَحَلَ[2] وَالِدٌ وَلَدَهُ أَفْضَلَ مِنْ أَدَبٍ حَسَنٍ»[3]، وَقَالَ ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ ـ: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي المَضَاجِعِ»[4].

هَـٰذِهِ تَوْجِيهَاتٌ تَرْبَوِيَّةٌ لِلْبَيْتِ المُسْلِمِ، حَيْثُ يَتَرَبَّى النَّشْءُ فِيهِمْ عَلَى العَقِيدَةِ وَالفَضَائِلِ؛ كَمَا يَتَرَوَّىٰ مِنَ الزَّادِ الحِسِّيِّ، بَلْ أَكْثَرَ؛ وَمِنْ هُنَا فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الآبَاءِ وَالأُمَّهَاتِ يُخْطِيءُ حِينَمَا يَقْصُرُ التَّرْبِيَةَ عَلَىٰ إِشْبَاعِ الرَّغَبَاتِ، وَالتَّرْكِيزِ عَلَى المَادِّيَّاتِ.

فَيَا أَيُّهَا الآبَاءُ وَالأُمَّهَاتُ، اتَّقُوا اللهَ فِي أَوْلَادِكُمْ، كُونُوا قُدْوَةً لَهُمْ فِي الخَيْرِ، نَشِّئُوهُمْ عَلَى العِنَايَةِ بِكِتَابِ اللهِ، وَالِاهْتِمَامِ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، اسْلُكُوا فِي تَرْبِيَتِهِمْ مَنْهَجَ الإِسْلَامِ، تَحَلَّوْا بِالرِّفْقِ فِي مُعَامَلَتِهِمْ، وَالحَزْمِ عِنْدَ تَكَرُّرِ أَخْطَائِهِمْ، وَحَذَارِ أَنْ تَظْهَرُوا أَمَامَهُمْ بِمَظْهَرٍ غَيْرِ لَائِقٍ، عَوِّدُوهُمْ عَلَىٰ فِعْلِ الخَيْرِ لِلْغَيْرِ، وَالتَّخَلُّقِ مَعَهُمْ بِأَحْسَنِ الأَخْلَاقِ، عَوِّدُوهُمْ عِفَّةَ اللِّسَانِ، وَالبُعْدَ عَنِ السِّبَابِ وَالشَّتَائِمِ، وَقَوْلِ الزُّورِ والبَذَاءَةِ وَنَحْوِهَا،

---

(١) رواه البخاري (١٣٨٥)، ومسلم (٢٦٥٨)؛ من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.
(٢) نحله: أعطاه بلا عوض. «تاج العروس» (نحل).
(٣) رواه أحمد (٣/ ٤١٢)، والترمذي (١٩٥٢)، والحاكم (٤/ ٢٦٣).
(٤) رواه أحمد (٢/ ١٨٠)، وأبو داود (٤٩٥)، والحاكم (١/ ١٩٧)؛ من حديث عبدالله ابن عمرو، رضي الله عنهما.

إِيَّاكُمْ أَنْ يَطَّلِعَ الأَوْلَادُ عَلَى الخِلَافَاتِ بَيْنَكُمْ! لِمَا يَجُرُّهُ ذٰلِكَ مِنْ ضَرَرٍ عَلَىٰ نَفْسِيَّاتِهِمْ، وَتَحْطِيمٍ لِمَعْنَوِيَّاتِهِمْ.

وَإِيَّاكُمْ ثُمَّ إِيَّاكُمْ أَنْ تَكِلُوا عَمَلِيَّةَ تَرْبِيَتِهِمْ لِلْخَادِمِينَ وَالخَادِمَاتِ!! فَهُمْ ضَرَرٌ عَلَى الأُسْرَةِ؛ لِمَا يَحْمِلُونَهُ فِي الغَالِبِ مِنْ أَفْكَارٍ وَأَخْلَاقٍ وَعَادَاتٍ ثَبَتَ فِي الوَاقِعِ خَطَرُهَا، وَثَبَتَ لَدَىٰ كُلِّ غَيُورٍ شَرُّهَا وَضَرَرُهَا، أَبْعِدُوهُم عَنْ قُرَنَاءِ السُّوءِ، تَابِعُوهُمْ فِي صَلَوَاتِهِمْ وَخَلَوَاتِهِمْ، تَابِعُوهُمْ معَ مَنْ يَمْشُونَ؟! وَمَنْ يُصَاحِبُونَ؟! مَاذَا يَقْرَءُونَ؟! وَمَاذَا يَسْمَعُونَ؟! وَمَاذَا يُشَاهِدُونَ؟! كُونُوا الرَّقَابَةَ المُكَثَّفَةَ المَقْرُونَةَ بِمَشَاعِرِ المَحَبَّةِ وَالحَنَانِ وَالشَّفَقَةِ، فَالرَّاعِي الفَطِنُ لَا يُهْمِلُ رَعِيَّتَهُ فِي أَرْضِ المَسْبَعَةِ(١).

حذَارِ أَنْ تَتَسَلَّلَ إِلى الأُسَرِ ـ بِاسْتِئْذَانٍ أَوْ بِغَيْرِهِ ـ أَلْوَانٌ مِنَ الغَزْوِ الفِكْرِيِّ وَالخُلُقِيِّ؛ فَتَهْدِمَ مَا بَنَيْتُمُوهُ، وَتَنْقُضَ مَا شَيَّدْتُمُوهُ، نَشِّئُوهُمْ على الفَضِيلَةِ، وَالبُعْدِ عَنِ الرَّذِيلَةِ:

وَيَنْشَأُ نَاشِئُ الفِتْيَانِ مِنَّا عَلَىٰ مَاكَانَ عَوَّدَهُ أَبُوهُ!

ادْعُوا اللهَ لَهُمْ دَائِمًا بِالهِدَايَةِ وَالصَّلَاحِ؛ كَمَا كَانَ أَنْبِيَاءُ اللهِ، عَلَيْهِمْ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ:

فَهَٰذَا الخَلِيلُ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ يَقُولُ: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠٠﴾ [الصافات]، ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ٣٥﴾ [إبراهيم]، وَيَقُولُ:

---

(١) أَرْضٌ مَسْبَعَةٌ، أي: كثيرةُ السِّبَاع. «اللسان» (سبع).



﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾[إبراهيم: ٤٠].

وَهَٰذَا زَكَرِيَّا ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ يَقُولُ: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾[آل عمران: ٣٨]، وَمَا قِيمَةُ الذُّرِّيَّةِ، إِنْ كَانَتْ غَيْرَ طَيِّبَةٍ، والعِيَاذُ بِاللهِ؟!

وَهَٰذَا لُقْمَانُ الحَكِيمُ فِي وَصَايَاهُ المَشْهُورَةِ لابْنِهِ الوَارِدَةِ فِي سُورَةِ لُقْمَانَ(١).

وَهَٰذَا نَبِيُّكُمْ وَقُدْوَتُكُمْ مُحَمَّدٌ ﷺ فِي تَوْجِيهَاتِهِ وَتَرْبِيَتِهِ لِلشَّبَابِ قَوْلاً وَفِعْلاً.

عَلِّمُوهُمْ آدَابَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالمَنَامِ، وَالمُخَالَطَةِ وَالمَسَاجِدِ.

فَاتَّقُوا اللهَ ـ أَيُّهَا الآبَاءُ وَالأُمَّهَاتُ ـ تَابِعُوا أَبْنَاءَكُمْ؛ فَإِنَّهُمْ أَمَانَةٌ فِي أَعْنَاقِكُمْ، وَاحْذَرُوا مِنْ تَرْكِ الحَبْلِ لَهُمْ عَلَى الغَارِبِ.

أَخِي المُسْلِمَ المُبَارَكَ، وَإِذَا سَأَلْتَ عَنِ القَنَاةِ الثَّانِيَةِ فِي تَنْشِئَةِ الأَجْيَالِ فِي ظِلَالِ التَّرْبِيَةِ عَلَى الإِسْلَامِ، وَجَدتَّهَا «**المَدْرَسَةَ**»؛ حَيْثُ يَبْرُزُ دَوْرُهَا التَّرْبَوِيُّ؛ فَمَا ظَنُّكَ بِمَكَانٍ يَقْضِي فِيهِ الشَّابُّ شَطْرَ يَوْمِهِ، وَيُمَارِسُ فِيهِ أَلْوَانًا مِنَ الأَعْمَالِ؟! لَا شَكَّ وَلَا رَيْبَ أَنَّ المَدَارِسَ ثُغُورٌ مُهِمَّةٌ، وَقِلَاعٌ حَصِينَةٌ، يَجِبُ أَنْ يَقُومَ المَسْئُولُونَ عَنْهَا بِوَاجِبِهِمْ حَقَّ قِيَامٍ، تَعْلِيمًا وَتَرْبِيَةً وَإِصْلَاحًا.

---

(١) انظر: الآيات رقم (١٣) إلى (١٩) من سورة لقمان.



فَيَا أَيُّهَا المُدَرِّسُونَ وَالمُدَرِّسَاتُ ، اتَّقُوا الله فِيمَا حمَلْتُمْ مِنْ أَمَانَةِ تَعْلِيْمِ أَبْنَاءِ المُسلِمِيْنَ، كُونُوا قُدْوَةً لَهُمْ فِي الخَيْرِ، نَشِّئُوهُمْ عَلَىٰ حُبِّ التَّرْبِيَةِ وَالتَّعْلِيْمِ، امْزُجُوا بَيْنَ العَمَلِيَّتَيْنِ كِلْتَيْهِمَا، وَكَوِّنُوا الجُسُورَ المُتَوَاصِلَةَ بَيْنَ المَدْرَسَةِ وَالأَوْلِيَاءِ؛ لِيَتَحَقَّقَ صَلاَحُ الأَبْنَاءِ بِإِذْنِ اللهِ، حَذَارِ أَنْ تُخَالِفُوا أَقْوالَكُمْ بِسُلُوكِكُمْ وَأَفْعَالِكُمْ! لاَيَرَ الطُّلاَّبُ مِنْكُمْ أَمْرًا مُحَرَّمًا؛ فَوَ اللهِ لاَيَنْفَعُ العِلْمُ بِدُونِ أَدَبٍ وَلاَخُلُقٍ وَلاَتَرْبِيَةٍ! .

وَحِيْنَ يَأْتِي دَوْرُ «المَسْجِدِ» ـ يَا عِبَادَ اللهِ ـ نَجِدُهُ وَاحَةَ الأَمْنِ وَالأَمَانِ، وَالرَّاحَةِ وَالاطْمِئْنَانِ، وَيَتَعَلَّمُ فِيْهِ النَّاسُ التِّلاَوَةَ وَالصَّلاَةَ، وَالذِّكْرَ وَالدُّعَاءَ، وَلاَرَيْبَ أَنَّ لِلْمَسَاجِدِ والمَدَارِسِ دَوْرًا كَبِيْرًا فِي التَّرْبِيَةِ؛ فَهِيَ معاقِلُ حَصِيْنَةٌ، وَقِلاَعٌ عتِيْدَةٌ، وَثغُورٌ مُهِمَّةٌ؛ حَيْثُ إِنَّهَا تَشِعُّ نُورًا وَإِصْلاَحًا فِي المُجْتَمَعِ بِأَسْرِهِ.

أَمَّا وَسَائِلُ الإِعْلَامِ: فَمَسْئُولِيَّتُهَا مِنْ أَعْظَمِ المَسْئُولِيَّاتِ، لاَسِيَّمَا فِي هَٰذَا العَصْرِ الَّذِيْ هُوَ عَصْرُ الإِعْلاَمِ وَكَفَىٰ؛ فَالوَاجِبُ اسْتِثْمَارُ هَٰذِهِ الوَسَائِلِ بِالتَّرْبِيَةِ وَالتَّنْشِئَةِ لأَجْيَالِ المُسْلِمِيْنَ؛ لأَنَّهَا دَخَلَتْ كُلَّ بَيْتٍ، وَعَمَّتْ كُلَّ مَدِيْنَةٍ وَقَرْيَةٍ، فَاسْتِثْمَارُهَا فِي الخَيْرِ مُتَعَيِّنٌ، وَفِي نَشْرِ الفَضِيْلَةِ مُتَحَتِّمٌ، وَمَا إِخَالُ المَسْئُولِيْنَ عَنْهَا إِلاَّ عَلَىٰ دِرَايَةٍ بِذَٰلِكَ، وَحَدِّثْ وَلاَ حَرَجَ، عَمَّا تَمُوجُ بِهِ القَنَوَاتُ الفَضَائِيَّةُ، وَالشَّبَكَاتُ المَعْلُومَاتِيَّةُ؛ مِمَّا يُفْسِدُ



التَّرْبِيَةَ، مِمَّا يَتطلَّبُ وَعْيًا عَمِيْقًا، وَحَذرًا شَدِيْدًا.

نَسْأَلُ اللهُ أَنْ يُوفِّقَنَا جَمِيْعًا إِلىٰ تَرْبِيَةِ أَبْنَائِنَا وَبَنَاتِنَا عَلَىٰ مَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ؛ ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾[الفرقان: ٧٤]، رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ ذُرِّيَّاتِنَا مَنْ يَكُونُ صَالِحًا مُصْلِحًا، هَادِيًا مَهْدِيًّا؛ يَا سَمِيْعَ الدُّعَاءِ!.

أَقُولُ قَوْلِيْ هَـٰذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِيْ وَلَكُمْ وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ، فَاسْتَغْفِرُوهُ، وَتُوبُوا إِلَيْهِ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيْمُ.

الخطبة الثانية

الحَمْدُ للهِ ذِي المِنَنِ وَالآلاَءِ وَالعِزِّ وَالعَظَمَةِ والكِبْرِيَاءِ، المُسْتَحِقِّ لأَعْظَمِ الشُّكْرِ، وأَجْزَلِ الثَّنَاءِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ المُنَزَّهُ عَنِ الأَنْدَادِ وَالنُّظَرَاءِ، وَالأَمْثَالِ وَالشُّرَكَاءِ، أَوْجَبَ عَلَى الأُمَّهَاتِ وَالآبَاءِ، حُسْنَ تَرْبِيَةِ البَنَاتِ وَالأَبْنَاءِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ إِمَامُ الحُنَفَاءِ، وَقَائِدُ الأَصْفِيَاءِ، وَأَفْضَلُ مَنْ قَامَ بِالتَّرْبِيَةِ وَالإِصْلاَحِ وَالبِنَاءِ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعلَىٰ آلِهِ الأَوْفِيَاءِ، وَصَحْبِهِ الأَتْقِيَاءِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ مَا دَامَتِ الأَرْضُ والسَّمَاءُ.

أما بعد:

فَاتَّقُوا اللهَ ـ عِبَادَ اللهِ ـ وَقُومُوا بِمَا أَوْجَبَ اللهُ عَلَيْكُمْ مِنْ تَرْبِيَةِ أَنْفُسِكُمْ وَأَوْلاَدِكُمْ وَمَنْ تَحتَ أَيْدِيْكُمْ؛ فَقَدْ عَرَفْتُمْ جَمِيعًا أَهَمِّيَّةَ هَـٰذِهِ القَضِيَّةِ، لاَسِيَّمَا فِي هَـٰذِهِ الأَعْصَارِ المُتَأَخِّرَةِ؛ فَوَاللهِ الَّذِيْ لاَإِلٰهَ غَيْرُهُ! لَوْ قُمْنَا بِهَـٰذِهِ القَضِيَّةِ، لَمْ نَشْتَكِ مِنْ مُشْكِلاَتٍ، وَلَمْ نُعَانِ مِنْ جَرَائِمَ وَانْحِرَافَاتٍ، وَلاَخْتَفَتْ مَظَاهِرُ الانْحِلاَلِ، وَتَلاَشَتْ مَعَاطِبُ الاخْتِلاَلِ.

بَيْدَ أَنَّ هُنَاكَ ـ يَا عِبَادَ اللهِ ـ جُزْئِيَّةً لَهَا أَهَمِّيَّتُهَا الخَاصَّةُ فِي هَـٰذِهِ القَضِيَّةِ التَّرْبَوِيَّةِ العَامَّةِ، أَلاَ وَهِيَ العِنَايَةُ بِتَرْبِيَةِ المَرْأَةِ: بِنْتًا، وَأُخْتًا، وَزَوْجَةً، لاَسِيَّمَا تَنْشِئَتُهَا مُنْذُ الصِّغَرِ عَلَى الفَضِيْلَةِ وَالحَيَاءِ؛ وَللهِ دَرُّ القَائِلِ:



مَـنْ لِـي بِتَـرْبِيَـةِ النِّسَـاءِ فَـإِنَّهَـا ... فِي الشَّرْقِ عِلَّةُ ذٰلِكَ الإِخْفَاقِ؟!

رَبُّوا البَنَاتِ عَلَى الفَضِيْلَةِ إِنَّهَا ... فِي الخَافِقَيْنِ لَهُنَّ خَيْرُ وَثَاقِ

أَلأُمُّ مَـدْرَسَـةٌ إِذَا أَعْـدَدتَّهَـا ... أَعْـدَدتَّ شَعْبًا طَيِّبَ الأَعْـرَاقِ

أَلأُمُّ رَوْضٌ إِنْ تعَهَّدَهُ الحَيَا[1] ... بِـالـرِّيِّ أَوْرَقَ أَيَّمَـا إِيـرَاقِ

أَلأُمُّ أُسْتَـاذُ الأَسَـاتِـذَةِ الأُلَـىٰ ... شَغَلَتْ مَآثِرُهُمْ مَدَى الآفَاقِ[2]

فَمَا عَانَتْ مُجْتَمَعَاتُ اليَوْمِ مِنَ المَظَاهِرِ المُحَرَّمَةِ، وَالمَنَاظِرِ المُثِيْرَةِ، إِلاَّ لَمَّا أَهْمَلَتْ تَرْبِيَةَ المَرْأَةِ، وَمَاعَمَّتِ الفِتْنَةُ بِمَظَاهِرِ التَّفَسُّخِ وَالتَّبَرُّجِ وَالتَّبَذُّلِ، وَالسُّفُورِ وَالاِخْتِلاَطِ، إِلاَّ لَمَّا أَهْمَلَتْ تَرْبِيَةَ المَرْأَةِ؛ فَلْيَتَّقِ اللهَ القَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ مِنَ الأَزْوَاجِ وَالآبَاءِ، فَلْيُؤَدِّبُوهُنَّ وَيَأْخُذُوا عَلَىٰ أَيْدِيْهِنَّ، وَيُلْزِمُوهُنَّ بِالقَرَارِ فِي البُيُوتِ، وَالحِجَابِ الشَّرْعِيِّ، حَتَّىٰ لاَيَفْتِنَّ وَلاَ يُفْتَنَّ، فَيَأْتِيْنَ عَلىٰ بُنْيَانِ التَّرْبِيَةِ مِنَ القَواعِدِ.

وَمِنَ الخَطإِ كُلِّ الخَطإِ، وَالخِيَانَةِ فِي الأَمَانَةِ: إِهْمَالُ المَرْأَةِ، وَالاِنْسِيَاقُ وَرَاءَ طَلَبَاتِهَا، دُونَ سُؤَالٍ عَنْ حَلاَلٍ أَوْ حَرَامٍ، وَدُونَ رَقِيْبٍ أو حَسِيْبٍ، فِي لِبَاسِهَا وَسَائِرِ اهْتِمَامَاتِهَا، وَقَدْ وَصَلَ الحَالُ بِبَعْضِ النَّاسِ أَنْ يَعْمِدَ إِلىٰ جَلْبِ الصُّوَرِ الفَاضِحَةِ، وَالمَظَاهِرِ المُحَرَّمَةِ، وَالوَسَائِلِ المُثِيْرَةِ، فَيَتْرُكَهَا بَيْنَ أَبْنَائِهِ وَبَنَاتِهِ.

---

(١) الْحَيَا: المَطَرُ؛ لإحيائه الأرض. «تاج العروس» (حيي).

(٢) الأبيات من قصيدة للشاعر حافظ إبراهيم. انظر: «ديوانه» (١/ ٢٣٠).



أَلْقَاهُ فِي اليَمِّ مَكْتُوفًا وَقَالَ لَهُ   إِيَّاكَ إِيَّاكَ أَنْ تَبْتَلَّ بِالمَاءِ!

فَلْيَتَّقِ اللهَ الجَمِيعُ فِيمَا اؤْتُمِنُوا عَلَيْهِ، وَلْيَقُومُوا بِوَاجِبِ التَّرْبِيَةِ، كُلٌّ فِي مَجالِهِ؛ يَصْلُحِ الحَالُ، وَيَسْعَدِ المُجْتَمَعُ؛ بِإِذْنِ اللهِ.

هَـٰذَا؛ وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا ـ رَحِمَكُمُ اللهُ ـ عَلَىٰ مُعَلِّمِ البَشَرِيَّةِ، وَقَائِدِ البَرِيَّةِ؛ كَمَا أَمَرَكُمُ اللهُ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب].

* * *




القسم التاسع
مآسي المسلمين وقضاياهم



الخطبة الأولى

إِنَّ الحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَسْتَهْدِيْهِ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا.

وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ، مُنْزِلُ الكِتَابِ، وَمُجْرِي السَّحَابِ، وَهَازِمُ الأَحْزَابِ، لاَإِلَـهَ إِلاَّ اللهُ قَاصِمُ الجَبَابِرَةِ، وَكَاسِرُ الأَكَاسِرَةِ، وَمُبِيْدُ القَيَاصِرَةِ! سُبْحَانَهُ هُوَ اللهُ الوَاحِدُ القَهَّارُ! سُبْحَانَهُ هُوَ الغَنِيُّ! سُبْحَانَهُ هُوَ القَوِيُّ!

وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، نَبِيٌّ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ، وَوَضَعَ وِزْرَهُ، وَرَفَعَ فِي العَالَمِيْنَ قَدْرَهُ، وَأَعْلَىٰ فِي الآفَاقِ ذِكْرَهُ، وَجَعَلَ الذِّلَّةَ وَالصَّغَارَ عَلَىٰ مَنْ خَالَفَ أَمْرَهُ، نَصَرَهُ بِالرُّعْبِ، وَأَيَّدَهُ بِالحَقِّ، وَجَعَلَ عِزَّهُ وَنَصْرَهُ تَحْتَ ظِلِّ سَيْفِهِ وَرُمْحِهِ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، الَّذِيْنَ بَذَلُوا نُفُوسَهُمْ وَأَرْوَاحَهُمْ جِهَادًا فِي سَبِيْلِ اللهِ، وَنُصْرَةً لِدِيْنِ اللهِ، وَإِعْلاَءً لِكَلِمَةِ اللهِ، وَقَطْعًا لِدَابِرِ أَعْدَاءِ اللهِ؛ فَرَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ، وَعَمَّنْ سَارَ عَلَىٰ نَهْجِهِمْ، وَاقْتَفَىٰ أَثَرَهُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّيْنِ.

أمّا بعد:

فَيَا عِبَادَ اللهِ، أُوْصِيكُمْ وَنَفْسِيْ بِتَقْوَى اللهِ؛ فَعَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللهِ ـ رَحِمَكُمُ اللهُ ـ فَإِنَّ فِيْ تَقْوَى اللهِ الخُرُوجَ مِنَ المَضَايِقِ، وَالنَّجَاةَ مِنَ المَآزِقِ، وَالسَّلَامَةَ مِنَ المَزَالِقِ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَـٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ۝٣﴾ [الطلاق].

أَيُّهَا المُسْلِمُونَ، لَقَدِ اقْتَضَتْ حِكْمَةُ اللهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ وَجَرَتْ سُنَّتُهُ فِي كَوْنِهِ وَخَلْقِهِ، أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ صِرَاعٌ بَيْنَ الحَقِّ والبَاطِلِ، وَمُقَارَعَةٌ بَيْنَ قُوَى الخَيْرِ وَقُوَى الشَّرِّ، وَمَعْرَكَةٌ دَائِمَةٌ بَيْنَ أَوْلِيَاءِ الرَّحْمَنِ وَأَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ، وَجِهَادٌ بَيْنَ جَبْهَةِ الحَقِّ وَالعَدْلِ، فِي مُقَابِلِ الظُّلْمِ وَالبَغْيِ وَالعُدْوَانِ، وَدَفْعٌ لِلنَّاسِ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ؛ صَلَاحًا لِهَـٰذَا الكَوْنِ، وَعِمَارَةً لِهَـٰذِهِ الأَرْضِ، وَإِبْقَاءً عَلَى العَنَاصِرِ الخَيِّرَةِ، وَإِقْصَاءً لِلْعَنَاصِرِ الشِّرِّيْرَةِ، وَبَتْرًا لِلأَعْضَاءِ المَسْمُومَةِ فِي أَيِّ مُجْتَمَعٍ؛ حَتَّىٰ لَا تُؤَثِّرَ عَلَىٰ بِنْيَتِهِ وَكِيَانِهِ، وَإِنَّ مِنْ طَبِيْعَةِ هَـٰذَا الدِّيْنِ أَنَّهُ فِي مَعْرَكَةٍ دَائِمَةٍ، وَصِرَاعٍ دَائِبٍ مُسْتَمِرٍّ مَعَ الشِّعَارَاتِ الجَاهِلِيَّةِ، أَيًّا كَانَ مَصْدَرُهَا، وَمَنْهَجُهَا، وَزَمَانُهَا.

وَلَقَدْ خَاضَ الإِسْلَامُ مُنْذُ بُزُوغِ شَمْسِهِ هَـٰذِهِ المَعْرَكَةَ الحَاسِمَةَ عَلَى اخْتِلَافِ جَوَانِبِهَا، وَخَرَجَ مِنْهَا ـ بِحَمْدِ اللهِ ـ ظَافِرًا مُنْتَصِرًا؛ تَحْقِيقًا لِوَعْدِ

اللهِ ـ جَلَّ وَعَلاَ ـ لَقَدْ عَانَىٰ مِنَ الكُفْرِ والظُّلْمِ؛ فَاقْتَلَعَ جُذُورَهُ، وَاسْتَأْصَلَ شَأْفَتَهُ، عَانَىٰ مِنَ النِّفَاقِ؛ فَأَبْدَىٰ عَوارَهُ، وكَشَفَ أَسْرَارَهُ، وَهَتَكَ أَسْتَارَهُ، وَفَضَحَ أَخْبَارَهُ، وَأَبَانَ أَخْطَارَهُ، كُلُّ ذٰلِكَ حِفَاظًا عَلَىٰ مُقَوِّمَاتِ المُجْتَمَعِ، وَسَلاَمَتِهِ مِنْ أَيِّ عُدْوَانٍ عَلَى المُسْتَضْعَفِيْنَ، أَوْ إِزْهَاقٍ لِنُفُوسِ الأَبْرِيَاءِ، أَوْ هَدْرٍ لِحُقُوقِهِمْ وَإِضَاعَةٍ لِمُقَدَّرَاتِهِمْ.

مَعَاشِرَ المُؤْمِنِيْنَ، وَلَقَدْ أَلْزَمَ الإِسْلاَمُ أَتْبَاعَهُ دَرْءَ الفِتَنِ عَنْ هٰذَا الدِّيْنِ، وَصِيَانَةَ الحَقِّ فِيْ الأَنْفُسِ وَالعُقُولِ والأَمْوَالِ وَالأَعْرَاضِ مِنْ عَبَثِ العَابِثِيْنَ، وَعُدْوَانِ المُعْتَدِيْنَ؛ لِذٰلِكَ فَقَدْ رَبَّى الإِسْلاَمُ أَتْبَاعَهُ أَنْ يَكُونُوا دَائِمًا عَلَىٰ أَتَمِّ اسْتِعْدَادٍ، وَأَكْمَلِ أُهْبَةٍ، وَأَقْوَىٰ إِعْدَادٍ؛ لِمُقَاوَمَةِ البَغْيِ، وَاسْتِئْصَالِ الشَّرِّ، وَمُقَاوَمَةِ الظُّلْمِ، وَمُقَارَعَةِ البَاطِلِ وَأَهْلِهِ، وَدَرْءِ الفَسَادِ وَالجَرَائِمِ؛ حَتَّىٰ لاَ تُسْتَذَلَّ الرِّقَابُ، وَيَنْتَشِرَ الخَوْفُ وَالإِرْهَابُ، وَيَشْتَدَّ سَاعِدُ التَّسَلُّطِ وَالعَدَاءِ، وَحَتَّىٰ لاَيَنالَ مِنْ أَهْلِ الإِسْلاَمِ، وَلاَ مِنْ دِيْنِهِمْ وَدِيَارِهِمْ، وَكَرَامَتِهِمْ وَمُقَدَّرَاتِهِمْ: أَيُّ عَدُوٍّ أَوْ حَاقِدٍ، كَائِنًا مَنْ كَانَ.

وَقَدْ مَدَحَ اللهُ أَهْلَ الإِيْمَانِ بِهٰذِهِ الخِصَالِ؛ فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾[الشورىٰ]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ ﴾[الشورىٰ].

وَمُنْذُ أَنْ أَعْلَنَ الإِسْلَامُ تَحْرِيْرَ البَشَرِيَّةِ مِنَ الخُضُوعِ لِغَيْرِ اللهِ، وَأَنْقَذَ الإِنْسَانِيَّةَ مِنْ عُبُودِيَّةِ العِبَادِ إِلَىٰ عِبَادَةِ رَبِّ العِبَادِ، وَطَهَّرَهَا مِنْ أَدْرَانِ الجَاهِلِيَّةِ، وَأَعْتَقَهَا مِنْ أَغْلَالِ الطَّوَاغِيْتِ وَالظَّلَمَةِ، مُنْذُ ذٰلِكَ الحِيْنِ: هَاجَ الشَّرُّ، وَمَاجَ الظُّلْمُ، وَثَارَتْ عَوَاصِفُ البَاطِلِ، وَتَحَرَّكَتْ قُوَى البَغْيِ وَالطُّغْيَانِ؛ لِتَعْمَلَ عَلَىٰ كُلِّ صَعِيْدٍ وَمَيْدَانٍ، وَتَلَاحَقَتْ مَلَاحِمُ الصِّرَاعِ، عَبْرَ الأَزْمِنَةِ وَالأَعْصَارِ، وَفِي مُخْتَلِفِ البِقَاعِ وَالأَمْصَارِ، وَتَتَابَعَتْ عَلَىٰ هَـٰذِهِ الأُمَّةِ مَوْجَاتُ الحِقْدِ وَالْفَسَادِ وَالعُدْوَانِ، وَحَلَقَاتُ الظُّلْمِ وَالبَطْشِ وَالطُّغْيَانِ؛ تَهْدِفُ إِلَىٰ تَمْزِيقِ وَحْدَةِ المُسْلِمِيْنَ، وَتَرْمِيْ إِلَىٰ تَدْمِيْرِ كِيَانِهِمْ، وَتَقْوِيْضِ بِنَائِهِمْ وَحَضَارَتِهِمْ بِشَتَّى الأَسَالِيْبِ، وَمُخْتَلِفِ الأَسْلِحَة وَالوَسَائِلِ.

إِخْوَةَ العَقِيْدَةِ، وَلَقَدْ مُنِيَ الإِسْلَامُ[1] عَبْرَ تَأْرِيْخِهِ الطَّوِيْلِ بِكَثِيْرٍ مِنَ الدَّسَائِسِ وَالمُؤَامَرَاتِ، وَأَنْوَاعٍ مِنَ التَّحَدِّيَاتِ وَالهَجَمَاتِ، تَحَدِّيَاتٍ دَاخِلِيَّةٍ، وَتَحَدِّيَاتٍ خَارِجِيَّةٍ، وَحُرُوبٍ مُعْلَنَةٍ، وَأُخْرَىٰ خَفِيَّةٍ، وَمَعَ وَقُوفِ الإِسْلَامِ طَوْدًا شَامِخًا[2]، وَحِصْنًا مَنِيْعًا، إِلاَّ أَنَّ الأَعْدَاءَ لَمْ يَكُفُّوا، وَلَنْ يَكُفُّوا، وَلاَ يَزَالُونَ فِي سَعْيٍ حَثِيْثٍ، إِلَىٰ كُلِّ هَدَفٍ خَبِيْثٍ؛ ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [التوبة].

---

(١) مُنِيَ بكذا مَنْيًا وَمَنْوًا، أي: ابْتُلِيَ. «اللسان» (مني).

(٢) الطَّوْدُ: الجَبَلُ العظيم. «النهاية» (طود).



وَمِنْ أَخْطَرِ هَؤُلَاءِ الأَعْدَاءِ: مَنْ يَتَظَاهَرُ بِالإِسْلَامِ، وَيَلْبَسُ لَبُوسَ الإِيْمَانِ، وَيَرْفَعُ الشِّعَارَاتِ البَرَّاقَةَ، والمَظَاهِرَ الزَّائِفَةَ، وَيَخْدَعُ النَّاسَ بِالكَلِمَاتِ المَعْسُولَةِ، وَالأَلْفَاظِ الرَّنَّانَةِ، وَصَدَقَ اللهُ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾ [البقرة].

مَعَاشِرَ المُسْلِمِيْنَ، وَمَا أَشْبَهَ اللَّيْلَةَ بِالبَارِحَةِ! فَالأَعْدَاءُ هُمُ الأَعْدَاءُ، بَلْ أَلَدُّ! والتَّحَدِّيَاتُ هِيَ التَّحَدِّيَاتُ، بَلْ أَشَدُّ! إِجْرَامٌ يُنَاسِبُ أَحْوَالَ العَصْرِ، وَإِرْهَابٌ يُسَايِرُ تَقَدُّمَ الزَّمَنِ، وَمِمَّا زَادَ الطِّيْنَ بِلَّةً: زَعَامَاتٌ تَتَسَلَّطُ عَلَىٰ رِقَابِ الشُّعُوبِ المَقْهُورَةِ، وَتَحْكُمُهُمْ بِالحَدِيْدِ وَالنَّارِ، وَتَجُرُّهُمْ إِلَى الهَلَاكِ وَالدَّمَارِ، وَأَنْظِمَةٌ تَتَلَاعَبُ بِمَصَائِرِ الشُّعُوبِ، وَتَتَحَكَّمُ فِي مُقَدَّرَاتِهِمْ، وَتَدُوسُ كَرَامَتَهُمْ، تَبْنِيْ عُرُوشَهَا عَلَىٰ جَمَاجِمِ الأَبْرِيَاءِ، وَأَشْلَاءِ الضُّعَفَاءِ ـ كَانَ اللهُ فِي عَوْنِ الشُّعُوبِ المَقْهُورَةِ! ـ وَوَسَائِلُ إِعْلَامٍ هِيَ مِعْوَلٌ هَدَّامٌ، مَأْزورَةً غَيْرَ مَأْجُورَةٍ، لَعِبَتْ بِالحَرْفِ(١)، وَأَرْخَصَتْ مِصْدَاقِيَّتَهُ، وَضَيَّعَتْ أَمَانَةَ الكَلِمَةِ، لَا تَفْتَأُ تَقْلِبُ الحَقَائِقَ، وَتَعْكِسُ

---

(١) الحَرْفُ: اللغة. «اللسان» و«تاج العروس» (حرف).



المَفَاهِيْمَ، تَهْذِيْ[1] بِمَا تَدْرِيْ وَبِمَا لاَ تَدْرِيْ، وَتَهْرِفُ بِمَا تَعْرِفُ وَبِمَا لاَ تَعْرِفُ[2]، تُمَثِّلُ أَبْوَاقًا نَاعِقَةً لِخِدْمَةِ البَاطِلِ وَأَهْلِهِ، وَشُعُوبٌ كَثِيْرَةٌ، وَجُمُوعٌ غَفِيْرَةٌ: سَارَتْ فِي رِكَابِ القَوْمِ وَخُدِعَتْ بِالبَهَارِجِ، تَرْسُفُ فِي أَغْلاَلِ[3] الجَهْلِ وَالهَوَىٰ، يَتَّبِعُونَ كُلَّ نَاعِقٍ، وَيُشَايِعُونَ كُلَّ مَارِقٍ، إِمَّعَاتٌ[4] إِنْ عُدَّ الثِّقَاتُ، وَسُفَهَاءُ إِنْ عُدَّ العُقَلاَءُ، وَغَوْغَاءُ وَدَهْمَاءُ إِذَا ذُكِرَ الرِّجَالُ العُظَمَاءُ، وَلُؤَمَاءُ إِذَا ذُكِرَ الكُرَمَاءُ.

فَوَاأَسَفَا، ثُمَّ وَاأَسَفَا عَلَىٰ أَحْوَالِ هَـؤُلاَءِ! وَسُبْحَانَ مَنْ يَهْدِيْ مَنْ يَشَاءُ، وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ!.

أُمَّةَ الإِسْلَامِ، وَلاَتَزَالُ الأَحْدَاثُ الجَارِيَةُ فِي السَّاحَةِ تَسْتَأْثِرُ بِالحَدِيْثِ؛ حَيْثُ تَعْجزُ الكَلِمَاتُ عَنْ وَصْفِهَا وَبَيَانِ مَآلِهَا، وَيَسْتَعْجِمُ اللِّسَانُ عَنِ التَّعْبِيْرِ عَنْ أَخْطَارِهَا وَلأْوَائِهَا، وَتَكَادُ الحَرْبُ عَلَىٰ خَلِيْجِنَا الآمِنِ تُنْهِي

---

(١) هَذَىٰ يَهْذِي هَذَيَانًا: تكلَّم بكلام غير معقول. «اللسان» (هذي).

(٢) من أمثال العرب قولهم: «لا تَهْرِفْ بما لا تَعْرِف»، ويروى: «لا تَهْرِفْ قبل أن تَعْرِف»؛ يُضْرَبُ لمن يتعدَّىٰ في مدح الشيء قبل معرفته، والهَرْفُ: الإطناب في المدح. راجع: «مجمع الأمثال» (٢/ ٢١٩).

(٣) تَرْسُفُ: تمشي مشي المقيد، والأغلال: جمع غُلٍّ، وهو: الجامعة من الحديد توضع في اليد أو العنق. «تاج العروس» (رسف) (غلل)، والمراد: أن الجهل والهوى ملازم لها.

(٤) إمَّعَات: جمع إمَّعَة، وهو: الذي لا رأي له ولا عزم؛ فهو يقول لكل أحد: أنا معك. انظر: «اللسان» (أمع).



شَهْرَهَا الأَوَّلَ مِنْ عُمْرِهَا القَصِيْرِ إِنْ شَاءَ اللهُ، **وَلَكِنْ مِنَ المُؤْسِفِ جِدًّا**: أَنَّ مَنْ تَوَلَّىٰ كِبْرَهَا، وَأَضْرَمَ نَارَهَا «**صَدَّامُ الطَّاغِيَةُ**» لاَيَزَالُ يَرْسُفُ فِي ثَوْبِ صَلَفِهِ وَغُرُورِهِ، مُعَرِّضًا الأُمَّةَ بِأَسْرِهَا إِلَىٰ أَضْرَارٍ خَطِيْرَةٍ، وَشُرُورٍ مُسْتَطِيْرَةٍ، وَإِنَّ المُتَضَرِّرَ الأَوَّلَ مِنْ هَـٰذِهِ الحَرْبِ الدَّامِيَةِ هُوَ الشَّعْبُ العِرَاقِيُّ المُسْلِمُ الأَبِيُّ!، فَبِأَيِّ حَقٍّ يَتَعَرَّضُ هَـٰذَا الشَّعْبُ المَظْلُومُ بِحُكْمٍ دِكْتَاتُورِيٍّ ظَالِمٍ عَنِيْدٍ، إِلَى الحَرْبِ وَالدَّمَارِ؟! حَيْثُ لاَ يُسْمَعُ إِلاَّ أَزِيْزُ الطَّائِرَاتِ، وَطَلَقَاتُ المَدَافِعِ، وَدَوِيُّ الانْفِجَارَاتِ، وَحَرَكَةُ الدَّبَّابَاتِ، وَإِطْلاَقُ الصَّوَارِيْخِ! إِنَّنَا نُطَالِبُ طَاغِيَةَ العِرَاقِ: أَنْ يَرْعَىٰ حُقُوْقَ الأُخُوَّةِ الَّتِيْ تَرْبِطُ المُسْلِمِيْنَ فِي كُلِّ مَكَانٍ بِإِخْوَانِهِمُ المُسْلِمِيْنَ فِي بِلاَدِ الرَّافِدَيْنِ[١]، وَبَغْدَادِ الرَّشِيْدِ وَابْنِ حَنْبَلٍ، فَيُبَادِرَ فَوْرًا إِلَىٰ إِيْقَافِ رَحَى الحَرْبِ، وَيَنْسَحِبَ مِنْ أَرْضِ الكُوَيْتِ المُسلِمِ الشَّقِيْقِ.

وَإِنْ تَعْجَبُوا - يَارَعَاكُمُ اللهُ - مِنْ أَفْعَالِ هَـٰذَا الطَّاغِيَةِ، فَعَجَبٌ تَلاَعُبُهُ بِالشِّعَارَاتِ! أَيُّ إِسْلاَمٍ، وَأَيُّ إِيْمَانٍ لِمَنِ ابْتَغَىٰ غَيْرَ اللهِ حَكَمًا، وَغَيْرَ دِيْنِهِ مَنْهَجًا، وَرَضِيَ بِالشِّعَارَاتِ الكُفْرِيَّةِ، وَقَتَلَ الأَبْرِيَاءَ، وَسَفَكَ الدِّمَاءَ، وَرَوَّعَ الآمِنِيْنَ، وَفَعَلَ مَا لَمْ يَفْعَلْهُ أَئِمَّتُهُ فِي الضَّلاَلِ وَالإِجْرَامِ عَبْرَ التَّأْرِيْخِ؟!

ثُمَّ الأَعْجَبُ مِنْ ذَٰلِكَ: أَنْ يَتَبَاكَىٰ عَلَى المُقَدَّسَاتِ، وَهُوَ الَّذِيْ يُمْطِرُ أَرْضَ الحَرَمَيْنِ بِالصَّوَارِيْخِ الحَاقِدَةِ بَيْنَ حِيْنٍ وَآخَرَ! وَيَرْفَعُ شِعَارَاتِ

---

(١) بلاد الرافدَيْنِ: العراقُ، والرافدان: دجلة والفرات. «اللسان» (رفد).



الجِهَادِ وَالاِسْتِشْهَادِ، وَهُوَ الأَوْلَىٰ بِالمُجَاهَدَةِ وَالقِتَالِ؛ لأَفْعَالِهِ الشَّنِيْعَةِ!! وَفِي أَيِّ قَوامِيْسِ الشَّهَادَةِ يُوجَدُ أَنَّ الشَّهِيدَ مَنْ قَتَلَ الأَبْرِيَاءَ، وَسَفَكَ الدِّمَاءَ، وَظَلَمَ وَطَغَىٰ وَبَغَىٰ؟! يَتَظَاهَرُ بِالحَمَاسِ لِقَضِيَّةِ فِلَسْطِينَ، وَكَأَنَّهَا لَمْ تَكُنْ قَضِيَّةَ المُسْلِمِيْنَ إِلاَّ هَـٰذِهِ الأَيَّامَ، لَمَّا جَعَلَ قَضِيَّتَهُ الوَاحِدَةَ عِدَّةَ قَضَايَا سَاخِنَةٍ! وَأَيْنَ قَضِيَّةُ الكُوَيْتِ عَنْ شَفَقَتِهِ وَعَطْفِهِ؟! حَتَّى المِيَاهُ الصَّافِيَةُ، والحَيَوانَاتُ الوَادِعَةُ، وَالبِيْئَةُ السَّلِيْمَةُ؛ بَرًّا وَبَحْرًا وَجَوًّا ـ لَمْ تَسْلَمْ مِنْ عُدْوَانِهِ!! إِمْعَانًا فِي الكَيْدِ، وَإِغْرَاقًا فِي الإِجْرَامِ، وَالعِيَاذُ بِاللهِ!.

وَالْيَوْمَ يَشْغَلُ الرَّأْيَ العَامَّ بِقَضِيَّةِ عَدَدٍ مِنَ المَدَنِيِّيْنَ قُتِلُوا، يَا سُبْحَانَ اللهِ! هَلْ قَتْلُ هَـٰؤُلاَءِ جَرِيْمَةٌ لاَ تُغْتَفَرُ، وَقَتْلُ وَتَشْرِيْدُ أَبْنَاءِ الكُوَيْتِ مَسْأَلَةٌ فِيْهَا نَظَرٌ؟!

يُطْلِقُ بَعْضَ الصَّوَارِيْخِ عَلَىٰ إِسْرَائِيْلَ؛ لِصَرْفِ أَنْظَارِ بَعْضِ الدَّهْمَاءِ إِلَىٰ بُطُولَتِهِ المُزَيَّفَةِ، وَلَـٰكِنْ كَيْفَ يُسْتَسَاغُ إِطْلاَقُهُ الصَّوَارِيْخَ عَلَىٰ بِلاَدِ المُقَدَّسَاتِ الإِسْلاَمِيَّةِ؟! سُبْحَانَ اللهِ!

. . . . **لَكِ الوَيْلُ! لاَتَزْنِي وَلاَ تَتَصَدَّقِي!**(1)

وَالعَجَبُ العُجَابُ مِنْ حَالِ هَـٰؤُلاَءِ المُرْتَزِقَةِ الانْتِهَازِيِّيْنَ النَّفْعِيِّيْنَ،

---

(1) عجز بيت لإسماعيل بن عمّار الأسدي، والبيت بتمامه:

يَقُولُ لَهَا أَهْلُ الصَّلاَحِ نَصِيحَةً ... لَكِ الوَيْلُ! لاَتَزْنِي وَلاَ تَتَصَدَّقِي!

وعجز البيت من الأمثال. انظر: «تمثال الأمثال» للشيبي (٢/ ٥٣٣).



الَّذِيْنَ يُصَفِّقُونَ وَيَزْمِرُونَ، وَلاَ يَكْتَفُونَ بِذٰلِكَ، بَلْ يُعْلِنُونَ الحِدَادَ ـ كَمَا زَعَمُوا ـ عَلَىٰ بَعْضِ القَتْلَى المَدَنِيِّيْنَ، لَـٰكِنْ أَيْنَ هُمْ يَوْمَ أُصِيْبَ إِخْوَانُنَا الكُوَيْتِيُّونَ؟! كَفَىٰ ضَحِكًا عَلَىٰ أَذْقَانِ الشُّعُوبِ، وَذَرًّا لِلرَّمَادِ فِي العُيُونِ، إِلى اللهِ المُشْتَكَىٰ، وَهُوَ المُسْتَعَانُ، وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الوَكِيْلُ!!.

أَحْوَالٌ مُبْكِيَةٌ، وَأَوْضَاعٌ مُزْرِيَةٌ، وَأُمَّةُ الإِسْلَامِ آلَ أَمْرُهَا إِلَىٰ هَـٰذِهِ الحَالِ المُتَرَدِّيَةِ، فَيَا لَهَا مِنْ مِحْنَةٍ! وَكَفَىٰ بِهَا مِنْ فِتْنَةٍ، تَتَطَلَّبُ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ صَادِقِ الإِسْلَامِ ـ وَالصِّدْقُ قَلِيْلٌ فِي عَالَمِ التَّزْيِيْفِ ـ أَنْ يَقُومَ بِدَوْرِهِ فِي زَحْمَةِ الأَحْدَاثِ! فَالغَفْلَةُ وَالإِعْرَاضُ هُمَا الدَّاءُ العُضَالُ، لاَبُدَّ مِنْ صِدْقِ العَزِيْمَةِ فِي عِلَاجِ الأَزَمَاتِ، وَمِنَ التَّوَجُّهِ الصَّادِقِ إِلَى اللهِ؛ فَهُوَ المَلْجَأُ فِي الشَّدَائِدِ وَالمُلِمَّاتِ[1]: الوُلَاةُ وَالقَادَةُ بِدَوْرِهِمْ فِي تَحْقِيْقِ الشَّرِيْعَةِ، وَالعُلَمَاءُ وَالدُّعَاةُ بِدَوْرِهِمْ فِي تَبْصِيْرِ الشُّعُوبِ الإِسْلَامِيَّةِ الحَائِرَةِ، وَالشَّبَابُ المُسْلِمُ بِالتَّسَلُّحِ وَالإِعْدَادِ بِالقُوَّةِ المَعْنَوِيَّةِ وَالمَادِّيَّةِ، وَالمَرْأَةُ المُسْلِمَةُ أُمُّ الأَبْطَالِ، وَمُرَبِّيَةُ الأَجْيَالِ، بِالإِعْدَادِ وَالتَّرْبِيَةِ، وَلَوْ أَنْ تُصْلِحَ حَالَهَا وَتُسَاعِدَ بِالْتِزَامِهَا بِحِجَابِهَا وَعَفَافِهَا وَحِشْمَتِهَا؛ لأَنَّنَا نَطْلُبُ النَّصْرَ مِنَ اللهِ بِالقِيَامِ بِطَاعَتِهِ، وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ بِعِبَادَتِهِ، والبُعْدِ عَنِ المَعَاصِيْ وَالمُحَرَّمَاتِ،،، وهَـٰكَذَا، وَالكُلُّ بِدُعَائِهِ وَتَضَرُّعِهِ، وَلَوْ بِكَفِّ شَرِّهِ، وَفَرَجُ اللهِ آتٍ لاَ مَحَالَةَ،

---

(١) الملمَّات: جمع ملمَّة، وهي النازلة الشديدة من نوازل الدهر. «اللسان» (لمم).



وَمَلاَمِحُ النَّصْرِ قَرِيْبَةٌ بِحَمْدِ للهِ؛ ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[يوسف]، وَاللهُ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الوَكِيْلُ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ اللهِ العَلِيِّ العَظِيْمِ.

﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾[الإسراء].

أَقُولُ قَوْلِيْ هَٰذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ، فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيْمُ.

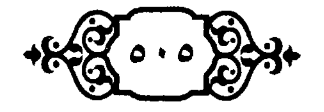
الخطبة الثانية

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ ، وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِيْنَ ، وَالعِزَّةُ وَالنُّصْرَةُ لِلْمُؤْمِنِيْنَ ، والذِّلَّةُ وَ المَهَانَةُ وَالهَزِيْمَةُ لأَعْدَاءِ الدِّيْنِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلـهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ وَلِيُّ المُؤْمِنِيْنَ ، وَخَاذِلُ الكَفَرَةِ وَالظَّالِمِيْنَ ، وَالمُنْتَقِمُ مِن الظَّلَمَةِ وَالبُغَاةِ وَالمُعْتَدِيْنَ ، والمُنْتَصِرُ لِلْمَظْلُومِيْنَ وَالمُضْطَهَدِيْنَ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُهُ إِمَامُ المُجَاهِدِيْنَ ، وَسَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ أَجْمَعِيْنَ ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلىٰ آلِهِ الطَّيِّبِيْنَ الطَّاهِرِيْنَ ، وَصَحَابَتِهِ الغُرِّ المَيَامِيْنِ ، وَالتَّابِعِيْنَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّيْنِ .

أمّا بعد :

فَاتَّقُوا اللهَ ـ عِبَادَ اللهِ ـ تَمَسَّكُوا بِدِيْنِكُمْ ، وَكُونُوا عَلَىٰ وَعْيٍ بِمَا يَحِيكُهُ أَعْدَاؤُكُمْ ضِدَّكُمْ ، فَأَنْتُمْ فِي هَـٰذِهِ البِلَادِ الآمِنَةِ مَحْسُودُونَ ؛ لِمَا تَنْعَمُونَ بِهِ مِنْ أَمْنٍ وَأَمَانٍ ، وَرَاحَةٍ وَاطْمِئْنَانٍ ، يُرِيْدُ أَعْدَاؤُكُمْ أَنْ يُعَكِّرُوا صَفْوَ أَمْنِكُمْ ، وَرَغَدَ عَيْشِكُمْ ، فَمَا فَتِئُوا يَبُثُّونَ الأَقَاوِيْلَ الكَاذِبَةَ ، وَالشَّائِعَاتِ المُغْرِضَةَ مِمَّا ظَهَرَ أَمْرُهُ ـ بِحَمْدِ اللهِ ـ وَلَمْ يَعُدْ خَافِيًا عَلَىٰ أُوْلِي البَصَائِرِ .

وَمِنْ خُطَطِهِمُ الخَبِيْثَةِ: تَكْوِيْنُ خَلَايَا لِلإِرْهَابِ وَالإِجْرَامِ ، وَعِصَابَاتٍ لِلإِفْسَادِ وَالتَّخْرِيْبِ ، وَقَدْ ظَنَّ أُوْلَـٰئِكَ أَنَّهُمْ يُجِيْدُونَ الاصْطِيَادَ فِي المَاءِ العَكِرِ ، وَلَـٰكِنْ خَابَ ظَنُّهُمْ ، وَضَلَّ سَعْيُهُمْ ؛ فَلَنْ يُفْلِتُوا مِنْ رَقَابَةِ اللهِ ، ثُمَّ لَنْ



يَعْدَمُوا جَزَاءَهُمُ الرَّادِعَ الَّذِيْ سَيَقَعُ بِهِمْ بِإِذْنِ اللهِ، وَبِأَمْثَالِهِمْ مِنْ كُلِّ مَنْ تُسَوِّلُ لَهُ نَفْسُهُ العَبَثَ بِأَمْنِ الآمِنِيْنَ، وَإِنَّ أَمْنَ بِلَادِ الحَرَمَيْنِ الشَّرِيْفَيْنِ لَمَسْئُولِيَّةُ المُسْلِمِيْنَ جَمِيعًا مِنْ أَهْلٍ ووَافِدِيْنَ وَمُقِيْمِيْنَ، وَيَجِبُ عَلَىٰ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا أَنْ يَكُونَ جُنْدِيًّا فِي مَيْدَانِهِ، وَعَيْنًا سَاهِرَةً عَلَىٰ ثَغْرِهِ، رَاصِدَةً لِكُلِّ مُجْرِمٍ أَثِيْمٍ مِنْ قِبَلِهِ.

وَتَحِيَّةُ تَقْدِيْرٍ وَإِعْزَازٍ لِلْجُنُودِ المَجْهُولِيْنَ؛ الَّذِيْنَ يَسْهَرُونَ عَلَىٰ أَمْنِ بِلَادِنَا، حَيْثُ يَنَامُ النَّاسُ، وَيَتْعَبُونَ حَيْثُ يَسْتَرِيْحُ غَيْرُهُمْ، لَا حَرَمَهُمُ اللهُ ثَوَابَ مَا يَقُومُونَ بِهِ مِنْ خِدْمَةٍ لِدِيْنِهِمْ وَمُقَدَّسَاتِهِمْ! وَلَا تَزَالُ الوَصِيَّةُ مَوْصُولَةً لِجُنُودِنَا الأَشَاوِسِ[1]، وَلُيُوثِنَا الأَكَاسِرِ، المُرَابِطِيْنَ فِي جَبَهَاتِ القِتَالِ، وَفِي مَيَادِيْنِ الشَّرَفِ وَالبُطُولَةِ وَالفِدَاءِ، فِي الخُطُوطِ كُلِّهَا أَمَامِيِّهَا وَخَلْفِيِّهَا، وَفِي الجِهَاتِ جَمِيْعِهَا، فَاللهَ اللهَ فِي الثَّبَاتِ وَالصَّبْرِ وَالاِحْتِسَابِ، وَالمُرَابَطَةِ وَالصِّدْقِ، وَالذِّكْرِ وَالطَّاعَةِ وَالدُّعَاءِ! فَالنَّصْرُ قَادِمٌ ـ بِإِذْنِ اللهِ ـ قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الروم]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات].

هَٰذَا؛ وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا ـ رَحِمَكُمُ اللهُ ـ عَلَىٰ نَبِيِّ الرَّحَمَاتِ وَالمَلَاحِمِ، كَمَا أَمَرَكُمُ اللهُ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ؛ فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب].

---

(١) الأشاوِس: جمع أَشْوَس، وهو الشديدُ الجريءُ على القتال. «اللسان» (شوس).



الخطبة الأولى

الحَمْدُ للهِ الوَاحِدِ القَهَّارِ، العَزِيْزِ الغَفَّارِ، أَحْمَدُهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ نِعَمِهِ الغِزَارِ، وَأَشْكُرُهُ سُبْحَانَهُ عَلَىٰ فَضْلِهِ المِدْرَارِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلـٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ المَلِكُ الجَبَّارُ، لَهُ الخَلْقُ كُلُّهُ، وَلَهُ الأَمْرُ كُلُّهُ، وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا وَحَبِيْبَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ المُصْطَفَى المُخْتَارُ؛ فَهُوَ خِيَارٌ مِنْ خِيَارٍ مِنْ خِيَارٍ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ الأَبْرَارِ، المُهَاجِرِيْنَ مِنْهُمْ وَالأَنْصَارِ، وَالتَّابِعِينَ الأَخْيَارِ، الَّذِيْنَ لَزِمُوا السُّنَّةَ وَالآثَارَ، صَلاَةً وَسَلاَمًا تَامَّيْنِ كَامِلَيْنِ مُتَعَاقِبَيْنِ مَا تَعَاقَبَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَنَسْأَلُ اللهُ أَنْ نَكُونَ مِمَّنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ، فَرَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وَرَضُوا عَنْهُ، وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِيْ مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ.

أَمَّا بَعْدُ:

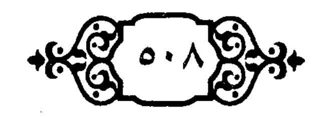
فَاتَّقُوا اللهَ - عِبَادَ اللهِ - فَتَقْوَى اللهِ سِرُّ النَّصْرِ وَالفَلاَحِ، وَسَبَبُ التَّوْفِيْقِ وَالنَّجَاحِ، وَطَرِيقُ الخَيْرِ وَالصَّلاَحِ.

إِخْوَةَ العَقِيْدَةِ، لَقَدْ بَعَثَ اللهُ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِالهُدَىٰ وَدِيْنِ الحَقِّ؛ فَبَشَّرَ وَأَنْذَرَ، وَدَعَا وَأَخْبَرَ، وَهَدَىٰ وَحَذَّرَ، بَلَّغَ الرِّسَالَةَ، وَأَدَّى الأَمَانَةَ،

وَنَصَحَ الأُمَّةَ، وَكَشَفَ بِأَمْرِ رَبِّهِ الغُمَّةَ، وَهَدَى النَّاسَ - بِإِذْنِ رَبِّهِمْ - إِلَىٰ صِرَاطِ العَزِيْزِ الحَمِيْدِ؛ فَأَشْرَقَتْ بِهِ الأَرْضُ بَعْدَ ظُلُمَاتِهَا، وَاجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ الأُمَّةُ بَعْدَ شَتَاتِهَا.

وَاخْتَارَ اللهُ لَهُ أَنْصَارًا، هُمْ صَحَابَتُهُ الكِرَامُ - رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِيْنَ - خَيْرُ القُرُونِ عَلَى الإِطْلَاقِ، وَأَفْضَلُ الأُمَّةِ بَعْدَ رَسُولِهَا بِاتِّفَاقٍ، أَبَرُّ الأُمةِ قُلُوبًا، وَأَعْمَقُهَا عِلْمًا، وَأَقَلُّهَا تكَلُّفًا، إِذَا عَلَوْا فَهُمُ الكِرَامُ البَرَرَةُ، وَإِذَا حَكَمُوا فَهُمُ الوُلَاةُ الخِيَرَةُ، كَيْفَ لَا وَقَدِ اخْتَارَهُمُ اللهُ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ وَحَمْلِ شَرِيْعَتِهِ؟! حَمَلُوا بَعْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِوَاءَ الدَّعْوَةِ وَالجِهَادِ؛ فَفَتَحُوا البِلَادَ، وَأَسْعَدُوا العِبَادَ، وَقَادُوهُمْ إِلَى الخَيْرِ فِي أُمُورِ المَعَاشِ وَالمَعَادِ، نَشَرُوا الإِسْلَامَ فِي مَشَارِقِ الأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا، رَفَعُوا رَايَةَ الوَحْدَانِيَّةِ، وَحَطَّمُوا عُرُوشَ الوَثَنِيَّةِ، وَنَكَّسُوا رَايَاتِ الجَاهِلِيَّةِ، وَاحْتَلُّوا الصَّدَارَةَ وَالإِدَارَةَ لِلإِنْسَانِيَّةِ، وَأَمْسَكُوا بِزِمَامِ قِيَادَةِ البَشَرِيَّةِ، وَتَحَوَّلَتِ الأُمَّةُ رَاعِيَةُ الغَنَمِ، إِلىٰ قَادَةِ شُعُوبٍ وَسَاسَةِ أُمَمٍ، حَقَّقَتِ الخَيْرَ وَالسَّعَادَةَ، وَتَوَلَّتِ القِيَادَةَ وَالرِّيَادَةَ، وَاحْتَلَّتِ المَكَانَةَ وَالسِّيَادَةَ، وَمَلَأَتِ الأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلاً، وَالقُلُوبَ إِيْمَانًا وَخَشْيَةً وَعِلْمًا؛ مِمَّا لَمْ يَشْهَدْ لَهُ التَّأْرِيْخُ مَثِيْلاً، وَلَمْ يَعْرِفِ العَالَمُ لَهُ نَظِيْرًا.

أُمَّةُ الإِسْلَامِ، وَمَا كَادَتِ القُرُونُ الثَّلَاثَةُ تَنْقَضِيْ؛ حَتَّىٰ ظَهَرَتِ



الفِتَنُ، وَاتَّسَعَ نِطَاقُ المِحَنِ، خَلَفَتْ خُلُوفٌ تَفَرَّقَتْ بِهِمُ السُّبُلُ، وَأَعْرَضُوا عَنْ مَنْهَجِ الرُّسُلِ، وَضَلَّتْ بِهِمُ الأَهْوَاءُ، وَاسْتَحْكَمَتْ فِيْهِمُ الآرَاءُ، وَتَعَدَّدَتْ فِيْهِمُ المَذَاهِبُ، وَتَبَايَنَتِ النَّزَعَاتُ وَالمَشَارِبُ؛ ﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [المُؤمنون].

كَثُرَتْ بَيْنَهُمُ الاخْتِلَافَاتُ، وَأَهْلَكَتْهُمُ الأَنَانِيَاتُ، وَسَعَوْا لِلْحُظُوظِ وَحُبِّ الذَّاتِ، فَضَرَبَتِ الأُمَّةُ فِي تِيْهِ السُّبُلِ أَحْقَابًا مِنَ الزَّمَنِ، وَعُقُودًا مِنَ التَّأْرِيْخِ؛ فَرَّطُوا فِي أَمْرِ اللهِ، فَانْفَرَطَ عِقْدُهُمْ أَمَامَ أَعْدَاءِ اللهِ، الَّذِيْنَ سَعَوْا وَيَسْعَوْنَ لإِطْفَاءِ نُورِ اللهِ؛ ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [التوبة].

وَكَانَ مِنْ نَتِيْجَةِ هَٰذَا الإِعْرَاضِ عَنِ الثَّوَابِتِ العَقَدِيَّةِ، وَالمُقَوِّمَاتِ التَّأْصِيْلِيَّةِ: تَسَلُّطُ أَعْدَاءِ الإِسْلَامِ عَلَى الأُمَّةِ فِي دِيَارِهَا وَأَفْكَارِهَا، وَمُقَدَّرَاتِهَا وَمُقَدَّسَاتِهَا، فَعَصَفَتْ بِالأُمَّةِ عَوَاصِفُ الفُرْقَةِ؛ فَضَلَّتْ أَفْهَامٌ، وَزَلَّتْ أَقْدَامٌ، وَالمُسْتَفِيْدُ مِنْ ذَٰلِكَ هُم أَعْدَاءُ الإِسْلَامِ، الَّذِيْنَ مَا فَتِئُوا فِي إِذَاقَةِ المُسْلِمِيْنَ صُنُوفَ التَّحَدِّيَاتِ، وَأَلْوَانًا مِنَ الهَجَمَاتِ، وَبَثِّ مَا لَا يُحْصَىٰ مِنَ الدَّسَائِسِ وَالمُؤَامَرَاتِ، عَلَى اخْتِلَافِ النَّزَعَاتِ وَالشِّعَارَاتِ، فَكَانَ أَنْ بُلِيَتْ أَجْيَالٌ مِنَ الأُمَّةِ بِأَزَمَاتٍ وَأَزَمَاتٍ: احْتُلَّتْ دِيَارٌ، وَغُيِّرَتْ أَفْكَارٌ، وَعُبِثَ بِمُقَدَّسَاتٍ، وَانْتُهِكَتْ حُرُمَاتٌ، وَاسْتُبِيْحَتْ أَعَرَاضٌ وَأَمْوَالٌ وَمُقَدَّرَاتٌ، ضَاعَتْ مَمَالِكُ وَدُوَلٌ حَكَمَهَا الإِسْلَامُ قُرُونًا عَدِيْدَةً.

وَمَا زَالَتِ الحَرْبُ العَدَائِيَّةُ لِلإِسْلَامِ ظَاهِرَةً سَافِرَةً، وَلَا تَزَالُ قَضَايَا



أُمَّتِنَا وَمَآسِيْ مُجْتَمَعَاتِنَا، وَجِرَاحَاتُ إِخْوَانِنَا: تَنْزِفُ، فِيْ عَصْرٍ ضَاعَتْ فِيْهِ المَقَايِيْسُ، وَانْقَلَبَتْ فِيْهِ المَوَازِيْنُ، وَأَصْبَحَ المَظْلُومُ ظَالِمًا، والمَطْلُوبُ طَالِبًا، وَتَعَامَتِ الهَيْئَاتُ الدَّوْلِيَّةُ، وَتَقَاعَسَتِ المُنَظَّمَاتُ العَالَمِيَّةُ عَنْ حُقُوقِ المُسْلِمِيْنَ، وَعَتَّمَتْ أَخْبَارَهُمْ حَتَّىٰ خُدِّرَتِ الشُّعُوبُ، وَأُصِيْبَتْ بِالذُّهُولِ وَالحَيْرَةِ، وَلاَ يَكَادُ المُتَابِعُ لِهُمُومِ أُمَّتِهِ، وَمَآسِيْ إِخْوَانِهِ يُحِسُّ بِالأَمَلِ، حَتَّىٰ يُصَابَ بِالإِحْبَاطِ وَالأَلَمِ، وَهُوَ يَرَىٰ وَيَسْمَعُ القَضَايَا الإِسْلاَمِيَّةَ تَزْدَادُ تَعْقِيْدًا، وَالانْفِرَاجَاتِ فِي أَحْوَالِ الأُمَّةِ تَعُودُ إِلىٰ صِرَاعَاتٍ، وَتَتَحَوَّلُ إِلَىٰ صِدَامَاتٍ؛ فَالحُرُوبُ الطَّاحِنَةُ، وَالاشْتِبَاكَاتُ الدَّامِيَةُ، وَمُسَلْسَلاَتُ القَتْلِ وَالتَّشْرِيْدِ ـ تَزِيْدُ وَتَزِيْدُ، وَالأَغْرَبُ مِنْ ذٰلِكَ وَالأَعْجَبُ: أَنَّهَا تَكُونُ أَحْيَانًا بَيْنَ الإِخْوَةِ وَالأَحِبَّةِ؛ فَيُوَجِّهُ الأَخُ السِّلاَحَ إِلىٰ صَدْرِ أَخِيْهِ!

أَحْوَالٌ مُبْكِيَةٌ، وَأَوْضَاعٌ مُزْرِيَةٌ؛ فَإِلَى اللهِ المُشْتَكَىٰ، وَهُوَ المُسْتَعَانُ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ!!

أُمَّةَ الإِسْلَامِ، قَضِيَّتُنَا الإِسْلاَمِيَّةُ الأُوْلَى الَّتِيْ يَجِبُ أَلاَّ تُنْسَىٰ فِي جَدِيْدِ الصِّرَاعَاتِ وَالقَضَايَا: قَضِيَّةُ أُوْلَى القِبْلَتَيْنِ، وَثَالِثِ المَسْجِدَيْنِ الشَّرِيْفَيْنِ، وَ«**قَضِيَّةُ الأَقْصَىٰ**» يَجِبُ أَنْ تَظَلَّ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ، وَلاَ يُقْبَلُ التَّنَازُلُ وَالتَّغَاضِيْ عَنْهَا يَوْمًا مِنَ الأَيَّامِ، وَلَيْسَ مَا قَامَتْ بِهِ الصُّهْيُونِيَّةُ العَالَمِيَّةُ عَبْرَ التَّأْرِيْخِ بِخَافٍ عَلَىٰ أَهْلِ الإِسْلاَمِ، بَلْ مُسَطَّرٌ بِمِدَادٍ قَاتِمٍ لِقَوْمٍ



بُهْتٍ[1] خَوَنَةٍ، مَعْرُوفِيْنَ عَبْرَ التَّأْرِيْخِ بِنَقْضِ العُهُودِ وَالمَوَاثِيْقِ، وَالتَّحَدِّيْ السَّافِرِ لِمَشَاعِرِ المُسْلِمِيْنَ وَمُقَدَّسَاتِهِمْ!

وَمَا اسْتِمْرَارُ «الضَّرْبِ الظَّالِمَةِ» ـ فِي صَلَفٍ وَرُعُونَةٍ ـ ضِدَّ مُسْلِمِيْ البُوسْنَةِ وَالهِرْسِكِ، إِلاَّ أَمْرٌ يَحُزُّ فِي النُّفُوسِ، وَيُؤَرِّقُ القُلُوبَ!

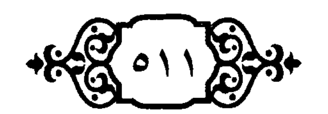
وَسَلامُ اللهِ عَلَىٰ «سَرَايِيفُو» الَّتِيْ يُمْطِرُهَا دُعَاةُ الصَّلِيْبِ الحَاقِدُونَ بِصَوَارِيْخِ اللُّؤْمِ وَالحِقْدِ، وَقَذَائِفِ الخُبْثِ وَالمَكْرِ، ضِدَّ المَسَاجِدِ وَالمَدَارِسِ وَالبُيُوتِ!!

وَعَلَىٰ صَعِيْدِ «الصُّومَالِ الحَزِيْنِ»، مَاذَا يَدُورُ هُنَاكَ؟! وَإِلَىٰ أَيِّ حَدٍّ انْتَهَتْ أَخْبَارُ الفَصَائِلِ الصُّومَالِيَّةِ وَالفُرَقَاءِ فِيْهَا؛ فِي سَبِيْلِ تَحْقِيْقِ أَمْنِ بِلاَدِهِمْ، وَسَلاَمَةِ شَعْبِهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ؟!

أَمَّا مَا يَدُورُ فِي «السَّاحَةِ الأَفْغَانِيَّةِ»: فَأَمْرٌ جَلَلٌ، وَمُصَابٌ عَظِيمٌ، وَخَطْبٌ جَسِيْمٌ، يَحْتَارُ فِيْهِ الحَلِيْمُ! فَمَا هِيَ الأَبْعَادُ الحَقِيْقِيَّةُ لِلصِّرَاعَاتِ المُسْتَمِرَّةِ عَلَىٰ أَرْضِ الأَفْغَانِ؟! وَمَنِ المُسْتَفِيْدُ مِمَّا يَدُورُ هُنَاكَ؟! إِلَى اللهِ المُشْتَكَىٰ! فَقَدْ وَصَلَتِ الأَوْضَاعُ فِي بِلاَدِ الأَفْغَانِ إِلَىٰ وَضْعٍ لا يَسْتَسِيْغُهُ العُقَلاَءُ، وَلاَ يَقْبَلُهُ الكُرَمَاءُ، وَلاَ يَرْضَاهُ الشُّرَفَاءُ! وَهَلْ يَكُونُ الأَخُ عَلَىٰ أَخِيْهِ أَشَدَّ عَدَوَاةً مِنَ العَدُوِّ السَّافِرِ؟! تُرَىٰ مَا السِّرُّ، وَمَا الخَبَرُ؟! لَقَدْ حَرَّرَ

---

(١) بُهْت: جمع بَهُوتٍ، وهو المباهت الذي يستقبلك بأمر يَقْذِفُكَ به وأنت منه بريء لا تعلمه؛ فتبهت منه. «النهاية» و«اللسان» (بهت).



الأَفْغَانُ وَطَنَهُمْ مِنَ الشُّيُوعِيَّةِ الحَمْرَاءِ فِي أُعْجُوبَةٍ رَائِعَةٍ، تَتَبَاهَىٰ بِهَا الأُمَّةُ الإِسْلاَمِيَّةُ، وَبَذَلَتِ الأُمَّةُ جَمِيْعًا أَرْوَاحَهَا وَمُهَجَ أَبْنَائِهَا، وَقَدَّمَتْ أَمْوَالَهَا وَدُعَاءَهَا لِدَعْمِ الجِهَادِ هُنَاكَ؛ فَلِمَاذَا ضَاعَتْ رَوْعَةُ الجِهَادِ، وَشُوِّهَتْ بُطُولاَتُ الرِّجَالِ؟!

فَيَا أَيُّهَا القَادَةُ الأَفْغَانُ، اتَّقُوا اللهَ فِي أَنْفُسِكُمْ وَبِلاَدِكُمْ وَشُعُوبِكُمْ؛ إِنَّهُ مِنَ الأَجْدَى التَّحَاكُمُ إِلَىٰ شَرْعِ اللهِ، وَحَسْمُ الخِلاَفِ بِالطُّرُقِ السِّلْمِيَّةِ؛ لاَ تُضَيِّعُوا مَا عَلَّقَتْهُ الأُمَّةُ عَلَيْكُمْ مِنْ آمَالٍ، وَلاَ تُجَدِّدُوا بِخِلاَفَاتِكُمُ الهُمُومَ وَالآلاَمَ، لِمَاذَا تُتَاحُ الفُرْصَةُ لِلأَصَابِعِ الخَفِيَّةِ؛ كَيْ تَعْبَثَ فِي بِلاَدِكُمْ، وَتُشْعِلَ النَّارَ فِيْمَا بَيْنَكُمْ؟! أَصْغُوا إِلَىٰ صَوْتِ العَقْلِ وَالصَّوَابِ، وَاحْمُوا البِلاَدَ وَالعِبَادَ مِنَ الدَّمَارِ والخَرَابِ، إِنَّنَا لَنَخْشَىٰ أَلاَّ تُجْدِيَ المُنَاشَدَاتُ، وَلاَ تَنْفَعَ جُهُودُ الصُّلْحِ وَالاِتِّفَاقَاتِ، لَـٰكِنْ يَظَلُّ الأَمَلُ يُرَاوِدُنَا، وَالفَأْلُ يَحْدُونَا فِي حَقْنِ دِمَاءِ المُسْلِمِيْنَ هُنَاكَ، وَأَنْ يَسْتَجِيْبَ القَادَةُ الأَفْغَانُ إِلَىٰ مَسَاعِيْ الصُّلْحِ وَالوِفَاقِ، وَيَجْمَعُوا قُلُوبَهُمْ عَلَىٰ عَقِيْدَةِ التَّوْحِيدِ، وَيُوَحِّدُوا صُفُوفَهُمْ عَلَىٰ وَحْدَةِ الكَلِمَةِ، وَيَحْذَرُوا مِنْ حُظُوظِ النَّفْسِ والهَوَىٰ؛ أَلاَ تَبًّا لِلأَطْمَاعِ الشَّخْصِيَّةِ، وَأُفٍّ لِلْمَصَالِحِ الذَّاتِيَّةِ؛ إِذَا كَانَتْ عَقَبَةً أَمَامَ مَصَالِحِ الأُمَّةِ وَسَلاَمَةِ الجَمَاعَةِ! وَتَعْسًا لِلْكَرَاسِيِّ وَالمَنَاصِبِ، وَبُعْدًا لِلأَطْمَاعِ وَالمَرَاتِبِ؛ إِذَا كَانَتْ تَجُرُّ البِلاَدَ والعِبَادَ لِلشَّرِّ وَالفَسَادِ!

أَيُّهَا الإِخْوَةُ المُسْلِمُونَ، مَآسِيْ الأُمَّةِ الأُخْرَىٰ كَثِيْرَةٌ، وَجِرَاحَاتُهَا



عَدِيْدَةٌ، وَأَخْبَارُ الأَقَلِّيَّاتِ الإِسْلَامِيَّةِ لاَ تَكَادُ تَخْفَىٰ، حَتَّىٰ أَصْبَحَ حَالُ الأُمَّةِ كَمَا صَوَّرَهَا الشَّاعِرُ المَكْلُوْمُ:

دَهَى الجَزِيْرَةَ أَمْرٌ لاَعَزَاءَ لَهُ ... هَوَىٰ لَهُ أُحُدٌ وَانْهَدَّ ثَهْلَانُ!

أَعِنْدَكُمْ نَبَأٌ مِنْ أَرضِ أَنْدَلُسٍ ... فَقَدْ مَضَىٰ بِحَدِيْثِ القَوْمِ رُكْبَانُ؟!

تَبْكِيْ الحَنِيْفِيَّةُ البَيْضَاءُ مِن أَسَفٍ ... كَمَا بَكَىٰ لِفِرَاقِ الإِلْفِ هَيْمَانُ!

عَلَىٰ بِلَادٍ مِنَ الإِسْلَامِ خَاوِيَةٍ ... قَدْ أَقْفَرَتْ وَلَهَا بِالكُفْرِ عُمْرَانُ!

حَتَّى المَآذِنُ تَبْكِيْ وَهْيَ جَامِدَةٌ ... حَتَّى المَنَابِرُ تَرْثِيْ وَهْيَ عِيْدَانُ!

كَمْ يَسْتَغِيْثُ بِنَا المُسْتَضْعَفُونَ وَهمْ ... قَتْلَىٰ وَأَسْرَىٰ فَمَا يَهْتَزُّ إِنْسَانُ!

لِمِثْلِ هَـٰذَا يَذُوبُ القَلْبُ مِنْ كَمَدٍ ... إِنْ كَانَ فِي القَلْبِ إِسْلَامٌ وَإِيْمَانُ[1]

فَيَا قَادَةَ المُسْلِمِيْنَ، يَامَنْ مَكَّنَكُمُ اللهُ فِي الأَرْضِ، واسْتَخْلَفَكُمْ فِيْهَا؛ لِتَقُومُوا بِالعَدْلِ، وَرَفْعِ الظُّلْمِ، اتَّقُوا اللهَ، وَانْصُرُوا دِيْنَ اللهِ، وَكُونُوا عَوْنًا لِشُعُوبِكُمْ فِي تَحْكِيْمِ شَرِيْعَةِ اللهِ، وَدَعْمِ قَضَايَا المُسْلِمِيْنَ.

وَيَاعُلَمَاءَ الأُمَّةِ، يَا أَيُّهَا المُؤْتَمَنُونَ عَلَىٰ مِيْرَاثِ النُّبُوَّةِ، يَا مَنْ أُخِذَ عَلَيْكُمُ العَهْدُ والمِيْثَاقُ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ، قُومُوا بِمَسْئُولِيَّاتِكُمْ فِي التَّعْلِيْمِ وَالتَّوْجِيْهِ، وَلاَ تَتَقَاعَسُوا عَنْ أَدَاءِ وَاجِبِكُمْ، وَانْصَحُوا للهِ،

---

(١) هذه الأبيات مختارة من قصيدة للشاعر المجوِّد أبي البقاء الرُّنْديِّ الشاعر الأندلسي المعروف، توفي سنة (٧٩٨هـ). انظر: «نفح الطيب» للمقَّري (٢/ ١٩٤)، (٣/ ٣٤٧)، (٤/ ١٤٧، ٤٨٦، ٤٨٨)، (٥/ ٦٠٢).



وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ ﷺ، وَلأَئِمَّةِ المُسْلِمِيْنَ، وَعَامَّتِهِمْ.

وَيَا دُعَاةَ الإِسْلَامِ، اجْمَعُوا قُلُوبَكُمْ عَلَىٰ مَنْهَجِ السَّلَفِ الصَّالِحِ ـ رَحِمَهُمُ اللهُ ـ تَخَلَّوْا عَنِ الحِزْبِيَّةِ الضَّيِّقَةِ، وَالمَصَالِحِ الشَّخْصِيَّةِ، كُونُوا عَوْنًا لِوُلَاةِ الأَمْرِ فِي تَحْقِيْقِ الخَيْرِ لِلأُمَّةِ جَمِيْعًا؛ إِنَّ التَّعَاوُنَ بَيْنَ الرَّعِيَّةِ وَالرُّعَاةِ عَيْنُ المَصَالِحِ لِلأُمَّةِ، وَإِنَّ شَقَّ عَصَا الطَّاعَةِ، وَبَثَّ بُذُورِ الفُرْقَةِ، وَالخُرُوجَ عَلَى الجَمَاعَةِ ـ يَجُرُّ الأُمَّةَ إِلَىٰ شَرٍّ كَبِيْرٍ، وَضَرَرٍ خَطِيْرٍ، وَمِنْ فَضْلِ اللهِ عَلَىٰ هَـٰذِهِ البِلَادِ المُبَارَكَةِ: أَنْ فَتَحَتْ صَدْرَهَا، وَمَدَّتْ يَدَهَا ـ قَادَةً وَعُلَمَاءَ ـ لِرِعَايَةِ شُئُونِ المُسْلِمِيْنَ، وَالسَّعْيِ فِي الإِصْلَاحِ بَيْنَهُمْ، وَلَيْسَ ذٰلِكَ بِغَرِيْبٍ عَلَيْهَا؛ فَهِيَ مَحَطُّ أَنْظَارِ المُسْلِمِيْنَ، وَمَهْوَىٰ أَفْئِدَتِهِمْ؛ فَلْتَمُدَّ الأُمَّةُ يَدَهَا إِلَيْهَا؛ لِتَحْقِيْقِ مَصَالِحِ المُسْلِمِيْنَ، وَدَرْءِ الشُّرُورِ وَالمَفَاسِدِ عَنْهُمْ.

وَإِنَّ الأُمَّةَ لَتَتَطَلَّعُ إِلَىٰ مَرَاحِلِ العَمَلِ وَالمَنْهَجِيَّةِ وَالتَّأْصِيلِ، فَلَمْ تَعُدْ تُجْدِيْ الكَلِمَاتُ وَلاَ التَّنْظِيْرُ، وَإِنَّ مَسْئُولِيَّةَ صَلَاحِ أَحْوَالِ الأُمَّةِ، وَالخُرُوجِ بِهَا مِنْ مَآزِقِهَا ـ مَسْئُولِيَّةُ المُسْلِمِيْنَ جَمِيْعًا، فِي خُطًا حَثِيْثَةٍ؛ فِي العَقِيْدَةِ وَالعِلْمِ، وَالعَقْلِ وَالحِكْمَةِ؛ لِيَتَحَقَّقَ لِلأُمَّةِ وَعْدُ اللهِ الَّذِيْ لاَ يَتَخَلَّفُ، وَإِنَّنَا لَنَأْمُلُ أَنْ تَكُونَ مَصَائِبُ الأُمَّةِ سَحَابَةَ صَيْفٍ، عَنْ قَرِيْبٍ تَنْقَشِعُ، فَالنَّصْرُ لِلإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، فَلْيَقَرَّ المُسْلِمُونَ بِذٰلِكَ عَيْنًا؛ فَمِنَ اللهِ وَحْدَهُ نَسْتَلْهِمُ النَّصْرَ وَالتَّمْكِيْنَ!.



أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور].

وَلَرُبَّ ضَائِقَةٍ يَضِيْقُ بِهَا الفَتَىٰ ... ذَرْعًا وَعِنْدَ اللهِ مِنْهَا المَخْرَجُ

ضَاقَتْ فَلَمَّا اسْتَحْكَمَتْ حَلقَاتُهَا ... فُرِجَتْ وَكُنْتُ أَظُنُّهَا لاَ تُفْرَجُ[(١)]

أَقُولُ قَوْلِيْ هَـٰذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِيْ وَلَكُمْ وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ، فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيْمُ.

(١) هذان بيتان منسوبان للإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ. انظرهما في ديوانه (ص ٣٢).



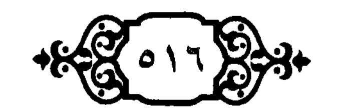
الخطبة الثانية

الحَمْدُ للهِ؛ بَارَكَ حَوْلَ المَسْجِدِ الأَقْصَىٰ، وَأَقْصَىٰ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَاسْتَقْصَىٰ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَإِلَـٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ، أَمَرَنَا بِالتَّمَسُّكِ بِالدِّينِ وَأَوْصَىٰ، وأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، بَلَّغَ رِسَالَةَ رَبِّهِ فَمَا ضَلَّ وَلاَ اسْتَعْصَىٰ، صَلَّى اللهُ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ مَنْ تَبِعَ مِلَّتَهُ وَتَمَسَّكَ بِسُنَّتِهِ واسْتَوْصَىٰ، وَسَلَّمَ تَسْلِيْمًا كَثِيْرًا.

أمّا بعد:

فَاتَّقُوا اللهَ ـ عِبَادَ اللهِ ـ وَاعْلَمُوا أَنَّ أَصْدَقَ الحَدِيْثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ.

أَيُّهَا الإِخْوَةُ فِي اللهِ، مِنَ الثَّوَابِتِ الَّتِيْ لاَ تَقْبَلُ الجَدَلَ أَنَّ قَضِيَّةَ المَسْجِدِ الأَقْصَى المُبَارَكِ قَضِيَّةٌ إِسْلاَمِيَّةٌ عَرِيْقَةٌ، وَسَتَبْقَىٰ كَذٰلِكَ ـ بِإِذْنِ اللهِ ـ حَتَىٰ يَرِثَ اللهُ الأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا؛ فَلاَ مُسَاوَمَةَ عَلَىٰ مُقَدَّسَاتِنَا، وَلاَ تَنَازُلَ عَنْ شَيْءٍ مِن ثَوَابِتِنَا بِحَالٍ مِنَ الأَحْوَالِ؛ قَضِيَّةُ الأَقْصَىٰ رَأْسُ القَضَايَا الإِسْلاَمِيَّةِ وأَكْبَرُهَا، هُوَ أُوْلَى القِبْلَتَيْنِ، وَثَالِثُ المَسْجِدَيْنِ الشَّرِيْفَيْنِ، ومَسْرَىٰ سَيِّدِ الثَّقَلَيْنِ، مَكَانَتُهُ ضَارِبَةٌ في جُذُورِ التَّأْرِيْخِ، وَهُوَ اليَوْمَ يَمُرُّ



بِمَأْسَاةٍ تُمَزِّقُ القُلُوبَ، وَتُؤَرِّقُ الأَكْبَادَ، مِنْ شُذَّاذِ الآفَاقِ[1] ، وَضَالَّةِ العَالَمِ، وَإِخْوانِ القِرَدَةِ وَالخَنَازِيْرِ ـ عَلَيْهِمْ لَعَائِنُ اللهِ المُتَتَابِعَةُ إِلىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ ـ يُرِيْدُونَ هَدْمَ بِنَائِهِ، وَتَغْيِيْرَ مَعَالِمِهِ وَإِقَامَةَ هَيْكَلِهِمُ المزْعُوم عَلَىٰ أَنْقَاضِهِ ـ لاَ بَلَّغَهُمُ اللهُ مُرَادَهُمْ!ـ وَإِنَّ لَكُمْ ـ يَا عِبَادَ اللهِ ـ إِخْوَةً في العَقِيْدَةِ عَلَىٰ ثرَىٰ فِلَسْطِيْنَ المُجَاهِدَةِ، يَقُومُونَ بِانْتِفَاضَةٍ إِسْلاَمِيَّةٍ بَاسِلَةٍ لِلدِّفَاعِ عَنِ الأَقْصَىٰ وَالأَرْضِ المُبَارَكَةِ؛ فَوَاجِبُ المُسْلِمِيْنَ دَعْمُهُمْ وَالوُقُوفُ مَعَهُمْ صَفًّا وَاحِدًا ضِدَّ اليَهُودِ المُعْتَدِينَ؛ حَتَىٰ يُقِرَّ اللهُ الأَعيْنَ بِالنَّصْرِ وَالتَّمْكِيْنِ، وَمَا ﴿ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾ [إبراهيم: ٢٠، وفاطر: ١٧].

أَلاَ وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا ـ رَحِمَكُمُ اللهُ ـ عَلَىٰ مَنْ أُسْرِيَ بِهِ مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصَىٰ؛ كَمَا أَمَرَكُمْ بِذٰلِكَ المَوْلَىٰ جَلَّ وَعَلاَ وَوَصَّىٰ؛ فَقَالَ تَعَالىٰ قَوْلاً كَرِيْمًا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب].

---

(١) شُذَّاذُ الآفاقِ: هم المتفرِّقون في الآفاق، جمع شَاذٍّ. «اللسان» (شذذ).



مأساة البوسنة والهرسك بين الواجب الإسلامي والتخاذل العالمي (١)

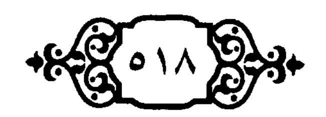


الخطبة الأولى

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ، كَتَبَ العِزَّةَ لَهُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِيْنَ، أَحْمَدُهُ تَعَالَىٰ حَمْدَ الشَّاكِرِيْنَ، وَأَشْكُرُهُ شُكْرَ أَهْلِ الإِيْمَانِ وَاليَقِيْنِ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلـٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ، المَلِكُ الحَقُّ المُبِيْنُ؛ إِلـٰهُ الأَوَّلِيْنَ وَالآخِرِيْنَ، وَقَيُّومُ السَّمَوَاتِ وَالأَرَضِينَ، لاَ إِلـٰهَ إِلاَّ اللهُ، هُوَ المُسْتَعَانُ عَلَىٰ أُمُورِ الدُّنْيَا وَالدِّيْنِ، وَالمُسْتَغَاثُ لِرَدِّ كَيْدِ الكَائِدِيْنَ، وَالمُرْتَجَىٰ لِدَفْعِ مَكْرِ الطُّغَاةِ والظَّالِمِينَ، وَحُلُولِ الهَزِيْمَةِ بِالغَاشِمِيْنَ المُعْتَدِيْنَ؛ بِهِ نَحُولُ، وَبِهِ نَصُولُ، وَبِهِ نُؤَمِّلُ، كَفَّ كَرْبَ المَكْرُوبِيْنَ، وَرَفْعَ البَلاَءَ عَنِ المَنْكُوبِيْنَ.

وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، إِمَامُ المُتَّقِيْنَ، وَقَائِدُ المُجَاهِدِينَ، وَسَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ أَجْمَعِيْنَ؛ نَصَرَهُ اللهُ بِالرُّعْبِ يُقْذَفُ فِي قُلُوبِ الكَافِرِيْنَ، نَبِيٌّ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ، وَرَفَعَ ذِكْرَهُ، وَأَعْلَىٰ قَدْرَهُ، وَوَضَعَ وِزْرَهُ، وَجَعَلَ الذِّلَّةَ وَالصَّغَارَ عَلَىٰ مَنْ خَالَفَ أَمْرَهُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ الطَّيِّبِيْنَ الطَّاهِرِيْنَ، وَصَحَابَتِهِ الغُرِّ المَيَامِيْنِ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ



بِإِحْسَانٍ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

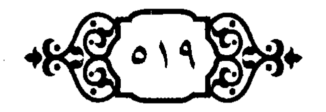
أمَّا بعد:

أَيُّهَا ٱلْمُسْلِمُونَ، أُوْصِيكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللهِ، فَعَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللهِ ـ رَحِمَكُمُ اللهُ ـ فَلَيْسَ لَكُمْ بِغَيْرِ التَّقْوَىٰ حَبْلٌ يَقْوَىٰ، وَلَيْسَ لَكُمْ بِغَيْرِ الدِّيْنِ عِزَّةٌ لاَ تُضَاهَىٰ، وَقُوَّةٌ لاَتَلِيْنُ؛ فَأُمَّةُ العَقِيْدَةِ: أُمَّةٌ لاَ تَذِلُّ وَلاَ تَهِينُ، وَلاَ تَضْعُفُ وَلاَ تَسْتَكِيْنُ، لاَ تَعْرِفُ الخُضُوعَ وَالخُنُوعَ أَمَامَ مُتَلَوِّنِي الشَّرْقِ وَالغَرْبِ؛ فَخُضُوعُهَا للهِ الوَاحِدِ القَهَّارِ، العِزَّةُ للهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِيْنَ، والذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ، وَالعَارُ وَالشَّنَارُ[١]، وَالْوَيْلُ والنَّارُ، لأَعْدَاءِ المِلَّةِ وَالدِّيْنِ، الَّذِيْنَ لا يَرْقُبُونَ إِلاًّ وَلاَذِمَّةً فِي الْمُؤْمِنِيْنَ.

إِخْوَةَ ٱلعَقِيْدَةِ، إِنَّ دِيْنَكُمُ الإِسْلاَمِيَّ دِيْنٌ يَنْأَىٰ بِأَتْبَاعِهِ عَنْ مَوَاقِفِ الذُّلِّ وَالمَهَانَةِ، وَالضَّعْفِ وَالاِسْتِكَانَةِ، وَيَتَرَفَّعُ بِهِمْ عَنْ كُلِّ مَوْضِعٍ يَخْدِشُ الكَرَامَةَ، وَيَجْرَحُ المَكَانَةَ؛ فَالعِزَّةُ وَالإِبَاءُ، وَالكَرَامَةُ وَالإِخَاءُ، خِلاَلٌ عُظْمَىٰ، وَمُثُلٌ عُلْيَا؛ دَعَا إِلَيْهَا الدِّيْنُ، وَحَثَّ عَلَيْهَا، وَغَرَسَهَا فِي قُلُوبِ أَبْنَائِهِ، وَتَعَهَّدَهَا بِالنَّمَاءِ؛ لِيُوقِنَ المُسْلِمُ يَقِيْنًا لاَيَهْتَزُّ: بِأَنَّ كُلَّ مُتَكَبِّرٍ ـ دُونَ اللهِ ـ فَهُوَ صَغِيْرٌ، وَكُلَّ غَنِيٍّ ـ سِوَاهُ ـ فَقِيْرٌ، وَكُلَّ مُتَعَاظِمٍ ـ بَعْدَهُ ـ حَقِيْرٌ؛ كُلُّ ذٰلِكَ لأَنَّهُ لاَ يَخَافُ إِلاَّ اللهَ، وَلاَ يَرْجُو إِلاَّ إِيَّاهُ، وَلاَ يَطْلُبُ المَدَدَ

---

(١) الشَّنَار: أقبحُ العيب والعار، وقلَّما يفردونه من «عار» فيقولون: عارٌ وشنار. «اللسان» (شنر).



وَالنَّصْرَ إِلاَّ مِنْ عِنْدِهِ سُبْحَانَهُ؛ فَلاَ يُطَأْطِيءُ رَأْسَهُ لِمَخْلُوقٍ، وَلاَ يَتَضَعْضَعُ لِبَشَرٍ، وَلا يَكُونُ جَبَانًا مُسْتَبَاحًا غَرَضًا لِكُلِّ طَامِعٍ، وَلاَ ضَعِيْفًا لُقْمَةً لِكُلِّ جَائِعٍ، بَلْ يَسْتَمِيْتُ دُونَ دِينِهِ وَنَفْسِهِ، وَعِرْضِهِ وَمَالِهِ، وَإِنْ حَصَلَ لَهُ مَشَقَّةٌ وَعَنَاءٌ، وَأُرِيْقَتْ مِنْ أَجْلِ ذٰلِكَ دِمَاءٌ، وَمُزِّقَتْ فِيْهِ أَشْلاَءٌ - فَإِنَّ ذٰلِكَ كُلَّهُ رَخِيْصٌ لِصِيَانَةِ الدِّيْنِ وَالدِّيَارِ، وَحِمَايَةِ العِرْضِ وَالأَهْلِ وَالذِّمَارِ[1]؛ فَالبَقَاءُ عَلَى الذُّلِّ مَرْفُوضٌ، وَقَبُولُ البَغْيِ وَالضَّيْمِ مَمْنُوعٌ، وَأُخُوَّةُ الإِسْلاَمِ وَرَابِطَةُ العَقِيْدَةِ تَسْمُو عَلَىٰ كُلِّ الرَّوَابِطِ المَادِّيَّةِ، وَالنَّعَرَاتِ الطَّائِفِيَّةِ.

وَأَيْنَمَا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ فِي بَلَدٍ ... عَدَدتُّ ذَاكَ الحِمَىٰ مِنْ صُلْبِ أَوْطَانِي

وَأُخُوَّةُ الدِّيْنِ تَفْرِضُ التَّنَاصُرَ بَيْنَ المُسْلِمِيْنَ؛ لإِحْقَاقِ الحَقِّ، وَإِبْطَالِ البَاطِلِ، وَرَدْعِ المُعْتَدِيْ، وَكَفِّ الظَّالِمِ، وَإِجَارَةِ المَهْضُومِ.

وَإِنَّ خِذْلاَنَ المُسْلِمِ[2] لأَخِيْهِ المُسْلِمِ: أَمْرٌ عَظِيْمٌ، وَخَطْبٌ جَسِيْمٌ، وَهُوَ ذَرِيْعَةُ خِذْلاَنِ المُسْلِمِيْنَ جَمِيْعًا؛ حَيْثُ يَقْضِيْ عَلَىٰ خِصَالِ الإِبَاءِ وَالشَّهَامَةِ، وَالبَذْلِ وَالنُّصْرَةِ بَيْنَهُمْ، وَقَدْ عَزَّتِ الأُمَّةُ وَسَادَتْ، وَانْتَشَرَتْ وَقَادَتْ، يَوْمَ أَنِ اعْتَزَّتْ بِالإِسْلاَمِ، وَجَيَّشَتِ الجُيُوشَ، وَسَارَتِ القَوَافِلُ لِقَمْعِ أَعْدَاءِ الدِّيْنِ؛ فَيَوْمَ تَطَاوَلَ عِلْجٌ[3] عَلَى امْرَأَةٍ مِنَ المُسْلِمِيْنَ،

---

(١) الذِّمَار: الحرم والأهل، وكل ما يلزمك حفظه وحمايته والدفع عنه. «اللسان» (ذمر).

(٢) الْخِذْلاَنُ: ترك النصرة والعون. «اللسان» (خذل).

(٣) العِلْج: الكافر من كفار العجم، وجمعه: أعلاج وعلوج. «اللسان» (علج).



وَيَوْمَ لُطِمَتِ امْرَأَةٌ أُخْرَىٰ فِي «عَمُّورِيَّةَ» مِنْ بِلَادِ الرُّومِ - سَارَتْ جُيُوشُ الْمُسْلِمِيْنَ، أَوَّلُهَا عِنْدَ الْعَدُوِّ، وَآخِرُهَا فِي بِلَادِ الْمُسْلِمِيْنَ؛ لِرَفْعِ الظُّلْمِ عَنْ هَـٰذِهِ الْمَرْأَةِ الْمَظْلُومَةِ(١)، وَللهِ دَرُّ الْقَائِلِ:

أَلسَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءً مِنَ الْكُتُبِ ... فِي حَدِّهِ الحَدُّ بَيْنَ الجِدِّ وَاللَّعِبِ

أَجَبْتَهُ مُعْلِنًا بِالسَّيْفِ مُنْصَلِتًا ... وَلَوْ أَجَبْتَ بِغَيْرِ السَّيْفِ لَمْ تُجِبِ(٢)

وَيَوْمَ أَنْ هَانَتِ الأُمَّةُ عِنْدَ رَبِّهَا، هَانَتْ عِنْدَ أَعْدَائِهَا؛ ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾[الحج: ١٨].

نَعَمْ؛ هَانَتِ الأُمَّةُ يَوْمَ أَنْ وَهَتْ أَوَاصِرُ الأُخُوَّةِ بَيْنَ أَبْنَائِهَا، وَنَظَرَ أَحَدُهُمْ إِلَىٰ أَخِيْهِ فِي الْعَقِيْدَةِ نَظْرَةَ ازْدِرَاءٍ وَتَنَكُّرٍ، وَأَصْبَحَ الْمُسْلِمُ، بَلْ أَصْبَحَتْ شُعُوبٌ إِسْلَامِيَّةٌ تُنْتَقَصُ، بَلْ تُبَادُ؛ فَلَا يَمْلِكُ الْمُسْلِمُونَ إِلاَّ هَزَّ الأَكْتَافِ، وَثَنْيَ الأَعْطَافِ، وَكَأَنَّ الأَمْرَ لاَ يَعْنِيْهِمْ!.

أُمَّةَ الإِسْلَامِ، لَقَدْ نُكِبَتْ هَـٰذِهِ الأُمَّةُ بِكَوَارِثَ وَنَكَبَاتٍ، وَأَحَاطَتْ بِهَا تَحَدِّيَاتٌ وَمُؤَامَرَاتٌ، أَصَابَتْهَا عَبْرَ تَأْرِيْخِهَا الْمَدِيْدِ مِحَنٌ وَبَلَايَا، وَمَآسٍ وَرَزَايَا، حَلَّتْ مَصَائِبُ وَكُرُوبٌ، وَحَدَثَتْ جِرَاحَاتٌ وَخُطُوبٌ، مَآسٍ هُنَالِكَ، وَحُرُوبٌ هُنَاكَ، طَعَنَاتٌ كَثِيْرَةٌ، وَسِهَامٌ شَتَّىٰ.

---

(١) انظر قصة فتح «عمورية» أيام المعتصم في «البداية والنهاية» (١٤/ ٢٥٢-٢٨٥).

(٢) البيتان من قصيدة لأبي تمام في مدح المعتصم في فتح «عمُّورية». انظر: ديوانه بشرح التبريزي (١/ ٤٠، ٦٣).

وَلَوْ كَانَ سَهْمًا وَاحِدًا لاتَّقَيْتُهُ وَلٰكِنَّهُ سَهْمٌ وَثَانٍ وَثَالِثُ

* * *

وَكُنْتُ إِذَا أَصَابَتْنِيْ سِهَامٌ تَكَسَّرَتِ النِّصَالُ عَلَى النِّصَالِ

لَقَدْ أَحَلَّ الأَعْدَاءُ بِأُمَّةِ الإِسْلَامِ قَتْلاً وَتَشْرِيْدًا، وَأَصْبَحَ حَالُهُمْ كَمَا وَصَفَ الغَيُورُ بِقَوْلِهِ:

أَحَلَّ الكُفْرُ بِالإِسْلَامِ ضَيْمًا يَطُولُ بِهِ عَلَى الدِّينِ النَّحِيْبُ!

فَحَقٌّ ضَائِعٌ وَحِمًى مُبَاحٌ وَسَيْفٌ قَاطِعٌ وَدَمٌ صَبِيْبُ!

وَكَمْ مِنْ مُسْلِمٍ أَمْسَىٰ سَلِيْبًا وَمُسْلِمَةٍ لَهَا حَرَمٌ سَلِيْبُ!

وَكَمْ مِنْ مَسْجِدٍ جَعَلُوهُ دَيْرًا عَلَىٰ مِحْرَابِهِ نُصِبَ الصَّلِيْبُ!

أُمُورٌ لَوْ تَأَمَّلَهُنَّ طِفْلٌ لَطَفَّلَ فِي عَوَارِضِهِ المَشِيْبُ[1]!

أَتُسْبَى المُسْلِمَاتُ بِكُلِّ أَرْضٍ وَعَيْشُ المُسْلِمِيْنَ إِذَنْ يَطِيْبُ؟!

أَمَا للهِ وَالإِسْلَامِ حَقٌّ يُدَافِعُ عَنْهُ شُبَّانٌ وَشِيْبُ

فَقُلْ لِذَوِيْ البَصَائِرِ حَيْثُ كَانُوا أَجِيْبُوا اللهَ وَيْحَكُمُ أَجِيْبُوا!

نَعَمْ، أَجِيْبُوا اللهَ وَيْحَكُمُ أَجِيْبُوا! ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]، ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٧]، ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ

(١) أي: لدنا الشَّيْبُ من عوارضه، وهي صَفَحَاتُ خَدِّهِ. انظر: «اللسان» (طفل).

وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾ [الأحقاف].

أُمَّةَ الإِسْلَامِ، الخَطْبُ عَظِيمٌ، وَالمُصَابُ جَلَلٌ، وَأَحْوَالُ المُسْلِمِيْنَ وَأَوْضَاعُ الأُمَّةِ تَبْعَثُ عَلَى الأَسَىٰ والقَلَقِ، وَجِرَاحَاتُ المُسْلِمِيْنَ وَنَزْفُ دِمَائِهِمْ تُصِيْبُ المُتَابِعَ بِالحَسْرَةِ وَالأَرَقِ؛ أَحْوَالٌ تُشْكَىٰ إِلَى اللهِ!! فَدِمَاءُ المُسْلِمِيْنَ أَرْخَصُ الدِّمَاءِ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ! أَعْدَاءُ الإِسْلَام يُقِيْمُونَ الدُّنْيَا وَلاَ يُقْعِدُونَهَا، لاَ لأَنَّ أَحدًا مِنْهُمْ يُقْتَلُ، وَإِنَّمَا لأَنَّ شَخْصًا يَتَجَرَّأُ بِتَصْرِيْحٍ يُحَابِيْ سِوَاهُمْ، أَوْ يُعَادِيْ مُنَاهُمْ.

فَاللهُ المُسْتَعَانُ، إِلَىٰ مَتَى الذِّلَّةُ يَا أُمَّةَ الإِسْلَامِ؟! إِلَىٰ مَتَىٰ تَظَلُّ الأُمَّةُ تَتَجَرَّعُ غُصَصَ المَذَلَّةِ أَمَامَ أَعْدَاءِ الإِسْلَامِ؟! مَاذَا أَصَابَ المُسْلِمِيْنَ؟! أَيْنَ شُعُورُ الجَسَدِ الإِسْلَامِيِّ حِيْنَ يُصَابُ جُزْءٌ مِنْهُ؟! مَاذَا أَصَابَ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ؟! مَاذَا جَرَىٰ لأُمَّةِ العِزِّ وَالشَّهَامَةِ، وَأُمَّةِ النَّجْدَةِ وَالكَرَامَةِ؟! إِلَىٰ مَتَىٰ يَظَلُّ الإِسْلَامُ يُحَجَّمُ فِي حُدُودٍ جُغْرَافِيَّةٍ، وَخَرَائِطَ سِيَاسِيَّةٍ؟! أَيْنَ مَوْقِعُ المُسْلِمِيْنَ فِي النِّظَامِ الدَّوْلِيِّ الجَدِيْدِ؟! أَيْنَ الصَّوْتُ الإِسْلَامِيُّ عَلَىٰ مَنَابِرِ العَالَمِ، وَفِي المَحَافِلِ الدَّوْلِيَّةِ؟! أَيْنَ مَكَانَةُ المُسْلِمِيْنَ فِي القَرَارَاتِ العَالَمِيَّةِ؟! لِمَاذَا لاَ يَكُونُ لَهُمْ وَزْنٌ وَلاَ تَأْثِيْرٌ؟! لِمَاذَا يَأْخُذُ الأَعْدَاءُ زِمَامَ المُبَادَرَةِ فِي كُلِّ قَضِيَّةٍ، بِمَا فِيْهَا قَضَايَا المُسْلِمِيْنَ؟! لِمَاذَا يُتْرَكُ لَهُمُ المَيْدَانُ



وَحْدَهُمْ، وَالمُسْلِمُونَ يَتفَرَّجُونَ؟! مَاذَا جَنَى المُسْلِمُونَ حِيْنَ تَقَاعَسُوا[1] عَنِ القِيَامِ بِوَاجِبِهِمْ، وَالدِّفَاعِ عَنْ حُقُوقِهِمْ؟!

اقْرَءُوا التَّارِيْخَ، وَتَأَمَّلُوا السِّيَرَ وَالأَحْدَاثَ لَقَدْ ضَاعَتِ الأَنْدَلُسُ جَزِيْرَةُ الإِسْلَامِ بَعْدَ أَنْ حَكَمَهَا المُسْلِمُونَ ثَمَانِيَةَ قُرُونٍ، مَاذَا جَنَتِ الأُمَّةُ جَرَّاءَ التَّخَاذُلِ؟! وَلَقَدْ ضَاعَتْ فِلَسْطِيْنُ هِيَ الأُخْرَىٰ، فَهَلْ تُتْرَكُ حُصُونٌ أُخْرَىٰ لِلضَّيَاعِ؟! وَهَلْ يُفَرِّطُ المُسْلِمُونَ فِي بِلَادِهِمْ؟! هَلْ تُتْرَكُ البُوسْنَةُ والهِرْسِكُ لِلضَّيَاعِ وَالنَّهْبِ والسَّلْبِ، وَهِيَ تُلَاقِيْ اليَوْمَ حَرْبَ إِبَادَةٍ لَمْ يَشْهَدْ لَهَا التَّأْرِيْخُ المُعَاصِرُ مَثِيْلاً؟! إِنَّهَا مَأْسَاةٌ بِكُلِّ المَقَايِيسِ، وَمُعْضِلَةٌ بِكُلِّ المَعَايِيْرِ! فَاقَتِ الأَوْصَافَ، يَعْجِزُ اللِّسَانُ عَنْ تَصْوِيْرِ المَأْسَاةِ، وَيَخْفُقُ الجَنَانُ[2] عِنْدَ عَرْضِ الأَحْدَاثِ، وَيَعْيَا البَيَانُ عَنْ ذِكْرِ المَآسِيْ، وَيَسْقُطُ القَلَمُ مِنْ هَوْلِ الحَقَائِقِ، وَيَقْصُرُ الوَصْفُ عَمَّا يَحْدُثُ هُنَاكَ مِنْ إِبَادَةٍ شَامِلَةٍ، تَحْتَ سَمْعِ العَالَمِ وَبَصَرِهِ!!.

هَٰذَا؛ وَتُشِيْرُ آخِرُ التَّقَارِيْرِ إِلَىٰ أَنَّ الوَضْعَ مُرَوِّعٌ بِكُلِّ مَا تَحْمِلُهُ الكَلِمَةُ مِنْ مَعْنًى، وَأَنَّ أَعْدَاءَ الإِسلَامِ يَجِدُّونَ لإِسْدَالِ السِّتَارِ، بَعْدَ عَرْضِ آخِرِ المَشَاهِدِ، فِي مُسَلْسَلِ القَضَاءِ عَلَى المُسْلِمِيْنَ هُنَاكَ؛ فِي صَمْتٍ رَهِيْبٍ، وَسُكُوتٍ عَجِيْبٍ، وَتَخَاذُلٍ مُطْبِقٍ؛ فَأَيْنَ النَّاسُ عَنْ عِظَمِ هَٰذِهِ المَأْسَاةِ؟!

---

(١) تقاعسوا: تأخَّروا. «القاموس» (قعس).

(٢) يَخْفُقُ الجَنَانُ، أي: يَضْطَرِبُ القلبُ ويتحرَّك. «تاج العروس» (خفق) (جنن).



أَيْنَ المَعْنِيُّونَ بِقَضَايَا الأُمَّةِ وَشُؤُونِ الدُّوَلِ؟! أَيْنَ مُنَظَّمَاتُ العَالَمِ، وَهَيْئَاتُهُ المُتَّحِدَةُ، وَمَجْلِسُ أَمْنِهِ، وَمَحْكَمَةُ عَدْلِهِ الدَّوْلِيَّةُ؟! أَيْنَ المُتَبَجِّحُونَ بِرِعَايَةِ الحُقُوقِ الإِنْسَانِيَّةِ؟! وَأَخِيْرًا: أَيْنَ الدُّوَلُ وَالحُكُومَاتُ وَالشُّعُوبُ الإِسْلَامِيَّةُ؟!

إِنَّهُ إِنْ تَخَاذَلَ هَؤُلَاءِ وَأُوْلَئِكَ، فَإِنَّ لِإِخْوَانِنَا هُنَاكَ رَبًّا يَحْمِيْهِمْ، وَلِلأَعْدَاءِ نَارًا تُصْلِيْهِمْ! لَقَدْ قَدَّمَ المُسْلِمُونَ فِي البُوسْنَةِ وَالهِرْسِكِ حَتَّى الآنَ أَكْثَرَ مِنْ سِتِّيْنَ أَلْفَ قَتِيْلٍ!! وَبَلَغَ عَدَدُ المُعْتَقَلِيْنَ مَا يَزِيْدُ عَلَى مِائَةٍ وَثَلَاثِيْنَ أَلْفَ مُعْتَقَلٍ!! وَعَدَدُ الجَرْحَى يَزِيْدُ عَلَى مِائَةِ أَلْفِ جَرِيحٍ!! أَصْبَحَ أَكْثَرُهُمْ مُعَاقًا، وَعَدَدُ المُهَاجِرِيْنَ وَالمُشَرَّدِيْنَ مَا يَقْرُبُ مِنْ مِلْيُونٍ وَنِصْفِ مِلْيُونٍ!! أَمَّا المُحَاصَرُونَ دَاخِلَ المُدُنِ: فَإِنَّهُمْ يَزِيْدُونَ عَنْ مِلْيُونِ شَخْصٍ، مُعَرَّضُونَ جَمِيْعًا لِخَطَرِ المَوْتِ وَالبَرْدِ وَالجُوعِ، بَلْ إِنَّ نِصْفَ مِلْيُونِ مُسْلِمٍ - لَاسِيَّمَا مِنَ الأَطْفَالِ - مُهَدَّدُونَ بِالمَوْتِ فِي مَوْسِمِ هَذَا الشِّتَاءِ؛ الَّذِيْ تَصِلُ فِيْهِ دَرَجَةُ البُرُودَةِ مَا بَيْنَ عِشْرِيْنَ وَثَلَاثِيْنَ دَرَجَةً تَحْتَ الصِّفْرِ!!

هَذَا، وَقَدْ عَمَدَ الصِّرْبُ إِلَى القِيَامِ بِأَعْمَالٍ دَنِيْئَةٍ، مِنْهَا: اغْتِصَابُ الفَتَيَاتِ المُسْلِمَاتِ؛ حَيْثُ تَمَّ حَصْرُ عَدَدِ المُسْلِمَاتِ الحَوَامِلِ مِنْ جُنُودِ الصِّرْبِ الظَّلَمَةِ، فَبَلَغَ العَدَدُ ثَلَاثِيْنَ أَلْفَ مُسْلِمَةٍ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ!! وَيَذْكُرُ شُهُودُ عِيَانٍ أَنَّهُمْ يَرَوْنَ الصِّرْبَ المُجْرِمِيْنَ الظَّلَمَةَ، يَحْفِرُونَ فِي صَدْرِ المُسْلِمِ أَوْ جَبِيْنِهِ صُورَةَ الصَّلِيْبِ بِالسَّكَاكِيْنِ - وَالعِيَاذُ بِاللهِ! - إِمْعَانًا فِي الكَيْدِ لِلإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ؛ كَمَا دَمَّرُوا أَكْثَرَ مِن مِائَتَيْ مَسْجِدٍ!! فَأَيْنَ القُلُوبُ



الَّتِيْ تَحْتَرِقُ غَيْرَةً وَحَسْرَةً عَلَىٰ أَحْوَالِ المُسْلِمِيْنَ؟! أُفٍّ لِعَيْنٍ لاَ تَسُحُّ دَمْعًا عَلَىٰ هَـٰذِهِ الأَحْوَالِ! وَلِقَلْبٍ لاَ يَتَقَطَّعُ حَسْرَةً عَلَىٰ هَـٰذِهِ الأَوْضَاعِ!! وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ قَسْوَةِ القُلُوبِ، وَجُمُودِ المَشَاعِرِ، وَتَبَلُّدِ الأَحَاسِيْسِ، وَمَوْتِ الضَّمَائِرِ!!

أُمَّةَ البُطُولاَتِ، أَيْنَ وَاجِبُكِ الإِسْلاَمِيُّ فِي هَـٰذِهِ القَضِيَّةِ وَسِوَاهَا إِزَاءَ التَّخَاذُلِ العَالَمِيِّ؟! أَيَعْجِزُ المُسْلِمُونَ ـ وَهُمْ أَكْثَرُ مِنْ مِلْيَارِ مُسْلِمٍ ـ أَنْ يُقَدِّمُوا لإِخْوَانِهِمُ النُّصْرَةَ وَالمَعُونَةَ؟! أَيَعْجِزُ حُكَّامُ المُسْلِمِيْنَ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ قَرَارٌ يَرْمُوا بِثِقَلِهِمْ لَدَىٰ أَصْحَابِ القَرَارِ، وَلاَ يَكْتَفُوا بِالشَّجْبِ وَالإِدَانَةِ وَالاسْتِنْكَارِ؟! لَقَدْ سَئِمَتِ الأُمَّةُ عِبَارَاتِ الإِدَانَةِ، وَمَجَّتْ كَلِمَاتِ الاسْتِنْكَارِ، وَهِيَ اليَوْمَ تَتَطَلَّعُ إِلَىٰ حُلُولٍ عَمَلِيَّةٍ جَادَّةٍ عَاجِلَةٍ، وَخُطُوَاتٍ قَوِيَّةٍ جَرِيْئَةٍ.

وَمَعَ هَـٰذِهِ الأَوْضَاعِ القَاتِمَةِ، وَالأَحْوَالِ الدَّاكِنَةِ، **تُضِيْءُ شَمْعَةُ أَمَلٍ: تَتَمَثَّلُ فِي دَعْوَةِ خَادِمِ الحَرَمَيْنِ الشَّرِيْفَيْنِ** ـ وَفَّقَهُ اللهُ ـ لِعَقْدِ مُؤْتَمَرٍ خَاصٍّ لِبَحْثِ هَـٰذِهِ القَضِيَّةِ الخَطِيْرَةِ، وَلَيْسَ هَـٰذَا بِغَرِيْبٍ عَلَىٰ بِلاَدِ الحَرَمَيْنِ، مَحَطِّ أَنْظَارِ العَالَمِ الإِسْلاَمِيِّ، وَلَـٰكِنَّ المُهِمَّ المُهِمَّ: أَنْ يَتْبَعَ ذَٰلِكَ الخُطُوَاتُ العَمَلِيَّةُ لِمُقَاطَعَةِ الدَّوْلَةِ الصِّرْبِيَّةِ المُجْرِمَةِ؛ عَسْكَرِيًّا، وَسِيَاسِيًّا، وَاقْتِصَادِيًّا؛ فَقَدْ حَارَبَتِ المُسْلِمِيْنَ حَرْبَ عَقِيدَةٍ، مُنْذُ مَا يُقَارِبُ خَمْسِيْنَ عَامًا، وَلَـٰكِنَّ حَرْبَهَا اليَوْمَ أَكْثَرُ قَسَاوَةً، وَأَشَدُّ ضَرَاوَةً؛ كَمَا يَجِبُ أَنْ يُرْفَعَ الطَّوْقُ عَنِ المُسْلِمِيْنَ هُنَاكَ، وَأَنْ يُسْمَحَ لَهُمْ بِشِرَاءِ الأَسْلِحَةِ لِلدِّفَاعِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ، عَجِيْبٌ كُلَّ العَجَبِ، وَغَرِيْبٌ كُلَّ الغَرَابَةِ!!



أَحَرَامٌ عَلَىٰ بَلَابِلِهِ الدَّوْ حُ حَلَالٌ لِلطَّيْرِ مِن كُلِّ جِنْسِ؟!(١)

وَأَنْ يُزَالُ الحِصَارُ الاقْتِصَادِيُّ عَنْ إِخْوَانِنَا هُنَاكَ.

فَيَا خَادِمَ الحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ، دُمْتَ مُوَفَّقًا بِتَوْفِيقِ اللهِ، مَكْلُوءًا بِرِعَايَةِ اللهِ.

وَيَا مَنْ وَهَبَكُمُ اللهُ الثِّقَلَ العَالَمِيَّ، وَالكَلِمَةَ فِي المَحَافِلِ الدَّوْلِيَّةِ، إِنَّ أَوْضَاعَ المُسْلِمِينَ تَحْتَاجُ إِلَىٰ حُلُولٍ عَمَلِيَّةٍ سَرِيعَةٍ، وَأَنْتُمْ أَوْلَىٰ مَنْ يَتَصَدَّىٰ لَهَا، فَلَكُمْ مِنَ اللهِ عَظِيمُ المَثُوبَةِ؛ عَلَى الدَّعْوَةِ إِلَىٰ مُؤْتَمَرِ قَضِيَّةِ البُوسْنَةِ وَالهِرْسِكِ، وَنُرِيدُهَا ثَانِيَةً لِلصُّومَالِ؛ فَلَيْسَتْ أَحْسَنَ حَالاً مِنْ أُخْتِهَا، وَثَالِثَةً لِبَقِيَّةِ القَضَايَا الإِسْلَامِيَّةِ، وَلَا نَنْسَىٰ فِلَسْطِينَ وَالأَقْصَىٰ؛ حَيْثُ الانْتِهَاكَاتُ الصُّهْيُونِيَّةُ عَلَىٰ أَشُدِّهَا؛ فَعَسَىٰ أَنْ تُحَلَّ قَضَايَا المُسْلِمِينَ بِجِدِّيَّةٍ عَلَىٰ أَيْدِيكُمُ المُبَارَكَةِ، وَتَفُوزُوا بِالأَجْرِ العَظِيمِ عَلَىٰ مُوَاسَاتِكُمْ إِخْوَانَكُمُ المُسْلِمِينَ! وَعَسَىٰ أَنْ تُطْوَىٰ ـ بِإِذْنِ اللهِ ـ صَفَحَاتُ مَآسِي المُسْلِمِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ؛ ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾[إبراهيم: ٢٠، فاطر: ١٧].

وَكَانَ اللهُ فِي عَوْنِ العَامِلِينَ لِنُصْرَةِ دِينِهِمْ وَأُمَّتِهِمْ؛ إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ.

اللَّهُمَّ، بَارِكْ لَنَا فِي القُرْآنِ، وَانْفَعْنَا بِمَا فِيهِ مِنَ الهُدَىٰ وَالبَيَانِ.

أَقُولُ قَوْلِي هَـٰذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ وَلِجَمِيعِ المُسْلِمِينَ، فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ وَتُوبُوا إِلَيْهِ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ.

---

(١) البيت لأحمد شوقي، من قصيدته السينيَّة التي عارض بها سينيَّة البحتري. انظر: «ديوانه» (٢/ ٤٥).

الخطبة الثانية

الحَمْدُ للهِ وَحْدَهُ؛ نَصرَ عَبْدَهُ، وَأَعزَّ جُنْدَهُ، وَهزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰـهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، هُو المُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا نَرَىٰ وَنَسمَعُ وَنُشَاهِدُ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ، وَقَدْ عَظُمَ المَطْلُوبُ، وَقَلَّ المُسَاعِدُ، وَحَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيْلُ؛ فَالخَطْبُ عَظِيْمٌ، وَالكَرْبُ زَائِدٌ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، أَفْضَلُ مُعَلِّمٍ، وَأَكْرَمُ مُجَاهِدٍ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ أُولِي الفَضْلِ وَالمَحَامِدِ، وَصَحْبِهِ الكِرَامِ الأَمَاجِدِ، وَالتَّابِعِيْنَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِأَهْدَى السُّبُلِ وَأَصَحِّ العَقَائِدِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيْمًا كَثِيْرًا.

أمّا بعد:

فَاتَّقُوا اللهَ ـ عِبَادَ اللهِ ـ ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١].

وَاعْلَمُوا أَنَّ مُسَلسَلَ أَعْدَاءِ المُسْلِمِيْنَ لاَ يَنْتَهِيْ عِنْدَ حَدٍّ؛ فَكُلَّمَا انْتَهَتْ قَضِيَّةٌ، أَنْشَئُوا أُخْرَىٰ، وَكُلَّمَا اسْتَوْلَوْا عَلَىٰ بَلَدٍ، هَمُّوا بِآخَرَ، وَهَـٰذَا يُجَسِّدُ مَسْئُولِيَّةَ الوَعْيِ بِهَـٰذَا المُخَطَّطِ الرَّهِيْبِ.

وَلِسَائِلٍ أَنْ يَتَسَاءَلَ: وَمَا دَوْرُ الفَرْدِ حِيَالَ هَـٰذِهِ الظُّرُوفِ الصَّعْبَةِ؟ والجَوابُ وَاضِحٌ ـ بِحَمْدِ اللهِ ـ: بِالدُّعَاءِ، والمُتَابَعَةِ، وَالإِحْسَاسِ، والشُّعُورِ، وَكُلٌّ بِدَوْرِهِ، وَعلَىٰ ثَغْرٍ مِنْ ثُغُورِ الإِسْلاَمِ، فَاللهَ اللهَ، لا يُؤْتَ



الإِسْلَامُ مِنْ قِبَلِهِ؛ وَنَحْنُ مَسْئُولُونَ أَمَامَ اللهِ عَنْ قَضَايَا إِخْوَانِنَا، وَلَنْ نُعْذَرَ أَمَامَ اللهِ أَبَدًا بِتَقْصِيرِنَا وَتَخَاذُلِنَا.

وَحِيْنَمَا تُعْرَضُ مَآسِي المُسْلِمِيْنَ، فَإِنَّ كَثِيْرًا مِنَ النَّاسِ يَعِيْشُونَ مَآسِيَ اللَّهْوِ وَالغَفْلَةِ، وَالبُعْدِ عَنِ شَرِيعَةِ اللهِ، وَلاَ حَلَّ لِلْمُشْكِلَاتِ إِلاَّ بِالعَوْدَةِ الصَّادِقَةِ، وَالتَّطْبِيقِ الجَادِّ لِشَرْعِ اللهِ، وَالتَّمَسُّكِ القَوِيِّ بِحَبْلِ اللهِ، وَتَسْخِيرِ كُلِّ الوَسَائِلِ الإِعْلَامِيَّةِ، وَالتِّقْنِيَاتِ الحَدِيْثَةِ لِخِدْمَةِ هَـٰذَا الدِّيْنِ، وَالدَّعْوَةِ إِلَيْهِ، وَمُشْكِلَاتُ المُسْلِمِيْنَ ـ بِإِذْنِ اللهِ ـ سَحَابَةُ صَيْفٍ عَمَّا قَرِيْبٍ تَنْقَشِعُ، وَالنَّصْرُ لِلإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ طَالَ الزَّمَانُ أَوْ قَصُرَ؛ ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٢١ ﴾ [يوسف].

هَـٰذَا؛ وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا ـ رَحِمَكُمُ اللهُ ـ عَلَىٰ إِمَامِ المُجَاهِدِيْنَ، وَسَيِّدِ الأَوَّلِيْنَ وَالآخِرِيْنَ؛ كَمَا أَمَرَكُم بِذٰلِكَ رَبُّ العَالَمِيْنَ؛ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ۝٥٦ ﴾ [الأحزاب].

* * *



الخطبة الأولى

إِنَّ الحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَتُوبُ إِلَيْهِ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَاهَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَاشَرِيكَ لَهُ، نَصَرَ عَبْدَهُ، وَأَعَزَّ جُنْدَهُ، وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ، لَا إِلَـٰهَ إِلَّا اللهُ، سُبْحَانَكَ رَبَّنَا، عَزَّ جَارُكَ، وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ، وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُكَ، سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ، لَا يُخْلَفُ وَعْدُكَ، وَلَا يُهْزَمُ جُنْدُكَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُاللهِ وَرَسُولُهُ، بَلَّغَ الرِّسَالَةَ، وَأَدَّى الأَمَانَةَ، وَنَصَحَ الأُمَّةَ، وَكَشَفَ بِإِذْنِ رَبِّهِ الغُمَّةَ، وَجَاهَدَ فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ، بِنَفْسِهِ وَسِنَانِهِ، وَمَالِهِ وَلِسَانِهِ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ حَبِيبِكَ وَخَلِيلِكَ، وَمُصْطَفَاكَ وَرَسُولِكَ، وَعَلَىٰ آلِهِ الشُّرَفَا، وَصَحْبِهِ الحُنَفَا، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ وَاقْتَفَىٰ، وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْـدُ:

فَيَا أَيُّهَا المُسْلِمُونَ، أُوصِيكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَبِتَقْوَاهُ سُبْحَانَهُ: تُسْتَجْلَبُ الأَرْزَاقُ، وَيُسْتَنْزَلُ النَّصْرُ، وَتُسْتَكْشَفُ الهُمُومُ، وَتَنْجَلِي الغُمُومُ، وَتُسْتَمْطَرُ الرَّحَمَاتُ، وَتُسْتَدْفَعُ الفِتَنُ وَالمِحَنُ وَالكُرُبَاتُ.

أَيُّهَا الإِخْوَةُ فِي اللهِ، مِنْ مُنْطَلَقِ الأُخُوَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ، وَحِرْصًا عَلَىٰ تَرْسِيخِ مَفْهُومِ المُؤَاخَاةِ بَيْنَ بَنِيْ الإِسْلَامِ، وَشُعُورًا بِمَآسِيْ أُمَّتِنَا الإِسْلَامِيَّةِ، وَاهْتِمَامًا بِقَضَايَا المُسْلِمِيْنَ؛ لِيَكُونَ المُسْلِمُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ أَحْوالِ إِخْوَانِهِ فِي العَقِيْدَةِ، وَاطِّلَاعًا عَلَىٰ صَفْحَةٍ دَامِيَةٍ، وَسِلْسِلَةٍ شَائِكَةٍ، مِن حَلَقَاتِ العَدَاءِ لِلإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، وَالصِّرَاعِ بَيْنَ مُعَسْكَرِ الإِيْمَانِ والوَثَنِيَّةِ - الَّذِيْ لاَ زَالَ مُسْتَعِرَ الأُوَارِ(١)، مُتَّصِلَ الحَلَقَاتِ، آخِذًا بَعْضُهُ بِزِمَامِ بَعْضٍ - عَلَّنَا نُقَدِّمُ شَيْئًا يَكُونُ مَعْذِرَةً إِلَى اللهِ، وَجَوَابًا لِلتَّأْرِيْخِ، وَلَنْ نَعْدَمَ - بِحَوْلِ اللهِ - آذَانًا صَاغِيَةً، وَعُقُولاً وَاعِيَةً، وَقُلُوبًا رَحِيْمَةً، وَأَفْئِدَةً يَشْتَعِلُ فِيْهَا فَتِيْلُ الحَمِيَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ(٢)، وَالغَيْرَةِ عَلَىٰ حُرُمَاتِ المُسْلِمِيْنَ المُنْتَهَكَةِ؛ فَيَكُونُ - مِن جَرَّاءِ ذٰلِكَ - الخَيْرُ لِلبِلَادِ والعِبَادِ.

لِذَلِكَ كُلِّهِ: أَسْتَسْمِحُكُمْ - إِخْوَةَ العَقِيْدَةِ - أَنْ أَنْتَقِلَ بِكُمْ نَقْلَةً شُعُورِيَّةً مِنْ مَهْبِطِ الوَحْيِ وَمَنْبَعِ الرِّسَالَةِ؛ حَيْثُ تَنْعَمُونَ بِالأَمْنِ - لِتُحِسُّوا بِمَدَىٰ نِعْمَةِ اللهِ عَلَيْكُمْ - إِلَىٰ هُنَاكَ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا هُنَاكَ؟! بِلَادٌ تَقَعُ فِي أَقْصَى القَارَّةِ الهِنْدِيَّةِ، تُمَثِّلُ وَادِيًا بِمَثَابَةِ وَرْدَةٍ مُتَفَتِّحَةٍ، عَلَىٰ سُفُوحِ جِبَالِ «الهِمَلَايَا» وَتُعَدُّ مِنْ أَجْمَلِ بِلَادِ العَالَمِ؛ إِذْ تَبْدُو قِطْعَةً مِنَ الجَمَالِ الطَّبِيْعِيِّ

---

(١) أي: متوقِّدًا ملتهبًا، والأوار: اللهب، واستَعَرَ أُوَارُ النار: توقَّد لهيبها. انظر: «تاج العروس» (سعر) (أور).

(٢) الحَمِيَّةُ الإسلامية: الغَيْرَةُ على الإسلام. «النهاية» و«اللسان» (حمي).



الخَلاَّبِ، تُحِيْطُ بِهَا الحَدَائِقُ وَالغَابَاتُ، وَتَفْتَرِقُهَا الأَنْهَارُ وَالبُحَيْرَاتُ، وَتَتَلأْلأُ بِهَا الثُّلُوجُ النَّاصِعَةُ فَوْقَ قِمَمِ جِبَالِهَا الشَّاهِقَةِ، وَتَكْسُوهَا الخُضْرَةُ البَدِيْعَةُ، لَـٰكِنَّ مَعَالِمَ هَـٰذَا المَشْهَدِ الأَخَّاذِ اخْتَفَتْ، وَمَلاَمِحَهُ المَشْهُورَةَ تَغَيَّرَتْ، وَتَبَدَّلَتْ فَرْحَتُهَا أَتْرَاحًا، وَبَهْجَتُهَا جِرَاحًا، وَانْقَلَبَتْ سَرَّاؤُهَا ضَرَّاءَ، كَانَتْ بِالأَمْسِ وَرْدَةً ضَاحِكَةً، لَـٰكِنَّهَا اليَوْمَ تَذْرِفُ الدُّمُوعَ بَاكِيَةً، وَكَيْفَ لاَ تَبْكِي؟! وَكَيْفَ لاَيَحِقُّ لَنا مَعَهَا البُكَاءُ؟! وَقَدْ قُتِلَ رِجَالُهَا، وَعُذِّبَ شَبَابُهَا، وَرُمِّلَتْ نِسَاؤُهَا، وَيُتِّمَ أَطْفَالُهَا، وَانْتُهِكَتْ أَعْرَاضُهَا، وَأُحْرِقَتْ أَنْعَامُهَا، وَهُدِّمَتْ مَنَازِلُهَا وَمَسَاجِدُهَا، وَاجْتُثَّتْ خُضْرَتُهَا وَغَابَاتُهَا، وَبَدَتْ كَئِيْبَةَ المَلاَمِحِ، عَابِسَةَ المُحَيَّا[1]، قَدْ ذَبُلَتْ نَضَارَتُهَا، وَتَحَوَّلَتْ جَحِيْمًا مُسْتَعِرًا، وَمَسْرَحًا لِلْعُدْوَانِ وَالهَمَجِيَّةِ، وَمَيْدَانًا لِلتَّعَسُّفِ وَالظُّلْمِ وَالوَحْشِيَّةِ، يَتَوَلَّىٰ كِبْرَ ذٰلِكَ حُثَالَةٌ[2] مِنْ أَسَافِلِ البَشَرِ - يَكْفِي مِنْ خِسَّتِهِمْ أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ البَقَرَ - فِي حِقْدٍ أَعْمَىٰ، وَصَلَفٍ أَرْعَنَ، لِكُلِّ مَايَمُتُّ إِلَى الإِسْلاَمِ بِصِلَةٍ، وَلَـٰكِنْ لِمَاذَا؟! وَالجَوَابُ: ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾﴾ [البروج].

بَعْدَ ذٰلِكَ - يَا رَعَاكُمُ اللهُ - لاَشَكَّ أَنَّكُمْ أَدْرَكْتُمْ بِلاَدَ المَأْسَاةِ، إِنَّهَا

---

(١) المُحَيَّا: الوجه. «النهاية» (حيي).

(٢) الحُثَالَةُ من الناس: رُذَالُهُمْ وشِرَارُهُمْ، والحُثَالَةُ: الرديءُ من كل شيء. «اللسان» و«تاج العروس» (حثل).



حَيْثُ يُذْبَحُ الضَّمِيْرُ، عَلىٰ ثَرَىٰ بِلاَدِ الإِسْلاَمِ وَالجِهَادِ: فِي «كَشْمِيْرَ».

إِخْوَةَ الإِيْمَانِ، كَشْمِيْرُ المُسْلِمَةُ صَوْتٌ لاَيُسْمَعُ، وَأَنِيْنٌ لاَيُسْمَعُ، جُرْحٌ يَنْزِفُ، وَدَمٌ يَجْرِيْ، وَدَمْعٌ لاَ يُكَفْكَفُ[1]، غَفَلَ عَنْهَا كَثِيْرٌ، وَشُغِلَ عَنْهَا جَمٌّ غَفِيْرٌ، وَتَجَاهَلَهَا الإِعْلاَمُ العَالَمِيُّ، وَخَذَلَهَا الإِعْلاَمُ الإِسْلاَمِيُّ - مَعَ شَدِيْدِ الأَسَفِ - فَأَصْبَحَتْ قَضِيَّةً تَكَادُ تَكُونُ مَنْسِيَّةً مَغْمُورَةً، وَفِي ثَنَايَا الأَحْدَاثِ مَطْمُورَةً، قَلِيْلٌ مَنْ يَعْرِفُ أَبْعَادَ المُؤَامَرَةِ تُجَاهَهَا، وَقَلِيْلٌ مَنْ يَتَفَاعَلُ مَعَ أَحْدَاثِهَا، وَيُتَابِعُ أَخْبَارَهَا، وَيُقَدِّمُ الحُلُولَ لَهَا، فَالمَأْسَاةُ لَيْسَتْ وَلِيْدَةَ اليَوْمِ، وَلَكِنَّهَا فِي عِقْدِهَا الخَامِسِ، فَمُنْذُ قُرَابَةِ نِصْفِ قَرْنٍ مِنَ الزَّمَانِ، وَالوَثَنِيُّونَ الحَاقِدُونَ يَشُنُّونَ أَبْشَعَ وَسَائِلِ القَمْعِ الوَحْشِيِّ، ضِدَّ الشَّعْبِ الكَشْمِيْرِيِّ المُسْلِمِ، دُونَ ذَنْبٍ جَنَاهُ، وَمِنْ غَيْرِ جَرِيْمَةٍ اقْتَرَفَهَا، سِوَىٰ تَمَسُّكِهِ بِعَقِيْدَتِهِ وَكَرَامَتِهِ وَحُرِّيَّتِهِ، وَإِصْرَارِهِ عَلَى العَيْشِ فَوْقَ أَرْضِهِ فِي أَمْنٍ وَسَلاَمٍ؛ بَلْ وَوَفْقَ القَرَارَاتِ العَالَمِيَّةِ، لَكِنَّ أَعْدَاءَ الدِّيْنَ - مِنْ أَهْلِ الشَّرِّ وَالوَثَنِيَّةِ - لَمْ يَرْقُبُوا فِيْهِمْ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً، فَلَجَئُوا إِلَىٰ لُغَةِ الحَدِيْدِ وَالنَّارِ؛ لابْتِلاَعِ بِلاَدِ كَشْمِيْرَ الوَادِعَةِ[2]، وَتَصْفِيَةِ شَعْبِهَا المُسْلِمِ الأَبِيِّ؛ فَارْتَكَبُوا أَعْمَالاً وَحْشِيَّةً، وَفَعَلُوا جَرَائِمَ وَفَظَائِعَ تَتْرِيَّةً، يَأْبَاهَا الدِّيْنُ وَالشَّرَفُ، وَتَرْفُضُهَا المُرُوءَةُ وَالإِنْسَانِيَّةُ؛ نَصَبُوا المَجَازِرَ

---

(١) أي: لا يُرَدُّ؛ لكثرته، كفكف دَمْعَهُ: رَدَّه؛ لِيَجِفَّ. «اللسان» (كفف).

(٢) الوادعة: الهادئة المستقرة. «اللسان» (ودع).

بِكُلِّ صَلَفٍ وَهَمَجِيَّةٍ، فِي أَبْشَعِ صُورَةٍ لِانْتِهَاكِ حُقُوقِ الإِنْسَانِ، وَمَعَ ذٰلِكَ: فَقَدْ وَقَفَ العَالَمُ كُلُّهُ بِهَيْئَاتِهِ وَمُنَظَّمَاتِهِ، وَوَكَالاَتِ أَنْبَائِهِ وَوَسَائِلِ إِعْلاَمِهِ، فِي حَالَةِ صَمْتٍ مُطْبِقٍ، وَسُكُوتٍ مُحَيِّرٍ، وَتَخَاذُلٍ رَهِيْبٍ، وَسُبْحَانَ رَبِّيَ العَظِيْمِ! مَاذَا سَيَحْدُثُ لَوْ حَصَلَ مِعْشَارُ ذٰلِكَ لِأَحَدٍ مِمَّنْ يَتَكَلَّمُونَ لُغَةً مَا[1]، وَيَتَحَلَّوْنَ بِسَحْنَةٍ مَا[2]؟! لٰكِنْ يَنْقَضِيْ عَجَبُكَ فِي وَقْتِ الصِّرَاعَاتِ السِّيَاسِيَّةِ، وَالتَّقَلُّبَاتِ الاِقْتِصَادِيَّةِ وَالاِجْتِمَاعِيَّةِ، وَالتَّغَيُّرَاتِ العَالَمِيَّةِ!.

أَيُّهَا الأَحِبَّةُ فِي اللهِ، لَقَدِ ارْتَكَبَ الهِنْدُوسُ الوَثَنِيُّونَ ـ فِي القَارَّةِ الهِنْدِيَّةِ عَامَّةً، وَفِي كَشْمِيْرَ خَاصَّةً ـ جَرَائِمَ يَنْدَىٰ لَهَا الجَبِيْنُ[3]؛ فَكَمْ مِنْ مُسِنٍّ بِحَاجَةٍ إِلَى الرِّعَايَةِ وَالعِنَايَةِ، ضَرَّجُوهُ بِدِمَائِهِ[4]! وَكَمْ مِنِ امْرَأَةٍ ثَكْلَىٰ، أَفْقَدُوهَا زَوْجَهَا وَوَلِيْدَهَا! وَكَمْ مِنْ طِفْلٍ بَرِيءٍ يَحْتَاجُ لَمْسَةَ حَنَانٍ، وَدَفْقَةَ عَطْفٍ وَشَفَقَةٍ، أَفْقَدُوهُ أُمَّهُ الرَّءُومَ وَأُبُوَّتَهُ الحَانِيَةَ!

وَهَا هِيَ كَشْمِيْرُ الآنَ تَقِفُ عَلَىٰ فُوَّهَةِ[5] بُرْكَانٍ يُوْشِكُ أَنْ يَنْفَجِرَ؛

---

(١) أي: غير اللغة العربية لغة القرآن الكريم.

(٢) السَّحْنة ـ بفتح السين، وقد تكسر ـ: الهيئة واللون والحال، وَسَحْنَةُ الرجل: حُسْنُ شعره وديباجته. «اللسان» (سحن).

(٣) نَدِيَ الجبينُ يَنْدَى نَدًى، أي: عَرِقَ حَيَاءً. «أساس البلاغة» و«اللسان» (ندي).

(٤) أي: لطَّخوه بها. «اللسان» (ضرج).

(٥) الفُوَّهة من كل شيء: فَمُهُ وَأَوَّلُهُ. «اللسان» (فوه).



فَيَقْضِيْ عَلَى الأَخْضَرِ وَاليَابِسِ؛ فَكُلُّ شَيءٍ هُنَاكَ مُضْطَرِمٌ، وَالوَضْعُ فِي حَالَةِ غَلَيَانٍ مُرَوِّعٍ، وَالشَّارِعُ الكَشْمِيْرِيُّ تغَيَّرَتْ مَعَالِمُهُ؛ فَأَصْبَحَ مَسْرَحًا لِلْكَمَائِنِ والغَارَاتِ المُسْتَمِرَّةِ، وَالمَنَازِلُ تَحَوَّلَتْ إِلىٰ ثُكْنَاتٍ[1] عَسْكَرِيَّةٍ، وَوَصَلَتِ انْتِهَاكَاتُ حُقُوقِ الإِنْسَانِ إِلَىٰ دَرَجَةٍ مُذْهِلَةٍ؛ فَقَدْ تَعَطَّلَ النِّظَامُ، وَانْهَارَ الاِقْتِصَادُ، وَمُنِعَ وُصُولُ المَوَادِّ الغِذَائِيَّةِ وَالطِّبِّيَّةِ، وَفُرِضَ حَظْرُ التَّجَوُّلِ بِاسْتِمْرَارٍ، كُلُّ ذٰلِكَ مِنْ أَجْلِ إِخْفَاءِ المَأْسَاةِ، وَتَعْتِيْمِهَا عَلَى الرَّأْيِ العَالَمِيِّ وَالإِسْلاَمِيِّ.

أُمَّةَ الإِسْلَامِ، وَتَتَحَدَّثُ آخِرُ الإِحْصَاءَاتِ المُوَثَّقَةِ عَنْ أَرْقَامٍ، لَولاَ أَنَّهَا حَقَائِقُ ثَابِتَةٌ، لَعُدَّتْ مِنْ ضُرُوبِ الخَيَالِ وَالمُبَالَغَةِ؛ فَقَدْ بَلَغَ عَدَدُ الضَّحَايَا قُرَابَةَ ثَلَاثِيْنَ أَلْفَ مُسْلِمٍ! وَتَمَّ اعْتِقَالُ ضِعْفِ ذٰلِكَ! وَشُرِّدَ زُهَاءُ مِائَةِ أَلْفِ أُسْرَةٍ!! وَانْتُهِكَ عِرْضُ أَكْثَرَ مِنْ أَلْفَي امْرَأَةٍ!! وَبُقِرَتْ بُطُونُ أَكْثَرَ مِن سِتِّمِائَةِ بَرِيْئَةٍ!! وَأُحْرِقَتْ آلَافُ البُيُوتِ وَالمَزَارِعِ!! وَدُمِّرَ كَثِيْرٌ مِنَ المَدَارِسِ وَالمَسَاجِدِ!! وغَيْرُ ذٰلِكَ مِمَّا تَقْشَعِرُّ مِنْ هَوْلِهِ الأَبْدَانُ، وَكَأَنَّ الأَمْرَ دُبِّرَ بِلَيْلٍ؛ فَيَا لَذُلِّ الأُمَّةِ!! وَيَا لَلْخِزْيِ وَالْعَارِ الَّذِيْ حَلَّ بِهَا!! كَمْ مِنْ هَمٍّ يَتَرَبَّعُ عَلَىٰ نَاصِيَةِ القَلْبِ المُعَنَّىٰ[2]، وَيَقُودُ زِمَامَهُ!! وَكَمْ مِنْ دَمْعَةٍ حَرَّىٰ تَخُطُّ وَسْمًا عَلَى الوُجُوهِ المُتَأَلِّمَةِ لِأَوْضَاعِ أُمَّتِنَا المَأْسَاوِيَّةِ!! وَكَمْ

---

(١) ثُكْنَات الجُنْدِ وَثُكَنُهُمْ: مراكزهم، واحدتها: ثُكْنة. «اللسان» (ثكن).

(٢) القلب المُعَنَّىٰ، أي: المهمومُ المُتْعَبُ. انظر: «اللسان» (عني).



تَعَالَتْ صَيْحَاتُ الخَطَرِ، وَارْتَفَعَتْ رَايَاتُ النُّذُرِ!! وَلَـٰكِنْ كَمَا قِيْلَ:

فَلاَ الأَذَانُ أَذَانٌ فِي مَنَارَتِهِ إِذَا تَعَالَىٰ وَلاَ الآذَانُ آذَانُ!

أَيْنَ الغَيْرَةُ وَالحَمِيَّةُ؟! وَأَيْنَ النَّخْوَةُ[1] وَالمُرُوءَةُ؟! وَلَكِنَّنَا نَخْشَىٰ أَنْ نكُونَ مِمَّنْ قِيْلَ فِيْهِمْ:

مَرَرْتُ عَلَى المُرُوءَةِ وَهْيَ تَبْكِيْ فَقُلْتُ عَلاَمَ تَنْتَحِبُ الفَتَاةُ؟

فَقَالَتْ كَيْفَ لاَ أَبْكِيْ وَأَهْلِيْ جَمِيْعًا دُونَ خَلْقِ اللهِ مَاتُوا

فَهَاهِيَ كَشْمِيْرُ تُنَادِيْ وَتَسْتَغِيْثُ، وَلَـٰكِنْ هَلْ مِنْ مُجِيْبٍ وَمُغِيْثٍ؟! هَلْ مَنْ يَسْمَعُ صَوْتَ وَا إِسْلاَمَاهُ، وَا مُعْتَصِمَاهُ؟! هَلْ مِنْ مُعْتَصِمٍ يَجُودُ الزَّمَانُ بِهِ؟! وَللهِ دَرُّ القَائِلِ فِي تَصْوِيْرِ هَـٰذِهِ المَأْسَاةِ:

كَشْمِيْرُ مَالِيْ أُعَانِيْ الحُزْنَ وَالأَلَمَا وَالخَطْبُ[2] أَعْيَا بِيَ الأَقْلاَمَ وَالكَلِمَا

وَعَالَمُ اليَوْمِ أَلْقَاهُ بِلاَ نَظَرٍ وَقَدْ أَقَامَ عَلَىٰ آذَانِهِ صَمَمَا

إِنْ كَانَ لِلْحِقْدِ أَرْبَابٌ وَمَعْلَمَةٌ فَمَا الهِنْدُوسُ سِوَىٰ أَرْبَابِهِ اللُّؤَمَا

يَا أَهْلَ كَشْمِيْرَ إِنَّ اللهَ نَاصِرُكُمْ فَواصِلُوا دَرْبَكُمْ واسْتَنْهِضُوا الهِمَمَا

قُلُوبُنَا مَعَكُمْ والمَالُ نَبْذُلُهُ وَدُونَ أَجْرٍ نُحِدُّ السَّيْفَ وَالقَلَمَا

فالدِّيْنُ يَجْمَعُنَا إِنْ فَرَّقَتْ لُغَةٌ وَالشَّوْقُ لِلحُورِ قَلْبًا صَادِقًاوَفَمَا

فَيَا أَيُّهَا السَّاسَةُ وَالقَادَةُ، وَيَا أَيُّهَا العُلَمَاءُ وَالمُصْلِحُونَ، وَيَا أَيُّهَا

---

(١) النَّخْوة: الفخر والعظمة. «اللسان» (نخو).

(٢) الخَطْب: واحد الخطوب، وهو الأمر تقع فيه المخاطبة. «تاج العروس» (خطب).



الأثْرِياءُ وَالغَيُورُونَ، وَيَا أَيُّهَا الإِعْلامِيُّونَ، مَا لَكُمْ صَامِتِينَ، وَعَنْ نُصْرَةِ إِخْوانِكُمْ مُحْجِمِينَ؟!

إِنَّ الوَضْعَ هُنَاكَ يَتَطَلَّبُ حُلُولاً عَاجِلَةً، وَجُهُودًا فَوْرِيَّةً مِنَ الهَيْئَاتِ العَالَمِيَّةِ، وَالحُكُومَاتِ الإِسْلامِيَّةِ، وَالمُنَظَّمَاتِ الإِغَاثِيَّةِ.

فَهَلْ مِنْ غَضْبَةٍ للهِ، وَغَيْرَةٍ عَلَىٰ دِيْنِهِ، وَوَقْفَةٍ عِنْدَ حُدُودِهِ، وَنُصْرَةٍ لأَوْلِيَائِهِ؟! وَهَلْ مِنْ دِرَّةٍ عُمَرِيَّةٍ[1]، وَغَضْبَةٍ مُضَرِيَّةٍ[2]، وَحَمِيَّةٍ دِيْنِيَّةٍ؟!

إِنَّ كُلَّ الغَيُورِيْنَ مِنْ أَبْنَاءِ المُسْلِمِيْنَ، لَيَسْتَنْكِرُونَ الوَسَائِلَ القَمْعِيَّةَ[3] الوَثَنِيَّةَ ضِدَّ إِخْوانِهِمْ فِي كَشْمِيْرَ، وَيُهِيْبُونَ[4] بِحُكُومَاتِ الدُّوَلِ الإِسْلامِيَّةِ وَالعَالَمِيَّةِ، وَكَافَّةِ الشُّعُوبِ وَالمُنَظَّمَاتِ الدَّوْلِيَّةِ وَالإِسْلامِيَّةِ، أَنْ يَهُبُّوا جَمِيْعًا لِنُصْرَةِ الشَّعْبِ الكَشْمِيْرِيِّ المُضْطَهَدِ الأَبِيِّ، وَيَقِفُوا مَعَ إِخْوانِهِمُ المُجَاهِدِيْنَ فِي كَشْمِيْرَ، وَيُمِدُّوهُمْ بِالدُّعَاءِ وَالمَالِ، وَالعَتَادِ وَالرِّجَالِ، وَأَنْ يُكَثِّفُوا جُهُودَهُمْ وَضُغُوطَهُمْ عَلَىٰ كَافَّةِ المُنَظَّمَاتِ الدَّوْلِيَّةِ؛

---

(١) الدِّرَّة، بالكسر: دِرَّةُ السلطان التي يُضْرَبُ بها، والجمع دِرَرٌ. «تاج العروس» (درر)، والدِّرَّة العمرية: نسبة إلى عُمَرَ بْنِ الخطاب، رضي الله عنه.

(٢) الغَضْبَةُ الْمُضَرِيَّة: نسبة إلى مُضَرَ بْنِ نِزَارِ بنِ مَعَدِّ بْنِ عَدْنَانَ، وهذا من قول القحيف بن عُمَيْر:

إِذَا مَا غَضِبْنَا «غَضْبَةً مُضَرِيَّةً» هَتَكْنَا حِجَابَ الشَّمْسِ أَوْ مَطَرَتْ دَمَا

انظر: «اللسان» (غشم) (حجب)، و«تاج العروس» (حجب).

(٣) القمعية: نسبة إلى القمع، وهو القهر والذل. «اللسان» (قمع).

(٤) يقال: أَهَابَ بِهِ يُهِيبُ، أي: دعاه. «اللسان» (هيب).



حَتَّىٰ يَعُودَ لِلشَّعْبِ الكَشْمِيْرِيِّ حَقُّهُ المَشْرُوعُ، وَيَسْلَمَ مِنَ القَمْعِ وَالاِحْتِلَالِ الوَثَنِيِّ لِخَيْرَاتِهِ وَمُقَدَّرَاتِهِ، وَاللهُ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الوَكِيْل، وَهُوَ وَحْدَهُ المُسْتَعَانُ!

بَارَكَ اللهُ فِي جُهُودِ العَامِلِيْنَ، وَسَدَّدَ الخُطَا عَلَىٰ دَرْبِ العِزَّةِ وَالكَرَامَةِ؛ ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٢١﴾ [يوسف].

أَقُولُ قَوْلِي هَـٰذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِيْ وَلَكُمْ وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ، فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيْمُ.

الخطبة الثانية

الحَمْدُ للهِ رَبِّ الأَرْبَابِ، وَمُسَبِّبِ الأَسْبَابِ، وَخَالِقِ النَّاسِ مِن تُرَابٍ، أَحْمَدُهُ تَعَالَىٰ وَأَشْكُرُهُ، وأَتُوبُ إِلَيْهِ وَأَسْتَغْفِرُهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلـٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ، مُنْزِلُ الكِتَابِ، وَمُجْرِي السَّحَابِ، وَهَازِمُ الأَحْزَابِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، خَيْرُ نَبِيٍّ أُنْزِلَ عَلَيْهِ خَيْرُ كِتَابٍ، فَسَنَّ السُّنَنَ، وَبَيَّنَ الأَخْلاَقَ وَالآدَابَ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ خَيْرِ آلٍ وَأَفْضَلِ أَصْحَابٍ، والتَّابِعِيْنَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَىٰ يَوْمِ المَآبِ.

أمّا بعد:

فَاتَّقُوا اللهَ - عِبَادَ اللهِ - وَاعْلَمُوا أَنَّ عَلَيْكُمْ وَاجِبًا مُنَاطًا بِعَوَاتِقِكُمْ[1] فِي قَضِيَّةِ إِخْوانِكُمْ هُنَاكَ، فَأَمِدُّوهُمْ بِدُعَائِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ.

أُمَّةَ الإِسْلَامِ، إِنَّ المِحْنَةَ الَّتِيْ تَتَعَرَّضُ لَهَا كَشْمِيرُ المُسْلِمَةُ، تَتَطَلَّبُ مِنَ الأُمَّةِ الإِسْلاَمِيَّةِ عَامَّةً، وَالمُنَظَّمَاتِ الخَيْرِيَّةِ وَالإِغَاثِيَّةِ خَاصَّةً: أَنْ تَهْتَمَّ بِهَـٰذِهِ القَضِيَّةِ السَّاخِنَةِ، وَأَنْ تُولِيَهَا عِنَايَةً فَائِقَةً، فَقَدْ طَالَ لَيْلُ ظَلاَمِهَا، وَزَمَنُ السُّكُوتِ عَنْ مُعَانَاتِهَا، وَإِنَّ أَنْظَارَ العَالَمِ الإِسْلاَمِيِّ لَتَتَطَلَّعُ إِلَىٰ دَوْلَتَيْنِ

---

(١) أي: معلَّقًا بها؛ تقول: أناط الأَمْرَ بفلان: علقه به، وعَهِدَ بِهِ إليه. «تاج العروس» (نوط).

عَظِيْمَتَيْنِ، لَهُمَا ثِقَلُهُمَا السِّيَاسِيُّ وَالدَّوْلِيُّ، وَوَزْنُهُمَا الشَّعْبِيُّ والعَالَمِيُّ، هُمَا: دَوْلَةُ الحَرَمَيْنِ الشَّرِيْفَيْنِ ـ حَرَسَهَا اللهُ ـ وَدَوْلَةُ بَاكِسْتَانَ الإِسْلاَمِيَّةُ، فَلَقَدْ كَانَ لَهُمَا ـ وَلاَ يَزَالُ بِحَمْدِ اللهِ ـ دَعْمٌ لِكَثِيْرٍ مِنَ القَضَايَا الإِسْلاَمِيَّةِ، وَتَكَلَّلَتْ ـ بِحَمْدِ اللهِ ـ بِالتَّوْفِيْقِ، فَأَوْلَوْا كَشْمِيْرَ الإِسْلاَمِيَّةَ مَزِيْدَ عِنَايَةٍ؛ فَهَـٰذِهِ البِلاَدُ ـ المَحْرُوسَةُ بِقِيَادَتِهَا وَشَعْبِهَا ـ لَهَا القِدْحُ المُعَلَّىٰ فِي نُصْرَةِ قَضَايَا المُسْلِمِيْنَ، جَعَلَهُ اللهُ فِي مَوازِيْنِهَا، وَقَدْ كَانَ لَهَا مَعَ شَقِيْقَتِهَا المُسْلِمَةِ دَوْلَةِ بَاكِسْتَانَ الفَضْلُ ـ بَعْدَ اللهِ ـ فِي تَخْفِيْفِ مُعانَاةِ الشَّعْبِ الأَفْغَانِيِّ المُسْلِمِ، فَلْيَكُنْ لِلشَّعْبِ الكَشْمِيْرِيِّ مَا كَانَ لِجَارِهِ الأَفْغَانِيِّ؛ إِسْهَامًا فِي تَخْفِيْفِ مَأْسَاتِهِ، وَسَعْيًا لِنَيْلِ حُرِّيَّتِهِ وَكَرَامَتِهِ.

وَلِتَعْلَمُوا ـ يَارَعَاكُمُ اللهُ ـ أَنَّهُ وَإِنْ بَلَغَ مَكْرُ الأَعْدَاءِ مَا بَلَغَ، فَإِنَّ اللهَ بِفَضْلِهِ وَعَوْنِهِ ـ مُظْهِرٌ دِيْنَهُ، وَنَاصِرٌ أَوْلِيَاءَهُ؛ فَمَعَ كُلِّ هَـٰذِهِ الأَجْوَاءِ الدَّاكِنَةِ، تَكَوَّنَتْ فِي كَشْمِيْرَ المُجَاهِدَةِ: انْتِفَاضَةٌ جِهَادِيَّةٌ، وَحَرَكَاتٌ إِصْلاَحِيَّةٌ، يَقُومُ عَلَيْهَا رِجَالٌ ـ نَحْسَبُهُمْ وَلاَنُزَكِّيْ عَلَى اللهِ أَحَدًا ـ حَرِيْصِيْنَ كُلَّ الحِرْصِ عَلَىٰ رَدِّ المُعْتَدِيْ، وَنُصْرَةِ المَظْلُومِ، وَلاَتَزَالُ ـ بِحَمْدِ اللهِ ـ تُحَقِّقُ نَصْرًا إِثْرَ نَصْرٍ، وَتَتَقَدَّمُ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ، لَكِنَّهَا تَظَلُّ بِحَاجَةٍ إِلَىٰ مُسَانَدَةٍ فِعْلِيَّةٍ: إِمَّا عَنْ طَرِيْقِ كَفَالَةِ يَتِيْمٍ، أَوْ بِنَاءِ مَسْجِدٍ أَوْ مَدْرَسَةٍ، أَوْ جُهْدٍ عَقَدِيٍّ، أَوْ دَعَوِيٍّ، أَوْ إِعَاشِيٍّ، وَنَحْوِ ذٰلِكَ، وَطَرِيْقُ التَّعَرُّفِ عَلَىٰ



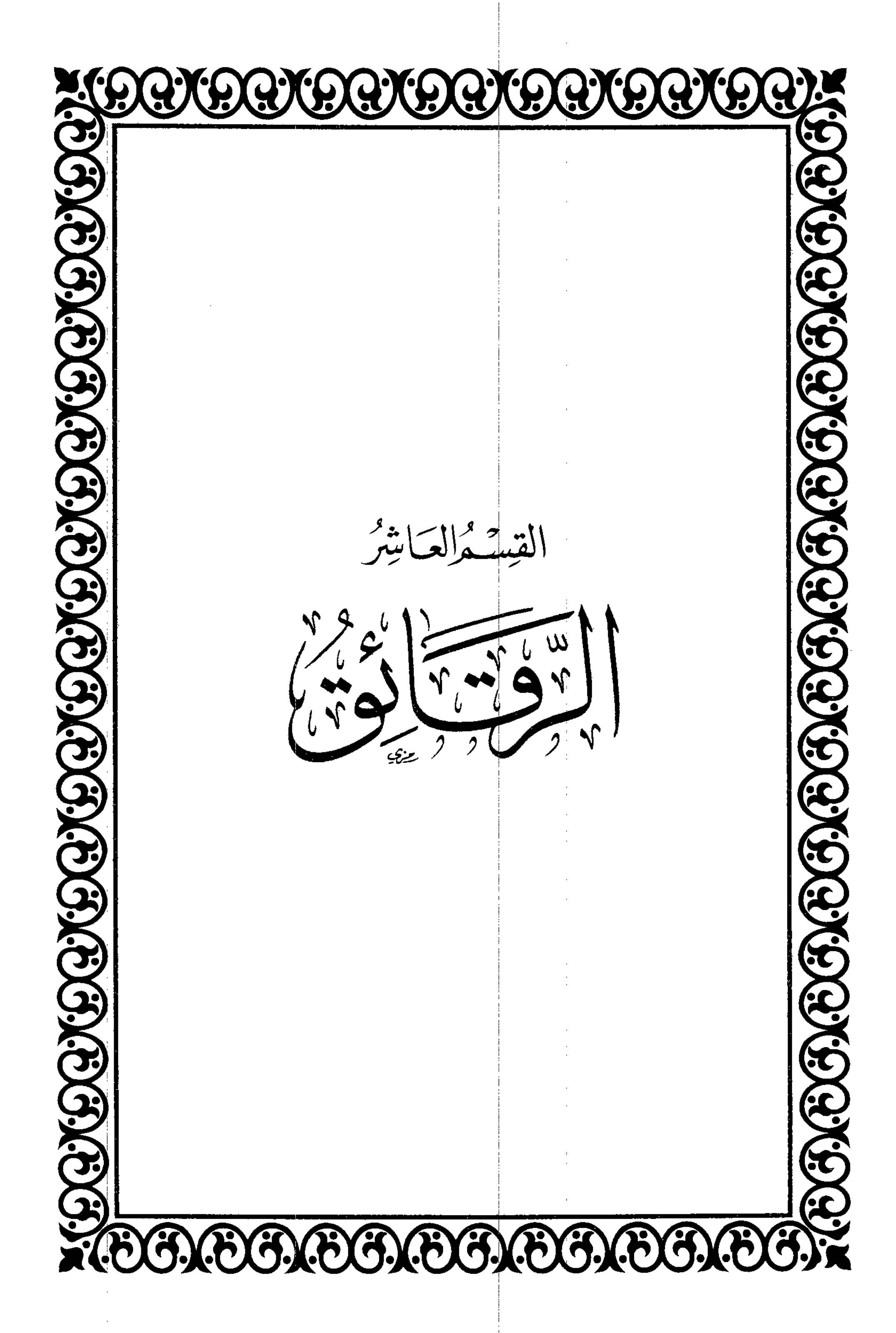
تَفَاصِيْلِهِ مَرْجِعُهُ الجِهَاتُ الرَّسْمِيَّةُ وَالخَيْرِيَّةُ، بِحَمْدِ اللهِ.

هَـٰذَا؛ وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللهُ - عَلَى البَشِيْرِ النَّذِيْرِ، وَالسِّرَاجِ المُنِيْرِ؛ كَمَا أَمَرَكُمْ بِذَٰلِكَ اللَّطِيْفُ الخَبِيْرُ؛ فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب].

* * *



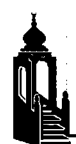




القسم العاشر

الرقائق







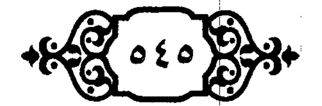
الخطبة الأولى

الحَمْدُ للهِ الَّذي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُوعَنِ السَّيِّئَاتِ، نَحْمَدُهُ تَعَالَىٰ وَنَشْكُرُهُ، وَنَتُوبُ إِلَيْهِ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنَ الشُّرُورِ والخَطِيْئَاتِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلـهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ، غَفَّارُ الذُّنُوبِ، وَسَتَّارُ العُيُوبِ، وَقَابِلُ التَّوْبَةِ مِمَّنْ يَتُوبُ، فَسُبْحَانَهُ مِنْ إِلـهٍ كَرِيْمٍ تَوَّابٍ، يُحِبُّ مِنْ عِبَادِهِ كُلَّ مُتَطَهِّرٍ أَوَّابٍ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَمُصْطَفَاهُ وَخَلِيْلُهُ، سَيِّدُ المُسْتَغْفِرِيْنَ وَالتَّائِبِيْنَ، وَخَاتَمُ الأَنْبِيَاءِ وَالمُرْسَلِيْنَ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ الطَّيِّبِيْنَ الطَّاهِرِيْنَ، وَعَلَىٰ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِيْنَ، وَعَلَى التَّابِعِيْنَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّيْنِ.

أمّا بعد:

فَيَا أَيُّهَا المُسْلِمُونَ، اتَّقُوا اللهَ رَبَّكُمْ وَأَطِيْعُوهُ، وَرَاقِبُوهُ وَلاَ تَعْصُوهُ، وَتُوبُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ.

عِبَادَ اللهِ، إِنَّ شَرَّ مَا ابْتُلِيَتْ بِهِ النُّفُوسُ: الغَفْلَةُ، وَأَشَدَّ مَا أُصِيْبَتْ بِهِ القُلُوبُ: القَسْوَةُ، وَلاَشَكَّ أَنَّ لِهَـٰذِهِ الأَدْوَاءِ أَسْبَابًا كَثِيْرَةً، يَرْجِعُ حَاصِلُهَا إِلَىٰ مُوَاقَعَةِ المَعَاصِيْ وَالذُّنُوبِ؛ فَهِيَ: أَكْبَرُ حِجَابٍ عَنِ المَحْبُوبِ، وَلاَ



رَيْبَ أَنَّ الانْصِرَافَ عَمَّا يُبْعِدُ عَنِ المَحْبُوبِ أَمْرٌ وَاجِبٌ، وَلَمَّا كَانَ مِنَ المَعْلُومِ أَنَّ البَشَرَ ضُعَفَاءُ مُقَصِّرُونَ، وَأَنَّ كُلَّ بَنِي آدمَ خَطَّاءُوْنَ، وَلَهُمْ مِنَ الأَعْدَاءِ مِنْ دَاخِلِ نُفُوسِهِمْ وَخَارِجِهَا مَا يَدْعُوهُمْ إِلىٰ مُوَاقَعَةِ الشَّهَوَاتِ، وَارْتِكَابِ السَّيِّئَاتِ، مِمَّا هُمْ مَعَهُ مُعَرَّضُونَ لِلْخَطَرِ دَائِمًا؛ فَإِنَّ اللهَ جَلَّ شَأْنُهُ ـ وَهُوَ الرَّحِيْمُ بِعِبَادِهِ، الرَّءُوفُ بِخَلْقِهِ ـ قَدْ جَعَلَ لَهُم حِصْنًا حَصِيْنًا مِنَ الذُّنُوبِ، وَسَدًّا مَنِيْعًا، وَدِرْعًا وَاقِيًا مِنَ الخَطَايَا، ذٰلِكُمْ ـ يَا عِبَادَ اللهِ ـ هُوَ: «**الإِنَابَةُ وَالتَّوْبَةُ، وَالاِسْتِغْفَارُ وَالأَوْبَةُ**».

أَيُّهَا الإِخْوَةُ المُسْلِمُونَ، إِنَّ اسْتِرْسَالَ كَثِيْرٍ مِنَ النَّاسِ فِي اقْتِرَافِ المَعَاصِي، واسْتِمْرَائِهِمُ[1] الوُقُوعَ فِي الذُّنُوبِ ـ أَمْرٌ عَظِيْمُ المَوْقِعِ، وَخِيْمُ المَرْتَعِ، شَدِيْدُ الخَطَرِ عَلَى النُّفُوسِ وَالمُجْتَمَعَاتِ وَالأُمَمِ وَالشُّعُوبِ، فَكُلُّ بَلاَءٍ وَفِتْنَةٍ، وَمُصِيْبَةٍ وَمِحْنَةٍ، حَصَلَتْ لِلأَفْرَادِ وَالجَمَاعَاتِ ـ فَسَبَبُهَا الذُّنُوبُ وَالمَعَاصِيْ؛ قَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ۝٣٠﴾ [الشُّورىٰ].

وَإِنَّهُ لَيَجِبُ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَبْدَأَ جَادًّا فِي إِصْلَاحِ نَفْسِهِ، وَتَغْيِيْرِ مَجْرَىٰ حَيَاتِهِ، وَحَيَاةِ أُسْرَتِهِ مِنَ الشَّرِّ إِلَى الخَيْرِ، وَمِنَ المَعْصِيَةِ إِلَى الطَّاعَةِ، وَمِنَ التَّفْرِيْطِ والتَّهَاوُنِ وَالإِضَاعَةِ، إِلَى التَّوْبَةِ وَالإِنَابَةِ وَالطَّاعَةِ؛ هَـٰذَا إِنْ

---

(١) يقال: اسْتَمْرَأَ الشيءَ، أي: وجده مَرِيئًا، والمَرِيءُ: الْهَنِيءُ حَمِيدُ المَغَبَّة. «اللسان» و«تاج العروس» (مرأ).

رُمْنَا صَلاَحَ الأَوْضَاعِ، وَنَشَدْنَا اسْتِقْرَارَ الأَحْوَالِ وَأَمْنَ الأَصْقَاعِ، وَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[الرعد: ١١]، وَإِذَا كَانَ العَبْدُ لاَيَدْرِيْ مَتَىٰ يَفْجَؤُهُ الأَجَلُ، وَلاَ يَعْلَمُ مَتَىٰ يُبَاغِتُهُ المَوْتُ ـ فَإِنَّ الكَيِّسَ السَّعِيْدَ، مَنْ وُفِّقَ لِلسَّيْرِ فِي دَرْبِ التَّوْبَةِ والاِسْتِقَامَةِ والصَّلاَحِ؛ لِيَحْصُلَ لَهُ فِي دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ الخَيْرُ وَالفَلاَحُ، وَالتَّوْفِيْقُ وَالنَّجَاحُ.

إِخْوَةَ الإِيْمَانِ وَالعَقِيْدَةِ، إِنَّ حَاجَةَ العَبْدِ إِلَى التَّوْبَةِ حَاجَةٌ مُلِحَّةٌ فِي كُلِّ مَرْحَلَةٍ مِنْ مَرَاحِلِ حَيَاتِهِ؛ لأَنَّهَا طَرِيْقُ النَّجَاةِ وَسَبَبُ الفَلاَحِ، وَقَدْ عَلَّقَ الْمَوْلَىٰ ـ جَلَّ وَعَلاَ ـ ذَٰلِكَ بِهَا؛ فَقَالَ سُبْحَانَهُ ـ آمِرًا عِبَادَهُ بِالتَّوْبَةِ، مُبَيِّنًا لَهُمْ آثَارَهَا ـ: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور]، وَحَكَمَ سُبْحَانَهُ بِالظُّلْمِ عَلَى المُعْرِضِيْنَ عَنِ التَّوْبَةِ؛ لِجَهْلِهِمْ بِحَقِّ رَبِّهِمْ، وَعَمَاهُمْ عَنْ عُيُوبِ أَنْفُسِهِمْ، وَآفَاتِ أَعْمَالِهِمْ؛ فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾[الحجرات].

أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ، هَا هُوَ مَوْلاَكُمْ تَعَالَىٰ وَتَقَدَّسَ، يُنَادِيْكُمْ بِنِدَاءِ الإِيْمَانِ؛ لِتَفِيْئُوا إِلَىٰ رِحَابِ التَّوْبَةِ، وَلِتَسْتَظِلُّوا بِدَوْحَةِ الإِقْبَالِ عَلَى اللهِ، بَعِيْدًا عَنْ شُؤْمِ[١] الذُّنُوبِ وَالمَعَاصِيْ، وَلِيَحْصُلَ لَكُمْ تَكْفِيْرُ السَّيِّئَاتِ، وَدُخُولُ الجَنَّاتِ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ

(١) الشُّؤْم: خلافُ اليُمْن. «اللسان» (شأم).



عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾[التحريم: ٨].

وَكَمَا تَتَأَمَّلُونَ ـ يَارَعَاكُمُ اللهُ ـ فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ شَرَطَ لِلتَّوْبَةِ الَّتِي يَحْصُلُ بِهَا دُخُولُ الجَنَّةِ ـ بِرَحْمَتِهِ سُبْحَانَهُ ـ أَنْ تَكُونَ تَوْبَةً نَصُوحًا، وَلْنَسْتَمِعْ ـ رَحِمَنِيْ اللهُ وَإِيَّاكُمْ ـ لِمَا يَقُولُهُ أَهْلُ العِلْمِ ـ رَحِمَهُمُ اللهُ ـ فِي بَيَانِ هَـٰذَا المَعْنَى المُهِمِّ:

يَقُولُ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ، وَأُبَيُّ بنُ كَعْبٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ: **«التَّوْبَةُ النَّصُوحُ: أَنْ يَتُوبَ مِنَ الذَّنْبِ، ثُمَّ لاَيَعُودَ إِلَيْهِ كَما لاَيَعُودُ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ»**[1].

وَقَالَ الحَسَنُ البَصْرِيُّ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: **«هِي: أَنْ يَكُونَ العَبْدُ نَادِمًا عَلَىٰ مَا مَضَىٰ، مُجْمِعًا عَلَىٰ أَلاَّ يَعُودَ إِلَيْهِ»**[2].

وَقَالَ الكَلْبِيُّ: **«أَنْ تَسْتَغْفِرَ بِاللِّسَانِ، وَتَنْدَمَ بِالقَلْبِ، وَتُمْسِكَ بِالبَدَنِ»**[3].

وَقالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ: **«يَجْمَعُهَا ـ أَي: التَّوْبَةَ ـ أَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ: الإِسْتِغْفَارُ بِاللِّسَانِ، وَالاِنْقِطَاعُ بِالأَبْدَانِ، وَإِضْمَارُ تَرْكِ العَوْدِ بِالجَنَانِ، وَمُهَاجَرَةُ**

---

(١) «تفسير الطبري» (١٢/ ١٥٨)، و«مدارج السالكين» لابن القيم (١/ ٣٠٩).
(٢) «مدارج السالكين» (١/ ٣٠٩).
(٣) «مدارج السالكين» (١/ ٣٠٩).

سَيِّءِ الإِخْوَانِ»[1].

وَقَالَ الحَافِظُ ابْنُ كَثِيْرٍ فِي تَفْسِيْرِ آيَةِ سُورَةِ التَّحْرِيْمِ: «أَي: تَوْبَةً صَادِقَةً جَازِمَةً، تَمْحُو مَا قَبْلَهَا مِنَ السَّيِّئَاتِ، وَتَلُمُّ شَعَثَ[2] التَّائِبِ وَتَجْمَعُهُ، وَتَكُفُّهُ عَمَّا كَانَ يَتَعَاطَاهُ مِنَ الدَّنَاءَاتِ»[3].

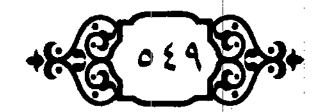
وَقَالَ العَلَّامَةُ ابْنُ القَيِّمِ - رَحِمَهُ اللهُ -: «النُّصْحُ فِي التَّوْبَةِ يَتَضَمَّنُ ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ: **الأَوَّلُ**: تَعْمِيْمُ جَمِيْعِ الذُّنُوبِ، وَاسْتِغْرَاقُهَا بِهَا، **وَالثَّانِي**: إِجْمَاعُ العَزْمِ والصِّدْقِ بِكُلِّيَّتِهِ عَلَيْهَا، **وَالثَّالِثُ**: تَخْلِيْصُهَا مِنَ الشَّوائِبِ والعِلَلِ القَادِحَةِ فِي إِخْلَاصِهَا»[4].

وَبِهَـٰذَا تَتَبَيَّنُ لَكُمْ - يَا عِبَادَ اللهِ - شُرُوطُ التَّوْبَةِ، وَأَنَّهَا عَظِيْمَةُ القَدْرِ؛ فَهِيَ لَيْسَتْ كَلِمَاتٍ مُجَرَّدَةً، وَأَلْفَاظًا مُعْتَادَةً تَجْرِيْ عَلَى الأَلْسِنَةِ دُونَ فَهْمٍ وَتَحْقِيْقٍ لِمَدْلُولِهَا، وَدُونَ عَمَلٍ وَتَطْبِيْقٍ لِمُقْتَضَاهَا؛ بَلْ لَابُدَّ مِنْ تَحْقِيْقِ شُرُوطِهَا، وَانْتِفَاءِ مَوَانِعِهَا.

أَيُّهَا الإِخْوَةُ فِي اللهِ، التَّوْبَةُ وَاجِبَةٌ عَلَى الفَوْرِ؛ لِدَلَالَةِ القُرْآنِ والسُّنَّةِ عَلَىٰ ذٰلِكَ، وَلِأَنَّ الذُّنُوبَ مُهْلِكَاتٌ مُبْعِدَاتٌ عَنِ اللهِ؛ فَيَجِبُ الهَرَبُ وَالحَذَرُ

---

(١) «مدارج السالكين» (١/ ٣١٠).
(٢) الشَّعَثُ: انتشار الأمر وَخَلَلُهُ. «اللسان» (شعث).
(٣) «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (٨/ ١٦٨).
(٤) «مدارج السالكين» (١/ ٣١٠).



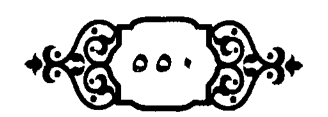
مِنْهَا، وَسَوَاءٌ أَكَانَتِ الذُّنُوبُ مُتَعَلِّقَةً بِحُقُوقِ اللهِ، أَمْ بِحُقُوقِ عِبَادِ اللهِ: فَإِنْ كَانَ العَبْدُ مُفَرِّطًا فِي عِبَادَةٍ، قَضَاهَا. أَوْ مَظْلِمَةٍ، أَدَّاهَا. أَوْ وَقَعَ فِي غِيْبَةِ أَخٍ لَهُ، اسْتَحَلَّهُ مِنْهَا. أَوِ اغْتَصَبَ مَالاً أَوْ حَقًّا لإِخْوَانِهِ، رَدَّهُ إِلَيْهِمْ؛ لِمَا رَوَى البُخَارِيُّ فِي «صَحِيْحِهِ»، مِنْ حَدِيْثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ كَانَت عِنْدَهُ مَظْلِمَةٌ لأَخِيْهِ؛ مِنْ مَالٍ، أَوْ عِرْضٍ، فَلْيَأْتِهِ فلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْخَذَ مِنْهُ، وَلَيْسَ ثَمَّ دِيْنَارٌ وَلاَ دِرْهَمٌ؛ فَإِنْ كَانَتْ لَهُ حَسَنَاتٌ، أُخِذَ مِنْ حَسَنَاتِهِ لِصَاحِبِهِ، وَإِلاَّ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ، فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ**»(١).

إِخْوَةَ الإِسْلَامِ، لَقَدْ جَعَلَ اللهُ - بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ - بَابَ التَّوْبَةِ مَفْتُوحًا لِعِبَادِهِ، مَهْمَا عَظُمَتْ سَيِّئَاتُهُمْ، وَكَبُرَتْ خَطِيئَاتُهُمْ، وَارْتَكَبُوا العَظَائِمَ والقَوَاصِمَ(٢)، مِنَ الفَوَاحِشِ وَالمَآثِمِ؛ فَلَيْسَ شَيْءٌ أَعْظَمَ مِنَ الكُفْرِ باللهِ، وَمَعَ ذٰلِكَ يَقُولُ الغَفُورُ التَّوَّابُ: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨]، وَيَقُولُ سُبْحَانَهُ - بَعْدَ ذِكْرِ عُقُوبَةِ عَدَدٍ مِنَ الكَبَائِرِ؛ كَالشِّرْكِ، وَالقَتْلِ، والزِّنَىٰ -: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان].

---

(١) تقدَّم تخريجه (ص ٣٢٥).

(٢) القواصم: جمع قاصمة؛ من «قَصَمَ الشَّيْءَ» أي: كسره وأبانه؛ يقال: نزلت به قاصمة الظهر. «تاج العروس» (قصم).



وَقَدْ عَرَضَ اللهُ التَّوْبَةَ عَلَى الْمُثَلِّثَةِ الْمُكَذِّبَةِ لِرُسُلِ اللهِ، الْقَائِلِيْنَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖ﴾ [المائدة: ٧٣]، وَمَعَ ذَٰلِكَ دَعَاهُمْ إِلَى التَّوْبَةِ؛ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [المائدة: ٧٤]، فَمَا أَوْسَعَ حِلْمَ اللهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ! وَمَا أَعْظَمَ فَضْلَهُ وَنَوَالَهُ! يُؤَكِّدُ ذَٰلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢]، وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٥، ١٣٦]، وَقَوْلُهُ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [النساء: ١١٠].

فَهَنِيئًا لَكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، وَيَا بُشْرَىٰ لَكُمْ أَيُّهَا التَّائِبُونَ! تُحْسِنُونَ فَتُثَابُونَ، وَتُسِيْئُونَ فَتَسْتَغْفِرُونَ؛ فَيَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ، وَتُذْنِبُونَ فَتَتُوبُونَ؛ فَيَتُوبُ اللهُ عَلَيْكُمْ، وَقَدْ فَتَحَ بَابَهُ لَكُمْ لَيْلاً وَنَهَارًا؛ فَفِيْ الْحَدِيْثِ الصَّحِيْحِ، عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ: «**يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ؛ لِيَتُوبَ مُسِيْءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ؛ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيلِ، حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا**»(١)، وَحِيْنَ يَنْزِلُ سُبْحَانَهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِيْنَ يَبْقَىٰ ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ،

---

(١) رواه مسلم (٢٧٥٩)؛ من حديث أبي موسى الأشعري، رضي الله عنه.



يَدْعُو عِبَادَهُ إِلَىٰ سَاحَاتِ كَرَمِهِ، وَمَيَادِيْنِ فَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ؛ فَيَقُولُ تَعَالَىٰ: «هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ لَهُ؟! هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَأَتُوبَ عَلَيْهِ؟!»[1].

وَكَيْفَ تَتَصَوَّرُونَ - يَاعِبَادَ اللهِ - فَرَحَ رَجُلٍ أَضَلَّ رَاحِلَتَهُ فِي صَحْرَاءَ قَاحِلَةٍ، وَفَقَدَ بَعِيْرَهُ فِي أَرْضٍ فَلَاةٍ، وَمَفَازَةٍ مُهْلِكَةٍ، وَقَدِ انْفَلَتَتْ مِنْهُ، وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَجَدَّ فِي طَلَبِهَا حَتَّىٰ أَيِسَ مِنْهَا، وَأَخَذَ مِنْهُ الجُوعُ وَالعَطَشُ وَالجَهْدُ كُلَّ مَأْخَذٍ حَتَّىٰ كَادَ أَنْ يَمُوتَ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذٰلِكَ إِذْ وَجَدَهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ، كَيْفَ تَتَصَوَّرُونَ فَرْحَتَهُ بِرَاحِلَتِهِ؟! فَاللهُ - جَلَّ وَعَلَا - أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ هٰذَا بِرَاحِلَتِهِ! كَمَا فِي «الصَّحِيْحَيْنِ» مِنْ حَدِيْثِ أَنَسٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[2].

أُمَّةَ الإِسْلَامِ، إِنَّ الذُّنُوبَ مَهْمَا عَظُمَتْ، فَعَفْوُ أَرْحَمِ الرَّاحِمِيْنَ أَعْظَمُ، وَإِنَّ مَنْ يَظُنُّ أَنَّ ذُنُوبَهُ لَا يَتَّسِعُ لَهَا عَفْوُ اللهِ وَرَحْمَتُهُ وَمَغْفِرَتُهُ، فَقَدْ ظَنَّ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ؛ هٰذَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيْلَ قَتَلَ تِسْعًا وَتِسْعِيْنَ نَفْسًا، ثُمَّ أَكْمَلَ المِائَةَ بِرَجُلٍ عَابِدٍ، وَلَمَّا جَاءَ تَائِبًا، تَابَ اللهُ عَلَيْهِ، وَشَمِلَهُ بِرَحْمَتِهِ؛ كَمَا وَرَدَتْ قِصَّتُهُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»، مِنْ حَدِيْثِ أَبِي سَعِيْدٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[3].

---

(١) رواه أحمد (٢/ ٤٣٣)، والبخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨)؛ من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

(٢) «صحيح البخاري» (٦٣٠٩)، و«صحيح مسلم» (٢٧٤٧).

(٣) «صحيح البخاري» (٣٤٧٠)، و«صحيح مسلم» (٢٧٦٦).

وَلَـٰكِنْ لَيْسَ مَعْنَىٰ ذٰلِكَ أَنْ يَتَعَلَّقَ أَقْوَامٌ بِنُصُوصِ الوَعْدِ، وَيُغَلِّبُوا جَانِبَ الرَّجَاءِ، وَيَعْتَمِدُوا عَلَىٰ سَعَةِ عَفْوِ اللهِ، مُحْتَجِّينَ بِأَنَّهُ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ، فَيَتَمَادَوْنَ فِي المَعَاصِي، وَيَنْسَوْنَ العُقُوبَةَ، وَيَغُرُّهُمْ طُولُ الأَمَلِ؛ فَهَـٰذَا أَمْنٌ مِنْ مَكْرِ اللهِ، والعِيَاذُ بِاللهِ!

فَالوَاجِبُ: المُبَادَرَةُ إِلَى التَّوْبَةِ، وَتَرْكُ التَّسوِيْفِ؛ فَإِنَّ تَأْخِيرَ التَّوْبَةِ هُوَ ـ بِحَدِّ ذَاتِهِ ـ ذَنْبٌ يَسْتَحِقُّ التَّوْبَةَ؛ كَيْفَ وَإِنَّ المُؤْمِنَ لَيَخْشَىٰ أَنْ يُحَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ وَهُوَ لاَيَشْعُرُ، فَتَفُوتُهُ فَيَنْدَمُ حَيْثُ لاَ يَنْفَعُ النَّدَمُ؟! وَقَدْ حَذَّرَ المَوْلَىٰ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ـ مِنْ ذٰلِكَ؛ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾ [النساء].

فَإِلَىٰ مَتَىٰ الغَفْلَةُ، يَاعِبَادَ اللهِ؟! ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦]؟! يَا أَيُّهَا التَّارِكُونَ لِمَا أَوْجَبَ اللهُ؛ مِنْ صَلاَةٍ وَزكَاةٍ وَصِلَةٍ، المُرْتَكِبُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ مِنْ شِرْكٍ، أَوْ تَرْكٍ لِلصَّلاَةِ، أَوْ تَسَاهُلٍ فِيْهَا، أَوْ وُقُوعٍ فِي دَمٍ، أَوْ عِرْضٍ، أَوْ مَالٍ، أَوْ مُسْكِرٍ، أَوْ مُخَدِّرٍ، أَوْ قَطِيْعَةٍ وَعُقُوقٍ وَسُوءِ خُلُقٍ، أَوْ عُكُوفٍ عَلَى اللَّهْوِ وَاللَّغْوِ، بَادِرُوا بِالتَّوْبَةِ



قَبْلَ أَنْ يُوَارِيَكُمُ الثَّرَىٰ، وَيَسْرِيَ بِكُمُ البِلَىٰ، وَتَكُونُوا جُثَثًا هَامِدَةً، وَجِيَفًا بَالِيَةً؛ لاَ يَنْفَعُكُمْ ـ حِيْنَذَاكَ ـ إِلاَّ عَمَلُكُمُ المُتَوَّجُ بِالتَّوْبَةِ النَّصُوحِ وَالإِنَابَةِ الصَّادِقَةِ.

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ: ﴿۞ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَـٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّـٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الزمر].

اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا التَّوْبَةَ النَّصُوحَ، وَأَعِذْنَا مِنَ الغَفْلَةِ، وَاعْصِمْنَا مِنَ الذُّنُوبِ وَالمَعَاصِيْ، يَاحَيُّ يَاقَيُّومُ.

أَقُولُ قَوْلِيْ هَـٰذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِيْ وَلَكُمْ وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ، فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيْمُ.



الخطبة الثانية

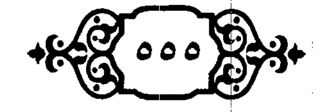
الحَمْدُ للهِ ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ٣﴾ [غافر]، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلـٰهَ إِلاَّ اللهُ، لاَنِدَّ لَهُ سُبْحَانَهُ وَلاَ شَبِيْهَ، وَلاَ مَثِيْلَ وَلاَ نَظِيْرَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ البَشِيْرُ النَّذِيْرُ، وَالسِّرَاجُ المُنِيْرُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَكُلِّ تَابِعٍ مُسْتَنِيْرٍ.

أمّا بعد:

فَاتَّقُوا اللهَ ـ عِبَادَ اللهِ ـ وَاسْتَغْفِرُوا ربَّكُمْ، ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ، وَاحْذَرُوا صَغَائِرَ الذُّنُوبِ؛ فَإِنَّهَا بَرِيْدٌ إِلَى الكَبَائِرِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ؛ فَإِنَّهُنَّ يَجْتَمِعْنَ عَلَى العَبْدِ حَتَّىٰ يُهْلِكْنَهُ؛ كَمَا صَحَّ بِذٰلِكَ الخَبَرُ، عَنْ سَيِّدِ البَشَرِ ـ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَم ـ[1] وَلْيَكُنْ لَكُمْ ـ يَاعِبَادَ اللهِ ـ فِي نَبِيِّكُمُ المُصْطَفَىٰ ﷺ القُدْوَةُ الحَسَنَةُ؛ فَقَدْ كَانَ ـ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ـ وَهُوَ الَّذِي قَدْ غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، وَهُوَ أَخْوَفُ خَلْقِ اللهِ مِنَ اللهِ، وَأَحَبُّ عِبَادِ اللهِ إِلَى اللهِ ـ يَعُدُّ لَهُ أَصْحَابُهُ فِي المَجْلِسِ الوَاحِدِ مِائَةَ مَرَّةٍ يَقُولُ: «رَبِّ اغْفِرْ لِيْ، وَتُبْ عَلَيَّ؛ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ»؛ كَمَا فِي حَدِيْثِ

---

(١) رواه الطيالسي (٤٠٠)، وعنه أحمد (١/ ٤٠٢ـ٤٠٣)؛ من حديث ابن مسعود، رضي الله عنه.



ابْن عُمَرَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ عِنْدَ الإمَامِ أَحْمَدَ، وَغَيْرِهِ[1]، وقَدْ وَرَدَ فِي الحَدِيْثِ الصَّحِيْحِ؛ أنه ﷺ قال: «**إِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي اليَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً**» ـ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ ـ كَمَا فِي البُخَارِيِّ مِنْ حَدِيْثِ أَبِيْ هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[2].

اللهُ أَكْبَرُ! إِذَا كَانَ هَـٰذَا خَوْفَ المُصْطَفَىٰ ﷺ، فَمَا بَالُنَا نَحْنُ لاَ نَخَافُ وَنَحْنُ المُثْقَلُونَ بِالأَوْزَارِ، المُكَبَّلُونَ بِالخَطَايَا وَالآثَامِ؟! فَلْنَتَّقِ اللهَ ـ يَا عِبَادَ اللهِ ـ وَلْنَبْدَأْ صَفْحَةً جَدِيْدَةً مِنْ أَعْمَارِنَا، وَلْنَأْخُذْ عَهْدًا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا، وَنَحْنُ فِي حَرَمِ اللهِ: أَنْ نَتُوبَ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ مِن جَمِيْعِ الذُّنُوبِ وَالمَعَاصِي.

أُمَّةَ الإِسْلَامِ، وَإِذَا كَانَ المُسْلِمُونَ هَـٰذِهِ الأَيَّامَ يَسْتَقْبِلُونَ شَهْرًا كَرِيْمًا، وَمَوْسِمًا عَظِيْمًا، أَلاَ وَهُوَ شَهْرُ رَمَضَانَ المُبَارَكُ: فَإِنَّ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ التَّوْبَةِ ـ مِنْ حُقُوقِ اللهِ، وَحُقُوقِ عِبَادِ اللهِ ـ هُوَ المَنْهَجُ الصَّحِيْحُ فِي اسْتِقْبَالِ هَـٰذَا الشَّهْرِ الكَرِيْمِ، فِي الوَقْتِ الَّذِيْ جَهِلَ فِيْهِ كَثِيْرٌ مِنَ المُسْلِمِيْنَ ـ هَدَاهُمُ اللهُ ـ الاِسْتِقْبَالَ الشَّرْعِيَّ وَالمَعْنَوِيَّ لِهَـٰذَا الشَّهْرِ المُبَارَكِ، وَعَدَلُوا فِي اسْتِقْبَالِهِ إِلَىٰ أُمُورٍ شَكْلِيَّةٍ وَمَادِّيَّةٍ، يُتَرْجِمُ عَنْهَا حَالُ كَثِيْرٍ مِنَ النَّاسِ فِي هَـٰذِهِ الأَيَّامِ؛ وَهُمْ يَتَزَاحَمُونَ فِي الأَسْوَاقِ؛ اسْتِعْدَادًا لِرَمَضَانَ ـ بِزَعْمِهِمْ ـ فَمَا هَـٰكَذَا

(١) رواه الطيالسي (٢٠٥٠)، وأحمد (٢/ ٢١)، وأبوداود (١٥١٦)، والترمذي (٣٤٣٤).

(٢) «صحيح البخاري» (٦٣٠٧).



تُورَدُ الإِبْلُ[1] أَيُّهَا المُسْلِمُونَ، وَمَنْ أَرَادَ التَّوْفِيقَ لِحُسْنِ الصِّيَامِ وَالقِيَامِ، فَعلَيْهِ أَنْ يَأْخُذَ بِأَسْبَابِ ذٰلِكَ؛ مِنَ التَّوْبَةِ وَالاسْتِغْفَارِ، وَالإِقْبَالِ عَلَى اللهِ جَلَّ وَعَلاَ؛ لِيَحُوزَ عَلَى المَغْفِرَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالعِتْقِ مِنَ النَّارِ فِي أَيَّامِ وَلَيَالِي هَـٰذَا الوَافِدِ الكَرِيْمِ، وَهَـٰذَا الضَّيْفِ العَظِيْمِ؛ فَانْظُرُوا ـ رَحِمَكُمُ اللهُ ـ مَاذَا أَعْدَدتُّمْ لَهُ مِنْ عَمَلٍ وَتَوْبَةٍ؟!

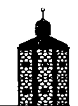
هَـٰذَا؛ وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا ـ رَحِمَكُمُ اللهُ ـ عَلَىٰ سَيِّدِ الأَوَّلِيْنَ وَالآخِرِيْنَ؛ كَمَا أَمَرَكُمْ بِذٰلِكَ رَبُّ العَالَمِيْنَ؛ فَقَال تَعَالَىٰ قَوْلاً كَرِيْمًا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب].

* * *

(١) هَـٰذَا مَثَلٌ، وَأَصْلُهُ شِعْرٌ قَالَهُ مَالِك بن زيد مناة لأخيه سعد؛ حيث قَصَّرَ سَعْدٌ في إيراد إبل أخيه مالك، فقال له:

أَوْرَدَهَا سَعْدٌ وَسَعْـدٌ مُشْتَمِـلْ ... مَا هَـٰكَذَا يَا سَعْدُ تُوْرَدُ الإِبِلْ!

وهو مَثَلٌ يضرب لمن قَصَّر في الأمر. انظر: «مجمع الأمثال» (٢/ ٣٦٤).

الخطبة الأولى

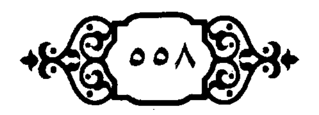
الحَمْدُ للهِ الَّذِيْ تَفَرَّدَ بِالدَّوَامِ وَالبَقَاءِ، وَكَتَبَ عَلَىٰ أَهْلِ هَـٰذِهِ الدُّنْيَا الفَنَاءَ[1]، وَجَعَلَهَا دَارَ امْتِحَانٍ وَابْتِلاَءٍ، وَجَعَلَ القُبُورَ بَعْدَهَا لأَهْلِ الإِيْمَانِ خَيْرَ فِنَاءٍ[1]، أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ وَهُوَ أَهْلُ الحَمْدِ وَالثَّنَاءِ، وَأَشْكُرُهُ فِي السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ، وَالشِّدَّةِ وَالرَّخَاءِ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلـٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ، وَاسِعُ العَطَاءِ، ذُو العَظَمَةِ وَالجَلاَلِ وَالكِبْرِيَاءِ، المُنَزَّهُ عَنِ الأَنْدَادِ وَالشُّرَكَاءِ، وَ المُتَعَالِي عَنِ الأَمْثَالِ وَالنُّظَرَاءِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ سَيِّدُ الأَصْفِيَاءِ، وَخَاتَمُ الأَنْبِيَاءِ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ الأَتْقِيَاءِ، وَصَحْبِهِ الأَوْفِيَاءِ، وَالتَّابِعِيْنَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ مَا دَامَتِ الأَرْضُ وَالسَّمَاءُ.

أمّا بعد:

فَأُوْصِيْكُمْ ـ عِبَادَ اللهِ ـ بِتَقْوَىٰ اللهِ عَلاَّمِ السَّرَائِرِ، فَاتَّقُوهُ جَلَّ وَعَلاَ فِي

(١) الْفَنَاء ـ بفتح الفاء ـ: نقيض البقاء، والفِنَاء ـ بكسرها ـ: المُتَّسَعُ أمامَ الدار. «اللسان» (فني).



البَاطِنِ وَالظَّاهِرِ ؛ فَإِنَّ تَقْوَاهُ سُبْحَانَهُ أَفْضَلُ زَادٍ يُؤْنِسُ فِي المَقَابِرِ، وَخَيْرُ مَا أُعِدَّ لِلْيَوْمِ الآخِرِ، يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ، وَيُكْشَفُ مَا فِي الضَّمَائِرِ ؛ يَوْمَ الآزِفَةِ إِذِ القُلُوبُ لَدَى الحَنَاجِرِ، يَوْمَ لاَ تَنْفَعُ الأَمْوالُ وَلاَ الذَّخَائِرُ[١].

عِبَادَ اللهِ، مَنِ الَّذِي تَفَرَّدَ بِالبَقَاءِ والدَّوَامِ؟! مَنِ الَّذِيْ كَتَبَ المَوْتَ عَلَىٰ جَمِيْعِ الأَنَامِ؟! مَنِ الحَيُّ الَّذِيْ لاَيَمُوتُ؟! وَمَنِ الوَاحِدُ الَّذِيْ لاَ يَفُوتُ؟! مَنِ البَاقِيْ فَلا يَزُولُ، وَالأَحَدُ الَّذِيْ لاَ يَتَغَيَّرُ وَلاَ يَحُولُ؟! سُبْحَانَهُ هُوَ اللهُ الوَاحِدُ القَهَّارُ، العَزِيزُ الجَبَّارُ! كَتَبَ المَوْتَ عَلَى العَبِيْدِ، وَتَعَالَىٰ أَنْ يَفْنَىٰ أَوْ يَبِيْدَ.

مَعَاشِرَ المُسْلِمِيْنَ، مَنْ كَانَ المَوْتُ طَالِبَهُ، كَيْفَ يَلَذُّ لَهُ قَرَارٌ؟! وَمَنْ كَانَ القَبْرُ مَنْزِلَهُ، كَيْفَ يَتَّخِذُ الدُّنْيَا أَفْضَلَ دَارٍ؟! لَقَدْ أَلْهَتْنَا الأَمْوَالُ والدُّورُ، وَشَغَلَتْنَا الأَوْلاَدُ وَالقُصُورُ، عَنِ التَّفْكِيْرِ فِي المَصِيْرِ إِلَى القُبُورِ، وَضَيَّعْنَا فِي غَمْرَةِ المُسْتَجَدَّاتِ وَالأَحْدَاثِ، مَا نَحْنُ صَائِرُونَ إِلَيْهِ مِنَ الأَجْدَاثِ[٢]، وَلَمَّا ضَعُفَ الإِحْسَاسُ وَكَثُرَ الإِمْسَاسُ، أُنْسِيْنَا الدَّفْنَ وَالإِرْمَاسَ[٣]، فَإِلَى اللهِ نَشْكُو قَسْوَةَ القُلُوبِ، مَعَ كَثْرَةِ القَوَارِعِ[٤] وَالخُطُوبِ!!

---

(١) الذخائرُ: جمعُ ذَخِيرَةٍ، وهي: ما ادُّخِرَ. «تاج العروس» (ذخر).

(٢) الأجداث: هي القبور، واحدها: جَدَثٌ، بالتحريك. «القاموس» (جدث).

(٣) الإرماس: الدَّفْنُ، تقول: «أَرْمَسْتُ الْمَيِّتَ»: إذا دفنته. «الصحاح» (رمس).

(٤) القوارع: جمع قارعة، وهي النازلة الشديدة تنزل على الإنسان بأمر عظيم، وفي =

أَيُّهَا المُسْلِمُونَ، كَمْ هُوَ شَدِيْدُ الوَقْعِ عَلَى النُّفُوسِ تَوْدِيْعُ الأَحِبَّةِ! وَكَمْ هُوَ بَالِغُ الأَثَرِ عَلَى القُلُوبِ فِرَاقُ الأَعِزَّةِ! لَـٰكِنْ مَنْ آمَنَ بِقَضَاءِ اللهِ وَقَدَرِهِ، وَعَلِمَ أَنَّ هَـٰذِهِ سُنَّةُ اللهِ فِي خَلْقِهِ، لاَيَمْلِكُ إِلاَّ الرِّضَا وَالتَّسْلِيمَ، وَلَـٰكِنَّ العَجَبَ ـ أَيُّهَا المُسْلِمُونَ ـ أَنَّ كَثِيْرًا مِنَ النَّاسِ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ، وَفِيْ سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ؛ ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١﴾[الأنبياء]؛ كَأَنَّ الحَقَّ فِيْهَا عَلَىٰ غَيْرِهِمْ وَجَبَ! وَكَأَنَّ المَوْتَ فِيْهَا عَلَىٰ غَيْرِهِمْ كُتِبَ! مَا أَحْوَجَنَا وَقَدْ غَمَرَتْنَا المَادِّيَّاتُ، وَشَغَلَتْنَا المُلْهِيَاتُ وَالمُغْرِيَاتُ، وَغَرِقْنَا فِي المَلَذَّاتِ وَالمُشْتَهَيَاتِ، حَتَّىٰ تَمَكَّنَتْ مِنَ القُلُوبِ، وَسَيْطَرَتْ عَلَى النُّفُوسِ، حَتَّىٰ لَكَأَنَّنَا فِي هَـٰذِهِ الدُّنْيَا مُخَلَّدُونَ! مَا أَحْوَجَنَا ـ وَالحَالَةُ هَـٰذِهِ ـ أَنْ نَقِفَ قَلِيلاً لِلتَّفْكِيْرِ فِي المَصِيْرِ المَحْتُومِ بَعْدَ أَنْ كَادَتِ الدُّنْيَا تَحِيْدُ بِفِئَامٍ مِنَ النَّاسِ عَنْ شَاطِيءِ السَّلاَمَةِ، وَتَقْذِفُ بِهِمْ إِلَىٰ دَرَكِ الهَلاَكِ وَالغَوَايَةِ، عِيَاذًا بِاللهِ مِنْ سَخَطِهِ، وَأَلِيْمِ عِقَابِهِ!

أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ، هَل سَأَلْنَا أَنْفُسَنَا هَلْ تَدُومُ الحَيَاةُ عَلَىٰ هَـٰذِهِ الحَالِ، أَوْ أَنَّ القَبْرَ هُوَ المَصِيْرُ وَالمَآلُ؟! هَلْ سَأَلْنَا أَنْفُسَنَا عَنْ هَـٰذِهِ الجَنَائِزِ، وَعَشَرَاتِ الأَمْوَاتِ الَّذِيْنَ نُصَلِّيْ عَلَيْهِمْ، أَيْنَ هُمْ ذَاهِبُونَ؟! وَعَلَىٰ مَاذَا سَيَقْدَمُونَ؟! مَا

= حديث أبي أمامة، رضي الله عنه: «مَنْ لَمْ يَغْزُ أَوْ يُجَهِّزْ غَازِيًا، أَصَابَهُ اللهُ بِقَارِعَةٍ» أي: بداهية تهلكه. «اللسان» (قرع).

هِيَ أَحْوَالُهُمْ؟! وَمَاذَا يُفْعَلُ بِهِمْ؟! وَمَا هُوَ مَصِيْرُهُمْ؟! وَللهِ دَرُّ القَائِلِ:

هُوَ المَوْتُ مَا مِنْهُ مَلاَذٌ وَمَهْرَبُ ... مَتَىٰ حَطَّ ذَا عَنْ نَعْشِهِ ذَاكَ يَرْكَبُ[1]

نُـؤَمِّـلُ آمَـالاً وَنَبْغِـيْ نِتَـاجَهَـا ... وَعَلَّ الرَّدَىٰ مِمَّا نُرَجِّيْهِ أَقْرَبُ

وَنَبْنِيْ القُصُورَ المُشْمَخِرَّاتِ[2] فِي الهَوَا ... وَفِي عِلْمِنَا أَنَّا نَمُوتُ وَتَخْرَبُ

إِلَى اللهِ نَشْكُو قَسْوَةً فِي قُلُوبِنَا ... وَفِيْ كُلِّ يَوْمٍ وَاعِظُ المَوْتِ يَنْدُبُ

فَلِلَّـهِ كَـمْ غَـادٍ حَبِيْـبٍ وَرَائِـحٍ ... نُشَيِّعُهُ لِلْقَبْرِ والدَّمْعُ يَسْكُبُ!

نُهِيْـلُ عَلَيْـهِ التُّـرْبَ حَتَّـىٰ كَـأَنَّـهُ ... عَدُوٌّ وفِي الأَحْشَاءِ نَارٌ تَلَهَّبُ[3]

لَقَدْ ضَمَّتِ القُبُورُ الأَوَائِلَ وَالأَوَاخِرَ، وَدَخَلَهَا الأَصَاغِرُ وَالأَكَابِرُ، وَامْتَلأَتْ بِالمَأْمُورِ وَالآمِرِ؛ ضَمَّتِ الأَنْبِيَاءَ والعُلَمَاءَ، وَالأَغْنِيَاءَ وَالفُقَرَاءَ، وَالمَرْءُوسِيْنَ وَالرُّؤَسَاءَ، وَالرِّجَالَ وَالنِّسَاءَ.

أَلقَبْرُ بَابٌ وَكُلُّ النَّاسِ دَاخِلُهُ ... فَلَيْتَ شِعْرِيَ بَعْدَ القَبْرِ مَا الدَّارُ؟!

أَلدَّارُ دَارُ نَعِيْمٍ إِنْ عَمِلْتَ بِمَا ... يُرْضِيْ الإِلـٰهَ وَإِنْ خَالَفْتَ فَالنَّارُ!

---

(١) يقال: حَطَّ فلانٌ حطًّا: نَزَلَ، والنَّعْشُ: السرير الذي يكون فيه الميّت ليُحْمَلُ عليه. «تاج العروس» (حطط) (نعش).

(٢) المُشْمَخِرَّاتُ، أي: العاليات، جمع مشمخرٍّ، وهو الطويل من الجبال. «اللسان» (شمخر)؛ شبه به القصر العالي.

(٣) الأبيات مختارة من قصيدة بائية لشاعر نجد الكبير محمد بن عبدالله بن عثيمين. انظر: القصيدة السادسة عشرة من كتاب «مهلا يا جامع الدنيا» (ص٥١)، ومراجعه.



دَعُونَا ـ أَيُّهَا الإِخْوَةُ فِي اللهِ ـ نَعِيْشُ مَعَ هَـٰذَا الحَدَثِ العَظِيْمِ، الَّذِيْ يُصَوِّرُ عَظَمَةَ هَـٰذِهِ المَوَاقِفِ، وَمَا نَحْنُ قَادِمُونَ عَلَيْهِ، عَلَّنَا نُعِدُّ لِلأَمْرِ عُدَّتَهُ وَنَأْخُذُ لَهُ أُهْبَتَهُ؛ رَوَى الإِمَامُ أَحْمَدُ، وَأَبُودَاوُدَ، وَالنَّسَائِيُّ، وَابْنُ مَاجَهْ، والحَاكِمُ ـ بِسَنَدٍ صَحِيْحٍ ـ عَنِ البَرَاءِ بنِ عَازِبٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي جَنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى القَبْرِ، وَلَمَّا يُلْحَدْ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ، كَأَنَّ عَلَىٰ رُءُوسِنَا الطَّيْرَ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ فِي الأَرْضِ؛ فَرَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: **«اسْتَعِيْذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ»** مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثًا، ثُمَّ قَالَ ـ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ ـ: **«إِنَّ العَبْدَ المُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِقْبَالٍ مِنَ الآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ، بِيْضُ الوُجُوهِ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الجَنَّةِ، حَتَّىٰ يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ البَصَرِ، ثُمَّ يَجِيْءُ مَلَكُ المَوْتِ ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ حَتَّىٰ يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، اخْرُجِيْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ، قَالَ: فَتَخْرُجُ تَسِيْلُ كَمَا تَسِيْلُ القَطْرَةُ مِنْ فِي السِّقَاءِ(١)، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا، لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، حَتَّىٰ يَأْخُذُوهَا فَيَجْعَلُوهَا فِي ذٰلِكَ الكَفَنِ، وَفِي ذٰلِكَ**

(١) قوله ﷺ: «كما تسيل القطرة من في السقاء» أي: تخرج بسهولة. ذكره السندي في حاشيته على «المسند». انظر: «مسند الإمام أحمد» (٣٠/ ٥٠٥).



الحَنُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَىٰ وَجْهِ الأَرْضِ، قَالَ: فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلاَ يَمُرُّونَ عَلَىٰ مَلأٍ مِنَ المَلاَئِكَةِ إِلاَّ قَالُوا: مَا هَـٰذِهِ الرُّوحُ الطَّيِّبَةُ؟ فَيَقُولُونَ: هَـٰذِهِ رُوحُ فُلاَنِ بنِ فُلاَنٍ - بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِيْ كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا - حَتَّىٰ يَنْتَهُوا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْتَفْتِحُونَ فَيُفْتَحُ لَهُ، فَيُشَيِّعُهُ[(١)] مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِيْ تَلِيْهَا، حَتَّىٰ يَنْتَهُوا بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: «اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّيْنَ، وَأَعِيْدُوهُ إِلَى الأَرْضِ، فَإِنِّيْ مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيْهَا أُعِيْدُهُمْ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ»، قَالَ: فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، فَيَأْتِيْهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَسْأَلاَنِهِ: عَنْ رَبِّهِ، وَدِيْنِهِ، وَنَبِيِّهِ ﷺ، فَيُجِيْبُ، فَيُنَادِيْ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِيْ؛ فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَاباً إِلَى الجَنَّةِ، فَيَأْتِيْهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيْبِهَا[(٢)]، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبرِهِ مَدُّ بَصَرِهِ، وَيَأْتِيْهِ رَجُلٌ حَسَنُ الوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرِّيْحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِيْ يَسُرُّكَ، هَـٰذَا يَوْمُكَ الَّذِيْ كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الوَجْهُ الَّذِيْ يَأْتِي بِالخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، فَيَقُولُ: رَبِّ، أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّىٰ أَرْجِعَ إِلَىٰ أَهْلِيْ وَمَالِيْ!.

---

(١) يشيِّعه، أي: يَتْبَعُهُ؛ تكريمًا له. انظر: المرجع السابق.
(٢) يأتيه من رَوْحِهَا وطيبها، أي: يأتيه ما لا يُوصَفُ كُنْهُهُ. انظر: المرجع السابق.

قَالَ: وَإِنَّ العَبْدَ الكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِقْبَالٍ مِنَ الآخِرَةِ، نَزَلَ عَلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلاَئِكَةٌ سُودُ الوُجُوهِ، مَعَهُمُ المُسُوحُ، وَهُوَ اللِّبَاسُ الخَشِنُ المَمْقُوتُ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ البَصَرِ، ثُمَّ يَجِيْءُ مَلَكُ المَوْتِ، فَيَجْلِسُ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الخَبِيْثَةُ، اخْرُجِيْ إِلَىٰ سَخَطٍ مِنَ اللهِ وَغَضَبٍ، فتفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ، فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ[1] مِنَ الصُّوفِ المَبْلُولِ، فَيأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا، لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، حَتَّىٰ يَجْعُلُوهَا فِي تِلْكَ المُسُوحِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنْتَنِ رِيْحِ جِيْفَةٍ وُجِدَتْ عَلَىٰ وَجْهِ الأَرْضِ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلاَ يَمُرُّونَ عَلَىٰ مَلأٍ مِنَ المَلاَئِكَةِ إِلاَّ قَالُوا: مَا هَـٰذِه الرُّوحُ الخَبِيْثَةُ؟ فَيَقُولُونَ: رُوحُ فُلاَنِ بْنِ فُلاَنٍ ـ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِيْ كَانَ يُسَمَّىٰ بِهَافِي الدُّنْيَا ـ حَتَّىٰ يُنْتَهَىٰ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيُسْتَفْتَحُ فَلاَ يُفْتَحُ لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾[الأعراف: ٤٠]، فَيَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: «اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِيْ فِي سِجِّيْنٍ، فِي الأَرْضِ السُّفْلَىٰ»، فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾[الحج]، فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيْهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَسْأَلاَنِهِ: عَنْ رَبِّهِ، وَدِيْنِهِ، وَنَبِيِّهِ، فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ[2]، لاَ أَدْرِيْ، فَيُنَادِيْ

---

(١) السَّفُّود: حديدة يُشْوَىٰ بها اللحم، وجمعها: سفافيد. انظر: المرجع السابق.

(٢) هاهْ هاهْ: كلمة يقولها المتحيِّر في الكلام. انظر: المرجع السابق.



مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ كَذَبَ عَبْدِيْ[1]؛ فَأَفْرِشُوهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَاباً إِلَى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّىٰ تَخْتَلِفُ أَضْلاَعُهُ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيْحُ الوَجْهِ، قَبِيْحُ الثِّيَابِ، مُنْتِنُ الرِّيْحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِيْ يَسُوءُكَ، هَـٰذَا يَوْمُكَ الَّذِيْ كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الوَجْهُ الَّذِيْ يَأْتِيْ بِالشَّرِّ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الخَبِيْثُ، فَيَقُولُ: رَبِّ لاَ تُقِمِ السَّاعَةَ! رَبِّ لاَتُقِمِ السَّاعَةَ!»[2].

يَالَهُ مِنْ حَدِيْثٍ عَظِيْمٍ، يَأْخُذُ بِمَجَامِعِ القُلُوبِ! وَإِنَّهُ لَجَدِيْرٌ بِمَنْ كَانَ المَوْتُ مَصْرَعَهُ، وَالتُّرَابُ مَضْجَعَهُ، وَالدُّودُ أَنِيْسَهُ، وَمُنْكَرٌ وَنَكِيْرٌ سَائِلَهُ وَعَمَلُهُ جَلِيْسَهُ، وَالقَبْرُ مَقَرَّهُ، وَالبَرْزَخُ مُسْتَقَرَّهُ، وَالقِيَامَةُ مَوْعِدَهُ، وَالجَنَّةُ أَوِ النَّارُ مَوْرِدَهُ: أَلاَّ يَغْفُلَ عَنْ هَـٰذِهِ اللَّحَظَاتِ الحَاسِمَةِ؛ رَوَى الإِمَامُ أَحْمَدُ، وَابْنُ مَاجَهْ ـ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ ـ عَنِ البَرَاءِ بنِ عَازِبٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذْ بَصُرَ بِجَمَاعَةٍ، فَقَالَ: «عَلاَمَ اجْتَمَعَ هَـٰؤُلاَءِ؟» قِيْلَ: عَلَىٰ قَبْرٍ يَحْفِرُونَهُ، فَفَزِعَ النَّبِيُّ ﷺ، فَبَدَرَ بَيْنَ

(١) قوله ﷺ: «أن كذب عبدي» أي: فيما قال: «لا أدري»؛ لأن دين الله، ونبوة رسوله: كان ظاهرًا. انظر: المرجع السابق.
(٢) «المسند» (٤/ ٢٨٧)، و«سنن أبي داود» (٤٧٥٣)، و«سنن النسائي» (٤/ ٧٨)، و«سنن ابن ماجه» (١٥٤٩)، و«المستدرك» (١/ ٣٧-٣٨).



أَصْحَابِهِ مُسْرِعًا، حَتَّى انْتَهَىٰ إِلَى القَبْرِ، فَجَثَا عَلَيْهِ فَبَكَىٰ، حَتَّىٰ بَلَّ الثَّرَىٰ مِنْ دُمُوعِهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا فقَالَ: «**أَيْ إِخْوانِيْ، لِمِثْلِ هَـٰذَا اليَوْمِ فَأَعِدُّوا**»[١].

وَهَـٰكَذَا كَانَ السَّلَفُ الصَّالِحُ ـ رَحِمَهُمُ اللهُ ـ فَعَنْ هَانِىءٍ مَولَىٰ عُثْمَانَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: كَانَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ ـ إِذَا وَقَفَ عَلَى القَبْرِ يَبْكِيْ حَتَّىٰ تَبْتَلَّ لِحْيَتُهُ، فَقِيْلَ لَهُ: تَذْكُرُ الجَنَّةَ وَالنَّارَ فَلاَ تَبْكِيْ، وَتَذْكُرُ القَبْرَ فَتبْكِي؟! فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ القَبْرَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الآخِرَةِ؛ فَإِنْ نَجَا مِنْهُ، فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ، فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ**»[٢].

وَقَالَ ثَابِتٌ البُنَانِيُّ: «**كُنَّا نَشْهَدُ الجَنَازَةَ، فَلاَ نَرَىٰ إِلاَّ مُطْرِقًا بَاكِيًا**»[٣].

هَـٰكَذَا كَانَ خَوْفُ القَوْمِ وَقُوَّةُ إِيْمَانِهِمْ؛ فَكَيْفَ بِحَالِنَا اليَوْمَ؟!

تَرَوِّعُنَا الجَـنَائِزُ مُقْـبِلاَتٍ ... فَنَلْهُو حِيْنَ تَغْدُو مُدْبِرَاتِ

فَاللهُ المُسْتَعَانُ، وَقَدْ وَرَدَ أَنَّ «**القَبْرَ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ، أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النَّارِ**»[٤]، وَأَنَّهُ يُنَادِيْ: «**وَيْحَكَ يَا ابْنَ آدَمَ، مَا غَرَّكَ؟! أَلَمْ**

---

(١) رواه أحمد (٤/ ٢٩٤)، وابن ماجه (٤١٩٥).

(٢) رواه أحمد (٢/ ٢٩٢)، والترمذي (٢٣٠٨)، وابن ماجه (٤٢٦٧).

(٣) انظر: «شعب الإيمان» (٩٢٧٣).

(٤) انظر: «جامع الترمذي» (٢٤٦٠).



تَعْلَمْ أَنِّي بيَتُ الظُّلمَةِ، وبيَتُ الغُرْبَةِ، وبيَتُ الوَحْدَةِ، وبيَتُ الدُّودِ؟!»[١].

أتَيْتُ القُبُورَ فَنَادَيْتُهَا ... فَأَيْنَ المُعَظَّمُ والمُحْتَقَرْ؟!

تفَانَوْا جَمِيْعًا فَمَا مُخْبِرٌ ... وَمَاتُوا جَمِيْعًا وَمَاتَ الخَبَرْ

تَرُوحُ وتَغْدُو بنَاتُ الثَّرَىٰ[٢] ... فَتُلْغِي مَحَاسِنَ تِلْكَ الصُّوَرْ

فَيَا سَائِلِي عَنْ أُنَاسٍ مَضَوْا ... أَمَالَكَ فِيْمَنْ مَضَىٰ مُعْتَبَرْ؟!

كَانَ أَبُو الدَّرْدَاءِ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ يَقْعُدُ إِلَى القُبُورِ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ؟ فَقَالَ: «أَجْلِسُ إِلَى قَوْمٍ يُذَكِّرُونَنِي مَعَادِي، وَإِنْ غِبْتُ، لَمْ يَغْتَابُونِي»، وقَدْ قَالَ ﷺ: «**زُورُوا القُبُورَ؛ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمُ الآخِرَةَ**»[٣]، وَقَالَ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ: «خَرَجْتُ مَعَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِالعَزِيْزِ إِلَى المَقْبَرَةِ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى القُبُورِ، بَكَىٰ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ، فَقَالَ: يَا مَيْمُونُ، هَٰذِهِ قُبُورُ آبَاءِ بَنِي أُمَيَّةَ، كَأَنَّهُمْ لَمْ يُشَارِكُوا أَهلَ الدُّنْيَا فِي لَذَّاتِهِمْ وَعَيْشِهِمْ، أَمَا تَرَاهُمْ صَرْعَىٰ قَدْ حَلَّتْ بِهِمُ المَثُلَاتُ[٤]، وَاسْتَحْكَمَ فِيْهِمُ البَلَاءُ، وَأَصَابَ الهَوَانُ مُقَلًا فِي أَبْدَانِهِمْ؟!»، ثُمَّ بَكَىٰ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ وَقَالَ: «وَاللهِ، مَا أَعْلَمُ أَحَدًا آمَنَ مِمَّنْ صَارَ إِلَىٰ هَٰذِهِ القُبُورِ، وقَدْ أَمِنَ مِنْ عَذَابِ اللهِ تَعَالَىٰ!»، فَتَذَكَّرُوا

---

(١) المصدر السابق.

(٢) بنات الثرى، يعنى بها: دود الأرض الذي يسلَّط على الميت في قبره.

(٣) رواه مسلم (٩٧٦)، وابن ماجه (١٥٦٩)؛ من حديث أبي هريرة، رضي الله عنه.

(٤) المَثُلَات: جمع مَثُلَةٍ، وهي العقوبة. «اللسان» (مثل).



ـ رَحِمَكُمُ اللهُ ـ هَـٰذَا المَصِيْرَ المَحْتُومَ، وَاسْتَعِدُّوا لَهُ بِالتَّوْبَةِ وَالأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ.

اللَّهُمَّ، إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَعْصِمَنَا مِنْ فِتْنَةِ القَبْرِ، اللَّهُمَّ اجْعَلِ القُبُورَ بَعْدَ فِرَاقِ هَـٰذِهِ الدُّنْيَا خَيْرَ مَنَازِلِنَا، وَافْسَحْ فِيْهَا ضِيْقَ مَلَاحِدِنَا، اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى المَوْتِ وَسَكْرَتِهِ، وَالقَبْرِ وَظُلْمَتِهِ، وَالمَوْقِفِ وَكُرْبَتِهِ، وَالصِّرَاطِ وَزَلَّتِهِ[1]، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ!

أَقُولُ قَوْلِيْ هَـٰذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللهُ العَظِيْمَ الجَلِيْلَ لِيْ وَلَكُمْ وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ، فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيْمُ.

---

(١) الزَّلَّة: السَّقْطَة. «تاج العروس» (زلل).



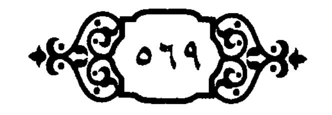
الخطبة الثانية

الحَمْدُ للهِ الرَّحِيْمِ الغَفُورِ، الحَلِيْمِ الشَّكُورِ، لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ تَصِيْرُ الأُمُورُ، أَحْمَدُهُ تَعَالَىٰ حَمْدًا يَتَجَدَّدُ فِي الرَّوَاحِ وَالبُكُورِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلـٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ، بِيَدِهِ الحَيَاةُ وَالمَوْتُ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ، شَهَادَةً تَنْفَعُ قَائِلَهَا يَوْمَ يُبَعْثَرُ مَا فِي القُبُورِ، وَيُحَصَّلُ مَا فِي الصُّدُورِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ذُو الخُلُقِ الكَرِيْمِ وَالعَمَلِ المَبْرُورِ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَتْبَاعِهِ بِإِحْسَانٍ إِلَىٰ يَوْمِ يُبَعْثَرُ ما فِي القُبُورِ، وَيُحَصَّلُ مَافِي الصُّدُورِ.

أما بعد:

فَاتَّقُوا اللهَ - عِبَادَ اللهِ - ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾ [البقرة].

عِبَادَ اللهِ، إِنَّنَا حِيْنَ نَتَحَدَّثُ عَنْ هَـٰذِهِ القَضِيَّةِ المَصِيْرِيَّةِ؛ فَإِنَّهُ لاَبُدَّ أَنْ يَرْتَكِزَ فِي حُسْبَانِ كُلِّ مُسْلِمٍ: وُجُوبُ تَحْوِيْلِ هَـٰذِهِ القَضَايَا العَقَدِيَّةِ إِلَىٰ وَاقِعٍ عَمَلِيٍّ، وَسُلُوكٍ تَطْبِيْقِيٍّ فِي حَيَاتِهِ؛ بِمَعْنَىٰ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَىٰ كُلِّ مَنْ آمَنَ بِمَصِيْرِهِ إِلَى القُبُورِ، أَنْ يَعْلَمَ يَقِيْنًا: أَنْ لا مُنْجِيَ مِنْ وَحْشَتِهَا وَعَذَابِهَا، إِلاَّ الإِيْمَانُ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالمُتَابَعَةُ لِرَسُولِهِ ﷺ، وَلَوْ صَدَقْنَا الإِيْمَانَ بِذَلِكَ، لَمَا وَجَدْنَا مَنْ يُدَنِّسُ العَقِيْدَةَ، أَو يَخْدِشُ المُتَابَعَةَ، أَوْ يَزْنِي، أَوْ يُرْبِي، أَوْ



يَظْلِمُ، أَوْ يَكْذِبُ، أَوْ يَغُشُّ، أَوْ يُؤْذِيْ؛ لأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُ رَاجِعٌ إِلَى القَبْرِ، فَمَسْئُولٌ حِيْنَذَاكَ عَنْ كُلِّ عَمَلِهِ؛ حِينَ يَرْجِعُ الأَهْلُ وَالأَوْلَادُ وَالمَالُ، وَيَبْقَى العَمَلُ وَحْدَهُ[(١)].

بِمِثْلِ هَٰذَا التَّصَوُّرِ العَقَدِيِّ وَالعَمَلِيِّ مَعًا، مِنْ أَبْنَاءِ الجِيْلِ الأَوَّلِ: فَتَحُوا المَشَارِقَ والمَغَارِبَ، وَبِجَهْلِنَا وَنِسْيَانِنَا لِهَٰذِهِ القَضَايَا: خَسِرْنَا أَسْبَابَ النَّصْرِ وَالمَعَالِيْ، وَعوامِلَ الاِسْتِقْرَارِ وَالأَمْنِ وَالطُّمَأْنِيْنَةِ، إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللهُ، لَمَّا ضَعُفَ إِيْمَانُنَا بِهَٰذِهِ الأُمُورِ، حَصَلَتِ الأَحْقَادُ وَالضَّغَائِنُ، حَتَّىٰ تَمَكَّنَ الأَعْدَاءُ، وَتَدَاعَوْا عَلَى الأُمَّةِ كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ عَلَىٰ قَصْعَتِهَا[(٢)].

وَلَكِنَّ البَشَائِرَ كَثِيْرَةٌ، وَالفَأْلَ مَطْلُوبٌ، وَوَاجِبُ العُلَمَاءِ وَالدُّعَاةِ: أَنْ يَشْحَذُوا الهِمَمَ[(٣)]، وَيُحَرِّكُوا العَزَائِمَ، وَيُرَقِّقُوا القُلُوبَ بِمِثْلِ هَٰذِهِ المَوَاعِظِ، لَعَلَّهَا تُحَرِّكُ الفَتِيْلَ، وَتُضِيْءُ المَشَاعِلَ، وَتُنِيْرُ الطَّرِيْقَ!

فَأَعِدُّوا لِلأَمْرِ عُدَّتَهُ يَا عِبَادَ اللهِ.

---

(١) إشارة إلى حديث أنس بن مالك، رضي الله عنه: «**يَتْبَعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ**». وقد تقدم تخريجه (ص١٠٣).

(٢) إشارة إلى الحديث الذي رواه أحمد (٥/ ٢٧٨)، وأبوداود (٤٢٩٧)؛ من حديث ثوبان، رضي الله عنه، ولفظ أحمد: «**يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَىٰ عَلَيْكُمُ الأُمَمُ، مِنْ كُلِّ أُفُقٍ؛ كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ عَلَىٰ قَصْعَتِهَا**»، وقولُهُ ﷺ: «**تَدَاعَى الأَكَلَةُ عَلَىٰ قَصْعَتِهَا**» أي: يدعو بعضهم بعضا، يقال: تداعت القبائل على بني فلان: إذا تألبوا ودعا بعضهم بعضًا إلى التناصر عليهم. انظر: «اللسان» (دعو).

(٣) شَحَذَ هِمَّتَهُ، أي: أَحَدَّها وقوَّاها. «تاج العروس» (شحذ).



يَا أَيُّهَا الغَافِلُونَ، تَذَكَّرُوا هَـٰذَا المَصِيرَ المَحْتُومَ، وَحَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا.

يَا أَيُّهَا المَفْتُونُونَ بِالدُّنْيَا حَلَالِهَا وَحَرَامِهَا، تَذَكَّرُوا القُبُورَ، وَتَفَكَّرُوا انْطِرَاحَكُمْ بَيْنَ أَطْبَاقِ الثَّرَىٰ.

يَا أَيُّهَا الشَّبَابُ اللَّاهِي العَابِثُ، الَّذِي غَرَّتْهُ غَفْلَتُهُ وَشَهْوَتُهُ، اسْتَيْقِظْ قَبْلَ فَوَاتِ الأَوَانِ.

يَا أَيَّتُهَا المَرْأَةُ المُضَيِّعَةُ لِحُقُوقِ اللهِ، وَحُقُوقِ نَفْسِهَا وَزَوْجِهَا وَأَوْلَادِهَا، تَذَكَّرِي مَا أَنْتِ قَادِمَةٌ عَلَيْهِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ﴾[الأنعام: ٩٤]، وَخُذُوا جَمِيعًا بِالأَسْبَابِ المُنْجِيَةِ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَهِيَ: التَّوْبَةُ النَّصُوحُ، وَالعَمَلُ الصَّالِحُ، وَمُحَاسَبَةُ النُّفُوسِ، وَالمُحَافَظَةُ عَلَى الذِّكْرِ وَالتِّلَاوَةِ وَالاسْتِغْفَارِ، مَعَ صِحَّةِ المُعْتَقَدِ، وَإِخْلَاصِ العَمَلِ، وَسَلَامَةِ الاتِّبَاعِ.

وَلْتَحْذَرُوا جَمِيعًا ـ يَا رَعَاكُمُ اللهُ ـ أَسْبَابَ عَذَابِ القَبْرِ، وَمِنْهَا: الغِيبَةُ، وَالنَّمِيمَةُ، وَعَدَمُ التَّنَزُّهِ مِنَ البَوْلِ؛ فَقَدْ مَرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِقَبْرَيْنِ، فَقَالَ: «**إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ؛ أَمَّا أَحَدُهُمَا: فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنَ البَوْلِ، وَأَمَّا الآخَرُ: فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ**»(١)، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ

(١) تقدم تخريجه (ص٤١٧).



رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اسْتَنْزِهُوا مِنَ البَوْلِ؛ فَإِنَّ عَامَّةَ عَذَابِ القَبْرِ مِنْهُ**»(١)، وَمِنْ أَسْبَابِ عَذَابِ القَبْرِ ـ وَالعِيَاذُ بِاللهِ ـ الرِّيَاءُ، وَالرِّبَا، وَالزِّنَىٰ، وَسَائِرُ المَعَاصِيْ.

فَعَلَيْنَا أَنْ نُحْدِثَ تَوْبَةً نَصُوحًا ـ يَا عِبَادَ اللهِ ـ وَعَلَيْنَا أَنْ نَسْتَعِيْذَ بِاللهِ مِنْ ضَغْطَةِ القَبْرِ وَضَمَّتِهِ؛ فَعَنْ أُمِّ المُؤْمِنِيْنَ عَائِشَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ـ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ لِلْقَبْرِ لَضَغْطَةً، لَوْ نَجَا مِنْهَا أَحَدٌ، لَنَجَا مِنْهَا سَعْدُ ابْنُ مُعَاذٍ**»(٢).

إِي وَاللهِ ـ أَيُّهَا الإِخْوَةُ ـ ظَوَاهِرُ القُبُورِ تُرَابٌ، وَبَوَاطِنُهَا لِمَنْ عَصَى اللهَ حَسَرَاتٌ وَعَذَابٌ؟!

هَٰذِهِ لَفْتَةٌ لِمُحَاسَبَةِ النُّفُوسِ، قَبْلَ حُلُولِ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ، وَمُفَرِّقِ الجَمَاعَاتِ؛ عَلَّهَا تُحْدِثُ مِنَ الجَمِيْعِ تَوْبَةً نَصُوحًا؛ بِمَنِّ اللهِ وَكَرَمِهِ!

هَٰذَا؛ وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا ـ رَحِمَكُمُ اللهُ ـ عَلَىٰ مَنْ أَمَرَكُمُ اللهُ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ، بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب].

---

(١) رواه الدارقطني (١/ ١٢٨)، والحاكم (١/ ١٨٣).

(٢) رواه إسحاق بن راهويه في «مسنده» (١١١٤)، وأحمد (٦/ ٥٥)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (٢٧٣).



الخطبة الأولى

إِنَّ الحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ، وَنَسْتَهْدِيهِ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَتُوبُ إِلَيْهِ، وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلـهَ إِلاَّ اللهُ وحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ، قَضَىٰ بِالخَيْرِ وَالعِزِّ لأَهْلِ الطَّاعَةِ وَالإِيْمَانِ، وَبِالذُّلِّ والهَوَانِ لأَهْلِ الشَّرِّ وَالعِصْيَانِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَصَفِيُّهُ وخَلِيْلُهُ، وَأَمِيْنُهُ عَلَىٰ وَحْيِهِ، بَشَّرَ وَأَنْذَرَ، وَبَلَّغَ وَجَاهَدَ فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ، فَلَم يَتْرُكْ خَيْرًا إِلاَّ دَلَّ أُمَّتَهُ عَلَيْهِ، وَلاَ شَرًّا إِلاَّ حَذَّرَهَا مِنْهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِيْنَ سَارُوا عَلَىٰ هَـدْيِهِ، وَالْتَزَمُوا شَرِيْعَتَهُ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّيْنِ.

أمَّا بعد:

فَيَا أَيُّهَا ٱلْمُسْلِمُونَ، اتَّقُوا اللهَ رَبَّكُمْ وَأَطِيْعُوهُ، وَرَاقِبُوهُ دَوْمًا وَلاَ تَعْصُوهُ.

عِبَادَ اللهِ، لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَىٰ هَـٰذِهِ الأُمَّةِ، فَجَعَلَهَا أُمَّةَ هِدَايَةٍ وَقِيَادَةٍ

وَسِيَادَةٍ، اخْتَارَهَااللهُ لأَشْرَفِ رِسَالاَتِهِ، وَاجْتبَاهَا؛ فَبَعَثَ فِيْهَاأَفْضَلَ رُسُلِهِ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهَا أَعْظَمَ كُتُبِهِ، وَوَعَدَهَا النَّصْرَ إِنْ هِيَ نَصَرتْ دِيْنَهُ، وَالكَرَامَةَ وَالعِزَّةَ إِنْ هِيَ تَمَسَّكَتْ بِكِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ، وَقَدْ كَانَ لِهَـٰذِهِ الأُمَّةِ شَرَفُ قِيَادَةِ العَالَمِ قُرُونًا طَوِيْلَةً، ثُمَّ انْتُزِعَتْ قِيَادَتُهَا، وَدَالَتْ دَوْلَتُهَا[١]، وَتَدَاعَىٰ عَلَيْهَا أَعْدَاؤُهَا، وَتَتَابَعَتْ عَلَيْهَا المَصَائِبُ، وَتَلاَحَقَتْ عَلَيْهَا المِحَنُ وَالنَّوَائِبُ، وَشَغَلَ هَـٰذَا الوَاقِعُ المُزْرِيْ، وَالوَضْعُ المُتَرَدِّيْ بَالَ الغَيُورِيْنَ مِنْ أَبْنَاءِ هَـٰذِهِ الأُمَّةِ، المُتَطَلِّعِيْنَ لِمُسْتَقْبَلِهَاالمُشْرِقِ، وَغَدِهَا المُبْهِجِ؛ بِإِذْنِ اللهِ.

وَالسُّؤَالُ هُوَ: مَا الَّذِيْ دَهَانَا مَعْشَرَ المُسْلِمِيْنَ؟! وَمَا الَّذِيْ أَصَابَ أُمَّتَنَا فَذَلَّتْ وَهَانَتْ؟! مَا الدَّوَاعِي وَالعَوَامِلُ الَّتِيْ أَوْصَلَتْهَا إِلَىٰ حَضِيْضِ الغَبْرَاءِ[٢]، بَعْدَ أَنْ كَانَتْ فِي ذُرَا العَلْيَاءِ؟! ما الَّذِيْ جَرَّهَا إِلىٰ هَـٰذَا المُنْحَدَرِ العَمِيْقِ، وَطَوَّحَ بِهَا فِي أَعْمَاقِ هَـٰذَا الوَاقِعِ السَّحِيْقِ؟!.

وَالجَوَابُ - الَّذِيْ لاَيَخْتَلِفُ فِيْهِ اثْنَانِ - هُو: أَنَّ سَبَبَ ذٰلِكَ كُلِّهِ الوُقُوعُ فِي الذُّنُوبِ وَالمَعَاصِيْ، وَمِمَّا لاَ يَقْبَلُ الجَدَلَ: أَنَّ للهِ تعَالَىٰ - فِي

(١) دَالَتْ دَوْلَتُهَا، أَي: انتقَلَ أَمْرُهَا مِنَ الرَّخاءِ إلى الشِّدَّة، وصارتِ الدولةُ والغلبةُ لأعدائها. انظر: «النهاية» (دول).

(٢) الغبراء: الأرضُ؛ لِغُبْرَةِ لونها، أو لما فيها من الغبار. «اللسان» (غبر)، وحضيض الغبراء: قرار الأرض. «النهاية» (حضض).



هَـٰذِهِ الحَيَاةِ ـ سُنَنًا لَنْ تَتَغَيَّرَ فِي الكَوْنِ وَالخَلْقِ ولَنْ تَتَبَدَّلَ، وَفِيْ حَيَاةِ الأَفْرَادِ وَالأُمَمِ والشُّعُوبِ لَنْ تَتَحَوَّلَ؛ فَالأُمَّةُ الَّتِيْ تَسِيْرُ عَلَىٰ شَرْعِ اللهِ، وَنَهْجِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ـ تَصِلُ إِلَىٰ مُبْتَغَاهَا، وَتَنَالُ مُنَاهَا، وَاللهُ سُبْحَانَهُ ـ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ ـ يُسَدِّدُهَا وَيَنْصُرُهَا وَيَرْعَاهَا، وَلَيْسَ بَيْنَ اللهِ وَبَيْنَ أَحَدٍ مِن خَلْقِهِ حَسَبٌ وَلاَنَسَبٌ، وَإِذَا تَرَكَتِ الأُمَّةُ أَمْرَ رَبِّهَا، وَخَالَفَتْ أَحْكَامَ دِينِهَا، وَتَنَكَّبَتْ سُنَّةَ رَسُولِهَا ﷺ ـ سَلَكَ اللهُ بِهَا طَرِيْقَ العَنَاءِ وَالشَّقَاءِ حَتَّىٰ تُرَاجِعَ دِيْنَهَا، ومَا أَهْوَنَ الخَلْقَ عَلَى اللهِ، إِنْ هُمْ أَضَاعُوا أَمْرَهُ وَجَاهَرُوا بِمَعْصِيَتِهِ، وَقَصَّرُوا فِي أَحْكَامِ دِيْنِهِ، وَهَلْ عُذِّبَتْ أُمَّةٌ مِنَ الأُمَمِ فِي القَدِيْمِ وَالحَدِيْثِ إِلاَّ بِسَبَبِ ذُنُوبِهَا؟! ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[الرعد: ١١]، ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورىٰ]. وفِي الحَدِيثِ المُتَّفَقِ عَلَيْهِ، عَنْ أَبِيْ هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ يَغَارُ، وَغَيْرَةُ اللهِ أَنْ يَأْتِيَ المُؤْمِنُ مَا حَرَّمَ اللهُ**»(١).

رَأَيْتُ الذُّنُوبَ تُمِيتُ القُلُوبَ ... وَقَدْ يُورِثُ الذُّلَّ إِدْمَانُهَا
وَتَرْكُ الذُّنُوبِ حَيَاةُ القُلُوبِ ... وَخَيْرٌ لِنَفْسِكَ عِصْيَانُهَا(٢)

---

(١) «صحيح البخاري» (٥٢٢٣)، و«صحيح مسلم» (٢٧٦١).
(٢) البيتان لعبدالله بن المبارك. انظر: «الجواب الكافي» لابن القيم (ص٨٤)، و«شرح العقيدة الطحاوية» (ص٢٣٥).



أُمَّةَ الإِسْلَامِ، إِنَّ للمَعَاصِيْ وَالذُّنُوبِ، أَثَرًا بَالِغًا عَلَى الأَبْدَانِ وَالقُلُوبِ، وَشُؤْمًا وَاضِحًا فِي حَيَاةِ الأُمَمِ والشُّعُوبِ.

قَالَ الإِمَامُ العَلَّامَةُ ابْنُ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ - فِي ذَٰلِكَ مَاخُلَاصَتُهُ: «**فَمِمَّا يَنْبَغِيْ أَنْ يُعْلَمَ**: أَنَّ الذُّنُوبَ وَالمَعَاصِيَ تَضُرُّ، وَلَاشَكَّ أَنَّ ضَرَرَهَا فِي القُلُوبِ كَضَرَرِ السُّمُومِ فِي الأَبْدَانِ، وَهَلْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرةِ شَرٌّ وَدَاءٌ إِلاَّ سَبَبُهُ الذُّنُوبُ والمَعَاصِيْ؟! :

فَمَا الَّذِيْ أَخْرَجَ الوَالِدَيْنِ مِنَ الجَنَّةِ؟! وَما الَّذِيْ أَخْرَجَ إِبْلِيْسَ مِنْ مَلَكُوتِ السَّمَاءِ، وَطَرَدَهُ وَلَعَنَهُ، وَمَسَخَ ظَاهِرَهُ وَبَاطِنَهُ، وَبدَّلَهُ بِالقُرْبِ بُعْدًا، وَبِالرَّحْمَةِ لَعْنًا، وَبِالجَمَالِ قُبْحًا، وَبِالجَنَّةِ نَارًا تَلَظَّىٰ؟!

وَمَا الَّذِيْ أَغْرَقَ أَهْلَ الأَرْضِ كُلَّهُمْ، حَتَّىٰ عَلَا المَاءُ رُءُوسَ الجِبَالِ؟! وَمَا الَّذِيْ سَلَّطَ الرِّيْحَ العَقِيْمَ عَلَىٰ قَوْمِ عَادٍ حَتَّىٰ أَلْقَتْهُمْ مَوْتَىٰ عَلَىٰ وجْهِ الأَرْضِ كَأَنَّهُمْ أَعْجازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ، وَدَمَّرَتْ مَاعَلَيْهِ مِنْ دِيَارِهِمْ وَحُرُوثِهِمْ، وَزُرُوعِهِمْ وَدَوَابِّهِمْ، حَتَّىٰ صَارُوا عِبْرَةً لِلأُمَمِ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ؟!

وَمَا الَّذِيْ أَرْسَلَ عَلَىٰ قَوْمِ ثَمُودَ الصَّيْحَةَ حَتَّىٰ قَطَّعَتْ قُلُوبَهُمْ فِي أَجْوَافِهِمْ، وَمَاتُوا عَنْ آخِرِهِمْ؟! وَمَا الَّذِيْ رَفَعَ قُرَى اللُّوطِيَّةِ ثُمَّ قَلَبَهَا عَلَيْهِمْ؛ فَجَعَلَ عَالِيَهَا سَافِلَهَا حَتَّىٰ أَهْلَكَهُمْ جَمِيْعًا، ثُمَّ أَتْبَعَهُمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيْلٍ أَمْطَرَهَا عَلَيْهِمْ، وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِيْنَ بِبَعِيْدٍ؟! وَمَا الَّذِيْ أَرْسَلَ عَلَىٰ قَوْمِ شُعَيْبٍ سَحَابَ العَذَابِ كَالظُّلَلِ، فَلَمَا صَارَ فَوْقَ رُءُوسِهِمْ،



أَمْطَرَ عَلَيْهِمْ نَارًا تَلَظَّىٰ؟!

وَمَا الَّذِيْ أَغْرَقَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ فِي البَحْرِ، ثُمَّ نُقِلَتْ أَرْوَاحُهُمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ؛ فَالأَجْسَادُ لِلْغَرَقِ، وَالأَرْوَاحُ لِلْحَرَقِ؟! وَمَا الَّذِيْ خَسَفَ بِقَارُونَ دَارَهُ وَمَالَهُ وَأَهْلَهُ؟! وَمَا الَّذِيْ أَهْلَكَ القُرُونَ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ بِأَنْوَاعِ العُقُوبَاتِ وَدَمَّرَهَا تَدْمِيْرًا؟!

وَمَا الَّذِيْ بَعَثَ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَوْمًا ﴿أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝٥﴾[الإسراء]، وَقَتَلُوا الرِّجَالَ، وَسَبَوُا الذَّرَارِيَ وَالنِّسَاءَ، وَأَحْرَقُوا الدِّيَارَ، وَنَهَبُوا الأَمْوالَ، ثُمَّ بَعَثَهُمْ عَلَيْهِمْ مَرَّةً ثَانِيَةً، فَأَهْلَكُوا مَاقَدَرُوا عَلَيْهِ، ﴿وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ۝٧﴾[الإسراء]؟! وَمَا الَّذِيْ سَلَّطَ عَلَيْهِمْ أَنْوَاعَ العَذَابِ وَالعُقُوبَاتِ؛ مَرَّةً بِالقَتْلِ وَالسَّبْيِ وَخَرَابِ البِلَادِ، وَمَرَّةً بِجَوْرِ المُلُوكِ، وَمَرَّةً بِمَسْخِهِمْ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ؟! وَآخِرُ ذٰلِكَ أَقْسَمَ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ﴾[الأعراف: ١٦٧]»[1].

وَمَضَىٰ - رَحِمَهُ اللهُ - يُعَدِّدُ عُقُوبَاتِ الذُّنُوبِ وَالمَعَاصِي، وَآثَارَهَا عَلَى القَلْبِ وَالبَدَنِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، مُسْتَقْرِئًا نُصُوصَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، مُتَتَبِّعًا أَحْدَاثَ الأُمَمِ وَالقُرُونِ، وَتَارِيْخَ المُكَذِّبِيْنَ وَالمُعَانِدِيْنَ.

وَمِنْ عُقُوبَاتِ المَعَاصِيْ: حِرْمَانُ العِلْمِ وَالرِّزْقِ، وَالوَحْشَةُ، وَالعُسْرُ،

---

(١) «الجواب الكافي» (ص٦٠، ٦١).



وَالظُّلْمَةُ، وَوَهَنُ القَلْبِ وَالبَدَنِ، وَحِرْمَانُ الطَّاعَةِ، وَمَحْقُ البَرَكَةِ، وَهَوَانُ العَبْدِ عَلَى اللهِ؛ ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾﴾ [الحج]، وَفَسَادُ العَقْلِ، وَضَعْفُ العَزِيْمَةِ، وَالخَتْمُ عَلَى القُلُوبِ، وَإِطْفَاءُ نَارِ الغَيْرَةِ، وَذَهَابُ الحَيَاءِ، وَإِزَالَةُ النِّعَمِ، وَإِحْلَالُ النِّقَمِ، وَالخَوْفُ، وَالرُّعْبُ، والقَلَقُ، وَعَمَى البَصِيْرَةِ، وَمَنْعُ القَطْرِ، وَحُصُولُ أَنْوَاعِ العَذَابِ وَالبَلَاءِ وَالنَّكَالِ وَالشَّقَاءِ فِي الدُّنْيَا، وَفِي القَبْرِ، وَفِي يَوْمِ القِيَامَةِ.

وَبِالجُمْلَةِ: فَكُلُّ شَرٍّ وَفَسَادٍ فِي المَاءِ وَالهَوَاءِ، وَالزُّرُوعِ وَالثِّمَارِ، وَالمَسَاكِنِ وَالعِبَادِ وَالبِلَادِ، وَالبَرِّ والجَوِّ وَالبَحْرِ، والعَاجِلِ وَالآجِلِ - **فَسَبَبُهُ: الذُّنُوبُ وَالمَعَاصِي**، وَقَدْ جَاءَ كِتَابُ اللهِ الكَرِيْمُ بِمَا يُؤَكِّدُ هَـٰذِهِ السُّنَنَ - لَاسِيَّمَا عِنْدَ ذِكْرِ قَصَصِ المُكَذِّبِيْنَ مِنَ الأُمَمِ السَّابِقَةِ - لِيَكُونَ فِيْهَا عِبْرَةٌ وَعِظَةٌ وَمُزْدَجَرٌ، وَذِكْرَىٰ ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [ق]، يَقُولُ اللهُ جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت].

إِذَا كُنْتَ فِي نِعْمَةٍ فَارْعَهَا ... فَإِنَّ المَعَاصِيْ تُزِيْلُ النِّعَمْ
وَدَاوِمْ عَلَيْهَا بِشُكْرِ الإِلـٰهِ ... فَشُكْرُ الإِلـٰهِ يُزِيلُ النِّقَمْ

يَقُولُ ابْنُ عَبَّاس - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا -: «إِنَّ لِلحَسَنَةِ: ضِيَاءً فِي

الوَجْهِ، وَنُورًا فِي القَلْبِ، وَسَعَةً فِي الرِّزْقِ، وَقُوَّةً فِي البَدَنِ، وَمَحَبَّةً فِي قُلُوبِ الخَلْقِ، **وَإِنَّ للسَّيِّئَةِ**: سَوَادًا فِي الوَجْهِ، وَظُلْمَةً فِي القَبْرِ وَالقَلْبِ، وَوَهَنًا فِي البَدَنِ، وَنَقْصًا فِي الرِّزْقِ، وَبُغْضًافِي قُلُوبِ الخَلْقِ»[1]، وَقَالَ الحَسَنُ البَصْرِيُّ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ عَنْ أَهْلِ المَعَاصِي: «إِنَّهُمْ ـ وَإِنْ طَقْطَقَتْ بِهِمُ البِغَالُ[2]، وَهَمْلَجَتْ بِهِمُ البَرَاذِيْنُ[3] ـ فَإِنَّ ذُلَّ المَعْصِيَةِ لاَ يُفَارِقُ قُلُوبَهُمْ؛ **أَبَى اللهُ إِلاَّ أَنْ يُذِلَّ مَنْ عَصَاهُ!**»[4].

وَبَعْدُ:

يَاإِخْوَةَ العَقِيْدَةِ، أَمَا آنَ لأُمَّةِ الإِسْلاَمِ أَنْ تُدْرِكَ أَنَّ مَا أَصَابَهَا فِي هَـٰذَا الزَّمَنِ ـ مِنْ ضَعْفٍ وَاخْتِلاَفٍ، وَفُرْقَةٍ وَتَسَلُّطٍ مِنَ الأَعْدَاءِ ـ إِنَّمَا هُوَ بِسَبَبِ وُقُوعِ أَبْنَائِهَا فِي مَعَاصِيْ اللهِ؟! أَمَا كَانَ الأَجْدَرَ بِهَا ـ وَهِيَ تُعَايِشُ أَلْوَانًا مِنَ العُقُوبَاتِ الدِّيْنِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ، الحِسِّيَّةِ وَالمَعْنَوِيَّةِ الَّتِيْ سَبَّبَتْهَا المُحَرَّمَاتُ ـ أَنْ تُرَاجِعَ دِيْنَهَاالحَقَّ، وَتُدْرِكَ أَنَّ مَايَطْفَحُ بِهِ العَالَمُ مِنَ

---

(١) انظر: «الجواب الكافي» (ص٧٨).

(٢) طَقْطَقَتْ بهم البغالُ، أي: صَوَّتَتْ بحوافرها، والطقطقة: صَوْتُ حوافرِ الخَيْلِ على الأرض الصُّلْبة. «اللسان» (طقق).

(٣) هَمْلَجَتْ، أي: أحسنَتِ السَّيْرَ في سرعةٍ وَبَخْتَرَة، والبراذين: جمع بِرْذَوْنٍ، وهو الدابة. «اللسان» (هملج) (برذن)، والمراد: مهما تكبروا وزعموا العزة، فإن ذل المعصية في نفوسهم مركوز، وفي قلوبهم غير مفقود؛ عقوبة من الله العزيز الحكيم.

(٤) انظر: «الجواب الكافي» (ص٨٤، ٢٢٩).



الفَوْضَىٰ فِي كُلِّ مَجالاَتِ الحَيَاةِ، وَمَا تُعَانِيْهِ كَثِيْرٌ مِنَ البِقَاعِ مِنَ الحُروبِ الطَّاحِنَةِ الَّتِيْ تَقْضِيْ عَلَى الأَخْضَرِ وَاليَابِسِ، وَمِنَ الأَمْرَاضِ الفَتَّاكَةِ، وَالمَجَاعَاتِ المُفْزِعَةِ، وَالفَيَضَانَاتِ المُهْلِكَةِ، وَالزَّلاَزِلِ وَالبَرَاكِيْنِ المُدَمِّرَةِ، وَالحَوَادِثِ المُرَوِّعَةِ ـ: إِنَّمَا هُوَ بِسَبَبِ ذُنُوبِ العِبَادِ وَإِعْرَاضِهِمْ عَنْ رَبِّهِمْ؛ ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾[الجن]، ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾﴾[النحل]؟!

أَمَا تَرَوْنَ ـ أَيُّهَا المُسْلِمُونَ ـ مَا نَزَلَ بِالأُمَمِ وَالشُّعُوبِ مِنْ حَوْلِكُمْ؛ مِنْ آلاَمٍ وَعُقُوبَاتٍ؟! وَهَلْ كَانَتْ إِلاَّ بِسَبَبِ الذُّنُوبِ وَالمَعَاصِيْ؟! فَإِنَّهَا تَدَعُ الدِّيَارَ بَلاَقِعَ، لَقَدْ غَرِقَتْ كَثِيْرٌ مِنَ المُجْتَمَعَاتِ فِي حَيَاةٍ جَاهِلِيَّةٍ؛ فِي عَقَائِدِهَا وَأَفْكَارِهَا، وَأَخْلاَقِ أَبْنَائِهَا وَبَنَاتِهَا؛ فَشَاعَ الإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَمُخَالَفَةُ سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِارْتِكَابِ البِدَعِ وَالمُحْدَثَاتِ، وَانْتُهِكَتْ حُرُمَاتُ اللهِ، وَاقْتُرِفَتْ كَبَائِرُ الذُّنُوبِ الجَالِبَةُ لِسَخَطِ اللهِ، وَعَمَّ الفِسْقُ، وَانْتَشَرَ الفَسَادُ فِي البُيُوتِ وَالشَّوَارِعِ وَالأَسْوَاقِ، كُلُّ ذٰلِكَ مِنْ غَيْرِ نَكِيْرٍ وَلاَ تَغْيِيْرٍ!

وَلَيْسَ بِخَافٍ عَلَى الغَيُورِ مَا تَقْذِفُ بِهِ القَنَواتُ الفَضَائِيَّةُ مِن أَلْوَانِ الفَسَادِ وَالإِبَاحِيَّةِ؛ فَاللهُ المُسْتَعَانُ! بَلْ لَقَدْ بَاتَتْ بَعْضُ الذُّنُوبِ اليَوْمَ، مِمَّا يَفْخَرُ بِهِ بَعْضُ النَّاسِ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ! فَحَقًّا إِنَّ المُسْلِمِيْنَ اليَوْمَ



يَعِيْشُونَ عَصْرَ غُرْبَةِ الإِسْلَامِ، وَفِيْ أَوْسَاطِ دُعَاةِ جَهَنَّمَ - عِيَاذًا بِاللهِ! - فَمَا أَوْسَعَ حِلْمَ اللهَ عَلَىٰ عِبَادِهِ! أَلَمْ تُغْنِ النُّذُرُ يَاعِبَادَاللَّهِ؟! أَلَمْ تُفِدِ العِبَرُ السَّالِفَةُ وَالمُعَاصِرَةُ؛ ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ۝١٤ ﴾[الفجر].

إِنَّ هَٰذَا الأَمْرَ الخَطِيْرَ، جَدِيْرٌ أَنْ يَتَدَارَسَهُ المُسْلِمُونَ اليَوْمَ عَلَىٰ مُسْتَوَى القَادَةِ وَالعُلَمَاءِ، وَالمُفَكِّرِيْنَ والدُّعَاةِ والمُصْلِحِيْنَ؛ لإِيْقَافِ هَـٰذَا الزَّحْفِ الهَائِلِ: الَّذِيْ يُعَرِّضُ الأُمَّةَ كُلَّهَا لِسَخَطِ اللهِ العَاجِلِ قَبْلَ الآجِلِ.

هَٰذَا؛ وَإِنَّ الغَيُورِيْنَ لَيُعَلِّقُونَ آمَالاً جِسَامًا عَلَىٰ هَـٰذَا البَعْثِ الإِسْلَامِيِّ الجَدِيْدِ، وَالصَّحْوَةِ الإِيْمَانِيَّةِ الرَّشِيْدَةِ، وَاليَقَظَةِ الإِصْلَاحِيَّةِ الحَمِيدَةِ، الَّتِيْ تَعُمُّ أَقْطَارَ العَالَمِ الإِسْلَامِيِّ - بِحَمْدِ اللهِ وَتَوْفِيْقِهِ - لِتَعُودَ بِأَبْنَاءِ المُسْلِمِيْنَ وَشَبَابِهِمْ إِلَىٰ مَصْدَرِ عِزَّتِهِمْ وَسَعَادَتِهِمْ، فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ؛ ﴿ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴾[إبراهيم: ٢٠، فاطر: ١٧].

بَارَكَ اللهُ لِيْ وَلَكُمْ فِي القُرْآنِ العَظِيْمِ، وَفِي هَدْيِ سَيِّدِ المُرْسَلِيْنَ.

أَقُولُ قَوْلِيْ هَـٰذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِيْ وَلَكُمْ وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ؛ فَهُوَ خَيْرُ الغَافِرِيْنَ.



الخطبة الثانية

الحَمْدُ للهِ ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٣﴾ ﴾ [غافر]، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَإِلَـهَ إِلاَّاللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّيْنِ.

أمّا بعد:

فَاتَّقُوا اللهَ ـ عِبَادَاللهِ ـ وَاعْلَمُوا أَنَّ المَعَاصِيَ مَا حَلَّتْ فِي دِيَارٍ إِلاَّ خَرَّبَتْهَا، وَلاَ فِي قُلُوبٍ إِلاَّ أَعْمَتْهَا، وَلاَ فِي أَجْسَادٍ إِلاَّ عَذَّبَتْهَا، وَلاَ فِي أُمَّةٍ إِلاَّ أَذَلَّتْهَا، وَلاَ فِي نُفُوسٍ إِلاَّ أَفْسَدَتْهَا، وَلاَ فِي مُجْتَمَعَاتٍ إِلاَّ دَمَّرَتْهَا!!

أَيُّهَا الإِخْوَةُ فِي اللهِ، إِنَّ المَسْئُولِيَّةَ ـ لِصَدِّ وَبَاءِ الذُّنُوبِ وَعَوَاقِبِهَا الوَخِيْمَةِ عَلَى الفَرْدِ وَالمُجْتَمَعِ ـ تَقَعُ عَلَىٰ عَاتِقِ كُلِّ مُسْلِمٍ؛ فَقَدْ قَالَ ﷺ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»[1]؛ كُلٌّ يُقَوِّمُ نَفْسَهُ، وَيَحْفَظُ أُسْرَتَهُ، وَيُرَبِّيْ أَوْلاَدَهُ عَلَىٰ حُبِّ الخَيْرَاتِ، وَتَرْكِ المُنْكَرَاتِ، وَيَسْعَىٰ ـ حَسَبَ قُدْرَتِهِ واسْتِطَاعَتِهِ ـ إِلَىٰ تَطْهِيرِ مُجْتَمَعِهِ وَمُحِيْطِهِ مِنْ أَدْرَانِ المَعَاصِيْ، وَاللهُ سَائِلٌ كُلَّ رَاعٍ عَمَّا اسْتَرْعَاهُ: حَفِظَ أَمْ ضَيَّعَ؟! فَرُحْمَاكَ

(١) تقدم تخريجه (ص٣٥٢).



رَبَّنَا رُحْمَاكَ!!

وَاعْلَمُوا ـ رَحِمَكُمُ اللهُ ـ أَنَّهُ «**مَا نَزَلَ بَلَاءٌ إِلَّا بِذَنْبٍ، وَلَا رُفِعَ إِلَّا بِتَوْبَةٍ**»؛ فَلْتَلْهَجِ الأَلْسِنَةُ بِالِاسْتِغْفَارِ، وَالتَّوْبَةِ الدَّائِمَةِ النَّصُوحِ الَّتِيْ تَحَقَّقَتْ فِيْهَا الشُّرُوطُ، وَانْتَفَتْ عَنْهَا المَوَانِعُ(١)؛ لَعَلَّ اللهُ يَعْفُو وَيَتُوبُ وَيَتَجَاوَزُ؛ فَقَدْ وَعَدَ عِبَادَهُ بِذٰلِكَ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥٣﴾[الزمر].

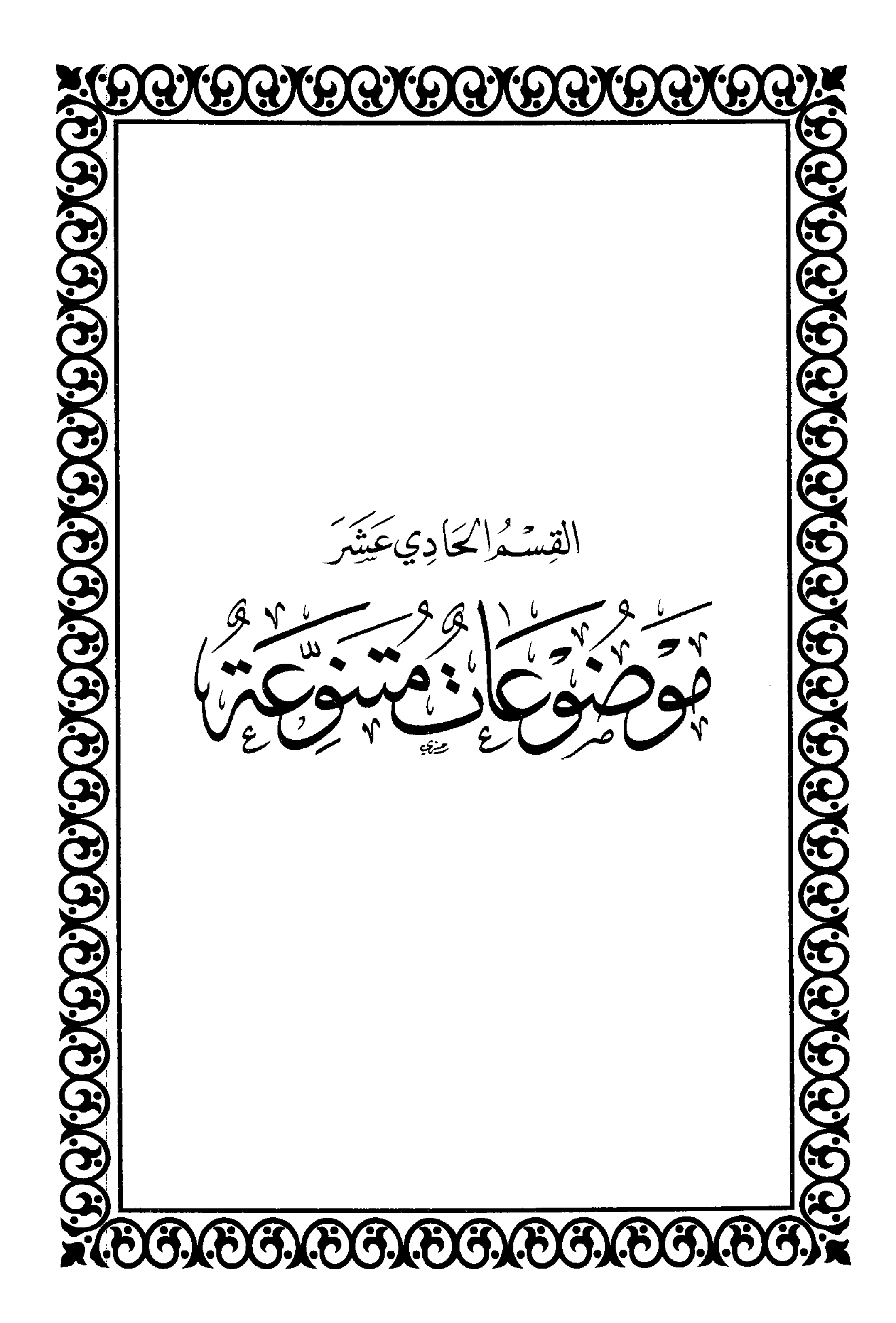
هَـٰذَا؛ وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا ـ رَحِمَكُمُ اللهُ ـ عَلَىٰ خَيْرِ الوَرَىٰ؛ كَمَا أَمَرَكُمْ بِذٰلِكَ رَبُّكُمْ جَلَّ وَعَلَا؛ فَقَالَ تَعَالَىٰ قَوْلًا كَرِيْمًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ۝٥٦﴾ [الأحزاب].

* * *

(١) راجع تفصيل الكلام على التوبة النصوح في «منزلة التوبة» من «مدارج السالكين» لابن القيم (١/ ١٧٩ـ٤٣٣).







القسم الحادي عشر

موضوعات متنوعة



الخطبة الأولى

الحَمْدُ للهِ، جعَلَ فِي كُلِّ زَمَانِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ؛ بَقَايَا مِنْ أَهْلِ العِلْمِ العَامِلِيْنَ، يَنْفُونَ عَنْ دِيْنِ اللهِ تَحْرِيْفَ الغَالِيْنَ، وَانْتِحَالَ المُبْطِلِيْنَ، وَتَأْوِيْلَ الجَاهِلِيْنَ، أَحْمَدُهُ تَعَالَىٰ وَأَشْكُرُهُ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ وَأَسْتَغْفِرُهُ، وَأَسْأَلُهُ لِي وَلِسَائِرِ المُسْلِمِيْنَ الهُدَىٰ وَاليَقِيْنَ، وَالعِزَّ وَالنَّصْرَ وَالتَّمْكِيْنَ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لاَإِلٰـهَ إِلاَّ اللهُ وَلِيُّ المُؤْمِنِيْنَ، وَخَالِقُ الخَلْقِ أَجْمَعِيْنَ، وَقَيُّومُ السَّمَوَاتِ وَالأَرَضِيْنَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ إِمَامُ المُتَّقِيْنَ، وَأَشْرَفُ الأَنْبِيَاءِ وَالمُرْسَلِيْنَ، وَقَائِدُ الغُرِّ المُحَجَّلِيْنَ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ الطَّيِّبِيْنَ الطَّاهِرِيْنَ، وَصَحَابَتِهِ الغُرِّ المَيَامِيْنِ، وَالتَّابِعِيْنَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّيْنِ.

أمّا بعد:

فَأُوْصِيْكُمْ - عِبَادَ اللهِ - وَنَفْسِي بِتَقْوَىٰ اللهِ، فَاتَّقُوا اللهَ - رَحِمَكُمُ اللهُ - ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

عِبَادَ اللهِ، إِنَّ فِي تَارِيْخِ العُظَمَاءِ لَخَبَرًا، وَإِنَّ فِيْ سِيَرِ العُلَمَاءِ لَعِبَرًا، وَإِنَّ فِي أَحْوَالِ النُّبَلاَءِ لَمُدَّكَرًا، وَأُمَّتُنَا الإِسْلاَمِيَّةُ أُمَّةُ أَمْجَادٍ وَحَضَارَةٍ،

وَتَارِيْخٍ وَأَصَالَةٍ، وَقَدِ ازْدَانَ سِجِلُّهَا الحَافِلُ عَبْرَ التَّارِيْخِ بِكَوْكَبَةٍ مِنَ الأَئِمَّةِ العِظَامِ، وَالعُلَمَاءِ الأَفْذَاذِ الكِرَامِ، يُمَثِّلُونَ عِقْدَ جِيدِهَا[1]، وَتَاجَ رَأْسِهَا، وَدُرِّيَّ كَوَاكِبِهَا، كَانُوا فِي الفَضْلِ شُمُوسًا سَاطِعَةً، وَفِيْ العِلْمِ نُجُومًا لاَمِعَةً؛ فَعُدُّوا بِحَقٍّ أَنْوَارَ هُدًى، وَمَصَابِيْحَ دُجًى، وَشُمُوعًا تُضِيءُ - بِمَنْهَجِهَا المُتَلأْلِيءِ، وَعِلْمِهَا المُشْرِقِ الوَضَّاءِ - غَيَاهِبَ الظُّلَمِ، تُبَدِّدُهَا أَنْوَارُ العُلُومِ وَالحِكَمِ.

إِخْوَةَ الإِيْمَانِ، فِي تَارِيْخِ الإِسْلَامِ عُلَمَاءُ رَبَّانِيُّونَ، وَأَعْلَامٌ عَامِلُونَ، وَأَئِمَّةٌ مَهْدِيُّونَ، هُمْ مِنْ مِنَّةِ اللهِ عَلَىٰ هَـٰذِهِ الأُمَّةِ، قَامُوا بِالإِسْلَامِ وَلِلإِسْلَامِ؛ يُحْيُونَ بِكِتَابِ اللهِ المَوْتَىٰ، وَيُبَصِّرُونَ بِهِ أَهْلَ العَمَىٰ، وَيُرْشِدُونَ مَنْ ضَلَّ مِنْهُمْ إِلَى الهُدَىٰ، فَكَمْ مِنْ قَتِيْلٍ لإِبْلِيْسَ قَدْ أَحْيَوْهُ! وَكَمْ مِنْ ضَالٍّ تَائِهٍ قَدْ هَدَوْهُ! يَقْتَبِسُونَ مِنْ نُورِ الوَحْيِ، وَيَسِيْرُونَ عَلَىٰ مِشْكَاةِ النُّبُوَّةِ؛ عَقِيْدَةً وَعِلْمًا وَعَمَلاً، وَمَنْهَجًا وَدَعْوَةً؛ فَكَمْ نَفَعَ اللهُ بِهِمْ مِنَ البِلَادِ! وَكَمْ هَدَىٰ بِهِمْ مِنَ العِبَادِ! وَإِنَّ ارْتِبَاطَ الأَجْيَالِ اللاَّحِقَةِ، وَالنَّاشِئَةِ المُعَاصِرَةِ: بِسَلَفِهِمْ مِنَ العُلَمَاءِ الأَفْذَاذِ؛ يَنْتَفِعُونَ بِسِيْرَتِهِمْ، وَيَسِيْرُونَ عَلَىٰ مَنْهَجِهِمْ، وَيَقْتَبِسُونَ مِنْ نُورِ عِلْمِهِمْ وَفَضْلِهِمْ - لَهُوَ مِنْ أَهَمِّ الأُمُورِ الَّتِيْ يَنْبَغِيْ أَنْ نُعْنَىٰ بِهَا دَائِمًا وَأَبَدًا؛ لاَسِيَّمَا العُلَمَاءُ وَطُلاَّبُ العِلْمِ، وَالدُّعَاةُ إِلَى اللهِ، وَرِجَالُ الحِسْبَةِ وَالإِصْلَاحِ؛ كَيْفَ لاَ، وَنَحْنُ

---

(١) الجِيدُ: العُنُقُ، وجمعه: أجيادٌ وجُيُود. «تاج العروس» (جيد).



نَعِيْشُ فِي أَعْقَابِ الزَّمَنِ؛ حَيْثُ كَثُرَتِ الفِتَنُ، وَطَمَّتِ المِحَنُ[1]، وَاسْتَحْكَمَتِ الأَزَمَاتُ، وَعَمَّتِ الخِلافَاتُ، وَتَبَايَنَتِ المُشْكِلاتُ وَالمُعْضِلاتُ، وَاشْتَدَّتِ التَّحَدِّيَاتُ وَالمُؤَامَرَاتُ، وَلاَ مَخْلَصَ مِنْهَا إِلاَّ الاعْتِصَامُ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَالسَّيْرُ عَلَىٰ مَنْهَجِ عُلَمَاءِ سَلَفِ الأُمَّةِ ـ رَحِمَهُمُ اللهُ ـ الَّذِيْنَ يُعَدُّونَ أَمْثِلَةً حَيَّةً، وَنَمَاذِجَ فَرِيْدَةً، تُمَثِّلُ التَّطْبِيْقَ الحَيَّ السَّلِيْمَ، وَالمَنْهَجَ العِلْمِيَّ الصَّحِيْحَ لِلإِسْلاَمِ؛ عَقِيدَةً وَسُلُوكًا؛ وَلِهَـٰذَا قَالَ بَعْضُ أَهْلِ العِلْمِ: «**سِيَرُ الرِّجَالِ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ كَثِيْرٍ مِنَ الفِقْهِ**»، غَيْرَ أَنْ لاَ عِصْمَةَ لأَحَدٍ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ؛ وَالتَّعَصُّبُ لِلرِّجَالِ مَذْمُومٌ، وَخَيْرُ الهَدْيِ هَدْيُ مَنْ لاَ يَنْطِقُ عَنِ الهَوَىٰ، إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوْحَىٰ ﷺ.

أُمَّةَ الإِسْلَامِ، وَكَانَ مِنْ أَجَلِّ هَـٰؤُلاَءِ الأَئِمَّةِ، وَأَفْضَلِ هَـٰؤُلاَءِ العُلَمَاءِ، عَالِمٌ لاَ كَالعُلَمَاءِ، وَعَلَمٌ لاَ كَالأَعْلاَمِ، جَبَلٌ أَشَمُّ، وَبَدْرٌ أَتَمُّ، وَحَبْرٌ بَحْرٌ، وَطَوْدٌ شَامِخٌ[2]، يُعَدُّ بِجَدَارَةٍ: إِمَامَ القَرْنِ الثَّالِثِ الهِجْرِيِّ، فَرِيْدُ عَصْرِهِ، وَنَادِرَةُ دَهْرِهِ، قَلَّ أَنْ يَجُودَ الزَّمَانُ بِمِثْلِهِ، إِنَّهُ أَئِمَّةٌ فِي شَخْصِ إِمَامٍ، وَأُمَّةٌ فِي رَجُلٍ؛ قَالَ عَنْهُ الإِمَامُ الشَّافِعِيُّ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «**خَرَجْتُ مِنَ العِرَاقِ فَمَا خَلَّفْتُ فِيهِ رَجُلاً أَفْضَلَ وَلاَ أَعْلَمَ وَلاَ أَتْقَىٰ للهِ مِنْهُ**»[3]، وَقَالَ

(١) أي: كَثُرَتْ حتى عَلَتْ وَغَلَبَتْ. «تاج العروس» (طمم).
(٢) طَوْدٌ شامخٌ، أي: جبلٌ عظيمٌ عالٍ. «اللسان» (طود) (شمخ).
(٣) «البداية والنهاية» لابن كثير (١٤/ ٤٠٦).



عَنْهُ الإِمَامُ الذَّهَبِيُّ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «عَالِمُ العَصْرِ، وَزَاهِدُ الدَّهْرِ، وَمُحَدِّثُ الدُّنْيَا، وَعَلَمُ السُّنَّةِ، وَبَاذِلُ نَفْسِهِ فِي المِحْنَةِ، قَلَّ أَنْ تَرَى العُيُونُ مِثْلَهُ، كَانَ رَأْسًا فِي العِلْمِ وَالعَمَلِ، وَالتَّمَسُّكِ بِالأَثَرِ؛ ذَا عَقْلٍ رَزِيْنٍ، وَصِدْقٍ مَتِيْنٍ، وَإِخْلَاصٍ مَكِينٍ، انْتَهَتْ إِلَيْهِ الإِمَامَةُ فِي الفِقْهِ وَالحَدِيْثِ، وَالإِخْلَاصِ وَالوَرَعِ، وَهُوَ أَجَلُّ مِنْ أَنْ يُمْدَحَ بِكَلِمِي، أَوْ أَنْ أَفُوهَ بِذِكْرِهِ بِفَمِيْ».

أَتَدْرُوْنَ ـ يَارَعَاكُمُ اللهُ ـ مَنْ هُوَ؟ مَنْ ذَا الَّذِيْ تُعَطِّرُونَ أَسْمَاعَكُمْ بِذِكْرِ سِيْرَتِهِ؟ إِنَّهُ إِمَامُ أَهْلِ السُّنَّةِ: الإِمَامُ الفَذُّ، وَالعَالِمُ الجِهْبِذُ[1]، الإِمَامُ الفَاضِلُ، وَالعَالِمُ المُبَجَّلُ؛ أَبُوعَبْدِاللهِ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بْنِ حَنْبَلٍ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ مَنْ عَرَفَتْهُ الدُّنْيَا، وَذَاعَ ذِكْرُهُ، وَشَاعَ صِيْتُهُ فِي الآفَاقِ؛ إِمَامًا عَالِمًا، فَقِيْهًا مُحَدِّثًا، مُجَاهِدًا صَابِرًا، لَايَخَافُ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ، يَتَحَمَّلُ المِحَنَ فِي سَبِيْلِ اللهِ، وَالذَّبِّ عَنْ سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَيُقَارِعُ البَاطِلَ بِحِكْمَةٍ نَادِرَةٍ، لَاتُزَعْزِعُهُ الأَهْوَاءُ، وَلَاتَمِيْدُ[2] بِهِ العَوَاصِفُ؛ حَتَّىٰ عُدَّ قِمَّةَ عَصْرِهِ وَمَابَعْدَ عَصْرِهِ، وَأُجْمِعَ عَلَىٰ جَلَالَتِهِ وَقَدْرِهِ، إِلَّا عِنْدَ مَنْ لَايُعْبَأُ بِهِمْ.

قَالَ عَنْهُ الإِمَامُ يَحْيَى بْنُ مَعِيْنٍ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «أَرَادَ النَّاسُ مِنَّا أَنْ نَكُونَ مِثْلَ أَحْمَدَ! لَا وَاللهِ، مَا نَقْوَىٰ عَلَىٰ مَايَقْوَىٰ عَلَيْهِ أَحْمَدُ، وَلَا عَلَىٰ

---

(١) الجِهْبِذُ ـ بكسر الجيم والباء ـ: النَّقَّادُ الخبير. «القاموس» (جهبذ).
(٢) أي: لا تتحرَّكُ ولا تَمِيلُ. «اللسان» (ميد).

طَرِيْقَةِ أَحْمَدَ!»[1].

أَيُّهَا الإِخْوَةُ فِي اللهِ عَلَىٰ ثَرَىٰ بَغْدَادَ؛ وُلِدَ الإِمَامُ وَنَشَأَ وَتَرَعْرَعَ، وَمِنْ أَصْلٍ عَرَبِيٍّ أَصِيْلٍ انْحَدَرَ نَسَبُهُ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ وَعَلَىٰ عِصَامِيَّةِ[2] اليُتْمِ؛ تَرَبَّىٰ وَدَرَجَ فِي صِبَاهُ؛ مِمَّا سَاعَدَ عَلَىٰ سُمُوِّ نَفْسِهِ، وَعُلُوِّ هِمَّتِهِ، وَنُمُوِّ مَدَارِكِهِ، وَتَعَرُّفِهِ عَلَىٰ أَحْوالِ مُجْتَمَعِهِ، وَكَانَتْ بَغْدَادُ آنَذَاكَ حَاضِرَةَ العَالَمِ الإِسْلَامِيِّ، وَمَهْدَ العُلُومِ وَالحَضَارَةِ، تَمُوجُ بِأَنْوَاعِ الفُنُونِ وَالمَعَارِفِ، وَتَزْخَرُ بِشَتَّى الأَفْكَارِ وَالعُلُومِ؛ وَعَصْرُهُ عَصْرُ نُضُوجِ الفِقْهِ، وَظُهُورِ الفُقَهَاءِ، وَاشْتِدَادِ الحِوَارِ الفِكْرِيِّ بَيْنَ العُلَمَاءِ، مَعَ عَدَمِ اسْتِقْرَارِ الحَالَةِ السِّيَاسِيَّةِ، وَكَثْرَةِ الفِتَنِ؛ مِمَّا سَاعَدَ عَلَىٰ حُسْنِ تَوَجُّهِ الإِمَامِ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ فَاتَّجَهَ إِلَىٰ تَحْصِيْلِ العِلْمِ، وَلُزُومِ السُّنَّةِ، فَلَمْ يُحَرِّضْ عَلَىٰ فِتْنَةٍ، وَلَمْ يُوَاجِهْ ذَا سُلْطَانٍ، مَعَ قُوَّةٍ فِي الحَقِّ، وَحُبٍّ لِلْخَلْقِ، وَذَبٍّ عَنِ السُّنَّةِ، وَتَحْذِيْرٍ مِنَ البِدْعَةِ.

مَعَاشِرَ المُسْلِمِيْنَ، لَقَدْ أَقْبَلَ الإِمَامُ الرَّقِيْقُ النَّحِيْلُ، الرَّبْعَةُ مِنَ الرِّجَالِ[3]، ذُو اللَّوْنِ الأَسْمَرِ وَالتَّوَاضُعِ الجَمِّ، يَنْهَلُ مِنَ العِلْمِ؛ فَحَفِظَ

---

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير (١٤/ ٤٠٩).

(٢) العِصَاميُّ: هو من شَرُفَ بنفسه لا بآبائِه، فنال العلا بكدِّه واجتهاده وذكائه، وفي المثل: «كُنْ عِصَاميًّا، ولا تكن عِظَاميًّا» أي: اشْرُفْ بنفسك لا بآبائك، وبالاكتساب لا بالانتساب. انظر: «مجمع الأمثال» (٢/ ٣٣١).

(٣) الرَّبْعَة من الرجال ـ بسكون الباء وفتحها ـ: هو مَرْبُوعُ الْخَلْق، أي: ليس بالطويل =

القُرْآنَ، وَأَقْبَلَ عَلَى الحَدِيثِ وَالأَثَرِ؛ حَتَّىٰ حَفِظَ مِئَاتِ الآلافِ مِنَ الأَحَادِيْثِ، وَمَا كِتابُهُ «المُسْنَدُ» إلاَّ دَلِيلٌ عَلَىٰ طُولِ بَاعِهِ فِي عِلْمِ السُّنَّةِ، **فِيْ مَجَالِ الرِّوَايَةِ**، وَقَدْ جَمَعَهُ مِنْ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِمِائَةٍ وَخَمْسِيْنَ أَلْفَ حَدِيْثٍ، واسْتَغْرَقَ فِي جَمْعِهِ أَكْثَرَ مِنْ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً.

أَمَّا الدِّرَايَةُ: فَـ«هُوَ ابْنُ بَجْدَتِهَا»[1]، وَ«كُلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الفَرَا»[2]، مُلْتَزِمًا بِفِقْهِ السُّنَّةِ وَالعِنَايَةِ بِالدَّلِيْلِ وَالأَثَرِ، وَالأَخْذِ بِفَتَاوَى الصَّحَابَةِ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ـ رَحَلَ فِي طَلَبِ العِلْمِ إِلَىٰ كَثِيْرٍ مِنَ البُلْدَانِ؛ حَتَّىٰ قَالَ عَنْهُ ابْنُ كَثِيْرٍ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: «لَقَدْ طَافَ فِي البِلَادِ وَالآفَاقِ؛ لِيَسْمَعَ مِنَ المَشَايِخِ، وَكَانَتْ لَهُ هِمَّةٌ عَالِيَةٌ فِي الطَّلَبِ وَالتَّحْصِيْلِ؛ فَمَا تَرَكَ لَحْظَةً مِنْ لَحَظَاتِ شَبَابِهِ وَكُهُولَتِهِ، إِلاَّ حَرَصَ فِيْهَا عَلَىٰ سَمَاعِ حَدِيْثٍ، أَوْ تَصْحِيْحِ رِوَايَةٍ، وَمَا قِصَّتُهُ فِي سَمَاعِهِ مِنَ الإِمَامِ عَبْدِالرَّزَّاقِ بْنِ هَمَّامٍ الصَّنْعَانِيِّ فِي مَكَّةَ[3]، وَسَفَرِهِ مَعَهُ إِلَىٰ بِلَادِهِ ـ مَعَ بُعْدِ الشُّقَّةِ وَانْقِطَاعِ النَّفَقَةِ ـ إِلاَّ دَلِيْلٌ عَلَىٰ عُلُوِّ الهِمَّةِ وَمَضَاءِ العَزِيْمَةِ، حَتَّىٰ عُدَّ حَافِظَ زَمَانِهِ.

قَالَ عَنْهُ ابْنُ المَدِيْنِيِّ: «**لَيْسَ فِي أَصْحَابِنَا أَحْفَظُ مِنْهُ**»[4]، وَقِيْلَ

= ولا بالقصير. «اللسان» (ربع).

(١) مَثَلٌ تَقَدَّم تخريجه وشرحه. انظر: (ص٩).

(٢) مثلٌ تقدَّم تخريجه والحديث عنه. انظر: (ص١٢).

(٣) انظر: «البداية والنهاية» لابن كثير (١٤/ ٣٨٣).

(٤) «مناقب الإمام أحمد بن حنبل» لابن الجوزي (ص ٣٨).



لأَبِي زُرْعَةَ: مَنْ رَأَيْتَ مِنَ المَشَايِخِ المُحَدِّثِيْنَ أَحْفَظَ؟ فَقَالَ: «**أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ؛ حُزِرَتْ كُتُبُهُ فِي اليَوْمِ الَّذِيْ مَاتَ فِيْهِ، فَبَلَغَتِ اثْنَيْ عَشَرَ حِمْلاً وَعِدْلاً، مَا كَانَ عَلَىٰ ظَهْرِ كِتَابٍ مِنْهَا: «حَدِيثُ فُلاَنٍ» وَلاَ فِي بَطْنِهِ: «حَدَّثَنَا فُلاَنٌ»، وَكُلُّ ذَلِكَ كَانَ يَحْفَظُهُ عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ**»[1].

وَمَعَ هَٰذَا العِلْمِ الجَمِّ: فَقَدْ خَافَ الإِمَامُ عَلَىٰ نَفْسِهِ البُرُوزَ وَالشُّهْرَةَ والتَّصَدُّرَ؛ فَلَمْ يَجْلِسْ لِلتَّدْرِيْسِ إِلاَّ بَعْدَ الأَرْبَعِيْنَ مِنْ عُمُرِهِ؛ كَمَا قَالَ ابنُ الجَوْزِيِّ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ[2] وَمَا ذَاكَ إِلاَّ مُرَاعَاةً لِسِنِّ النُّضْجِ وَالاِسْتِيثَاقِ مِنَ العِلْمِ، وَكَانَ مِنْ شِدَّةِ وَرَعِهِ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ لاَ يُحَدِّثُ إِلاَّ مِنْ كِتَابٍ؛ خَشْيَةَ الزَّلَلِ، مَعَ قُوَّةِ حَافِظَتِهِ، وَشِدَّةِ عَارِضَتِهِ، وَلاَ يَسْمَحُ بِتَدْوِيْنِ فَتَاوَاهُ، وَلاَ يَرَىٰ تَأْلِيفَ الكُتُبِ؛ وَرَعًا مِنْهُ ـ عَلَيْهِ رَحْمَةُ اللهِ ـ قِيْلَ: إِنَّهُ لِسَعَةِ عِلْمِهِ، أَجَابَ عَنْ سِتِّيْنَ أَلْفَ مَسْأَلَةٍ بِـ«قَالَ اللهُ»، وَ«قَالَ رَسُولُهُ ﷺ»، وَ«فَتَاوَى الصَّحَابَةِ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ».

إِخْوَةَ العَقِيْدَةِ، وَمِنْ أَهَمِّ جَوَانِبِ حَيَاةِ الإِمَامِ أَبِي عَبْدِاللهِ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ مَنْهَجُهُ فِي العَقِيْدَةِ، والْتِزَامُهُ نَهْجَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَمَا عَلَيْهِ سَلَفُ الأُمَّةِ؛ فِي التَّوحِيْدِ، وَالصِّفَاتِ، وَإِنْزَالِ القُرْآنِ؛ حَتَّىٰ أُوذِيَ وَامْتُحِنَ؛ فَصَبَرَ وَصَابَرَ، وَلَمْ يَتَزَحْزَحْ عَنْ قَوْلِ الحَقِّ، حَتَّىٰ رُبِطَ مَوْقِفُهُ فِي مِحْنَتِهِ

(١) المصدر السابق (ص٧٥).
(٢) المصدر السابق (ص١٤٧).



بِمَوْقِفِ الصِّدِّيقِ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ يَقُولُ عَلِيُّ بْنُ المَدِيْنِيِّ: «**لَقَدْ أَعَزَّ اللهُ الإِسْلامَ بِرَجُلَيْنِ: بِأَبِيْ بَكْرٍ يَوْمَ الفِتْنَةِ، وبِأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ يَوْمَ المِحْنَةِ**»[1].

وَلَمْ يَكُنِ الإِمَامُ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ بِمَعْزِلٍ عَنِ الأُمَّةِ وَالمُجْتَمَعِ، بَلْ كَانَ عَالِمًا عَامِلاً، مُصْلِحًا مُجَاهِدًا، آمِرًا بِالمَعْرُوفِ نَاهِيًا عَنِ المُنْكَرِ؛ لَـٰكِنَّهُ ـ مَعَ ذٰلِكَ ـ يَلْتَزِمُ مَسَالِكَ الرِّفْقِ وَالحِكْمَةِ، مُوَافِقًا لِلْجَمَاعَةِ، بَعِيْدَ النَّظَرِ فِي الإِصْلاَحِ؛ يَقُولُ ابْنُ عَمِّهِ حَنْبَلُ بْنُ إِسْحَاقَ بْنِ حَنْبَلٍ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ فِيْمَا أَخْرَجَهُ الخَلاَّلُ فِي كِتَابِ «السُّنَّةِ»: «اجْتَمَعَ فُقَهَاءُ بَغْدَادَ فِي وِلاَيَةِ الوَاثِقِ إِلَىٰ أَبِي عَبْدِاللهِ ـ يَعْنِيْ الإِمَامَ أَحْمَدَ، رَحِمَهُ اللهُ ـ وَقَالُوا لَهُ: يَا أَبَا عَبْدِاللهِ، إِنَّ الأَمْرَ قَدْ تَفَاقَمَ ـ يَعْنُونَ إِظْهَارَ القَوْلِ بِخَلْقِ القُرْآنِ وَغَيْرَ ذٰلِكَ ـ وَلاَ نَرْضَىٰ بِإِمَارَتِهِ وَسُلْطَانِهِ، فَنَاظَرَهُمْ فِي ذٰلِكَ، وَقَالَ: عَلَيْكُمْ بِالإِنْكَارِ فِي قُلُوبِكُمْ، وَلاَ تَخْلَعُوا يَدًا مِنْ طَاعَةٍ، لاَ تَشُقُّوا عَصَا المُسْلِمِيْنَ، وَلاَ تَسْفِكُوا دِمَاءَكُمْ وَدِمَاءَ المُسْلِمِيْنَ مَعَكُمْ، وَانْظُرُوا فِي عَاقِبَةِ أَمْرِكُمْ، وَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَسْتَرِيْحَ بَرٌّ، وَيُسْتَرَاحَ مِنْ فَاجِرٍ، وَقَالَ: لَيْسَ هَـٰذَا صَوَابًا ـ يَعْنِيْ: نَزْعَ اليَدِ مِنَ الطَّاعَةِ ـ هَـٰذَا خِلاَفُ الآثَارِ»[2].

وَفِي ذٰلِكَ عِبْرَةٌ عَلَىٰ مَدَىٰ التَّارِيْخِ: أَنَّ سُلْطَانَ العِلْمِ لابُدَّ لَهُ مِنْ

---

(١) المصدر السابق (ص ١٤٨).

(٢) «السنة» لأبي بكر الخلال (١/ ١٣٤).



مَنْهجٍ سَلِيْمٍ، يُتَّخذُ مَعَ سُلْطَانِ الحُكْمِ؛ تَحْقِيْقًا لِلْمَصَالِحِ، وَدرْءًا لِلْمَفَاسِدِ، وَتَجْنِيْبًا لِلأُمَّةِ غَوائِلَ الشُّرُورِ وَعَادِيَاتِ الفِتَنِ، اللهُ أَكْبَرُ! مَا أَعْظَمَ العِلْمَ! وَمَا أَهَمَّ الفِقْهَ! وَمَا أَجَلَّ مَكَانَةَ العَالِمِ إِذَا ثَبَتَ عَلَى السُّنَّةِ، وَلَمْ تَسْتَمِلْهُ العَوَاطِفُ، وَنَظَرَ بِعَيْنِ الحِكْمَةِ فِي مَصَالِحِ الأُمَّةِ!

أُمَّةَ الإِسْلَامِ، وَلَقَدْ ضَرَبَ الإِمَامُ أَرْوَعَ الأَمْثِلَةِ فِي الثَّبَاتِ عَلَى المَبْدَأِ، وَالصَّبْرِ أَمَامَ الفِتَنِ؛ لَقَدْ أُوْذِيَ وَسُجِنَ، وَضُرِبَ وَأُهِيْنَ، فَلَمْ تَلِنْ لَهُ قَنَاةٌ، وَبَذَلَ مُهْجَتَهُ فِي سَبِيْلِ اللهِ، وَلَمْ يَتَزَحْزَحْ عَنْ حَقٍّ يَرَاهُ، وَلَوْ كَلَّفَهُ حَيَاتَهُ، وَهَـٰذِهِ دُرُوسٌ لِلْعُلَمَاءِ وَالدُّعَاةِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، لَقَدْ سَخِرَ بِالأَهْوَالِ الَّتِيْ حَاقَتْ بِهِ[1]، وَالمَخَاطِرِ الَّتِيْ حَفَّتْ بِهِ، وَالمُؤَامَرَاتِ الَّتِيْ أُحِيْكَتْ ضِدَّهُ، وَهَزِيءَ بِالسِّيَاطِ الَّتِيْ أَلْهَبَتْ ظَهْرَهُ، وَلَمْ يُبَالِ بِالحَدِيْدِ الَّذِيْ كُبِّلَ بِهِ، وَالسِّجْنِ الَّذِيْ أُوْدِعَ فِيْهِ؛ وَبِالتَّالِيْ: ثَبَتَ أَمَامَ المُغْرِيَاتِ. كُلُّ ذَلِكَ هَيِّنٌ مَا دَامَ فِي سَبِيْلِ اللهِ، وَصِيَانَةِ كِتَابِهِ مِنْ عَبَثِ العَابِثِيْنَ، وَحِفْظِهِ مِنْ عَقَائِدِ المُخَالِفِيْنَ.

أَيُّهَا الأَحِبَّةُ، وَصَفْحَةٌ أُخْرَىٰ فِي حَيَاةِ هَـٰذَا الإِمَامِ الهُمَامِ، صَفْحَةُ العِبَادَةِ وَتَصْفِيَةِ الرُّوحِ، وَتَزْكِيَةِ النَّفْسِ بِالصَّلَاةِ وَالذِّكْرِ، وَالدُّعَاءِ وَالتِّلَاوَةِ، وَكَذٰلِكَ صَفْحَةُ الخُلُقِ الرَّفِيْعِ، وَالسَّجَايَا الحَمِيْدَةِ؛ زُهْدٌ وَحَيَاءٌ، تَوَاضُعٌ

---

(١) أي: نَزَلَتْ به، وأحاطَتْ به. «اللسان» (حيق).



وَوَرَعٌ، تَعفُّفُ وَجُودٌ، بَذْلٌ وَكَرَمٌ، حُبٌّ لِلْفُقَرَاءِ وَالمَسَاكِيْنِ، بُعْدٌ عَنِ الشُّهْرَةِ وَالأَضْوَاءِ، وَحُبِّ الظُّهُورِ وَكَثْرَةِ الجَمَاهِيْرِ، مُجَانَبَةٌ لِلرِّيَاءِ وضَعْفِ الإِخْلَاصِ، قَالَ ابْنُهُ عَبْدُاللهِ: «كَانَ أَبِيْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى الوَحْدَةِ، لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ إِلاَّ فِي المَسْجِدِ، أَوْ حُضُورِ جِنَازَةٍ، أَوْ عِيَادَةِ مَرِيْضٍ، وَكَانَ يَكْرَهُ المَشْيَ فِي الأَسْوَاقِ، وَلاَ يَدَعُ أَحَدًا يَتْبَعُهُ»[1]، وَتِلْكَ ـ وَاللهِ ـ مَقَامَاتُ العُظَمَاءِ، وَمَنَاهِجُ العُلَمَاءِ الأَتْقِيَاءِ!!

فَاتَّقُوا اللهَ ـ عِبَادَ اللهِ ـ اتَّقُوا اللهَ يَا عُلَمَاءَ الشَّرِيْعَةِ، اتَّقُوا اللهَ يَا دُعَاةَ الإِسْلَامِ، وَيَا طُلَّابَ العِلْمِ، وَيَا أَرْبَابَ الإِصْلَاحِ! وَلَيْتَ الأُمَّةَ اليَوْمَ، وَلَيْتَ شَبَابَهَا يَتَوَجَّهُونَ بِعُقُولِهِمْ إِلَىٰ عُلَمَاءِ سَلَفِهِمْ، وَلِيَتَذَكَّرُوا القُدْوَةَ الصَّالِحَةَ، وَالأُسْوَةَ الحَسَنَةَ؛ حَتَّىٰ تَحْيَا فِي أَنْفُسِهِمْ سِيْرَةُ سَلَفِهِمُ الصَّالِحِ ـ رَحِمَهُمُ اللهُ ـ فَسِيرَتُهُمْ خَيْرُ سَبِيْلٍ لِسَعَادَةِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَضَمَانَةٌ مِنَ الفِتَنِ، وَبُعْدٌ عَنِ المِحَنِ، وَاللهُ المُسْتَعَانُ.

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾﴾ [الأحزاب].

---

(١) «مناقب الإمام أحمد بن حنبل» لابن الجوزي (ص٣٧٣).

نَفَعَنِي اللهُ وَإِيَّاكُمْ بِالقُرْآنِ العَظِيْمِ، وَبِسُنَّةِ سَيِّدِ المُرْسَلِيْنَ، وَبِسِيَرِ سَلَفِنَا الصَّالِحِيْنَ.

أَقُولُ قَوْلِيْ هَـٰذا، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِيْ وَلَكُمْ وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ، فَاسْتَغْفِرُوهُ، وَتُوبُوا إِلَيْهِ؛ إِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِيْنَ غَفُورًا.

الخطبة الثانية

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلـهَ لاَ إِلاَّ اللهُ المَلِكُ الحَقُّ المُبِيْنُ، مَنَّ عَلَى المُسْلِمِيْنَ بِأَئِمَّةٍ هُدَاةٍ مُهْتَدِيْنَ، وَعُلَمَاءَ صَادِقِيْنَ عَامِلِيْنَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِيْ أَكْمَلَ بِهِ الدِّيْنَ، وَأَرْسَلَهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِيْنَ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ الرَّاشِدِيْنَ المُرْشِدِيْنَ، وَالتَّابِعِيْنَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّيْنِ.

أمّا بعد:

فَاتَّقُوا اللهَ ـ عِبَادَ اللهِ ـ ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾ [البقرة].

وَاعْلَمُوا ـ يَارَعَاكُمُ اللهُ ـ أَنَّ الأُمَّةَ إِذَا لَمْ تَعْتَزَّ بِمَاضِيْهَا، وَسِيَرِ عُلَمَائِهَا، وَلَمْ تُفِدْ مِنْ تَارِيْخِهَا وَأَمْجَادِ سَلَفِهَا ـ ضَيَّعَتْ حَاضِرَهَا وَمُسْتَقْبَلَهَا، وَاضْطَرَبَتْ مَكَانَتُهَا، وَتَخَبَّطَ أَجْيَالُهَا. وَسِيَرُ سَلَفِنَا الصالحِ ـ رَحِمَهُمُ اللهُ ـ شُمُوعٌ عَلَىٰ طَرِيْقِ العِلْمِ وَالدَّعْوَةِ وَالإِصْلاَحِ؛ بِهِمْ يُسْتَفَادُ فِي تَصْحِيْحِ المَسَارِ، وَتَوْجِيهِ المَسِيْرَةِ، وَتَوَازُنِ الخُطَا، وَلَقَدْ ضَلَّ أَقْوَامٌ زَهِدُوا بِسِيَرِ سَلَفِهِمْ، وَالْتَفَتُوا ـ يَمْنَةً وَيَسْرَةً ـ يَخْبِطُونَ فِي شَتَّى المَذَاهِبِ، وَيَتَذَبْذَبُونَ بَيْنَ جَدِيْدِ المَشَارِبِ، ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ



ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٣﴾ [النساء].

أَيُّهَا الإِخْوَةُ فِي اللَّهِ، وَحِيْنَمَا نُقَلِّبُ صَفْحَةً أُخْرَىٰ مِنْ حَيَاةِ هَـٰذَا الإِمَامِ، نَرَى العَجَبَ العُجَابَ! إِنَّهُ الجَانِبُ الأُسْرِيُّ وَالتَّرْبَوِيُّ، فَلَمْ تَشْغَلْهُ هُمُومُ العِلْمِ وَالدَّعْوَةِ، وَالإِصْلَاحِ وَالجِهَادِ، عَنْ أُسْرَتِهِ وَحُسْنِ عِشْرَتِهِ لِأَهْلِهِ وَزَوْجِهِ؛ يَقُولُ الإِمَامُ أَحْمَدُ ـ رَحِمَهُ اللهُ: «تَزَوَّجْتُ أُمَّ صَالِحٍ، فَأَقَامَتْ مَعِيْ ثَلَاثِيْنَ سَنَةً، فَمَا اخْتَلَفْتُ أَنَا وَهِيَ فِيْ كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ»[1].

أَيُّهَا الإِخْوَةُ فِي اللَّهِ، وَثَمَّةَ صَفْحَةٌ أُخْرَىٰ مِنْ سِجِلِّ هَـٰذَا الإِمَامِ الخَالِدِ، هِيَ: إِنْصَافُهُ لِلْمُخَالِفِ، وَسَلَامَةُ صَدْرِهِ لِلْمُسْلِمِيْنَ، وَتَقْدِيْرُهُ لِأَهْلِ العِلْمِ وَإِنِ اخْتَلَفَ مَعَهُمْ، وَلَمَّا عَتَبَ عَلَيْهِ بَعْضُهُمْ، وَأَرَادُوا إِثَارَةَ الخِلَافِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الشَّافِعِيِّ، قَالَ: «مَارَأَتْ عَيْنَايَ مِثْلَ الشَّافِعِيِّ»، وَقَالَ: «إِنِّي لَأَدْعُو اللهَ لِلشَّافِعِيِّ مُنْذُ أَرْبَعِيْنَ سَنَةً»[2].

وَلَوْ أَرَدْنَا أَنْ نُقَلِّبَ صَفَحَاتِ حَيَاةِ هَـٰذَا الإِمَامِ كُلَّهَا، لَطَالَ المَقَامُ، وَلَـٰكِنْ حَسْبُنَا الإِشَارَةُ وَالتَّذْكِيْرُ؛ وَفَاءً لِقَدْرِ عُلَمَائِنَا، وَأَدَاءً لِبَعْضِ حَقِّهِمْ عَلَيْنَا، وَرَبْطًا لِلنَّاسِ بِسِيَرِهِمُ الَّتِيْ وَرِثُوهَا عَنِ المَنْهَجِ النَّبَوِيِّ، وَاسْتَقَوْهَا مِنْ مَعِيْنِ الوَحْيِ، فِي بُعْدٍ عَنِ التَّعَصُّبِ المَذْهَبِيِّ، وَالمَسْلَكِ التَّحَزُّبِيِّ، وَفِي مُجَانَبَةٍ لِمَسَالِكِ الغُلُوِّ فِي الأَئِمَّةِ، أَوِ الجَفَاءِ لَهُمْ، وَالحَطِّ مِنْ مَكَانَتِهِمْ.

---

(١) «مناقب الإمام أحمد بن حنبل» لابن الجوزي (ص ٤٠٣).

(٢) «البداية والنهاية» لابن كثير (١٤/ ١٣٥).



أَيُّهَا المُسْلِمُونَ، وَبَعْدَ حَيَاةٍ حَافِلَةٍ بِالخَيْرِ بِجَمِيْعِ جَوَانِبِهِ، قَدَّمَ فِيْهَا أَبُوعَبْدِاللهِ جُهْدَهُ وَجِهَادَهُ، وَأَيْقَظَ فِي الأُمَّةِ الاِعْتِزَازَ بِالإِسْلَامِ، وَشِدَّةَ التَّمَسُّكِ بِالسُّنَّةِ، وَالمَنْهَجِ الصَّحِيْحِ، بَعْدَهَا مَرِضَ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ بِالحُمَّىٰ، يَقُولُ ابْنُهُ عَبْدُاللهِ: «لَمَّا حَضَرَتْ أَبِيْ الوَفَاةُ، جَلَسْتُ عِنْدَهُ، فَجَعَلَ يَعْرَقُ ثُمَّ يُفِيْقُ، ثُمَّ يَفْتَحُ عَيْنَيْهِ، وَيَقُولُ بِيَدِهِ: لاَ بَعْدُ، لاَ بَعْدُ، ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، فَفَعَلَ هَـٰذَا مَرَّةً ثَانِيَةً وَثَالِثَةً، فَلَمَّا كَانَتْ فِي الثَّالِثَةِ، قُلْتُ لَهُ: يَاأَبَتِ، إِنَّك قُلْتَ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ: مَا تَدْرِيْ؟! هَـٰذَا إِبْلِيْسُ قَائِمٌ حِذَائِيْ، عَاضٌّ عَلىٰ أَنَامِلِهِ، يَقُولُ: فُتَّنِي يا أَحْمَدُ، وأَنَا أَقُولُ: لاَ بَعْدُ، حَتَّىٰ أَمُوتَ»[1]. وَقَال صَالِحٌ: «جَعَلَ أَبِيْ يُحَرِّكُ لِسَانَهُ بِالشَّهَادَةِ حَتَّىٰ تُوُفِّيَ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ وَلَهُ سَبْعٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً وَأَيَّامٌ»[2].

وقَدْ شَهِدَتْ جِنَازَتَهُ ـ كَمَا تَقُولُ كُتُبُ السِّيَرِ ـ جُمُوعٌ لَمْ يُشْهَدْ مِثْلُهَا، حَتَّىٰ قِيْلَ: إِنَّ غَيْرَ المُسْلِمِيْنَ أَسْلَمُوا ذٰلِكَ اليَوْمَ، وَكَانَ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ يَقُولُ: «**قُولُوا لأَهْلِ البِدَعِ: بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ يَوْمُ الجَنَائِزِ**»[3]، وَأَوْصَىٰ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ عِنْدَ مَوْتِهِ لأَهْلِهِ وَذُرِّيَّتِهِ وَلِلْمُسْلِمِيْنَ خَيْرًا.

تِلْكُمْ ـ يَارَعَاكُمُ اللهُ ـ صَفَحَاتٌ نَاصِعَةٌ، وَذٰلِكُمْ غَيْضٌ مِنْ

---

(١) «مناقب الإمام أحمد بن حنبل» لابن الجوزي (ص ٥٤٧).
(٢) المصدر السابق (ص ٥٤٨، ٥٤٩).
(٣) المصدر السابق (ص ٥٦٠).



فَيْضٍ[1]، لاَ يُوَفِّي الإِمَامَ حَقَّهُ، وَكَمْ مِنْ مَعَانٍ يَعْجزُ اللِّسَانُ عَنْ تَصْوِيْرِهَا، وَحَيَاةُ الإِمَامِ كُلُّهَا مَعَانٍ وَمَواقِفُ، وَحَسْبُهُ: أَنَّهُ إِمَامُ السُّنَّةِ فِي عِلْمِهِ وَعَمَلِهِ، وَدَعْوَتِهِ وَجِهَادِهِ، وَأَنَّهُ حَرْبٌ عَلَى الجَهْلِ وَالانْحِرَافِ وَالبِدْعَةِ، وَقَدْ خَلَّفَ لِلأُمَّةِ تُرَاثًا عِلْمِيًّا، وَمَذْهَبًا فِقْهِيًّا، لَهُ مِنَ المَزَايَا وَالخَصَائِصِ مَا لَيْسَ لِغَيْرِهِ؛ فَرَحِمَهُ اللهُ رَحْمَةً وَاسِعَةً، وَرَفَعَ مَنْزِلَتَهُ فِي عِلِّيِّيْنَ، مَعَ النَّبِيِّيْنَ والصِّدِّيْقِيْنَ وَالشُّهَدَاءِ والصَّالِحِيْنَ، وَحَسُنَ أُولَـٰئِكَ رَفِيْقًا!!

وَثَمَّةَ تَنْبِيْهٌ أَخِيْرٌ، وَهُوَ: أَنَّ الحَدِيثَ عَنْ عَالِمٍ لَيْسَ حَطًّا مِنْ مَكَانَةِ غَيْرِهِ مِنَ العُلَمَاءِ؛ فَأَبُو حَنِيْفَةَ، وَمَالِكٌ، وَالشَّافِعِيُّ ـ رَحِمَهُمُ اللهُ جَمِيْعًا ـ وَسَائِرُ الأَئِمَّةِ، لَهُمْ حَظُّهُمُ الوَافِرُ، فِيْ خِدْمَةِ الإِسْلاَمِ وَأَهْلِهِ؛ فَرَحِمَهُمُ اللهُ رَحْمَةً وَاسِعَةً، وَرَزَقَنَا السَّيْرَ عَلَىٰ مِنْهَاجِهِمْ؛ إِنَّهُ خَيْرُ مَسْئُولٍ، وَأَكْرَمُ مَأْمُولٍ!!

هَـٰذَا، وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا ـ رَحِمَكُمُ اللهُ ـ عَلَىٰ خَيْرِ الوَرَى، النَّبِيِّ المُصْطَفَىٰ، وَالحَبِيْبِ المُجْتَبَىٰ؛ كَمَا أَمَرَكُمْ بِذٰلِكَ رَبُّكُمْ جَلَّ وَعَلا؛ فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾[الأحزاب].

* * *

(١) هذا من أمثال العرب، والمراد: قليل من كثير. انظر: «مجمع الأمثال» (٢/ ٦٠).



الخطبة الأولى

إِنَّ الحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَتُوبُ إِلَيْهِ، اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ كُلُّهُ، وَلَكَ الشُّكْرُ كُلُّهُ، وَإِلَيْكَ يَرْجِعُ الأَمْرُ كُلُّهُ، عَلاَنِيَتُهُ وَسِرُّهُ، لَكَ الحَمْدُ حَتَّىٰ تَرْضَىٰ، وَلَكَ الحَمْدُ إِذَا رَضِيْتَ، وَلَكَ الحَمْدُ بَعْدَ الرِّضَا، وَلَكَ الحَمْدُ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنَ حَالِ أَهْلِ الضَّلاَلِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَإِلـٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ، الكَبِيْرُ المُتَعَالِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا وَسَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ كَرِيْمُ السَّجَايَا وَشَرِيْفُ الخِصَالِ، صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ خَيْرِ صَحْبٍ وَأَفْضَلِ آلٍ، وَالتَّابِعِيْنَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَىٰ يَوْمِ المَآلِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيْمًا كَثِيْرًا.

أما بعد:

فَيَاعِبَادَ اللهِ، أُوْصِيْكُمْ وَنَفْسِيْ بِتَقْوَى اللهِ؛ فَهِيَ وَصِيَّتُهُ سُبْحَانَهُ لِلأَوَائِلِ وَالأَوَاخِرِ، وَبِهَا تَسْمُو الضَّمَائِرُ، وَتَرِقُّ المَشَاعِرُ، وَتُقْبَلُ الشَّعَائِرُ، وَهِيَ الزَّادُ الحَقِيْقِيُّ فِي هَـٰذِهِ الدُّنْيَا وَفِي غَيَاهِبِ المَقَابِرِ، وَبِهَا النَّجَاةُ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ.

أَيُّهَا المُسْلِمُونَ، حِيْنَمَا تُخَيِّمُ عَلَى الأُمَّةِ اللَّيَالِيْ الحَوَالِكُ، فَإِنَّهَا

بِحَاجَةٍ إِلَىٰ مَنْ يُضِيءُ لَهَا المَسَالِكَ، وَعِنْدَمَا تَتَقَاذَفُ سَفِينَةَ المُجْتَمَعِ أَمْوَاجٌ مِنَ التَّيَّارَاتِ، وَطُوفَانٌ مِنَ التَّحَدِّيَاتِ، تَمَسُّ الحَاجَةُ إِلَىٰ رَبَابِينَ[1] مَهَرَةٍ، وَأَئِمَّةٍ مُصْلِحِيْنَ بَرَرَةٍ، يَقُودُونَ دَفَّتَهَا إِلَىٰ بَرِّ الأَمَانِ، وَشَاطِيءِ السَّلَامِ.

إِخْوَةَ الإِسْلَامِ، الصِّرَاعُ بَيْنَ قُوَى الخَيْرِ وَالشَّرِّ: سُنَّةٌ جَارِيَةٌ، وَشِرْعَةٌ مَاضِيَةٌ، تُؤَكِّدُهَا شَوَاهِدُ التَّارِيْخِ، وَشَهَادَاتُ الوَاقِعِ، غَيْرَ أَنَّ النِّهَايَةَ الحَتْمِيَّةَ ـ تَأْكِيْدًا لِوَعْدِ اللهِ الَّذِيْ لاَ يَتَخَلَّفُ، وَسُنَّتِهِ الَّتِيْ لاَ تَتَغَيَّرُ وَلاَ تَتَبَدَّلُ ـ هِيَ إِحْقَاقُ الحَقِّ، وَإِبْطَالُ البَاطِلِ وَلَوْ كَرِهَ المُجْرِمُونَ؛ ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧]، وَمِنْ فَضْلِ اللهِ وَلُطْفِهِ وَرَحْمَتِهِ بِعِبَادِهِ: أَنْ هَيَّأَ لِهَـٰذِهِ الأُمَّةِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ مَنْ يُضِيءُ لَهَا مَعَالِمَ الدُّرُوبِ، وَمَنْ يُقَارِعُ ـ بِإِذْنِ اللهِ ـ عَوَاتِيَ الخُطُوبِ، وَيُقَاوِمُ شِدَّةَ الأَمْوَاجِ العَاتِيَةِ، وَيُصَارِعُ قُوَّةَ التَّيَّارَاتِ الغَاشِمَةِ، وَمَنْ يُجَدِّدُ لِهَـٰذِهِ الأُمَّةِ أَمْرَ دِيْنِهَا؛ ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾[التوبة]، فَلَمَّا عَلاَ طُوفَانُ الجَاهِلِيَّةِ الأُولَىٰ، وَطَغَى الشِّرْكُ وَالوَثَنِيَّةُ، مَنَّ اللهُ عَلَىٰ هَـٰذِهِ الأُمَّةِ بِبِعْثَةِ النَّبِيِّ المُصْطَفَىٰ، وَالحَبِيْبِ المُجْتَبَىٰ، وَالرَّسُولِ المُرْتَضَىٰ، مُحَمَّدٍ ﷺ.

أُمَّةَ الإِسْلَامِ، وَقَدْ حَمَلَ لِوَاءَ الدَّعْوَةِ بَعْدَ المُصْطَفَىٰ ﷺ صَحَابَتُهُ

---

(١) الربابين: جمع رُبَّان، وربان السفينة: الذي يجريها. «اللسان» (ربن).



الغُرُّ المَيَامِيْنُ، وَتَمُرُّ القُرُونُ، وَتَتَابَعُ السِّنُونَ، وَتَعِيْشُ أُمَّةُ الإِسْلَامِ فِي أَوْضَاعِهَا بَيْنَ مَدٍّ وَجَزْرٍ، وَلَايَزَالُ ـ وَللهِ الحَمْدُ وَالمِنَّةُ ـ فِي كُلِّ الأَعْصَارِ وَالأَمْصَارِ، مَنْ هُوَ قَائِمٌ للهِ بِحُجَّتِهِ، مُنَافِحٌ عَنْ دِيْنِهِ وَمِلَّتِهِ، وَاليَوْمَ تَرْسُو سَفِيْنَةُ الأُمَّةِ عَلَىٰ شَاطِيءِ عَالَمِنَا المُعَاصِرِ، حَيْثُ عَلَا طُوفَانُ الافْتِتَانِ بِالحَضَارَةِ الغَرْبِيَّةِ، وَطَغَىٰ تَيَّارُ الحَيَاةِ المَادِّيَّةِ؛ فَانْبَهَرَ كَثِيْرٌ مِنْ بَنِي جِلْدَتِنَا، وَمَنْ يَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا، بِمَا عَلَيْهِ ظَاهِرُ القَوْمِ، وَأُصِيْبَ كَثِيْرٌ مِنْ أَرْبَابِ الفِكْرِ وَالثَّقَافَةِ، وَحَمَلَةِ الأَقْلَامِ، وَرِجَالِ الإِعْلَامِ، أُصِيْبُوا بِالانْهِزَامِيَّةِ الفِكْرِيَّةِ، وَالخُلُقِيَّةِ، وَالثَّقَافِيَّةِ، فَأَثَّرُوا عَلَى الرَّعَاعِ(١)، وَخَدَعُوا الدَّهْمَاءَ بِزُخْرُفِ القَوْلِ، وَقُشُورِ التَّقَدُّمِيَّةِ المَزْعُومَةِ، وَالمَدَنِيَّةِ الزَّائِفَةِ.

وَبَعْدَ سَنَوَاتٍ مِنَ الصِّرَاعِ بَيْنَ الحَضَارَةِ الإِسْلَامِيَّةِ وَالمَادِّيَّةِ، أَيْقَنَ النَّاسُ بَعْدَهَا بِإِفْلَاسِ حَضَارَةِ المَادَّةِ، وَتَعَرَّتِ الشِّعَارَاتُ الزَّائِفَةُ، وَأَفْلَسَتِ النَّظَرِيَّاتُ الجَوْفَاءُ، وَشَعَرَ العَالَمُ ـ لَاسِيَّمَا المُنْصِفُونَ ـ بِالحَاجَةِ إِلَىٰ دِيْنٍ حَقٍّ، يُهَذِّبُ النُّفُوسَ، وَيُزَكِّي الضَّمَائِرَ، وَيَضْبِطُ الأَخْلَاقَ وَالسُّلُوكَ، وَنَمَتْ ـ وَللهِ الحَمْدُ وَالمِنَّةُ ـ تَوَجُّهَاتٌ إِسْلَامِيَّةٌ عَالَمِيَّةٌ، سَتُعِيدُ ـ بِإِذْنِ اللهِ ـ لِلأُمَّةِ المَفْقُودَ مِنْ أَمْجَادِهَا، والمَنْشُودَ مِنْ عِزِّهَا، وَالمَعْقُودَ مِنْ آمَالِهَا؛ فَانْتَشَرَتِ المَرَاكِزُ الإِسْلَامِيَّةُ، وَكَثُرَتِ الصُّرُوحُ العِلْمِيَّةُ وَالحَضَارِيَّةُ، الَّتِيْ تُعَدُّ مَعَاقِلَ خَيْرٍ وَهِدَايَةٍ، وَصُرُوحَ إِشْعَاعٍ وَإِصْلَاحٍ،

---

(١) الرَّعَاعُ: غَوْغَاءُ النَّاس وَسُقَّاطُهم وَسَفِلَتُهُم، الواحد: رَعَاعَة. «اللسان» (رعع).



وجُسُورًا لِلتَّوَاصُلِ بَيْنَ حَضَارَةِ الإِسْلَامِ وَغَيْرِهَا، وَانْتَشَرَتْ بُيُوتُ اللهِ فِي أَرْضِ اللهِ، بِعِمَارَةِ المُوَفَّقِينَ مِنْ عِبَادِ اللهِ، فِي عُقْرِ دُورِ أَهْلِ الحَضَارَةِ المَادِّيَّةِ.

وَمَعَ هَٰذِهِ البَشَائِرِ، فَإِنَّ هُنَاكَ مَنْ يُرِيدُ إِسْدَالَ السِّتَارِ عَلَىٰ عُقُولِ أَبْنَاءِ هَٰذِهِ الأُمَّةِ؛ لِتَتَمَكَّنَ خَفَافِيشُ وَأَدْعِيَاءُ الحَضَارَةِ مِنَ التَّسَلُّلِ فِي لَيْلٍ حَالِكٍ؛ لِتَرْتَفِعَ أَلْسِنَةُ لَهِيبِ المَفْتُونِينَ لِحِمَايَةِ هَٰذَا العَفَنِ، وَالدِّفَاعِ عَنْهُ، وَالدَّعْوَةِ إِلَيْهِ بِدَعَاوَىٰ مُزَرْكَشَةٍ، وَأَقْوَالٍ مُزَخْرَفَةٍ، وَأَلْبِسَةٍ فَاتِنَةٍ، ظَاهِرُهَا الرَّحْمَةُ، وَبَاطِنُهَا العَذَابُ، يَرْكَبُونَ مَطَايَا مِنَ المُوضَاتِ، وَيَتَزَيَّنُونَ بِأَشْكَالٍ مِنَ التَّقْلِيعَاتِ؛ فِي سَمَاجَةٍ خُلُقِيَّةٍ، وَسَذَاجَةٍ فِكْرِيَّةٍ؛ فَكَانَ لَابُدَّ مِنْ كَشْفِ سُتُورِهَا، وَإِخْرَاجِ مَغْمُورِهَا، وَإِمَاطَةِ اللِّثَامِ، وَالعَمَلِ عَلَىٰ إِشْعَاعِ النُّورِ فِي الظَّلَامِ، تَنْوِيرًا لِلْخَلَائِقِ، وَإِيضَاحًا لِلْحَقَائِقِ؛ ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [التوبة].

مَعَاشِرَ المُسْلِمِينَ، وَلَمْ تَكَدِ القُرُونُ المُفَضَّلَةُ تَنْقَضِي، وَالعُصُورُ الزَّاهِيَةُ لِهَٰذِهِ الأُمَّةِ تَنْتَهِي، حَتَّىٰ بَدَأَ فِي الأُمَّةِ الانْحِدَارُ، وَأَخَذَ تَطْبِيقُ الإِسْلَامِ فِي الانْحِسَارِ؛ فَكَثُرَتِ الانْحِرَافَاتُ، وَتَمَكَّنَتِ الفُرْقَةُ وَالخِلَافَاتُ، تَبَدَّلَتْ قُوَّةُ الأُمَّةِ ضَعْفًا وَوَهْنًا، وَعِزَّتُهَا ذِلَّةً وَاسْتِجْدَاءً[1]، وَأَغَارَ أَعْدَاءُ الأُمَّةِ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِنْ بِلَادِهَا؛ فَنَهَبُوا خَيْرَاتِهَا، وَعَبَثُوا بِمُقَدَّرَاتِهَا، وَاسْتَغَلُّوا

---

(١) الاستجداء: طَلَبُ الجدوى، وهي العطية. «تاج العروس» (جدو).



ثَرَوَاتِهَا، وَ«تَدَاعَوْا عَلَيْهَا كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ عَلَىٰ قَصْعَتِهَا»، فَتَتَابَعَتِ الحَمَلَاتُ الصَّلِيْبِيَّةُ، وَالهَجَمَاتُ التَّتَارِيَّةُ، وَتَهَاوَتِ الحَضَارَةُ الإِسْلَامِيَّةُ فِي الأَنْدَلُسِ، بَعْدَمَا نَعِمَتْ بِهَا ثَمَانِيَةَ قُرُونٍ، وَاقْتَسَمَ الأَعْدَاءُ تَرِكَةَ الرَّجُلِ المَرِيْضِ، وَعَبَثُوا بِمُقَدَّسَاتِ الأُمَّةِ، وَسَقَطَتْ دُوَيْلَاتُ المُسْلِمِيْنَ فِي أَيْدِيْ العَابِثِيْنَ المُسْتَعْمِرِيْنَ، وَبَدَأَتْ حَمَلَاتُ التَّغْرِيْبِ، وَسِيَاسَاتُ تَجْفِيْفِ المَنَابِعِ الخَيْرِيَّةِ فِي الأُمَّةِ، وَمُسِخَتِ الهُوِيَّةُ الإِسْلَامِيَّةُ فِي كَثِيْرٍ مِنْ بِلَادِ المُسْلِمِيْنَ، وَعَلَتِ الشِّعَارَاتُ القَوْمِيَّةُ وَالنَّعَرَاتُ الطَّائِفِيَّةُ، تَلَتْهَا الحُدُودُ الجُغْرَافِيَّةُ، وَالتَّقْسِيْمَاتُ الإِقْلِيْمِيَّةُ، وَخَطَبَ كَثِيْرٌ مِنَ المُنْتَسِبِيْنَ إِلَى الإِسْلَامِ وُدَّ أَعْدَائِهِمْ.

وَحُورِبَ الإِسْلَامُ بِمُصْطَلَحَاتٍ غَرْبِيَّةٍ، أَشْهَرُهَا فِي هَـٰذِهِ الآوِنَةِ: مَا يُعْرَفُ بِمُصْطَلَحِ «**العَوْلَمَةِ**»، الَّذِيْ يُعَدُّ ـ بِاخْتِصَارٍ ـ: غَابَةً مُظْلِمَةً، تَمْلَؤُهَا وُحُوشٌ كَاسِرَةٌ، إِنَّهُ يَرْمِيْ إِلَىٰ تَحْوِيْلِ العَالَمِ إِلَىٰ قَرْيَةٍ وَاحِدَةٍ، لَـٰكِنَّهُ يُثِيْرُ اليَوْمَ زَوَابِعَ مُنْتِنَةً(١)، وَيَنْفُثُ سُمُومًا قَاتِلَةً؛ مِنَ المُمَارَسَاتِ وَالفَوَاجِعِ المُدَمِّرَةِ، وَيُفْضِيْ إِلَى هَيْمَنَةٍ غَرْبِيَّةٍ عَلَى الأُمَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ، وَمِنَ البَدَهِيِّ: أَنَّ الأُمَّةَ المُسَيْطِرَةَ تَسْعَىٰ لِفَرْضِ مُعْتَقَدَاتِهَا وَثَقَافَاتِهَا وَمَصَالِحِهَا عَلَى الأُمَمِ المُسْتَجْدِيَةِ، إِنَّهَا لَا تُرِيْدُ انْتِقَالَ مَعْلُومَاتٍ مُجَرَّدَةٍ، وَتِقْنِيَاتٍ مُيَسَّرَةٍ فَحَسْبُ، وَإِنَّمَا تُرِيْدُ أَنْ تَبْذُرَ بُذُورًا مِنْ حَنْظَلٍ؛ لِتَجْنِيَ الأُمَّةُ ثِمَارًا مِنْ

---

(١) أي: أعاصير كريهة، والزوابعُ: جمع زوبعة، وهي الإعصار. «تاج العروس» (زبع).



عَلْقَمٍ، تَتَجَرَّعُ مَرَارَتَهَا شَجًا[1] فِي الحُلُوقِ، وَطَعَنَاتٍ فِي الخَوَاطِرِ.

وَإِنْ تَعْجَبُوا ـ يَارَعَاكُمُ اللهُ ـ فَعَجَبٌ كَيْلُ أَرْبَابِ العَوْلَمَةِ بِمِكْيَالَيْنِ حِيْنَمَا تَبْدُو سِيَاسَتُهُمْ أَكْثَرَ انْغِلاَقًا وَعُنْصُرِيَّةً وَرَفْضًا لِلْعَالَمِيَّةِ الصَّحِيْحَةِ، حِيْنَمَا تَمَسُّ أَنْمَاطَ مَعِيْشَتِهِمْ؛ وَإِلاَّ فَالمُسْلِمُونَ هُمْ أَهْلُ العَالَمِيَّةِ الحَقَّةِ الَّتِيْ تَمْلأُ الأَرْضَ رَحْمَةً وَعَدْلاً وَسَلاَمًا؛ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء].

ثُمَّ مِنْ حَقِّ المُسْلِمِيْنَ أَنْ يَتَسَاءَلُوا: لِمَاذَا يَتَّخِذُ دُعَاةُ العَوْلَمَةِ الإِسْلاَمَ عَدُوًّا لَدُودًا، وَيُحَاوِلُونَ تَشْوِيْهَ صُورَتِهِ، وَطَمْسَ حَقَائِقِهِ، ظُلْمًا وَعُلُوًّا، وجَرَّ بِلاَدِهِ إِلَىٰ أَنْوَاعٍ مِنَ العَوْلَمَةِ المَفْضُوحَةِ، لَعَلَّ مِنْ أَشَدِّهَا أَثَرًا، وَأَكْبَرِهَا خَطَرًا، وَأَعْظَمِهَا ضَرَرًا: تِلْكَ العَوْلَمَةَ الثَّقَافِيَّةَ وَالإِعْلاَمِيَّةَ الَّتِيْ تَبُثُّ الحَرْبَ ضِدَّ عَقِيْدَةِ المُسْلِمِيْنَ، وَقِيَمِهِمْ وَفِكْرِهِمُ النَّيِّرِ، وَتُرَوِّجُ لِثِقَافَاتٍ مَسْمُومَةٍ، تُنْذِرُ طَلاَئِعُهَا بِمَزِيْدٍ مِنَ الشَّقَاءِ لِلْبَشَرِيَّةِ، فَهَلْ يَاتُرَىٰ يَتَنَبَّهُ المُسْلِمُونَ لِما يُرَادُ بِهِمْ، وَيُخَطَّطُ لَهُمْ؟!

إِنَّ هَٰذِهِ المُصْطَلَحَاتِ تَحَدٍّ كَبِيْرٌ يَحْتَاجُ مِنَ الغَيُورِيْنَ فِي الأُمَّةِ إِلَىٰ رَصْدِهَا، والتَّصَدِّيْ لَهَا مِنْ وِجْهَةٍ شَرْعِيَّةٍ؛ كَمَا أَنَّهَا قَضِيَّةٌ تَحْتَاجُ إِلَى النَّظَرِ فِيْهَا بِدِقَّةٍ وَتَفَهُّمٍ؛ لإِمْكَانِ الاِسْتِفَادَةِ مِنْ إِيْجَابِيَّاتِهَا الَّتِيْ لاَ تَتَعَارَضُ مَعَ

(١) الشَّجَا: مَا اعترض في الحَلْقِ من عظمٍ ونحوه. «القاموس» (شجو).



مَصَالِحِ أُمَّتِنَا الإِسْلاَمِيَّةِ، وَثَوابِتِهَا العَقَدِيَّةِ وَالشَّرْعِيَّةِ.

وَتَبْقَىٰ الحَقِيْقَةُ المُسَلَّمَةُ فِي مُنْطَلَقِ هَـٰذِهِ الصَّيْحَاتِ والمُصْطَلَحَاتِ، وَهِيَ المِشْعَلُ الوَضَّاءُ فِي نِهَايَةِ نَفَقِ التَّحَدِّيَاتِ المَلِيءِ بِالكَيْدِ وَالمُؤَامَرَاتِ؛ فَلَنْ تَهْزِمَ هَـٰذِهِ المُصْطَلَحَاتُ ـ بِإِذْنِ اللهِ ـ عَقِيْدَةَ الإِيْمَانِ المُتَغَلْغِلَةَ فِي نُفُوسِ المُسْلِمِيْنَ ـ بِحَمْدِ اللهِ ـ وَإِنَّهُ لاَيُمْكِنُ لِلْمُسْلِمِيْنَ أَنْ يُوَاجِهُوا هَـٰذِهِ التَّحَدِّيَاتِ إِلاَّ بِتَوْحِيْدِ الجُهُودِ، وَتَنْسِيْقِ المَوَاقِفِ فِي مَنْظُومَةٍ مُتَأَلِّقَةٍ فِي عَالَمٍ يَمُوجُ بِالتَّحَوُّلاَتِ، وَتَعْصِفُ بِعَوامِلِ اسْتِقْرَارِهِ المُتَغَيِّرَاتُ.

أَلاَ فَلْيَعْلَمْ سَمَاسِرَةُ العَوْلَمَةِ فِي عَالَمِنَا الإِسْلاَمِيِّ: أَنَّ أُمَّتَنَا الإِسْلاَمِيَّةَ ـ بِتَارِيْخِهَا وَأَجْيَالِهَا ـ لَنْ تُفَرِّطَ فِي شَيْءٍ مِنْ ثَوَابِتِهَا، وَلَنْ تَتَنَازَلَ عَنْ شَيْءٍ مِنْ خَصَائِصِهَا مَهْمَا عَمِلُوا عَلَىٰ خَلْخَلَةِ البُنَى التَّحْتِيَّةِ ـ الثَّقَافِيَّةِ، وَالأَخْلاَقِيَّةِ ـ فِي كَثِيْرٍ مِنَ المُجْتَمَعَاتِ؛ فَلَنْ نَعْمَلَ ـ بِإِذْنِ اللهِ ـ مُسْتَوْرِدِيْنَ لأَنْمَاطِ العَادَاتِ وَالمُوضَاتِ فِي بُعْدٍ عَنْ قِيَمِنَا وَمَبَادِئِنَا.

لَقَدْ خُيِّلَ لِبَعْضِ المُنْهَزِمِيْنَ أَمَامَ الحَضَارَةِ الغَرْبِيَّةِ مِمَّنِ اسْتَعْبَدَ الغَزْوُ الفِكْرِيُّ قُلُوبَهُمْ: أَنَّ السَّبَبَ فِيْمَا أَصَابَ أُمَّتَنَا مِنْ ضَعْفٍ وَتَأَخُّرٍ، كَانَ نَتِيْجَةً حَتْمِيَّةً لِتَمَسُّكِهِمْ بِدِيْنِهِمْ؛ فَاللهُ المُسْتَعَانُ، وَسُبْحَانَ اللهِ!.

عِبَادَ اللهِ، كَيْفَ انْخَدَعَتْ فِئَامٌ مِنَ الأُمَّةِ؟! وَكَيْفَ انْحَدَرَتْ إِلَىٰ هَـٰذَا المُسْتَوَىٰ مِنَ الوَاقِعِ المَرِيْرِ؟! احْتُلَّتْ فِلَسْطِيْنُنَا الصَّامِدَةُ المُجَاهِدَةُ،



وَاسْتُبِيْحَتْ مُقَدَّسَاتُنَا المُسْلِمَةُ، وَعُبِثَ بِأَرْضِنَا المُبَارَكَةِ، وَنُحِّيَتْ شَرِيْعَةُ اللهِ فِيْ كَثِيْرٍ مِنَ البِلَادِ، بَلْ أُقِيْمَتِ المَتَارِيْسُ ضِدَّهَا بِأَجْيَالٍ انْتُزِعَتْ هُوِيَّتُهُمْ، وَتَرَبَّوْا عَلَىٰ فِكْرِ أَعْدَائِهِمْ، وَسُمِّمَتْ جُمْلَةٌ مِنْ مَنَاهِجِ التَّعْلِيْمِ، وَوَسَائِلِ الإِعْلَامِ - فِي كَثِيْرٍ مِنْ بِلَادِ المُسْلِمِيْنَ - فَأَفْرَزَتْ أَجْيَالاً نَافِرَةً عَنْ دِيْنِهَا، مُنْسَلِخَةً مِنْ قِيَمِهَا، فَخَرَجَتْ تَنْعِقُ[1] بِدَعَوَاتٍ غَرِيْبَةٍ، وَتَعْتَنِقُ أَفْكَارًا جَاهِلِيَّةً، وَتَرَىٰ فِي الدِّيْنِ تَأَخُّرًا وَرَجْعِيَّةً؛ فَإِلَى اللهِ المُشْتَكَىٰ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ!.

أَلَمْ يَأْنِ الأَوَانُ - يَا أُمَّةَ الإِسْلَامِ - أَنْ تَعِيَ الأُمَّةُ رِسَالَتَهَا، وَأَنْ تَتَعَرَّفَ عَلَى الخَلَلِ الكَبِيْرِ فِي حَضَارَةِ أَعْدَائِهَا؟! فَيَا أَهْلَ الإِسْلَامِ، يَامَنْ أَعَزَّكُمُ اللهُ بِهَـٰذَا الدِّيْنِ، وَشَرَّفَكُمْ بِحَمْلِ أَمَانَتِهِ - يَوْمَ أَنْ عَجَزَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَالجِبَالُ عَنْ حَمْلِهَا - إِنَّ عَلَيْكُمْ مَسْؤُوْلِيَّةً كَبِيْرَةً تُجَاهَ دِيْنِ اللهِ؛ تَعَلُّمًا وَتَعْلِيْمًا، وَدَعْوَةً وَإِصْلَاحًا؛ فَالدِّيْنُ قَادِمٌ - بِحَمْدِ اللهِ - لاَبُدَّ أَنْ تَسْتَيْقِنَ الأُمَّةُ بِمَرَاتِبِ اليَقِيْنِ كُلِّهَا: أَنَّهُ لاَ مُخَلِّصَ لِعَالَمِ اليَوْمِ - مِنْ أَزَمَاتِهِ الخَانِقَةِ، وَأَوْضَاعِهِ المُتَرَدِّيَةِ - إِلاَّ الإِسْلَامُ الحَقُّ عَلَىٰ عَقِيْدَةِ التَّوْحِيْدِ الصَّافِيَةِ، وَالمُتَابَعَةِ الصَّحِيْحَةِ لِلْمَنْهَجِ السَّلِيْمِ، كِتَابًا وَسُنَّةً، بِفَهْمِ سَلَفِ الأُمَّةِ.

وَإِنَّ النَّاظِرَ الغَيُورَ لَيَأْسَىٰ أَشَدَّ الأَسَىٰ مِنْ تَضْيِيْعِ الأُمَّةِ لِكَثِيْرٍ مِنَ

---

(١) تَنْعِقُ: تصيح. «اللسان» (نعق).



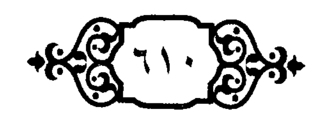
الفُرَصِ فِي الدَّعْوَةِ إِلَىٰ دِيْنِهَا، وَاسْتِثْمَارِ وَسَائِلِ العَصْرِ الحَدِيْثَةِ؛ كَالفَضَائِيِّ مِنَ القَنَوَاتِ، وَالعَالَمِيِّ مِنَ الشَّبَكَاتِ، وَوَسَائِلِ المَعْلُومَاتِ؛ فَأَيْنَ مَنْ يَحْمِلُ هُمُوْمَ العَمَلِ لِلإِسْلَامِ؟! هَاهُوَ العَالَمُ يَفْتَحُ صَدْرَهُ لِلإِسْلَامِ، فَأَيْنَ العَامِلُونَ المُخْلِصُونَ بِمَنْهَجٍ قَوِيْمٍ، وَأُسْلُوبٍ سَلِيْمٍ؟! كَمْ يَبْذُلُ المُسْلِمُونَ مِنْ أَوْقَاتِهِمْ وَجُهُودِهِمْ لِدِيْنِهِمْ؟!

كَفَىٰ حَزَنًا لِلدِّيْنِ أَنَّ حُمَاتَهُ إِذَا خَذَلُوهُ قُلْ لَنَا كَيْفَ يُنْصَرُ؟!

* * *

أَمَا للهِ وَالإِسْلَامِ حَقٌّ يُدَافِعُ عَنْهُ شُبَّانٌ وَشِيْبُ؟!

أُمَّةَ الإِسْلَامِ، إِنَّ مِنَ البَشَائِرِ أَنَّ الحَضَارَةَ المُعَاصِرَةَ تُعْلِنُ إِفْلَاسَهَا، وَتَلْفِظُ أَنْفَاسَهَا؛ وَذٰلِكَ لأَنَّهَا فَرَّطَتْ فِي أَعْظَمِ مُقَوِّمَاتِ البَقَاءِ؛ حَيْثُ أَهْدَرَتِ القِيَمَ الإِنْسَانِيَّةَ، وَرَفَضَتْ أَنْ يَكُونَ لِلدِّيْنِ سُلْطَانٌ عَلَى الحَيَاةِ، وَمِنْ هَـٰذِهِ الثَّغْرَةِ دَخَلَتْ عَلَيْهَا آفَاتُ النَّقْصِ، وَعَوَامِلُ الإِفْلَاسِ، وَمَعَ أَنَّهَا حَقَّقَتِ التَّقَدُّمَ المَادِّيَّ، لَـٰكِنَّهَا تَجَاهَلَتِ الجَانِبَ الإِنْسَانِيَّ، وَالمَصِيْرَ الأُخْرَوِيَّ؛ ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧﴾[الروم]، لَقَدْ أَهْمَلَتِ الإِنْسَانَ، وَتَجَاهَلَتْ رُوحَهُ وَوِجْدَانَهُ، وَعَقْلَهُ وَقَلْبَهُ، وَلَمْ تَنْسَجِمْ مَعَ فِطْرَتِهِ الَّتِيْ فَطَرَهُ اللهُ عَلَيْهَا؛ بَلْ قَدَّمَت لَهُ الشَّهَوَاتِ البَهِيْمِيَّةَ بِدَعْوَى الحُرِّيَّةِ الشَّخْصِيَّةِ،



وجَعلَتْ مِنْهُ آلَةً موَّارَةً[1]، وَرَحًى دوَّارَةً، خَلِيَّةً مِنْ مَعَانِي الرُّوحِ، وَمَعَالِي القِيَمِ؛ وَلِذٰلِكَ تَتعَالَى الصَّيْحَاتُ مِنْ هُنَالِكَ وَهُنَاكَ، مُنْذِرَةً بِسُوءِ مَصِيرِ البَشَرِيَّةِ فِي ظِلِّ هَـٰذِهِ الحَضَارَةِ المَادِّيَّةِ الخَاوِيَةِ مِنْ مُقَوِّمَاتِ الرُّوحِ وَالإِيْمَانِ، وَتُوشِكُ أَنْ تَنْحَدِرَ إِلَى الهَاوِيَةِ.

. . . . والفَضْلُ مَاشَهِدَتْ بِهِ الأَعْدَاءُ![2]

هَاهُمُ المُنْصِفُونَ يُعْلِنُونَ صَيْحَاتِ الخَطَرِ بِأَنَّهُ لاَحَضَارَةَ إِلاَّ بِالإِسْلَامِ، وَ:

. . . . مَا رَاءٍ كَمَنْ سَمِعَا[3]

لَقَدْ أعزَّ اللهُ هَـٰذِهِ الأُمَّةَ بِالإِسْلَامِ، وَهُزِمَتْ مُعَسْكَرَاتُ الوَثَنِيَّةِ، وَدُكَّتْ مَعَاقِلُ الجَاهِلِيَّةِ، وَحُطِّمَ القَيَاصِرَةُ، وَكُسِرَ الأَكَاسِرَةُ، وَهُزِمَ التَّتَارُ

(١) أي: كثيرة الجري والحركة، مبالغة من مَارَ يَمُورُ مَوْرًا: إذا جَعَلَ يَذْهَبُ ويجيء ويتردَّد. «اللسان» (مور).

(٢) عجز بيت للسَّرِيِّ الرَّفَّاء، والبيتُ بتمامه:

وَشَمَائِلٌ شَهِدَ الْعَدُوُّ بِفَضْلِهَا ... وَالْفَضْلُ مَا شَهِدَتْ بِهِ الأَعْدَاءُ!

انظر: «ديوانه» (ص٩)، والبيت من أبيات الأمثال. انظر: «موسوعة أمثال العرب» (٦/ ٣٣).

(٣) جزء من عجز بيت لا يعرف قائله، وهو بتمامه:

يَا ابْنَ الْكِرَامِ أَلاَ تَدْنُو فَتُبْصِرَ مَا ... قَدْ حَدَّثُوكَ فَمَا راءٍ كَمَنْ سَمِعَا

والبيت من شعر الأمثال، وفي معناه قولهم: «ليس الخبر كالمعاينة» و«ليس المخبَّر كالمعاينِ» انظر: «مجمع الأمثال» (٢/ ١٨٢)، و«شرح قطر الندى» (ص٩٦).



وَالصَّلِيْبِيُّونَ بِرَفْعِ شِعَارِ: اللهُ أَكْبَرُ، وَانْتَصَرَ المُصْطَفَىٰ ﷺ، وَعَزَّ عُمَرُ وَسَعْدٌ، وَخَالِدٌ وَطَارِقٌ، وَصَلاَحُ الدِّيْنِ بِإِعْلاَءِ رَايَةِ «**لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ**»، وَأَصْبَحَتِ الأُمَّةُ قَوِيَّةً مَرْهُوبَةَ الجَانِبِ بِالإِسْلاَمِ لَيْسَ إِلاَّ، وَسَتُنْصَرُ هَـٰذِهِ الأُمَّةُ المُعَاصِرَةُ بِالإِسْلاَمِ ـ بِإِذْنِ اللهِ ـ لأَنَّهُ دِيْنُ الفِطْرَةِ؛ ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠].

وَمَعَ ذَلِكَ كُلِّهِ: فَلاَبُدَّ أَنْ يُقَدِّمَ المُسْلِمُونَ لِدِيْنِهِمْ، وَيُصْلِحُوا أَنْفُسَهُمْ، وَيُعَالِجُوا عُيُوبَهُمْ مِنَ الدَّاخِلِ، وَيَسُدُّوا كُلَّ ثَغْرَةٍ يُرِيْدُ أَنْ يَنْفُذَ العَدُوُّ مِنْهَا، وَأَنْ يَتَّحِدُوا عَلَى المَصْدَرَيْنِ العَظِيْمَيْنِ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَيَنْبِذُوا كُلَّ الاتِّجَاهَاتِ وَالمَذَاهِبِ، وَجَمِيْعَ الأَحْزَابِ وَالمَشَارِبِ، الَّتِيْ تُخَالِفُ تَعَالِيْمَهُ، وَأَنْ يُؤَصِّلُوا ـ فِي أَنْفُسِهِمْ، وَأَجْيَالِهِمْ ـ العِلْمَ الشَّرْعِيَّ النَّافِعَ، وَالتَّرْبِيَةَ السَّلِيمَةَ الرَّاشِدَةَ.

إِخْوَةَ العَقِيْدَةِ، إِنَّ المُسْلِمَ يَتَفَاءَلُ كَثِيرًا بِأَنَّ المُسْتَقْبَلَ لِدِيْنِ اللهِ؛ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الروم]، وَكَمَا أَخْبَرَ المُصْطَفَىٰ ﷺ وَبَشَّرَ: «**لَيَبْلُغَنَّ هَـٰذَا الدِّيْنُ مَابَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلاَ يَتْرُكُ اللهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلاَ وَبَرٍ إِلاَّ أَدْخَلَهُ اللهُ هَـٰذَا الدِّينَ؛ بِعِزِّ عَزِيْزٍ، أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللهُ بِهِ الإِسْلاَمَ، وَذُلاًّ يُذِلُّ بِهِ الكُفْرَ!**»(١)، وَتِلْكَ لَيْسَتْ أَحْلاَمًا

---

(١) رواه أحمد (٤/ ١٠٣)، والحاكم (٤/ ٤٣٠)، والبيهقي (٩/ ١٨١)، من حديث تميم الداري، رضي الله عنه.



أَوْ أَوْهَامًا، حَاشَا وَكَلَّا!! وَإِنَّمَا هِيَ وُعُودُ حَقٍّ، وَأَخْبَارُ صِدْقٍ، غَيْرَ أَنَّ الوَاجِبَ عَلَى الأُمَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ: أَنْ يَكُونَ لَهَا مَزِيْدُ اهْتِمَامٍ، وَبَذْلُ جُهُودٍ أَكْثَرَ فِي خِدْمَةِ الدَّعْوَةِ الإِسْلَامِيَّةِ، وَإِنَّنَا لَنَتَوَجَّهُ إِلَىٰ قَادَةِ المُسْلِمِيْنَ بِتَذْكِيْرِهِمْ بِالوَاجِبِ الأَكْبَرِ فِي إِعْزَازِ دِيْنِ اللهِ، وَتَحْكِيْمِ شَرِيْعَةِ اللهِ، وَنُصْرَةِ أَوْلِيَاءِ اللهِ.

عَلَى المُسْلِمِيْنَ جَمِيْعًا: أَنْ يَبْذُلُوا لِدِيْنِهِمْ؛ لِأَنَّ النَّاسَ مُتَعَطِّشُونَ لِغِذَاءِ الرُّوحِ بَعْدَ أَنْ مَلُّوا التَّفَنُّنَ بِالمَادِّيَّاتِ، لَاسِيَّمَا فِي العَالَمِ الغَرْبِيِّ، وَإِنَّ عَلَى العُلَمَاءِ، وَالدُّعَاةِ إِلَى اللهِ، وَأَهْلِ الخَيْرِ وَالإِصْلَاحِ، وَذَوِيْ الكَفَاءَةِ العِلْمِيَّةِ وَالآدابِ المَرْعِيَّةِ: أَنْ يُسْهِمُوا فِي النُّهُوضِ بِمُسْتَوَى الدَّعْوَةِ وَالتَّوْجِيْهِ؛ لِمَا لَهَا مِنَ الأَثَرِ البَالِغِ عَالَمِيًّا؛ تَصْحِيْحًا لِلْمَنَاهِجِ، وَتَقْوِيَةً لِلأَوَاصِرِ، وَتَشْجِيْعًا لِلْمُسْلِمِيْنَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَإِشْعَارًا لَهُمْ بِمَكَانِهِمْ، وَدَوْرِ بِلَادِ الإِسْلَامِ الَّتِيْ يَشْعُرُونَ أَنَّهَا تَهْتَمُّ بِهِمْ، وَتَرْعَىٰ شُئُونَهُمْ، وَتُشَاطِرُهُمْ آلَامَهُمْ وَآمَالَهُمْ؛ وَبِالتَّالِيْ: سَدُّ البَابِ أَمَامَ كُلِّ مَنْ يُرِيْدُ الاصْطِيَادَ فِي المَاءِ العَكِرِ مِنْ أَصْحَابِ الاتِّجَاهَاتِ المُنْحَرِفَةِ، وَالمَسَالِكِ الضَّالَّةِ، وَالمَشَارِبِ المَشْبُوهَةِ؛ كَمَا أَنَّ الدَّعْوَةَ مُتَجَدِّدَةٌ ـ وَبِإِلْحَاحٍ شَدِيْدٍ فِي عَصْرِنَا الحَاضِرِ ـ إِلَى العَمَلِ عَلَىٰ إِيْجَادِ قَنَواتٍ إِعْلَامِيَّةٍ إِسْلَامِيَّةٍ تَبُثُّ الدَّعْوَةَ إِلَى اللهِ وَمَحَاسِنَ الدِّيْنِ القَوِيْمِ بِلُغَاتٍ شَتَّىٰ؛ لِأَنَّ الإِعْلَامَ اليَوْمَ ـ فِي العَالَمِ كُلِّهِ ـ يُؤَدِّيْ دَوْرًا كَبِيْرًا فِي التَّأْثِيْرِ عَلَىٰ جَمِيْعِ



الفِئَاتِ؛ مِمَّا يَتَطَلَّبُ مِنَ المَعْنِيِّيْنَ بِشُئُونِ المُسْلِمِيْنَ ـ لاَسِيَّمَا أَهْلُ الثَّرَاءِ وَالْيَسَارِ، وَرِجَالُ الأَعْمَالِ، وَذَوُو الاقْتِدَارِ ـ أَنْ يُسْهِمُوا بِسَدِّ هَـٰذِهِ الثَّغْرَةِ؛ أَدَاءً لِلْوَاجِبِ عَلَيْهِمْ تُجَاهَ دِيْنِهِمْ وَمُجْتَمَعَاتِهِمْ.

وَأُمَّتُنَا ـ بِحَمْدِ اللهِ ـ أُمَّةٌ مَلِيْئَةٌ بالكَفَاءَاتِ، ثَرِيَّةٌ بالطَّاقَاتِ، وَزَاخِرَةٌ بالقُدُرَاتِ، في شَتَّى التَّخَصُّصَاتِ، مِمَّنْ هُمْ مُؤَهَّلُونَ لِلْعَمَلِ بِجَدَارَةٍ واقْتِدَارٍ، أَتَعْجِزُ الأُمَّةُ بِكَفَاءَاتِها وَرِجَالِهَا وَمَوَارِدِهَا: أَنْ يَنْبَرِيَ مِنْهَا مَنْ يَقُوْمُ ـ تَسْلِيَةً لِلْمَحْزُونِ، وَإِقْرَارًا لِلْعُيُونِ ـ بِإِنْشَاءِ قَنَوَاتٍ إِعْلاَمِيَّةٍ إِسْلاَمِيَّةٍ تُوَاكِبُ تَطَوُّرَاتِ العَصْرِ، وَتَحْمِلُ رِسَالَةَ الإِسْلاَمِ الحَقِّ، بَعْدَ أَنْ عَمِلَتِ القَنَوَاتُ الفَضَائِيَّةُ المُسِفَّةُ أَبْشَعَ أَعْمَالِهَا؛ بِوَأْدِ الفَضِيْلَةِ، وَرَفْعِ رَايَةِ الرَّذِيْلَةِ، غُثَاءً وَهُرَاءً، وَعَفَنًا وَانْحِلاَلاً، تَبْكِي لَهُ الفَضِيْلَةُ، وَتَئِنُّ مِنْ لأْوَائِهِ الأَخْلاَقُ وَالقِيَمُ، وَمِمَّا يَزِيْدُ القَلْبَ أَسًى وَحُرْقَةً: أَنَّهَا قَدْ تَعُودُ فِي مُعْظَمِهَا إِلَىٰ مُلاَّكٍ مِنْ بَنِيْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِلُغَتِنَا؛ فَأَيْنَ حَمِيَّةُ القَوْمِ الدِّيْنِيَّةُ؟! وَشَهَامَتُهُمُ العَرَبِيَّةُ؟! وَغَيْرَتُهُمُ الإِسْلاَمِيَّةُ؟! نَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الرَّدَىٰ بَعْدَ الهُدَىٰ!

وَلِلْحَـوَادِثِ سُلْـوَانٌ يُسَهِّلُهَـا ... وَمَا لِمَا حَلَّ بِالإِسْلاَمِ سُلْوَانُ!

أَلاَ نُفُوسٌ أَبِيَّاتٌ لَهَا هِمَمٌ؟! ... أَمَا عَلَى الخَيْرِ أَنْصَارٌ وَأَعْوَانُ؟!

لِمِثْلِ هَـٰذَا يَذُوبُ القَلْبُ مِنْ كَمَدٍ ... إِنْ كَانَ فِي القَلْبِ إِسْلاَمٌ وَإِيْمَانُ![1]

(١) الأبيات للشاعر الأندلسي أبي البقاء الرندي من مرثيّته المشهورة في الأندلس (توفي ٧٩٨هـ). وقد سبقت بعض أبيات منها (ص٥١٣).



﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩ ﴾ [العنكبوت].

سَدَّدَ اللهُ خُطَا العَامِلِيْنَ، وَبَارَكَ فِي جُهُودِ الغَيُورِيْنَ؛ لِنُصْرَةِ دِيْنِهِمْ، وَخِدْمَةِ أُمَّتِهِمْ وَبِلَادِهِمْ، وَجَعَلَ الأَعْمَالَ خَالِصَةً لِوَجْهِهِ الكَرِيْمِ؛ إِنَّهُ خَيْرُ مَسْئُوْلٍ، وَأَكْرَمُ مَأْمُولٍ.

أَقُولُ قَوْلِيْ هَـٰذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيْمَ الجَلِيلَ لِي وَلَكُمْ وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ، وَتُوبُوا إِلَيْهِ.

فَيَا لَفَوْزِ التَّائِبِيْنَ! وَيَا لَبُشْرَى الْمُسْتَغْفِرِيْنَ!!

الخطبة الثانية

الحَمْدُ للهِ الَّذيْ جَعَلَنا مِنْ خَيْرِ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، وَمَنَّ عَلَيْنَا بِلِبَاسِ الإِيْمَانِ خَيْرِ لِبَاسٍ، أَحْمَدُهُ تَعَالَىٰ وَأَشْكُرُهُ عَلَىٰ مَاهَدَانَا لِلإِسْلَامِ، وَجَعَلَنَا مِنْ أُمَّةِ سَيِّدِ الأَنَامِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَاإِلٰـهَ إِلاَّ اللهُ وَلِيُّ الفَضْلِ وَالإِنْعَامِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُوْلُهُ، بَدْرُ التَّمَامِ، وَمِسْكُ الخِتَامِ، وَخَيْرُ مَنْ عَمِلَ بِالدِّيْنِ وَقَامَ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ البَرَرَةِ الكِرَامِ، وَصَحَابَتِهِ الأَئِمَّةِ الأَعْلَامِ، وَالتَّابِعِيْنَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّيْنِ.

أما بعد:

فَاتَّقُوا اللهَ - عِبَادَ اللهِ - وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ الحَدِيْثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

أَيُّهَا الأَحِبَّةُ فِي اللهِ، إِنَّ دِيْنَ الإِسْلَامِ الَّذِيْ هَدَانَا اللهُ إِلَيْهِ - وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللهُ - هُوَ المِنَّةُ الكُبْرَىٰ، وَالنِّعْمَةُ العُظْمَى الَّتِيْ نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُوزِعَنَا شُكْرَهَا، عِلْمًا وَعَمَلًا، ظَاهِرًا وَبَاطِنًا؛ هُوَ دِيْنُ الخَيْرِ وَالعَدْلِ وَالسَّلَامِ، وَالرَّحْمَةِ وَالمَحَبَّةِ وَالوِئَامِ، وَالبَشَرِيَّةُ اليَوْمَ تَتَطَلَّعُ إِلَىٰ أَنْ تَتَفَيَّأَ ظِلَالَ هَـٰذَا الدِّيْنِ القَوِيْمِ؛ مِمَّا يَتَطَلَّبُ الجِدَّ فِي مَجَالِ العَمَلِ لِلإِسْلَامِ، وَالنُّهُوضَ بِمُسْتَوَى الدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ، وَتَنْسِيْقَ الجُهُودِ بَيْنَ



العَامِلِيْنَ، وَالحَذَرَ مِنَ الخِلَافِ وَالفُرْقَةِ الَّتِيْ لاَ يَسْتَفِيْدُ مِنْهَا إِلاَّ العَدُوُّ المُتَرَبِّصُ.

أَيُّهَا الإِخْوَةُ فِي اللهِ، إِنَّ هُنَاكَ فُرَصًا عَظِيْمَةً يُؤْسِفُ كُلَّ غَيُورٍ عَلَىٰ أَوْضَاعِ أُمَّتِهِ أَنْ يُفَرِّطَ فِي اسْتِثْمَارِهَا المُسْلِمُونَ؛ فَالأَرْضُ خِصْبَةٌ، وَالفُرَصُ مُوَاتِيَةٌ، وَإِنَّ القَضِيَّةَ تَرْجِعُ إِلَىٰ حَاجَةِ الأُمَّةِ اليَوْمَ إِلَى العَمَلِ بِخُطَطٍ سَلِيْمَةٍ، وَمَنْهَجِيَّةٍ مَدْرُوْسَةٍ قَوِيْمَةٍ، تُخَرِّجُ دُعَاةً عَلَىٰ مُسْتَوَى العَصْرِ الَّذِيْ يَعِيْشُونَهُ؛ لِنُثْبِتَ لِلْعَالَمِ صِدْقَ تَوجُّهَاتِنَا، وَسَلاَمَةَ مَقَاصِدِنَا، وَسُمُوَّ أَهْدَافِنَا بَعْدَ أَنْ شُوِّهَ الإِسْلاَمُ مِنْ أَطْرَافٍ عَلْمَانِيَّةٍ مُنْحَرِفَةٍ فِي ثَقَافَتِهَا وَأَخْلاَقِهَا، وَمِنْ أَطْرَافٍ جَاهِلَةٍ غَالِيَةٍ لاَ تُؤْمِنُ إِلاَّ بِسَفْكِ الدِّمَاءِ، وَتَنَاثُرِ الأَشْلاَءِ[1]، وَدِيْنُ اللهِ وَسَطٌ بَيْنَ الغَالِي فِيْهِ، وَالجَافِي عَنْهُ.

وَإِنَّ مِنَ التَّحَدُّثِ بِنِعَمِ اللهِ: تِلْكَ الجُهُودَ الَّتِيْ يَنْبَغِيْ أَنْ تُذْكَرَ فَتُشْكَرَ، وَعِنْدَ المُنْصِفِيْنَ لاَ تُغْفَلُ وَلاَ تُنْكَرُ، الَّتِي يَبْذُلُهَا جُنُودٌ مَغْمُورُوْنَ مِن أَهْلِ الخَيْرِ وَالدَّعْوَةِ وَالإِصْلاَحِ؛ مِمَّنْ آثَرُوا مَا عِنْدَ اللهِ، وَلاَ يُنْسَى الدَّوْرُ الفَاعِلُ الَّذِيْ يَنْبَغِيْ أَنْ يُرْوَىٰ فَلاَ يُطْوَىٰ، وَيُظْهَرَ فَلاَ يُغْمَرَ، وَيُبَانَ فَلاَ يُطْمَرَ لِبِلاَدِ الحَرَمَيْنِ الشَّرِيْفَيْنِ ـ حَرَسَهَا اللهُ ـ فِي المَجَالاَتِ الدَّعَوِيَّةِ، وَالمَنَاشِطِ الإِسْلاَمِيَّةِ، فِي كَثِيْرٍ مِنْ بِلاَدِ العَالَمِ؛ وَلاَ غَرْوَ: فَهَـٰذَا مِنْ

---

(١) الأشلاء: جمع شِلْو، وهو العضو. «اللسان» (شلو).



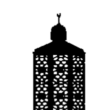
صَمِيْمِ ثَوَابِتِهَا، وَأَهَمِّ أَهْدَافِهَا وَمُنْطَلَقَاتِهَا فِي بِنَاءِ المَرَاكِزِ الإِسْلَامِيَّةِ، وَإِشَادَةِ المُؤَسَّسَاتِ الخَيْرِيَّةِ، وَالصُّرُوحِ الحَضَارِيَّةِ، جَعَلَهُ اللهُ خَالِصًا لِوَجْهِهِ الكَرِيْمِ، وَضَاعَفَ مَثُوبَتَهَا، وَزَادَهَا مِنَ الخَيْرِ وَالتَّوْفِيْقِ؛ بِمَنِّه وَكَرَمِه!

أَلَا وَاعْلَمُوا - رَحِمَكُمُ اللهُ - أَنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيْكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، كَثْرَةَ صَلَاتِكُمْ وَسَلَامِكُمْ عَلَى الهَادِيْ البَشِيْرِ، وَالسِّرَاجِ المُنِيْرِ؛ كَمَا أَمَرَكُمُ اللهُ بِذَلِكَ المَوْلَى اللَّطِيْفُ الخَبِيرُ؛ فَقَالَ تَعَالَىٰ قَوْلاً كَرِيْمًا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب].

* * *



مُؤَامَرَاتٌ لَا مُؤْتَمَرَاتٌ!



(بِمُنَاسَبَةِ عَقْدِ مُؤْتَمَرِ السُّكَّانِ وَالتَّنْمِيَةِ)

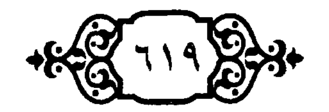
الخطبة الأولى

إِنَّ الحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَتُوبُ إِلَيْهِ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَـٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ؛ بَلَّغَ الرِّسَالَةَ، وَأَدَّى الأَمَانَةَ، وَنَصَحَ الأُمَّةَ، وَجَاهَدَ فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَتْبَاعِهِ، وَمَنِ اقْتَفَىٰ أَثَرَهُ وَاهْتَدَىٰ بِهُدَاهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَاتَّقُوا اللهَ - عِبَادَ اللهِ - فَقَدْ أَمَرَكُمْ جَلَّ وَعَلاَ بِتَقْوَاهُ، فَاعْمَلُوا عَلَىٰ سُلُوكِ طَرِيْقِ هُدَاهُ.

أَيُّهَا الإِخْوَةُ فِي اللهِ، لَقَدْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَى الإِنْسَانِ حَيْثُ خَلَقَهُ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيْمٍ، وَكَرَّمَهُ أَعْظَمَ تَكْرِيْمٍ: بَدَأَ خَلْقَهُ مِنْ طِيْنٍ، وَنَفَخَ فِيْهِ مِنْ رُوْحِهِ، وَفَضَّلَهُ عَلَىٰ سَائِرِ المَخْلُوقَاتِ، وَمَيَّزَهُ بِالسَّمْعِ وَالبَصَرِ وَالفُؤَادِ؛ وَسَخَّرَ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيْعًا مِنْهُ، وَأَسْبَغَ عَلَيْهِ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً



وَبَاطِنَةً؛ خَلَقَهُ وَاصْطَفَاهُ، وَفَضَّلَهُ وَاجْتَبَاهُ، وَأَعَدَّهُ أَكْمَلَ إِعْدَادٍ وَأَوْفَاهُ؛ أَكْرَمَهُ بِالفِطْرَةِ السَّوِيَّةِ، وَالعَقِيْدَةِ النَّقِيَّةِ، وَحَمَّلَهُ الأَمَانَةَ الغَالِيَةَ، وَكَلَّفَهُ الرِّسَالَةَ السَّامِيَةَ؛ أَنْشَأَهُ مِنَ الأَرْضِ لِيَعْمُرَهَا، وَاسْتَخْلَفَهُ فِيْهَا لِيُصْلِحَهَا؛ يُنَفِّذُ أَحْكَامَهُ، وَيُطَبِّقُ شَرِيْعَتَهُ، وَهَيَّأَ لَهُ فِيهَا كُلَّ مَا يَحْتَاجُهُ؛ مِمَّا تَقُومُ بِهِ حَيَاتُهُ، وَيُصْلِحُ لَهُ أَمْرَ دِيْنِهِ وَدُنْيَاهُ؛ ﴿۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾ [الإسراء].

أَيُّهَا الإِخْوَةُ المُسْلِمُونَ، لَقَدْ حَظِيَ الإِنْسَانُ فِي ظِلِّ الإِسْلَامِ بِتَكْرِيْمٍ لاَ مَثِيْلَ لَهُ، وَتَشْرِيْفٍ لاَ نَظِيْرَ لَهُ، يَنَالُ ذٰلِكَ مُنْذُ تَكْوِيْنِهِ جَنِينًا فِي بَطْنِ أُمِّهِ، وَيَمْتَدُّ هَـٰذَا التَّكْرِيْمُ فِي المَنْهَجِ الإِسْلَامِيِّ، لِيَشْمَلَ كُلَّ فَرْدٍ فِي المُجْتَمَعِ الإِنْسَانِيِّ، ذَكَرًا كَانَ أَوْ أُنْثَىٰ، ضَعِيْفًا أَوْ قَوِيًّا، فَقِيْرًا أَوْ غَنِيًّا؛ فِي بُعْدٍ عَنِ النَّزَعَاتِ الإِقْلِيْمِيَّةِ، والعَصَبِيَّاتِ القَوْمِيَّةِ، وَفِي مَنْأًى عَنِ المَبَادِىءِ الجَاهِلِيَّةِ، وَالقَوَانِيْنِ الوَضْعِيَّةِ، الَّتِيْ سَامَتِ الإِنْسَانَ سُوءَ العَذَابِ؛ فَرَسَمَتْ لَهُ هَدَفَهُ؛ اسْتِغْرَاقًا فِي الإِبَاحِيَّةِ وَالشَّهَوَاتِ، وَانْغِمَاسًا فِي المَادِّيَّاتِ وَالمَلَذَّاتِ، جَعَلَتْ مِنْهُ آلَةً مُتَحَرِّكَةً، يَتَحَوَّلُ بَعْدَهَا إِلَىٰ مَعِدَةٍ جَائِعَةٍ، بِلاَ رُوحٍ وَلاَ ضَمِيْرٍ، وَبِلاَ شُعُورٍ وَلاَ وَازِعٍ؛ فَدَمَّرَتِ الإِنْسَانَ مِنْ حَيْثُ تُرِيْدُ بِنَاءَهُ؛ وَذٰلِكَ لأَنَّ الإِنْسَانَ مَخْلُوقٌ تَجْتَمِعُ فِيْهِ قُوَى الرُّوحِ وَالجَسَدِ، وَلِكُلٍّ مِنْهُمَا طَاقَاتٌ وَمُتَطَلَّبَاتٌ، تُؤْخَذُ مُجْتَمِعَةً مُتَوَازِنَةً، وَلَمْ



وَلَنْ وَلاَيَتِمُّ ذٰلِكَ إِلاَّ فِي ظِلِّ الإِسْلاَمِ الحَقِّ.

ولَقَدْ أَخْفَقَتْ كُلُّ المُحَاوَلاَتِ البَشَرِيَّةِ، وَالنُّظُمِ الأَرْضِيَّةِ فِي إِسْعَادِ الإِنْسَانِ؛ لَمَّا أَقْصَتْ عَنْ حَيَاتِهِ مَطَالِبَ الرُّوحِ، وَغِذَاءَ الإِيْمَانِ، وَحَجَبَتْ نُورَ العَقِيْدَةِ أَنْ يَغْمُرَ الفَرْدَ ببَهَائِهِ، وَالمُجْتَمعَ بضِيَائِهِ، وَذٰلِكَ ـ لَعَمْرُ الحَقِّ ـ عُدْوَانٌ صَارِخٌ عَلَى الإِنْسَانِ، وَتَجَاهُلٌ لِحَقِيْقَتِهِ، وَإِهْدَارٌ لإِنْسَانِيَّتِهِ، وَزِرَايَةٌ خَطِيْرَةٌ بِكَرَامَتِهِ، وَوَأْدٌ لِمَعَانِيْ الخَيْرِ وَالفَضِيْلَةِ والقِيَمِ فِي نَفْسِهِ، وَإِنَّ أَيَّ دَعْوَةٍ لِلإِنْسَانِ بتَخَطِّيْ حُدُودِ اللهِ، وَتَجَاوُزِ شَرِيْعَةِ اللهِ، إِنَّمَا تُسِفُّ بالإِنْسَانِ، وَتَهْبِطُ بِهِ مِنْ آفَاقِ العِزَّةِ والكَرَامَةِ، إِلَىٰ حَضِيْضِ الضَّعَةِ والمَهَانَةِ، وَتَجْعَلُهُ سَادِرًا[1] فِي الظَّلاَمِ، غَارِقًا فِي التِّيْهِ وَالضَّلاَلِ، تَعْصِفُ بِهِ تَيَّارَاتُ الضَّيَاعِ، وَتُوقِعُهُ فِي عَالَمِ القَلَقِ وَالحَيْرَةِ، وَالاضْطِرَابِ والتَّوَتُّرِ والجَرِيْمَةِ؛ مِنْ حَيْثُ تَزْعُمُ أَنَّهَا تُرِيْدُ سَعَادَتَهُ، وَتَدَّعِيْ أَنَّهَا تُحَرِّرُهُ وَتَفْتَحُ مَدَارِكَهُ، وَتَجْعَلُهُ يُوَاكِبُ الرَّكْبَ فِي التَّطَوُّرِ والمَدَنِيَّةِ زَعَمُوا! وَلِسَانُ حَالِهَا يَقُولُ:

. . . . **وَدَاوِنِي بِالَّتِيْ كَانَتْ هِيَ الدَّاءُ**[2]

---

(١) سادرًا: تائها متحيِّرًا. «تاج العروس» (سدر).

(٢) عَجُزُ بيتٍ لأبي نُوَاسٍ، والبيت بتمامه:

دَعْ عَنْكَ لَوْمِي فَإِنَّ اللَّوْمَ إِغْرَاءُ ... وَدَاوِنِي بِالَّتِي كَانَتْ هِيَ الدَّاءُ

انظر: «ديوانه» (١/ ٢١)، و«خزانة الأدب» (١١/ ٤٣٤).

والبيت من أشعار الأمثال. انظر: «موسوعة أمثال العرب» (٦/ ٣٤).



أَبَعْدَ هَـٰذَا يَنْخَدِعُ الإِنْسَانُ بِالدَّعَاوَى المُزَرْكَشَةِ، وَالوُعُودِ الكَاذِبَةِ، وَالمُؤْتَمَرَاتِ المَشْبُوهَةِ، الَّتِيْ يُرِيْدُ أَصْحَابُهَا تَشْكِيْكَ أَهْلِ الإِسْلَامِ فِي مَبَادِئِهِ وَقِيَمِهِ، وَأَخْلَاقِهِ وَمُثُلِهِ، وَصَلَاحِيَتِهِ لِكُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ؟!

وَالسُّؤَالُ الَّذِيْ يَفْرِضُ نَفْسَهُ: مَاذَا يُرِيْدُ هَؤُلَاءِ؟!

أَيُرِيْدُونَهَا عَلْمَانِيَّةً[1] تُقْصِي الدِّيْنَ عَنْ وَاقِعِ الحَيَاةِ، وَعَنْ تَنْظِيْمِ شُئُونِ النَّاسِ السِّيَاسِيَّةِ وَالاِقْتِصَادِيَّةِ، والاِجْتِمَاعِيَّةِ والأَخْلَاقِيَّةِ وَغَيْرِهَا، وَتَجْعَلُ مِنَ الدِّيْنِ طُقُوسًا لاَ أَثَرَ لَهَا فِي دُنْيَا الوَاقِعِ؟!

أَيُرِيْدُونَهَا إِبَاحِيَّةً تُدَاسُ فِيْهَا القِيَمُ، وَتُهْدَرُ مِنْ خِلَالِهَا الأَخْلَاقُ، وَتُشَاعُ الأَمْرَاضُ وَالجَرَائِمُ؟!

أَيُرِيْدُونَهَا فَوْضَوِيَّةً يَتَسَلَّطُ فِيْهَا القَوِيُّ عَلَى الضَّعِيْفِ، وَيُصْبِحُ النَّاسُ فِيْهَا أَشْبَهَ بِوُحُوشٍ كَاسِرَةٍ، وَسِبَاعٍ ضَارِيَةٍ، لاَ مَكَانَ فِيْهَا إِلاَّ لِلأَقْوَىٰ؟!

لَقَدْ أَفْلَسَتْ كُلُّ هَـٰذِهِ النَّظَرِيَّاتِ، وَلَمْ تَعُدْ صَالِحَةً لإِسْعَادِ البَشَرِيَّةِ، وَالوَاقِعُ مِنْ أَكْبَرِ الشَّوَاهِدِ عَلَىٰ ذَٰلِكَ، فَالعَجَبُ مِنَ الأَصْوَاتِ النَّاعِقَةِ،

---

(١) العَلْمَانية، بفتح العين: نسبة إلى العَالَم ـ بفتح اللام ـ وليست إلى العِلْم، ومدلولُهَا المُتَّفَقُ عليه، يعني: عَزْلَ الدِّينِ عن الدَّوْلَةِ وحياةِ المجتمع. انظر: «الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة» (٢/ ٦٨٩).



وَالأَقْلاَمِ الحَاقِدَةِ، والمُؤْتَمَرَاتِ المَشْبُوهَةِ؛ كَيْفَ تَجْرُؤُ عَلَىٰ مُحَادَّةِ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَمُصَادَمَةِ شَرْعِهِ؟! وَالعَجَبُ العُجَابُ مِنْ ذٰلِكَ الإِنْسَانِ الضَّعِيْفِ! كَيْفَ يَعْدُو قَدْرَهُ، وَيَتَجَاوَزُ حَدَّهُ وَيَشْمَخُ بِأَنْفِهِ[١]، وَيَعْتَدُّ بِقُوَّتِهِ، وَيَتَبَاهَىٰ بِسَطْوَتِهِ، وَيَمْتَلِىءُ غُرُورًا وَكِبْرِيَاءً وَغَطْرَسَةً[٢]؟!

لَـٰكِنَّهُ الإِنْسَانُ فِي غُلَوَائِهِ ... ضَلَّتْ بَصِيْرَتُهُ فَجُنَّ جُنُونَا

مَا أَضْيَعَ الإِنْسَانَ مَهْمَا غَذَّ[٣] فِي ... سُبُلِ العُلُومِ إِذَا أَضَاعَ عَرِيْنَا!

إِنَّ خَلِيْقًا بِالإِنْسَانِ أَنْ يَعْرِفَ رَبَّهُ، وَيُؤَدِّيَ دَوْرَهُ، وَيُدْرِكَ مَسْئُولِيَّتَهُ، وَيَقُومَ بِوَاجِبِهِ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ سُبْحَانَهُ، وَيَنْقَادَ وَيُذْعِنَ لِحُكْمِهِ، وَيَتَّجِهَ بِصِدْقٍ وَإِخْلاَصٍ، وَبِكُلِّ شُعُورٍ وَإِحْسَاسٍ، نَحْوَ هَـٰذِهِ الغَايَةِ المُشَرِّفَةِ ـ صَلاَحًا وَإِصْلاَحًا ـ وَبِذلِكَ يَكُونُ مُؤْمِنًا حَقًّا، وَمُسْلِمًا صِدْقًا، وَلَنْ يَقُومَ أَحَدٌ بِذٰلِكَ إِلاَّ إِنْسَانُ العَقِيْدَةِ وَالقِيَمِ وَالأَخْلاَقِ، فَهَلْ سَعِدَ الإِنْسَانُ إِلاَّ فِي ظِلِّ العَقِيْدَةِ الصَّحِيْحَةِ؟! مَنِ الَّذِيْ صَانَ دَمَ الإِنْسَانِ أَنْ يُسْفَكَ، وَعِرْضَهُ أَنْ يُنْتَهَكَ إِلاَّ الإِسْلاَمُ؟! وَمَنِ الَّذِيْ أَحْرَزَ مَالَهُ أَنْ يُغْتَصَبَ، وَحِمَاهُ أَنْ يُقْتَحَمَ، وَعَقْلَهُ أَنْ يُعَطَّلَ إِلاَّ الإِسْلاَمُ؛ يَوْمَ أَنْ فَشِلَتِ الشِّعَارَاتُ؟! وَلَـٰكِنْ يَأْبَىٰ بعْضُ

---

(١) يَشمَخُ بأنفه، أي: يتكبّر ويتعظَّم. «اللسان» (شمخ).

(٢) الغطرسة: الإعجابُ والتطاوُلُ على الأقران، وقيل: هو الظُّلْمُ والتكبُّر. «اللسان» (غطرس).

(٣) يقال: غَذَّ في السَّيْر: أسرع فيه. «تاج العروس» (غذذ).



النَّاسِ إلاَّ تجاوُزَ حُدُودِ اللهِ، وَمُخَالَفَةَ شَرْعِ اللهِ؛ ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝٣٣﴾ [النحل]، ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٥٠﴾ [المائدة]، ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢].

أُمَّةَ الإِسْلَامِ، وكَمَا رَعَى الإِسْلَامُ حَقَّ الأَفْرَادِ، فَقَدْ رَعَىٰ حَقَّ الأُسْرَةِ وَالمُجْتَمَعِ، وَسَعَىٰ لإِشَاعَةِ الفَضِيْلَةِ، وَمُحَارَبَةِ الرَّذِيْلَةِ، وَأَقَامَ صُرُوحَ الأُسَرِ وَالمُجْتَمَعَاتِ، عَلَىٰ أَسَاسٍ مِنَ الدِّيْنِ وَالقِيَمِ، وَالمُثُلِ وَالأَخْلَاقِ، وَاعْتَبَرَ القُوَى البَشَرِيَّةَ مِنْ أَهَمِّ عَوامِلِ التَّقَدُّمِ والازْدِهَارِ وَالحَضَارَةِ؛ وَلِذٰلِكَ كَانَ مِن مَقَاصِدِهِ وَأَهْدَافِهِ ـ فِي بِنَاءِ حَضَارَةٍ إِسْلَامِيَّةٍ عَالَمِيَّةٍ ـ أَنْ قَصَدَ إِلَىٰ كَثْرَةِ النَّسْلِ وَحِفْظِهِ وَتَنْمِيَتِهِ، وَاعْتِبَارِهِ إِحْدَى الضَّرُورِيَّاتِ المُقَرَّرَةِ فِي الشَّرِيْعَةِ الغَرَّاءِ؛ كَمَا حَثَّ رَسُولُ الهُدَىٰ ﷺ أُمَّتَهُ عَلَىٰ كَثْرَةِ النَّسْلِ؛ أَخْرَجَ عَبْدُالرَّزَّاقِ؛ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «**تَناكَحُوا تَكْثُرُوا؛ فَإِنِّيْ أُبَاهِي بِكُمُ الأُمَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ**»[1]، وَعِنْدَ الإِمَامِ أَحْمَدَ، وَابْنِ حِبَّانَ، مِنْ حَدِيْثِ أَنَسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ: «**تَزَوَّجُوا الوَدُودَ الوَلُودَ؛ فَإِنِّيْ مُكَاثِرٌ الأَنْبِيَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ**»[2].

وَفَرَضَ الإِسْلَامُ حَقَّ المُحَافَظَةِ عَلَى النَّفْسِ البَشَرِيَّةِ، وَحَرَّمَ الاعْتِدَاءَ

---

(١) «المصنف» (١٠٣٩١).

(٢) «المسند» (٣/ ١٥٨)، و«صحيح ابن حبان» (٤٠٢٨).

عَلَيْهَا، وَإِنْ كَانَتْ حَمْلاً فِي بَطْنِ الأُمِّ، وَهُوَ مَا يُسَمَّى اليَوْمِ بِالإِجْهَاضِ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الإسراء]؛ وَذٰلِكَ لِمَا فِي هَٰذِهِ الجَرِيْمَةِ الشَّنْعَاءِ، مِنْ سُوءِ ظَنٍّ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِنْكَارٍ لِقُدْرَتِهِ، وَإِظْهَارِهِ سُبْحَانَهُ بِمَظْهَرِ العَاجِزِ عَنْ كِفَايَةِ خَلْقِهِ وَرِزْقِهِمْ، تَعَالَى اللهُ سُبْحَانَهُ عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ عُلُوًّا كَبِيْرًا؛ ﴿۞وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]، ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ [العنكبوت].

وَبِذَلِكَ يَعْلَمُ كُلُّ ذِيْ بَصِيْرَةٍ، أَنَّ القَوْلَ بِتَحْدِيْدِ النَّسْلِ، أَوْ مَنْعِ الحَمْلِ ـ مُصَادِمٌ لِلنُّصُوصِ الشَّرْعِيَّةِ، وَالفِطْرَةِ الإِنْسَانِيَّةِ، الَّتِي فَطَرَ اللهُ الخَلْقَ عَلَيْهَا، وَالقَائِلُونَ بِذٰلِكَ هُمْ فِئَاتٌ حَاقِدَةٌ عَلَى الإِسْلَامِ وَالمُسْلِمِيْنَ، وَإِنْ كَانُوا مِنْ بَنِيْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِلُغَتِنَا؛ فَالأَمْرُ لاَ يَعْدُو كَوْنَهُ دَسِيسَةً كُفْرِيَّةً، وَمُؤَامَرَاتٍ عُدْوَانِيَّةً، تَسْتَهْدِفُ تَقْلِيْلَ نَسْلِ الأُمَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ، وَالزَّجَّ بِهَا فِي الأَفْعَالِ الجَاهِلِيَّةِ، وَالأَخْلَاقِ البَهِيْمِيَّةِ الشَّهْوَانِيَّةِ؛ لِيَتَحَقَّقَ لِلْقُوَى الاسْتِعْمَارِيَّةِ مَا تَصْبُو إِلَيْهِ مِنْ إِضْعَافِ الكِيَانِ الإِسْلَامِيِّ، وَتِلْكَ سِلْسِلَةٌ مِنْ مُؤَامَرَاتٍ فِي ثَوْبِ مُؤْتَمَرَاتٍ، تَهْدِفُ إِلَىٰ تَشْكِيْكِ المُسْلِمِيْنَ فِي دِيْنِهِمْ وَقِيَمِهِمْ، وَنَشْرِ الإِبَاحِيَّةِ وَالعَلَاقَاتِ الجِنْسِيَّةِ المُحَرَّمَةِ بَيْنَهُمْ،



بِدَعْوى الحُرِّيَّةِ الشَّخْصِيَّةِ تَارَةً، وَبِدَعْوى المُسَاوَاةِ والتَّقَدُّمِيَّةِ وَالمَدَنِيَّةِ تَارَةً، وَبِدَعْوى الحَدِّ مِنَ الانْفِجَارِ السُّكَّانِيِّ تَارَةً، وَتِلْكَ وَغَيْرُهَا مِنَ الدَّعَاوَى المُزَرْكَشَةِ، يُغَلِّفُ بِهَا أَصْحَابُهَا مُؤَامَرَاتِهِمُ العَدَائِيَّةَ ضِدَّ أَبْنَاءِ الأُمَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ.

شِنْشِنَةٌ أَعْرِفُهَا مِنْ أَخْزَمِ(١)

لَـٰكِنْ يَالَيْتَ قَوْمَنَا يَعْلَمُونَ، وَيُدْرِكُونَ أَبْعَادَ المُؤَامَرَةِ الشَّرِسَةِ، ضِدَّ دِيْنِهِمْ وَقِيَمِهِمْ وَأَخْلَاقِهِمْ؛ حَتَّىٰ لَايَنْخَدِعَ أَبْنَاءُ المُسْلِمِيْنَ بِرَكْبِ البَاطِلِ، مَهْمَا طَقْطَقَتْ بَرَاذِيْنُه(٢)!

نَقُولُ ذٰلِكَ فِي الوَقْتِ الذِيْ تَابَعَتِ فِيْهِ الأُمَّةُ الإِسْلَامِيَّةُ عَبْرَ أُسْبُوعَيْنِ مَضَيَا ـ عَلَىٰ وَجَلٍ وَحَذَرٍ شَدِيْدَيْنِ ـ أَعْمَالَ وَمُدَاوَلَاتِ، وَنَتَائِجَ وَتَوْصِيَاتِ، وَقَرَارَاتِ مَا سُمِّيَ ظَاهِرًا بِالمُؤْتَمَرِ الدَّوْلِيِّ لِلسُّكَّانِ وَالتَّنْمِيَةِ، الَّذِيْ طَالَعَنَا بِأَفْكَارٍ غَرِيْبَةٍ تَتَنَاقَضُ مَعَ مَا جَاءَتْ بِهِ الشَّرَائِعُ السَّمَاوِيَّةُ، وَمَا تَعَارَفَ عَلَيْهِ النَّاسُ مِنَ القِيَمِ الأَخْلَاقِيَّةِ؛ مِمَّا يُؤَكِّدُ أَنَّهُ مُخَطَّطٌ إِجْرَامِيٌّ، مِنَ الدُّوَلِ الصَّلِيْبِيَّةِ، وَالصُّهْيُونِيَّةِ العَالَمِيَّةِ؛ لِلإِطَاحَةِ بِالعِفَّةِ

---

(١) مثل سبق بيانه والحديث عنه. انظر: (ص١٥٠).

(٢) أي: مهما صاح أذنابُ الباطل بالحق وأهله، وطقطق، أي: صوّت وصاح، والبراذين: جمع بِرْذَوْن، وهو الدابَّة. «اللسان» و«تاج العروس» (طقطق) (برذن).



وَالطَّهَارَةِ، وَوَأْدِ الأَخْلَاقِ وَالقِيَمِ فِي بِلَادِ المُسْلِمِيْنَ.

إِنَّ المُتَابِعَ لِمِثْلِ هَٰذِهِ الأَعْمَالِ العَدَائِيَّةِ، وَالمُؤْتَمَرَاتِ الاِسْتِفْزَازِيَّةِ، يَعْجَبُ وَهُوَ يَرَىٰ كَيْفَ يَجْرُؤُ أُولَـٰئِكَ القَوْمُ عَلَى اسْتِفْزَازِ مَشَاعِرِ الأُمَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ، عَلَى سَمْعِ العَالَمِ وَبَصَرِهِ! وَإِنَّنَا لَنَتَسَاءَلُ مَاذَا يُرِيْدُ هَـٰؤُلَاءِ؟! وَمَنِ المُسْتَفِيْدُ مِنْ عَقْدِ مِثْلِ هَـٰذَا المُؤْتَمَرِ المَشْبُوهِ؟! وَمَنْ يَقِفُ وَرَاءَهُ؟! وَهَلْ وَعَتْ أَجْيَالُنَا ـ الَّتِيْ لَازَالَ كَثِيْرٌ مِنْهَا سَادِرًا فِي التِّيْهِ وَالاِنْحِرَافِ ـ عِظَمَ المُؤَامَرَةِ؟! وَبِأَيِّ حَقٍّ يُفْرَضُ عَلَى الشُّعُوبِ الإِسْلَامِيَّةِ مَا يُخَالِفُ شَرْعَ اللهِ؟! فَالأَمْرُ أَمْرُهُ، وَالشَّرْعُ شَرْعُهُ، وَلَايَحِقُّ لِأَحَدٍ ـ كَائِنًا مَنْ كَـانَ، فَرْدًا أَوْ هَيْئَةً، أَوْ مُنَظَّمَةً أَوْ دَوْلَةً ـ أَنْ يَتَطَاوَلَ عَلَىٰ شَرْعِ اللهِ، وَيُلْزِمَ النَّاسَ بِغَيْرِهِ.

وَالَّذِيْ يُقَال صَرَاحَةً: لَا، وَأَلْفَ لَا! لِكُلِّ مَنْ يُعَارِضُ شَرْعَ اللهِ، وَيَجُرُّ البِلَادَ وَالعِبَادَ إِلَىٰ فِتَنٍ لَا يَعْلَمُ عَوَاقِبَهَا إِلَّا اللهُ، لَقَدْ أَسَاءَ أُولَـٰئِكَ القَوْمُ التَّدْبِيْرَ، وَأَخْطَئُوا التَّقْدِيْرَ، وَقَالُوا بِالبَاطِلِ وَالتَّزْوِيْرِ، وَجَانَبُوا الحَقَّ وَالتَّنْوِيْرَ؛ أَمَا يَكْفِيْ زَاجِرًا، وَيَشْفِيْ وَاعِظًا، مَا تَعِيْشُهُ المُجْتَمَعَاتُ المُخَالِفَةُ لِشَرْعِ اللهِ مِنِ انْتِشَارِ الفَوَاحِشِ وَالأَمْرَاضِ المُسْتَعْصِيَةِ؟! فَكَيْفَ بِالدَّعْوَةِ إِلَيْهَا وَالسَّعْيِ إِلى نَشْرِهَا بَيْنَ المُسْلِمِيْنَ؟! قَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا



وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [النور].

إِنَّ المُعَانَاةَ الاقْتِصَادِيَّةَ وَالأَخْلاَقِيَّةَ، الَّتِي يَعِيْشُهَا كَثِيْرٌ مِنَ المُسْلِمِيْنَ اليَوْمَ، لاَ مُخَلِّصَ مِنْهَا إِلاَّ الإِيْمَانُ باللهِ، وَالتَّوَكُّلُ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ، مَعَ الأَخْذِ بِالأَسْبَابِ: مِنْ تَنْمِيَةِ المَوارِدِ، وَتَرْشِيْدِ الإِنْفَاقِ، وَعَدَالَةِ تَوْزِيْعِ الثَّرَوَاتِ، وَعَدَمِ تَبْدِيْدِ الطَّاقَاتِ، فِيْمَا لاَ يَنْفَعُ الأُمَّةَ، وَالعَيْبُ عَيْبُ الأَنْظِمَةِ الجَائِرَةِ، وَإِلاَّ فَأَرْضُ اللهِ وَاسِعَةٌ، وَخَزَائِنُهُ مَلأَىٰ، وَالأَرْضُ خِصْبَةٌ، وَلاَتَزَالُ الخَيْرَاتُ فِي بَاطِنِ الأَرْضِ وَظَاهِرِهَا مَكْنُونَةً، فَأَيْنَ المُسْتَثْمِرُونَ؟! وَلَوْ أَنَّ «المِلْيَارَاتِ» الَّتِيْ تُنْفَقُ فِي سِبَاقِ التَّسَلُّحِ، وَشَنِّ الحُرُوبِ عَلَى المُسْتَضْعَفِيْنَ، حُوِّلَتْ إِلَىٰ مَشَارِيْعَ إِغَاثِيَّةٍ وَإِنْمَائِيَّةٍ، وَاسْتُثْمِرَتْ لِصَالِحِ البَشَرِيَّةِ ـ لَمَا حَصَلَ مَا طَنْطَنُوا[1] حَوْلَهُ.

وَالَّذِيْ نَوَدُّ تَأْكِيْدَهُ فِي هَٰذَا المَقَامِ: ضَرُورَةُ أَخْذِ الحَذَرِ مِنْ مُخَطَّطَاتِ وَمُؤَامَرَاتِ أَعْدَاءِ الإِسْلاَمِ، ضِدَّ دِيْنِ الأُمَّةِ وَقِيَمِهَا وَأَخْلاَقِهَا، وَالعِنَايَةُ بِالأُسْرَةِ، وَتَرْبِيَةُ النَّشْءِ عَلَى العِفَّةِ وَالفَضِيْلَةِ، وَالحِرْصُ عَلَىٰ كَثْرَةِ نَسْلِ الأُمَّةِ الإِسْلاَمِيَّةِ، وَإِنَّهُ ـ فِي الوَقْتِ الَّذِيْ نَسْتَنْكِرُ ذٰلِكَ ـ نَدْعُو قَادَةَ المُسْلِمِيْنَ وَعُلَمَاءَهُمْ، وَشُعُوبَهُمْ وَكَافَّةَ المُنَظَّمَاتِ والهَيْئَاتِ الإِسْلاَمِيَّةِ: أَنْ تَتَّقِيَ اللهَ فِي مَسْئُولِيَّتِهَا، وَتَتَعَاوَنَ فِيْمَا بَيْنَهَا؛ لِوَضْعِ مَشْرُوعَاتٍ بَدِيلَةٍ؛

---

(١) الطَّنْطَنَةُ: كثرة الكلام والتصويت به. «اللسان» (طنطن).



لِمُعَالَجَةِ قَضَايَا التَّنمِيَةِ، عَلَىٰ ضَوْءِ شَرِيْعَتِنَا الإِسْلاَمِيَّةِ السَّمْحَةِ، وَأَخْلاَقِنَا السَّامِيَةِ.

وَاللهُ الْمَسْئُولُ أَنْ يَأْخُذَ بِأَيْدِيْنَا إِلَىٰ مَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ، وَأَنْ يَكْفِيَنَا شَرَّ أَعْدَائِنَا، وَأَنْ يُحْبِطَ مُؤَامَرَاتِهِمْ بِعِزَّتِهِ وَسُلْطَانِهِ، إِنَّهُ قَوِيٌّ عَزِيْزٌ!.

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ؛ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾﴾ [البقرة].

بَارَكَ اللهُ لِي وَلَكُمْ فِي الْقُرآنِ الْعَظِيْمِ، وَفِي هَدْيِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِيْنَ.

أَقُولُ قَوْلِي هَـٰذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِيْ وَلَكُمْ وَلِجَمِيْعِ الْمُسْلِمِيْنَ، فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيْمُ.



الخطبة الثانية

الحَمْدُ للهِ الَّذِيْ هَدَانَا لِلإِسْلاَمِ، وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلاَ أَنْ هَدَانَا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَإِلـٰهَ إِلاَّاللهُ، وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ، جَلَّ فِي عُلاَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، الدَّاعِيْ إِلَىٰ هُدَاهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ وَالاَهُ.

أمّا بعد:

فَاتَّقُوا اللهَ - عِبَادَ اللهِ - وَاعْلَمُوا أَنَّ أَصْدَقَ الحَدِيْثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ، وَاشْكُرُوهُ - جَلَّ وعَلاَ - عَلَىٰ مَاهَدَاكُمْ لِلإِسْلاَمِ، وَاعْلَمُوا - رَحِمَكُمُ اللهُ - أَنَّ الإِسْلاَمَ أَوْجَبَ عَلَىٰ أَتْبَاعِهِ التَّوَاصِيَ بِالحَقِّ، وَالدَّعْوَةَ إِلَيْهِ، وَالتَّعَاوُنَ عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَىٰ، والتَّمَسُّكَ بِشَرِيْعَةِ الإِسْلاَمِ، فِي وَقْتٍ ضَلَّ فِيْهِ كَثِيْرٌ مِنَ النَّاسِ؛ نَسْأَلُ اللهُ أَنْ يُثَبِّتَنَا عَلَى الإِسْلاَمِ!

وَإِنَّ مِنَ التَّحَدُّثِ بِنِعَمِ اللهِ : مَاوَفَّقَ اللهُ إِلَيْهِ قِيَادَةَ بِلَادِ الحَرَمَيْنِ الشَّرِيْفَيْنِ - حَرَسَهَا اللهُ - وَعُلَمَاءَهَا - وَفَّقَهُمُ اللهُ - مِن اتِّخَاذِ المَوَاقِفِ الصَّامِدَةِ حِيَالَ هَـٰذَا المُؤْتَمَرِ المَشْبُوهِ، وَمَا كَانَ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ، وَهُوَ مَوْقِفٌ



يَنْبَغِيْ أَنْ يُذْكَرَ فَيُشْكَرَ، وَإِلَىٰ مَزِيْدٍ مِنَ المَوَاقِفِ الصَّامِدَةِ فِي نُصْرَةِ الحَقِّ وَأَهْلِهِ، وَدَرْءِ البَاطِلِ وحِزْبِهِ، وَالشُّكْرُ مَوْصُولٌ لِمُسْدِيْهِ سُبْحَانَهُ: أَنْ أَحْبَطَ خُطَطَ وَنَتَائِجَ وَمُؤَامَرَاتِ الأَعْدَاءِ، وَجَعَلَ كَيْدَهُمْ بَيْنَهُمْ؛ فِيْمَا سَعَوْا إِلَيْه مِنْ إِبَاحَةِ الإِجهَاضِ، وَالشُّذُوذِ ـ عِيَاذًا بِاللهِ ـ لَكِنَّهُمْ وَلاَشَكَّ سَيَسْعَوْنَ جَاهِدِيْنَ إِلَى الدَّعْوَةِ إِلَى البَاطِلِ مَرَّاتٍ أُخْرَىٰ، وَلَنْ يَكُونَ هَـٰذَا المُؤْتَمَرُ آخِرَ سِهَامِهِمْ؛ فَلْنَكُنْ عَلَىٰ حَذَرٍ وَفِطْنَةٍ، يَاعِبَادَ اللهِ!

وَلَقَدْ أَثْبَتَ هَـٰذَا المُؤْتَمَرُ أَنَّ فِي الأُمَّةِ يَقَظَةً وَصَحْوَةً ـ بِحَمْدِ اللهِ ـ فَلَنْ تَقْبَلَ شَيْئًا يُخَالِفُ دِيْنَهَا، وَقِيَمَهَا وَأَخْلاَقَهَا؛ بِإِذْنِ اللهِ.

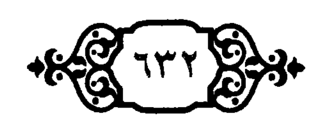
أَيُّهَا الإِخْوَةُ فِي اللهِ، وَإِذَا كَانَتِ الأُمَّةُ تَعِيْشُ عَصْرَ الفِتَنِ الَّتِيْ أَقْبَلَتْ كَبَحْرٍ خِضَمٍّ قَدْ تَلاَطَمَتْ أَمْوَاجُهُ، وَلَيْلٍ دَاجٍ قَدِ ادْلَهَمَّ ظَلاَمُهُ، وَسَيْلٍ جَارِفٍ قَدِ انْعَقَدَ غَمَامُهُ ـ فَلاَ مُخَلِّصَ لَهَا مِنَ الفِتَنِ إِلاَّ الاِعْتِصَامُ بِاللهِ، وَالاِلْتِجَاءُ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ، وَلُزُومُ جَمَاعَةِ المُسْلِمِيْنَ وَإِمَامِهِمْ، وَالرُّجُوعُ إِلَىٰ عُلَمَاءِ الشَّرِيْعَةِ وَالتَّلاَحُمُ بِهِمْ، والتَّحَلِّيْ بِالصَّبْرِ وَالرِّفْقِ وَالتَّثَبُّتِ، وَالتَّعَقُّلِ وَالحِكْمَةِ، وَالبُعْدُ عَنْ مَسَالِكِ العُنْفِ وَالمُوَاجَهَةِ، وَكَفُّ اللِّسَانِ عَنِ الخَوْضِ فِيْمَا لاَ يَعْنِي، وَعَدَمُ الاِنْخِدَاعِ بِالأَبْوَاقِ النَّاعِقَةِ، الَّتِيْ يُرِيْدُ أَصْحَابُهَا الاِصْطِيَادَ فِي المَاءِ العَكِرِ، وَجَرَّ البِلاَدِ وَالعِبَادِ إِلَىٰ فِتَنٍ لاَيَعْلَمُ عَوَاقِبَهَا إِلاَّ اللهُ، ثُمَّ الدُّعَاءَ الدُّعَاءَ! وَالاِسْتِعَاذَةَ بِاللهِ مِنَ الفِتَنِ، مَا ظَهَرَ

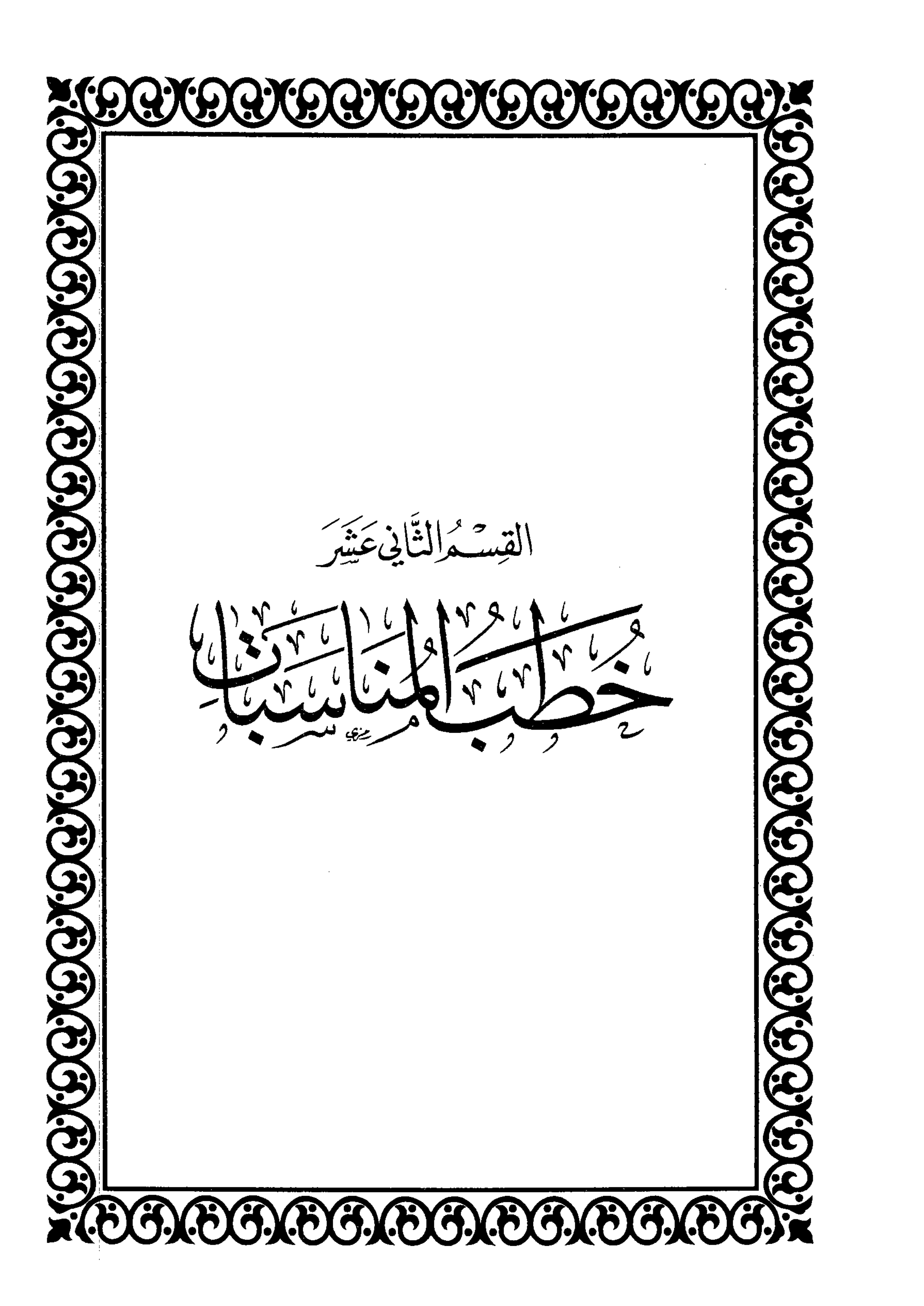


مِنْهَا وَمَا بَطَن، عَنْ هَـٰذِه البِلَادِ المُبَارَكَةِ خَاصَّةً، وَعَنْ سَائِرِ بِلَادِ المُسْلِمِيْنَ عَامَّةً؛ بِمَنِّ اللهِ وَكَرَمِهِ!

هَـٰذَا؛ وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا ـ رَحِمَكُمُ اللهُ ـ عَلَىٰ خَيْرِ الوَرَىٰ؛ كَمَا أَمَرَكُمْ بِذٰلِكَ رَبُّكُمْ جَلَّ وَعَلَا؛ فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب].

* * *





القسم الثاني عشر

خطب المناسبات



الخطبة الأولى

الحَمْدُ للهِ، اللَّهُمَّ إنَّا نَحْمَدُكَ وَنَسْتَعِيْنُكَ وَنَسْتَهْدِيْكَ، وَنَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ وَنُثْنِيْ عَلَيْكَ الخَيْرَ كُلَّهُ، اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ كَما يَنْبَغِيْ لِجَلَالِ وَجْهِكَ وَلِعَظِيْمِ سُلْطَانِكَ، لَكَ الحَمْدُ حَتَّىٰ تَرْضَىٰ، وَلَكَ الحَمْدُ إِذَا رَضِيْتَ، وَلَكَ الحَمْدُ بَعْدَ الرِّضَا، سُبْحَانَكَ لاَ نُحْصِيْ ثَنَاءً عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ علَىٰ نَفْسِكَ، وَنَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ اللهُ، سُبْحَانَكَ رَبَّنَا، أَنْتَ الأَحَدُ لاَ شَرِيْكَ لَكَ، وَالفَرْدُ لا نِدَّ لَكَ، سُبْحَانَكَ رَبَّنَا، مَا أَكْرَمَكَ! سُبْحَانَكَ رَبَّنَا، مَا أَعْظَمَكَ! سُبْحَانَكَ إِلَـهَنَا، مَا أَحْلَمَكَ! سُبْحَانَكَ مَوْلاَنَا، مَا أَعْدَلَكَ! سُبْحَانَكَ، مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ!

وَنَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ، وَمُصْطَفَاكَ وَحَبِيْبُكَ، شَكَرَ نِعْمَتَكَ، وَحَقَّقَ عِبَادَتَكَ، وَبَلَّغَ شَرِيْعَتَكَ، وَنَصَحَ خَلِيْقَتَكَ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ؛ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيْمَ وَعَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيْمَ؛ إِنَّكَ حَمِيْدٌ مَجِيْدٌ، وَبَارِكْ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ؛ كَمَا بَارَكْتَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيْمَ وَعَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ، فِي العَالَمِيْنَ؛ إِنَّكَ حَمِيْدٌ مَجِيْدٌ.

أمّا بعد:

فَيَا أَيُّهَا النَّاسُ، مَنِ الحَيُّ الَّذِيْ لاَ يَمُوتُ؟! مَنِ البَاقِيْ عَلَى الدَّوَامِ فَلاَ يَزُولُ، وَلاَ يَحُولُ، وَلا يَفُوتُ؟! مَنِ المُتَفَرِّدُ بِتَصْرِيْفِ الشُّهُورِ وَالأَعْوَامِ، وَالمُتَوَحِّدُ بِتَدْبِيْرِ اللَّيَالِيْ وَالأَيَّامِ؟! إِنَّهُ الرَّبُّ المَلِكُ العَلاَّمُ، وَالإِلَـٰهُ القُدُّوسُ السَّلاَمُ، إِنَّهُ اللهُ، فَتَبَارَكَ اللهُ!

إِذَن لِمَاذَا يَنْصَرِفُ بَعْضُ النَّاسِ عَنِ اللهِ إِلَىٰ غَيْرِهِ؟! ﴿ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ تَعَـٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [النمل]، لِمَاذَا يَنْسَىٰ بَعْضُ النَّاسِ خَالِقَهُمْ وَرَازِقَهُمْ وَمَوْلاَهُمْ، ﴿ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [النمل]، إِنَّهُ سُبْحَانَهُ حَقِيقٌ أَنْ يُتَّقَىٰ، بِأَنْ يُطَاعَ فَلاَ يُعْصَىٰ، وَيُذْكَرَ فَلاَ يُنْسَىٰ، وَيُشْكَرَ فَلاَ يُكْفَرَ؛ ﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [النحل].

أَيُّهَا المُسْلِمُونَ، فِي مُسْتَهَلِّ كُلِّ عَامٍ هِجْرِيٍّ، وَمَعَ إِشْرَاقَةِ كُلِّ سَنَةٍ: تَبْرُزُ فِي تَأْرِيخِنَا الإِسْلاَمِيِّ المَجِيْدِ أَحْدَاثٌ عِظَامٌ، وَوَقَائِعُ جِسَامٌ، لَهَا مَكَانَتُهَا عِنْدَ أَهْلِ الإِسْلاَمِ، وَلَهَا أَثَرُهَا البَالِغُ فِي عِزِّ هَـٰذِهِ الأُمَّةِ وَنَصْرِهَا، وَقُوَّتِهَا، وَصَلاَحِ شَرِيْعَتِهَا لِكُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ.

مَعَاشِرَ المُسْلِمِيْنَ، هُنَاكَ خَمْسُ قَضَايَا مُهِمَّةٌ، جَدِيْرَةٌ بِالتَّنْبِيْهِ وَالإِشَادَةِ، لاَ سِيَّمَا وَنَحْنُ نَعِيْشُ مَعَ إِشْرَاقَةِ عَامٍ هِجْرِيٍّ جَدِيْدٍ؛ عَلَّ هَـٰذِهِ القَضَايَا تَكُونُ سَبَبًا لِتَحْرِيْكِ الهِمَمِ، وَاسْتِنْهَاضِ العَزَائِمِ؛ لِلتَّمَسُّكِ الجَادِّ

بِكِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ.

أَيُّهَا الإِخْوَةُ المُسْلِمُونَ، إِنَّ «أَوَّلَ الأَحْدَاثِ» الجَدِيْرَةِ بِالوَقْفَةِ الحَازِمَةِ مَعَ النُّفُوسِ، وَإِنَّ أَهَمَّ القَضَايَا الَّتِي يَنْبَغِي التَّرْكِيْزُ عَلَيْهَا فِي مُسْتَهَلِّ كُلِّ عَامٍ: أَنَّ اسْتِقْبَالَ هَـٰذِهِ الأُمَّةِ لِعَامٍ جَدِيْدٍ مِنْ حَيَاتِهَا هُوَ بِمُجَرَّدِهِ حَدَثٌ لاَ يُسْتَهَانُ بِهِ، وَإِنْ بَدَا فِي أَنْظَارِ بَعْضِ النَّاسِ حَدَثًا هَيِّنًا؛ لِطُولِ أَمَلِهِمْ، وَقَسْوَةِ قُلُوبِهِمْ - عِيَاذًا بِاللهِ - فَالأَيَّامُ مَرَاحِلُ وَمَطَايَا؛ تُبْعِدُ مِنَ الدُّنْيَا وَتُدْنِي مِنَ الآخِرَةِ.

إِنَّـا لَنَفْـرَحُ بِـالأَيَّـامِ نَقْطَعُهَـا ... وَكُلُّ يَوْمٍ مَضَىٰ يُدْنِي مِنَ الأَجَلِ![1]

نَعَمْ كُلُّ يَوْمٍ يُدْنِي مِنَ القُبُورِ، وَيُبْعِدُ عَنْ عَامِرِ الدُّورِ وَالقُصُورِ، فَإِلَىٰ مَتَى الغَفْلَةُ، يَا عِبَادَ اللهِ؟! مَاذَا رَانَ عَلَى القُلُوبِ؟! مَاذَا غَشِيَ البَصَائِرَ وَالأَبْصَارَ؟! إِنَّ المُوَفَّقَ مَنْ يَسْعَىٰ لِصَلاَحِ حَالِهِ؛ بِحَيْثُ يَكُونُ غَدُهُ خَيْرًا مِنْ يَوْمِهِ، وَيَوْمُهُ أَفْضَلَ مِنْ أَمْسِهِ، وَعَامُهُ الجَدِيْدُ أَفْضَلَ مِنْ عَامِهِ المَاضِي، وَالكَيِّسُ مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ عِنْدَ دُخُولِ العَامِ الجَدِيْدِ، وَرَاجَعَ حِسَابَاتِهِ، وَفَتَحَ صَفْحَةً جَدِيْدَةً مِن حَيَاتِهِ، وَتَعَهَّدَ رَصِيْدَهُ الأُخْرَوِيَّ، وَتَزَوَّدَ مِنَ العَمَلِ الصَّالِحِ، وَقَدَّرَ لِخُطَاهُ مَوَاضِعَهَا؛ خَشْيَةَ

---

(١) هذا البيت أول بيتين ذكرهما الحافظ ابن رجب في «لطائف المعارف» (ص٥٢٣)، وثانيهما:

فَاعْمَلْ لِنَفْسِكَ قَبْلَ المَوْتِ مُجْتَهِدًا ... فَإِنَّمَا الرِّبْحُ وَالخُسْرَانُ فِي العَمَلِ!



الانْزِلاَقِ فِي مَهَاوِي الفَسَادِ العَقَدِيِّ، والفِكْرِيِّ، والسُّلُوكِيِّ؛ **هَٰذَا عَلَىٰ مُسْتَوَىٰ الأَفْرَادِ.**

أَمَّا الأُمَّةُ: فَلاَ رَيْبَ أَنَّهَا حُبْلَىٰ بِالمُشْكِلاَتِ، وَثَكْلَىٰ بِالفِتَنِ وَالمُغْرِيَاتِ؛ ضَعْفٌ وَفُرْقَةٌ وَشَتَاتٌ، ذِلَّةٌ وَمَهَانَةٌ وَخِلاَفَاتٌ، وَتَنَازُعٌ وَحُرُوبٌ وَنَكَبَاتٌ، مَا هِيَ الحَالُ فِي المَسْجِدِ الأَقْصَىٰ وَالأَرْضِ المُبَارَكَةِ؟! مَا هِيَ الأَنْبَاءُ فِي أَفْغَانِسْتَانَ المُسْلِمَةِ؟! إِلَىٰ أَيِّ حَدٍّ وَصَلَ الحَالُ فِي بِلادِ البُوسْنَةِ وَالهِرْسِكِ المُجَاهِدَةِ الصَّامِدَةِ؟! مَا هِيَ أَخْبَارُ إِخْوَانِنَا فِي العَقِيْدَةِ؟! وَأَحْوَالُ الأَقَلِّيَّاتِ الإِسْلاَمِيَّةِ فِي كَثِيْرٍ مِنَ البِقَاعِ؟! مَا هِيَ أَخْبَارُ إِخْوَانِنَا فِي كَشْمِيْرَ وَالشِّيْشَانِ، وَإِرِيتْرِيَا وَالصُّومَالِ، وَالفِلِبِّيْنِ وَغَيْرِهَا مِنْ بِقَاعِ الإِسْلاَمِ؟! إِلَىٰ أَيِّ مَدًى وَصَلَ الشِّقَاقُ وَالنِّزَاعُ بَيْنَ أَبْنَاءِ الإِسْلاَمِ؟! إِلَىٰ أَيِّ حَدٍّ امْتَدَّتْ سَيْطَرَةُ الأَعْدَاءِ وَغَزْوِهِمْ، عَسْكَرِيًّا، وَفِكْرِيًّا، وَخُلُقِيًّا، لِبِلاَدِ الإِسْلاَمِ؟! كُلُّ ذٰلِكَ وَغَيْرُهُ ـ مِنْ غُيُومِ الفِتَنِ، وَسُحُبِ المِحَنِ ـ يَتَطَلَّبُ مِنْ أَبْنَاءِ الإِسْلاَمِ حُلُولاً عَاجِلَةً، مَعَ إِطْلاَلَةِ هَـٰذَا العَامِ الَّذِيْ تَبْرُقُ فِي آفَاقِهِ فُلُولٌ مِنَ الآمَالِ العَظِيْمَةِ، وَالتَّطَلُّعَاتِ لِمُسْتَقْبَلٍ أَفْضَلَ: تَتَبَدَّدُ فِيْهَا سُحُبُ الآلاَمِ وَالأَحْزَانِ، ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [إبراهيم: ٢٠، فاطر: ١٧].

«القَضِيَّةُ الثَّانِيَةُ» ـ أَيُّهَا المُسْلِمُونَ ـ: حَدَثُ الهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ، إِنَّهُ حَدَثٌ لاَ كَالأَحْدَاثِ، حَدَثٌ غَيَّرَ مَجْرَى التَّأْرِيْخِ، حَدَثٌ يَحْمِلُ فِي طَيَّاتِهِ مَعَالِمَ الشَّجَاعَةِ وَالتَّضْحِيَةِ، والصَّبْرِ وَالنَّصْرِ وَالفِدَاءِ، وَالتَّوَكُّلِ وَالقُوَّةِ



وَالإِخَاءِ، وَالاِعْتِزَازِ بِاللهِ وَحْدَهُ مَهْمَا بَلَغَ كَيْدُ الأَعْدَاءِ.

إِنَّ حَدَثَ الهِجْرَةِ حَدَثٌ جَعَلَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ طَرِيْقًا لِلنَّصْرِ وَالعِزَّةِ، وَرَفْعِ رَايَةِ الإِسْلَامِ، وَتَشْيِيْدِ دَوْلَتِهِ، وَإِقَامَةِ صَرْحِ حَضَارَتِهِ، إِنَّ فِي هَـٰذَا الحَدَثِ العَظِيْمِ مِنَ الدُّرُوسِ والعِبَرِ مَا لَوِ اسْتَلْهَمَتْهُ أُمَّةُ الإِسْلَامِ اليَوْمَ، وَعَمِلَتْ عَلَىٰ ضَوْئِهِ ـ وَهِيَ تَعِيْشُ عَلَىٰ مَفْرَقِ الطُّرُقِ، وَتَشَعُّبِ السُّبُلِ ـ لَتَحَقَّقَ لَهَا عِزُّهَا وَقُوَّتُهَا وَمَكَانَتُهَا، وَلَعَلِمَتْ عِلْمَ اليَقِيْنِ؛ أَنَّه لا حَلَّ لِمُشْكِلَاتِهَا، وَلا صَلَاحَ لِأَحْوَالِهَا إِلاَّ بِالتَّمَسُّكِ بِإِسْلَامِهَا، وَالْتِزَامِهَا بِإِيْمَانِهَا وَعَقِيْدَتِهَا، فَوَاللهِ! مَا قَامَتِ الدُّنْيَا إِلاَّ بِقِيَامِ الدِّيْنِ، وَلا نَالَ المُسْلِمُونَ العِزَّةَ وَالكَرَامَةَ، إِلاَّ لَمَّا خَضَعُوا لِرَبِّ العَالَمِيْنَ! وَهَيْهَاتَ أَنْ يَحُلَّ أَمْنٌ أَوْ رَخَاءٌ أَوْ سَلَامٌ دُونَ اتِّبَاعِ نَهْجِ الأَنْبِيَاءِ وَالمُرْسَلِيْنَ.

إِذَا تَحَقَّقَ ذَٰلِكَ ـ أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ ـ وَتَذَكَّرَ المُسْلِمُونَ هَـٰذِهِ الحَقَائِقَ النَّاصِعَةَ، وَعَمِلُوا عَلَىٰ تَحْقِيْقِهَا فِي وَاقِعِ حَيَاتِهِمْ ـ كَانَتْ هِيَ السِّلَاحَ الفَاعِلَ الَّذِيْ تُقَاتِلُ بِهِ، وَالدِّرْعَ الحَصِيْنَ الَّذِيْ تَتَّقِيْ بِهِ فِي وَجْهِ الهَجَمَاتِ الكَاسِحَةِ، والصِّرَاعِ العَنِيْفِ الَّذِي تَعِيْشُهُ قُوَى الأَرْضِ؛ فَالقُوَّةُ للهِ، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [المنافقون].

إِخْوَةَ الإِيْمَانِ، وَيَتَفَرَّعُ عَنْ هَـٰذِهِ القَضِيَّةِ «قَضِيَّةٌ ثَالِثَةٌ»، تُعَبِّرُ بِجَلَاءٍ عَنِ اعْتِزَازِ هَـٰذِهِ الأُمَّةِ بِشَخْصِيَّتِهَا الإِسْلَامِيَّةِ، وَتُبَرْهِنُ لِلْعَالَمِ بِأَسْرِهِ: عَلَى اسْتِقْلَالَ هَـٰذِهِ الأُمَّةِ بِمَنْهَجِهَا المُتَمَيِّزِ المُسْتَقَىٰ مِنْ عَقِيْدَتِهَا وَتَأْرِيْخِهَا



وَحضَارتِها، إنَّها قَضِيَّةٌ أَجْمعَ عَلَيْها المُسْلِمُونَ فِي عَهْدِ عُمَرَ بن الخَطَّاب ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ إنَّها «التَّوْقِيتُ وَالتَّأْرِيْخُ بِالهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ المُبَارَكَةِ»، وَكَمْ لِهَـٰذِهِ القَضِيَّةِ مِنْ مَغْزَى عَظِيْمٍ يَجْدُرُ بِأُمَّةِ الإسْلاَمِ اليَوْمَ تَذَكُّرُهُ، وَقَدْ فُتِنَ بَعْضُ أَبْنَائِهَا بِتَقْلِيْدِ غَيْرِ المُسْلِمِيْنَ، وَالتَّشَبُّهِ بِهِمْ فِي تَوَارِيخِهِمْ!

أَيْنَ عِزَّةُ الإسْلَامِ؟! وَأَيْنَ هِيَ شَخْصِيَّةُ أَهْلِ الإسْلاَمِ؟! هَلْ ذَابَتْ فِي خِضَمِّ مُغْرِيَاتِ الحَيَاةِ؟! إنَّنَا أُمَّةٌ ذَاتُ مَجْدٍ وَحَضَارَةٍ وَأُصُولٍ تَأْرِيْخِيَّةٍ، وَمَنْهَجٍ مُسْتَقِلٍّ؛ مُنْبَثِقٍ مِنْ كِتَابِ رَبِّنَا وَسُنَّةِ نَبِيِّنَا ﷺ، فَلَسْنَا بِحَاجَةٍ إِلَىٰ تَقْلِيْدِ غَيْرِنَا، بَلْ إنَّ غَيْرَنَا ـ فِي الحَقِيْقَةِ ـ بِحَاجَةٍ إِلَىٰ أَنْ يَسْتَفِيْدَ مِنْ أَصَالَتِنَا وَحَضَارَتِنَا، وَلَـٰكِنَّهُ التَّقْلِيْدُ وَالتَّبَعِيَّةُ، وَالإعْجَابُ وَالمُجَارَاةُ وَالانْهِزَامِيَّةُ، وَالتَّشَبُّهُ الأَعْمَىٰ مِنْ بَعْضِ المُسْلِمِيْنَ ـ هَدَاهُمُ الله ـ وَقَدْ قَالَ ﷺ: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ، فَهُوَ مِنْهُمْ»(١).

أَيُّهَا الإخْوَةُ فِي اللهِ، «رَابِعُ هَـٰذِهِ القَضَايَا»: حَدَثٌ عَظِيْمٌ فِي شَهْرِ اللهِ المُحَرَّمِ، فِيْهِ دَرْسٌ بَلِيْغٌ، يَدُلُّ عَلَىٰ نُصْرَةِ اللهِ لأَوْلِيَائِهِ، وَانْتِقَامِهِ مِنْ أَعْدَائِهِ مَهْمَا تَطَاوَلُوا؛ إنَّه حَدَثٌ قَدِيْمٌ، لَـٰكِنَّهُ بِمَغْزَاهُ مُتَجَدِّدٌ عَبْرَ الأَزْمِنَةِ وَالأَمْكِنَةِ، إنَّهُ يَوْمُ انْتِصَارِ نَبِيِّ اللهِ وَكَلِيْمِهِ مُوسَىٰ ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ وَهَلاَكِ فِرْعَوْنَ الطَّاغِيَةِ، وَمَنْ يَقْرَأُ مِنَّا كِتَابَ الله؛ يَجِدُ مَا تَحْتَلُّهُ هَـٰذِهِ القِصَّةُ

(١) رواه أحمد (٢/ ٥٠)، وأبو داود (٤٠٣١)؛ من حديث ابن عمر، رضي الله عنهما.



العَظِيْمَةُ مِنْ حَيِّزٍ كَبِيْرٍ، وَعَرْضٍ مُتَجَدِّدٍ؛ عِبْرَةً وَعِظَةً، وَدَرْسًا لِلدُّعَاةِ إِلَى اللهِ: أَنَّهُ مَهْمَا بَلَغَ الأَذَىٰ وَالظُّلْمُ وَالتَّسَلُّطُ، فَإِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيْبٌ؛ كَمَا أَنَّ فِيْهَا دَرْسًا لِكُلِّ عَدُوٍّ للهِ وَرَسُولِهِ ﷺ مِمَّنْ مَشَىٰ عَلَىٰ دَرْبِ فِرْعَوْنَ: أَنَّ اللهَ مُنْتَقِمٌ مِنَ الطُّغَاةِ وَالظَّلَمَةِ؛ ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ۝١٤﴾[الفجر]؟!

تِلْكَ - يَا أُمَّةَ الإِسْلَامِ - إِشَارَاتٌ عَابِرَةٌ، وَقَضَايَا مُهِمَّةٌ، يَحْتَاجُ المُسْلِمُونَ إِلَى التَّذْكِيْرِ بِهَا، وَهُمْ يَسْتَقْبِلُونَ عَامَهُمُ الهِجْرِيَّ الجَدِيْدَ، الَّذِيْ نَسْأَلُ اللهَ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَىٰ، وَصِفَاتِهِ الْعُلَا؛ أَنْ يَجْعَلَهُ عَامَ خَيْرٍ وَبَرَكَةٍ وَنَصْرٍ لِلإِسْلَامِ وَالمُسْلِمِيْنَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَعَامَ ذُلٍّ وَهَوَانٍ لِأَعْدَاءِ الإِسْلَامِ وَالمُسْلِمِيْنَ، وَنَسْأَلُهُ سُبْحَانَهُ؛ أَنْ يَجْعَلَ مِنْهُ عَامَ يَقَظَةٍ وَصَلَاحٍ، وَنُقْطَةَ تَحَوُّلٍ وَفَتْحٍ لِصَفْحَةٍ جَدِيدَةٍ، وَصَلَاحٍ لِأَحْوَالِ المُسْلِمِيْنَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَهَزِيْمَةٍ سَاحِقَةٍ لِأَعْدَاءِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَالمُؤْمِنِيْنَ؛ ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٢١﴾[يوسف].

نَفَعَنِي اللهُ وَإِيَّاكُمْ بِالقُرْآنِ العَظِيْمِ، وَبِهَدْيِ سَيِّدِ المُرْسَلِيْنَ.

أَقُولُ قَوْلِي هَـٰذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِيْ وَلَكُمْ وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ، فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيْمُ.



الخطبة الثانية

الحَمْدُ للهِ لَمْ يَزَلْ بِالمَعْرُوفِ مَعْرُوفًا، وَبِالكَرَمِ وَالإِحْسَانِ مَوْصُوفًا، أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ وَأَشْكُرُهُ، كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ: يُيَسِّرُ عَسِيرًا، وَيَجْبُرُ كَسِيرًا، وَيَغْفِرُ ذُنُوبًا، وَيَسْتُرُ عُيُوبًا، وَيَكْشِفُ كُرُوبًا، وَيُغِيثُ مَلْهُوفًا، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ، شَهَادَةً خَالِصَةً لِمَنْ فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيْفًا، وَأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، جَعَلَهُ اللهُ صَادِقًا أَمِيْنًا، شَرِيْفًا عَفِيْفًا، صَلَّى الله وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلِيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ صَلاَةً وَسَلاَمًا تَزِيْدُهُمْ تَفْضِيْلاً وَتَشْرِيْفًا.

أمَّا بعد:

فَاتَّقُوا اللهَ -عِبَادَ اللهِ- وَاعْلَمُوا أَنَّ خَيْرَ الحَدِيْثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ.

أَيُّهَا الأَحِبَّةُ فِي اللهِ، «خَامِسُ هَٰذِهِ القَضَايَا»: فَاتِحَةُ شُهُورِ العَامِ، شَهْرُ اللهِ المُحَرَّمُ، إِنَّهُ مِنْ أَعْظَمِ شُهُورِ اللهِ جَلَّ وَعَلاَ، مَكَانَتُهُ عَظِيْمَةٌ، وَحُرْمَتُهُ قَدِيْمَةٌ، هُوَ رَأْسُ العَامِ، ومِنْ أَشْهُرِ اللهِ الحُرُمِ[1]؛ فِيْهِ نَصَرَ اللهُ

---

(١) الأشهر الحُرُمُ أربعةٌ: ثَلاَثَةٌ سَرْدٌ، أي: متتابعة، وواحدٌ فَرْدٌ؛ فالسَّرْدُ: ذو القَعْدة، وذو الحِجَّة، والمحرَّم، والفرد: رجب. «تفسير البغوي» (٤/ ٤٤).



مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ عَلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ، وَقَدْ رَوَى الإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيْحِهِ»، عَنْ أَبِيْ هُرَيْرَةَ ـ رَضِي اللهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَفْضَلُ الصِّيَام بَعْدَ رَمَضَانَ: شَهْرُ اللهِ الْمُحَرَّمُ**»[1].

وَأَفْضَلُ أَيَّامِ هَٰذَا الشَّهْرِ ـ يَاعِبَادَاللهِ ـ **يَوْمُ عَاشُورَاءَ**؛ فَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ»، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ـ رَضِي اللهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ: قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ المَدِيْنَةَ، فَوَجَدَ اليَهُودَ صِيَامًا يَوْمَ عَاشُورَاءَ، فَقَالَ لَهُمْ: «**مَا هَٰذَا الْيَوْمُ الَّذِيْ تَصُومُونَهُ؟**» قَالُوا: هَٰذَا يَوْمٌ عَظِيْمٌ؛ أَنْجَى اللهُ فِيْهِ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ، وَأَغْرَقَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ، فَصَامَهُ مُوسَىٰ شُكْرًا، فَنَحْنُ نَصُومُهُ؛ فَقَال ﷺ: «**نَحْنُ أَحَقُّ وَأَوْلَىٰ بِمُوسَىٰ مِنكُمْ**»، فَصَامَهُ ﷺ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ[2]، وَفِيْ «صَحِيْحِ مُسْلِمٍ»، عَنْ أَبِيْ قَتَادَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سُئِلَ عَنْ صِيَامِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ؛ فَقَالَ: «**أَحْتَسِبُ عَلَى اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ**»[3]، اللهُ أَكْبَرُ! يَالَهُ مِنْ فَضْلٍ عَظِيْمٍ!

وَقَدْ عَزَمَ ﷺ عَلَىٰ أَنْ يَصُومَ قَبْلَهُ يَوْمًا؛ مُخَالَفَةً لأَهْلِ الكِتَابِ؛ وَعَلَيْهِ: فَيَنْبَغِيْ لِلْمُسْلِمِيْنَ أَنْ يَصُومُوا ذٰلِكَ اليَوْمَ؛ اقْتِدَاءً بِأَنْبِيَاءِ اللهِ، وَطَلَبًا لِثَوَابِ اللهِ، وَأَنْ يَصُومُوا يَوْمًا قَبْلَهُ أَوْ يَوْمًا بَعْدَهُ؛ مُخَالَفَةً لِلْيَهُودِ،

---

(١) «صحيح مسلم» (١١٦٣).
(٢) «صحيح البخاري» (٢٠٠٤)، و«صحيح مسلم» (١١٣٠).
(٣) «صحيح مسلم» (١١٦٢).



وَعَملاً بِمَا اسْتَقَرَّتْ عَلَيْهِ سُنَّةُ المُصْطَفَىٰ ﷺ.

عَملٌ قَلِيْلٌ، وَأَجْرٌ كَبِيْرٌ وَكَثِيْرٌ، إِنَّ ذٰلِكَ - أَيُّهَا الإِخْوَةُ - لَمِنْ فَضْلِ اللهِ عزَّوَجَلَّ، وإِنَّ صِيَامَ ذٰلِكَ اليَوْمِ لَهُوَ شُكْرٌ للهِ سُبْحَانَهُ عَلَىٰ نِعَمِهِ، وَهُوَ - أَيْضًا - اسْتِفْتَاحٌ لِلْعَامِ بِعَمَلٍ مِنْ أَفْضَلِ الأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، الَّتِيْ يُرْجَىٰ فِيْهَا ثَوَابُ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فَأَيْنَ المُشَمِّرُونَ؟!

هَـٰذَا؛ وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا - رَحِمَكُمُ اللهُ - عَلَىٰ مَنْ بَعَثَهُ اللهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِيْنَ، النَّبِيِّ الهَادِيْ المُصْطَفَى الأَمِيْنِ؛ فَقَدْ أَمَرَكُمْ بِذٰلِكَ رَبُّكُمْ رَبُّ العَالَمِيْنَ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾[الأحزاب].

* * *



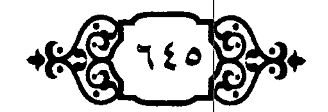


الخطبة الأولى

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة].

الحَمْدُ للهِ مُغِيْثِ المُسْتَغِيْثِيْنَ، وَمُجِيْبِ دَعْوَةِ المُضْطَرِّيْنَ، وَكَاشِفِ الكَرْبِ عَنِ المَكْرُوبِيْنَ، وَرَافِعِ البَلاَءِ عَنِ المُسْتَغْفِرِيْنَ، وَمُسْبِغِ النِّعَمِ عَلَى العِبَادِ أَجْمَعِيْنَ، لاَ إِلٰـهَ إِلاَّ اللهُ الوَلِيُّ الحَمِيْدُ، لاَ إِلٰـهَ إِلاَّ اللهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَيَحْكُمُ مَا يُرِيْدُ، لاَ إِلَـهَ إِلاَّ اللهُ العَظِيْمُ الحَلِيْمُ، لاَ إِلٰـهَ إِلاَّ اللهُ الرَّءُوفُ الرَّحِيْمُ، لاَ إِلٰـهَ إِلاَّ اللهُ رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَرَبُّ الأَرْضِ وَرَبُّ العَرْشِ الكَرِيْمِ، سُبْحَانَ مُجِيْبِ الدَّعَوَاتِ، وغَافِرِ الزَّلاَّتِ، سُبْحَانَ مُغِيْثِ اللَّهَفَاتِ، وَمُنْزِلِ البَرَكَاتِ، سُبْحَانَ وَاهِبِ الخَيْرَاتِ، وَفَارِجِ الكُرُبَاتِ، سُبحَانَهُ مِنْ إِلٰـهٍ كَرِيْمٍ، وَرَبٍّ رَحِيْمٍ، وَمَوْلًى عَظِيْمٍ، عَمَّ بِكَرَمِهِ وَرِزْقِهِ وَإِحْسَانِهِ جَمِيْعَ المَخْلُوقَاتِ.

سُبْحَانَكَ رَبَّنَا، مَا أَكْرَمَكَ! سُبْحَانَكَ رَبَّنَا، مَا أَعْظَمَكَ! سُبْحَانَكَ رَبَّنَا، مَا أَحْلَمَكَ! سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ عَلَىٰ حِلْمِكَ بَعْدَ عِلْمِكَ! سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ عَلَىٰ عَفْوِكَ بَعْدَ مَقْدِرَتِكَ!.



نَحْمَدُ اللهَ تَعَالَىٰ وَنَشْكُرُهُ، وَنَتُوبُ إِلَيْهِ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَـٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ، وَنَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا وَحَبِيْبَنَا وَقُدْوَتَنَا: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، خَاتَمُ الأَنْبِيَاءِ، وَإِمَامُ المُرْسَلِيْنَ، وَسَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ أَجْمَعِيْنَ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ، وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ الطَّيِّبِيْنَ الطَّاهِرِيْنَ، وَالتَّابِعِيْنَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ.

أمّا بعد:

فَيَا أَيُّهَا المُسْلِمُونَ فِي بَيْتِ اللهِ الحَرَامِ ، إِخْوَةَ الإِسْلَامِ فِي مَشَارِقِ الأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا، اتَّقُوا اللهَ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ـ وَأَطِيْعُوهُ، وَتُوبُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ؛ فَتَقْوَى اللهِ ـ يَا عِبَادَ الله ـ خَيْرُ لِبَاسٍ؛ ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦]، وأَهْلُ التَّقْوَىٰ هُمْ خَيْرُ النَّاسِ؛ ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، مَن رَامَ عِزًّا وَفَلاَحًا، وَطَلَبَ خَيْرًا وَصَلاَحًا، وابْتَغَىٰ رُشْدًا وَنَجَاحًا ـ فَعَلَيْهِ بِتَقْوَى الله، تَقْوَى الله: خُرُوجٌ مِنَ المَضَايِقِ، وَنَجَاةٌ مِنَ المَآزِقِ، تَقْوَى اللهِ: أَمَانٌ مِنَ الرَّزَايَا، وَسَلاَمَةٌ مِنَ البَلاَيَا، تَقْوَى الله: عِصْمَةٌ مِنَ الفِتَنِ، وَنَجَاةٌ مِنَ المِحَنِ.

أَلاَ إِنَّمَا التَّقْوَىٰ هِيَ العِزُّ وَالكَرَمْ ... وَحُبُّكَ لِلدُّنْيَا هُوَ الذُّلُّ وَالسَّقَمْ
وَلَيْسَ عَلَىٰ عَبْدٍ تَقِيٍّ نَقِيصَةٌ ... إِذَا حَقَّقَ التَّقْوَىٰ وَإِنْ حَاكَ أَوْ حَجَمْ(١)

---

(١) البيتان ذكرهما ابن رجب ـ رحمه الله ـ في «لطائف المعارف» (ص١٢٩). ويقال: =



أَيُّهَا ٱلْمُسْلِمُونَ، لَقَدْ خَلَقَكُمُ اللهُ ـ تبارَكَ وتَعَالَىٰ ـ لِهَدَفٍ عَظِيمٍ، وَأَمْرٍ جَسِيمٍ، أَلَا وَهُوَ: تَحْقِيقُ العُبُودِيَّةِ لَهُ سُبْحَانَهُ؛ يَقُولُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات]، فَمَنِ الَّذِي خَلَقَكُمْ غَيرُ اللهِ؟! وَمَنِ الَّذِي رَزَقَكُمْ غَيْرُ اللهِ؟! وَمَنِ الَّذِي يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ غَيرُ اللهِ؟!.

فَوَاعَجَبًا كَيْفَ يُعْصَى الإِلَـ ... ـهُ أَمْ كَيْفَ يَجْحَدُهُ الجَاحِدُ؟!

وَللهِ فِي كُلِّ تَحْرِيكَةٍ ... وَتَسْكِينَةٍ أَبَدًا شَاهِدُ

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ ... تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ وَاحِدُ(١)

فَإِيَّاكُمْ ـ عِبَادَ اللهِ ـ وَالغَفْلَةَ عَنْ سِرِّ خَلْقِ اللهِ لَكُمْ فِي هَـٰذِهِ الحَيَاةِ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾﴾ [فاطر].

أَمَا وَاللهِ لَوْ عَلِمَ الأَنَامُ ... لِمَا خُلِقُوا لَمَا هَجَعُوا وَنَامُوا

لَقَدْ خُلِقُوا لِأَمْرٍ لَوْ رَأَتْهُ ... عُيُونُ قُلُوبِهِمْ تَاهُوا وَهَامُوا

مَمَاتٌ ثُمَّ قَبْرٌ ثُمَّ حَشْرٌ ... وَتَوْبِيخٌ وَأَهْوَالٌ عِظَامُ

لِيَوْمِ الحَشْرِ قَدْ عَمِلَتْ أُنَاسٌ ... وَصَلَّوْا مِنْ مَخَافَتِهِ وَصَامُوا

وَنَحْنُ إِذَا أُمِرْنَا أَوْ نُهِينَا ... كَأَهْلِ الكَهْفِ أَيْقَاظٌ نِيَامُ!

= حَاكَ الثَّوبَ يَحِيكُهُ حِيَاكَةً، أي: نَسَجَهُ. وحَجَمَ المريضَ يَحْجُمُهُ حَجْمًا: عالجه بالحِجَامَةِ، وهي امتصاص الدم بالمِحْجَمِ. «اللسان» (حيك) (حجم).

(١) الأبيات لأبي العتاهية. انظر: «ديوانه» (ص١٢٢)، و«البداية والنهاية» (١٤/ ٧٧).



عِبَادَ اللهِ، إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُوَالِي نِعَمَهُ عَلَىٰ عِبَادِهِ؛ لِتَكُونَ عَوْنًا لَهُمْ عَلَىٰ طَاعَتِهِ وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ، فَإِذَا اسْتَعَانُوا بِنِعَمِهِ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِ، وَفَرَّطُوا فِي جَنْبِهِ، وَأَضَاعُوا أَوَامِرَهُ، وَاسْتَهَانُوا بِنَوَاهِيْهِ، وَاسْتَخَفُّوا بِحُرُمَاتِهِ ـ: غَيَّرَ عَلَيْهِمْ حَالَهُمْ؛ ﴿جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾﴾ [النبأ]، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ [فصلت]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾﴾ [الرعد]، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾ [الأنفال].

فَإِذَا غَيَّرَ العِبَادُ الطَّاعَةَ بِالمَعْصِيَةِ، والحَقَّ بِالبَاطِلِ، وَالمَعْرُوفَ بِالمُنْكَرِ ـ: غَيَّرَ اللهُ عَلَيْهِمُ الغِنَىٰ بِالفَقْرِ، وَالعِزَّةَ بِالذِّلَّةِ وَالمَهَانَةِ، والقُوَّةَ بِالضَّعْفِ وَالهَزِيْمَةِ، والعِلْمَ بِالجَهْلِ، وَالأَمْنَ بِالخَوْفِ، والسَّعَادَةَ بِالقَلَقِ وَالاِضْطِرَابِ، وَالنِّعَمَ بِالنِّقَمِ، والخِصْبَ بِالجَدْبِ، والمَطَرَ بِالقَحْطِ، والخَيْرَ بِالشِّدَّةِ والمَئُونَةِ.

فَلَمْ يَنْزِلْ بَلَاءٌ مِنَ اللهِ إِلَّا بِذُنُوبِ العِبَادِ وَتَقْصِيْرِهِمْ، وَإِعْرَاضِهِمْ عَنْ رَبِّهِمْ، وَإِقْبَالِهِمْ عَلَىٰ شَهَوَاتِهِمْ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورىٰ]، ﴿أَوَلَمَّآ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَـٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾﴾ [آل عمران]، وَمَا ابْتُلِيَ المُسْلِمُونَ اليَوْمَ بِقِلَّةِ



الأَمْطَارِ، وَغَوْرِ المِيَاهِ[1]، وَانْتِشَارِ الجَدْبِ وَالقَحْطِ، وَغَلَبَةِ الجَفَافِ وَالمَجَاعَةِ والفَقْرِ، فِي بِقَاعٍ كَثِيْرَةٍ مِنَ العَالَمِ؛ إِلاَّ بِسَبَبِ ذُنُوبِهِمْ، وَانْتِشَارِ المَعَاصِيْ بَيْنَهُمْ، وَعُمُومِ المُنْكَرَاتِ فِي مُجْتَمَعَاتِهِمْ، وَلَنْ يُرْفَعَ مَاهُمْ فِيْهِ ـ مِنْ شِدَّةٍ وَبَلاَءٍ، وَجَدْبٍ وَقَحْطٍ وَعَنَاءٍ ـ إِلاَّ بِتَوَجُّهِهِمُ الصَّحِيْحِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ، وَعَوْدَتِهِمُ الحَمِيْدَةِ إِلَىٰ دِيْنِهِمْ، وَكَثْرَةِ تَوْبَتِهِمْ وَاسْتِغْفَارِهِمْ لِرَبِّهِمْ مِنْ تَقْصِيْرِهِمْ.

رَأَيْتُ الذُّنُوبَ تُمِيْتُ القُلُوبَ وَقَدْ يُوْرِثُ الذُّلَّ إِدْمَانُهَا
وَتَرْكُ الذُّنُوبِ حَيَاةُ القُلُوبِ وَخَيْرٌ لِنَفْسِكَ عِصْيَانُهَا[2]

* * *

إِذَا كُنْتَ فِي نِعْمَةٍ فَارْعَهَا فَإِنَّ المَعَاصِيْ تُزِيْلُ النِّعَمْ
وَدَاوِمْ عَلَيْهَا بِشُكْرِ الإِلَـٰهِ فَشُكْرُ الإِلَـٰهِ يُزِيلُ النِّقَمْ

أُمَّةَ الإِسْلَامِ، لَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ غَيْثَيْنِ لِعِبَادِهِ:

أَوَّلُهُمَا: غَيْثُ القُلُوبِ وَالأَرْوَاحِ، بِمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ الوَحْيِ عَلَىٰ أَفْضَلِ رُسُلِهِ وَخَاتَمِهِمْ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَهَـٰذَا الغَيْثُ مَادَّةُ حَيَاةِ القُلُوبِ، وَصَفَاءُ الأَرْوَاحِ، وَبِهِ سَعَادَةُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَهَـٰذَا الغَيْثُ هُوَ مَا يَفْتَقِدُهُ النَّاسُ اليَوْمَ عَلَى الحَقِيْقَةِ، بَلْ إِنَّ ضَرُوْرَتَهُمْ إِلَيْهِ وَحَاجَتَهُمْ لَهُ أَشَدُّ وَأَكْبَرُ مِنَ:

---

(١) غَوْرُ المياه: ذَهَابُهَا في الأرض، وَسُفُولُهَا فيها. «اللسان» (غور).
(٢) البيتان لعبدالله بن المبارك. وقد تقدم تخريجهما (ص٥٧٥).



الغَيْث الثَّانِي: الَّذِيْ هُوَ غَيْثُ الأَرْضِ بِالأَمْطَارِ، وَلَقَدْ خَرَجْتُمْ - أَيُّهَا المُسْلِمُونَ - تَسْتَغِيْثُونَ رَبَّكُمْ لِهَـٰذَا الغَيْثِ، وَإِنَّهِ لَجَدِيرٌ بِنَا أَنْ نَهْتَمَّ بِغَيْثِ القُلُوبِ وَالأَرْوَاحِ؛ لأَنَّ بِهِ سَعَادَةَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَحُصُولَ الغَيْثِ الآخَرِ؛ يَقُولُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾[الأعراف: ٩٦].

فَعَلَيْنَا - يَا عِبَادَ اللهِ - أَنْ نَتَفَقَّدَ قُلُوبَنَا: هَلْ رَوِيَتْ مِنْ هَـٰذَا الغَيْثِ، أَوْ هِيَ ظَامِئَةٌ؟! يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَنْظُرَ فِي صَحَائِفِنَا: هَلْ هِيَ رَبِيْعٌ بِهَـٰذَا الوَحْيِ، أَوْ هِيَ مُجْدِبَةٌ؟! يَنْبَغِيْ لَنَا أَنْ نُصْلِحَ مَا فَسَدَ مِنْ حَالِنَا، وَأَنْ نُطَهِّرَ قُلُوبَنَا، وَنَسْعَىٰ لِزِيَادَةِ إِيْمَانِنَا، وَإِصْلَاحِ عَقِيْدَتِنَا وَمُجْتَمَعَاتِنَا؛ لِيَحْصُلَ لَنَا مَا نُؤَمِّلُهُ وَنَرْجُوهُ.

إِخْوَةَ الإِسْلَامِ، لَقَدْ شَكَوْتُمْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ جَدْبَ دِيَارِكُمْ، وَتَأَخُّرَ المَطَرِ عَنْ بِلَادِكُمْ وَأَوْطَانِكُمْ، فَمَا أَحْرَىٰ ذٰلِكَ أَنْ يَدْفَعَكُمْ إِلَىٰ تَلَمُّسِ أَسْبَابِهِ؛ لِيَكُونَ عَوْنًا لَكُمْ عَلَىٰ تَشْخِيْصِ الدَّاءِ الَّذِيْ أَصَابَكُمْ، فَإِذَا تَشَخَّصَ الدَّاءُ، عُرِفَ بَعْدَ ذٰلِكَ الدَّوَاءُ، وَإِنَّ مِنْ أَسْبَابِ مَنْعِ القَطْرِ مِنَ السَّمَاءِ - يَا عِبَادَ اللهِ - غَفْلَةَ العِبَادِ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِمْ، وَقَسْوَةَ قُلُوبِهِمْ بِمَا رَانَ[1] عَلَيْهَا مِنَ الذُّنُوبِ وَالمَعَاصِيْ، وَتَسَاهُلَهُمْ فِي تَحْقِيْقِ الإِيْمَانِ

---

(١) ران، أي: غطَّى وغَلَب. «اللسان» (رين).



والتَّقْوىٰ، وتَقْصِيْرَهمْ فِي أَداءِ الصَّلاةِ وإِيْتاءِ الزَّكاةِ؛ يقُولُ ﷺ: «**لَمْ يَنْقُصْ قَوْمٌ المِكْيَالَ والمِيْزَانَ إِلاَّ أُخِذُوا بِالسِّنِيْنَ**[1]**، وَشِدَّةِ المَئُوْنَةِ، وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلاَّ مُنِعُوا القَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْلا البَهَائِمُ، لَمْ يُمْطَرُوا**»[2].

وَإِنَّ مِنْ أَسْبَابِ مَنْعِ القَطْرِ ـ يَا عِبَادَ اللهِ ـ: إِعْرَاضَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ عَنِ التَّوْبَةِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ وَاسْتِغْفَارِهِ، وَهُمَا مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ نُزُولِ الغَيْثِ؛ يَقُولُ تعالَىٰ عَنْ نُوحٍ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح]، وَقَالَ تَعَالَىٰ على لسانِ هُودٍ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ: ﴿وَيَـٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [هود].

وقَدْ خَرَجَ عُمَرُ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ لِلاسْتِسْقَاءِ، فَلَمْ يَزِدْ عَلَىٰ الاِسْتِغْفَارِ، فَقِيلَ لَهُ فِي ذٰلِكَ؟ فَقَالَ: «لَقَدْ طَلَبْتُ الغَيْثَ بِمَجَادِيْحِ[3]

---

(١) «السنين»: جمع سَنَة، وهي الجَدْب والْقَحط، يقال: أخذتهم السَّنَة: إذا أَجْدَبوا وَأَقْحَطُوا. «النهاية» و«اللسان» (سنه).

(٢) رواه ابن ماجه (٤٠١٩)، والحاكم (٤/ ٥٤٠)؛ من حديث ابن عمر؛ رضي الله عنهما.

(٣) المَجادِيْح: وَاحِدها مِجْدَح، وَهُوَ نَجْمٌ مِنَ النُّجُوم، كَانَتِ العَرَب تَزعُمُ أَنَّهَا تُمْطَرُ بِهِ؛ كقولهم في الأنواء.

والذي يراد مِنَ الحديث: أَنَّهُ جَعَلَ الاِسْتِغفار اسْتِسْقَاء؛ بِتَأَوُّلِ قول الله عَزَّ وَجَلَّ: =

السَّمَاءِ الَّتِيْ يُسْتَنْزَلُ بِهَا المَطَرُ»[1].

مَعَاشِرَ المُسْلِمِيْنَ، إِنَّهُ «مَا نَزَلَ بَلاَءٌ إِلاَّ بِذَنْبٍ، وَلاَ رُفِعَ بَلاَءٌ إِلاَّ بِتَوْبَةٍ»[2]، وَإِنَّ ذُنُوبَنَا ـ يَا عِبَادَ اللهِ ـ كَثِيْرَةٌ وَعَظِيْمَةٌ، وَإِنَّ تَقْصِيْرَنَا شَدِيْدٌ وَكَبِيْرٌ، وَإِنَّ شُؤْمَ الذُّنُوبِ وَالمَعَاصِيْ لَعَظِيْمٌ وَخَطِيْرٌ:

أَلَمْ نُقَصِّرْ فِي الإِيْمَانِ وَالعِبَادَةِ وَالإِخْلاَصِ وَالتَّقْوَىٰ؟!

أَمَا ظَهَرَتِ المُنْكَرَاتُ، وَعَمَّتِ المُحَرَّمَاتُ، وَانْتَشَرَتِ المُوبِقَاتُ فِي كَثِيْرٍ مِنَ المُجْتَمَعَاتِ؟!

أَمَا هَٰذِهِ الصَّلاَةُ قَدْ طَاشَ مِيْزَانُهَا عِنْدَ كَثِيْرٍ مِنَ النَّاسِ، وَهِيَ ثَانِي أَرْكَانِ الإِسْلاَمِ؟!

أَمَا هَٰذِهِ الزَّكَاةُ المَفْرُوضَةُ قَدْ بَخِلَ بِهَا كَثِيْرٌ مِنَ النَّاسِ، وَأَلْهَاهُمُ التَّكَاثُرُ وَالتَّنَافُسُ فِي الأَمْوَالِ عَنْ إِخْرَاجِ حَقِّ اللهِ فِيْهَا؟!

أَمَا هَٰذِهِ المُوْبِقَاتُ وَالجَرَائِمُ مِنَ القَتْلِ وَالزِّنَىٰ وَالرِّبَا، وَشُرْبِ

= ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١﴾ [نوح]، وَأَرَاد عُمَرُ إِبْطالَ الأَنْوَاء، والتَّكذيبَ بها؛ لأنَّه جَعَلَ الاِسْتِغفارَ هوالذي يُسْتَسْقَىٰ به، لا المجاديحَ والأنواءَ التي كانوا يَسْتَسْقُونَ بها. انظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد (٤/ ١٥٧، ١٥٨)، و«النهاية» و«اللسان» (جدح).

(١) أخرجه ابن سعد في «طبقاته» (٣/ ٣٢٠).

(٢) كما في الأثر عن علي ـ رضي الله عنه ـ انظر: «الجواب الكافي» (ص١٠٣).



وَلَـٰكِنْ لَيْسَ مَعْنَىٰ ذٰلِكَ أَنْ يَتَعَلَّقَ أَقْوَامٌ بِنُصُوصِ الوَعْدِ، وَيُغَلِّبُوا جَانِبَ الرَّجَاءِ، وَيَعْتَمِدُوا عَلَىٰ سَعَةِ عَفْوِ اللهِ، مُحْتَجِّينَ بِأَنَّهُ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ، فَيَتَمَادَوْنَ فِي المَعَاصِي، وَيَنْسَوْنَ العُقُوبَةَ، وَيَغُرُّهُمْ طُولُ الأَمَلِ؛ فَهَـٰذَا أَمْنٌ مِنْ مَكْرِ اللهِ، والعِيَاذُ بِاللهِ!

فَالوَاجِبُ: المُبَادَرَةُ إِلَى التَّوْبَةِ، وَتَرْكُ التَّسوِيْفِ؛ فَإِنَّ تَأْخِيْرَ التَّوْبَةِ هُوَ ـ بِحَدِّ ذَاتِهِ ـ ذَنْبٌ يَسْتَحِقُّ التَّوْبَةَ؛ كَيْفَ وَإِنَّ المُؤْمِنَ لَيَخْشَىٰ أَنْ يُحَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ وَهُوَ لاَيَشْعُرُ، فَتَفُوتُهُ فَيَنْدَمُ حَيْثُ لاَ يَنْفَعُ النَّدَمُ؟! وَقَدْ حَذَّرَ المَوْلَىٰ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ـ مِنْ ذٰلِكَ؛ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾ [النساء].

فَإِلَىٰ مَتَىٰ الغَفْلَةُ، يَاعِبَادَ اللهِ؟! ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦]؟! يَا أَيُّهَا التَّارِكُونَ لِمَا أَوْجَبَ اللهُ؛ مِنْ صَلاَةٍ وَزَكَاةٍ وَصِلَةٍ، المُرْتَكِبُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ مِنْ شِرْكٍ، أَوْ تَرْكٍ لِلصَّلاَةِ، أَوْ تَسَاهُلٍ فِيْهَا، أَوْ وُقُوعٍ فِي دَمٍ، أَوْ عِرْضٍ، أَوْ مَالٍ، أَوْ مُسْكِرٍ، أَوْ مُخَدِّرٍ، أَوْ قَطِيْعَةٍ وَعُقُوقٍ وَسُوءِ خُلُقٍ، أَوْ عُكُوفٍ عَلَى اللَّهْوِ وَاللَّغْوِ، بَادِرُوا بِالتَّوْبَةِ

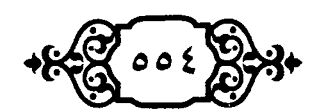


قَبْلَ أَنْ يُوَارِيَكُمُ الثَّرَىٰ، وَيَسْرِيَ بِكُمُ البِلَىٰ، وَتَكُونُوا جُثَثًا هَامِدَةً، وَجِيَفًا بَالِيَةً؛ لاَ يَنْفَعُكُمْ ـ حِيْنَذَاكَ ـ إِلاَّ عَمَلُكُمُ المُتَوَّجُ بِالتَّوْبَةِ النَّصُوحِ وَالإِنَابَةِ الصَّادِقَةِ.

أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ: ﴿۞ قُلْ يَـٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَـٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّـٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الزمر].

اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا التَّوْبَةَ النَّصُوحَ، وَأَعِذْنَا مِنَ الغَفْلَةِ، وَاعْصِمْنَا مِنَ الذُّنُوبِ وَالمَعَاصِيْ، يَاحَيُّ يَاقَيُّومُ.

أَقُولُ قَوْلِيْ هَـٰذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِيْ وَلَكُمْ وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ، فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيْمُ.



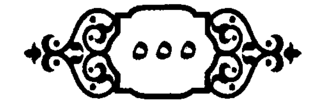
الخطبة الثانية

الحَمْدُ للهِ ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ ﴾[غافر]، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلـٰهَ إِلاَّ اللهُ، لاَندَّ لَهُ سُبْحَانَهُ وَلاَ شَبِيْهَ، وَلاَ مَثِيْلَ وَلاَ نَظِيْرَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ البَشِيْرُ النَّذِيْرُ، وَالسِّرَاجُ المُنِيْرُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَكُلِّ تَابِعٍ مُسْتَنِيْرٍ.

أمّا بعد:

فَاتَّقُوا اللهَ ـ عِبَادَ اللهِ ـ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ، ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ، وَاحْذَرُوا صَغَائِرَ الذُّنُوبِ؛ فَإِنَّهَا بَرِيْدٌ إِلَى الكَبَائِرِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ؛ فَإِنَّهُنَّ يَجْتَمِعْنَ عَلَى العَبْدِ حَتَّىٰ يُهْلِكْنَهُ؛ كَمَا صَحَّ بِذٰلِكَ الخَبَرُ، عَنْ سَيِّدِ البَشَرِ ـ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَم ـ[1] وَلْيَكُنْ لَكُمْ ـ يَاعِبَادَ اللهِ ـ فِي نَبِيِّكُمُ المُصْطَفَىٰ ﷺ القُدْوَةُ الحَسَنَةُ؛ فَقَدْ كَانَ ـ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ـ وَهُوَ الَّذِي قَدْ غَفَرَ اللهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، وَهُوَ أَخْوَفُ خَلْقِ اللهِ مِنَ اللهِ، وَأَحَبُّ عِبَادِ اللهِ إِلَى اللهِ ـ يَعُدُّ لَهُ أَصْحَابُهُ فِي المَجْلِسِ الوَاحِدِ مِائَةَ مَرَّةٍ يَقُولُ: «**رَبِّ اغْفِرْ لِيْ، وَتُبْ عَلَيَّ؛ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**»؛ كَمَا فِي حَدِيْثِ

(١) رواه الطيالسي (٤٠٠)، وعنه أحمد (١/ ٤٠٢ـ٤٠٣)؛ من حديث ابن مسعود، رضي الله عنه.



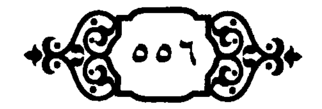
ابْن عُمَرَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ـ عِنْدَ الإمَامِ أَحْمَدَ، وَغَيْرِهِ[1]، وقَدْ وَرَدَ فِي الحَدِيْثِ الصَّحِيْحِ؛ أنه ﷺ قال: «**إِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي اليَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً**» ـ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ ـ كَمَا فِي البُخَارِيِّ مِنْ حَدِيْثِ أَبِيْ هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[2].

اللهُ أَكْبَرُ! إِذَا كَانَ هَـٰذَا خَوْفَ المُصْطَفَىٰ ﷺ، فَمَا بَالُنَا نَحْنُ لاَ نَخَافُ وَنَحْنُ المُثْقَلُونَ بِالأَوْزَارِ، المُكَبَّلُونَ بِالخَطَايَا وَالآثَامِ؟! فَلْنَتَّقِ اللهَ ـ يَا عِبَادَ اللهِ ـ وَلْنَبْدَأْ صَفْحَةً جَدِيْدَةً مِنْ أَعْمَارِنَا، وَلْنَأْخُذْ عَهْدًا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا، وَنَحْنُ فِي حَرَمِ اللهِ: أَنْ نَتُوبَ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ مِن جَمِيْعِ الذُّنُوبِ وَالمَعَاصِي.

أُمَّةَ الإِسْلَامِ، وَإِذَا كَانَ المُسْلِمُونَ هَـٰذِهِ الأَيَّامَ يَسْتَقْبِلُونَ شَهْرًا كَرِيْمًا، وَمَوْسِمًا عَظِيْمًا، أَلاَ وَهُوَ شَهْرُ رَمَضَانَ المُبَارَكُ: فَإِنَّ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ التَّوْبَةِ ـ مِنْ حُقُوقِ اللهِ، وَحُقُوقِ عِبَادِ اللهِ ـ هُوَ المَنْهَجُ الصَّحِيْحُ فِي اسْتِقْبَالِ هَـٰذَا الشَّهْرِ الكَرِيْمِ، فِي الوَقْتِ الَّذِيْ جَهِلَ فِيْهِ كَثِيْرٌ مِنَ المُسْلِمِيْنَ ـ هَدَاهُمُ اللهُ ـ الاِسْتِقْبَالَ الشَّرْعِيَّ وَالمَعْنَوِيَّ لِهَـٰذَا الشَّهْرِ المُبَارَكِ، وَعَدَلُوا فِي اسْتِقْبَالِهِ إِلَىٰ أُمُورٍ شَكْلِيَّةٍ وَمَادِّيَّةٍ، يُتَرْجِمُ عَنْهَا حَالُ كَثِيْرٍ مِنَ النَّاسِ فِي هَـٰذِهِ الأَيَّامِ؛ وَهُمْ يَتَزَاحَمُونَ فِي الأَسْوَاقِ؛ اسْتِعْدَادًا لِرَمَضَانَ ـ بِزَعْمِهِمْ ـ فَمَا هَـٰكَذَا

(١) رواه الطيالسي (٢٠٥٠)، وأحمد (٢/ ٢١)، وأبوداود (١٥١٦)، والترمذي (٣٤٣٤).

(٢) «صحيح البخاري» (٦٣٠٧).



بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ [الأنبياء].

وَإِنَّمَا يُخَوِّفُكُمُ اللهُ بِالجفَافِ وَالقَحْطِ، وَالجَدْبِ وَمَنْعِ القَطْرِ، وَشِدَّةِ المَئُونَةِ فِي الأَرْزَاقِ؛ لِئَلَّا تَسْتَمِرُّوا فِي ذُنُوبِكُمْ، وَتُصِرُّوا عَلَىٰ غَفْلَتِكُمْ، وَإِنَّ مَواهِبَ رَبِّنَا لَجَلِيلَةٌ، وَإِنَّ عَطَايَاهُ لَجَزِيلَةٌ؛ بَابُهُ مَفْتُوحٌ، وَعَطَاؤُهُ مَمْنُوحٌ، وَفَضْلُهُ يَغْدُو وَيَرُوحُ؛ فَاشْكُرُوهُ عَلَىٰ مَا أَعْطَىٰ، وَارْجِعُوا عَنِ الذُّنُوبِ وَالأَخْطَا، وَاطْلُبُوا كُلَّ شَيْءٍ مِنْهُ سُبْحَانَهُ، وَأَخْلِصُوا لَهُ التَّوْحِيْدَ وَالعِبَادَةَ؛ فَهُوَ القَادِرُ وَحْدَهُ عَلَىٰ إِنْزَالِ الغَيْثِ وَتَقْدِيْرِ الأَرْزَاقِ، وَتَوَجَّهُوا إِلَى اللهِ فِي هَـٰذِهِ السَّاعَةِ المُبَارَكَةِ بِالتَّوْبَةِ والاِسْتِغْفَارِ، حَقِّقُوا التَّوْبَةَ إِلَى اللهِ مِنْ ذُنُوبِكُمْ بِشُرُوطِهَا المَعْرُوفَةِ: بِالنَّدَمِ عَلَىٰ مَا حَصَلَ مِنَ الذُّنُوبِ، وَالإِقْلَاعِ عَنْهَا، وَالعَزْمِ عَلَىٰ عَدَمِ العَوْدِ إِلَيْهَا مَرَّةً أُخْرَىٰ، رُدُّوا المَظَالِمَ إِلَىٰ أَهْلِهَا؛ **«مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلِمَةٌ لِأَخِيْهِ؛ مِنْ مَالٍ، أَوْ عِرْضٍ، فَلْيَأْتِهِ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْخَذَ مِنْهُ، وَلَيْسَ ثَمَّ دِيْنَارٌ وَلاَ دِرْهَمٌ»**[١]، جَدِّدُوا التَّوْبَةَ قَبْلَ فَوَاتِ الأَوَانِ:

وَتُقْبَلُ التَّوْبَةُ قَبْلَ الغَرْغَرَهْ ... كَمَا أَتَىٰ فِي الشِّرْعَةِ المُطَهَّرَهْ

أَمَّا مَتَىٰ تُغْلَقُ عَنْ طَالِبِهَا ... فَبِطُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا[٢]

(١) تقدم تخريجه (ص ٣٢٥).

(٢) البيتان للعلامة حافظ بن أحمد الحَكَمِيِّ من منظومته «سلم الوصول، إلى علم الأصول، في توحيد الله واتباع الرسول». انظر: (ص٥٥).



لـكِنْ لاَبُدَّ مِنْ تَحْقِيْقِ شُرُوطِهَا :

شُرُوطُ تَوْبَتِهِمْ إِنْ رُمْتَ عِدَّتَهَا ... ثَلاَثَةٌ رُتِّبَتْ فَافْهَمْ عَلَىٰ عَجَلِ

إِقْلاَعُهُ، نَدَمٌ، وَعَزْمُهُ أَبَدًا ... أَلاَّ يَعُودَ لِمَا مِنْهُ جَرَىٰ، وَقُلِ

إِنْ كَانَ تَوْبَتُهُ مِنْ ظُلْمِ صَاحِبِهِ ... لاَبُدَّ مِنْ رَدِّهِ لِلْحَقِّ فِي عَجَلِ

جَرِّدُوا القُلُوبَ ـ يَاعِبَادَ اللهِ ـ مِنَ الحَسَدِ وَالحِقْدِ، وَالبَغْضَاءِ وَالشَّحْنَاءِ، والغِيْبَةِ والنَّمِيْمَةِ وَالبُهْتَانِ، أَدُّوا زكَاةَ أَمْوَالِكُمْ، وَلاَ تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ، وَلاَ تَنْقُصُوا المِكْيَالَ وَالمِيْزَانَ، تَسَامَحُوا وَتَرَاحَمُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا وَلاَ تَبَاغَضُوا، صِلُوا الأَرْحَامَ، وَبَرُّوا الوَالِدَيْنِ، وَأَحْسِنُوا إِلَى الفُقَرَاءِ والمَسَاكِيْنِ، وَالأَرَامِلِ وَالأَيْتَام وَالمَحَاوِيْجِ، أَكْثِرُوا مِنَ الصَّدَقَاتِ وَالإِنْفَاقِ وَالجُودِ فِي سَبِيْلِ اللهِ، وَكُونُوا إِخْوَةً مُتَحَابِّيْنَ، عَلَى الخَيْرِ مُتَعَاوِنِيْنَ؛ فَمَتَىٰ عَلِمَ اللهُ إِخْلاَصَكُمْ وَصِدْقَكُمْ، وَصِحَّةَ تَوْبَتِكُمْ وَإِنَابَتِكُمْ، وَإِلْحَاحَكُمْ عَلَيْهِ بِالدُّعَاءِ ـ أَغَاثَكُمْ، وَجَلَبَ الأَرْزَاقَ لَكُمْ؛ ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الذاريات]، وَتَأَسَّوْا بِنَبِيِّكُمْ ﷺ؛ فَقَدْ أَتَىٰ يَوْمَ الاِسْتِسْقَاءِ مُتَذَلِّلاً مُتَخَشِّعًا، تَائِبًا مُلِحًّا عَلَى اللهِ بالدُّعَاءِ؛ فَاهْتَدُوا بِهَدْيِ نَبِيِّكُمْ، وَاقْتَدُوا بِسُنَّةِ رَسُولِكُمْ ﷺ، وَأَظْهِرُوا الاِفْتِقَارَ إِلَىٰ رَبِّكُمْ، وَادْعُوهُ جَلَّ وَعَلاَ، وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ، وَأَحْسِنُوا الظَّنَّ بِرَبِّكُمْ.

وَإِنِّي لأَدْعُو اللهَ حَتَّىٰ كَأَنَّمَا ... أَرَىٰ بِجَمِيْلِ الظَّنِّ مَااللهُ صَانِعُ!



وَلَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَلاَ تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللهِ، وَأَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا، وَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَتُوبُوا إِلَى اللهِ مِنْ جَمِيْعِ ذُنُوبِكُمْ وَخَطَايَاكُمْ، تَذَكَّرُوا ـ يَا عِبَادَ اللهِ ـ تَذَكَّرُوا المَوْتَ وَسَكْرَتَهُ، وَالقَبْرَ وَظُلْمَتَهُ، والصِّرَاطَ وَزَلَّتَهُ، والمَوْقِفَ وَكُرْبَتَهُ.

أَيُّهَا الإِخْوَةُ المُسْلِمُونَ، يَا مَنْ خَرَجْتُمْ تَسْتَغِيْثُونَ، هَنِيْئًا لَكُمُ اجْتِمَاعُكُمْ هَـٰذَا؛ لَقَدْ لَبَّيْتُمْ دَاعِيَ اللهِ، وَأَحْيَيْتُمْ سُنَّةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَامْتَثَلْتُمْ دَعْوَةَ وَلِيِّ الأَمْرِ ـ وَفَّقَهُ اللهُ ـ فَلاَ حَرَمَكُمُ اللهُ فَضْلَهُ، وحَقَّقَ اللهُ آمَالَكُمْ، وَإِنَّهُ لَمِنَ الحِرْمَانِ العَظِيْمِ: تَسَاهُلُ بَعْضِ النَّاسِ فِي حُضُورِ دَعْوَةِ الخَيْرِ، وَإِحْيَاءِ سُنَّةِ المُصْطَفَىٰ ﷺ، بَلْ لَرُبَّمَا رَفَعَ بَعْضُهُمْ عَقِيْرَتَهُ مُحْتَجًّا بِأَنَّ المَاءَ فِي الصَّنَابِيْرِ، وَمَا دَرَىٰ ذٰلِكَ الغِرُّ المَأْفُونُ حِكْمَةَ اللهَ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ فِي كُلِّ شَيْءٍ، وَقُدْرَتَهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ، وَإِنَّكُمْ لَتُدْرِكُونَ ـ يَا عِبَادَ اللهِ ـ مَا لِلْمَطَرِ مِنَ المَنَافِعِ، وَمَا فِيْ تَأْخِيْرِهِ مِنَ الأَضْرَارِ عَلَى الزُّرُوعِ وَالثِّمَارِ، وَالنَّاسِ وَالبَهَائِمِ، وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا حَلَّ بِكَثِيْرٍ مِنَ البُلْدَانِ مِنَ الجَفَافِ والجَدْبِ وَالقَحْطِ، وَالمَجَاعَةِ وَغَوْرِ المِيَاهِ؛ مِمَّا لاَ يَكْشِفُهُ إِلاَّ اللهُ؛ فَعَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ مَعَ اللهِ فِي دُعَائِكُمْ، وَالرَّغْبَةِ الجَادَّةِ فِي إِصْلاَحِ نُفُوسِكُمْ وَأُسَرِكُمْ وَمُجْتَمَعَاتِكُمْ.

وَاعْلَمُوا: **أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ** حَيِيٌّ كَرِيْمٌ، يَسْتَحْيِي مِنْ عِبَادِهِ إِذَا رَفَعُوا



أَيْدِيَهُمْ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهَا صِفْرًا، إِذَا عَلِمْتُمْ ذَلِكَ - يَا عِبَادَ اللهِ - فَارْفَعُوا قُلُوبَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ، وَالْهَجُوا بِالثَّنَاءِ عَلَيْهِ - سُبْحَانَهُ - واسْتِغْفَارِهِ؛ طَالِبِيْنَ الغَيْثَ مِنْهُ، رَاجِيْنَ لِفَضْلِهِ، مُؤَمِّلِيْنَ لِكَرَمِهِ، مُلِحِّيْنَ عَلَيْهِ بِالدُّعَاءِ؛ بِكَشْفِ الشِّدَّةِ، وَإِزَالَةِ الكُرْبَةِ، وَإِغَاثَةِ البِلَادِ والعِبَادِ؛ كَمَا أَنَّهُ لابدَّ أَن يَقُوْمَ المَسْئُوْلُوْن بِوَاجِبِهِم فِي إِزَالَةِ المُنْكَرَاتِ؛ لأَنَّ «**اللهَ يَزَعُ بِالسُّلطَانِ مَا لاَ يَزَعُ بِالقُرْآن**»[1]، وَيَجِبُ عَلَى الرَّعِيَّةِ أَنْ يَكُونُوا عَوْنًا لِوُلَاةِ الأَمْرِ فِي ذٰلِكَ؛ بِالنُّصْحِ المَشْرُوعِ، وَالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ، وَأَنْ يَقُومَ العُلَمَاءُ وَالدُّعَاةُ إِلَى اللهِ بِوَاجِبِهِمْ بِالأَسَالِيْبِ الشَّرْعِيَّةِ، وَاللهُ المَسْئُولُ أَنْ يُوفِّقَ الجَمِيْعَ لِمَا يُحِبُّهُ وَيَرْضَاهُ؛ إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيْمٌ.

لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ غِيَاثُ المُسْتَغِيْثِيْنَ، وَجَابِرُ المُنْكَسِرِيْنَ، وَرَاحِمُ المُسْتَضْعَفِيْنَ، نَسْتَغْفِرُ اللهَ، نَسْتَغْفِرُ اللهَ، نَسْتَغْفِرُ اللهَ، نَسْتَغْفِرُ اللهَ الَّذِيْ لاَ إِلٰـهَ إِلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ وَنَتُوبُ إِلَيْهِ، اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ نَسْتَغِيثُ، فَلاَ تَكِلْنَا إِلَىٰ أَنْفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَلاَ أَقَلَّ مِنْ ذٰلِكَ، ﴿لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [الأعراف]، ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنبياء]، ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ

---

(١) من قول عثمان - رضي الله عنه -: «إِنَّ اللهَ لَيَزَعُ بِالسُّلْطَانِ مَا لاَ يَزَعُ بِالقُرْآنِ»؛ أخرجه ابن عبدالبر في «التمهيد» (١/ ١١٨)، وهذا القول مما جرى مجرى الأمثال. انظر: «مجمع الأمثال» (٢/ ١٦٢).



﴿إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾[البقرة]، ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾[الأعراف]، ﴿فَقَالُواْ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَا رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحۡمَتِكَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾[يونس].

اللَّهُمَّ أَنْتَ اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ ، أَنْتَ الغَنِيُّ وَنَحْنُ الفُقَرَاءُ إِلَيْكَ، أَنْزِلْ عَلَيْنَا الغَيْثَ وَلاَ تَجْعَلْنَا مِنَ القَانِطِيْنَ، اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا الغَيْثَ وَلاَ تَجْعَلْنَا مِنَ القَانِطِيْنَ، اللَّهُمَّ اسْقِنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا، اللَّهُمَّ أَغِثْ قُلُوبَنَا بِالإِيْمَانِ واليَقِيْنِ، وَبِلاَدَنَا بِالخَيْرَاتِ وَالأَمْطَارِ يَارَبَّ العَالَمِيْنَ، اللَّهُمَّ إِنَّا خَلْقٌ مِنْ خَلْقِكَ؛ فَلاَ تَمْنَعْ عَنَّا بِذُنُوبِنَا فَضْلَكَ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَغْفِرُكَ إِنَّكَ كُنْتَ غَفَّارًا، فَأَرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْنَا مِدْرَارًا، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا غَيْثًا مُغِيثًا، هَنِيْئًا مَرِيْئًا، سَحًّا غَدَقًا[(١)] طَبَقًا[(٢)]، واسِعًا مُجَلِّلاً، نَافِعًا غَيْرَ ضَارٍّ، عَاجِلاً غَيْرَ آجِلٍ، اللَّهُمَّ سُقْيَا رَحْمَةٍ، اللَّهُمَّ سُقْيَا رَحْمَةٍ، لاَ سُقْيَا عَذَابٍ وَلاَ بَلاَءٍ، وَلاَ هَدْمٍ وَلاَ غَرَقٍ.

اللَّهُمَّ اسْقِ عِبَادَكَ وَبَهَائِمَكَ، وَانْشُرْ رَحْمَتَكَ، وارْحَمْ بَلَدَكَ المَيِّتَ، اللَّهُمَّ أَغِثْنَا غيثًا مُبارَكًا، تُحْيِيْ بِهِ البِلاَدَ، وَتَرْحَمُ بِهِ العِبَادَ،

---

(١) مَاءً سَحًّا، أي: شديد الانصباب، وَغَدَقًا: كثيرًا عامًّا. «اللسان» (سحح) (غدق).

(٢) طبَقًا: مالِئًا للأرض، مُغطِّيًا لها، يُقَال: غَيْثٌ طَبَقٌ، أي: عَامٌّ واسِع. «النهاية» (طبق).



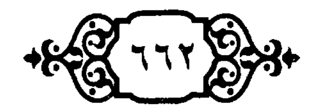
وَتَجعلَهُ بَلاَغًا لِلْحَاضِرِ والبَادِ، اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا الغَيْثَ، وَاجْعَلْ مَا أَنْزَلْتَهُ قُوَّةً لَنَا عَلَىٰ طَاعَتِكَ، وَبَلاَغًا إِلَىٰ حِيْنٍ، اللَّهُمَّ أَنْبِتْ لَنَا الزَّرْعَ، وَأَدِرَّ لَنَا الضَّرْعَ، وَاسْقِنَا مِنْ بَرَكَاتِكَ، وَأَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ، وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ بَرَكَاتِ الأَرْضِ، يَاذا الجَلاَل وَالإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ ارْفَعْ عَنَّا القَحْطَ وَالجَفَافَ، والجُوعَ والجَهْدَ، واكْشِفْ مَا بِالمُسْلِمِيْنَ مِنَ البَلاَيَا؛ فَإِنَّ بِهِمْ مِنَ اللَّأْوَاءِ مَا لاَ يَكْشِفُهُ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ وبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اكْشِفْ الضُّرَّ عَنِ المُتَضَرِّرِيْنَ، اللَّهُمَّ اكْشِفِ الضُّرَّ عَنِ المُتَضَرِّرِيْنَ، وَالكَرْبَ عَنِ المَكْرُوبِيْنَ، وَأَسْبِغِ النِّعَمَ عَلَىٰ عِبَادِكَ أَجْمَعِيْنَ.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلاَمَ وَالمُسْلِمِيْنَ، وَأَذِلَّ الشِّرْكَ وَالمُشْرِكِيْنَ، وَدَمِّرْ أَعْدَاءَ الدِّيْنِ، وَأَيِّدْ بِالحَقِّ إِمَامَنَا وَوَلِيَّ أَمْرِنَا، وَوَفِّقْهُ لِمَا تُحِبُّ وَتَرْضَى، اللَّهُمَّ هَيِّيءْ لَهُ البِطَانَةَ الصَّالِحَةَ؛ الَّتِيْ تَدُلُّهُ عَلَى الخَيْرِ، وَتُعِيْنُهُ عَلَيْهِ يَارَبَّ العَالَمِيْنَ.

اللَّهُمَّ هَـٰؤُلاَءِ عِبَادُكَ: رَفَعُوا أَكُفَّ الضَّرَاعَةِ إِلَيْكَ، يَسْأَلُونَكَ الغَيْثَ، اللَّهُمَّ فَأَعْطِهِمْ سُؤْلَهُمْ، اللَّهُمَّ فَأَعْطِهِمْ سُؤْلَهُمْ، وَحَقِّقْ أَمَلَهُمْ، وَاجْعَلْهُ عَوْنًا لَهُمْ عَلَىٰ طَاعَتِكَ، وَبَلاَغًا إِلَىٰ حِيْنٍ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ.

عِبَادَ اللهِ، لَقَدْ كَانَ مِنْ سُنَّةِ نَبِيِّكُمْ ﷺ ـ بَعْدَمَا يَسْتَغِيْثُ رَبَّهُ ـ أَنْ يَقْلِبَ رِدَاءَهُ؛ فَاقْلِبُوا أَرْدِيَتَكُمْ؛ اقْتِدَاءً بِسُنَّةِ نَبِيِّكُمْ ﷺ، وَتَفَاؤُلاً أَن يَقْلِبَ



اللهُ حالَكُمْ مِنَ الشِّدَّةِ إِلَى الرَّخاء، وَمِنَ القَحْطِ إِلَى الغَيْثِ، ولِيَكُونَ ذٰلِكَ شِعَارًا وَعَهْدًا تَأْخُذُونَهُ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ بِتَغْيِيْرِكُمْ لِبَاسَكُمُ البَاطِنَ إِلَىٰ لِبَاسِ الإِيْمَانِ وَالتَّقْوَىٰ، بَدَلاً مِنْ لِبَاسِ الذُّنُوبِ وَالمَعَاصِي.

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيْعُ العَلِيْمُ، وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيْمُ، وَاغْفِرْ لَنَا وَلِوَالِدِيْنَا وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ، الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالمَيِّتِيْنَ، بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ.

اللَّهُمَّ لاَ تَرُدَّنَا خَائِبِيْنَ، وَلاَ عَنْ بَابِكَ مَطْرُودِيْنَ، وَلاَ مِنْ رَحْمَتِكَ مَحْرُومِيْنَ، ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصافات].

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِيْنَ، وَالتَّابِعِيْنَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّيْنِ.







نِدَاءٌ عَامٌّ، مِنْ مِنْبَرِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ، إِلَىٰ أُمَّةِ ٱلْإِسْلَامِ
(خُطْبَةُ عِيدِ ٱلْأَضْحَىٰ ٱلْمُبَارَكِ)

الخطبة الأولى

اللهُ أَكْبَرُ «تِسْعًا»، اللهُ أَكْبَرُ كَبِيْرًا، والحَمْدُللهِ كَثِيْرًا، وَسُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ بُكْرَةً وَأَصِيْلاً؛ الله أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، لاَ إِلـٰهَ إِلاَّ اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، وَللهِ الحَمْدُ، لاَ إِلَـٰهَ إِلاَّ اللهُ الوَلِيُّ الحَمِيْدُ، لاَ إِلـٰهَ إِلاَّ اللهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَيَحْكُمُ مَا يُرِيْدُ؛ اللهُ أَكْبَرُ عَدَدَ مَا تَحَرَّكَتِ القُلُوبُ شَوْقًا إِلَى البَيْتِ الحَرَامِ، وَعَدَدَ مَا اهْتَزَّتْ مَشَاعِرُ الحَجِيجِ لِرُؤْيَةِ البَيْتِ العَتِيْقِ؛ اللهُ أَكْبَرُ عَدَدَ مَا حَدَاهُمُ الأَمَلُ إِلَىٰ مَغْفِرَةِ الذُّنُوبِ، وَسَتْرِ العُيُوبِ؛ اللهُ أَكْبَرُ عَدَدَ مَا تَحَرَّكَتْ قَوَافِلُ الحَجِيْجِ آمَّةً[1] هَـٰذِهِ البِقَاعَ المُبَارَكَةَ؛ اللهُ أَكْبَرُ مَا كَبَّرُوا وَأَحْرَمُوا وَلَبَّوْا؛ اللهُ أَكْبَرُ مَا طَافُوا بِهَـٰذَا البَيْتِ واسْتَلَمُوا الحَجَرَ، وَسَعَوْا بَيْنَ الصَّفَا وَالمَرْوَةِ، وَشَرِبُوا مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ؛ اللهُ أَكْبَرُ عَدَدَ مَا خَرَجُوا إِلَىٰ مِنًى، وَوَقَفُوا بِعَرَفَةَ، وَبَاتُوا بِمُزْدَلِفَةَ؛ اللهُ أَكْبَرُ عَدَدَ مَا رَمَوْا وَحَلَقُوا وَنَحَرُوا، وَكَبَّرُوا وَشَكَرُوا؛ اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، لاَ إِلـٰهَ إِلاَّ اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ اللهُ أكبرُ، وَللهِ الحَمْدُ.

---

(١) آمَّةً، أي: قاصدةً؛ من أَمَّهُ يَؤُمُّهُ أَمًّا: إذا قصده. «اللسان» (أمم).

اللهُ أَكْبَرُ عَدَدَ مَا ذَكَرَ اللهَ ذَاكِرٌ وَكَبَّرَ، اللهُ أَكْبَرُ عَدَدَ مَا حَمِدَ اللهَ حَامِدٌ وَشَكَرَ، اللهُ أَكْبَرُ عَدَدَ مَا تَابَ تَائِبٌ وَاسْتَغْفَرَ، اللهُ أَكْبَرُ مَا أَعَادَ عَلَيْنَا مِنْ عَوَائِدِ فَضْلِهِ وَجُودِهِ مَا يَعُودُ فِي كُلِّ عِيْدٍ وَيَظْهَرُ.

اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ كَالَّذِيْ نَقُولُ وَخَيْرًا مِمَّا نَقُولُ، وَلَكَ الحَمْدُ كَالَّذِيْ تَقُولُ، لَكَ الحَمْدُ حَتَّىٰ تَرْضَىٰ، وَلَكَ الحَمْدُ إِذَا رَضِيْتَ، وَلَكَ الحَمْدُ بَعْدَ الرِّضَا.

اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ بِكُلِّ نِعْمَةٍ أَنْعَمْتَ بِهَا عَلَيْنَا فِي قَدِيْمٍ أَوْ حَدِيْثٍ، أَوْ خَاصَّةٍ أَوْ عَامَّةٍ، أَوْ سِرٍّ أَوْ عَلَانِيَةٍ، لَكَ الحَمْدُ بِالإِسْلَامِ، وَلَكَ الحَمْدُ بِالقُرْآنِ، وَلَكَ الحَمْدُ بِالإِيْمَانِ، وَلَكَ الحَمْدُ بِالأَمْنِ وَالأَمَانِ وَالرَّاحَةِ وَالاِطْمِئْنَانِ، وَلَكَ الحَمْدُ بِالأَهْلِ وَالمَالِ وَالمُعَافَاةِ؛ بَسَطْتَ رِزْقَنَا، وَكَبَتَّ عَدُوَّنَا، وَأَظْهَرْتَ أَمْنَنَا، وَجَمَعْتَ فُرْقَتَنَا، وَمِنْ كُلِّ مَا سَأَلْنَاكَ رَبَّنَا أَعْطَيْتَنَا؛ فَلَكَ الحَمْدُ كَثِيْرًا كَمَا تُنْعِمُ كَثِيْرًا، وَلَكَ الشُّكْرُ كَثِيْرًا كَمَا تُجْزِلُ كَثِيْرًا، وَلَكَ الحَمْدُ عَلَىٰ مَا مَنَنْتَ بِهِ عَلَيْنَا مِنْ بُلُوغِ هَـٰذَا اليَوْمِ العَظِيْمِ، وَعَلَىٰ مَا يَسَّرْتَ لِحُجَّاجِ بَيْتِكَ الحَرَامِ مِنَ الوُصُولِ إِلَىٰ هَـٰذَا المَكَانِ المُبَارَكِ، وَالوُقُوفِ بِعَرَفَةَ، وَالمَبِيْتِ بِمُزْدَلِفَةَ، وَالإِفَاضَةِ إِلَىٰ مِنًى بِكُلِّ يُسْرٍ وَأَمَانٍ، وَرَاحَةٍ وَاطْمِئْنَانٍ.

اللَّهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَـٰهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، وَلِلهِ الحَمْدُ،



الحَمْدُ للهِ الَّذِيْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيْرًا، والحَمْدُ للهِ الَّذِيْ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا وَتَدْبِيْرًا، نَحْمَدُهُ بِجَمِيْعِ مَحَامِدِهِ حَمْدًا كَثِيْرًا.

وَأَشْهَدُ أَنْ لاَإِلـٰهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ لَهُ، شَهَادَةً أَدَّخِرُهَا لِيَوْمٍ كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيْرًا، سُبْحَانَ مَنْ لَمْ يَزَلْ عَلِيًّا كَبِيْرًا، سَمِيْعًا بَصِيْرًا، لَطِيْفًا خَبِيْرًا، عَفُوًّا غَفُورًا!

وأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا وَحَبِيْبَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، بَعَثَهُ بِالهُدَىٰ وَدِيْنِ الحَقِّ بَشِيْرًا وَنَذِيْرًا، وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيْرًا، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ وَخَلِيْلِكَ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِاللهِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ الهَاشِمِيِّ القُرَشِيِّ، مَا ذَكَرَهُ الذَّاكِرُونَ الأَبْرَارُ، وَصَلِّ عَلَىٰ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ مَا تَعَاقَبَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَصَلِّ عَلَيْهِ مَالاَحَتِ الأَنْوَارُ، وَغَرَّدَتِ الأَطْيَارُ، وَأَوْرَقَتِ الأَشْجَارُ، وَأَيْنَعَتِ الثِّمَارُ[1]، وَلَبَّى الحُجَّاجُ وَالعُمَّارُ، وَاخْتَلَفَتِ الأَمْصَارُ، وَتَتَابَعَتِ الأَعْصَارُ، وَسَلِّمْ تَسْلِيْمًا كَثِيْرًا.

اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، لاَ إِلـٰهَ إِلاَّ اللهُ، واللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، وَللهِ الحَمْدُ.

أمّا بعد:

فَيَا أَيُّهَا الإِخْوَةُ المُسْلِمُونَ فِي بَلَدِ اللهِ الحَرَامِ، حُجَّاجَ بَيْتِ اللهِ الحَرَامِ، إِخْوَةَ الإِيْمَانِ فِي مَشَارِقِ الأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا: أُوْصِيْكُمْ بِتَقْوَى اللهِ

---

(١) أَيْنَعَتِ الثِّمَارُ تُونِعُ: أَدْرَكَتْ وَنَضِجَتْ. «اللسان» (ينع).



جَلَّ وَعَلاَ؛ فَهِيَ وَصِيَّتُهُ سُبْحَانَهُ لِلأَوَّلِيْنَ والآخِرِيْنَ؛ ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١]، مَنْ رَامَ عِزًّا وَفَلاَحًا، وَنَشَدَ خَيْرًا وَصَلاَحًا، وَطَلَبَ تَوْفِيْقًا وَنَجَاحًا ـ فَعَلَيْهِ بِتَقْوَى اللهِ؛ إِنَّ تَقْوَى اللهِ خَيْرُ ذُخْرٍ يُدَّخَرُ، وَأَفْضَلُ لِبَاسٍ يُزَيِّنُ بِهِ مَا بَطَنَ وَمَا ظَهَرَ؛ هِيَ الطَّرِيْقُ لِكُلِّ خَيْرٍ، وَالسِّيَاجُ المَنِيْعُ مِنْ كُلِّ شَرٍّ، والحِصْنُ الحَصِيْنُ والدِّرْعُ الوَاقِيْ مِنْ كُلِّ بَلاَءٍ وَضُرٍّ، فِي تَقْوَى اللهِ الخُرُوجُ مِنَ المَضَايِقِ، وَالسَّلاَمَةُ مِنَ العَوَائِقِ، والنَّجَاةُ مِنَ المَآزِقِ؛ قَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق]، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ۝٤﴾ [الطلاق]، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ۝٥﴾ [الطلاق].

عِبَادَاللهِ، حُجَّاجَ بَيْتِاللهِ، أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَـٰذَا؟! أَتَعْلَمُونَ أَيُّ شَهْرٍ هَـٰذَا؟! أَتُدْرِكُونَ أَيُّ بَلَدٍ هَـٰذَا؟! أَمَّا اليَوْمُ فَهُوَ: يَوْمُ عِيْدِ الأَضْحَى المُبَارَكُ الَّذِيْ عَظَّمَ اللهُ أَمْرَهُ، وَرَفَعَ قَدْرَهُ، وَسَمَّاهُ: «يَوْمَ الحَجِّ الأَكْبَرِ»، لأَنَّ الحُجَّاجَ يُؤَدُّونَ فِيْهِ مُعْظَمَ مَنَاسِكِهِمْ؛ يَرْمُونَ جَمْرَةَ العَقَبَةِ، وَيَذْبَحُونَ هَدَايَاهُمْ، وَيَحْلِقُونَ رُءُوسَهُمْ، وَيَطُوفُونَ بِالبَيْتِ، وَيَسْعَوْنَ بَيْنَ الصَّفَا وَالمَرْوَةِ، فِي هَـٰذَا اليَوْمِ المُبَارَكِ: يَنْتَظِمُ عِقْدُ الحَجِيْجِ عَلَىٰ صَعِيْدِ مِنًى، بَعْدَ مَا وَقَفُوا المَوْقِفَ العَظِيْمَ يَوْمَ عَرَفَةَ، وَرَفَعُوا أَكُفَّ الضَّرَاعَةِ، وَذَرَفُوا دُمُوعَ التَّوْبَةِ وَالإِنَابَةِ، وَتَضَرَّعُوا إِلَىٰ مَنْ بِيَدِهِ التَّوْفِيْقُ وَالإِجَابَةُ، ثُمَّ



أَفَاضُوا إِلَى المُزْدَلِفَةِ وَبَاتُوا بِهَا؛ اتِّبَاعًا لِسُنَّةِ المُصْطَفَىٰ ﷺ القَائِلِ فِيْمَا صَحَّ عَنْهُ: «**خُذُوا عَنِّيْ مَنَاسِكَكُمْ**»(١).

هَـٰذَا اليَوْمُ ـ يَوْمُ عِيْدِ الأَضْحَى المُبَارَكُ ـ جَعَلَهُ اللهُ لِلْمُسْلِمِيْنَ عِيْدًا يَعُودُ بِخَيْرِهِ وَفَضْلِهِ، وَبَرَكَتِهِ عَلَى المُسْلِمِيْنَ جَمِيْعًا، حُجَّاجًا وَمُقِيْمِيْنَ.

فِيْ هَـٰذَا اليَوْمِ: يَتَقَرَّبُ المُسْلِمُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمْ، بِذَبْحِ هَـٰدَايَاهُمْ وَضَحَايَاهُمْ؛ اتِّبَاعًا لِسُنَّةِ الخَلِيْلَيْنِ إِبْرَاهِيْمَ، وَمُحَمَّدٍ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِمَا وَسَلَّمَ ـ فَقَدْ نَحَرَ ﷺ بِيَدِهِ الشَّرِيْفَةِ فِي حَجَّةِ الوَدَاعِ ثَلَاثًا وَسِتِّيْنَ بَدَنَةً(٢)، وَضَحَّىٰ ﷺ بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ أَقْرَنَيْنِ؛ اسْتِنَانًا بِسُنَّةِ أَبِيْنَا إِبْرَاهِيْمَ الخَلِيْلِ ـ عَلَيْهِ السَّلَامُ ـ الَّذِيْ أُمِرَ بِذَبْحِ ابْنِهِ، وَفِلْذَةِ كَبِدِهِ، وَثَمَرَةِ فُؤَادِهِ، فَامْتَثَلَ لِأَمْرِ رَبِّهِ جَلَّ وَعَلَا، وَسَلَّمَ وَانْقَادَ، لَـٰكِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ ـ بِلُطْفِهِ وَرَحْمَتِهِ ـ فَدَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيْمٍ، وَقَدْ رَوَى البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ: «**ضَحَّىٰ بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ أَقْرَنَيْنِ، ذَبَحَهُمَا بِيَدِهِ، وَسَمَّىٰ وَكَبَّرَ**»(٣).

اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَـٰهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، وَللهِ الحَمْدُ.

أُمَّةَ الإِسْلَامِ، لَقَدْ وَرَدَ الفَضْلُ العَظِيْمُ، وَالثَّوَابُ الجَزِيْلُ، لِمَنْ

---

(١) تقدَّم تخريجه (ص ٢٧١).

(٢) تقدم تخريج جزء منه (ص٣٩).

(٣) «صحيح البخاري» (٥٥٥٨)، و«صحيح مسلم» (١٩٦٦)؛ من حديث أنس، رضي الله عنه.

أَحْيَا شَعِيْرَةَ الأَضَاحِيْ؛ ففِي الحَدِيْثِ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «**مَا عَمِلَ ابْنُ آدَمَ يَوْمَ النَّحْرِ عَمَلاً أَحَبَّ إِلَى اللهِ مِنْ هِرَاقَةِ دَمٍ، وَإِنَّهُ لَيَأْتِيْ يَوْمَ القِيَامَةِ بِقُرُونِهَا، وَأَظْلاَفِهَا، وَأَشْعَارِهَا، وَإِنَّ الدَّمَ لَيَقَعُ مِنَ اللهِ بِمَكَانٍ، قَبْلَ أَنْ يَقَعَ عَلَى الأَرْضِ، فَطِيْبُوا بِهَا نَفْسًا**»(١).

وَمِمَّا يَنْبَغِيْ أَنْ يُعْلَمَ: أَنَّ لِلأُضْحِيَةِ ثَلاَثَةَ شُرُوْطٍ:

أَوَّلُهَا: بُلُوغُ السِّنِّ المُعْتَبَرِ شَرْعًا، وَهُوَ خَمْسُ سِنِيْنَ فِي الإِبِلِ، وَسَنَتَانِ فِي البَقَرِ، وَسَنَةٌ فِي المَعْزِ، وَنِصْفُ سَنَةٍ فِي الضَّأْنِ.

ثَانِيْهَا: أَنْ تَكُونَ سَلِيْمَةً مِنَ العُيُوبِ الَّتِيْ تَمْنَعُ الإِجْزَاءَ، وَقَدْ بَيَّنَهَا ﷺ بِقَوْلِهِ: «**أَرْبَعٌ لاَ تُجْزِيءُ فِي الأَضَاحِي: العَوْرَاءُ البَيِّنُ عَوَرُهَا، وَالمَرِيْضَةُ البَيِّنُ مَرَضُهَا، وَالعَرْجَاءُ الْبَيِّنُ ظَلَعُهَا، وَالكَسِيرَةُ الَّتِي لاَ تُنْقِي**(٢)»(٣).

ثَالِثُهَا: أَنْ تَكُونَ الأُضْحِيَةُ فِي الوَقْتِ المُحَدَّدِ شَرْعًا، وَهِيَ الفَرَاغُ مِنْ صَلاَةِ العِيْدِ إِلَىٰ غُرُوبِ الشَّمْسِ، مِنَ اليَوْمِ الثَّالِثِ مِنْ أَيَّامِ التَّشْرِيْقِ،

---

(١) رواه الترمذي (١٤٩٣)، وابن ماجه (٣١٢٦)؛ من حديث عائشة، رضي الله عنها.

(٢) «ظَلَعُهَا» أي: عَرَجُها، و«الكسيرة»، أي: المنكسرةُ الرِّجْلِ التي لا تَقْدِرُ على المشي، و«التي لا تُنْقِي» أي: التي لا مَخَّ لها؛ لضعفها وهُزَالِهَا، من النِّقْيِ، وهو المخ. «النهاية» (ظلع) (كسر) (نقي).

(٣) رواه أحمد (٢٨٢، ٣٠١)، وأبوداود (٢٨٠٢)، والترمذي (١٤٩٧)، والنسائي (٧/ ٢١٥)، وابن ماجه (٣١٤٤)؛ من حديث البراء، رضي الله عنه.



وَالأَفْضَلُ: فِي يَوْمِ العِيْدِ وَفِي النَّهَارِ، وَلاَ بَأْسَ بِالذَّبْحِ لَيْلاً.

وَتُجْزِيءُ الشَّاةُ الوَاحِدَةُ عَنِ الرَّجُلِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ؛ لِحَدِيْثِ أَبِي أَيُّوبَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ: «**كَانَ الرَّجُلُ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ يُضَحِّي بِالشَّاةِ عَنْهُ وَعَنْ أَهْلِ بيْتِهِ، فَيأْكُلُونَ وَيُطْعِمُونَ**»(١).

اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، لاَإِلـهَ إِلاَّ اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، وَللهِ الحَمْدُ.

وَيَنْبَغِيْ الإِحْسَانُ فِي الذَّبْحِ بِحَدِّ الشَّفْرَةِ، وَإِرَاحَةِ الذَّبِيحَةِ، وَالرِّفْقِ بِهَا، وَإِضْجَاعِهَا عَلَىٰ جَنْبِهَا الأَيْسَرِ، وَالسُّنَّةُ: أَنْ يَأْكُلَ المُسْلِمُ مِنْ أُضْحِيَتِهِ، وَيُهْدِيَ وَيَتَصَدَّقَ مِنْهَا، وَأَنْ يَتَوَلَّىٰ ذَبْحَهَا بِنَفْسِهِ، أَوْ يَحْضُرَهَا عِنْدَ الذَّبْحِ، وَلاَ يُعْطِيَ جَازِرَهَا أُجْرَتَهُ مِنْهَا؛ يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ [الكوثر]، وَيَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦٢﴾ [الأنعام]، وَيَقُولُ جَلَّ وَعَلاَ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ۝٣٤ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣٥ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٣٦ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ

(١) رواه الترمذي (١٥٠٥)، وابن ماجه (٣١٤٧).



لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الحج].

اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، لاَ إِلَـهَ إِلاَّ اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، وَللهِ الحَمْدُ.

حُجَّاجَ بَيْتِ اللهِ الحَرَامِ، وُفُودَ المَلِكِ العَلاَّمِ، اعْلَمُوا: أَنَّ أَعْظَمَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ: تَوْحِيْدُهُ وَعِبَادَتُهُ؛ فَقَضِيَّةُ التَّوْحِيْدِ أَهَمُّ القَضَايَا عَلى الإِطْلاَقِ، وَأَصْلُ القَضَايَا بِاتِّفَاقٍ؛ يَقُولُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات]، وَيَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَۖ ﴾ [النحل: ٣٦]، وَيَقُولُ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ ﴾ [النساء: ٣٦].

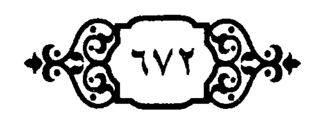
وَإِذَا كَانَ التَّوْحِيْدُ ـ يَا عِبَادَ اللهِ ـ أَعْظَمَ مَأْمُورٍ بِهِ؛ فَإِنَّ مَا يُنَاقِضُهُ مِنَ الإِشْرَاكِ بِاللهِ أَعْظَمُ مَنْهِيٍّ عَنْهُ؛ فَقَدْ نَهَى اللهُ عَنْهُ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ، وَجَعَلَهُ الذَّنْبَ الَّذِيْ لاَ يُغْفَرُ، وَالكَسْرَ الَّذِيْ لاَ يُجْبَرُ، وَحَكَمَ عَلَىٰ صَاحِبِهِ بِخُسْرَانِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ؛ يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦]، وَيَقُولُ جَلَّ وَعَلاَ: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾ [المائدة]؛ فَلاَ عِبَادَةَ إِلاَّ للهِ وَحْدَهُ، وَلاَ نَذْرَ، وَلاَ نَحْرَ، وَلاَ دُعَاءَ، وَلاَ اسْتِعَاذَةَ، وَلاَ اسْتِغَاثَةَ، وَلاَ حَلِفَ إِلاَّ بِاللهِ جَلَّ وَعَلاَ؛ فَاللهُ وَحْدَهُ مَالِكُ الضُّرِّ وَالنَّفْعِ، وَالحَيَاةِ وَالمَمَاتِ، وَلاَ يَمْلِكُ ذَٰلِكَ أَحَدٌ غَيْرُ

اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، لاَ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلاَ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَلاَ وَلِيٌّ صَالِحٌ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [الأحقاف].

هَٰذِهِ هِيَ العَقِيْدَةُ الصَّحِيْحَةُ الَّتِيْ ضلَّ عَنْهَا أَكْثَرُ النَّاسِ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ باللهِ! وَصَدَقَ اللهُ: ﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [يوسف]، فَالشِّرْكُ فِي عِبَادَةِ اللهِ خَطَرُهُ كَبِيْرٌ، وَشَرُّهُ مُسْتَطِيْرٌ، التَّوَجُّهُ لِغَيْرِ اللهِ كَائِنًا مَنْ كَانَ، لِدَفْعِ ضُرٍّ، أَوْ جَلْبِ نَفْعٍ، أَوْ شِفَاءِ مَرِيْضٍ، أَوْ قَضَاءِ حَاجةٍ، أَوْ دَفْعِ كُرْبَةٍ - كُلُّ ذٰلِكَ شِرْكٌ مُحْبِطٌ لِلأَعْمَالِ؛ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [الأنعام]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الزمر].

وَلٰكِنْ - يَاعِبَادَ اللهِ - مَاذَا رَانَ عَلَى العُقُولِ؟! وَمَاذَا أَصَابَ التَّفْكِيْرَ؟! مَاذَا يُغْنِيْ التَّعَلُّقُ بالجُدْرَانِ وَالسُّتُورِ؟! وَمَاذَا يُجْدِيْ التَّمَسُّحُ بالأَمَاكِنِ وَالصُّخُورِ؟! وَمَاذَا تُفِيْدُ خَرَزٌ مَصْفُوفَةٌ، وَخُيُوطٌ مُعَلَّقَةٌ، وَخِرَقٌ مَرْبُوطَةٌ؟! فَلاَ إِلَـٰهَ إِلاَّ اللهُ؛ ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [يوسف].

وَفِي وَصِيَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لابْنِ عَمِّهِ عَبْدِاللهِ بْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللهُ



عَنْهُمَا ـ مَا يُبَيِّنُ العَقِيْدَةَ الصَّحِيْحَةَ؛ يَقُولُ ﷺ: «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوْكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَنْفَعُوْكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ؛ رُفِعَتِ الأَقْلاَمُ، وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»[1].

يَامَنْ أَلُوذُ بِهِ فِيْمَا أُؤَمِّلُهُ ... وَأَسْتَجِيْرُ بِهِ مِمَّا أُحَاذِرُهُ
لاَ يَجْبُرُ النَّاسُ عَظْمًا أَنْتَ كَاسِرُهُ ... وَلاَ يَهِيْضُونَ شَيْئًا أَنْتَ جَابِرُهُ[2]

وَإِنَّ مَا يَفْعَلُهُ بَعْضُ النَّاسِ، مِنَ التَّعَلُّقِ بِغَيْرِ اللهِ، لاَسِيَّمَا بِالأَضْرِحَةِ وَالقُبُورِ، وَمَا يُصْرَفُ لَهَا مِنَ القُرُبَاتِ وَالنُّذُورِ ـ لَمِمَّا يَخْدِشُ أَسَاسَ العَقِيْدَةِ، وَيُوْقِعُ فِي الشِّرْكِ ـ وَالعِيَاذُ بِاللهِ ـ مِمَّا يَنْبَغِيْ أَنْ يَحْذَرَهُ المُسْلِمُ؛ وَلاَ يَغْتَرَّ بِكَثْرَةِ مَنْ يَفْعَلُهُ؛ فَالحَقُّ مَا جَاءَ فِي كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ.

وَمِمَّا يَنْبَغِيْ أَنْ يُعْلَمَ: أَنَّ الشِّرْكَ لَيْسَ مَقْصُورًا عَلَىٰ عِبَادَةِ الأَصْنَامِ وَالأَوْثَانِ فَحَسْبُ، بَلْ لِكُلِّ زَمَنٍ لَبُوسُهُ، وَلِكُلِّ عَصْرٍ مُسْتَجَدَّاتُهُ.

وَمِنْ الشِّرْكِ: الشِّرْكُ فِي المَحَبَّةِ، وَالطَّاعَةِ، وَالدُّعَاءِ، وَالإِرَادَةِ وَالقَصْدِ؛ فَاتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ، قُومُوا بِحَقِّ اللهِ عَلَيْكُمْ؛ مِنْ عِبَادَتِهِ وَطَاعَتِهِ، وَتَقْوَاهُ وَخَشْيَتِهِ، قُومُوا بِحَقِّ رَسُولِهِ ﷺ: مِنْ مَحَبَّتِهِ مَحَبَّةً حَقِيْقِيَّةً،

---

(١) تقدَّم تخريجه (ص ١١٢).

(٢) البيتان لأبي الطيب المتنبِّي. وقد سبق تخريجهما. انظر: (ص ١١٩).



وَتَصْدِيْقِهِ فِيْمَا أَخْبَرَ، وَطَاعَتِهِ فِيْمَا أَمَرَ، واجْتِنَابِ مَا نَهَىٰ عَنْهُ وَزَجَرَ، وَأَنْ لاَ يُعْبَدَ اللهُ إِلاَّ بِمُقْتَضَىٰ شَرْعِهِ ـ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ والسَّلاَمُ ـ فَمَا بَالُ أَقْوَامٍ يَدَّعُونَ المَحَبَّةَ وَهُمْ يُخَالِفُونَ سُنَّةَ المَحْبُوبِ ﷺ؟! ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١].

يَا مُدَّعِيْ حُبِّ طَهَ لاَ تُخَالِفُهُ ... أَلْخُلْفُ يَحْرُمُ فِي دُنْيَا المُحِبِّيْنَا

* * *

أَتُحِبُّ أَعْدَاءَ الحَبِيْبِ وَتَدَّعِيْ ... حُبًّا لَهُ مَا ذَاكَ فِي إِمْكَانِ

وَكَذَا تُعَادِيْ ـ جَاهِدًا ـ أَحْبَابَهُ ... أَيْنَ المَحَبَّةُ يَاأَخَا الشَّيْطَانِ؟!

شَرْطُ المَحَبَّةِ أَنْ تُوافِقَ مَنْ تُحِبُّ ... عَلَىٰ مَحَبَّتِهِ بِلاَ عِصْيَانِ

فَإِذَا ادَّعَيْتَ لَهُ المَحَبَّةَ مَعْ خِلاَ ... فِكَ مَا يُحِبُّ فَأَنْتَ ذُو بُهْتَانِ(١)

وَمِمَّا يُؤْسَىٰ لَهُ: أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ ـ هَدَاهُمُ اللهُ ـ أَحْدَثُوا فِي دِيْنِ اللهِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللهُ، وَاتَّخَذُوا لأَنْفُسِهِمْ طُقُوسًا مُبْتَدَعَةً، وَالَوْا عَلَيْهَا وَعَادَوْا، وَيَعْظُمُ الأَمْرُ حِيْنَ يَتَّخِذُونَ ذٰلِكَ دِيْنًا يَدَّعُونَ أَنَّهُ يُقَرِّبُهُمْ إِلَى اللهِ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّهَا تُدْنِيْهِمْ مِنْ مَحَبَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، وَيَرْمُونَ كُلَّ مَنْ خَالَفَهُمْ بِبُغْضِ اللهِ وَبُغْضِ رَسُولِهِ ﷺ، وَكَرَاهِيَةِ أَوْلِيَائِهِ وَالصَّالِحِيْنَ مِنْ عِبَادِهِ، وَهَـٰذَا مِنِ اتِّخَاذِ دِيْنِ اللهِ هُزُوًا وَلَعِبًا؛ فَالعِبَادَاتُ تَوْقِيْفِيَّةٌ، يَجِبُ أَنْ يَسِيْرَ المُسْلِمُ فِيْهَا عَلَىٰ وَفْقِ كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، لاَ بِالأَهْوَاءِ وَالآرَاءِ.

---

(١) الأبيات لابن القيم ـ رحمه الله ـ. انظر: «القصيدة النونية» (ص٢٢١).



وَقُلْ لِلْعُيُونِ الرُّمْدِ لِلشَّمْسِ أَعْيُنٌ   سِوَاكِ تَرَاهَا فِي مَغِيْبٍ وَمَطْلَعِ
وَسَامِحْ عُيُونًا أَطْفَأَ اللهُ نُورَهَا   بِأَهْوَائِهَا لاَ تَسْتَفِيْقُ وَلاَ تَعِيْ

فَاتَّقُوا اللهَ ـ عِبَادَ اللهِ ـ أَخْلِصُوا تَوْحِيْدَكُمْ لِرَبِّكُمْ، أَفْرِدُوهُ بِالعِبَادَةِ، أَثْبِتُوا لَهُ الأَسْمَاءَ الحُسْنَىٰ، وَالصِّفَاتِ العُلاَ، الَّتِيْ أَثْبَتَهَا لِنَفْسِهِ، وَأَثْبَتَهَا لَهُ رَسُولُهُ ﷺ؛ مِنْ غَيْرِ تَكْيِيْفٍ وَلاَ تَمْثِيْلٍ، وَلاَ تَشْبِيْهٍ وَلاَ تَأْوِيْلٍ، وَلاَ تَحْرِيْفٍ وَلاَتَعْطِيْلٍ؛ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورىٰ].

الْزَمُوا سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ ﷺ، إِيَّاكُمْ وَالبِدَعَ وَالخُرَافَاتِ، وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، وَمُسْتَحْسَنَاتِ العُقُولِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ؛ فَفِي «الصَّحِيْحَيْنِ»، مِنْ حَدِيْثِ عَائِشَةَ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ـ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَـٰذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ، فَهُوَ رَدٌّ»[1]، وَفِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا، فَهُوَ رَدٌّ»[2]؛ فَكُلُّ عَمَلٍ لَمْ يَشْرَعْهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، فَهُوَ مَرْدُودٌ عَلَىٰ صَاحِبِهِ، وَالطُّرُقُ كُلُّهَا مَسْدُودَةٌ عَلَى الخَلْقِ، إِلاَّ عَلَىٰ مَنِ اقْتَفَىٰ أَثَرَ الرَّسُولِ ﷺ، وَلَزِمَ صِرَاطَ اللهِ المُسْتَقِيْمَ، وَاجْتَنَبَ السُّبُلَ وَالفِرَقَ، وَالطُّرُقَ المُخَالِفَةَ لَهُ؛ قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝١٥٣﴾ [الأنعام].

---

(١) تقدم تخريجه (ص ١٦١).
(٢) تقدم تخريجه (ص ١٦١).



اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، لاَ إِلـهَ إِلاَّ اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، وَللهِ الحَمْدُ.

أُمَّةَ الإِسْلَامِ، إِخْوَةَ الإِسْلَامِ فِي مَشَارِقِ الأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا، إِنَّ أَعْظَمَ نِعْمَةٍ أَنْعَمَ اللهُ بِهَا عَلَيْنَا: نِعْمَةُ الإِسْلَامِ؛ فَقَدْ كَانَ النَّاسُ قَبْلَهُ فِي جَاهِلِيَّةٍ جَهْلَاءَ، وَ ضَلاَلَةٍ عَمْيَاءَ، لاَ يَعْرِفُونَ حَقًّا وَلاَ هُدًى؛ المَقَايِيْسُ عِنْدَهُمْ مُخْتَلِفَةٌ، وَالمَوَازِيْنُ مُضْطَرِبَةٌ، وَالمَفَاهِيْمُ مُنْعَكِسَةٌ، والفِطَرُ مُنْتَكِسَةٌ، وَالأَوْضَاعُ مُتَقَلِّبَةٌ، وَالمُجْتَمَعَاتُ مُتفَرِّقَةٌ، وَالأَهْوَاءُ مُؤَلَّهَةٌ[1]؛ ظُلْمٌ وَبَغْيٌ، وَضَلاَلٌ وَجَاهِلِيَّةٌ، وَبَاطِلٌ وَشِرْكٌ وَوَثَنِيَّةٌ، إِلىٰ أَنْ أَذِنَ اللهُ ـ وَهُوَ اللَّطِيْفُ الرَّحِيْمُ بِعِبَادِهِ ـ بِبِعْثَةِ النَّبِيِّ المُصْطَفَىٰ ﷺ، وَانْبِثَاقِ فَجْرِ الحَقِّ، وَإِشْعَاعِ نُورِ الهُدَىٰ، عَلَىٰ يَدِ حَبِيبِنَا وَسَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ؛ فَعَزَّ النَّاسُ بَعْدَ الذِّلَّةِ، وَهُدُوا بعْدَ الضَّلاَلَةِ، وَاجْتَمَعُوا بعْدَ الفُرْقَةِ وَالغَوَايَةِ، كُلُّ ذٰلِكَ بِفَضْلِ التَّمَسُّكِ بِالإِسْلَامِ؛ مَصْدَرِ العِزَّةِ وَالكَرَامَةِ، وَالقُوَّةِ والنُّصْرَةِ، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٤٧﴾ [الروم][2].

أُمَّةَ الإِسْلَامِ، وَتَمُرُّ القُرُونُ وَتَمْضِي السُّنُونَ، وَيَتَخَلَّىٰ كَثِيْرٌ مِنَ المُسْلِمِيْنَ عَنْ دِيْنِهِمْ، وَيَنْتَشِرُ بَيْنَهُمُ المُنْكَرُ وَالضَّلاَلُ وَالفَسَادُ، وَالانْحِرَافُ وَالبَاطِلُ وَالإِلْحَادُ، وَتَتَفَرَّقُ الكَلِمَةُ وَتَتَشَعَّبُ السُّبُلُ، وَتَعُمُّ الذِّلَّةُ وَالمَهَانَةُ؛

---

(١) مؤلَّهة، أي: اتُّخِذَتْ آلهةً؛ كما قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الجاثية: ٢٣]. انظر: «اللسان» (أله).

(٢) وانظر: «مختصر الصواعق المرسلة» (١/ ٥).

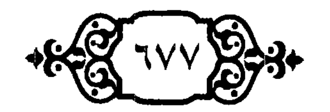


فَتُسْبَى النِّسَاءُ، وَتُحْتَلُّ الدِّيَارُ، وَيُشَرَّدُ الأَبْرِيَاءُ، وَتُنْتَهَكُ المُقَدَّسَاتُ، وَيُعَاثُ بِالمُقَدَّرَاتِ، وَتَعُمُّ المِحَنُ، وَتَتَعَاقَبُ المَصَائِبُ وَالفِتَنُ.

وَيَبْقَىٰ السُّؤَالُ الَّذِيْ يَطْرَحُ نَفْسَهُ، السُّؤَالُ الَّذِي يُرَاوِدُ كُلَّ مُسْلِمٍ غَيُورٍ عَلَىٰ دِيْنِهِ: مَا السَّبَبُ فِي كُلِّ مَا أَصَابَ المُسْلِمِيْنَ؟ مَا طَرِيْقُ الخَلَاصِ مِنَ الفِتَنِ الَّتِيْ يَعِيْشُهَا المُسْلِمُونَ؟ مَا سُلَّمُ النَّجَاةِ مِنَ المِحَنِ الَّتِيْ تَعِيْشُهَا الأُمَّةُ الإِسْلَامِيَّةُ؟ كَيْفَ الخُرُوجُ مِنْ ذٰلِكَ كُلِّهِ؟ وَكَيْفَ السَّبِيْلُ إِلَى اسْتِعَادَةِ أَمْجَادِ المُسْلِمِيْنَ؟:

وَالجَوَابُ الَّذِيْ نَرْجُو أَنْ يَتَحَقَّقَ وَاقِعًا عَمَلِيًّا مَحْسُوسًا، مُشَاهَدًا مَلْمُوسًا، فِي كُلِّ نَوَاحِيْ الحَيَاةِ، فِي كُلِّ صَغِيْرٍ وَكَبِيْرٍ، هُوَ: اتِّبَاعُ كِتَابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، هُوَ تَحْكِيْمُ الإِسْلَامِ وَلاَ شَيْءَ غَيْرُ الإِسْلامِ، لاَسِيَّمَا بَعْدَ أَنْ أَفْلَسَتِ النُّظُمُ الأَرْضِيَّةُ، وَالشِّعَارَاتُ الجَاهِلِيَّةُ فِي تَحْقِيْقِ الصَّلَاحِ لِلْبَشَرِيَّةِ، وَوَاللهِ وَبِاللهِ وَتَاللهِ الَّذِي لاَ إِلٰـهَ غَيْرُهُ! لَنْ تَتَحَقَّقَ آمَالُ الأُمَّةِ، وَلَنْ تَخْرُجَ مِنْ آلاَمِهَا، إِلاَّ بِاتِّبَاعِ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًاۢ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه].

وَقَفَ المُصْطَفَىٰ ﷺ هَـٰذِهِ المَوَاقِفَ وَأَعْلَنَ لِلْبَشَرِيَّةِ: أَنَّهَا لَنْ تَضِلَّ مَا دَامَتْ مُتَمَسِّكَةً بِكِتَابِ اللهِ: «**قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ ـ إِنِ**



اعْتَصَمْتُمْ بِهِ ـ كِتَابَ اللهِ»[1] ؛ وَمِنْ هُنَا يَأْتِي دَوْرُ القَادَةِ وَالوُلاَةِ، وَالعُلَمَاءِ والدُّعَاةِ، والمُفَكِّرِيْنَ وَرِجَالِ التَّرْبِيَةِ وَالتَّعْلِيْمِ وَالإِعْلاَمِ، وَحَمَلَةِ الأَقْلاَمِ؛ لِيُؤَدُّوا رِسَالَتَهُمُ العَظِيْمَةَ فِي نَشْرِ الإِسْلاَمِ الحَقِّ، وَتَرْبِيَةِ الأَجْيَالِ عَلَيْهِ، وَيَقِفُوا سَدًّا مَنِيْعًا فِي وَجْهِ كُلِّ مَنْ أَرَادَ النَّيْلَ مِنْهُ وَالإِسَاءَةَ إِلَيْهِ.

فَيَا قَادَةَ المُسْلِمِيْنَ، وَيَا أَيُّهَا الوُلاَةُ وَالحُكَّامُ، إِنَّ مَسْئُولِيَّتَكُمْ عَظِيْمَةٌ؛ فَـ«**إِنَّ اللهَ يَزَعُ بِالسُّلْطَانِ مَا لاَ يَزَعُ بِالقُرْآنِ**»[2]، سُوسُوا شُعُوْبَكُمْ بِكِتَابِ اللهِ، وَاحْكُمُوهُمْ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، أَقِيْمُوا الدِّيْنَ وَلاَ تَتَفَرَّقُوا فِيْهِ، أَدُّوا الأَمَانَةَ الَّتِيْ تَحَمَّلْتُمُوهَا، وَاحْكُمُوا النَّاسَ بِالعَدْلِ وَالإِنْصَافِ، وَأَدَاءِ الحُقُوقِ، كُونُوا سَنَدًا وَعَضُدًا لأَهْلِ الخَيْرِ، وَالدَّعْوَةِ والحِسْبَةِ والإِصْلاَحِ، حَكِّمُوا الشَّرِيْعَةَ فِي أَرْضِ اللهِ عَلَىٰ عِبَادِ اللهِ، اتَّخِذُوا مِنَ العُلَمَاءِ الرَّبَّانِيِّيْنَ بِطَانَةً[3]، وَمِنْ أَهْلِ الصَّلاَحِ وَالنُّصْحِ مُسْتَشَارِيْنَ؛ تَصْلُحْ أَحْوَالُكُمْ وَأَحْوَالُ شُعُوبِكُمْ، وَتَبْقَ مَكَانَتُكُمْ، وَيَعُمَّ الأَمْنُ وَالأَمَانُ بِلاَدَكُمْ.

عُلَمَاءَ الإِسْلاَمِ، إِنَّ مَسْئُولِيَّتَكُمْ فِي تَبْلِيْغِ هَـٰذَا الدِّيْنِ كَبِيْرَةٌ، وَأَمَانَتَكُمْ جَسِيْمَةٌ؛ انْزِلُوا إِلَىٰ مَيْدَانِ التَّوْجِيْهِ وَالإِرْشَادِ، احْمِلُوا سِلاَحَ الدَّعْوَةِ وَالبَلاَغِ، وَاحْذَرُوا التَّقْصِيْرَ فِي أَدَاءِ مَا حُمِّلْتُمْ، وَكِتْمَانِ مَا أُوتِيْتُمْ؛ فَإِنَّ

---

(١) تقدم تخريجه (ص ٣٩).

(٢) أثرٌ عن عثمان ـ رضي الله عنه ـ تقدم تخريجه (ص ٦٦٠).

(٣) بِطَانَةُ الرَّجُلِ: صاحبُ سِرِّهِ، الَّذي يُشَاوِرُهُ في أحواله. «اللسان» (بطن).

خَطَرَ ذٰلِكَ كَبِيْرٌ، وَاعْلَمُوا أَنَّ ضَعْفَ كَثِيْرٍ مِنَ العَامَّةِ فِي أُمُورِ عَقِيْدَتِهِمْ وَدِيْنِهِمْ، وانْتِشَارَ الجَهْلِ فِي كَثِيْرٍ مِنَ النَّاسِ مِنْ أَهَمِّ أَسْبَابِهِ تَوَارِيْكُمْ عَنِ السَّاحَةِ، وَإِحْجَامُكُمْ عَنِ النُّزُولِ إِلَى المَيْدَانِ.

دُعَاةَ الإِسْلَامِ، دَوْرُكُمْ كَبِيْرٌ جِدُّ كَبِيْرٍ، لَقَدْ حَمَلْتُمْ شَرَفَ الدَّعْوَةِ، وَشَرُفْتُمْ بِتَوَلِّي مِيْرَاثِ النُّبُوَّةِ؛ فَاسْلُكُوا أَثَرَ أَفْضَلِ الدُّعَاةِ ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ رَكِّزُوا عَلَى الدَّعْوَةِ إِلَى العَقِيْدَةِ الصَّحِيْحَةِ، وَاهْتَمُّوا بِالنَّوْعِ وَالكَيْفِ، قَبْلَ الْكَثْرَةِ وَالكَمِّ، اجْمَعُوا قُلُوبَكُمْ وَوَحِّدُوا صُفُوفَكُمْ؛ فَالدَّعْوَةُ إِلَى اللهِ لَيْسَتْ تَجَمُّعَاتٍ حِزْبِيَّةً، وَلَا تَنْظِيْمَاتٍ عَصَبِيَّةً، وَإِنَّمَا هِيَ رِسَالَةُ صَلَاحٍ وَإِصْلَاحٍ لِعُمُومِ البَشَرِيَّةِ، حَذَارِ أَنْ يُوْقِعَ الشَّيْطَانُ بَيْنَكُمْ، وَأَنْ يَشْتَغِلَ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ، وَالعَدُوُّ يَتَفَرَّجُ مِنْ حَوْلِكُمْ!! رَكِّزُوا عَلَى العِلْمِ فِي دَعْوَتِكُمْ، وَلَا تَسْتَعْجِلُوا النَّتَائِجَ، اسْلُكُوا سَبِيْلَ الحِكْمَةِ وَالرِّفْقِ، وَالعَقْلِ وَبُعْدِ النَّظَرِ، وَتَحْكِيْمِ المَصَالِحِ الشَّرْعِيَّةِ.

وَمَتَى جَنَحَتِ(١) الدَّعْوَةُ إِلَى العُنْفِ، وَسَلَكَتْ مَسَالِكَ الانْدِفَاعِ وَالتَّهَوُّرِ ـ: فَشِلَتْ فَشَلًا ذَرِيْعًا، وَسَبَّبَتْ لِأَصْحَابِهَا الضَّرَرَ العَاجِلَ، وَالانْفِضَاضَ العَامَّ، وَصَدَقَ اللهُ: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران].

---

(١) جَنَحَتْ جُنُوحًا: مالت. «اللسان» (جنح).

إِخْوَةَ الإِيْمَانِ، إِنَّهُ لاَ عِزَّ لِلْبَشَرِيَّةِ، وَلاَ صَلاَحَ لِلإِنْسَانِيَّةِ، إِلاَّ بِتَطْبِيْقِ الإِسْلاَمِ، وَالإِسْلاَمُ الَّذِيْ نُرِيْدُ هُوَ الإِسْلاَمُ الحَقُّ؛ الاِسْتِسْلاَمُ الكَامِلُ للهِ، وَالاِنْقِيَادُ التَّامُّ لِشَرْعِهِ، الإِسْلاَمُ المَبْنِيُّ عَلَىٰ قَاعِدَةِ العَقِيْدَةِ الصَّحِيْحَةِ، وَالمُتَابَعَةِ الحَقِيْقِيَّةِ لِلْحَبِيْبِ المُصْطَفَىٰ ﷺ، وَالسَّيْرِ عَلَىٰ مَا سَارَ عَلَيْهِ سَلَفُ الأُمَّةِ ـ رَحِمَهُمُ اللهُ ـ إِنَّ كَثِيْرًا مِنَ النَّاسِ يَدَّعُونَ الإِسْلاَمَ، وَلٰكِنْ إِذَا عَرَضْتَ إِسْلاَمَهُمْ عَلَى الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَجَدتَّهُ تَسَمِّيًا وَادِّعَاءً، لاَ حَقِيْقَةً وانْتِمَاءً، إِنَّهُ لاَبُدَّ مِنْ تَحْقِيْقِ كَلِمَةِ التَّوْحِيْدِ، وَلاَبُدَّ مِنْ تَوْحِيْدِ الكَلِمَةِ عَلَيْهَا، إِنَّ تَضَامُنَ المُسْلِمِيْنَ اليَوْمَ وَوَحْدَتَهُمْ، مَطْلَبٌ جِدُّ مُهِمٍّ، فِيْ عِزِّهِمْ وَقُوَّتِهِمْ، وَانْتِصَارِهِمْ عَلَىٰ أَعْدَائِهِمْ، وَإِنَّ الفُرْقَةَ وَالخِلاَفَ لَهُمَا الدَّاءُ العُضَالُ الَّذِيْ يُفَتِّتُ جَسَدَ الأُمَّةِ، وَيُقَطِّعُهَا إِرْبًا إِرْبًا؛ فَاحْرِصُوا ـ رَحِمَكُمُ اللهُ ـ عَلَى الجَمَاعَةِ، واحْذَرُوا الشِّقَاقَ وَالنِّزَاعَ وَالفُرْقَةَ.

وَإِنَّ مِمَّا يُدَعِّمُ ذَلِكَ تَلاَحُمَ الشُّعُوبِ مَعَ وُلاَتِهِمْ وَقَادَتِهِمْ، وَمَعْرِفَةَ حُقُوقِ وَوَاجِبَاتِ وُلاَةِ أَمْرِ المُسْلِمِيْنَ وَعُلَمَائِهِمْ، ومَا لَهُمْ وَمَا عَلَيْهِمْ، فَكُلٌّ عَلىٰ ثَغْرٍ مِنْ ثُغُورِ الإِسْلاَمِ، فَاللهَ اللهَ أَنْ يُؤْتَى الإِسْلاَمُ مِنْ قِبَلِهِ.

اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، لاَ إِلٰـهَ إِلاَّ اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، وَللهِ الحَمْدُ.

أُمَّةَ الإِسْلاَمِ، إِنَّ تَقْلِيْبَ صَفَحَاتِ تَأْرِيْخِنَا المُعَاصِرِ، وَأَوْضَاعِنَا الحَاضِرَةِ، يُعْطِيْ صُورَةً مَأْسَاوِيَّةً لِمَا آلَ إِلَيْهِ أَمْرُ المُسْلِمِيْنَ فِي كَثِيْرٍ مِنَ الأَقْطَارِ.



وَأَوَّلُ صَفْحَةٍ مَأْسَاوِيَّةٍ نَطْرَحُهَا بِكُلِّ حَرَارَةٍ - وَهِيَ القَضِيَّةُ السَّاخِنَةُ فِي هَـٰذِهِ الأَيَّام، بلْ فِي هَـٰذِهِ الآوِنَةِ -: قَضِيَّةُ إِخْوَانِنَا المُسْلِمِيْنَ فِي البُوسْنَةِ وَالهِرْسِكِ، الَّتِيْ وَصَلَتْ أَوْجَ خُطُورَتِهَا، وَبَلَغَتْ حَدًّا لاَ يَسَعُ السُّكُوتُ عَلَيْهِ، بَلْ وَلاَ نَكْتَفِيْ بِالشَّجْبِ وَالإِدَانَةِ وَالتَّنْدِيْدِ؛ لأَنَّ الأَمْرَ خَطِيْرٌ جِدُّ خَطِيْرٍ، ضِدَّ عَقِيْدَتِهِمْ وَحُرُمَاتِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، وَبِلاَدِهِمْ وَمُقَدَّرَاتِهِمْ، لَقَدْ عَمِلَ فِيْهِمْ عُبَّادُ الصَّلِيْبِ أَعْمَالاً عَظِيْمَةً فَظِيْعَةً، مُجْرِمٌ صِرْبِيٌّ واحِدٌ يَقْتُلُ عَشَرَاتِ المُسْلِمِيْنَ! لَقَدْ هَدَمُوا مَسَاجِدَهُمْ، وَعَبَثُوا بِمُقَدَّرَاتِهِمْ، وَأَخْرَجُوهُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ، لاَ لِشَيْءٍ إِلاَّ لأَنَّهُمْ قَالُوا: رَبُّنَا اللهُ، آلاَفُ القَتْلَىٰ، وَعَشَرَاتُ الآلاَفِ مِنَ الجَرْحَىٰ، ومَلاَيِيْنُ المُشَرَّدِيْنَ.

هَـٰذِهِ قَوائِمُ وَإِحْصَاءَاتُ نَكْبَتِهِمْ إِجْمَالاً، نَاهِيْكَ عَنِ انْتِهَاكِ الأَعْرَاضِ، وَسَلْبِ الأَمْوالِ، وَبَقْرِ البُطُونِ، وَإِزْهَاقِ الأَنْفُسِ البَرِيْئَةِ مِنَ الأَطْفَالِ وَالنِّسَاءِ، وَمُصَادَرَةِ الحُرِّيَّاتِ، وَبَثِّ الرُّعْبِ وَالقَلَقِ وَالاضْطِرَابِ؛ لِمَاذَا يَحْصُلُ هَـٰذَا أَمَامَ سَمْعِ العَالَمِ وَبَصَرِهِ؟! فَلاَ مُرَاعَاةَ لِلْحُقُوقِ الإِسْلاَمِيَّةِ وَلا الإِنْسَانِيَّةِ، وَلاَ التِزَامَ بِالمُعَاهَدَاتِ العَالَمِيَّةِ، وَلاَ وَفَاءَ بِالأَعْرَافِ الدَّوْلِيَّةِ، وَلاَ الْتِزَامَ بِدِيْنٍ وَلاَ خُلُقٍ وَلاَ رَادِعٍ، تَبَجُّحٌ مَا بَعْدَهُ تَبَجُّحٌ(١)، وَإِهَانَةٌ لِمَشَاعِرِ المُسْلِمِيْنَ تُقِضُّ المَضَاجِعَ، إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ هُنَاكَ يُنَادُونَ:

---

(١) تَبَجُّحٌ: افتخار وتباهٍ وتعظُّمٌ. «اللسان» (بجح).

وَا إِسْلَامَاهْ! يَسْتَدِرُّونَ عَطْفَكُمْ وَشَفَقَتَكُمْ وَأُخُوَّتَكُمْ؛ فَحَذارِ أَنْ تَخْذُلُوهُمْ!!

كَفَىٰ حَزَنًا لِلدِّيْنِ أَنَّ حُمَاتَهُ ... إِذَا خَذَلُوهُ قُلْ لَنَا كَيْفَ يُنْصَرُ؟!

مَتَىٰ يَسْلَمُ الإِسْلَامُ مِمَّا أَصَابَهُ ... إِذَا كَانَ مَنْ يُرْجَىٰ يُخَافُ وَيُحْذَرُ؟!

وَإِنَّنَا لَنَتَسَاءَلُ: أَيْنَ العَالَمُ عَنْ هَٰذِهِ المَأْسَاةِ؟! بَلْ أَيْنَ المُسْلِمُونَ عَنِ الانْتِصَارِ لِإِخْوَانِهِمْ؟! أَيْنَ أَدْعِيَاءُ حُقُوقِ الإِنْسَانِ وَالمُتَبَجِّحُونَ بِالإِنْسَانِيَّةِ؟! لَوْ قُتِلَ عِلْجٌ، أَوْ سُجِنَ، أَوْ أُهِيْنَ وَاحِدٌ مِنْ أَعْدَاءِ الإِسْلَامِ ـ: لَقَامَتِ الدُّنْيَا وَلَمْ تَقْعُدْ، وَلَاشْتَغَلَتْ وَسَائِلُ الإِعْلَامِ بِالحَدِيْثِ حَوْلَهُ، وَالمُطَالَبَةِ بِالإِفْرَاجِ عَنْهُ، وَالانْتِصَارِ لَهُ! وَلَٰكِنَّ المُسْلِمِيْنَ لَا بَوَاكِيَ لَهُمْ، مَعَ الأَسَفِ الشَّدِيْدِ، وَحَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيْلُ! وَإِلَى اللهِ المُشْتَكَىٰ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ!!

أَحَلَّ الكُفْرُ بِالإِسْلَامِ ضَيْمًا ... يَطُولُ بِهِ عَلَى الدِّيْنِ النَّحِيْبُ!

فَحَقٌّ ضَائِعٌ وَحِمًى مُبَاحٌ ... وَسَيْفٌ قَاطِعٌ وَدَمٌ صَبِيْبُ!

أَتُسْبَى المُسْلِمَاتُ بِكُلِّ أَرْضٍ ... وَعَيْشُ المُسْلِمِيْنَ إِذَنْ يَطِيْبُ؟!

أَمَا للهِ وَالإِسْلَامِ حَقٌّ ... يُدَافِعُ عَنْهُ شُبَّانٌ وَشِيْبُ؟!

فَقُلْ لِذَوِيْ البَصَائِرِ حَيْثُ كَانُوا ... أَجِيْبُوا اللهَ وَيْحَكُمُ أَجِيْبُوا!

إِنَّنَا نُطَالِبُ بِاسْمِ المُسْلِمِيْنَ جَمِيْعًا، قَادَةَ المُسْلِمِيْنَ، وَحُكَّامَ العَالَمِ: أَنْ يُقَاطِعُوا الحُكُومَةَ الصِّرْبِيَّةَ المُجْرِمَةَ، عَسْكَرِيًّا وَاقْتِصَادِيًّا وَتِجَارِيًّا، وَأَنْ يَتَدَخَّلُوا عَمَلِيًّا لِإِنْقَاذِ البَقِيَّةِ البَاقِيَةِ مِنْ حَيَاةِ إِخْوَانِنَا



المُسْلِمِيْنَ هُنَاكَ؛ نُصْرَةً لِلْمَظْلُومِ، وَرَدْعًا للظَّالِمِ؛ كَمَا أَنَّ وَاجِبَ المُسْلِمِيْنَ - جَمِيْعًا فِيْ كُلِّ مَكَانٍ - دَعْمُ إِخْوانِهِمْ فِي بِلَادِ البُوسْنَةِ والهِرْسِكِ، وَالدُّعَاءُ وَالضَّرَاعَةُ إِلَى اللهِ أَنْ يَنْصُرَهُمْ وَيُفَرِّجَ عَنْهُمْ، وَأَنْ يَبْذُلَ المُسْلِمُونَ أَمْوَالَهُمْ - لاَ سِيَّمَا الأَثْرِيَاءُ مِنْهُمْ - لِدَعْمِ إِخْوانِهِمْ هُنَاكَ؛ أَيْنَ الحَمِيَّةُ وَالغَيْرَةُ؟! أَيْنَ الشَّجَاعَةُ وَالإِبَاءُ؟! أَيْنَ الشَّهَامَةُ والرُّجُولَةُ؟! أَيْنَ الإِسلاَمُ وَالإِيْمَانُ؟! إِنَّ إِخْوَانَكُمْ هُنَاكَ فِي أَمَسِّ الحَاجَةِ إِلَى الدُّعَاءِ وَالغِذَاءِ، وَالكِسَاءِ والمَاءِ، وَالكَهْرَبَاءِ وَالدَّوَاءِ!.

وَإِذَا قَلَّبْتَ صَفْحَةً أُخْرَىٰ مِنْ مَآسِيْ المُسْلِمِيْنَ، وَجَدتَّ مَا يُمَاثِلُ ذٰلِكَ أَوْ يُقَارِبُهُ.

وَلَوْ كَانَ سَهْمًا وَاحِدًا لاَتَّقَيْتُهُ ... وَلَـٰكِنَّهُ سَهْمٌ وَثَانٍ وَثَالِثُ

فَمَا هِيَ أَحْوَالُ إِخْوَانِكُمُ المُسْلِمِيْنَ فِي كَشْمِيْرَ؟! لَقَدْ بَغَىٰ عَلَيْهِمُ الوَثَنِيُّونَ؛ لِطَمْسِ هُوِيَّتِهِمْ، وَتَشْرِيْدِهِمْ مِنْ دِيَارِهِمْ، وحِرْمَانِهِمْ مِنْ مُمْتلَكَاتِهِمْ، عَمِلُوا فِيْهِمْ قَتْلاً وَتَشْرِيْدًا!!

مَا أَحْوَالُ المُسْلِمِيْنَ فِي الشِّيْشَان، وَفِي إِرِيْتِرْيَا، وَفِي الفِلِبِّيْن، وَفِي الصُّومَالِ، وَفِي بِلَادِ الأَكْرَادِ؛ حَيْثُ يَصْطَلُونَ بِظُلْمِ طَاغِيَةِ العِرَاقِ؟! مَا ذَنْبُ السُّجَنَاءِ مِنْ أَهْلِ الكُوَيْتِ فِي سُجُونِ طَاغِيَةِ العِرَاقِ؟! مَا ذَنْبُ المُسْلِمِيْنَ فِي بِلَادٍ شَتَّىٰ مِنْ بِقَاعِ العَالَمِ؟!

بَلْ مَا هِيَ أَحْوَالُ إِخْوَانِكُمْ فِي فِلَسْطِيْنَ فِي الأَرْضِ المُبَارَكَةِ؟! مَا



هِيَ أَحْوَالُ الأَقْصَى الجَرِيْحِ؟! هَـٰذِهِ إِسْرَائِيْلُ الحُثَالَةُ البَشَرِيَّةُ، وَالشِّرْذِمَةُ الصُّهْيُونِيَّةُ ـ مِنْ شُذَّاذِ الآفَاقِ، وَقَتَلَةِ الأَنْبِيَاءِ، وَإِخوَانِ القِرَدَةِ وَالخَنَازِيْرِ ـ يَعِيْثُونَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا، يُرِيْدُونَ التَّوَسُّعَ لِنَشْرِ مَذْهَبِهِمُ البَاطِلِ، وَدِيْنِهِمُ المُحَرَّفِ، وَبِنَاءَ هَيْكَلِهِمُ المَزْعُومِ، كُلُّ ذٰلِكَ تَحَدٍّ لِمَشَاعِرِ المُسْلِمِيْنَ، وَعَلَىٰ حِسَابِ المُسْلِمِيْنَ وَبِلاَدِهِمْ، وَمَا أَفْعَالُهُمُ المَشِيْنَةُ فِي فِلَسْطِيْنَ، وَفِي جَنُوبِ لُبْنَانَ فِي هَـٰذِهِ الأَيَّامِ ـ إِلاَّ امْتِدَادٌ لِحُلْمِهِمْ فِي الانْتِشَارِ فِي العَالَمِ الإِسْلاَمِيِّ، أَلاَ شَاهَتْ وُجُوهُ الصَّهَايِنَةِ! أَيَعْجِزُ المُسْلِمُونَ ـ وَهُمْ أَكْثَرُ مِنْ مِلْيَارٍ وَنِصْفِ مِلْيَارِ مُسْلِمٍ ـ أَنْ يَقِفُوا أَمَامَ هَـٰذِهِ الحَفْنَةِ القَلِيْلَةِ، وَالشِّرْذِمَةِ الآثِمَةِ؟! لَكِنَّنَا كُنَّا ثُمَّ صِرْنَا كَمَا أَخْبَرَ المُصْطَفَىٰ ﷺ: «**وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ**»(١).

لَابُدَّ مِنْ رَفْعِ رَايَةِ الجِهَادِ فِي سَبِيْلِ اللهِ، لِتَحْرِيْرِ المُقَدَّسَاتِ الإِسْلاَمِيَّةِ مِنْ بَرَاثِنِ الصُّهْيُونِيَّةِ، وَنَرْجُو أَنْ يَكُونَ ذٰلِكَ اليَوْمُ قَرِيْبًا؛ بِإِذْنِ اللهِ، ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت].

اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، لاَ إِلَـٰهَ إِلاَّ اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، وَللهِ الحَمْدُ.

أُمَّةَ الإِسْلَامِ، إِنَّهُ كُلَّمَا كَثُرَتْ مَآسِي المُسْلِمِيْنَ، فَإِنَّ البَشَائِرَ كَثِيْرَةٌ، وَالفَأْلَ مَطْلُوبٌ، وَالخَيْرَ فِي هَـٰذِهِ الأُمَّةِ مَوْجُودٌ إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ، وَأُمَّةُ

---

(١) تقدم تخريجه (ص٥٧٠).



الإِسْلَام أُمَّةٌ معْطَاءٌ، أَنْجبَتِ القَادَةَ وَالعُلَماءَ، وَالأَئِمَّةَ والعُظَماءَ، وَالخَيْرُ فِيْهَا إِلَىٰ قِيَام السَّاعَةِ؛ فَاليَأْسُ مَرْدُودٌ، وَالتَّشَاؤُمُ مَذْمُومٌ، وَبَشَائِرُ نُصْرَةِ الإِسْلَام بَادِيَةٌ مُتكَاثِرَةٌ ـ بِحَمْدِ اللهِ ـ هَـٰذِهِ الصَّحْوَةُ الإِسْلَامِيَّةُ المُبَارَكَةُ تَعُمُّ أَرْجَاءَ العَالَمِ الإِسْلَامِيِّ، بَلِ العَالَمِ بِأَسْرِهِ، الكُلُّ يُرِيْدُ الإِسْلَامَ وَيَبْحَثُ عَنْهُ؛ لِمَا يَمْتَازُ بِهِ مِنْ تَحْقِيْقِ الأَمْنِ وَالأَمَانِ، وَتَوَفُّرِ الكَمَالِ وَالشُّمُولِ.

غَيْرَ أَنَّ العِلْمَ وَالإِيْمَانَ، وَالعَقِيْدَةَ والصَّبْرَ، مِمَّا يَجِبُ أَنْ يَتَحَلَّىٰ بِهِ أَفْرَادُ الصَّحْوَةِ الإِسْلَامِيَّةِ، كَذٰلِكَ يَنْبَغِيْ أَنْ يَسْتَفِيْدُوا مِنْ أَهْلِ العِلْمِ، وَأَنْ يُشَاوِرُوهُمْ، وَأَنْ يَبْتَعِدُوا عَنِ التَّعَجُّلِ وَالعَوَاطِفِ المُتَأَجِّجَةِ، وَالانْدِفَاعَاتِ المَشْبُوهَةِ، وَيَحْرِصُوا عَلَى التَّأْصِيْلِ والمَنْهَجِيَّةِ الصَّحِيْحَةِ.

إِخْوَةَ العَقِيْدَةِ، مِنْ بَشَائِرِ نُصْرَةِ هٰذَا الدِّيْنِ: تَحَطُّمُ الشُّيُوعِيَّةِ فِي هَـٰذَا العَصْرِ، وَإِزَاحَةُ السِّتَارِ الحَدِيْدِيِّ ـ الَّذِيْ بَلَغَ سَبْعِيْنَ عَامًا ـ عَنْ وَجْهِ شُعُوبٍ تُرِيْدُ الإِسْلَامَ؛ فَالبِلَادُ الَّتِي رَسَفَتْ تَحْتَ حُكْمِ الشُّيُوعِيَّةِ رَدَحًا مِنَ الزَّمَنِ[1]، يَأْتِيْ مِنْهَا اليَومَ رِجَالٌ يُعْلِنُونَ الإِسَلَامَ، وَيُجَلْجِلُوْنَ بِالتَّلْبِيَةِ، وَيُشَارِكُونَ جُمُوعَ الحَجِيْجِ حَجَّهُمْ؛ وَهَـٰذَا ـ بِحَدِّ ذَاتِهِ ـ مِنْ بَشَائِرِ نُصْرَةِ هَـٰذَا الدِّيْنِ.

وَيَبْقَىٰ السُّؤَالُ المُهِمُّ: مَاذَا قَدَّمَ المُسْلِمُونَ لِإِخْوَانِهِمْ فِي الجُمْهُورِيَّاتِ الإِسْلَامِيَّةِ الجَدِيْدَةِ؟! إِنَّ الوَاجِبَ عَلَىٰ قَادَةِ المُسْلِمِيْنَ وَدُعَاتِهِمْ، وَعُلَمَائِهِمْ

---

(١) رَدَحًا مِنَ الزمن، أي: طويلاً. «القاموس» (ردح).



وَأَثْرِيَائِهِمْ: أَنْ يُسَارِعُوا إِلَىٰ مُسَاعَدَةِ إِخْوَانِهِمْ وَمُسَانَدَتِهِمْ، وَأَنْ يَضَعُوا الخُطَطَ السَّلِيْمَةَ لِنَشْرِ العَقِيْدَةِ الصَّحِيْحَةِ، وَالعِلْمِ الشَّرْعِيِّ السَّلِيْمِ، وَبَثِّ الدُّعَاةِ وَالمُدَرِّسِيْنَ الأَكْفَاء؛ لِتَعْلِيْمِ النَّاسِ هُنَاكَ أُمُورَ دِيْنِهِمْ عَلَى الوَجْهِ الصَّحِيْحِ، وَإِنَّنَا لَنَخْشَىٰ أَنْ يَأْخُذَ بِزِمَامِ ذٰلِكَ الأَمْرِ مَنْ لَيْسَ مِنَ الأَكْفَاءِ فِي دِيْنِهِمْ وَمُعْتَقَدِهِمْ، فَيَحْصُلَ مَا لاَ تُحْمَدُ عُقْبَاهُ، وَتِلْكَ مَسْئُولِيَّةُ المُخْلِصِيْنَ وَالغَيُورِيْنَ مِنْ هَـٰذِهِ الأُمَّةِ.

وَمِنْ بَشَائِرِ نُصْرَةِ دِيْنِ اللهِ: تَحَرُّرُ أَفْغَانِسْتَانَ المُسْلِمَةِ، وَانْتِصَارُهَا عَلَى الشُّيُوعِيَّةِ الآثِمَةِ، فَهَا هِيَ «كَابُولُ» تَفْتَحُ أَبْوَابَهَا لِلإِسْلاَمِ، بَعْدَ مَا طَالَ أَسْرُهَا فِي يَدِ أَعْدَاءِ الإِسْلاَمِ، وَلـٰكِنْ لاَ تَتِمُّ حَلاَوَةُ النَّصْرِ إِلاَّ بِتَذْكِيْرِ إِخْوَانِنَا المُجَاهِدِيْنَ هُنَاكَ بِاسْمِ جُمُوعِ حُجَّاجِ بَيْتِ اللهِ الحَرَامِ: أَنْ يُوَحِّدُوا صُفُوفَهُمْ، وَيَجْمَعُوا قُلُوبَهُمْ، وَيُخْلِصُوا نِيَّاتِهِمْ، وَيَحْذَرُوا مِنَ أَطْمَاعِ الدُّنْيَا وَالتَّنَافُسِ عَلَيْهَا، وَيَحْذَرُوا مِنَ المُنْدَسِّيْنَ بَيْنَ صُفُوفِهِمْ وَهُمْ مِنْ أَعْدَائِهِمْ، حَذَارِ أَيُّهَا المُجَاهِدُونَ ـ وَقَدْ طَالَ انْتِظَارُ المُسْلِمِيْنَ لاِنْتِصَارِكُمْ ـ أَنْ يَقْطِفَ ثَمَرَةَ جِهَادِكُمْ أَعْدَاؤُكُمْ؛ فَاجْمَعُوا قُلُوبَكُمْ، ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الأنفال].

اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، لاَ إِلـٰهَ إِلاَّ اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، وَللهِ الحَمْدُ.



نَسْأَلُ اللهَ تَعَالَىٰ بِأَسْمَائِهِ الحُسْنَىٰ، وصِفَاتِهِ العُلَا؛ أَنْ يُصْلِحَ أَحْوَالَ المُسْلِمِيْنَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَأَنْ يُهَيِّيءَ لَهُمْ مِنْ أمرِهِمْ رَشَدًا، وَأَنْ يتَقَبَّلَ مِنْ حُجَّاجِ بَيْتِهِ الحَرَامِ حَجَّهُمْ لأَدَاءِ مَنَاسِكِهِمْ؛ إِنَّهُ جَوادٌ كَرِيْمٌ.

أَقُولُ قَوْلِي هَـٰذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ وَلِجَمِيْعِ المُسْلِمِيْنَ، فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيْمُ.



الخطبة الثانية

اللهُ أَكْبَرُ «سَبْعًا»، اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، لاَ إِلـٰهَ إِلاَّ اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، وَللهِ الحَمْدُ، إِنَّ الحَمْدَ للهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِيْنُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَسْتَهْدِيْهِ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ.

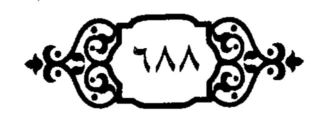
وَأَشْهَدُ أَن لا إِلـٰه إِلاَّ اللهُ، وأَشْهَدُ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنِ اهْتَدَىٰ بِهُدَاهُ ودَعَا بِدَعْوَتِهِ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ.

أمّا بعد:

فَيَا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، اتَّقُوا اللهَ تَعَالَىٰ، وَاشْكُرُوهُ عَلَىٰ مَا أَوْلاَكُمْ مِنْ نِعَمٍ، اشْكُرُوهُ - جَلَّ وَعَلاَ - عَلَىٰ بُلُوغِ هَـٰذَا اليَوْمِ العَظِيْمِ، وَاسْتَعِيْنُوا بِنِعَمِ اللهِ عَلَىٰ طَاعَتِهِ سُبْحَانَهُ، تَذَكَّرُوا أَنَّكُمْ قَادِمُونَ عَلَىٰ رَبِّكُمْ فِي يَوْمٍ لاَ يَنْفَعُ فِيْهِ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ، إِلاَّ مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيْمٍ.

إِخْوَةَ الإِسْلَامِ، يَسْتَقْبِلُ المُسْلِمُونَ هَـٰذَا اليَوْمَ بِالفَرْحَةِ وَالبَهْجَةِ وَالسُّرُورِ، وَالشُّكْرِ والرِّضَا والحُبُورِ[1]؛ فَالحُجَّاجُ يُؤَدُّونَ فِيْهِ مُعْظَمَ

(١) الحبور: السرور. «اللسان» (حبر).



مَناسِكِهِمْ، وَغَيْرُهُمْ يَتَقَرَّبُونَ إِلَى اللهِ بِالصَّلاَةِ وَالتَّكْبِيْرِ وَالأَضَاحِيْ؛ فَهَنِيْئًا لِلْمُسْلِمِيْنَ فِي هَـٰذَا اليَوْمِ المُبَارَكِ! هَنِيْئًا لَهُمْ بِحُلُولِ هَـٰذَا العِيْدِ السَّعِيْدِ!

وَاعْلَمُوا - رَحِمَكُمُ اللهُ - أَنَّ السَّعَادَةَ فِي العِيْدِ لاَ تَكْمُنُ فِي المَظَاهِرِ وَالشَّكْلِيَّاتِ، وَإِنَّمَا تَتَجَسَّدُ فِي المَعْنَوِيَّاتِ، وَإِتْيَانِ الصَّالِحَاتِ؛ فَاذْكُرُوا آلاَءَ اللهِ عَلَيْكُمْ؛ إِذْ تَنْعَمُونَ بِحُلُولِ هَـٰذَا العِيْدِ المُبَارَكِ فِي أَمْنٍ وَأَمَانٍ، وَصِحَّةٍ وَخَيْرٍ وَإِيْمَانٍ؛ فَهَـٰذِهِ النِّعَمُ سُلِبَهَا كَثِيْرٌ مِنَ النَّاسِ.

وَإِذَا كَانَ المُسْلِمُونَ يَتَقَرَّبُونَ إِلَى اللهِ بِذَبْحِ ضَحَايَاهُمْ وَهَدَايَاهُمْ، فَإِنَّ أَعْدَاءَ الإِسْلاَمِ يُضَحُّونَ بِالأَبْرِيَاءِ فِي سَبِيْلِ الشَّيْطَانِ، وَفِي هَـٰذَا عِبْرَةٌ لِلْمُعْتَبِرِيْنَ، وَذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِيْنَ!.

أَيُّهَا المُسْلِمُونَ، حَافِظُوا عَلَىٰ دِيْنِكُمْ، وَقُومُوا بِأَرْكَانِهِ وَوَاجِبَاتِهِ؛ فَهُوَ دِيْنُ الشُّمُولِ وَالكَمَالِ، لاَ خَيْرَ إِلاَّ دَلَّ عَلَيْهِ، وَلاَ شَرَّ إِلاَّ حَذَّرَ مِنْهُ، جَاءَ بِجَلْبِ المَصَالِحِ، وَدَرْءِ المَفَاسِدِ، وَالحِفَاظِ عَلَى الدِّيْنِ، وَالنَّفْسِ، وَالعَقْلِ، وَالعِرْضِ، وَالْمَالِ[1]، قَامَ عَلَىٰ أُسُسٍ عَظِيْمَةٍ، وَأَرْكَانٍ مَتِيْنَةٍ، مَنْ لَمْ يَأْتِ بِهَا، فَقَدْ خَسِرَ دِيْنَهُ، أَهَمُّ أَرْكَانِهِ بَعْدَ الشَّهَادَتَيْنِ: الصَّلاَةُ المَفْرُوضَةُ؛ فَهِيَ الفَارِقُ بَيْنَ الكُفْرِ وَالإِيْمَانِ؛ يَقُولُ ﷺ: «**العَهْدُ الَّذِيْ بَيْنَنَا**

(١) وهذه هي الضروريّات الخمس التي جاء الدين بحفظها. انظر شرحها وتفصيل القول فيها في «الموافقات» للشاطبي.



وَبَيْنَهُمُ **الصَّلاَةُ؛ فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ**»[1]، وَرَوَىٰ مُسْلِمٌ، عَنْ جَابِرٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالكُفْرِ تَرْكُ الصَّلاَةِ**»[2]، وَلاَبُدَّ مِنْ إِقَامَةِ الصَّلاَةِ بِأَرْكَانِهَا وَوَاجِبَاتِها، فِي الجَمَاعَةِ، فِي بُيُوتِ اللهِ، عَزَّ وَجَلَّ.

أَدُّوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ -يَا عِبَادَ اللهِ- طَيِّبَةً بِهَا نُفُوسُكُمْ، تَحَلَّوْا بِمَا جَاءَ بِهِ الدِّيْنُ الإِسْلاَمِيُّ الحَنِيْفُ، مِنَ النِّظَامِ الأَخْلاَقِيِّ وَالاِجْتِمَاعِيِّ المُتَمَيِّزِ؛ وذٰلِكَ بِرِعَايَةِ الأَخْلاَقِ الحَمِيْدَةِ، وَالبُعْدِ عَنِ الخِصَالِ الذَّمِيْمَةِ، وَالأَعْمَالِ الرَّذِيْلَةِ، وَنَشْرِ المَحَبَّةِ وَالوِئَامِ[3]، وَالسَّمَاحَةِ بَيْنَكُمْ وَالسَّلاَمِ، وَالبُعْدِ عَنِ الغِيْبَةِ وَالنَّمِيْمَةِ وَالبُهْتَانِ، وَالحَسَدِ وَالبَغْضَاءِ، والحِقْدِ والشَّحْنَاءِ، اتَّبِعُوا مَا جَاءَ بِهِ الدِّيْنُ الحَنِيْفُ مِنَ النِّظَامِ الاِقْتِصَادِيِّ العَادِلِ؛ الَّذِيْ لاَ وَكْسَ فِيْهِ وَلاَ شَطَطَ[4]؛ وَذٰلِكَ بِرِعَايَةِ الأَمْوَالِ، وَالحِرْصِ عَلَىٰ سَلاَمَةِ مَدْخَلِهَا وَمَخْرَجِهَا، وَرِعَايَةِ المَكَاسِبِ المُبَاحَةِ، وَالبُعْدِ عَنِ الحِيَلِ المَمْنُوعَةِ، وَالمَكَاسِبِ المُحَرَّمَةِ؛ كَالرِّبَا وَالسَّرِقَةِ، وَالاِخْتِلاَسِ وَالرِّشْوَةِ، وَالتَّزْوِيْرِ وَنَحْوِهَا.

---

(١) رواه أحمد (٥/ ٣٤٦)، والترمذي (٢٦٢١)، والنسائي (١/ ٢٣١)، وابن ماجه (١٠٧٩)؛ من حديث بُرَيْدَةَ، رضي الله عنه.

(٢) «صحيح مسلم» (٨٢).

(٣) الوئامُ: الوِفَاقُ، مصدر وَاءَمَهُ، أي: وافقه، ويقال في المثل: «لولا الْوِئَام، لهلك الأَنَام». «تاج العروس» (وأم).

(٤) لا وَكْسَ فيه ولا شَطَطَ، أي: لا نقصان فيه ولازيادة. «اللسان» (وكس) (شطط).

احْفَظُوا جَوَارِحَكُمْ عَنِ الآثَامِ، مُرُوا بِالمَعْرُوفِ، وَانْهَوْا عَنِ المُنْكَرِ، وَلاَ تَبْغُوا الفَسَادَ فِي الأَرْضِ، قُومُوا عَلَىٰ مَنْ تَحْتَ أَيْدِيْكُمْ ـ مِنَ الأَهْلِ وَالأَوْلاَدِ ـ بِالتَّرْبِيَةِ الإِسْلاَمِيَّةِ الصَّحِيحَةِ، الَّتِيْ لاَ غُلُوَّ فِيْهَا وَلاَ تَقْصِيْرَ.

احْرِصُوا عَلَىٰ اجْتِمَاعِ القُلُوبِ، وَصَفَاءِ النُّفُوسِ، صِلُوا الأَرْحَامَ، وَبَرُّوا الآبَاءَ وَالأُمَّهَاتِ، وَأَعِيْنُوا الفُقَرَاءَ وَالمُحْتَاجِيْنَ؛ وَتُوبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ؛ فَإِنَّهُ ﴿يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الشورى: ٢٥].

شَبَابَ الإِسْلاَمِ، أَنْتُمْ أَمَلُ الأُمَّةِ، وَرِجَالُ المُسْتَقْبَلِ، وَلَنْ تَبْنُوا أَمْجَادَكُمْ، وَتُؤَسِّسُوا مُسْتَقْبَلَكُمْ، وَتَقُومُوا بِحَمْلِ الأَمَانَةِ تُجَاهَ دِيْنِكُمْ وَأُمَّتِكُمْ وَبِلاَدِكُمْ، إِلاَّ بِالاسْتِقَامَةِ عَلَىٰ دِيْنِ اللهِ، وَالتَّحَلِّي بِالصَّبْرِ وَالمُثَابَرَةِ، وَالأَخْلاَقِ الكَرِيْمَةِ، وَالبُعْدِ عَنِ الرَّذَائِلِ وَالفَسَادِ وَالانْحِرَافِ، صُونُوا أَنْفُسَكُمْ ـ يَا عِبَادَ اللهِ ـ عَنِ المُلْهِيَاتِ وَالمُغْرِيَاتِ، لاَ تَغْتَرُّوا ـ أَيُّهَا الشَّبَابُ ـ بِعُنْفُوَانِكُمْ(١) وَصِحَّتِكُمْ؛ فَالمَوْتُ لاَ يُفَرِّقُ بَيْنَ كَبِيْرٍ وَصَغِيْرٍ، وَلاَ غَنِيٍّ وَفَقِيْرٍ، تَيَقَّظُوا لِمُخَطَّطَاتِ أَعْدَائِكُمْ تُجَاهَكُمْ، وَكُونُوا مِنْهَا عَلَىٰ حَذَرٍ وَفِطْنَةٍ.

أَيَّتُهَا الأَخَوَاتُ المُسْلِمَاتُ، وَالنِّسَاءُ الفُضْلَيَاتُ، إِنَّ مَكَانَتَكُنَّ فِي الإِسْلاَمِ عَظِيْمَةٌ، أَنْتُنَّ الأُمَّهَاتُ المُشْفِقَاتُ، وَالأَخَوَاتُ الكَرِيْمَاتُ،

---

(١) عُنْفُوَانُ الشيء: أوَّله، يقال: هو في عنفوان شبابه، أي: في أَوَّل بهجته. «اللسان» (عنف).



وَالمُرَبِّيَاتُ الرَّحِيْمَاتُ، وَالبَنَاتُ الفَاضِلَاتُ، لَقَدْ فَتَحَ الإِسْلَامُ لَكُنَّ أَبْوَابَ الفَضَائِلِ، صَانكُنَّ وَرَعَاكُنَّ وَحَمَاكُنَّ؛ فَالمَرْأَةُ فِي هَـٰذَا الدِّيْنِ دُرَّةٌ مَصُونَةٌ، وَجَوْهَرَةٌ مَكْنُونَةٌ، حَافَظَ عَلَيْهَا بِالسِّتْرِ وَالحَيَاءِ وَالحِجَابِ، وَنَهَىٰ عَنْ كُلِّ مَا يَكُونُ سَبَبًا فِي التَّعَدِّيْ عَلَيْهَا وَإِيْقَاعِ الفِتْنَةِ لَهَا وَبِهَا؛ مِنَ التَّبَرُّجِ وَالسُّفُورِ، وَالاخْتِلَاطِ وَالخُرُوجِ إِلَى الأَسْوَاقِ.

فَكُنَّ - أَيَّتُهَا الأَخَوَاتُ المُسْلِمَاتُ - عَزِيْزَاتٍ بِدِيْنِكُنَّ، وَاحْذَرْنَ مِنْ أَعْدَائِكُنَّ، الَّذِيْنَ يَظْهَرُونَ بِأَبْهَى الحُلَلِ، وَيُنَادُونَ بِأَلْسِنَةِ الحَلَاوَةِ وَالعَسَلِ، بِدَعْوَىٰ تَحْرِيْرِ المَرْأَةِ وَإِنْصَافِهَا، وَهُمْ يُرِيْدُونَ القَضَاءَ عَلَيْهَا، وَإِهْدَارَ عِزَّتِهَا وَكَرَامَتِهَا؛ وَاللهُ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَـٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾ [الأحزاب].

عِبَادَ اللهِ، اقْضُوا هَـٰذَا اليَوْمَ المُبَارَكَ، بِالتَّكْبِيْرِ وَالتَّسْبِيْحِ، وَالتَّحْمِيْدِ وَالتَّهْلِيْلِ، وَالأَكْلِ مِنَ الطَّيِّبَاتِ، ﴿۞ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ﴾ [البقرة: ٢٠٣]، يَقُولُ ﷺ: «**أَيَّامُ التَّشْرِيْقِ أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ وَذِكْرٍ للهِ**»(١).

أَيُّهَا ٱلْمُسْلِمُونَ، كَبِّرُوا رَبَّكُمْ، وَاذْكُرُوهُ جَلَّ وَعَلَا؛ ﴿فَإِذَا

---

(١) رواه مسلم (١١٤١)؛ من حديث نُبَيْشَةَ الهُذَلِيِّ، رضي الله عنه.



قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾﴾ [البقرة].

يا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ، يا خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، الأَمْرُ بِالمَعْرُوفِ والنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ: قِوَامُ هَٰذَا الدِّيْنِ؛ بِهِ نَالَتْ هَٰذِهِ الأُمَّةُ الخَيْرِيَّةَ عَلَىٰ غَيْرِهَا مِنَ الأُمَمِ، وَقَدْ تَظَافَرَتِ[1] الأَدِلَّةُ مِنَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ عَلَىٰ أَهَمِّيَّتِهِ وَوُجُوبِهِ، وَإِصْلَاحِهِ لِلْبِلَادِ وَالعِبَادِ.

فَالوَاجِبُ عَلَى المُسْلِمِيْنَ جَمِيْعًا: أَنْ يَأْمُرُوا بِالمَعْرُوفِ، وَأَنْ يَنْهَوْا عَنِ المُنْكَرِ، كُلٌّ حَسَبَ اسْتِطَاعَتِهِ، عَلَىٰ دَرَجَاتِ الإِنْكَارِ المَعْرُوفَةِ، وَلَابُدَّ مِنْ تَحَلِّيْ الآمِرِيْنَ بِالمَعْرُوفِ، وَالنَّاهِيْنَ عَنِ المُنْكَرِ، بِالرِّفْقِ وَالعِلْمِ وَالحِلْمِ وَالحِكْمَةِ؛ لِيَكُونَ لِعَمَلِهِمُ الأَثَرُ الإِيْجَابِيُّ فِي بُعْدٍ عَنِ التَّعْنِيْفِ وَالغِلْظَةِ.

أُمَّةَ الإِسْلَامِ، الإِعْلَامُ فِي هَٰذَا العَصْرِ قَنَاةٌ مُهِمَّةٌ، وَشَرْيَانٌ حَيَوِيٌّ، يُؤَثِّرُ - سَلْبًا أَوْ إِيْجَابًا - عَلَى النَّاسِ فِي مُخْتَلِفِ الشُّؤُونِ؛ فَالوَاجِبُ اسْتِغْلَالُ وَسَائِلِ الإِعْلَامِ المَرْئِيَّةِ، وَالمَسْمُوعَةِ، وَالمَقْرُوْءَةِ، لِلدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ، وَنَشْرِ

---

(١) يقال: تَظَافَرُوا على كذا، وَتَضَافَرُوا عليه؛ بالظاء والضاد، أي: تعاونوا وتجمَّعوا عليه. «تاج العروس» (ظفر) (ضفر).



الفَضِيْلَةِ، وَمُحَارَبَةِ الرَّذِيْلَةِ، فَيَا رِجَالَ الإِعْلَامِ، اتَّقُوا اللهَ فِي مَسْئُولِيَّاتِكُمْ، أَدُّوا أَمَانَةَ الكَلِمَةِ، وَلاَ تُضَيِّعُوا مِصْدَاقِيَّةَ الحَرْفِ، تَحَرَّوُا الحَقَائِقَ، وَاحْذَرُوا التَّهْوِيْلَ وَالإِثَارَةَ، اجْعَلُوا مِنْ وَسَائِلِكُمْ قَنَوَاتٍ لِلدَّعْوَةِ وَالتَّوْجِيْهِ لِمَا فِيْهِ صَلاَحُ الأَفْرَادِ وَالمُجْتَمَعَاتِ.

هَٰذَا، وَمِمَّا يَنْبَغِيْ التَّنْبِيْهُ عَلَيْهِ: ضَرُورَةُ اهْتِمَامِ الأُمَّةِ جَمِيْعًا لِلتَّصَدِّي لِمَا يُعْرَفُ بِالبَثِّ المُبَاشِرِ، الَّذِيْ رَاجَ فِي بِلَادٍ شَتَّىٰ مِنَ العَالَمِ؛ كَيْلَا يَنْقُلَ لأَهْلِ الإِسْلَامِ مَعَالِمَ الشَّرِّ وَالغَوَايَةِ، وَوَسَائِلَ الإِبَاحِيَّةِ والجَرِيْمَةِ، عَنْ طَرِيْقِ القَنَوَاتِ الفَضَائِيَّةِ، وَالشَّبَكَاتِ المَعْلُومَاتِيَّة فِي عَصْرِ الانْفِتَاحِ والعَدَالَةِ، لَابُدَّ أَنْ يَتَصَدَّى المُسْلِمُونَ لِذَٰلِكَ بِالإِيْمَانِ القَوِيِّ، وَالوَعْيِ العَمِيقِ، وَالحَصَانَةِ العِلْمِيَّةِ والفِكْرِيَّةِ وَالثَّقَافِيَّةِ لِمُقَاوَمَتِهِ.

وَمِمَّا يَنْبَغِيْ أَن يَتَنَبَّهَ لَهُ المُسْلِمُونَ - أَيْضًا -: عَدَمُ التَّهَافُتِ المَشِيْنِ الَّذِيْ سَلَكَهُ بَعْضُ ضِعَافِ الإِيْمَانِ مِنَ المُسْلِمِيْنَ؛ مِنَ الحِرْصِ عَلَىٰ ذَٰلِكَ البَثِّ المُسِفِّ، وَاقْتِنَاءِ آلَاتِهِ المُقَوِّيَةِ لَهُ، فَيَا سُبْحَانَ اللهِ! كَيْفَ يَرْضَىٰ أَهْلُ الغَيْرَةِ بِمَا يَهْدِمُ الأَخْلَاقَ، وَيُدَمِّرُ القِيَمَ وَالْفَضَائِلَ؟!

اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، لَاإِلَٰهَ إِلاَّ اللهُ، واللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، وَللهِ الحَمْدُ، تَذَكَّرُوا - يَا عِبَادَ اللهِ - يَوْمَ يَجْمَعُ اللهُ الأَوَّلِيْنَ وَالآخِرِيْنَ، تَذَكَّرُوا الحَشْرَ وَالنَّشْرَ، وَتَطَايُرَ الصُّحُفِ وَنَصْبَ المَوَازِيْنِ، تَذَكَّرُوا المَوْتَ وَسَكْرَتَهُ،



وَالقَبْرَ وظُلْمَتَهُ، والصِّرَاطَ وَزَلَّتَهُ، وَالمَوْقِفَ وَكُرْبَتَهُ!

أَمَا وَاللهِ لَوْ عَلِمَ الأَنَامُ لِمَا خُلِقُوا لَمَا هَجَعُوا وَنَامُوا
لَقَدْ خُلِقُوا لأَمْرٍ لَوْ رَأَتْهُ عُيُونُ قُلُوبِهِمْ تَاهُوا وَهَامُوا
مَمَاتٌ، ثُمَّ قَبْرٌ، ثُمَّ حَشْرٌ وَتَوْبِيْخٌ وَأَهْوَالٌ عِظَامُ
لِيَوْمِ الحَشْرِ قَدْ عَمِلَتْ أُنَاسٌ فَصَلَّوْا مِنْ مَخَافَتِهِ وَصَامُوا
وَنَحْنُ إِذَا أُمِرْنَا أَوْ نُهِيْنَا كَأَهْلِ الكَهْفِ أَيْقَاظٌ نِيَامُ!

* * *

أَتَيْتُ القُبُورَ فَنَادَيْتُهَا فَأَيْنَ المُعَظَّمُ وَالمُحْتَقَرْ؟!
تَفَانَوْا جَمِيْعًا فَمَا مُخْبِرٌ وَمَاتُوا جَمِيْعًا وَمَاتَ الخَبَرْ!
تَرُوحُ وَتَغْدُو بَنَاتُ الثَّرَىٰ فَتُلْغِيْ مَحَاسِنَ تِلْكَ الصُّوَرْ
فَيَاسَائِلِيْ عَنْ أُنَاسٍ مَضَوْا أَمَالَكَ فِيْمَنْ مَضَىٰ مُعْتَبَرْ؟!

* * *

فَلَوْ أَنَّا إِذَا مِتْنَا تُرِكْنَا لَكَانَ المَوْتُ غَايَةَ كُلِّ حَيٍّ
وَلَكِنَّا إِذَا مِتْنَا بُعِثْنَا وَنُسْأَلُ بَعْدَهُ عَنْ كُلِّ شَيٍّ

أُمَّةَ الإِسْلَامِ، الغَزْوُ الفِكْرِيُّ وَالأَخْلَاقِيُّ، المُرَكَّزُ ضِدَّ المُسْلِمِيْنَ عَبْرَ الوَسَائِلِ المُخْتَلِفَةِ، مِمَّا يَنْبَغِيْ أَنْ يَحْذَرَهُ المُسْلِمُونَ، وَيَتَصَدَّوْا لَهُ؛ بِالتَّرْبِيَةِ وَالعِنَايَةِ بِالإِيْمَانِ، وَتَنْشِئَةِ الأَجْيَالِ عَلَيْهِ، وَعَدَمِ إِتَاحَةِ الفُرْصَةِ لِوَسَائِلِ الغَزْوِ الفِكْرِيِّ وَالأَخْلَاقِيِّ: أَنْ تَتَسَلَّلَ إِلَى البُيُوتِ وَالأُسَرِ،

وَيَنْبَغِيْ الحَذَرُ مِمَّا تَبُثُّهُ بَعْضُ وَسَائِلِ الإِعْلَامِ عَنِ الإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ، وَوَصْفِهِمْ بِأَبْشَعِ الأَوْصَافِ، وَإِلْصَاقِ التُّهَمِ بِهِمْ، وَإِشَاعَةِ مُصْطَلَحَاتٍ مُوهِمَةٍ؛ كَمَا يُطْلِقُوْنَ لَفْظَ: الأُصُولِيَّةِ، وَالوَهَّابِيَّةِ، والإِرْهَابِ، وَالتَّطَرُّفِ، وَحُقُوقِ الإِنْسَانِ، وَالحُرِّيَّةِ، وَالمُسَاوَاةِ، وَعَمَلِ المَرْأَةِ، وَحُقُوقِ المَرْأَةِ، وَهُمْ يُرِيْدُونَ بِذَٰلِكَ تَشْوِيْهَ صُورَةِ المُسْلِمِيْنَ؛ فَكُونُوا عَلَىٰ حَذَرٍ مِنْ ذَٰلِكَ أُمَّةَ الإِسْلَامِ!

أَيُّهَا الإِخْوَةُ فِي اللهِ، إِنَّ مِنَ التَّحَدُّثِ بِنِعَمِ اللهِ: مَا وَفَّقَ اللهُ إِلَيْهِ وُلَاةَ الأَمْرِ فِي بِلَادِ الحَرَمَيْنِ الشَّرِيْفَيْنِ مِنَ الأَعْمَالِ الجَلِيْلَةِ فِي خِدْمَةِ الإِسْلَامِ وَالمُسْلِمِيْنَ، فَهَاهِيَ مَشَارِيْعُ إِعْمَارِ الحَرَمَيْنِ الشَّرِيْفَيْنِ مِمَّا لَمْ يَشْهَدِ التَّأْرِيْخُ لَهُ مَثِيْلاً، وَهَـٰذِهِ الرِّعَايَةُ التَّامَّةُ لِوُفُودِ الرَّحْمَنِ مِمَّا يُشِيدُ بِهِ المُنْصِفُونَ مِنَ القَاصِيْ والدَّانِيْ؛ مِيَاهٌ عَذْبَةٌ، وأَغْذِيَةٌ مُتَوَفِّرَةٌ، وَخِدْمَاتٌ صِحِّيَّةٌ وَأَمْنِيَّةٌ، وَعِلْمِيَّةٌ وَدَعَوِيَّةٌ يَقِلُّ نَظِيْرُهَا، وَأَجْوَاءٌ آمِنَةٌ، كُلُّ ذٰلِك بِفَضْلِ اللهِ، ثُمَّ بِفَضْلِ العِنَايَةِ البَالِغَةِ مِنْ لَدُنْ وِلَايَةِ بِلَادِ الحَرَمَيْنِ الشَّرِيْفَيْنِ، حَرَسَهَا اللهُ.

هَـٰذِهِ مَشَارِيْعُ الدَّعْوَةِ الإِسْلَامِيَّةِ، وَدَعْمُ المَرَاكِزِ وَالصُّرُوْحِ الحَضَارِيَّةِ، وَطَبْعُ وَنَشْرُ كِتَابِ اللهِ، وَتَوْزِيْعُهُ عَلَى المُسْلِمِيْنَ فِي العَالَمِ، هَـٰذِهِ مَجَالِسُ الشُّورَىٰ وَأَنْظِمَةُ الحُكْمِ، مِمَّا لَمْ يَتَحَقَّقْ فِي دُوَلِ الدِّيْمُقْرَاطِيَّةِ المَزْعُومَةِ، هَـٰذِه اللِّجَانُ الدَّاعِمَةُ لِقَضَايَا المُسْلِمِيْنَ، وَمِنْ آخِرِ مَا سَمِعْتُمْ فِي ذٰلِكَ: لِجَانُ الدَّعْوَةِ لِجَمْعِ التَّبَرُّعَاتِ لِمُسْلِمِيْ البُوسْنَةِ والهِرْسِكِ، وَهَـٰذِهِ المَوَاقِفُ المُشَرِّفَةُ فِي نُصْرَةِ قَضَايَا المُسْلِمِيْنَ، فِي أَفْغَانِسْتَانَ



وَغَيْرِهَا، وَرِعَايَةُ شُئُونِ الأَقَلِّيَّاتِ الإِسْلَامِيَّةِ.

وَمِنَ الأَعْمَالِ الَّتِي تَسْتَحِقُّ الإِشَادَةَ وَالإِشَارَةَ: المُبَادَرَةُ إِلَىٰ إِنْقَاذِ المَسْجِدِ الأَقْصَىٰ، وَبَذْلِ المَالِ والجُهْدِ وَالرِّجَالِ؛ لِتَحْسِيْنِ أَحْوالِهِ مِنَ التَّدَاعِي والتَّصَدُّعِ؛ فَهَنِيْئًا لِوُلَاةِ الأَمْرِ فِي بِلَادِ الحَرَمَيْنِ الشَّرِيْفَيْنِ ـ بَلْ هَنِيْئًا لِلْمُسْلِمِيْنَ جَمِيْعًا ـ هَـٰذِهِ المَشَارِيْعُ المُبَارَكَةُ! وَاللهَ نَسْأَلُ أَنْ يَجْعَلَهَا فِي مَوَازِيْنِ أَعْمَالِهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَأَنْ يَزِيْدَهُمْ مِنَ الهُدَىٰ وَالتَّوْفِيْقِ، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ.

مَعْشَرَ المُسْلِمِيْنَ، المُشْكِلَاتُ الاِجْتِمَاعِيَّةُ والأُسْرِيَّةُ تُقِضُّ مَضَاجِعَ كَثِيْرٍ مِنَ النَّاسِ؛ فَغَلَاءُ المُهُوْرِ، وَتَكَالِيْفُ الزَّوَاجِ البَاهِظَةُ، والبَذَخُ والإِسْرَافُ، وَسُوْءُ العِشْرَةِ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ، وَمُشْكِلَاتُ الأَوْلَادِ، وَقَضَايَا الطَّلَاقِ، كُلُّ ذٰلِكَ مِنَ القَضَايَا المُهِمَّةِ الَّتِي يَجِبُ أَنْ يَتَعَاوَنَ عَلَىٰ حَلِّهَا المُسْلِمُوْنَ جَمِيْعًا؛ انْطِلَاقًا مِنْ قَوْلِهِ سُبْحَانَه: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢].

أَيُّهَا المُسْلِمُونَ فِي بِلَادِ الحَرَمَيْنِ، إِنَّكُمْ مَحْسُودُونَ عَلَىٰ هَـٰذِهِ النِّعَمِ، لَقَدْ أَرَّقَ(١) وُجُودُ هَـٰذِهِ النِّعَمِ فِي بِلَادِنَا ـ مِنَ الأَمْنِ وَالأَمَانِ، والخَيْرَاتِ والمُقَدَّسَاتِ ـ مَضَاجِعَ كَثِيْرٍ مِنَ الحَاسِدِيْنَ مِمَّنِ اكْتَوَتْ قُلُوبُهُمْ بِدَاءِ الحَسَدِ والحِقْدِ والكَرَاهِيَةِ؛ فَعَمِلُوا عَلَىٰ إِنْكَارِ الجَمِيْلِ، وَبَثِّ الدِّعَايَاتِ الكَاذِبَةِ، والشَّائِعَاتِ المُغْرِضَةِ؛ حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ!

---

(١) أرّقه كذا وكذا تأريقًا، أي: أَسْهَرَهُ. «اللسان» (أرق).



نَعَمْ ـ وَاللهِ! ـ إِنَّنَا لَمَحْسُودُونَ ـ يَا عِبَادَ اللهِ ـ فَعَلَيْنَا أَنْ نَحْذَرَ مِنْ كَيْدِ الحَاسِدِيْنَ الذِيْنَ سَخَّرُوا وَسَائِلَ إِعْلَامِهِمْ لِلنَّيْلِ مِنْ هَـٰذِهِ البِلَادِ وَدِيْنِهَا، وَوُلَاتِهَا وَعُلَمَائِهَا، وَسَيَصْطَلُونَ بِنَارِ حَسَدِهِمْ، وَلَنْ يُحْرِقُوا إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ؛ فَعَلَيْنَا أَلاَّ نَنْخَدِعَ بِهَـٰذِهِ الأَرَاجِيفِ[1] الَّتِي تَبُثُّهَا بَعْضُ وَسَائِلِ الإِعْلَامِ المَأْجُورَةِ المَأْزُورَةِ، الَّتِيْ ضَيَّعَتْ أَمَانَةَ الكَلِمَةِ، وَعَبَثَتْ بِمِصْدَاقِيَّةِ الحَرْفِ، وَجَانَبَتِ المَوْضُوعِيَّةَ وَالإِنْصَافَ، فَاتَّقُوا اللهِ ـ عِبَادَ اللهِ ـ واسْتَمْسِكُوا بِدِيْنِكُمْ؛ تُفْلِحُوا وَتَسْعَدُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، لاَ إِلَـٰهَ إِلاَّ اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، وَللهِ الحَمْدُ.

هَـٰذَا؛ وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا ـ رَحِمَكُمُ اللهُ ـ عَلَىٰ خَيْرِ الوَرَىٰ، الرَّسُولِ المُجْتَبَىٰ، والنَّبِيِّ المُصْطَفَىٰ، وَالحَبِيْبِ المُرْتَضَىٰ؛ كَمَا أَمَرَكُمْ بِذٰلِكَ رَبُّكُمْ جَلَّ وَعَلاَ؛ فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾[الأحزاب].

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَىٰ نَبِيِّنَا وَحَبِيْبِ قُلُوبِنَا، سَيِّدِنَا مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، وارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِيْنَ: أَبِيْ بَكْرٍ الصِّدِّيْقِ، وَعُمَرَ الفَارُوقِ، وَعُثْمَانَ ذِيْ النُّورَيْنِ، وَعَلِيٍّ أَبِي السِّبْطَيْنِ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِيْنَ، وَعَنِ التَّابِعِيْنَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّيْنِ،

---

(١) الأراجيف: جمع إرْجَافٍ، وهو الخبرُ الكاذبُ الذي يكون معه اضطرابٌ في الناسِ. انظر: «تاج العروس» (رجف).

وَعَنَّا مَعَهُمْ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلامَ وَالمُسْلِمِيْنَ، وَأَذِلَّ الشِّرْكَ وَالمُشْرِكِيْنَ، وَدَمِّرْ أَعْدَاءَ المِلَّةِ وَالدِّيْنِ، اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ مِنْ حُجَّاجِ بَيْتِكَ الحَرَامِ حَجَّهُمْ، وَمِنَ المُضَحِّيْنَ ضَحَايَاهُم، اللَّهُمَّ كَمَا وَفَّقْتَهُمْ لِهَـٰذِهِ الأَعْمَالِ؛ فَتَقَبَّلْهَا مِنْهُمْ، يَارَبَّ العَالَمِينَ، اللَّهُمَّ هَـٰؤُلاَءِ عِبَادُكَ، لاَذُوا بِجَنَابِكَ، وَأَنَاخُوا مَطَايَاهُمْ بِبَابِكَ، أَتَوْا مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيْقٍ، يَرْجُونَ رَحْمَتَكَ، وَيَخْشَوْنَ عَذَابَكَ، اللَّهُمَّ بَلِّغْهُمْ آمَالَهُمْ، وَحَقِّقْ مَطَالِبَهُمْ، يَاحَيُّ يَاقَيُّومُ، يَاذَا الجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ، اللَّهُمَّ وَكَمَا جَمَعْتَ أَجْسَادَهُمْ فَاجْمَعْ قُلُوبَهُمْ عَلَى الحَقِّ وَالهُدَىٰ، يَارَبَّ العَالَمِيْنَ.

اللَّهُمَّ كَمَا جَمَعْتَ هَـٰذِهِ الجُمُوعَ المُسْلِمَةَ فِي هَـٰذَا المَكَانِ المُبَارَكِ، اجْمَعْهُمْ عَلَىٰ كِتَابِكَ وَسُنَّةِ نَبِيِّكَ ﷺ، وَأَلِّفْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِهِمْ، وَاهْدِهِمْ سُبُلَ السَّلاَمِ، وَارْزُقْهُمُ الوَحْدَةَ والوِئَامَ، وَالنَّصْرَ عَلَىٰ أَعْدَائِكَ أَعْدَاءِ الدِّيْنِ، وَجَنِّبْهُمُ الفَوَاحِشَ والفِتَنَ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ.

اللَّهُمَّ وَفِّقْ إِمَامَنَا بِتَوفِيقِكَ، وَأَيِّدْهُ بِتَأْيِيدِكَ، اللَّهُمَّ وَفِّقْهُ إِلَىٰ مَا تُحِبُّ وَتَرْضَىٰ، وَخُذْ بِنَاصِيَتِهِ إِلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ، وَإِلَىٰ مَا فِيهِ إِعْلاَءُ كَلِمَتِكَ، وَإِعْزَازُ دِيْنِكَ، وَصَلاَحُ البِلاَدِ والعِبَادِ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ، اللَّهُمَّ اجْزِهِ خَيْرَ الجَزَاءِ وَأَوْفَرَهُ؛ جَزَاءَ مَا قَدَّمُ وَيُقَدِّمُ لِحُجَّاجِ بَيْتِكَ الحَرَامِ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ ذٰلِكَ فِي صَحَائِفِ أَعْمَالِهِ وَفِي مَوَازِيْنِهِ، يَا حَيُّ يَاقَيُّومُ.

اللَّهُمَّ وَفِّقْ قَادَةَ المُسْلِمِيْنَ لِتَحْكِيْمِ شَرْعِكَ واتِّبَاعِ سُنَّةِ نَبِيِّكَ ﷺ،



اللَّهُمَّ اجْعَلْهُمْ رَحْمَةً عَلَىٰ شُعُوْبِهِمْ وَرَعَايَاهُم، اللَّهُمَّ وَفِّقْ قَادَةَ المُسْلِمِيْنَ جَمِيْعًا إِلَىٰ تَحْكِيْمِ الإِسْلاَمِ، اللَّهُمَّ وَفِّقْ عُلَمَاءَهُمْ لِبَيَانِ الحَقِّ والدَّعْوَةِ إِلَيْهِ، وَوَفِّقِ الدُّعَاةَ والقُضَاةَ والآمِرِيْنَ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّاهِيْنَ عَنِ المُنْكَرِ، وَاجْزِهِمْ خَيْرًا عَلَىٰ مَا يَبْذُلُونَ مِنْ نُصْرَةِ الدِّيْنِ، وَصَلاَحِ المُسْلِمِيْنَ.

اللَّهُمَّ أَبْرِمْ لِهَـٰذِهِ الأُمَّةِ أَمْرَ رُشْدٍ يَعِزُّ فِيْهِ المُؤْمِنُونَ المُتَّقُونَ، وَيَذِلُّ فِيهِ المُفْسِدُونَ المُجْرِمُونَ، ويُؤْمَرُ فِيْهِ بِالمَعْرُوفِ، وَيُنْهَىٰ فِيْهِ عَنِ المُنْكَرِ، يَاسَمِيْعَ الدُّعَاءِ.

اللَّهُمَّ انْصُرْ إِخْوَانَنَا المُجَاهِدِيْنَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، اللَّهُمَّ انْصُرْهُمْ عَلَىٰ عَدُوِّكَ وَعَدُوِّهِمْ، يَاقَوِيُّ يَاعَزِيْزُ، اللَّهُمَّ كُنْ لِلْمُسْتَضْعَفِيْنَ فِي شَتَّىٰ بِقَاعِ العَالَمِ، اللَّهُمَّ عَجِّلْ بِنَصْرِهِم، اللَّهُمَّ عَجِّلْ بِفَرَجِهِمْ، يَاحَيُّ يَاقَيُّومُ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ عِيْدَنَا سَعِيْدًا، وَعَمَلَنَا صَالِحًا رَشِيْدًا، اللَّهُمَّ وَأَعِدْ هَـٰذَا العِيْدَ عَلَى الأُمَّةِ الإِسْلاَمِيَّةِ جَمْعَاءَ وَقَدْ تَحَقَّقَ لَهَا مَا تَصْبُو إِلَيْهِ[١] مِنْ عِزٍّ وَمَجْدٍ، وَنَصْرٍ وَسُؤْدَدٍ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ، اللَّهُمَّ مُنَّ عَلَيْنَا بِإِعَادَةِ المَسْجِدِ الأَقْصَىٰ إِلَىٰ بِلاَدِ المُسْلِمِيْنَ، اللَّهُمَّ مُنَّ عَلَى المُسْلِمِيْنَ بِإِعَادَةِ مُقَدَّسَاتِهِمْ، وَتَحْرِيْرِ أَوْطَانِهِمْ مِنْ بَرَاثِنِ أَعْدَائِكَ[٢] أَعْدَاءِ الدِّيْنِ، يَاحَيُّ يَاقَيُّومُ، اللَّهُمَّ كُنْ لإِخْوَانِنَا فِي فِلَسْطِيْنَ، وَالبُوسْنَةِ وَالهِرْسِكِ، وَكَشْمِيْرَ،

---

(١) تصبو إليه، أي: تَحِنُّ إليه وتتشوَّق. «تاج العروس» (صبو).

(٢) أي: مخالبهم، وبراثن: جمع بُرْثُنٍ، وهو مِخْلَبُ الأسد. «اللسان» (برثن).



وفِي كُلِّ مَكَانٍ، يَا قَوِيُّ يَا عَزِيْزُ.

ربَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيْعُ العَلِيْمُ، وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيْمُ، ربَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ مَا ظَهَرَتِ النُّجُومُ، وَصَلِّ عَلَيْهِ مَا تَلاَحَمَتِ الغُيُومُ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ أَصْحَابِ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ ﷺ أَجْمَعِينَ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ.

اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، لاَ إِلـٰهَ إِلاَّ اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، وَللهِ الحَمْدُ، وَصَلَّى اللهُ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وعَلَىٰ آلِهِ وَصَحبِهِ أَجْمَعِيْنَ، وَالتَّابِعِيْنَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّيْنِ، ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٨٠ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٨١ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٨٢﴾ [الصافات].

* * *

وبِهَـٰذَا يَنْتَهِي السِّفْرُ الأَوَّلُ

وَسَيَلِيهِ السِّفْرُ الثَّانِي، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ

وَالحَمْدُ للهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ





الفهارس

أولاً: فهرس الآيات القرآنية.

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية.

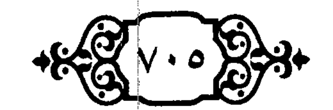
ثالثاً: فهرس الآثار المروية.

رابعاً: فهرس المصادر والمراجع.

خامساً: فهرس الموضوعات.



أولاً: فهرس الآيات القرآنية.



﴿سورة آل عمران﴾



﴿سورة النساء﴾

﴿سورة المائدة﴾

﴿سورة الأنعام﴾



﴿سورة الأعراف﴾

﴿سورة الأنفال﴾



﴿سورة التوبة﴾

﴿سورة يونس﴾

﴿سورة هود﴾





﴿سورة الحجر﴾

﴿سورة النحل﴾

﴿سورة الإسراء﴾



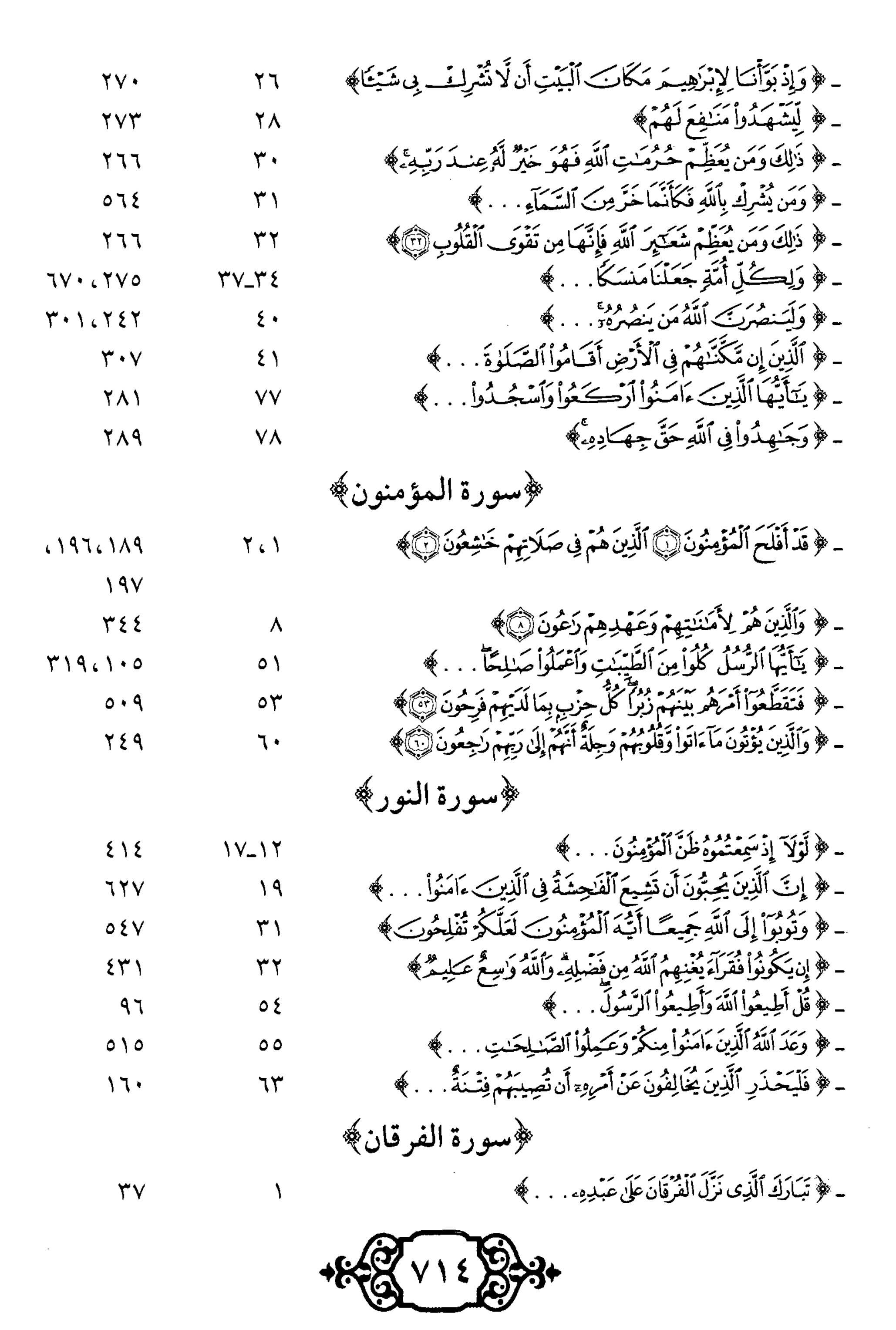
﴿سورة الكهف﴾

﴿سورة مريم﴾

﴿سورة طه﴾

﴿سورة الأنبياء﴾

﴿سورة الحج﴾



﴿سورة المؤمنون﴾

﴿سورة النور﴾

﴿سورة الفرقان﴾

﴿سورة الشعراء﴾

﴿سورة النَّمل﴾

﴿سورة القصص﴾

﴿سورة العنكبوت﴾



﴿سورة فصلت﴾

﴿سورة الشورى﴾

﴿سورة الزخرف﴾

﴿سورة الأحقاف﴾



﴿سورة محمد﴾

﴿سورة الفتح﴾

﴿سورة الحجرات﴾

﴿سورة ق﴾



﴿سورة الذاريات﴾

﴿سورة الواقعة﴾

﴿سورة الحديد﴾

﴿سورة المجادلة﴾

﴿سورة الحشر﴾

﴿سورة الصف﴾

﴿سورة الجمعة﴾

﴿سورة المنافقون﴾

﴿سورة الطلاق﴾

﴿سورة التحريم﴾



﴿سورة الهمزة﴾

﴿سورة الكوثر﴾

ثانيًا: فهرس الأحاديث النبوية















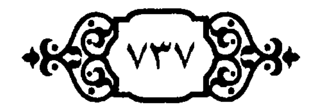


* * *



ثالثًا: فهرس الآثار المرويّة

* * *



* * *



رابعًا: فهرس المصادر والمراجع

(أ) كتب التفسير وعلوم القرآن:

١ـ **القرآن الكريم**.

٢ـ **الإتقان، في علوم القرآن**؛ للحافظ جلال الدين السيوطي.

٣ـ **أضواء البيان، في إيضاح القرآن بالقرآن**؛ للشيخ محمد الأمين الشنقيطي.

٤ـ **التبيان، في آداب حملة القرآن**؛ للإمام النووي.

٥ـ **التذكار، في أفضل الأذكار**؛ للإمام القرطبي (صاحب التفسير).

٦ـ **تفسير البغوي «معالم التنزيل»**.

٧ـ **تفسير ابن أبي حاتم «تفسير القرآن العظيم»**.

٨ـ **تفسير الطبري «جامع البيان، عن تأويل آي القرآن»**.

٩ـ **تفسير القرآن العظيم**؛ للحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير.

١٠ـ **تيسير الكريم الرحمن، في تفسير كلام المنان**؛ للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي.

١١ـ **الجامع لأحكام القرآن**؛ للإمام القرطبي.

١٢ـ **الدر المنثور، في التفسير بالمأثور**؛ للحافظ جلال الدين السيوطي.

١٣ـ **فضائل القرآن**؛ لأبي عبيد القاسم بن سلام.

١٤ـ **النشر، في القراءات العشر**؛ للحافظ محمد بن محمد الدمشقي، الشهير بابن الجزري.

(ب) كتب الحديث وعلومه:

١٥ـ **الأدب المفرد**؛ للبخاري.

١٦ـ **الترغيب والترهيب**؛ لأبي القاسم الأصبهاني.

١٧ـ **الترغيب والترهيب**؛ للحافظ المنذري.

١٨ـ **التلخيص الحبير، في تخريج أحاديث الرافعي الكبير**؛ للحافظ ابن حجر العسقلاني.

١٩ـ **جامع الترمذي**.

٢٠ـ **جامع العلوم والحكم**؛ للحافظ ابن رجب.

٢١ـ **الجامع في الحديث**؛ لعبدالله بن وهب.

٢٢ـ **رياض الصالحين**؛ للإمام النووي.
٢٣ـ **سبل السلام، شرح بلوغ المرام**؛ للصنعاني.
٢٤ـ **سنن الدارقطني**.
٢٥ـ **سنن الدارمي**.
٢٦ـ **سنن أبي داود**.
٢٧ـ **السنن الكبرى**؛ للبيهقي.
٢٨ـ **السنن الكبرى**؛ للنسائي.
٢٩ـ **سنن ابن ماجه**.
٣٠ـ **سنن النسائي**.
٣١ـ **شرح صحيح مسلم**؛ للنووي.
٣٢ـ **شعب الإيمان**؛ للبيهقي.
٣٣ـ **صحيح البخاري**.
٣٤ ـ **صحيح ابن حبان** (بترتيب ابن بلبان).
٣٥ـ **صحيح ابن خزيمة**.
٣٦ـ **صحيح مسلم**.
٣٧ـ **فتح الباري، بشرح صحيح البخاري**؛ للحافظ ابن حجر العسقلاني.
٣٨ـ **فيض القدير**؛ للمناوي.
٣٩ـ **اللؤلؤ والمرجان، فيما اتفق عليه الشيخان**؛ لمحمد فؤاد عبدالباقي.
٤٠ـ **المستدرك**؛ للحاكم.
٤١ـ **مسند إسحاق بن راهويه**.
٤٢ـ **مسند الإمام أحمد بن حنبل**.
٤٣ـ **مسند الشاميين**؛ للطبراني.
٤٤ـ **مسند الطيالسي**.
٤٥ـ **مسند أبي يعلى**.
٤٦ـ **المصنَّف**؛ لابن أبي شيبة.
٤٧ـ **المصنَّف**؛ لعبدالرزَّاق، ومعه «**الجامع**»؛ لمعمر بن راشد.
٤٨ـ **المعجم الأوسط**؛ للطبراني.
٤٩ـ **المعجم الكبير**؛ للطبراني.
٥٠ـ **المنتخب من مسند عبد بن حميد**.



٥١ـ **المنتقى، من أخبار المصطفى**؛ للمجد بن تيمية.

٥٢ـ **الموطأ**؛ للإمام مالك بن أنس.

٥٣ـ **نخبة الفكر**؛ للحافظ ابن حجر العسقلاني.

٥٤ـ **نيل الأوطار**؛ للإمام الشوكاني.

(ج) كتب العقيدة:

٥٥ـ **الأصول الثلاثة وأدلتها**؛ لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب.

٥٦ـ **أعلام السنة المنشورة، لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة**؛ للعلامة الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي.

٥٧ـ **اقتضاء الصراط المستقيم، مخالفة أصحاب الجحيم**؛ لشيخ الإسلام ابن تيمية.

٥٨ـ **الإيمان**؛ لشيخ الإسلام ابن تيمية.

٥٩ـ **تيسير العزيز الحميد، في شرح كتاب التوحيد**؛ للعلَّامة سليمان بن عبدالله ابن الإمام المجدِّد محمد بن عبدالوهاب.

٦٠ـ **حكم السحر والكهانة وما يتعلَّق بها**؛ لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز.

٦١ـ **الرد على الجهمية والزنادقة**؛ للإمام أحمد بن حنبل.

٦٢ـ **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة**؛ للالكائي.

٦٣ـ **شرح العقيدة الطحاوية**؛ للإمام القاضي ابن أبي العز.

٦٤ـ **العبودية**؛ لشيخ الإسلام ابن تيمية.

٦٥ـ **العقيدة الصحيحة وما يضادُّها**؛ لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز.

٦٦ـ **العقيدة الواسطية**؛ لشيخ الإسلام ابن تيمية.

٦٧ـ **فتح المجيد، شرح كتاب التوحيد**؛ للشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ.

٦٨ـ **الفتوى الحموية الكبرى**؛ لشيخ الإسلام ابن تيمية.

٦٩ـ **قرة عيون الموحدين، في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين**؛ للشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ.

٧٠ـ **القصيدة النونية**؛ للإمام ابن قيم الجوزية.

٧١ـ **كتاب التوحيد**؛ لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب.

٧٢ـ **كشف الشبهات في التوحيد**؛ لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب.

٧٣ـ **مجموعة التوحيد**؛ لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب، وعدد من أئمة الدعوة، رحمهم الله.



٧٤ـ **مجموعة الرسائل والمسائل**؛ لشيخ الإسلام ابن تيمية.
٧٥ـ **منهاج السنة النبوية**؛ لشيخ الإسلام ابن تيمية.
٧٦ـ **الواجبات المتحتِّمات المعرفة، على كل مسلم ومسلمة**؛ من كلام شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب.

(د) كتب الأصول والقواعد الفقهية:

٧٧ـ **الأشباه والنظائر**؛ للإمام جلال الدين السيوطي.
٧٨ـ **إعلام الموقعين، عن رب العالمين**؛ للإمام ابن قيم الجوزية.
٧٩ـ **تقرير القواعد، وتحرير الفوائد**؛ للإمام الحافظ ابن رجب الحنبلي.
٨٠ـ **جامع بيان العلم وفضله**؛ للحافظ أبي عمر بن عبدالبرِّ.
٨١ـ **الرسالة**؛ للإمام الشافعي.
٨٢ـ **روضةُ الناظر، وجُنَّة المُنَاظر**؛ للعلامة ابن قدامة المقدسي.
٨٣ـ **الفقيه والمتفقه**؛ للخطيب البغدادي.
٨٤ـ **قواعد الأحكام، في مصالح الأنام**؛ للإمام المحدِّث الفقيه عز الدين بن عبدالسلام.
٨٥ـ **القواعد الفقهية**؛ لعلي أحمد الندوي.
٨٦ـ **القواعد النورانية الفقهية**؛ لشيخ الإسلام ابن تيمية.
٨٧ـ **الموافقات**؛ للإمام الشاطبي.
٨٨ـ **موسوعة القواعد الفقهية**؛ للشيخ الدكتور محمد صدقي بن أحمد البورنو.

(هـ) كتب الفقه والفتاوى:

٨٩ـ **الاختيارات العلمية**؛ لشيخ الإسلام ابن تيميَّة.
٩٠ـ **إعلام المسافرين ببعض آداب وأحكام السفر**؛ لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين.
٩١ـ **بدائع الصنائع، في ترتيب الشرائع**؛ للإمام الكاساني.
٩٢ـ **بداية المجتهد، ونهاية المقتصد**؛ لأبي الوليد بن رشد.
٩٣ـ **بلوغ المرام، من أدلة الأحكام**؛ للحافظ ابن حجر العسقلاني.
٩٤ـ **التحقيق والإيضاح، لكثير من مسائل الحج والعمرة والزيارة**؛ لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز.
٩٥ـ **تيسير العلاَّم، شرح عمدة الأحكام**؛ للشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسَّام.



٩٦ـ **ثلاث رسائل في الصلاة**؛ لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز.

٩٧ـ **رسالة الحجاب**؛ لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين.

٩٨ـ **رسالة الصلاة**؛ للإمام أحمد بن حنبل.

٩٩ـ **رسالة الصيام**؛ لشيخ الإسلام ابن تيمية.

١٠٠ـ **رسالة في حكم تارك الصلاة**؛ لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين.

١٠١ـ **عمدة الأحكام، في كلام خير الأنام**؛ للإمام عبدالغني بن عبدالواحد الجماعيلي.

١٠٢ـ **الفتاوى الجامعة للمرأة المسلمة**، أجاب عنها أصحاب الفضيلة: الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، والشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، وسماحة الشيخ عبدالعزيز ابن عبدالله بن باز، والشيخ محمد بن صالح العثيمين، والشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين، والشيخ صالح الفوزان.

١٠٣ ـ **فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية**،جمع وترتيب أحمد بن عبدالرزاق الدويش.

١٠٤ـ **فتاوى المرأة**؛ أجاب عنها سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، وفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، وفضيلة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين.

١٠٥ـ **فتاوى النساء**؛ لشيخ الإسلام ابن تيمية.

١٠٦ـ **فقه العبادات**؛ لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين.

١٠٧ـ **كتاب الصلاة وحكم تاركها**؛ للإمام ابن قيم الجوزية.

١٠٨ـ **مجالس شهر رمضان**؛ لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين.

١٠٩ـ **المجموع، شرح المهذب**؛ للإمام النووي.

١١٠ـ **مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية**.

١١١ـ **مجموع فتاوى ومقالات متنوعة**؛ لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز.

١١٢ـ **المغني**؛ للإمام ابن قدامة المقدسي.

١١٣ـ **مناسك الحج والعمرة**؛ لشيخ الإسلام ابن تيمية.

١١٤ـ **منهاج المسلم**؛ للشيخ أبي بكر جابر الجزائري.

١١٥ـ **المنهج، لمريد العمرة والحج**؛ لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين.

١١٦ـ **هداية الناسك، إلى أهم المناسك**؛ لفضيلة الشيخ عبد الله بن حميد.

(و) كتب اللغة والأدب:

١١٧ـ **أدب الكاتب**؛ لابن قتيبة.

١١٨ـ **الإيضاح**؛ للخطيب القزويني.

١١٩ـ **تاج العروس، من جواهر القاموس**؛ للزبيدي.
١٢٠ـ **تاج اللغة، وصحاح العربية**؛ للجوهري.
١٢١ـ **التعريفات**؛ للجرجاني.
١٢٢ـ **خزانة الأدب**؛ لعبدالقادر البغدادي.
١٢٣ـ **شرح قطر الندى، وبل الصدى**؛ لابن هشام الأنصاري.
١٢٤ـ **العقد الفريد**؛ لابن عبد ربِّه.
١٢٥ـ **غريب الحديث**؛ لأبي عبيدالقاسم بن سلاَّم.
١٢٦ـ **الغريبين**؛ لأبي عبيدالهروي.
١٢٧ـ **القاموس المحيط**؛ للفيروز آبادي.
١٢٨ـ **الكامل في اللغة والأدب**؛ لأبي العباس المبرِّد.
١٢٩ـ **لسان العرب**؛ لابن منظور.
١٣٠ـ **مجمع الأمثال**؛ للميداني.
١٣١ـ **مقامات الحريري**.
١٣٢ـ **ملحة الإعراب**؛ للحريري.
١٣٣ـ **النهاية في غريب الحديث والأثر**؛ لابن الأثير(١).

(ز) كتب التاريخ والسيرة والتراجم:

١٣٤ـ **أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه**؛ لمحمد بن إسحاق الفاكهي.
١٣٥ـ **الاستيعاب، في أسماء الأصحاب**؛ للحافظ ابن عبدالبر.
١٣٦ـ **الإصابة، في تمييز الصحابة**؛ للحافظ ابن حجر العسقلاني.
١٣٧ـ **الأنوار، في شمائل النبي المختار**؛ للبغوي.
١٣٨ـ **البداية والنهاية**؛ للحافظ ابن كثير.
١٣٩ـ **تاريخ الأمم والملوك**؛ للإمام الطبري.
١٤٠ـ **تاريخ بغداد**؛ للخطيب البغدادي.
١٤١ـ **تاريخ مدينة دمشق**؛ للحافظ ابن عساكر.
١٤٢ـ **تبيين كذب المفتري، فيما نسب إلى أبي الحسن الأشعري**؛ للحافظ ابن عساكر.
١٤٣ـ **حلية الأولياء**؛ لأبي نعيم.

---

(١) هذا بالإضافة إلى مجموعة من الدواوين، وكتب الأدب المعروفة.

١٤٤ـ **الذيل على طبقات الحنابلة**؛ للحافظ ابن رجب الحنبلي.
١٤٥ـ **الروض الأنف**؛ للسهيلي.
١٤٦ـ **زاد المعاد، في هدي خير العباد**؛ للإمام ابن قيم الجوزية.
١٤٧ـ **سير أعلام النبلاء**؛ للحافظ الذهبي.
١٤٨ـ **سيرة ابن إسحاق**.
١٤٩ـ **السيرة النبوية**؛ للحافظ ابن كثير.
١٥٠ـ **السيرة النبوية**؛ لابن هشام.
١٥١ـ **الشفا، بتعريف حقوق المصطفى**؛ للقاضي عياض.
١٥٢ـ **الشمائل المحمدية**؛ للترمذي.
١٥٣ـ **طبقات الحنابلة**؛ لابن أبي يعلى.
١٥٤ـ **الكامل في التاريخ**؛ لابن الأثير.
١٥٥ـ **لسان الميزان**؛ للحافظ ابن حجر العسقلاني.
١٥٦ـ **مختصر سيرة الرسول**؛ لشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب.
١٥٧ـ **مناقب الإمام أحمد**؛ لابن الجوزي.
١٥٨ـ **المنتظم، في تاريخ الملوك والأمم**؛ لابن الجوزي.
١٥٩ـ **نضرة النعيم، في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ**؛ بإشراف فضيلة الشيخ الدكتور صالح بن حميد.
١٦٠ـ **نفح الطيب، من غُصْن الأندلس الرطيب**؛ للمقَّري.

(ح) كتب الرقائق:

١٦١ـ **إرشاد العباد، للاستعداد ليوم المعاد**؛ للشيخ عبدالعزيز المحمد السلمان.
١٦٢ ـ **إصلاح المجتمع**؛ للشيخ محمد سالم البيحاني.
١٦٣ـ **بهجة الناظرين، فيما يصلح الدنيا والدين**؛ للشيخ عبدالله بن جار الله الجار الله.
١٦٤ـ **التذكرة، في أحوال الموتى وأمور الآخرة**؛ للإمام القرطبي.
١٦٥ـ **الخشوع في الصلاة**؛ للحافظ ابن رجب الحنبلي.
١٦٦ـ **الزهد**؛ للإمام أحمد بن حنبل.
١٦٧ـ **السفينة الماخرة، في أحوال البرزخ وأمور الآخرة**؛ للشيخ حامد العبادي.
١٦٨ـ **الصمت**؛ لابن أبي الدنيا.
١٦٩ـ **كتاب الأذكار**؛ للإمام النووي.



١٧٠ـ **الكلم الطيب**؛ لشيخ الإسلام ابن تيميَّة.
١٧١ـ **مختصر منهاج القاصدين**؛ للإمام ابن قدامة المقدسي.
١٧٢ـ **مدارج السالكين، شرح منازل السائرين**؛ للإمام ابن قيم الجوزية.
١٧٣ـ **مكارم الأخلاق**؛ لابن أبي الدنيا.
١٧٤ـ **موارد الظمآن، لدروس الزمان**؛ للشيخ عبدالعزيز المحمد السلمان.
١٧٥ـ **موسوعة رسائل ابن أبي الدنيا**.
١٧٦ـ **الوابل الصيب، من الكلم الطيب**؛ للإمام ابن قيم الجوزية.

(ط) كتب الخطابة:

١٧٧ـ **أدب الخطيب**؛ لابن العطَّار.
١٧٨ـ **تذكرة الأنام، في خطب العام**؛ للشيخ صالح القاضي.
١٧٩ـ **توجيهات وذكرى**؛ لمعالي الدكتور صالح بن عبدالله بن حميد.
١٨٠ـ **خطب الجمع**؛ لفضيلة الشيخ عبدالله الخليفي.
١٨١ـ **خطب الجمع والأعياد**؛ لفضيلة الشيخ عبدالله بن محمد بن زاحم.
١٨٢ـ **الخطب الطوالع، والحكم الجوامع**؛ للشيخ إبراهيم الناصر.
١٨٣ـ **الخطب في المسجد الحرام**؛ لفضيلة الشيخ عبدالله خياط.
١٨٤ـ **خطب مختارة**، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.
١٨٥ـ **الخطب المنبرية، في المناسبات العصرية**؛ لفضيلة الشيخ صالح الفوزان.
١٨٦ـ **الضياء اللامع، من الخطب الجوامع**؛ لفضيلة الشيخ محمَّد بن صالح العثيمين.
١٨٧ـ **الفتوحات الربانية، بالخطب والمواعظ القرآنية**؛ للشيخ محمَّد سالم البيحاني.
١٨٨ـ **لطائف المعارف، فيما لمواسم العام من الوظائف**؛ للحافظ ابن رجب الحنبلي.
١٨٩ـ **من أحاديث المنبر**؛ للشيخ عبدالله بن حسن آل الشيخ.
١٩٠ـ **من منبر المسجد الحرام**؛ لفضيلة الشيخ محمَّد بن عبدالله السبيِّل.
١٩١ـ **الموعظة الحسنة، بما يخطب في شهور السنة**؛ لصديق حسن خان القنوجي[١].

(ي) كتب عامة:

١٩٢ـ **الآداب الشرعية، والمنح المرعية**؛ لابن مفلح.

(١) وهناك مجموعة من كتب الخطب لعدد من الخطباء الفضلاء، لا تخفى على مبتغيها.



١٩٣ـ **اداب طلب العلم**؛ للعلامة محمد بن علي الشوكاني.
١٩٤ ـ **إحياء علوم الدين**؛ للغزالي.
١٩٥ـ **أخلاق العلماء**؛ للآجُرِّيِّ.
١٩٦ ـ **أدب الدنيا والدين**؛ للماوردي.
١٩٧ـ **تذكرة السامع والمتكلم، في أدب العالم والمتعلم**؛ لعز الدين بن جماعة.
١٩٨ـ **الجواب الكافي، لمن سأل عن الدواء الشافي**؛ للإمام ابن قيم الجوزية.
١٩٩ـ **رفع الملام، عن الأئمة الأعلام**؛ لشيخ الإسلام ابن تيمية.
٢٠٠ـ **روضة المحبين ونزهة المشتاقين**؛ للإمام ابن قيم الجوزية.
٢٠١ـ **الزواجر، عن اقتراف الكبائر**؛ لابن حجر الهيتمي.
٢٠٢ـ **فضل علم السلف على الخلف**؛ للحافظ ابن رجب الحنبلي.
٢٠٣ـ **الفوائد**؛ للإمام ابن قيم الجوزية.
٢٠٤ـ **الكبائر**؛ للحافظ الذَّهبي.
٢٠٥ـ **كتاب «العلم»**؛ لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين.

* * *

وهناك عدد من الكتب فيما يتعلق بالقضايا المعاصرة، لا تخفى على اللبيب، فيحسن مراجعتها؛ جمعًا بين الأصالة والمعاصرة، والله الموفق. وهو الهادي إلى سواء السبيل.



خامسًا: فهرس الموضوعات



القسم الرابع

القسم الخامس





